

في رُبُوعِ الشَّامِ

لَمْ يَشُقْ
و نَدِيْقِي

سورة التين

الدكتور محمد مطيع الحافظ

في رُبُوعِ الشَّامِ

لَمَسُونِي

و نوبخت

دَارُ الْمَكِّيِّ

الطبعة الأولى

2009 - 1430

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المکتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص.ب 31426 هاتف 2248433 فاكس 2248432

e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المکتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين وبعد:

فبلاد الشام بلاد طيبة مباركة خصَّها الله بالبركة والخير، وبعث منها الأنبياء والرسول. ومنها دمشق التي ورد في فضلها وفي محاسنها الكثير من الأحاديث الشريفة عن رسول الله ﷺ وخصت بالأخبار الكثيرة عن الصحابة والسلف، حتى قيل: إن من فاته الموت في مكة المكرمة أو المدينة المنورة فعليه أن يركن إليها في أواخر حياته لعله يدفن فيها فينال من بركاتنا حيث دفن فيها الكثير من الأنبياء والعلماء والصالحون والشهداء والعباد والنسك والأولياء.

وكان لدمشق دورها الكبير في الحضارة العربية الإسلامية فمنها بزغ العلم منذ عهد الصحابة والتابعين، وكان للدولة الأموية دورها الحضاري العلمي في نشر العلوم والفتوحات حتى أصبحت الدولة الإسلامية أكبر دولة في العالم لها من المزايا ما فاقت به الأمم الأخرى.

ولعل كتاب تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر خير دليل على فضل هذه المدينة ومزنتها ومكانتها الكبيرة في الحضارة العربية الإسلامية التي تتمثل بالعلم والمجتمع الراقي والتقدم في جميع جوانبه، فلم يترك هذا الكتاب جانباً من الجوانب إلا وتحدث عنه، ففيه تراجم العلماء وأخبار الأدباء والنسك والصالحين، ومذاهبهم وعقائدهم، وفيه التاريخ السياسي لهذه المدينة وغيرها، وفيه أخبار الفتوحات الإسلامية، وتحدث الكتاب أيضاً عن خططها ومواقعها ومدارسها وجوامعها وخططها وسكانها ومن ورد إليها من المشاهير الأعلام،

ففيه صورة حية لجميع نواحي الحياة المزهرة التي تدل على شرف هذه المدينة ومن سكنها.

وفي هذا الكتاب دراسات وأبحاث عن دمشق في خططها وما ورد في مدحها ووصف، ومن دفن بها من أصحاب رسول الله ﷺ ووصف ربوتها والفوائد التاريخية عن الجامع الأموي، والفوائد التاريخية دمشق عامة، وعن مدارسها وغوطتها، ونوادير السماعيات العلمية للكتب على مشاهير العلماء، وتراجم بعض أعلام دمشق، وفوائد عامة مما يتعلق بدمشق وأوقافها ومدارسها، وهذه الأبحاث والدراسات قمت بجمعها خلال فترة طويلة من الزمن، أرجو أن أكون قد وفقت في خدمة هذه المدينة الخالدة.

وأشكر الدكتور محمد غياث المكتبي الذي تفضل بنشر هذا الكتاب ضمن منشورات داره العامرة، وكان ذلك بناء على طلبه بجمع كتاب يضم ما يفيد في تراث دمشق وتاريخها وما ذلك إلا لمحبتته لدمشق وأهلها، والله ولي التوفيق.

وكتب

محمد مطيع الحافظ

اشتقاق تسمية دمشق

قال ابن عساكر^(١): في «كتاب اشتقاق أسماء البلدان» لابن فارس اللغوي: «وأما دمشق فيقال: إنها من دَمَشَقَ ، وناقَهُ دِمَشَقُ: أي سريعة.

قال: ويقال: دَمَشَقَ الضربَ دمشقَةً إذا ضرب ضرباً سريعاً خفيفاً.

وقال ابن الأنباري: دَمَشَقَ فعل من قول العرب: ناقَهُ دِمَشَقُ الخَطْوِ، إذا كانت خفيفة الخطو.

وقال ابن دريد: دمشق اسم هذه المدينة ليست عربية ، بل هي معربة . فأما الدمشقة: السرعة في المشي ، دَمَشَقَ يدمشق دمشقَةً ودمشاقاً إذا أسرع ، وكل سريع دمشق .

ونقل ابن عساكر عن رجل من حكماء الروم قال: إنما سُميت دمشق بالرومية ، وإن أصل اسمها «ذو مسكين» أي مسك مضاعف لمسكها ، ثم عربت فقليل: دمشق .

وقال ابن شداد: صفةُ دمشقَ واشتقاقُ اسمها:

أما صفتها؛ فإنها أحسن بلاد الشام مكاناً ، وأعدلها هواءً ، وأطيبها نَشْراً ، وأكثرها مياهاً ، وأغزرها فواكه .

ولها ناحية تعرف بالغوطة ، طُولها مرحلتان في عرض مرحلة .

وتشتملُ هذه الغوطة على خمسة آلاف بستان؛ وثلاثمائة وخمسة وأربعين بستاناً وعلى خمسمائة وخمسين كرمًا .

وهي من شرقي دمشق وشماليتها؛ بها ضياعٌ كالمدين مثل المزة ، وداريا ،

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١ / ١٩ .

وحرستا ، ودمر ، وبلاس ، وبيت لاه ، وعقربا ؛ وبها كلها جوامع .

ومن الجانب الغربي من دمشق: وادي البنفسج ، ويعرف الآن بوادي الشقراء
طوله اثنا عشر ميلاً ، وعرضه ثلاثة أميال ، تشقه خمسة أنهار .

وللمدينة سبعة أنهار كلها تتفرّع من عين تخرج من تحت بيعة تعرف
بالفيجة ، تظهر عند الخروج من الشُعْبِ بموضع يعرف بالثَّيْرَب ، وهو جبلٌ
عالٍ ، ويتفرّع منه سبعة أنهار .

ولقد أَحْسَنَ في وصفها بعض الفضلاء حيث قال :

«ثُمَّ أَمَرْنَا بِالانتِقَالِ إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ ، وَوَافَقَ ظَاهِرُهُ بَاطِنَهُ ،
أَرْقَتْهُ أَرْجَةٌ ، وَشَوَارِعُهُ فَرِجَةٌ ، فَحَيْثُ مَا كُنْتَ شَمَمْتَ طَيِّباً ، وَأَيْنَ سَعَيْتَ رَأَيْتَ
مَنْظَرًا عَجِيبًا» .

اشتقاق اسمها :

وأما الاشتقاق ؛ قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري : دمشق فعل من قول
العرب : ناقة دمشقة اللحم ، إذا كانت خفيفةً .

وفي كتاب «الاشتقاق» لأبي الحسين أحمد بن فارس : وأما دمشق فيقال : إنَّها
من دَمَشِقْ . وَنَاقَةٌ دَمَشِقٌ : أي سريعة . قال :

وَصَاحِبِي ذَاتِ هِبَابٍ دَمَشِقٌ كَأَنَّهَا بَعْدَ الْكَلَالِ زَوْرُقٌ
وَيُقَالُ : دَمَشِقٌ الضَّرْبُ دَمَشِقَةٌ : أي ضَرَبَ ضَرْبًا خَفِيفًا سَرِيعًا .

وذكر أبو عبد الله الحسين بن خالويه النحوي قال :

كتب إليَّ سيفُ الدولة - لا شلَّتْ عَشْرُهُ ولا ثُلُّ عَرْشُهُ - يسأل عن دمشق ،
هل يُقالُ فيها : دمشقة أم لا ؟ فقلتُ : دمشق اسمُ هذه المدينة ليست عربيَّةً ، فيما
ذكر ابن دُرَيْدٍ ؛ إنَّما هي معربة ولا يُقالُ إلَّا بغير هاء ؛ فأما الدَّمَشِقَةُ فالسرعة في
المشي . يُقالُ : دَمَشِقٌ يَدْمَشِقُ دَمَشِقَةً وَدَمَشَاقًا إذا أسرع ، وكلُّ سريع دَمَشِقٌ
- أطال الله بقاء سيِّدنا ، وبه المستند وزَيْن أم خنُور بكونه فيها - .

فأعاد الرِّقعة ، وقد وَقَّعَ فيها : مرَّ بنا في كتاب : قال عبد الرحمن بن حسل
الجُمَحِي ، وهو بعسكر يزيد بن أبي سفيان ، عند حصارهم دمشق :
أَبْلَغُ «أَبَا سُفْيَانَ» عَنَّا بِأَنَّنا عَلَى خَيْرِ حَالٍ كَانَ جَيْشٌ يَكُونُهَا

وَأَنَا عَلَى بَابِي دِمَشْقَةَ نَزْتَمِي وَقَدْ حَانَ مِنْ بَابِي دِمَشْقَةَ حَيْثُهَا
وفي الرَّقعة أيضاً: أَنَّ النَّاقَةَ السَّرِيعَةَ يُقَالُ لَهَا: دَمَشَقٌ ، والمرأة السريعة اليد
في العمل .

فكُتِبَتْ: هذا جائزٌ للشَّاعر ، محتملٌ له ، ولا سيَّما إذا قَصِدَ بدمشق إلى
مدينة فزاد هاءً ، تأكيداً للتأنيث ؛ كما أَنَّ عَقْرَبًا مُؤَنَّثَةً بِغَيْرِ علامة التَّأنيث ،
وَالْعُقْرَبَانِ ذَكَرُهَا ، فقالوا: عقرِبَةٌ تأكيداً ، فكذلك دَمَشَقٌ وَدِمَشْقَةٌ . وذكر يونس
وغيره: أَنَّهُ عَجُوزَةٌ وَفَرَسَةٌ ، كل ذلك تأكيد . وقرأ ابن مسعود: «تسع وتسعون
نعجة أنثى» .

فَبَعَثَ يَسْتَحْضِرُنِي ، فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَلْتُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، رَبِّ عَلِمَ كُنْتُ
سَبَبَهُ ، وقد استفدتُ دِمَشْقَةَ ، إِلَّا أَنَّهُ فِي النِّحْوِ كَمَا ذَكَرْتُ . وَالْعُرْبُ تَزِيدُ الْمَذْكَرَ
يَانَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «ابن لَبُونٍ ذَكَرَ» وتزيد المُنْثَى
تأكيداً مثل «نعجة أنثى» ، وذكر كلاماً غيره .

قال ابن عساكر: سمعتُ أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الفرضي
ببغداد ، وكان أُسِرَ وبقي في بلاد الروم مُدَّةً: إِنَّ رَجُلًا مِنْ حُكَمَاءِ الرُّومِ قَالَ:
إِنَّمَا سَمَّيْتُ دِمَشْقَ بِالرُّومِيَّةِ ، وَإِنْ أَصْلُ اسْمِهَا دُوومِسْكَسُ: أَي مَسْكٌ مُضَاعَفٌ ؛
لَطِيئِهَا . لِأَنَّ دُوومَ لِلتَّضْعِيفِ ؛ وَمِسْكَسُ: هُوَ الْمَسْكُ ، ثُمَّ عُرِّبَتْ فُقِيلَ: دِمَشْقُ .
والله أعلم .



ذِكْرُ اشْتِقَاقِ أَمَاكِنَ فِي نَوَاحِيهَا

ذَكَرَ ابْنُ عَسَاكِرٍ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ عَنْ هَارُونَ بْنِ أَبِي عَيْسَى الشَّامِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ قَالَا: وَوُلِدَ لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اثْنَا عَشَرَ وَلَدًا فَسَمَّاهُمْ ، ثُمَّ قَالَا: وَدُمَا وَهُوَ دِيمَا؛ وَبِهِ سُمِّيَتْ دُومَةُ الْجَنْدَلِ .

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ أَبِي الْمُنْذِرِ هِشَامَ بْنِ مُحَمَّدِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: وَوُلِدَ لِللُّوْطِ أَرْبَعَةٌ بَنِينَ وَابْنَتَانِ؛ فَأَمَّا الْبَنُونَ فَاسْمُهُمْ: مَابٌ ، وَعَمَّانُ ، وَجَوْلَانُ ، وَمَلْكَانُ . وَابْنَتَانِ: زُغَرٌ ، وَالرِّيَّةُ .

فَعَمَّانُ: مَدِينَةُ الْبَلْقَاءِ سُمِّيَتْ بِعَمَّانَ بْنِ لُوْطٍ .

وَمَابٌ: مِنْ سَائِرِ الْبَلْقَاءِ سُمِّيَتْ بِمَابَ بْنِ لُوْطٍ .

وَعَيْنُ زُغَرٍ: سُمِّيَتْ بِزُغَرَ ابْنَةِ لُوْطٍ .

وَالرِّيَّةُ: سُمِّيَتْ بِالرِّيَّةِ ابْنَةِ لُوْطٍ .

قَالَ أَبُو الْمُنْذِرِ: قَالَ الشَّرْقِيُّ بْنُ الْقَطَّامِيِّ: سُمِّيَتْ صَيْدَا الَّتِي بِالشَّامِ بِصَيْدُونَ بْنِ صَدْقَاءَ بْنِ كَنْعَانَ بْنِ حَامِ بْنِ نُوحٍ . وَسُمِّيَتْ أَرِيحَا الَّتِي بِالشَّامِ بِأَرِيحَا بْنِ مَالِكِ بْنِ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ . وَسُمِّيَتْ الْبَلْقَاءُ بِبَالِقِ بْنِ عُمَّانَ بْنِ لُوْطٍ لِأَنَّهُ بَنَاهَا وَسَكَنَهَا .

وَقَالَ الرَّازِيُّ فِي مَا رَوَاهُ: الْبَلْقَاءُ مِنْ عَمَلِ دِمَشْقَ ، سُمِّيَتْ بِبَلْقَاءِ ابْنِ سُوَيْدَةَ مِنْ بَنِي عَمَّانَ بْنِ لُوْطٍ ، وَهُوَ بَنَاهَا ، قَالَ: وَيُلْغَنِي أَنَّ الْكِسْوَةَ إِتْمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ عَسَانَ قَتَلَتْ بِهَا رُسُلَ مَلِكِ الرُّومِ ، لِأَنَّهُ كَانَ أَرْسَلَهُمْ لِأَخْذِ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ ، وَاقْتَسَمَتْ كَسْوَتَهُمْ .

وَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ: وَأَمَّا مُؤْتَةُ مَهْمُوزَةٌ ، وَالْهَمْزَةُ سَاكِنَةٌ: فَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي قُتِلَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِيهَا .

ومن «كتاب اشتقاق البلاد» لابن فارس: جَيرون: مِنْ قَوْلِكَ: جَرَنَ الشَّيْءُ إِذَا اِمْلَسَ ، والجَارِنُ: الأملسُ من كلِّ شيءٍ. وجَلَقَ: مِنْ قَوْلِكَ جَلَقَ رَأْسَهُ ، إِذَا حَلَقَهُ. والجَابِيَةُ وهي الحوض ، والجمع جَوَابٍ. قال الله تعالى: ﴿وَحِجَابٍ كَلِّجَوَابٍ﴾.

قال الأعشى:

تَرَوْحُ عَلَى آلِ المَحَلِّقِ جَفَنَةٌ كجَابِيَةِ الشَّيْخِ العِرَاقِيِّ تَفَهَّقُ
 وقال ابن فارس: وأذرح: من قولك: هُوَ ذَرِيحِيٌّ أَي شَدِيدُ الحِمْرَةِ ،
 وذرحت الزعفران في الماء. والبَلْقَاءُ: من البلق. ويبروت: فَيَعُولُ من البُرْتِ
 وهو الرجل الدليل. وصور: جمع صورة يُقال: صورة وَصُورٌ ، كما قال سورة
 النبأ ، والجمع صُورٌ. ويقال: هو من صاره بصوره، أي: أماله. وعكَّاء: من
 قولك: عككته، أي: حَبَسْتَهُ ، والعكَّةُ: شِدَّةُ الحَرِّ ، وكذلك العكيك قال:
 تَطْرُدُ القُرَّ بِحَرِّ سَاكِينٍ وَعَكِيكَ القَيْظِ إِنْ جَاءَ بِقُرِّ

* * *

مما ورد في مدح دمشق نثراً وشعراً

روى ابن عساكر^(١) بسنده عن وهب بن منبه قال:

لما أرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض لم يسأل إلا عن غوطة دمشق
وعن جنتي سبأ.

وعن عمر بن عباد المهلبي قال:

كان الرشيد يقول: أربعة منازل قد نزلت ثلاثة منها: أحدها الرقة والآخر
دمشق، والآخر الرِّي في وسط نهر، وعلى جانبيه أشجار ملتفة متصلة وفيما بينها
سوق. والمنزل الرابع سمرقند، وهو الذي بقي علي لم أنزله، وأرجو ألا يحول
الحول في هذا الوقت حتى أحلَّ به فما كان بين هذا وبين أن توفي إلا أربعة
أشهر فقط.

وعن أحمد بن الخير الوراق الدمشقي:

لم يزل ملوك بني العباس تخف إلى دمشق طلباً للصحة وحسن المنظر،
ومنهم المأمون، فإنه أقام بها وأجرى إليها قناة من نهر منين في سفح جبلها إلى
معسكر بديرمران^(٢)، وبنى القبة التي بأعلى ديرمران وصيرها مرقباً يوقد في
أعلاها النار، لكي ينظر إلى ما في معسكره إذا جنَّ عليه الليل، وكان ضوءها
وضياؤها يبلغ إلى ثنية العقاب^(٣) وإلى جبل الثلج^(٤).

وعن الفضل بن مروان:

أن أمير المؤمنين المأمون صار إلى دمشق وهو رقيق، فغلظ وأخذ بعض

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر المجلدة الثانية ص ١٦٥ طبعة المجمع.

(٢) ديرمران: يشرف على الربوة غربي دمشق (غوطة دمشق ص: ٢٦٧).

(٣) الجبل المطل على الغوطة والمرج وتسمى اليوم الثنايا (غوطة دمشق ص: ١٨٠).

(٤) هو جبل الشيخ (غوطة دمشق ص: ١٨٠).

اللحم ، وكان أكله قبل ذلك في كل يوم ثماني عشرة لقمة ، فلما أقام بدمشق صار أكله في كل يوم أربعاً وعشرين لقمة ، زيادة الثلث .

روى أبو داود في «سننه» عن عبد الله بن حوالة قال : قال رسول الله ﷺ :

«إنكم ستجدون بعدي أجناداً ثلاثة: جُنُداً إلى اليمن ، وجُنُداً إلى الشام ، وجُنُداً إلى العراق ، قال عبد الله : خِرْ لي يا رسول الله . قال : عليك بالشام ، فإنها خيرة الله من أرضه ، يجتبي إليها خيرته من عباده ، وإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله» .

قال أبو إدريس الخولاني : ومن تكفل الله به ، فلا ضيعة عليه^(١) .

وروى الإمام أحمد عن مكحول وأبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ستفتح عليكم الشام فعليكم بمدينة يقال لها : دمشق هي خير مدائن الشام ، وفسطاط المسلمين بأرض منها يقال لها : الغوطة^(٢) .

وروى الترمذي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال :

كنا نؤلف القرآن من الرقاع ، فقال رسول الله ﷺ : طوبى للشام ، فقلت : لم ذلك يا رسول الله؟ قال : لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليها^(٣) .

روى الحافظ ابن عساكر بسنده إلى أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

يوم الملحمة الكبرى بأرض يقال لها : الغوطة فيها مدينة يقال لها : دمشق ، فهي خير مساكن الناس يومئذ^(٤) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد ، باب في سكنى الشام . وإسناده صحيح ، وهو في تاريخ دمشق ٤٧/١ - ٧٣ ومسنده الإمام أحمد ٤/١١٠ ، ٥/٣٣ ، ٢٨٨ ، وفضائل الشام للربيعي ، ص ٥ ، وجامع الأصول ٩/٣٥٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٥/١٩٧ ، ومسند أبي داود ٤٢٩٨ في الملاحم وإسناده صحيح ، تاريخ دمشق ١/٢١٩ ، جامع الأصول ٩/٣٥٠ .

(٣) أخرجه الترمذي برقم ٣٩٤٩ في المناقب ، جامع الأصول ٩/٣٥٠ .

(٤) تاريخ ابن عساكر ١/٢٣٣ .

لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حولها ، لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة^(١) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا ، قالوا : وفي نجدنا؟ قال : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا ، قالوا : وفي نجدنا؟ قال : اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا ، قالوا : يا رسول الله ، وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة : هناك الزلازل والفتن ، ومنها يطلع قرن الشيطان^(٢) .

وقال الحافظ ابن عساكر^(٣) أيضاً :

وقال محمد بن أبي طيفور : ويقال : إن المأمون نظر يوماً من بناء كان فيه إلى أشجار الغوطة وبنائها ، فحلف بالله أنها خير مَغْنَأَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، فقال بعض المؤلفين لحسن الكلام :

| | |
|----------------------------|-------------------|
| نَظَرَ المَأْمُونُ يَوْمًا | من دمشق من أبنائي |
| في رِيَاضٍ مُونِقَاتٍ | بين أشجار حسان |
| فمَشَى شَوْقًا إِلَيْهَا | ضاحكاً بين غواني |
| ثُمَّ أَلَى بِيَمِينِ | إنها خير المغانبي |
| فُرِشَتْ بالنور فَرُشًا | تحت ظل وسواني |
| أَخْضَرَ رَفَّ رَيفًا | جازه أحمر قاني |

قال محمد بن أبي طيفور : ويقال : إن المأمون قال يوماً : عجبْتُ لمن سكن غيرَها ، كيف ينعم مع هذا المنظر الأنيق الذي ليس يخلق مثله؟! قال في ذلك بعض مؤلفي الكلام الحسن :

| | |
|----------------------------|------------------|
| ليس في الدُّنْيَا نَعِيمٌ | غير سكني في دمشق |
| تنظُرُ العَيْنَانِ مِنْهَا | منظراً ليس لخلق |

(١) المصدر السابق ص : ٢٥٤ .

(٢) رواه البخاري ٢٥٠/٦ في بدء الخلق ، ومسلم رقم ٥٢ ، وفي الموطأ ٩٧٠/٢ .

(٣) تاريخ دمشق ٣٩٢/٢ .

جَنَّةٌ يُقْبَرُ مِنْهَا مَاءٌ عَيْنِ ذَاتِ دَفْقٍ
 قال محمد بن أبي طيفور: وبلغني أن المأمون كان في طارمة^(١) له والثلج يسقط عليه ، فأصحر^(٢) يده للثلج ساعة التذاذاً به .

قال محمد بن أبي طيفور: حَدَّثَنِي يحيى بن أكثم القاضي قال: كنتُ بدمشق مع المأمون وَحَضَرْتُ طَعَامَهُ ، فَقُدِّمَ إِلَيْهِ طَعَامٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفَرَارِيحِ . فَجَعَلَ الْمَأْمُونُ يَأْكُلُ مِنْ تِلْكَ الْفَرَارِيحِ يَتَمَطَّقُ^(٣) وَيَتَلَمَّظُ^(٤) وَيَبْتَسِمُ . وَأَنَا لَا أُدْرِي مَا مَقْصِدُهُ بِتَلَمَّظِهِ . فَلَمَّا اسْتَحْكَمَ لَهُ طَعْمُ الْفَرَارِيحِ وَبَلَغَ نَهَايَةَ الْاسْتِمْتَامِ إِلَى غَايَتِهِ فِي ذَوْقِهِ نَظَرَ إِلَى الطَّبَاحِ فَقَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ سَمَّنْتَ هَذِهِ الْفَرَارِيحَ؟ وَبِمَ طَيَّبْتَهَا؟ فَقَالَ الطَّبَاحُ: هَذِهِ رَاعِيَةٌ دِمَشْقٌ لَمْ تُسَمِّنْ وَلَمْ تُطَيَّبْ . فَقَالَ لِي: مَا طَعْمٌ مِنْ طَعَامٍ لِلطَّيْرِ وَلَا رِيحٍ مِنَ الرِّوَائِحِ الْعَذْبَةِ إِلَّا وَقَدْ خِيَلُ لِي أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْفَرَارِيحِ . هَذَا وَاللَّهِ أَرْخَصَ لِحِمَاءٍ وَأَطْيَبُ طَعْمًا وَرِيحًا مِنْ مُسَمِّنِ كَشْكَرٍ^(٥) . ثُمَّ قَالَ: أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ فَرَارِيحَ كَشْكَرٍ فِيهَا ثَقُلَ كَشْكَرُ ، وَرَوَائِحُ آجَامَهَا ، وَكَأَنَّهَا مِنْ طَيْرِ الْمَاءِ فِيهَا الطَّعْمُ؟ فَإِنْ لَمْ تَعَالَجْ بِالْأَبَازِيرِ وَتُطَيَّبَ بِالْأَفْوَاهِ^(٦) ، وَتُرَوَّ بِالزَّيْتِ الْمَغْسُولِ ، لَمْ يُمْكِنَ النَّظَرُ إِلَيْهِ فَضْلًا عَنْ أَكْلِهِ ، وَهِيَ إِذَا عَوِينَتْ بِمَا وَصَفْتُ وَعَوْلَجْتُ فِيهَا بَقَايَا سِنْخِهَا^(٧) ، وَلَثْنٌ رَجَعَتْ إِلَى الْعِرَاقِ لَا ذَقْتُ مِنْهَا شَيْئًا الْبَتَّةَ .

وقال ابن عساكر أيضاً: قرأتُ بخط أبي الحسين الرَّازِي: حَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي قُرْبَةَ الثَّقَفِيِّ ، نَا مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَكَّارِ بْنِ بِلَالِ الْعَامَلِيِّ ، نَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي طَيْفُورٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ دَوَادٍ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ: مَا شَبَّهْتُ سَاكِنَ دِمَشْقٍ إِلَّا بِالصَّائِمِ فِي شِدَّةِ الْكَلْفِ عَلَى الطَّعَامِ فَإِنَّهُ جَائِعٌ أَبَدًا . قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَنَعِمَتِ النِّعْمَةُ هَذِهِ . قَالَ: نَعَمْ خَيْرَ بَقَاعِ الْأَرْضِ إِلَّا أَنَّهُ تَوَرَّثَ الشِّدَّةَ .

(١) الطارمة: بيت من خشب كالكبة (اللسان: طرم)

(٢) أي: أخرجها وأبرزها (القاموس: صحر).

(٣) التمتع: التذوق والتصويت باللسان (القاموس: مطق).

(٤) لمظ: أخرج لسانه فمسح شفتيه (القاموس: لمظ).

(٥) كشكر: كورة واسعة بين الكوفة والبصرة (معجم البلدان).

(٦) الأفواه: التوابل (القاموس).

(٧) السنخ: الدهن.

وقال ابن عساكر أيضاً: أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحُسَيْنِيِّ وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُورِ الْغَسَّانِيِّ، قَالَا: نَا أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ خَيْرُونَ ، نَا أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ ، نَا أَبُو طَالِبٍ عَمْرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَقِيهِ ، نَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ زَنْجِيِّ الْكَاتِبِ - إِمْلَاءٌ - حَدَّثَنِي أَبِي ، نَا عَسَلُ بْنُ ذَكْوَانَ قَالَ: قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: أَحْسَنُ الدُّنْيَا ثَلَاثَةٌ: نَهْرُ الْأُبْلَةِ (١) ، وَغُوطَةُ دِمَشْقَ، وَسَمَرْقَنْدُ، وَقَالَ: حَشُوشُ الدُّنْيَا: عُمَانُ، وَأُرْدَبِيلُ (٢) ، وَهَيْتُ (٣) .

قَرَأْتُ عَلِيَّ أَبِي الْقَاسِمِ زَاهِرِ بْنِ طَاهِرِ الشَّحَامِيِّ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْبَيْهَقِيِّ ، أَنَا الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَذْكُورِ ، نَا أَحْمَدُ بْنُ الْخَضِرِ ، نَا الرِّيَاشِيُّ ، عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: جَنَّانُ الدُّنْيَا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: نَهْرُ مَعْقِلٍ (٤) بِالْبَصْرَةِ ، وَدِمَشْقَ بِالشَّامِ ، وَسَمَرْقَنْدُ بِخُرَّاسَانَ .

أَنْبَأَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحُسَيْنِيِّ ، نَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ أَحْمَدَ ، أَنَّ عَبْدَ الْوَهَّابِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَيَّانِ ، نَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَيُّوبَ الْحَافِظَ الْقَطَّانِ ، نَا أَبُو رَوْحٍ الْهَزَّانِيَّ بِالْبَصْرَةِ ، نَا الرِّيَاشِيُّ ، عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: [ح].

وَقَرَأْتُ عَلِيَّ أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ حَمْزَةَ السَّلْمِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَحْمَدَ ، نَا تَمَامَ الرَّازِيِّ ، نَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَيُّوبَ ، نَا أَبُو رَوْحٍ الْهَزَّانِيَّ بِالْبَصْرَةِ قَالَ: وَذَكَرَ عَنِ الرِّيَاشِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَقُولُ: - وَفِي حَدِيثِ ابْنِ الْجَيَّانِ ، نَا الرِّيَاشِيُّ ، عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: - جَنَّانُ الدُّنْيَا ثَلَاثٌ: غُوطَةُ دِمَشْقَ ، وَنَهْرُ سَمَرْقَنْدُ وَنَهْرُ الْأُبْلَةِ .

وَقَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي الْعَلَاءِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَيْسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ الْبَغْدَادِيِّ ، نَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ رَشِيقٍ - بِالْفُسْطَاطِ - حَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ آدَمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَسْقَلَانِيِّ ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْكُشُورِيِّ ،

(١) الأبله: بلدة على شاطئ دجلة عند البصرة (معجم البلدان).

(٢) أردبيل: من المدن الشهيرة بأذربيجان.

(٣) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار (معجم البلدان).

(٤) نهر معقل: ينسب إلى الصحابي معقل بن يسار رضي الله عنه (معجم البلدان).

حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ النَّجْرَانِي، حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، نَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى
الْعَدَنِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ ، عَنْ غَيْرِهِ قَالَ: فِي الدُّنْيَا ثَلَاثُ جَنَّاتٍ: مَرُؤٌ مِنْ
خُرَّاسَانَ ، وَدِمَشْقُ مِنَ الشَّامِ ، وَصَنْعَاءُ مِنَ الْيَمَنِ . وَجَنَّةُ هَذِهِ الْجَنَّاتِ صَنْعَاءُ .

وَذَكَرَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْمَغَارِبَةِ قَالَ: قَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمَشْرِقِيِّينَ: إِنْ اللَّهُ أَسْكَنَهُ -
يَعْنِي آدَمَ - بِنَاحِيَةِ كَيْكَدَرٍ مِنْ كُورَةِ الصِّينِ ، قَالَ: وَهِيَ الَّتِي تَعْرِفُ فِي زَمَانِنَا
بِمَدِينَةِ لَغُوبُرٍ . وَيَقُولُونَ: الصِّينُ أَطْيَبُ الْبِلَادِ ، وَأَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ الْعَامَّةُ فِي الشَّقِ
الْغَرْبِيِّ أَنْ أَطْيَبُ الْبِلَادِ صَنْعَاءُ مِنَ الْيَمَنِ ، وَدِمَشْقُ مِنَ الشَّامِ ، وَالرِّيُّ مِنَ
خُرَّاسَانَ ، وَنَجْرَانَ مِنَ الْحِجَازِ .

وَذَكَرَ أَبُو الطَّيِّبِ الْوَشَّاءُ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عُبَيْدِ الْبَحْتَرِيِّ أَنْشَدَهُ لِنَفْسِهِ (١):

قَدْ رَحَلْنَا عَنِ الْعِرَاقِ عَنْ قَيْظِهَا الْوَمَدِ (٢)
حَبَّذَا الْعَيْشُ فِي دِمَشْقٍ إِذَا لَيْلَهَا بَرْدٌ
حَيْثُ يُسْتَقْبَلُ الزَّمَانُ وَيُسْتَحْسَنُ الْبَلَدُ
سَفَرٌ جَدَّدَتْ لَنَا اللَّهُوَ أَيَّامُهُ الْجُدُدُ
عَزَمَ اللَّهُ لِلْخَلِيفَةِ فِيهِ عَلَى الرَّشْدِ

وَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ كَامِلٍ الْقَاضِي قَالَ:

وَفِي دُخُولِ الْمُتَوَكَّلِ دِمَشْقَ يَقُولُ أَبُو عَبَّادَةَ الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدِ الْبَحْتَرِيِّ الطَّائِي
قَصِيدَةً اقْتَضَبْتَهَا وَأَوْلَهَا (٣):

وَالرَّاحُ تَمْزِجُهَا بِالْمَاءِ مِنْ بَرْدَى
شَرْقاً وَغَرْباً فَمَا نَحِصِي لَهَا عَدَدَا
وَاللَّهُ أَعْطَاكَ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدَا
إِلَّا تَعَرَّفَتْ فِيهِ الْيَمَنَ وَالرَّشْدَا
وَقَدْ وَفَى لَكَ مُطْرِيهَا بِمَا وَعَدَا
مُسْتَحْسَنٍ وَزَمَانٍ يَشِبُّهُ الْبَلْدَا
وَيَصْبِحُ النَّبْتُ فِي صَحْرَائِهَا بَدَدَا
الْعَيْشُ فِي لَيْلِ دَارِيَا إِذَا بَرَدَا
قُلْ لِلْإِمَامِ الَّذِي عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ
اللَّهُ وَلَأَنَّكَ عَنْ عِلْمِ خِلَافَتِهِ
وَمَا تَعَنَّتَ عِتَاقَ الْعَيْسِ فِي سَفَرِ
أَمَّا دِمَشْقُ فَقَدْ أَبَدَتْ مُحَاسِنَهَا
إِذَا أُرِدَتْ مَلَأَتْ الْعَيْنَ مِنْ بَلَدِ
يَمِشِي السَّحَابُ عَلَى أَجْبَالِهَا فِرْقَا

(١) ديوان البحتري ١/١٦ .

(٢) الومد: الحر الشديد .

(٣) الديوان ١/٢١ .

فَلَسْتَ تُبْصِرُ إِلَّا وَاكِفًا خَضِلًا أَوْ يَانِعًا خَضِرًا أَوْ طَائِرًا غَرْدًا
فَكَأَنَّما الْقَيْظُ وَلَا بَعْدَ جَيْتِهِ أَوْ الرَّيِّعُ دَنَا مِنْ بَعْدِ مَا بَعْدًا

وَمِمَّا قَالَه فِيهَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْحَلْبِيِّ الْمَعْرُوفِ
بِالصُّنُوبِيِّ، وَقَدْ أَنْشَدَنِي بَعْضُ قَوْلِهِ الْفَقِيهَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ الْمُسْلِمِ السَّلْمِيِّ
وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنِ السَّمْرَقَنْدِيِّ قَالَا: نَا أَبُو نَصْرٍ الْحَسِينَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلَّابٍ قَالَ:
أَنْشَدْنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَمِيعٍ قَالَ: أَنْشَدَنِي أَبُو بَكْرٍ
الصُّنُوبِيُّ أَيْبَاتًا لَهُ غَيْرَ هَذِهِ:

أُمْرٌ بِدِيرٍ مُرَّانٍ^(١) فَأَحْيَا وَأَجْعَلُ بَيْتَ لَهْوِي بَيْتَ لِهْيَا
وَيُورِدُ عَلَّتِي بَرْدًا فَسُقَيًّا لِأَيَّامِي عَلَى بَرْدًا وَرَغِيًّا
تَفِيضُ جَدَاوِلُ اللَّوْرِ مِنْهَا خِلَالَ حَدَائِقِ يَنْبُتِنَ وَشِيًّا
فَمِنْ تَفَاحَةٍ لَمْ تَعُدْ خَدًّا وَمِنْ رُؤْمَانَةٍ^(٢) لَمْ تَعُدْ ثَدِيًّا
وَنِعْمَ الدَّارُ دَارِيًّا فِيهَا صَفَا لِي الْعَيْشُ حَتَّى صَارَ أَرِيًّا
وَلِي فِي بَابِ جِيْرُونَ ظِبَاءٌ أَعْاطِيهَا الْهَوَى ظِيًّا فَظِيًّا
صَفَتْ دِنْيَا دَمَشَقَ لِمِصْطَفِيهَا^(٣) فَلَسْتُ أُرِيدُ غَيْرَ دَمَشَقَ دِنْيَا^(٤)

وَيُرْوَى: هِيَ الدُّنْيَا دَمَشَقَ لِسَاكِنِيهَا.

وَمَا قَالَه فِيهَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُحْسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ الصُّورِيِّ^(٥)، وَقَدْ أَنْشَدْنَا
بَعْضُ قَوْلِهِ الشَّرِيفَ أَبُو السَّعَادَاتِ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُتَوَكِّلِيِّ
بِبَغْدَادَ، أَنْشَدْنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيَّ بْنِ ثَابِتِ الْخَطِيبِ، أَنْشَدْنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصُّورِيُّ قَالَ: أَنْشَدْنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُحْسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
أَحْمَدَ بْنِ غَالِبِ الصُّورِيِّ:

كَانَ ذِمُّ الشَّامِ مَذْكَنْتُ شَانِي فَهَتَّنْتَنِي عَنْهُ دَمَشَقُ الشَّامِ
بِلَدِّ سَاكِنُوهُ قَدْ جَعَلُوا الْجَنَّةَ قَبْلَ الْحَسَابِ دَارَ مَقَامِ

(١) مَرَّ التَّعْرِيفُ بِهِ ص ١٢ .

(٢) فِي مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ: «أَتْرَجَةٌ».

(٣) فِي مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ: «لِقَاطِنِيهَا».

(٤) فِي مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ: «فَلَسْتُ تَرَى بَغِيرَ دَمَشَقَ دِنْيَا».

(٥) مِنْ كِبَارِ شُعْرَاءِ الشَّامِ فِي الْقُرُونِ الْخَامِسِ (تَرْجَمْتُهُ فِي وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ ٢ / ٢٧٩ ، وَخَرِيدَةُ
الْقَصْرِ - شُعْرَاءِ الشَّامِ).

ليس يفنى ولا مع الأيام
 طنٌ خِلَقًا هَمًا معاً في تمام
 هر إذ كان أوضح الأحكام
 ر تراها رِيَاضة الأفهام
 فأفانين زهرها في انتظام
 سد عليها بل فضلت بالدوام
 ل فعمتتهم يدا قسام

ألبستها الأيام رَونقَ حُسنٍ
 ظاهرٌ ظاهرُ الجمال كما البَا
 غير أن الربيع يحكم في الظا
 برياضي أو صافها أبد الده
 نثرت كلها يد الغيث فيها
 لم تفضل بطيها جنة الخلد
 قُسمت بين أهلها قسمة العد

ومما قاله فيها أبو المطاع ذو القرنين أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان
 التغلبي^(١)، وقد أنشدني بعض قوله أبو الحسين أحمد بن محمد الفقيه السَّمْنَانِي،
 بِسْمُنَان^(٢)، أنشدنا أبو سعيد عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوزان القشيري،
 أنشدنا الشريف أبو الحسن عمران بن موسى المغربي.

أنشدنا أبو المطاع:

مترادفِ الأحزانِ والكُربِ
 دارِ النعيمِ ومنزلِ الطربِ
 فيها ونُخبَة كلِّ متخبِ
 وتراؤها كالمسك في الثُربِ
 كرُضابِ ثغرٍ باردٍ شنبِ
 أو جدولٍ كمهتدٍ القُضبِ
 زهرٌ كمثلِ الأنجمِ الشُهبِ
 يحكي انعطافَ الحُرردِ العُربِ
 في غفلةٍ من حادثِ الثُوبِ
 فتناولوا اللذات عن كثبِ
 فيهم ومن ظُرفٍ ومن أدبِ
 ذبا فضلِ تُغنيهم عن النسبِ
 والشمسُ قد كادت ولم تغبِ

إنِّي حننتُ حينَ مكتئبِ
 متذكّرٍ في دارِ شقوته
 جمعت مآرب كلِّ ذي إربِ
 فهواؤها تحيا النفوس به
 تجري بها الأمواه فوق حصي
 من كل عين كالمرآة صفاً
 يشتق أخضر كالسماء له
 هذا ومن شجرٍ تَعَطُفُه
 عشنا به زمناً نلذُّ به
 في فتية فطنوا لدهرهم
 ماشئت من جودٍ ومن كرمِ
 متواصلين على مناسبة
 كم رَوْحَة بدمشق رحّت بهم

(١) أحد كبار الشعراء بالشام في القرن الخامس.

(٢) بلدة بين الري ودامغان (معجم البلدان).

فكأنما صاغ الأصيلُ بها
ومما قاله أيضاً في دمشق :

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها
وما ذقتُ طعم الماء إلا استخفني
وقد كان شكّي في الفراق يروغني
فوالله ما فارقتكم قالياً لكم
ومما قال فيها أيضاً :

دعاني من أطلال بُزقة نهمد
فمالي من وجد بنجد وأهلها
محلّة بوّس لا الحياة عزيزة
عدتني عنها من دمشق وأهلها
بحيث نسيم الغوطتين معطر
يمر على أذكي من المسك نفحة

لقصورها شرفاً من الذهب

فلي بجنوب الغوطتين شجون
إلى برد ماء النيرين حين
فكيف أكون اليوم وهو يقين
ولكن ما يُقضى فسوف يكون

ولا تذكرا عيشاً بصحراء إربد
ولا بي من شوق إلى أم معبد
لديها ولا عيش الكريم بأرغد
مرابع ليس العيش فيها بأنكد
بأنفاس زهر في الرياض مُبدد
ويجري على ماء من الثلج أبرد

أنشدنا أبو المظفر محمد بن أسعد العراقي الحنفي الفقيه لنفسه بدمشق :

وعج بالمحصب^(١) والأخشب^(٢)
وضاقت بك الأرض عن مذهب
ولا زومت غير هوى الملعب
ويرغب عنها وفيها ربي؟
ويبدل بالعُشب المُخصب
أسائل في الرّبع عن زينب
عن العتب والعاتب المُغضب
وشعر تجعد كالغنيب
تأنّ عليّ ولا تعتب
وكنت بها المترّف المستبي
ولم تدر بعدك ما حلّ بي

دع الرسم لاح على يثرب
فثمّ التي همت من أجلها
هي الريم ما رمت عن حبها
ومن يتناسى هوى داره
وهل يتبدى مُجبلٌ مجدب
وقفّت بها ذاكرةً عهدها
وأعتب من هي مشدوهة
بوجه كصبح بدا مُشرقاً
تقول وفي قسولها مئة
ألسنت ببغداد عاهدتني
فأبعدت عنها على غيرة

(١) موضع رمي الجمار بمنى .

(٢) جبل أبي قبيس بمكة .

فقلتُ أجمل إنها جنة ولكن دعاني إلى تركها وبالمرة الجنة المستلذ بها وبالسهم ذي الثمر المشتهى تَرْتَمُ من فوق أشجاره فكم بلبلٍ هاج بلباننا وكم مُعربٍ فيها عن شجى بصوتٍ له مُستَلذِ غداً لأزهارها تُشْرُ مسكٍ إذا وأنهارُ جَلَقَ تجري إلى تُعين فتى جُنَّ من مذهبٍ وجامعُها ماله مُشْبِهٌ كمثلٍ أهلها ليس مثلٌ لهم إذا وصفَ المرءُ ما فيهمُ فلا تطعنُ في فراقي لهم أنشدني أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن الحسين بن إسحاق بن النّقار الجُميري (٤)

الكاتب لنفسه :

سقى الله ما تحوي دمشقُ وحيّاهَا
نزلنا بها فاستوقفننا محاسنُ
لبسنا بها عيشاً رقيقاً رداؤه
ولم يبقَ فيها للمسراتِ بُقعةٌ
وكم ليلةٌ نادمتُ بَدْرَ تمامِها
فأها على ذاك الزمانِ وطيبه

فما أطيّبَ اللذاتِ فيها وأهناها
يحنُّ إليها كلُّ قلبٍ ويهواها
ونلنا بها من صَفْوَةِ اللّهُوِ أعلاها
يَفْرَحُ فيها القلبُ إلا نزلناها
تَقَضَّتْ وما أبقتُ لنا غير ذكراها
وقلَّ له من بعده قَوْلتي آها

(١) أخطب: طائر مرقط بخضرة وحمرة وبياض.

(٢) الزرنب: شجر طيب الرائحة (القاموس).

(٣) المذهب: الذي ذهب عقله.

(٤) من شعراء خريدة القصر للعماد، تولى كتابة الإنشاء لملوك دمشق توفي سنة ٥٦٨ هـ أو

فيا صاحبي إِمَّا حَمَلْتَ تَحِيَّةً
 وَقُلْ ذَلِكَ الْوَجْدُ الْمَبْرَحُ ثَابِتٌ
 فَإِنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ أَنْتَتْ عَهودَنَا
 سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْمَحَاسِنِ إِنَّهَا
 رَعَى اللَّهُ أَيَّاماً تَقَضَّتْ بِقُرْبِهَا

قال الحافظ ابن عساكر: وهذا باب لو استقصيته لطلال ، وأكسب قارئه
 المَلَال ، وفي ذكر هذا القدر ، ما يدل منها على جلالة القدر ، وقد جمع الأمير
 أبو الفضل إسماعيل بن الأمير أبي العساكر سلطان بن علي بن منقذ الكِنَانِي فِي
 قصيدة له طَوَّلَهَا ، محاسنَ دمشق التي ذكرها غيره من الشعراء فأجملها ، فأتى
 بها مستقصاةً وفصلها ، فشرَّفها بما قال فيها وجملها .

أنشدنا الأمير أبو الفضل لنفسه :

يا زائراً يُزْجِي القُروم^(١) البُزْلا^(٢)
 لا تُزْجِها لسوى دمشق فإنه
 بلدٌ جلا صدأ الخواطر فأنثت
 عُوضته عن موطني فوجدته
 لم ألتمس فيه لجسمي منزلاً
 ذو ربوة جاء القرآن بذكرها
 ومدارس لم تأنها في مُشْكلٍ
 ما أمها مرءٌ يكابدُ حيرةً
 وبها وقوفٌ لا يزال مُغْلها
 وأئمةٌ تلقى الدروس وسادةً
 ومعاشرٌ تَخْذوا الصنائع مكسباً
 وقبورٌ قومٍ من دُعا في مَطْلَبٍ
 من صالحين وتابعين وزمرة
 قدحوا بزئدٍ هُدَى تطاير سَفْطه

(١) القروم جمع قرم: وهو البعير.

(٢) البزل: جمع بزول وبازل: وهي الناقة أو الجمل في تاسع سنه (القاموس).

وجحافلٌ تُوفِّي على عددِ الحِصَا
 لم يعلُ من رَهَجٍ ^(١) عليها عارضٌ ^(٢)
 تخشى جموعُ الشُّركِ واحدهَا ولا
 كم أحرزوا مِصرًا وأزدوا بأسلًا
 ورَمَوْا عَقِيرًا ^(٦) بالصعيدِ مُزْمَلًا ^(٧)
 ومُغِلُّ حَوْرَانٍ كَسِيلٍ دَافِقٍ
 وتكاثرت فيها القِنِيّ فغادرت
 وكان جامعِهَا البديعِ بناؤه
 ذو قِبَةٍ رُفِعَتْ فضاهت قَلَّةً
 تبدو الأهلَةَ في أعاليها كما
 ويريك سقفاً بالرصاصِ مُدَثِّراً
 قد أَلَفَ الأَقْوَامَ بين شكوله
 لم يرض تجليلاً بجصٍ فانبرى
 يعشى سوامُ اللُحظِ في أرجائه
 فإذا تَذَرُ الشَّمْسُ فيه تخاله
 فكأنما محرابه من سُندُسٍ
 تُلِيّ القُرْآنُ به وراع بحسنه
 وجدائره القِبْلِيّ رام بنائه
 وتخالُ طاقاتِ الزجاجِ إذا بدت
 وهوى إليه رأسٌ يحيى بعد ما

تَذَرُ المحرّمَ بالسيوفِ مُحَلِّلاً
 إلا أراك القَطْرَ نَيْلاً مُرْسَلاً
 لَوَمَ لِشُرْبِ قَطَاً تخشى أجداً ^(٣)
 وحَوُوا مطهّمةً ^(٤) وحازوا مُطْفِلاً ^(٥)
 وحَوُوا أسيراً بالحديدِ مكبلاً
 يَأْتُمُّ من أرجاءِ جَلَقٍ موجِلاً ^(٨)
 للواردين بكلِّ دَرْبٍ مَهَلًا
 ملكٌ يُمير من المساجدِ جحفلاً
 ومنابرٍ بُنِيَتْ فحاكت مَعْقِلاً
 يبدو الهلالُ تعالياً وتهللاً
 يعلو جنداراً بالرخامِ مزقلاً
 فغدا الرخامِ بذاته متشكلاً
 بالفِصَصِ يعلوه التُّضَارُ مُجَلِّلاً
 من عسجدٍ أرضاً ومن فصٍّ خلا
 بزقاً تَأَلَّقَ أو حريقاً مُشَعَلًا
 أو لَوْلِيٍّ وَرُؤْمَرِيٍّ قد فُصِّلًا
 فهدى المُصِيخُ ^(٩) وحَيَّرَ المتأَمِّلاً
 هوذٌ فجاب له الصخورَ وأثلاً
 منه لِلْحَظِّكَ عبقريّاً مُسَدِّلاً
 عِشاه من هوى الخريدةِ مُنْصَلًا

- (١) الرهج: الغبار وما أثير منه.
 (٢) عارض: السحاب المعترض بالأفق.
 (٣) الأجدل: الصقر.
 (٤) المطهّمة: البارعة الجمال.
 (٥) المُطْفِل: ذات الطفل من الإنس والوحش.
 (٦) العقير: الجريح.
 (٧) الصعيد: التراب. المزمّل: الملتف به.
 (٨) الموجل: حفرة يستنقع فيها الماء.
 (٩) المصيح: المستمع والمنصت (لسان العرب).

أتاه كهلاً جده بقضاء مَنْ
 وترى صبيحة كل يوم زمرة
 وبخط ذي النورين فيه مُصْحَفٌ
 وله مصابيحُ لهنّ سلاسلٌ
 تبدو القبابُ بضحنه لك مثلما
 وَعَلَتْ به فوارة من فضة
 وبيابه حركاتٍ ساعاتٍ إذا
 ويُريك بازبها وكلُّ قد رمى
 يحوي إذا متع النهار معاشرأ
 فإذا دجى لم يحو إلا خاضعأ
 أو خالياً متفكرأ ، أو قارئأ
 كل امرئ منهم تراه بمعزِلٍ
 وترى السفينه إذا الخصامُ علا به
 وإذا مررت على المنازلِ مُعرضأ
 إن كنت لا تستطيع أن تتمثل الـ
 وإذا عنان اللحظ أطلقه الفتى
 أو رَوْضَةً أو غَيْضَةً أو قُبَّةً
 أو وادياً أو نادياً أو ملعبأ
 أو شارعأ يزهو بربيع قد غدا
 وفواكه متخالف أصنافها
 مُضْفَرٌ تَفَاحٌ بدا في أحمرٍ
 والوردُ مثلُ الخدّ يعلوه من
 وبنفسج كنفاضة من إثميدٍ
 وتخال نَوْرَ الباقلاء إذا بدا

أتاه حكماً قبل أن يتكهلاً
 في السُّبع يتلون الكتاب المُنزَلاً
 يجد الهداية مَنْ قراه وَمَنْ تلا
 تحكي الأسنّة والرماح الذُّبلاً
 تبدو العرائس بالحلي لتُجتلي
 سألت فظنوها معينأ سلسلاً
 فتحت لها بابأ تراجع مقفلا
 من فيه بندقة تُصيبُ سَجَنَجَلاً^(١)
 شتى الخلائق والطرائق والحلا
 متوكلاً ، أو خاشعأ متبلاً
 متبصرأ ، أو داعياً متوسلاً
 ومحله يعلو السَّمَاءَ^(٢) الأعزلاً
 مثل الظليم رأى النعام فأرقلأ^(٣)
 عنها قضى لك حسنأ أن تُقبلا
 فِرْدَوْسَ فانظرها تكن متمثلاً
 لم يلق إلا جنة أو جدولا
 أو بركة أو ربوة أو هيكلأ
 أو مذهبأ أو مجدلاً أو مَوْتِلاً^(٤)
 فيه الرُّخام مُجزعأ ومُفَصَّلاً
 مما يشوقك مطعمأ وتأثلاً
 يحكي المحب أتى الحبيب مقبلاً
 الريحان صدغ شعره قد رُجَّلاً
 تبيده أجفانُ البكاء تذلاً
 للواحد الأبصار طرُفاً أحولأ

(١) السجنجل: المرأة.

(٢) السماك الأعزل: كوكب تير.

(٣) أرقل: أسرع.

(٤) المجدل: القصر، الموتل: الملجأ.

نُشِرَتْ مَطَارْفُهُ وَجَاءَكَ نَشْرُهَا
 وَيَهْرُ مَرُّ نَسِيمِهَا أَشْجَارَهَا
 وَعَلَتْ غَصُونُ خِلَافِهِ مَحْمَرَةً
 وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَسْمَعَتْ تَرْجِيْعَهَا الـ
 وَمَتَى هَوَى وَرَقُ الْغَصُونِ وَجَدْتَهُ
 وَكَأَنَّ وَادِيَهَا قِرَابٌ أَخْضَرُ
 وَالْمَرْجُ وَالْمِيدَانُ مَأْهُولَانِ مِنْ
 مَتَمَائِلَانِ وَكُلُّ مِثْلٍ مِنْهُمَا
 وَكَأَنَّهُ مِنْ قَوْمٍ كَسَرَى إِذْ غَدَا
 وَلَطَالَمَا عَايَنْتِ فِي قُطْرَيْهِمَا
 وَالشَّمْسُ تَبْغِي بِالْهَلَالِ النُّجْمِ وَالـ
 وَعَلَا عَلَيْهَا قَاسِيُونَ كَأَنَّهُ
 دَعَا ذَا وَخُذْ فِي وَصْفِ مِشْمِشِهَا الَّذِي
 وَلَوْ أَنَّ قَارُونَأَ شَرَاهُ بِكُلِّ مَا
 لَفَحَّتْهُ نِيرَانُ الْهَوَاجِرِ فَاغْتَدَى
 خَلَعَ النَّضَاجُ عَلَيْهِ لَوْنَ مُعَلَّلٍ
 وَتَخَالَفَتْ أَعْمَالُهُ فَتَحَيَّرَتْ
 تَجْنِيهِ أَيْدِي الْقَوْمِ جَمْرًا مَضْرَمًا
 فَلِذَا رَأَى النَّاسُ فِي أَغْصَانِهِ
 ضَاهَتْ بِوَاطِنِهِ الظَّوَاهِرَ لَذَّةً
 وَلَوْ أَنَّهَا مَا جَمَلَتْ بِصِفَاتِهَا
 إِنْ فَاقَ أَوَّلُ عَصْرِهَا فَأَخْيِرُهُ
 قَدْ بَرَزُوا فِي الْمَأْتِرَاتِ وَأَحْرَزُوا

فَحَسْبَتْهَا وَشَيْئاً تَأْرَجُ مَنْدَلًا^(١)
 فَتَخَالُ غَادَاتٍ تَشَكَّتُ أَفْكَلًا^(٢)
 وَهَفَّتْ بِهَا رِيحٌ فَضَاهَتْ مَشْعَلًا
 سَالِي تَرَاجَعَ وَجَدَهُ فَتَبْلَبَلَا
 ذَهَبًا وَكَانَ زَمْرَدًا لَمَّا عَلَا
 يَسْتَلُّ مِنْ بَرْدِي حُسَامًا مَنصَلَا
 أَسْدِ الشَّرَى اتْتَلَفُوا بِغَزْلَانِ الْفَلَا
 تَلْفِيهِ مِنْ بَاقِي الْبَسِيْطَةِ أَمْثَلَا
 بِلِبَاسِهِمْ مَتَأَزَّرَا مَسْتَرْبَلَا
 خَيْلًا رَوَاتِعَ أَوْ خَمِيْسًا مُرْقِيَلَا^(٣)
 ضَرْغَامُ يَجْتَنِبُ الْغَزَالَةَ وَالطَّلَا^(٤)
 بِيْنَآهُ تَاجٌ بِالْجَوَاهِرِ كَلَّلَا
 أَضْحَى عَلَى رُطْبِ الْعِرَاقِ مَفْضَلَا
 جَمَعَتْ يَدَاهُ مِنَ الْكَنْوَزِ لَمَّا غَلَا
 كَالْجَمْرِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُصْطَلَى
 أَوْ مُغْرَمٍ فَأَبَى لَهُ أَنْ يَنْجَلَا
 أَلْبَابِنَا فَعَدَا الْعِيَانَ تَخِيَلَا
 فَيَعُوذُ فِي الْأَفْوَاهِ مَاءً سَلْسَلَا
 قَالُوا نَجْوَمٌ دُجْنَةٌ لَنْ تَأْفَلَا
 وَعَهْدَتُهُ عَسَلًا تَضْمَنُ حَنْظَلَا
 لَعْدَا لَهَا مِنْ أَهْلِهَا مَا جَمَلَا
 يَحْلُو لَهُمْ فِيهَا يَفُوقُ الْأَوَّلَا
 قَصَبَ الْمَفَاخِرِ وَارْتَقُوا دَرَجَ الْعُلَا

(١) المندل: أجود العود.

(٢) الأفكل: الرعدة.

(٣) أرقل: أسرع.

(٤) الطلا: ولد الظبي.

ومحى الإخاء حقوقهم فكأنها
 كلفوا بتجديد المودة والندى
 فتراكضوا خيلَ السماح بدعوة
 من كل فادٍ عرضَه بضارِه
 يُبدي ندى يُغني وحلماً راجحاً
 نِعَمَ الجليسُ فإن غدا في خلوة
 مقت الروافضَ والخوارجَ وانثنى
 متمسكاً بالسُنَّةِ البيضاءً قد
 ولقد وجدْتُ لها معانيَ جمَّةً
 نزلت عليَّ جبالٌ همُّ أفلقتُ
 إنَّ الزمانَ أدار لي من ريبه
 مآزالَ يطرقتني بيومِ أيومٍ
 وإذا غدا فكري أغم مجلحاً
 أهوى لنظمي أن يكون منخلاً
 تالله لست بآمن في وصفها
 لما أتاني الأمر منك بوصفها
 ووجدت إلزامي بذاك مع الأسي
 فابسط بفضلك عذر خلك إن بدا
 وغريب وصفي قد أتاك مفصلاً

طلَّلَ عفا بين الدُّخُولِ فحوملاً^(١)
 لما رأوا أن الجديد إلى يلى
 أضحي دخانُ العود فيها القسطلاً^(٢)
 يذر المؤمِّلَ راحتيه مؤملاً^(٣)
 وسجيةً تُرضي وقولاً فيصلاً
 فكأنه فيها يُجالسُ محفلاً
 يحبو القرابة والصحابة بالولا
 أضحي لها متقبلاً متقبلاً
 لكن وجدت جوىً أحرَّ المقولا
 قلبي بلا لوم له إن أجبلاً
 كأساً جرعتُ بها السَّمَّ مئثلاً^(٤)
 حتى رأيت الصبح ليلاً أليلاً
 لم يَغْدُ لي شعراً أغرَّ مُحجَّلاً
 والهمَّ يَأبى أن يجيء منخلاً
 خطلاً ولو أنني فضلتُ الأخطلاً
 بادرتُ ممثلاً له متقبلاً
 عيئاً فُدِحتُ به حسيراً مثقلاً
 زلُّ فإنك لم تزل متفضلاً
 وسواه لا يأتيك إلا مُجملاً
 وقال الحافظ ابن عساكر^(٥): أنشد بعض الصالحين لبعض المتأخرين في مدح

جبل قاسيون:

من مشهدٍ يستوجب التعظيمَا
 أضحي بتفسير الكتابِ عليماً

يأصاح كم في قاسيونَ وسفحه
 فالربوة العلياءُ يفضلها الذي

(١) الدخول وحومل: موضعان.

(٢) القسطل: غبار الحرب.

(٣) أي: صعب عليه القول.

(٤) الممثل: السم المنقع.

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر ١١٢/٢.

مَنْ زَارَهُ أَوْ ذَاقَ فِيهِ نَعِيمًا
 مَا زِلْتُ أَسْمَعُهُ هُدَيْتَ عَظِيمًا
 مَذْكُورَةٌ وَقَعْتَ إِلَيَّ قَدِيمًا
 كَمْ عَابِدٍ فِيهَا أَبْنٌ مَقِيمًا
 أَعْنِي مَقَامَ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمًا
 أَضْحَى عَلَى الْمُتَعَبِدِينَ كَرِيمًا
 صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا
 لِيُزَوِّرَهُمْ فَقَدْ ابْتَغَى التَّكْرِيمًا
 لِنَالِ أَجْرٍ فِي الْجَنَانِ جَسِيمًا

وقال الشمس محمد النواجي في وصف الشرف الأعلى^(١):

مَحَاسِنُهُ مَا بَيْنَ أَهْلِ النَّهْيِ تُتْلَى
 دَمِشْقٌ لَهَا بِالْغُوطَةِ الشَّرْفُ الْأَعْلَى

وَالنَّيْرِبِ الْمَشْهُورِ يَعْرِفُ فَضْلَهُ
 وَمَغَارَةُ الدَّمِ فَضْلُهَا مَتَوَاتِرٌ
 وَالكَهْفُ جَبْرِيلُ الْأَمِينِ بِفَضْلِهِ
 وَمَغَارَةُ الْجُوعِ الشَّرِيفَةُ تَحْتَهُ
 وَمَقَامَ بَرْزَةَ لَيْسَ يُتَكْرَفُ فَضْلُهُ
 وَلَكُمْ مَكَانٌ فِيهِ لَيْسَ بِمَسْجِدٍ
 رَأَى النَّبِيَّ مُصَلِّيًا فِي سَفْحِهِ
 وَبِهِ قُبُورُ الْأَنْبِيَاءِ فَمَنْ مَضَى
 فَأَدِمْ زِيَارَتَهُ وَوَاطِبْ قَصْدَهُ

أَلَا إِنَّ وَادِي الشَّامِ أَصْبَحَ آيَةً
 وَإِنْ شَرَّفْتَ بِالنَّيْلِ مِصْرَ فَلَمْ تَزَلْ

وقال عبد الله بن ظاهر بن نشوان الجذامي:

وَلَا سِيمَا إِنْ جَادَ غَيْثٌ مَبْكُرٌ
 صَفَائِحُ أَضْحَتْ بِالنَّجْمِ تُسَمَّرُ
 بِرُقْرُقِهَا هِنَالِكَ مَحْجَرٌ
 تُسَارِقُ أَوْرَاقَ الْغُصُونِ فَتَنْظُرُ
 بِأَذْيَالِ كُثْبَانَ الرُّبَا تَتَعَنَّرُ
 بِهِ الرُّوْضُ يَحْيَى وَهُوَ لِأَشْكَ جَعْفَرُ

وَمَرْجَةٌ فِي وَادٍ يَرُوقُكَ رَوْضُهَا
 بِهَا فَاضٌ نَهْرٌ مِنْ لَجِينِ كَأَنَّهُ
 تَلَاظَمَتْهَا عَيْنٌ تَفِيضُ بِأَدْمَعِ
 وَكَمْ غَازَلَتْهُ لِلْغَزَالَةِ مَقْلَةٌ
 إِذَا فَاخَرْتَهُ الرِّيحُ وَلَّتْ عَلِيلَةٌ
 بِهِ الْفَضْلُ يَبْدُو وَالرَّبِيعُ وَكَمْ غَدَا

وقال بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي يصف النيربين^(٢):

قَطَعْتَ بِهِ يَوْمًا لَذِيذًا مِنَ الْعَمْرِ
 فَمَدَّ لِأَقْدَامِي ثِيَابًا مِنَ الزَّهْرِ
 هُدَايَا مَعَ الْأَرْيَاحِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
 سَنَحْتُ رَأْيْتُ الْمَاءَ فِي خِدْمَتِي يَجْرِي

رَعَى اللَّهُ وَادِي النَّيْرِبِينَ فَلِإِنِّي
 دَرَى أَنَّنِي قَدْ جِئْتَهُ مَتَنَزْهًا
 وَأَوْحَى إِلَيَّ الْأَغْصَانِ قُرْبِي فَأَرْسَلْتُ
 وَأَخْدَمَنِي الْمَاءَ الْقَرَّاحِ وَحَيْثَمَا

(١) نزهة الأنام ص ٧٤.

(٢) المصدر السابق: ٨٢.

وقال أبو تمام حبيب بن أوس (ت ٢٣١ هـ) في مدح دمشق وأهلها

مَتَى يُرْعِي لِقَوْلِكَ أَوْ يُثِيبُ
وَمَا أَبْقَى عَلَى إِدْمَانِ هَذَا
عَلَى أَنَّ الْعَرِيبَ إِذَا اسْتَمَرَّتْ
وَنِعَمَ مُسَكِّنُ الْبُرْحَاءِ حَلَّتْ
أَرُومُ حَمَى الْعِرَاقِ فَتَدْرِينِي
وَتُسَعِفُنِي دِمَشْقُ وَسَاكِنُوهَا
سَقَى اللَّهُ الْبِقَاعَ فَحَيْثُ رَأَيْتَ
وَصَابَ الْغَوْطَةَ الْخَضْرَاءَ أَعْدَى
مِنَ الْأَنْوَاءِ مِنْهُمْ مِلْتُ
إِذَا التَّمَعْتَ صَوَاعِقُهُ وَطَارَتْ
حَسِبْتَ الْبَيْضَ فِيهِ مُصَلَّتَاتٍ
وَكَانَ بِهِ سَوَاحِينُ تَهْمِي
بِلَادٍ أَفْقَدْتِنِهَا هُنَاتٍ
وَأَثَارُ مُوَكَّلَةٍ بَأَلَا
وَكَمْ عَدْوِيَّةٍ مِنْ سِرِّ عَمْرٍو
لَهَا مِنْ طَيْبِي أُمَّ حَصَانٍ
تَمَنَّى أَنْ يَعُودَ لَهَا حَيْبُ
وَلَوْ بَصُرْتَ بِهِ لَرَأْتَ جَرِيضاً
كَتَصَلَ السَّيْفِ عُرِّيٍّ مِنْ كِسَاهُ
زَعِيماً بِالْغِنَى أَوْ نَدْبِ نُوْحٍ
فَأَصْبَحَ حَيْثُ لَا تَقَعُ لِصَادٍ
بِمِصْرٍ وَأَيُّ مَازَبَةٍ بِمِصْرٍ
وَوَدَّأَ سِيَّهَا مَا وَدَّأَتْهُ
بَلِ الْحَيَّانِ حَيًّا حَضْرَمُوتٍ
فَخَوْلَانُ فَيَحْضُبُ كَانَ فِيهِمْ
مَضُوا لَمْ يُخْزِ قَائِلُهُمْ خُمُولُ
وَلَمْ تُجْزَلْ بِغَيْرِهِمُ الْعَطَايَا
بُدُورُ الْمُظْلَمَاتِ إِذَا أَنْادُوا

وَخَدْنَاهُ الْكَأَبَةَ وَالنَّحِيبُ
وَلَا هَاتَا الْعُيُونُ وَلَا الْقُلُوبُ
بِهِ مِرْرُ النَّوَى أَسِيَّ الْعَرِيبُ
بِهِ فَأَقَامَتِ الدَّمْعُ السَّكُوبُ
رُمَاءَ جَوَى لَشَجْوٍ مَا تُصِيبُ
وَلَا صَدَدُ دِمَشْقُ وَلَا قَرِيبُ
جِبَالِ الثَّلْجِ رَحْباً وَالرَّحِيبُ
وَأَغْزَرَ مَا يَجُودُ وَمَا يَصُوبُ
لِفَوْدِيهِ الْكثَافَةُ وَالْهُدُوبُ
عَقَائِقُهُ وَفَضَّتُهُ الْجَنُوبُ
هَجِيراً سَلَّهَا يَوْمَ عَصِيبُ
عَزَالِيهِ الظَّوَاهِرُ وَالْغُيُوبُ
يُشَيِّبُ كَرُّهَا مَنْ لَا يَشِيبُ
يُجَاوِزُ مَا رَقَشْنَ لَهُ عَرِيبُ
لَهَا حَسَبٌ إِذَا انْتَسَبَتْ حَسِيبُ
نَجِيبَةٌ مَعْشَرٍ وَأَبُّ نَجِيبُ
مُنَى شَطَطاً وَأَيْنَ لَهَا حَسِيبُ
بِمَاءِ الدَّهْرِ حَلِيئَةُ الشُّحُوبُ
وَفَلَّتْ مِنْ مَضَارِبِهِ الْخُطُوبُ
تُعْطِطُ فِي مَاتِمِهِ الْجُيُوبُ
وَلَا نَشَبُ يَلُودُ بِهِ حَرِيبُ
وَقَدْ شَعَبَتْ أَكَابِرَهَا شَعُوبُ
يَحَابِرُ فِي الْمُتَطَّمِ بَلِ نُجِيبُ
فَحَارِثُهَا وَإِخْوَتُهَا شَيْبُ
وَفِيهَا غَالَهُمْ عَجِبُ عَجِيبُ
وَلَمْ يُجْدِبْ فَعَالَهُمْ جُدُوبُ
وَلَمْ تُغْفَرْ بِغَيْرِهِمُ الذَّنُوبُ
وَأَسَدُ الْغَابِ أَزْعَلُهَا الرُّكُوبُ

أولئك لا خوالف أعقبتهم
 حوافل وأصيبة ترامت
 فلا الأحداث بالأحداث تُرجى
 كإلا طعميهم سلع وصاب
 وما فضل العتاق إذا أظلت
 أتمتحن القسيي بغير نبل
 أللغم المَشوف عليك رذ
 تحيفت الأمور أباسعيد
 وأمسى الناس في عمياء أوى
 لهم نسب وليس لهم فعأل

كما خلفت هَوادِيهَا العُجُوبُ
 بهم بيد الدخالة والشُهوبُ
 فواضِلُهُم وَلَا الشِخَانُ شِيبُ
 فَأَيَّ مَذَاقَتِيهِمْ تَسْتَطِيبُ
 بِهَا وَتَأْتَلَّتْ فِيهَا العُيُوبُ
 أَيُخْطِئِي مُبْتَلِيهَا أَمْ يُصِيبُ
 وَلَيْسَ لِبَابِهِ ذَكَرٌ خَشِيبُ
 وَضَاقَ بِأَهْلِهِ اللَّقْمُ الرِّكُوبُ
 بِأَنْجُمِهَا وَأَشْمُسِهَا العُرُوبُ
 وَأَجْسَامٌ وَلَيْسَ لَهُمْ قُلُوبُ

قال أمير الشعراء أحمد شوقي المتوفى سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م في مدح

دمشق:

قُم نَاجِ جِلَقٌ وَانْشُدْ رَسَمَ مَنْ بَانُوا
 هَذَا الْأَدِيمُ كِتَابٌ لَا كِفَاءَ لَهُ
 الدِّينُ وَالرَّوْحِيُّ وَالْأَخْلَاقُ طَائِفَةٌ
 مَا فِيهِ إِنْ قَلَبْتَ يَوْمًا جَوَاهِرُهُ
 بَنُو أُمَّيَّةَ لِلْأَنْبَاءِ مَا فَتَحُوا
 كَانُوا مُلُوكًا سَرِيرُ الشَّرْقِ تَحْتَهُمْ
 عَالِينَ كَالشَّمْسِ فِي أَطْرَافِ دَوْلَتِهَا
 يَا وَيْحَ قَلْبِي مَهْمَا إِنْ تَابَ أَرْسَمَهُمْ
 بِالْأَمْسِ قُمْتُ عَلَى الزَّهْرَاءِ أَنْدُبُهُمْ
 فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ سَمَاوَاتٌ وَالْوَيْةُ
 مَعَادِنُ الْعِزِّ قَدْ مَالَ الرَّغَامُ بِهِمْ
 لَوْلَا دِمَشْقُ لَمَا كَانَتْ طَلِيْطَلَةٌ
 مَرَرْتُ بِالْمَسْجِدِ الْمَحْزُونِ أَسْأَلُهُ
 تَغْيِيرَ الْمَسْجِدِ الْمَحْزُونِ وَاخْتَلَفْتُ
 فَلَا الْأَذَانَ أَذَانٌ فِي مَنْارَتِهِ
 أَمْنٌ بِاللَّهِ وَاسْتَنْبِيْتُ جَنَّتُهُ
 قَالَ الرَّفَاقُ وَقَدْ هَبَّتْ خَمَائِلُهَا

مَشَتْ عَلَى الرَّسْمِ أَحْدَاثٌ وَأَزْمَانُ
 رَتْ الصَّحَائِفِ بَاقٍ مِنْهُ عُنْوَانُ
 مِنْهُ وَسَائِرُهُ دُنْيَا وَبِهْتَانُ
 إِلَّا قَرَائِحُ مِنْ رَادٍ وَأَذْهَانُ
 وَلِلْأَحَادِيثِ مَا سَادُوا وَمَا دَانُوا
 فَهَلْ سَأَلْتَ سَرِيرَ الْغَرْبِ مَا كَانُوا
 فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مُلْكٌ وَسُلْطَانُ
 سَرَى بِهِ الْهَمُّ أَوْ عَادَتُهُ أَشْجَانُ
 وَالْيَوْمَ دَمَعِي عَلَى الْفِيْحَاءِ هَتَانُ
 وَيَّسَّرَاتٌ وَأَنْبَوَاءٌ وَعُقْبَانُ
 لَوْ هَانَ فِي تُرْبِهِ الْإِبْرِيْزُ مَا هَانُوا
 وَلَا زَهَتْ بَيْنِي الْعَبَّاسِ بَغْدَانُ
 هَلْ فِي الْمَصْلَى أَوْ الْمَحْرَابِ مِرْوَانُ
 عَلَى الْمَنَابِرِ أَحْرَارٌ وَعَبْدَانُ
 إِذَا تَعَالَى وَلَا الْأَذَانَ أَذَانُ
 دِمَشْقُ رُوحٌ وَجَنَاتٌ وَرِيْحَانُ
 الْأَرْضُ دَارٌ لَهَا الْفِيْحَاءُ بُسْتَانُ

جَرَى وَصَفَّقَ يَلْقَانَا بِهَا بَرْدَى
دَخَلْتُهَا وَحَوَاشِيهَا زُمُرْدَةٌ
وَالْحَوْزُ فِي دُمَّرَ أَوْ حَوْلَ هَامِيهَا
وَرَبْوَةُ الْوَادِ فِي جِلْبَابِ رَاقِصَةٍ
وَالطَّيْرُ تَصْدَحُ مِنْ خَلْفِ الْعُيُونِ بِهَا
وَأَقْبَلَتْ بِالنَّبَاتِ الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
وَقَدْ صَفَا بَرْدَى لِلرِّيحِ فَابْتَدَرَتْ
ثُمَّ انْتَهَتْ لَمْ يَزَلْ عَنْهَا الْبَلَالُ وَلَا
خَلَفَتْ لُبْنَانَ جَنَاتِ النَّعِيمِ وَمَا
حَتَّى انْحَدَرْتُ إِلَى فَيْحَاءَ وَارِفَةٍ
نَزَلْتُ فِيهَا بِفَتِيَانٍ جَحَاجِحَةٍ
يُبِضُ الْأَسِرَّةَ بَاقٍ فِيهِمْ صَيْدٌ
يَا فَيْتَةَ الشَّامِ شُكْرًا لَا انْقِضَاءَ لَهُ
مَا فَوْقَ رَاحَاتِكُمْ يَوْمَ السَّمَاحِ يَدٌ
خَمِيلَةُ اللَّهِ وَشَتَهَا يَدَاهُ لَكُمْ
شَيْدُوا لَهَا الْمُلْكَ وَابْنُوا رُكْنَ دَوْلَتِهَا
لَوْ يُرْجَعُ الذَّهْرُ مَفْقُودًا لَهُ خَطَرٌ
الْمُلْكَ أَنْ تَعْمَلُوا مَا اسْتَطَعْتُمْ عَمَلًا
الْمُلْكَ أَنْ تُخْرِجَ الْأَمْوَالُ نَاشِطَةً
الْمُلْكَ تَحْتَ لِسَانِ حَوْلَهُ أَدَبٌ
الْمُلْكَ أَنْ تَتَلَفُوا فِي هَوَى وَطَنٍ
نَصِيحَةٌ مِلُّوْهَا الْإِخْلَاصُ صَادِقَةٌ
وَالشَّعْرُ مَا لَمْ يَكُنْ ذِكْرَى وَعَاطِفَةٌ
وَتَحَنُّ فِي الشَّرْقِ وَالْفُصْحَى بَنُو رَجِمٍ

كَمَا تَلَقَّاكَ دُونَ الْخُلْدِ رَضْوَانُ
وَالشَّمْسُ فَوْقَ لُجَيْنِ الْمَاءِ عَقِيَانُ
حَوْزٌ كَوَاشِفٌ عَنِ سَاقِ وَوِلْدَانُ
السَّاقِ كَاسِيَّةٌ وَالنَّحْرُ عُريَانُ
وَاللُّعْيُونُ كَمَا لِلطَّيْرِ أَحْبَابُ
أَفْوَاهُهُ فَهَوَ أَصْبَاعٌ وَالْوَانُ
لَدَى سُتُورِ حَوَاشِيهِنَّ أَفْنَانُ
جَفَّتْ مِنَ الْمَاءِ أَذْيَالٌ وَأَرْدَانُ
تُبْتُتُ أَنْ طَرِيقَ الْخُلْدِ لُبْنَانُ
فِيهَا النَّدَى وَبِهَا طَيِّبٌ وَشِيْبَانُ
أَبَاؤُهُمْ فِي شَبَابِ الذَّهْرِ غَسَانُ
مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَإِنْ لَمْ تَبَقْ تَيْجَانُ
لَوْ أَنْ إِحْسَانِكُمْ يَجْزِيهِ شُكْرَانُ
وَلَا كَأَوْطَانِكُمْ فِي الْبُشْرِ أَوْطَانُ
فَهَلْ لَهَا قِيَمٌ مِنْكُمْ وَجَسَانُ
فَالْمُلْكَ غَرَسٌ وَتَجْدِيدٌ وَبِنْيَانُ
لَا بَ إِلَّا بِالْوَاحِدِ الْمَبْكِيِّ تِكْلَانُ
وَأَنْ يَبِينَنَّ عَلَى الْأَعْمَالِ إِتْقَانُ
لِمَطْلَبٍ فِيهِ إِصْلَاحٌ وَعُمْرَانُ
وَتَحْتَ عَقْلِ عَلَى جَنِّيهِ عِرْفَانُ
تَفَرَّقَتْ فِيهِ أَجْنَاسٌ وَأَدْيَانُ
وَالنَّصْحُ خَالِصُهُ دِينَ وَإِيْمَانُ
أَوْ حِكْمَةٌ فَهَوَ تَقْطِيعٌ وَأَوْزَانُ
وَتَحَنُّ فِي الْجُرْحِ وَالْآلَامِ إِخْوَانُ

* * *

أصحاب رسول الله ﷺ الذين دفنوا بدمشق

قال ابن عساكر^(١): عن ابن الأكفاني بسنده إلى أبي زرعة الدمشقي: قال: ورأيت أهل العلم يبلدنا يذكرون أن بمقبرة دمشق من أصحاب رسول الله ﷺ: بلال مولى أبي بكر، وسهل بن الحنظلية وأبو الدرداء.

وقال ابن الأكفاني: أراني الشيخ عبد العزيز الكتاني قبور الصحابة الذين بظاهر دمشق بباب الصغير: أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، وفضالة بن عبيد، ووائللة بن الأسقع، وسهل بن الحنظلية، وأوس بن أوس، وهم داخل الحظيرة مما يلي القبلة، وأبو الدرداء خارج الحظيرة، وأم الدرداء خلف الحظيرة، وعبد الله بن أم حرام ويعرف بابن امرأة عبادة بن الصامت محاذ طريق الجادة، وجماعة يقولون: إنه قبر أبي بن كعب - وليس بصحيح - وأم حبيبة ابنة أبي سفيان أخت معاوية رضي الله عنهم، زوجة رسول الله ﷺ، على قبرها بلاطة مكتوب عليها اسمها في جنب حظيرة الصحابة، وأختها على قبرها أيضاً بلاطة مكتوب عليها، وبلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ على قبره أيضاً بلاطة مكتوب عليها اسمه.

قال: وأراني أيضاً قبر الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين وأخيه مسلمة خلف الحظيرة التي فيها قبور الصحابة مقابل مقبرة أمير الجيوش على الجادة.

قال: وأراني أيضاً قبر بريهة ابنة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في قبة، وقبر سكينه ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب في قبة.

وروى ابن الأكفاني بسنده إلى يزيد بن أحمد السلمي قال: سمعت الأشياخ العلماء من بلدنا يقولون: دفن في مقبرة باب الصغير من أصحاب رسول الله ﷺ كثير، المعروفون منهم: معاوية بن أبي سفيان، وفضالة بن عبيد،

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٤١٨/٢ - ٤٢١.

وأبو الدرداء ، وسهل بن الحنظلية ، وبلال بن حمامة مؤذن رسول الله ﷺ ،
ووابصة بن معبد ، وخريم بن فاتك ، ومعبد بن فاتك ، وسبرة بن فاتك ،
ورجال ونساء كثير .

وقال : وبلال مؤذن رسول الله ﷺ رحمه الله نزل داريا فتزوج بها ومات بداريا
وَحُمِلَ حتى دفن ههنا مع أصحاب رسول الله ﷺ .

قال ابن الأكفاني : مدرك بن زياد الفزاري أحد أصحاب رسول الله ﷺ ورحمة
الله عليه قبره بقرية راوية من غوطة دمشق ، قال : وهو أول صحابي توفي بظاهر
دمشق .

وقال : سعد بن عبادة الأنصاري سيد الخزرج رضي الله عنه صاحب
رسول الله ﷺ قبره بقرية المنيحة من غوطة دمشق .

قال ابن عساكر : أما معاوية فيختلف في قبره ، فيقال : إنه قَبْرٌ خلف حائط
مسجد الجامع موضع دراسة السبع اليوم ، والأصح أن قبره خارج الباب الصغير .

وأما قبر عبد الله بن أبي فلم يُرَ ذلك من وجه يعتمد ، وإنما ذكر ذلك من
طريق الاستفاضة بين العامة ، وعبد الله كان يسكن بيت المقدس ، ولم أظفر بعد
دخوله دمشق .

وأما قبر أم حبيبة فيمكن أن يكون قبرها ههنا ؛ لأنها قدمت الشام على أخيها
معاوية بعد ، ذكرها أبو زرعة في «طبقاته» قال : فيمن حدّث بالشام من النساء
أم حبيبة زوج النبي ﷺ ، اسمها رملة بنت أبي سفيان ، والأصح أن قبرها بالمدينة .

وأما بلال فقد اختلف في قبره ، وقيل : إنه بباب الصغير وهو أصح
الأقاويل ، وقيل : بباب كيسان ، وقيل : بداريا ، وقيل : إنه بحلب وهو قول
ضعيف .

وأما قبر بريهة فلا أدري أن القول في نسبها يصح ، لأن أصحاب النسب لم
يذكروا في أولاد الحسن بن علي ابنة اسمها بُريهة .

فأما قبر سكينه بنت الحسين فيحتمل ؛ لأنها تزوجت بالأصمغ بن عبد العزيز بن
مروان الذي كان بمصر ، ورحلت إليه فمات قبل أن تصل إليه ، فيحتمل أنها
قدمت دمشق وماتت بها ، والصحيح أنها ماتت بالمدينة .

وأما وابصة بن معبد فيحتمل أن يكون صحيحاً؛ فقد قدم دمشق وسمع بها من سبرة بن فاتك، وكان مقام وابصة بالرقّة، وبها ولده وحديثه.

وأما خريم بن فاتك وسبرة بن فاتك فهما من الصحابة الذين كانوا بدمشق. وأما معبد أخوهما فلم أر له ذكراً في كتب أصحاب الحديث، ولا في معاجم الصحابة.

وأما مدرك بن زياد فلم أجد له ذكراً إلا على اللوح المكتوب على قبره من وجه لا يثبت مثله.

وأما سعد بن عبادة فإنه مات بحوران فيحتمل أنه حمل ودفن في المسجد، والله أعلم.

ذكر بعض الدور للصحابة وغيرهم بدمشق

روى الحافظ ابن عساكر^(١) بسنده إلى هشام بن يحيى، عن أبيه قال:

لما استخلف عبد الملك بن مروان طلب من خالد بن يزيد شراء الخضراء، وهي دار الإمارة بدمشق، فابتاعها منه بأربعين ألف دينار وأربع ضياع بأربعة أجناد من الشام اختارهن، فاختر من فلسطين عمّواس، ومن الأردن قصر خالد، ومن دمشق أندركيسان ومن حمص دير زغى.

ولما بنى معاوية الخضراء بدمشق، وهي دار الإمارة بناها بالطوب، فلما فرغ منها قدم عليه رسول ملك الروم، فنظر إليها فقال له معاوية: كيف ترى هذا البنيان؟ قال: أما أعلاه فللعصافير، وأما أسفله فللفأر. قال: فنقضها معاوية وبناها بالحجارة.

قال أبو الحسين الرازي: جمعت من كتب جماعة من شيوخنا الدمشقيين، فذكر:

- زقاق عطاف: هو عطاف المعلم، كان ينسب إلى أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي^(٢).

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٣٣/٢ طبعة المجمع تحقيق د. صلاح الدين المنجد.

(٢) الإصابة ١/٩٤.

- دار وائلة بن الأسقع الليثي^(١): هي قبلة دار ابن البقال ، والمسجد الذي على رأس درب ابن البقال شامها الشارعُ على النهر مسجداً وائلة بن الأسقع .
- الفندق مع حمام الجمحي مع دار ابن سل كلها كانت دار جرير^(٢) بن عبد الله البجلي الصحابي .
- دار أبي الخلاس الصغير في زقاق أبي الخلاس ، موضع الفندق ، سكنها أبو عبيدة بن الجراح مدة .
- الدار التي على شارع دار البطيخ الكبيرة التي فيها البناء القديم ، تعرف بدار بني نصر ، كانت كنيسة للنصارى ، فنزلها مالك بن عوف النصري^(٣) أول ما فتحت دمشق فعرفت به .



(١) الإصابة ٦/٣١٠ .

(٢) الإصابة ١/٢٤٢ .

(٣) الإصابة ٦/٣٢ .

وصف دمشق وبنائها لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ) من كتاب مسالك الأبصار

يُعدّ وصف ابن فضل الله من أحسن ما وصفت به دمشق في القرن الثامن، نقل في البداية ما ذكره ابن عساكر عن دمشق وبنائها، ولم نشأ أن نورد ما ذكره الحافظ ابن عساكر لأننا قد أفردناه في كتابنا هذا.

ثم أضاف إلى ذلك مواد من عنده هي ثمرة معرفته وملاحظته الخاصة وما اكتسبه من علم ومعرفة؛ فذكر ما وصفت به دمشق عند الشعراء مثل ابن عنين وعرقلة والبحري، ثم ما فيها من الوظائف وخزائن السلاح والصناع، ووصف المباني والديار والبساتين والحواضر والأنهار والقلعة، وخصّ القصر الأبلق الذي شاده الملك الظاهر بيبرس بوصف دقيق، ولعله أقدم من وصفه - كما قال الدكتور المنجد -.

وقد نشر هذا النص ضمن الجزء الأول من «مسالك الأبصار» تحقيق أحمد زكي باشا، كما أن الدكتور المنجد نشره في مجلة معهد المخطوطات المجلد ٣ ص ١١٣ - ١٢٦.

وأما وصفها فكثير جداً. يعجبني منه قول ابن عُثَيْن:

دَمِشْقُ فَيْئِ شَوْقٍ إِلَيْهَا مَبْرُحٌ وَإِنْ لَكِجٍّ وَاشٍ أَوْ أَلْحَجِّ عَذُولُ
بِلَادٌ بِهَا الْحِصْبَاءُ دَرٌّ، وَتُسْرُبُهَا عَيْرٌ، وَأَنْفَاسُ الشَّمَالِ شَمُولُ
تَسْلَسَلُ فِيهَا مَأْوَاهَا وَهُوَ مَطْلَقٌ وَصَحَّ نَسِيمُ الرُّوْضِ وَهُوَ عَلِيلُ

وقوله عرقلة:

ما بين «سَطْرًا» و«مَقْرَى» جَنَّةٌ عُرِضَتْ أَنْهَارُهَا مِنْ خِلَالِ الْأَسِّ وَالْبَانِ
يَظَلُّ مَشُورَهَا فِي الْأَرْضِ مَشْتَرًا كَأَنَّمَا صَيَّغَ مِنْ دَرٍّ وَمَرْجَانِ

وكذلك قول ابن عنين وقد نُفي منها:

فسقى «دمشق» وواديها والحمى
حتى ترى وجه الرياضِ بعارضٍ
وأعاد أياماً قطعنَ حميدة
تلك المنازل لا أعقه «عالج»
أرضٌ إذا مرت بها ريحُ الصِّبا
فارقُتها لا عن رضاً وهجرتها

وقول البحري:

العيش في ظلّ «داريا» إذا بردا
إذا أردتَ ملأتَ العينَ من بلدٍ
أما «دمشق» فقد أبدتَ محاسنها
يمشي السحابُ على أجبالها فِرْقاً
فلسْتَ تُبصر إلا وادياً خَضِراً
كأنما القَيْظَ وَلَى بعد جِيَّتِه

ومدامتها هي الموصوفة في الآفاق ، المعروفة في مغارسها بكرم الأعراق ،
تنشر كاساتها ألوية حمرا ، تتوقد في صفحات الخدود جمراً ، فمن حمراء كনার
تتلهب ، ومن صفراء كالزجاج المذهب ، ومن بيضاء كأنما نقطة غدیر ، أو فضة
طافت بها قوارير ، أو وردية تتضاحك في الشفاه اللُّعس ثغورها المُفْتَرَّة ،
ويخالطها الصفار كخِدٍ أبيض تشرب بحمرة ، تضيء في دجى الليل مصباحاً ،
وتهدى إلى الجلساء بريحها تفاحاً ، وبيلاذ «الشوف» منها ما يرق عن الزجاج ،
ويخف عن مخالطة الامتراج ، فيعلق فوق الماء على الأقداح ، وتتعلى حمرة
عليه كالشفق على المصباح ، يطير بها الشعاع ، ويطيب إلى قهقهة قيانها
السماع. و«صيدنايا» معدن ذهبها ، وأفق كوكبها ، وإليها أشار ابن عنين بقوله:

ومدامة من «صيدنايا» نَشُرُها من عنبر وقيصُها من صَنْدَلٍ
مسكِيّة النفحات يشرفُ أصلُها عن «بابلي» ويجلُّ عن «قَطْرُبُلٍ»

وقد خالف القاضي الفاضل الناس حيث قال يذم دمشق: «ودخلت دمشق
وأنا ملثات لتغير مائها وهوائها وأبنيتها وأبنائها وأوديتها ، ومن لي بمصر فإنني

أبيع بردي بشرية من مائها ، فالطلل هائل ولا طائل ، وما سمعناه من تلك الفضائل متضائل .»

وقال وقد وقع عليها الثلج : وأما دمشق فأدرها اليوم للثلج قوالب ، وقد أخذ في أن يدوب ، فالشوارع تحتاج إلى مراكب .

وبدمشق من كل ما في مصر من الوظائف ، وليس هذا في بقية بلاد الشام . مثل قضاء القضاة الأربعة من المذاهب الأربعة ، وقاضي العسكر وخزانة تخرج منها الإنفاقات والخلع ، وخزائن سلاح وزردخانات ، وبيوت تشتمل على حاشية سلطانية مختصرة ، حتى لو حضر السلطان إليها جريدة وجد بها من كل الوظائف القائمة بدولته .

ومنها تخرج أعلام الأمراء وطلائعهم وشعار الطبلخانات . وفي خزائن السلاح بها يعمل المجانيق والسلاح والزردخانات ويحمل إلى جميع الشام وتعمر به البلاد والقلاع ، ومن قلعتها يجرى الرجال وأرباب الصنائع إلى جميع قلاع الشام ، ويندب في التجاريد والمهمات .

وهي مدينة جليلة ، وقلعتها مرجلة على الأرض ، يحيط بها وبالمدينة أسوار عليّة ، يحيط بها خندق يطوف الماء منه بالقلعة ، وإذا دعت الحاجة أطلق على جميع الخندق المحيط بالمدينة فيعمها .

وهي في وطاءة مستوية من الأرض بارزة عن الوادي المنحط عن منتهى ذيل الجبل ، مكشوفة الجوانب لممر الهواء ، إلا من الشمال فإنه محجوب بجبل قاسيون ، وبهذا تُعاب وتنسب إلى الوخامة ، ولولا جبلها الغربيّ الملبس بالثلوج صيفاً وشتاءً لكان أمرها في هذا أشدّ وحال سكانها أشقّ ، ولكنه دِرْيَاقُ ذلك السم ، ودواءُ ذلك الداء .

وهي مدينة حسنة الترتيب ، جليلة الأبنية بالحجر والخشب ، والآجر مُضَبَّب بين مداميك البناء بالخشب الملبّن ، وأخشابها من خير أخشاب الأرض يسمى الخور ، يُصب في بساتينها ويُربّى ويُقطع في انتهائه يعطي الليان ، فإذا انكسر عود منها يبقى في مكانه متماسكاً عدة سنين وأكثر ، ولو أنه متعلق بقدر شعرة واحدة .

ولهذه المدينة حواضرٌ فسيحةٌ من جهاتها الأربع ، والماء حاكم عليها من

جميع نواحيها بإتقان محكم ، على ما ذكره في صفة نهرها .

وهذه المدينة مقسمة على جوانب الجامع بها ، لاعلى أنه واسطتها من كل الجهات ، فإن ما بينه وبين نهاية المدينة من القبلة وما بينه وبين نهاية المدينة من الشرق ، أوسع مدى مما بينه إلى نهاية المدينة من الجانبين الآخرين الشمالي والغربي ، وأشرف هذه المدينة ما قرب إلى جامعها .

وبها الديار الجليلة ، المُذَهَبَة السقوف ، المفروشة بالرخام ، ومنها ما هو مؤرَّرُ الحيطان بالرخام المنوع المفضل بالصِّدْف والذهب ، والبِرْك الجارية ، وقد يجري الماء في الدار في أماكن .

وبها الطُّبَاق الرفيعة ، والأفْنِيَّة الوسيعة ، والأسواق المليحة الترتيب ، والقياسر الحصينة .

وبها الصُّنَاع المَهْرَة في كلِّ فن من البتَّائين ، وصُنَاع السلاح ، والمصوغ ، والرُّرْكش وغير ذلك . وتُعْمَلُ بها لطائف الأعمال من كل نوع ، وصناعاتها تفخر على بقية صناعات هذه المملكة إلا فيما قل ، مما بمصر والشام والعراق والروم ، فتستمد من لطائفها خصوصاً في القسيِّ ، والنحاس المطعَّم ، والزجاج المذَهَّب ، وجلود الخراف المدبوغة بالقرظ المضروب بها المثل .

وهي إحدى جنات الدنيا الأربع . قال [أبو بكر] الخوارزمي : رأيت جنات الدنيا الأربع ، وكان فضل غوطة دمشق عليها كفضلها على سواها ، كأنها الجنة على وجه الأرض . حسبما ذكرناه .

وبها البساتين الأنيقة تتسلسل جداولها ، وتغني دوحاتها ، وتتمايل أغصانها ، وتغرد أطيافها ، وفي بساتين النزهة بها العمائر الضخمة ، والجواسق العلية ، والبِرْك العميقة ، والبحيرات الممتدة عليها العُرُش الممددة المظللة ، تتقابل بها الأواوين والمجالس ، وتحفُّ بها الغراس والنصوب المطرزة بالسرو الملتف البُرود ، والحدود الممشوق القدود ، والرياحين المتأرجحة الطيب ، والفواكه الجنيَّة ، والثمار الشهية ، والبدايع التي تغنيها شهرتها عن الوصف .

وبها في سفح قاسيون الصالحية ، وهي مدينة ممتدة في سفح الجبل بإزاء المدينة في طول مدى ، ذات بيوت ، وجنائن ، ومدارس ، ورُبُط ، وتُرَب جليلة ، وعمائر ضخمة ، ومارستان ، وأسواق حافلة بالبز وغيره ، وبأعاليها من

ذيل الجبل المقابر العامة. وجميع الصالحية مشرف على دمشق وغوطتها وكل بساينها وشرقها وميادينها ومجرى واديها. وبجانبا الغربي كان دير مزان المشهور، ومكانه الآن من المدرسة المعظمة إلى قريب عقبة دمر، ومنه هناك بقايا آثار.

وأما حواضر دمشق فهي كما قدمنا القول جليلة من جميع جهاتها، وأجلها ما هو في جنبها الغربي والشمالي، فأما الغربي ففيه قلعتها، وتحت القلعة ساحة فسيحة بها سوق الخيل، على ضفة الوادي، ويخرج إليها من جوانب المدينة من أمتعة الجند فتباع في أيام المواكب بها، وتنتهي فيما يليها من الوادي إلى شرقين محيطين به قبلة وشاماً، في ذيل كل منهما ميدان أخضر بالنجيل، والوادي يشق بينهما.

وفي الميدان القبلي منهما القصر الأبلق، بناه الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي، مبني من وجه الأرض إلى نهاية أعلاه بالحجر الأسود والأصفر، مدمكاً من هذا ومدمكاً من هذا، بتأليف غريب وإحكام عجيب. ويدخل من دركاه له على جسر راكباً بعقد على مجرى الوادي إلى إيوان براني يطل على الميدان القبلي، استجده أقوش الأفرم زمان نيابته بها. ثم يدخل إلى القصر من دهايز فسيحة تشتمل على قاعات ملوكية تستوقف الأبصار، وتستوهب الشمس من أشعتها الأنوار، بالرخام الملون، قائماً ونائماً في مفارشها وصدورها، وأعالها وأسافلها، مموهة بالذهب واللازورد والفضة المذهب، وأزر من الرخام إلى سجد السقف.

وبالدار الكبرى بها إيوانان متقابلان تطل شبايك شرقيهما على الميدان الأخضر الممتد، وغربيهما على شاطئ الوادي المنخضر، والنهر به كأنه ذائب الفضة.

وله الرفارف العالية المناغية للسحب، تشرف من جهاتها الأربع على جميع المدينة والغوطة.

والوادي كامل المنافع بالبيوت الملوكية والاصطبلات السلطانية، والحمامات، والمنافع المكملة لسائر الأغراض.

وتجاه باب القصر باب يتوصل من رحبته إلى الميدان الشمالي، وعلى

الشرفين المقدم ذكرهما أبنية جليلة من بيوت ومناظر ومساجد ومدارس ورُبُط ،
وخوانق وزوايا وحمامات ، ممتدة على جانبيين ممتدين طول الوادي .

وقد بنى في هذه السنين نائب السلطنة بها على الشرف القبلي منها جامعاً
بديعاً - تليه تربة ضخمة - وداراً ملوكية ، ومدّ قبالة الجامع سوقاً لطيفاً وحماماً
فائقاً زاد المكان حسناً على حسن وإبداعاً على إبداع .

وأما حاضرها الشمالي ويسمى العُقَيَّة فهو مدينة مستقلة بذاتها ذات جوامع
ومساجد ومدارس ، ورُبُط وخوانق ، وزوايا وأسواق جليلة وحمامات ، وبها ديار
كثيرة للأمرء والجنود .

وأما نهر دمشق وهو بردى فمجراه من عَيْنَيْن : البعيدة منهما دون قرية
الزبداني ، ودونها عين بقرية تسمى الفيحة بذيل جبل عَزَّتَا ، والماء خارج من
صدع في نهاية سفلى الجبل ، وقد عُقد على مخرج مائه قبو رومي البناء ، ثم
ترفده منابع في مجرى النهر ، ثم يقسم النهر أربعة : واثنان عن اليمين واثنان عن
الشمال ، مرفوعين على مجرى النهر في قرارة الوادي ، دائمة بمقسم معلوم ،
وعليه ألف من البساتين ممتدة من الجانبين ، إلى أن يمر على المكان المسمى
بالربوة .

وقد بنى الملك العادل الشهيد نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله بها
المقام المعروف بمهد عيسى عليه السلام ، فيقال : إن مريم عليها السلام أوت
إليه بولدها عيسى عليه السلام ، وإن هذه الربوة هي المعنية بقوله تعالى :
﴿وَأَوْسَتْهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون : ٥٠] ومنظر هذا الوادي من
أعجب المناظر لتراكم الظل والماء ، وإظلال الشمس والهواء ، وافتراش الجبلين
المحدقين به في أرضه بالبنفسج ، تحت الأشجار المتمايلة على غصون البان ،
تتفتح بينهما خدود الورد ، وتفتقر مياسم الياسمين ، وتندلق ألسن السوسن ،
ويتجاوب فيها هدير الماء والحمام ، وتتلاقى خيول النسيمين الطائر من الشمال
على منابت الشيع ، ومن القبلة على الحدائق الفيح .

وإلى جانب هذا الوادي في قبليته بشمال سطح يمتد على ظاهر المزة كأنه
قطعة بيداء مقفرة ينبت بها الشيع والقيصوم وتتلاعب بها الصَّبا والدَّبُّور ، عُرفت
بصححة الهواء وفسحة الفضاء ، فطاب به ما جاورها ، وصحَّ لأجله ما قاربها .

ثم نعود إلى ذكر النهر ونسمي الأنهار السبعة: مجرى الوادي والسته المقسومة؛ فمجرى الوادي بردى أفق عليه هذا الاسم لا يعرف غيره، وعلى سمت بردى في الجانب الغربي الأعلى الآخذ قبلة نهر داريا، ودونه المزة، ودونه نهر القنوات، ودونه نهر باناس، وعلى يسرة بردى في الجانب الشرقي الآخذ شمالاً نهر يزيد، ودونه نهر ثورا. فأما القنوات وباناس فهما نهرا المدينة حاكمان عليها ومسلطان على ديارها. يدخل باناس القلعة بها ثم ينقسم قسمين: قسم للجامع وقسم للقلعة، ثم ينقسم كل قسم منهما على تقاسيم تتفرق في المدينة بأصابع مقسومة وحقوق معلومة، وكذلك تنقسم القنوات في المدينة، ولا مدخل له في القلعة ولا الجامع. ويجري الماء في قِنَى مدفونة في الأرض إلى أن يصل إلى مستحقاتها وتتسع في منافعها، ثم تنصبُ فضلات الماء والبرك ومجاري الميضאות والمرتفعات إلى قِنَى وسخ معقودة تحت أزجات الماء المشروب، ثم تتجمع وتنهر وتخرج إلى ظاهر المدينة لسقي الغيطان.

وأما بقية الأنهر خلا مجرى بردى فإنها تنصرف إلى البساتين والغيطان، وعليها القصور والبنيان، خصوصاً ثورا فإنه نيل دمشق، عليه أجلُ مبانيهم، وبه متزهاتهم، وإليه أكثر تسيارهم وتوجهاتهم، يخاله من يراه زمردة خضراء لتراكم الأفياء عليه، والتفاف الدوح من جانبيه.

ويجري يزيد في ذيل الصالحية ليشق خيطاً في عمارتها.

وأما مجرى بردى فإنه تتفرق منه فرقة بجانب المدينة تدخل إلى داخل سورها وتدور به أرحاؤها، وينصبُ باقيها إلى مجرى الوادي، إلى أن يخرج من حدود العمارة والأرحاء المنصوبة عليه إلى تنمة الوادي، تحف به الغياض المتكاثفة من السفرجل والحوار، والبساتين. ثم يرمي إلى ظاهر قرى دمشق يسقي ما يحكم عليه، ثم ينصبُ في بحيرة هناك متصلة بالبرية.

هذه أمهات الأنهار من بردى وما ينقسم منه، على أن كل نهر من هذه الأنهار ينقسم منه أنهار كبار وصغار، ويتشعب من تلك الأنهار جداول، ثم تتفرق في البساتين والغيطان لسقي أراضيها وإدارة أرحائها مما لا يكاد يعدُّ كثرة.

فأما مسجدها الجامع فصيته دائر في الدنيا، كان هيكلاً لِعُبَادِ الكواكب، ثم كنيسة للنصارى إلى أن فتحت دمشق على أيدي أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن

الوليد رضي الله عنهما، فجرى عليه حكم المناصفة فوق نصفه الشرقي للمسلمين وبقي نصفه الغربي بأيدي الروم إلى خلافة الوليد بن عبد الملك فاستخلصه وأتمه جامعاً للمسلمين، فهو بيت عبادة من قديم وقد ذكرناه فيما تقدم^(١).



(١) فسرنا ما يتعلق بالجامع الأموي عند العمري في كتابنا «الجامع الأموي بدمشق» وطبع في دار ابن كثير بدمشق.

وصف دمشق لمحمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩هـ

من خلال رحلته ، وقد وصل إلى دمشق يوم الخميس التاسع من شهر رمضان سنة ٧٢٦ ونزل بالمدرسة الشرايشية المالكية .

فذكر ما وصفت به دمشق شعراً ، ثم وصف جامعها ، والمدرسين والمعلمين به ، وقضاة دمشق ومدارسها وأبوابها ومشاهدها ومزاراتها وأرباضها وقاسيون وأوقافها وبعض فضائل أهلها ، وسماع المؤلف للحديث بها وإجازاته من أهلها . نشرت رحلة ابن بطوطة عدة مرات منها : طبعة بمصر بالمطبعة الأزهرية سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٨ م وآخرها بتحقيق الأستاذ عبد الهادي التازي نشرت بأكاديمية المملكة المغربية سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧ م ، واعتمدت على الطبعة الأزهرية .

يقول ابن بطوطة: وكان دخولي لبلبك عشية النهار وخرجت منها بالغدو لفرط اشتياقي إلى دمشق، ووصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق الشام فنزلت منها بمدرسة المالكية المعروفة بالشرايشية .

ودمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسناً وتتقدمها جمالاً وكل وصف وإن طال فهو قاصر عن محاسنها، ولا أبداع مما قاله أبو الحسين بن جبير رحمه الله تعالى في ذكرها، قال: وأما دمشق فهي جنة المشرق، ومطلع نورها المشرق، وخاتمة بلاد الإسلام التي استقريناها، وعروس المدن التي اجتليناها، قد تحلت بأزاهير الرياحين، وتجلت في حلل سندسية من البساتين، وحلت: موضع الحسن بالمكان المكين، وتزينت في منصتها أجمل تزيين، وتشرفت بأن آوى المسيح عليه السلام وأمه منها إلى ربوة ذات قرار ومعين. ظل ظليل وماء سلسيل ، تنساب مذانبه انسياب الأرقام بكل سبيل، ورياض يحيي النفوس

نسيمها العليل، تتبرج لناظرها بمجتلي صقيل، وتناديهم: هلموا إلى معرس
للحسن ومقيل، وقد سئمت أرضها كثرة الماء، حتى اشتاقت إلى الظماء، فتكاد
تناديك بها الصم الصلاب: اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، وقد
أحدقت البساتين بها إحداق الهالة بالقمر، والأكام بالثمر، وامتدت بشرقيها
غوطتها الخضراء امتداد البصر، وكل موضع لحظت بجهاتها الأربع نضرتة اليانعة
قيد البصر، والله صِدْقُ القائلين عنها: إن كانت الجنة في الأرض فدمشق لا شك
فيها، وإن كانت في السماء فهي تساميتها وتحاذيها. قال ابن جزى: وقد نظم
بعض شعرائها في هذا المعنى فقال: (الخفيف)

إن تكن جنة الخلود بأرض فدمشق ولا تكون سواها
أو تكن في السماء فهي عليها قد أبدت هواءها وهواها
بلد طيب ورب غفور فاغتمها عشية وضحاها

وذكرها شيخنا المحدث الرحال شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن
حسان القيسي الوادي آشي، نزيل تونس، ونصَّ كلام ابن جبير، ثم قال: ولقد
أحسن فيما وصف منها وأجاد، وتَوَقَّ الأنفس للتطلع على صورتها بما أفاد، هذا
وإن لم تكن له بها إقامة، فيعرب عنها بحقيقة عالمة، ولا وصف ذهبيات
أصيلها. وقد حان من الشمس غروبها، ولا أزمان جفولها المنوعات، ولا أوقات
سرورها المنبهات، وقد اختص من قال: ألفتها كما تصف الألسن، وفيها
ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين. قال ابن جزى: والذي قالته الشعراء في وصف
محاسن دمشق لا يحصر كثرة، وكان والذي رحمه الله كثيراً ما ينشد في وصفها
هذا الأبيات وهي لشرف الدين بن محسن رحمه الله تعالى (الطويل)

دمشق، يا شوقاً إليها مبرح وإن لَجَّ وافر أو ألحَّ عذوئُ
بلاد بها الحصباء دُرٌّ وتربُّها عيبرٌ وأنفاس الشمال شَمُوئُ
تسلسلَ فيها مأوها وهو مطلقٌ وصحَّ نسيمُ الروض وهو عليلُ

وهذا من النمط العالي من الشعر، وقال فيها عرقلة الدمشقي الكلبي (كامل)
الشام شامة وجنة الدنيا كما إنسان مقلتها الغضيضة جلقُ
من أسها لك جنة لا تنقضي ومن الشقيق جهنم لا تحرقُ
وقال أيضاً فيها:

أمّا دمشق فجنات معجلة للطالبين بها الولدانُ والحوزُ

ما صاح فيها على أوتاره قمرٌ
يا حبذا ودروع الماء تنسجها
وله فيها أشعار كثيرة سوى ذلك ، وقال فيها أبو الوحش سبع بن خلف الأسدي
(رجز):

سقى دمشقَ اللهُ غيثاً محسناً
مدينةٌ ليس يُضاهي حُسْنُها
توؤدُ زوراءَ العراقِ أنها
فأرضها مثل السماء بهجة
نسيمُ روضها متى ما قد سرى
قد رتع الربيع في ربوعها
لا تسأمُ العيونُ والأنوفُ من
ومما يناسب هذا للقاضي الفاضل عبد الرحمن البيساني فيها من قصيدة وقد

نسبت أيضاً لابن المنير (كامل)
يا برقُ هل لك في احتمال تحية
باكرُ دمشقَ بمشوق الحيا
واجرُّزُ بجيرونَ ذبولك وأختصص
حيث الحيا الربيعي محلول الحيا
وقال فيها أبو الحسن علي بن موسى بن سعد العنسي الغرناطي المدعو نور الدين (بسيط):

دمشقُ منزلنا حيث النعيمُ بدا
القَصْبُ راقصةٌ والطيرُ صادحةٌ
وقد تجلت من اللذات أوجهها
وكلُّ وادٍ به موسى يفتجره
وقال أيضاً فيها:

خيِّمَ بجَلَّتَ بين الكأسِ والوترِ
ومتَّعِ الطَّرْفَ في مرأى محاسنِه
وانظرْ إلى ذهبيات الأصيل بها
وقل لمن لامَ في لذاته بشراً
في جنة هي ملءُ السمع والبصرِ
وروضِ الفِكْرِ بين الرّوضِ والنهرِ
واسمِعْ إلى نغمات الطير في الشجرِ
دعني فإنك عندي من سؤقة البشرِ

وقال فيها أيضاً (كامل):

أَمَّا دَمَشْقُ فَجَنَّةٌ ينسى بها الوطنَ الغريبُ
للهِ أَيَّامُ السَّبَّوتِ بها ومنظرُها العجيبُ
انظر بعينك هل ترى إلا مُجَبَّأً أو حبيبُ
في موطنٍ غنيِّ الحمام به على رقصِ القضيْبِ
وغدَّتْ أزاهِرُ روضِهِ تختالُ في فرحٍ وطيبُ

وأهل دمشق لا يعملون يوم السبت عملاً، إنما يخرجون إلى المنتزهات وشطوط الأنهار ودوحات الأشجار بين البساتين النضرة والمياه الجارية فيكونون بها يومهم إلى الليل.

وقد طال بنا الكلام في محاسن دمشق فلنرجع إلى كلام الشيخ أبي عبد الله.

- ذكر جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية -

وهو أعظم مساجد الدنيا احتفالاً وأتقنها صناعة وأبدعها حسناً وبهجة وكمالاً، ولا يُعْلَمُ له نظير ولا يوجد له شبيه، وكان الذي تولى بناءه وإتقانه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان ووجه إلى ملك الروم بقسطنطينية يأمره أن يبعث إليه الصنَّاع، فبعث إليه اثني عشر ألف صانع، وكان موضع المسجد كنيسة فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد رضي الله عنه من إحدى جهاتها بالسيف فانتهى إلى نصف الكنيسة، ودخل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه من الجهة الغربية صلحاً فانتهى إلى نصف الكنيسة، فصنع المسلمون من نصف الكنيسة التي دخلوه عنوة مسجداً وبقي النصف الذي صالحوا عليه كنيسة، فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة في المسجد طلب من الروم أن يبيعوا منه كنيستهم تلك بما شاؤوا من عوض فأبوا عليه فانتزعها من أيديهم، وكانوا يزعمون أن الذي يهدمها يُجْزَى فذكروا ذلك للوليد، فقال: أنا أول من يجن في سبيل الله وأخذ الفأس وجعل يهدم بنفسه فلما رأى المسلمون ذلك تابعوا على الهدم، وأكذَّبَ اللهُ زعمَ الروم وزين هذا المسجد بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء تخالطها أنواع الأصبغة الغربية الحُسنِ، وذرع المسجد في الطول من الشرق إلى الغرب مائتا خطوة وهي ثلاثمائة ذراع، وعرضه من القبلة إلى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع، وعدد شمسات الزجاج الملونة التي

فيه أربع وسبعون وبلاطاته ثلاثة مستطيلة من شرق إلى غرب، سعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة وقد قامت على أربع وخمسين سارية وثمانية أرجل حصية تتخللها، وست أرجل مرخمة مرصعة بالرخام الملون، قد صور فيها أشكال محاريب وسواها وهي ثقل قبة الرصاص التي أمام المحراب المسماة بقبة النسر كأنهم شبهوا المسجد نسرًا طائرًا والقبة رأسه وهي من أعجب مباني الدنيا، ومن أي جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة النسر ذاهبة في الهواء منيفة على جميع مباني البلد وتستدير بالصحن بلاطات ثلاثة من جهاته الشرقية والغربية والجوفية سعة كل بلاط منها عشر حُطًا، وبها من السواري ثلاث وثلاثون ومن الأرجل أربع عشرة وسعة الصحن مائة ذراع.

وهو من أجمل المناظر وأتمها حسنًا وبها يجتمع أهل المدينة بالعشايا فمن قارئ ومحدث وذاهب، ويكون انصرافهم بعد العشاء الأخيرة، وإذا لقي أحد كبارهم من الفقهاء وسواهم صاحبًا له أسرع كل منهما نحو صاحبه وحط رأسه. وفي هذا الصحن ثلاث من القباب إحداها في غربيه وهي أكبرها وتسمى قبة عائشة أم المؤمنين وهي قائمة على ثمان سواري من الرخام، مزخرفة بالفصوص والأصبغة الملونة مسقفة بالرصاص، يقال. إن مال الجامع كان يختزن بها وذكر لي أن فوائد مستغلات الجامع وجبايته نحو خمسة وعشرين ألف دينار ذهبًا في كل سنة.

والقبة الثانية من شرقي الصحن على هيئة الأخرى إلا أنها أصغر منها قائمة على ثمان سواري من الرخام وتسمى قبة زين العابدين.

والقبة الثالثة في وسط الصحن وهي صغيرة مثمثة من رخام عجيب محكم الإلصاق قائمة على أربع سواري من الرخام الناصع وتحتها شبك حديد في وسطه أنبوب نحاس يمج الماء إلى علو فيرتفع ثم ينثني كأنه قضيب لجين، وهم يسمونهم ققص الماء، ويستحسنُ الناس وضع أفواههم فيه للشرب، وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يفضي إلى مسجد بديع الوضع يسمى مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويقابله من الجهة الغربية حيث يلتقي البلاطان الغربي والجوفي موضعٌ يقال: إن عائشة رضي الله عنها سمعت الحديث هنالك، وفي قبة المسجد المقصورة العظمى التي يؤم فيها إمام الشافعية، وفي الركن الشرقي منها إزاء المحراب خزانة كبيرة فيها المصحف الكريم الذي وجهه أمير المؤمنين

عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الشام، وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على لثم ذلك المصحف الكريم، وهناك يحلفُ الناس غرماءهم ومن ادعوا عليه شيئاً، وعن يسار المقصورة محراب الصحابة ويذكر أهل التاريخ أنه أول محراب وضع في الإسلام وفيه يؤم إمام المالكية، وعن يمين المقصورة محراب الحنفية وفيه يؤم إمامهم ويليه محراب الحنابلة وفيه يؤم إمامهم، ولهذا المسجد ثلاث صوامع إحداها بشرقيه وهي من بناء الروم وبابها داخل المسجد وبأسفلها مطهرة وبيوت للوضوء يغتسل فيها المعتكفون والملتزمون للمسجد ويتوضؤون، والصومعة الثانية بغريبه وهي أيضاً من بناء الروم، والصومعة الثالثة بشماله وهي من بناء المسلمين، وعدد المؤذنين به سبعون مؤذناً، وفي شرقي المسجد مقصورة كبيرة فيها صهريج ماء وهي لطائفة الزبالعة السودان، وفي وسط المسجد قبر زكريا عليه السلام وعليه تابوت معترض بين أسطوانتين مكسو بثوب حرير أسود معلم فيه مكتوب بالأبيض ﴿يٰۤزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ .

وهذا المسجد شهير بالفضل، وقرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثوري أن الصلاة في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة، وفي الأثر عن النبي ﷺ أنه قال: «يعبد الله فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة» ويقال: إن الجدار القبلي منه وضعه نبي الله هود عليه السلام وأن قبره به، وقد رأيتُ على مقربة من مدينة ظفار اليمن بموضع يقال له: «الأحقاف» بئنة فيها قبر مكتوب عليه: هذا قبر هود بن عابر ﷺ .

ومن فضائل هذا المسجد أنه لا يخلو عن قراءة القرآن والصلاة إلا قليلاً من الزمان كما سنذكره، والناس يجتمعون به كل يوم إثر صلاة الصبح فيقرؤون سبعا من القرآن ويجتمعون بعد صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية، يقرؤون فيها من سورة الكوثر إلى آخر القرآن، وللمجتمعين على هذه القراءة مراتب تجري لهم وهم نحو ستمائة إنسان ويدور عليهم كاتب الغيبة فمن غاب منهم قطع له عند دفع المرتب بقدر غَيْبَتِهِ، وفي هذا المسجد جماعة كبيرة من المجاورين لا يخرجون منه، مقبلون على الصلاة والقراءة والذكر لا يفترون عن ذلك ويتوضؤون من المظاهر التي بداخل الصومعة الشرقية التي ذكرناها وأهل البلد يعينونهم بالمطاعم والملابس من غير أن يسألوهم شيئاً من ذلك .

وفي هذا المسجد أربعة أبواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة، وبأعلاه قطعة

من الرمح الذي كانت فيه راية خالد بن الوليد رضي الله عنه، ولهذا الباب دهليز كبير متسع فيه حوانيت السقاطين وغيرهم، ومنه يذهب إلى دار الخيل، وعن يسار الخارج منه سماط الصَّفَّارين، وهي سوق عظيمة ممتدة مع جدار المسجد القبلي من أحسن أسواق دمشق، وبموضع هذه السوق كانت دار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ودور قومه وكانت تسمى الخضراء فهدمها بنو العباس رضي الله عنهم وصار مكانها سوقاً، وباب شرقي وهو أعظم أبواب المسجد ويسمى بباب جيرون وله دهليز عظيم يخرج منه إلى بلاط عظيم طويل أمامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة طوال، وفي جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضي الله عنه وبإزائه مسجد صغير ينسب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبه ماء جارٍ، وقد انتظمت أمام البلاط دُرُجٌ ينحدر فيها إلى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل بباب عظيم الارتفاع تحته أعمدة كالجدوع طوال وبجانبي هذا الدهليز أعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها دكاكين البزازين وغيرهم، وعليها شوارع مستطيلة فيها حوانيت الجوهريين والكتبيين وصناع أواني الزجاج العجيبة، وفي الرحبة المتصلة بالباب الأول دكاكين لكبار اليهود منها دكانان للشافعية وسائرهما لأصحاب المذاهب يكون في الدكان منها الخمسة والستة من العدول والعاقد للأنكحة من قبل القاضي وسائر اليهود مفترقون في المدينة، وبمقربة من هذه الدكاكين سوق الوراقين الذين يبيعون الكاغد والأقلام والمداد، وفي وسط الدهليز المذكور حوض من الرخام كبير مستدير عليه قبة لا سقف لها تُقلُّها أعمدة رخام، وفي وسط الحوض أنبوب نحاس يزعج الماء بقوة فيرتفع في الهواء أزيد من قامة الإنسان يسمونه الفوارة، منظره عجيب. وعن يمين الخارج من باب جيرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صغار مفتحة لها أبواب على عدد ساعات النهار والأبواب، مصوغ باطنها بالخضرة وظاهرها بالصفرة فإذا ذهبت ساعة من النهار انقلب الباطن الأخضر ظاهراً والظاهر الأصفر باطناً، ويقال: إن بداخل الغرفة من يتولى قلبها بيده عند مضي الساعات.

والباب الغربي يعرف بباب البريد وعن يمين الخارج منه مدرسة للشافعية وله دهليز فيه حوانيت للشماعين وسماط لبيع الفواكه، وبأعلاه باب يصعد إليه في دَرَج له أعمدة سامية في الهواء وتحت الدرج سقايتان عن يمين وشمال مستديرتان.

والباب الجوفي يعرف بباب النطفانيين وله دهليز عظيم وعن يمين الخارج منه خانقاة تعرف بالشميعانية في وسطها صهريج ماء، ولها مطاهر يجري فيها الماء ويقال: إنها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وعلى كل باب من أبواب المسجد الأربعة دار وضوء يكون فيها نحو مائة بيت تجري فيها المياه الكثيرة.

- ذكر الأئمة بهذا المسجد -

وأئمته ثلاثة عشر إماماً أولهم إمام الشافعية وكان في عهد دخولي إليها إمامهم قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني من كبار الفقهاء، وهو الخطيب بالمسجد وسكنه بدار الخطابة ويخرج من باب الحديد إزاء المقصورة وهو الباب الذي كان يخرج منه معاوية رضي الله عنه، وقد تولى جلال الدين بعد ذلك قضاء القضاة بالديار المصرية بعد أن أدى عنه الملك الناصر نحو مائة ألف درهم كانت عليه ديناً بدمشق، وإذا سلم إمام الشافعية من صلاته أقام الصلاة إمام مشهد علي ثم إمام مشهد الحسين ثم إمام الكلاسة، ثم إمام مشهد أبي بكر ثم إمام مشهد عمر ثم إمام مشهد عثمان رضي الله عنهم أجمعين، ثم إمام المالكية وكان إمامهم في عهد دخولي إليها الفقيه أبو عمر بن أبي الوليد بن الحاج التجيبي القرطبي الأصل الغرناطي المولد نزيل دمشق وهو يتناوب الإمامة مع أخيه رحمهما الله، ثم إمام الحنفية وكان إمامهم في عهد دخولي إليها الفقيه عماد الدين الحنفي المعروف بابن الرومي وهو من كبار الصوفية وله شاخنة الخانقاه الخاتونية وله أيضاً خانقاة بالشرف الأعلى، ثم إمام الحنابلة وكان في ذلك العهد الشيخ عبد الله الكفيف أحد شيوخ القراءة بدمشق، ثم بعد هؤلاء خمسة أئمة لقضاء الفوائت فلا تزال الصلاة في هذا المسجد من أول النهار إلى ثلث الليل وكذلك قراءة القرآن وهذا من مفاخر هذا الجامع المبارك.

- ذكر المدرسين والمعلمين به -

ولهذا المسجد حلقات التدريس في فنون العلم، والمحدثون يقرؤون كتب الحديث على كراسٍ مرتفعة، وقراء القرآن يقرؤون بالأصوات الحسنة صباحاً ومساءً، وبه جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم إلى سارية من

سوارى المسجد يلقن الصبيان ويقرئهم، وهم لا يكتبون القرآن فى الألواح تنزيهاً لكتاب الله تعالى وإنما يقرؤون القرآن تلقيناً، ومعلم الخط غير معلم القرآن يعلمهم بكتب الأشعار وسواها فىنصرف الصبى من التعليم إلى التكتيب وبذلك جاد خطه؛ لأن المعلم للخط لا يعلم غيره، ومن المدرسين بالمسجد المذكور العالم الصالح برهان الدين بن الفركاح الشافعى ومنهم العالم الصالح نور الدين أبو اليسر بن الصائغ من المشتهرين بالفضل والصلاح، ولما ولى القضاء بمصر جلال الدين القزوينى وجه إلى أبى اليسر الخلعة والأمر بقضاء دمشق فامتنع من ذلك، ومنهم الإمام العالم شهاب الدين ابن جهيل من كبار العلماء، هرب من دمشق لما امتنع أبو اليسر من قضائها خوفاً من أن يقلد القضاء فاتصل ذلك بالملك الناصر فولى قضاء دمشق شيخ الشيوخ بالديار المصرية قطب العارفين لسان المتكلمين علاء الدين القونوى وهو من كبار الفقهاء ومنهم الإمام الفاضل بدر الدين على السخاوى المالكى رحمة الله عليهم أجمعين.

- ذكر قضاء دمشق -

قد ذكرنا قاضى القضاء الشافعى بها جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى، وأما قاضى المالكية فهو شرف الدين بن خطيب الفيوم، حسن الصورة والهيئة من كبار الرؤساء وهو شيخ شيوخ الصوفية، والنائب عنه فى القضاء شمس الدين بن القفصى ومجلس حكمه بالمدرسة الصمصامية، وأما قاضى قضاء الحنفية فهو عماد الدين الحورانى وكان شديد السطوة وإليه يتحاكم النساء وأزواجهن، وكان الرجل إذا سمع اسم القاضى الحنفى أنصف من نفسه قبل الوصول إليه، وأما قاضى الحنابلة فهو الإمام الصالح عز الدين بن مسلم من خيار القضاة، ينصرف على حمار له، ومات بمدينة رسول الله ﷺ تسليماً لما توجه للحجاز الشريف.

- حكاية -

- وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقى الدين ابن تيمية كبير الشام يتكلم فى الفنون إلا أن فى عقله شيئاً، وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم ويعظمهم

على المنبر، وتكلم مرة بأمر أنكره الفقهاء ورفعوه إلى الملك الناصر فأمر بإشخاصه إلى القاهرة وجمع القضاة والفقهاء بمجلس الملك الناصر وتكلم شرف الدين الزواوي المالكي وقال: إن هذا الرجل قال كذا وكذا وعدد ما أنكر على ابن تيمية وأحضر العقود بذلك ووضعها بين يدي قاضي القضاة، وقال قاضي القضاة لابن تيمية: ما تقول؟ قال: لا إله إلا الله، فأعاد عليه فأجاب بمثل قوله: فأمر الملك الناصر بسجنه فسجن أعواماً، وصنّف في السجن كتاباً في تفسير القرآن سماه بالبحر المحيط في نحو أربعين مجلداً، ثم إن أمه تعرضت للملك الناصر وشكت إليه فأمر بإطلاقه إلى أن وقع منه مثل ذلك ثانية وكنت إذ ذاك بدمشق، فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر» فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير فأنكروا عليه لباسها واحتملوه إلى دار عز الدين بن مسلم قاضي الحنابلة فأمر بسجنه وعزله بعد ذلك، فأنكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ورفعوا الأمر إلى ملك الأمراء سيف الدين تنكيز وكان من خيار الأمراء وصلحائهم، فكتب إلى الملك الناصر بذلك وكتب عقداً شرعياً على ابن تيمية بأمر منكرة منها أن المطلّق بالثلاث في كلمة واحدة لا تلزمه إلا طليقة واحدة، ومنها المسافر الذي ينوي سفره زيارة القبر الشريف زاده الله طيباً لا يقصر الصلاة، وسوى ذلك مما يشبهه، وبعث العقد إلى الملك الناصر فأمر بسجن ابن تيمية بالقلعة فسجن بها حتى مات في السجن.

- ذكر مدارس دمشق -

اعلم أن للشافعية بدمشق جملة من المدارس أعظمها العادلية وبها يحكم قاضي القضاة، وتقابلها المدرسة الظاهرية وبها قبر الملك الظاهر وبها جلوس نواب القاضي، ومن نوابه فخر الدين القبطي كان والده من كتاب القبط وأسلم، ومنهم جمال الدين بن جملة وقد تولى قضاء قضاة الشافعية بعد ذلك وعزل لأمر أوجب عزله.

- حكاية -

كان بدمشق الشيخ الصالح ظهير الدين العجمي وكان سيف الدين تنكيز ملك الأمراء يتلمذ له ويعظمه، فحضر يوماً بدار العدل عند ملك الأمراء وحضر القضاة الأربعة فحكى قاضي القضاة جمال الدين بن جملة حكاية فقال له ظهير الدين: كذبت، فأنف القاضي من ذلك وامتعض له، فقال للأمير: كيف يكذبني بحضرتك؟! فقال له الأمير: احكم عليه وسلمه إليه وظنه أنه يرضى بذلك فلا يناله بسوء، فأحضره القاضي بالمدرسة العادلةية وضربه مائتي سوط، ووظف به على حمار في مدينة دمشق ومنادٍ ينادي عليه، فمتى فرغ من نداءه ضربه على ظهره ضربة، وهكذا العادة عندهم، فبلغ ذلك ملك الأمراء فأنكره أشد الإنكار وأحضر القضاة والفقهاء فأجمعوا على خطأ القاضي وحكمه بغير مذهبه؛ فإن التعزير عند الشافعي لا يُبلغ به الحد، وقال قاضي القضاة المالكية شرف الدين: قد حكمت بتفسيقه فكتب إلى الملك الناصر بذلك فعزله.

وللحنفية مدارس كثيرة وأكبرها مدرسة السلطان نور الدين وبها يحكم قاضي القضاة الحنفية.

وللمالكية بدمشق ثلاث مدارس إحداها الصمصامية وبها سكن قاضي القضاة المالكية وعوده للأحكام، والمدرسة النورية عمرها السلطان نور الدين محمود بن زنكي، والمدرسة الشراشبية عمرها شهاب الدين الشراشبي التاجر، وللحنابلة مدارس كثيرة أعظمها المدرسة النجمية.

- ذكر أبواب دمشق -

ولمدينة دمشق ثمانية أبواب: منها باب الفراديس ومنها باب الجابية ومنها الباب الصغير، وفيما بين هذين البابين مقبرة فيها العدد الجم من الصحابة والشهداء فمن بعدهم، قال محمد بن جزى: لقد أحسن بعض المتأخرين من أهل دمشق في قوله: (رجز)

دمشق في أوصافها جنّة خلّد راضيّه
أما ترى أبوابها قد جعلت ثمانيه

- ذكر بعض المشاهد والمزارات بها -

فمنها بالمقبرة التي بين البابين باب الجابية والباب الصغير قبر أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين وقبر أخيها أمير المؤمنين معاوية، وقبر بلال مؤذن رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين، وقبر أويس القرني وقبر كعب الأحبار رضي الله عنهما، ووجدت في كتاب «المعلم في شرح صحيح مسلم» للقرطبي أن جماعة من الصحابة صحبهم أويس القرني من المدينة إلى الشام فتوفي في أثناء الطريق في بركة لا عمارة فيها ولا ماء فتحيروا في أمره، فنزلوا فوجدوا حنوطاً وكفنوا وماء فعجبوا من ذلك وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه ثم ركبوا فقال بعضهم: كيف نترك قبره بغير علامة؟ فعادوا إلى الموضع فلم يجدوا للقبر من أثر!

قال ابن جزري: ويقال: إن أويساً قتل بصيفين مع عليّ عليه السلام وهو الأصح إن شاء الله.

ولي باب الجابية باب شرقي عند جبانة فيها قبر أبي بن كعب صاحب رسول الله ﷺ وفيها قبر العابد الصالح أرسلان المعروف بالباز الأشهب.

- حكاية في سبب تسميته بذلك -

يحكى أن الشيخ الوالي أحمد الرفاعي رضي الله عنه كان مسكنه بأم عبيدة بمقربة من مدينة واسط، وكانت بين ولي الله تعالى أبي مدين شعيب بن الحسين وبينه مؤاخاة ومراسلة، ويقال: إن كل واحد منهما كان يسلم على صاحبه صباحاً ومساءً فيرد عليه الآخر، وكانت للشيخ أحمد نخیلاتٌ عند زاويته فلما كان في إحدى السنين جدها على عادته وترك عذقاً منها وقال: هذا برسم أخي شعيب، فحج الشيخ أبو مدين تلك السنة واجتمعا بالموقف الكريم بعرفة ومع الشيخ أحمد خديمه أرسلان فتفاوضا الكلام وحكى الشيخ حكاية العذق، فقال له أرسلان: عن أمرك يا سيدي آتبه به، فأذن له فذهب من حينه وأتاه به ووضع بين أيديهما، فأخبر أهل الزاوية أنهم رأوا عشيّة يوم عرفة بازاً أشهب قد انقض على النخلة فقطع ذلك العذق وذهب به في الهواء.

وبغربي دمشق جبانة تعرف بقبور الشهداء فيها قبر أبي الدرداء وزوجه

أم الدرداء، وقبر فضالة بن عبيد وقبر وائلة بن الأسقع، وقبر سهل بن حنظلة من الذين بايعوا تحت الشجرة رضي الله عنهم أجمعين.

وبقرية تعرف المنيحة شرقي دمشق وعلى أربعة أميال منها قبر سعد بن عبادة رضي الله عنه وعليه مسجد صغير حسن البناء وعلى رأسه حجر فيه مكتوب: (هذا قبر سعد بن عبادة رأس الخزرج صاحب رسول الله ﷺ تسليماً) وبقره قبليّ البلد وعلى فرسخ منها مشهد أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة عليهم السلام ويقال: إن اسمها زينب وكنها النبي ﷺ أم كلثوم لشبهها بخالتها أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وعليه مسجد كريم وحوله مساكن وله أوقاف ويسميه أهل دمشق قبر الست أم كلثوم، وقبر آخر يقال: إنه قبر سكينه بنت الحسين بن علي عليه السلام، ويجامع النيرب من قرى دمشق في بيت بشرقه قبر يقال: إنه قبر أم مريم عليها السلام، وبقرية تعرف بداريا غربي البلد وعلى أربعة أميال منها قبر أبي مسلم الخولاني وقبر أبي سليمان الداراني رضي الله عنهما.

ومن مشاهد دمشق الشهيرة البركة مسجد الأقدام وهو في قبلي دمشق على ميلين منها على قارعة الطريق الأعظم الآخذ إلى الحجاز الشريف والبيت المقدس وديار مصر، وهو مسجد عظيم كثير البركة وله أوقاف كثيرة ويعظمه أهل دمشق تعظيماً شديداً، والأقدام التي ينسب إليها هي أقدام مصورة في حجر هنالك يقال: إنها أثر قدم موسى عليه السلام، وفي هذا المسجد بيت صغير فيه حجر مكتوب عليه: «كان بعض الصالحين يرى المصطفى ﷺ في النوم فيقول له: ههنا قبر أخي موسى عليه السلام». وبمقربة من هذا المسجد على الطريق موضع يعرف بالكثيب الأحمر، وبمقربة من بيت المقدس وأريحا موضع يعرف بالكثيب الأحمر تعظمه اليهود.

- حكاية -

شاهدت أيام الطاعون الأعظم بدمشق في أواخر شهر ربيع الثاني سنة تسع وأربعين من تعظيم أهل دمشق لهذا المسجد ما يُعجّب منه؛ وهو أن ملك الأمراء نائب السلطان أرغون شاه أمر منادياً ينادي بدمشق أن يصوم الناس ثلاثة أيام ولا يطبخ أحد بالسوق ما يؤكل نهاراً وأكثر الناس بها إنما يأكلون الطعام الذي يصنع بالسوق، فصام الناس ثلاثة أيام متوالية كان آخرها يوم الخميس، ثم

اجتمع الأمراء والشرفاء والقضاة والفقهاء وسائر الطبقات على اختلافها في الجامع حتى غصَّ بهم، وباتوا ليلة الجمعة به ما بين مصلِّ وذاكر وداع - ثم صلوا الصبح وخرجوا جميعاً على أقدامهم وبأيديهم المصاحف والأمراء حفاة، وخرج جميع أهل البلد ذكوراً وإناثاً صغاراً وكباراً وخرج اليهود بتوراتهم والنصارى بإنجيلهم ومعهم النساء والولدان، وجميعهم باكون متضرعون متوسلون إلى الله بكتبه وأنبياؤه وقصدوا مسجد الأقدام وأقاموا به في تضرعهم ودعائهم إلى قرب الزوال، وعادوا إلى البلد فصلوا الجمعة وخفف الله تعالى عنهم ما انتهى عدد الموتى إلى ألفين في اليوم الواحد، وقد انتهى عددهم بالقاهرة ومصر إلى أربعة وعشرين ألفاً في يوم واحد. وبالباب الشرقي من دمشق منارة بيضاء يقال: إنها التي ينزل عيسى عليه السلام عندها حسبما ورد في «صحيح مسلم».

- ذكر أرباض دمشق -

وتدور دمشق من جهاتها - ما عدا الشرقية - أرباض فسيحة الساحات دواخلها أملح من داخل دمشق لأجل الضيق الذي في سككها، وبالجهة الشمالية منها ربض الصالحية وفي مدينة عظيمة لها سوق لا نظير لحسنه وفيها مسجد جامع ومارستان، وبها مدرسة تعرف بمدرسة ابن عمر موقوفة على من أراد أن يتعلم القرآن الكريم من الشيوخ والكهول وتجري لهم ولمن يعلمهم كفايتهم من المآكل والملابس، ويداخل البلد أيضاً مدرسة مثل هذه تعرف بمدرسة ابن منجا وأهل الصالحية كلهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

- ذكر قاسيون ومشاهده المباركة -

وقاسيون جبل في شمال دمشق والصالحية في سفحه وهو شهير البركة؛ لأنه مصعد الأنبياء عليهم السلام، ومن مشاهده الكريمة الغار الذي ولد فيه إبراهيم الخليل عليه السلام وهو غار مستطيل ضيق عليه مسجد كبير وله صومعة عالية، ومن ذلك الغار رأى الكوكب والقمر والشمس حسبما ورد في الكتاب العزيز، وفي ظهر الغار مقامه الذي كان يخرج إليه وقد رأيت ببلاد العراق قرية تعرف بـبُيرص (بضم الباء الموحدة وآخرها صاد مهملة) ما بين الحلة وبغداد، يقال: إن

مولد إبراهيم عليه السلام كان بها وهي بمقربة من بلد ذي الكفل عليه السلام وبها قبره .

ومن مشاهده بالغرب منه مغارة الدم وفوقها بالجبل دم هايل بن آدم عليه السلام وقد أبقى الله منه في الحجارة أثراً محمراً وهو الموضع الذي قتله أخوه به واجتره إلى المغارة، ويذكر أن تلك المغارة صلى فيها إبراهيم وموسى وعيسى وأيوب ولوط صلى الله عليهم أجمعين . وعليها مسجد متقن البناء يصعد إليه على درج وفيه بيوت ومرافق للسكنى ويفتح في كل يوم اثنين وخميس، والشَّمْع والشُّرْج توقد في المغارة ومنها كهف بأعلى الجبل ينسب لآدم عليه السلام، وعليه بناء وأسفل منه مغارة تعرف بمغارة الجوع يذكر أنه آوى إليها سبعون من الأنبياء عليهم السلام وكان عندهم رغيف فلم يزل يدور عليهم وكل منهم يؤثر صاحبه به حتى ماتوا جميعاً صلى الله عليهم .

وعلى هذه المغارة مسجد مبني والشُّرْج توقد به ليلاً ونهاراً ولكل مسجد من هذه المساجد أوقاف كثيرة معينة، ويذكر أن فيما بين باب الفراديس وجامع قاسيون مدفن سبعمائة نبي، وبعضهم يقول: سبعين ألفاً، وخارج المدينة المقبرة العتيقة وهي مدفن الأنبياء والصالحين وفي طرفها مما يلي البساتين أرض منخفضة غلب عليها الماء يقال: إنها مدفن سبعين نبياً وقد عادت قراراً للماء ونزعت من أن يدفن فيها أحد .

- ذكر الربوة والقرى التي تواليا -

وفي آخر جبل قاسيون الربوة المباركة المذكورة في كتاب الله ذات القرار والمعين ومأوى المسيح عيسى وأمه عليهما السلام، وهي من أجمل مناظر الدنيا ومنتزهاتها وبها القصور المشيدة والمباني الشريفة والبساتين البديعة، والمأوى المبارك مغارة صغيرة في وسطها كالبيت الصغير، وإزاءها بيت يقال: إنه مصلى الخضر عليه السلام يبادر الناس إلى الصلاة فيها، وللمأوى باب حديد صغير والمسجد يدور به، وله شوارع دائرة وسقاية حسنة ينزل لها الماء من علو وينصب في شاذروان في الجدار يتصل بحوض من رخام ويقع فيه الماء ولا نظير له في الحسن وغرابة الشكل، ويقرب ذلك مطاهر للوضوء يجري فيها الماء، وهذه الربوة المباركة هي رأس بساتين دمشق وبها منابع مياهها، وينقسم الماء

الخارج منها على سبعة أنهار كل نهر آخذ في جهة ويعرف ذلك الموضع بالمقاسم، وأكبر هذه الأنهار النهر المسمى بتورة وهو يشق تحت الربوة وقد نحت له مجرى في الحجر الصلد كالغار الكبير وربما انغمس ذو الجسارة من العوامين في النهر من أعلى الربوة واندفع في الماء حتى يشق مجراه ويخرج من أسفل الربوة وهي مخاطرة عظيمة، وهذه الربوة تشرف على البساتين الدائرة بالبلد ولها من الحسن واتساع مسرح الأبصار ما ليس لسواها، وتلك الأنهار السبعة تذهب في طرق شتى فتحار الأعين في حسن اجتماعها وافتراقها واندفاعها وانصبابها، وجمال الربوة وحسنها التام أعظم من أن يحيط به الوصف ولها الأوقاف الكثيرة من المزارع والبساتين والرباع، تقام منها وظائفها للإمام والمؤذن والصادر والوارد، وبأسفل الربوة قرية النيرب وقد تكاثرت بساتينها وتكاثفت ظلالتها وتدانث أشجارها فلا يظهر من بنائها إلا ما سما ارتفاعه، ولها حمام مليح ولها جامع بديع مفروش صحنه بفضوص الرخام، وفيه سقاية ماء رائقة الحسن، ومطهرة فيها بيوت عدة يجري فيها الماء.

وفي القبلي من هذه القرية قرية المزة وتعرف بمزة كلب نسبة إلى قبيلة كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وكانت أقطاعاً لهم وإليها ينسب الإمام حافظ الدنيا جمال الدين يوسف بن الزكي الكلبلي المزي وكثير سواه من العلماء، وهي من أعظم قرى دمشق بها جامع كبير عجيب وسقاية معينة. وأكثر قرى دمشق فيها الحمامات والمساجد الجامعة والأسواق، وسكانها كأهل الحاضرة في مناحيهم. وفي شرقي البلد قرية تعرف ببيت لاهية وكانت فيها كنيسة يقال: إن آزر كان ينحت فيها الأصنام فيكسرهما الخليل عليه السلام وهي الآن مسجد جامع بديع مزين بفضوص الرخام الملونة المنظمة بأعجب نظام وأزين التمام.

- ذكر الأوقاف بدمشق وبعض فضائل أهلها وعوائدهم -

والأوقاف بدمشق لا تُحصَرُ أنواعُها ومصارفُها لكثرتها؛ فمنها أوقاف على العاجزين عن الحج يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته، ومنها أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهن وهن اللواتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن، ومنها أوقاف لفكك الأسارى، ومنها أوقاف لأبناء السبيل يعطون منها ما يأكلون

ويلبسون ويتزودون لبلادهم، ومنها أوقاف على تعديل الطريق ورفضها لأن أزقة دمشق لكل واحد منها رصيفان في جنبه يمر عليهما المترجلون ويمر الركبان بين ذلك، ومنها أوقاف لسوى ذلك من أفعال الخير.

- حكاية -

مررت يوماً ببعض أزقة دمشق فرأيت به مملوكاً صغيراً قد سقطت من يده صحيفة من الفخار الصيني، وهم يسمونها الصحن، فتكسرت واجتمع عليه الناس فقال له بعضهم: اجمع شقفها واحملها معك لصاحب أوقاف الأواني، فجمعها وذهب الرجل معه إليه فأراه إياها فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن، وهذا من أحسن الأعمال فإن سيد الغلام لا بد له أن يضربه على كسر الصحن أو ينهره وهو أيضاً ينكسر قلبه ويتغير لأجل ذلك، فكان هذا الوقف جبراً للقلوب جزى الله خيراً من تسامت همته في الخير إلى مثل هذا، وأهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد والزوايا والمدارس والمشاهد وهم يحسنون الظن بالمغاربة ويطمثون إليهم بالأموال والأهلين والأولاد، وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لا بد أن يتأتى له وجه من المعاش من إمامة مسجد أو قراءة بمدرسة أو ملازمة مسجد يجيء إليه فيه رزقه أو قراءة القرآن أو خدمة مشهد من المشاهد المباركة، أو يكون كجملة الصوفية بالخوانق تجرى له النفقة والكسوة، فمن كان بها غريباً على خير لم يزل مصنوعاً عن بذل وجهه محفوظاً عما يزرى بالمروءة، ومن كان من أهل المهنة والخدمة فله أسباب آخر من حراسة بستان أو أمانة طاحونة أو كفالة صبيان يغدو معهم إلى التعليم ويروح، ومن أراد طلب العلم أو التفرغ للعبادة وجد الإعانة التامة على ذلك.

ومن فضائل أهل دمشق أنه لا يفطر أحد منهم في ليالي رمضان وحده البتة؛ فمن كان من الأمراء والقضاة والكبراء فإنه يدعو أصحابه والفقراء يفطرون عنده، ومن كان من التجار وكبار السوق صنع مثل ذلك، ومن كان من الضعفاء والبادية فإنهم يجتمعون كل ليلة في دار أحدهم أو في مسجد ويأتي كل أحد بما عنده فيفطرون جميعاً، ولما وردت دمشق وقعت بيني وبين نور الدين السخاوي مدرس المالكية صحبة فرغب مني أن أفطر عنده في ليالي رمضان فحضرت عنده أربع ليالي، ثم أصابتنى الحمى فغبت عنه فبعث في طلبي فاعتذرت بالمرض فلم

يسعني عذراً فرجعت إليه وبكُ عنده فلما أردتُ الانصراف بالغد منعني من ذلك، وقال لي: احسبْ داري كأنها دارك أو دار أهلك أو أخيك، وأمر بإحضار طبيب وأن يصنع لي بداره كل ما يشتهيهِ الطيب من دواء أو غذاء، وأقمت كذلك عنده إلى يوم العيد، وحضرت المصلى وشفاني الله تعالى مما أصابني، وقد كان ما عندي من النفقة نفذ فعلم بذلك فاكترى لي جمالاً وأعطاني الزاد وسواه وزادني دراهم، وقال لي: تكون لما عسى أن يعتريك من أمر مهم، جزاه الله خيراً.

وكان بدمشق فاضل من كتاب الملك الناصر يسمى عماد الدين القيصراني، من عاداته أنه متى سمع أن مغربياً وصل إلى دمشق بحث عنه وأضافه وأحسن إليه فإن عرف منه الدينَ والفضلَ أمره بملازمته، وكان يلازمه منهم جماعة وعلى هذه الطريقة أيضاً كاتب السر الفاضل علاء الدين بن غانم وجماعة غيره، وكان بها فاضل من كبرائها وهو الصاحب عز الدين القلانسي له مآثر ومكارم وفضائل وإيثار وهو ذو مال عريض، وذكروا أن الملك الناصر لما قدم دمشق أضافه وجميع أهل دولته ومماليكه وخواصه ثلاثة أيام، فسماه إذ ذاك بالصاحب. ومما يؤثر من فضائلهم أن أحد ملوكهم السالفين لما نزل به الموت أوصى أن يدفن بقبلة الجامع المكرم ويخفى قبره، وعين أوقافاً عظيمة لقراء يقرؤون سبعاً من القرآن الكريم في كل يوم إثر صلاة الصبح بالجهة الشرقية من مقصورة الصحابة رضي الله عنهم حيث قبره، فصارت قراءة القرآن على قبره لا تنقطع أبداً وبقي ذلك الرسم الجميل بعده مخلداً.

ومن عادة أهل دمشق وسائر تلك البلاد أنهم يخرجون بعد صلاة العصر من يوم عرفة فيقفون بصحون المساجد كبيت المقدس وجامع بني أمية وسواهما، ويقف بهم أئمتهم كاشفي رؤوسهم داعين خاضعين خاشعين ملتجئين البركة، ويتوخون الساعة التي يقف فيها وفد الله تعالى وحجاج بيته بعرفات، ولا يزالون في خضوع ودعاء وابتهاال وتوسل إلى الله تعالى بحجاج بيته إلى أن تغيب الشمس، فينفرون كما ينفر الحاج باكين على ما حُرِّموا من ذلك الموقف الشريف بعرفات داعين إلى الله تعالى أن يوصلهم إليها ولا يخيبهم من بركة القبول فيما فعلوه. ولهم أيضاً في اتباع الجنائز رتبة عجيبة، وذلك أنهم يمشون أمام الجنائز والقراء يقرؤون القرآن بالأصوات الحسنة والتلاحين المبكية التي تكاد النفوس تطير لها رقة، وهم يصلون على الجنائز بالمسجد الجامع قبالة المقصورة

فإن كان الميت من أئمة الجامع أو مؤذنيه أو خدامه أدخلوه بالقراءة إلى موضع الصلاة عليه، وإن كان من سواهم قطعوا القراءة عند باب المسجد وأدخلوا الجنازة، وبعضهم يجتمع له بالبلاط الغربي من الصحن بمقربة من باب البريد فيجلسون وأمامهم ربعات القرآن يقرؤون فيها ويرفعون أصواتهم بالنداء لكل من يصلُّ للعزاء من كبار البلدة وأعيانها ويقولون: بسم الله فلان الدين من كمال وجمال وشمس وبدر وغير ذلك، فإذا أتموا القراءة قام المؤذنون فيقولون: افتكروا واعتبروا صلاتكم على فلان الرجل الصالح العالم، ويصفونه بصفات من الخير ثم يصلون عليه ويذهبون به إلى مدفنه.

ولأهل الهند رتبة عجيبة في الجنائز أيضاً زائدة على ذلك وهي أنهم يجتمعون بروضة الميت صبيحة الثالث من دفنه، وتفرش الروضة بالثياب الرفيعة ويكسى القبر بالأكسية الفاخرة وتوضع حوله الرياحين من الورد والنسرين والياسمين وذلك النوار لا ينقطع عندهم، ويأتون بأشجار الليمون والأترج ويجعلون فيها حبوبها إن لم تكن فيها، ويُجْعَلُ صيوانٌ يظلل الناس نحوه ويأتي القضاة والأمراء ومن يماثلهم فيقعدون ويقابلهم القراء، ويؤتى بالربعات الكرام فيأخذ كل واحد منهم جزءاً فإذا تمت القراءة من القراء بالأصوات الحسان يدعو القاضي ويقوم قائماً ويخطب خطبة معدة لذلك، ويذكر فيها الميت ويرثيه بأبيات شعر ويذكر أقاربه ويعزيهم عنه ويذكر السلطان داعياً له، وعند ذكر السلطان يقوم الناس ويحيطون رؤوسهم إلى سمت الجهة التي بها السلطان، ثم يقعد القاضي ويأتون بماء الورد فيصب على الناس صباً يبدأ بالقاضي ثم من يليه كذلك إلى أن يعم الناس أجمعين، ثم يؤتى بأواني السكر وهو الجلاب محلولاً بالماء فيسقون الناس منه ويبدؤون بالقاضي ومن يليه ثم يؤتى بالتنبول وهم يعظّمونه ويكرمونه من يأتي لهم به، فإذا أعطى السلطان أحداً منه فهو أعظم من إعطاء الذهب والخلع. وإذا مات الميت لم يأكل أهله التنبول إلا في ذلك اليوم فيأخذ القاضي أو من يقوم مقامه أوراقاً منه فيعطيها لولي الميت فيأكلها وينصرفون حينئذ، وسيأتي ذكر التنبول إن شاء الله تعالى.

- ذكر سماعي بدمشق ومن أجازني من أهلها -

سمعت بجامع بني أمية - عمره الله بذكره - جميع «صحيح» الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي للبخاري رضي الله عنه على الشيخ المعمر رحلة

الآفاق ملحق الأصاغر بالأكابر شهاب الدين أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم بن حسن بن علي بن بيان الدين مقرئ الصالحي المعروف بابن الشحنة الحجازي في أربعة عشر مجلساً؛ أوّلها يوم الثلاثاء منتصف شهر رمضان المعظم سنة ست وعشرين وسبعمائة، وآخرها يوم الإثنين الثامن والعشرين منه بقراءة الإمام الحافظ مؤرخ الشام علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي الأصل الدمشقي في جماعة كبيرة كتب أسماءهم محمد بن طغريل بن عبد الله بن الغزال الصيرفي، بسماع الشيخ أبي العباس الحجازي لجميع الكتاب من الشيخ الإمام سراج الدين أبي عبد الله الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى بن علي بن المسيح بن عمران الربيعي البغدادي الزبيدي الحنبلي، في أواخر شوال وأوائل ذي القعدة من سنة ثلاثين وستمائة بالجامع المظفري بسفح جبل قاسيون ظاهر دمشق، وبإجازته في جميع الكتاب من الشيخين أبي الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن الخلف القطيعي المؤرخ، وعلي بن أبي بكر بن عبد الله بن رؤبة القلانسي العطار البغدادي.

ومن باب غيرة النساء ووجدهنّ إلى آخر الكتاب من أبي المنجا عبد الله بن عمر بن علي بن زيد بن اللتي الخزاعي البغدادي بسماع أربعتهم من الشيخ سديد الدين أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم السجزي الهروي الصوفي في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ببغداد قال: أخبرنا الإمام جمال الإسلام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ بن سهل بن الحكم الدوادي قراءةً عليه وأنا أسمع ببوشنج سنة خمس وستين وأربعمائة قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حوية بن يوسف بن أيمن السرخسي قراءةً عليه وأنا أسمع في صفر سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة قال: أخبرنا عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر بن إبراهيم الفربري قراءةً عليه وأنا أسمع سنة ست عشرة وثلاثمائة بفربر قال: أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه سنة ثمان وأربعين ومائتين بفربر، ومرة ثانية بعدها سنة ثلاث وخمسين.

وممن أجازني من أهل دمشق إجازة عامة الشيخ أبو العباس الحجازي المذكور سبق إلى ذلك وتلفظ لي به. ومنهم الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي ومولده في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين

وستمائة - ومنهم الشيخ الإمام الصالح عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن النجدي - ومنهم إمام الأئمة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزني الكلبي حافظ الحفاظ، ومنهم الشيخ الإمام علاء الدين علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعي، والشيخ الإمام الشريف محيي الدين يحيى بن محمد بن علي العلوي. ومنهم الشيخ الإمام المحدث مجد الدين القاسم بن عبد الله بن أبي عبد الله بن المعلى الدمشقي ومولده سنة أربع وخمسين وستمائة. ومنهم الشيخ الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن محمد الإسكندري. ومنهم الشيخ الإمام ولي الله تعالى شمس الدين بن عبد الله بن تمام، والشيخان الأخوان شمس الدين محمد وكمال الدين عبد الله ابنا إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي، والشيخ العابد شمس الدين محمد بن أبي الزهراء بن سالم الهكاري. والشيخة الصالحة أم محمد عائشة بنت محمد بن مسلم بن سلامة الحراني. والشيخة الصالحة رحلة الدنيا زينب بنت كمال الدين أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي.

كل هؤلاء أجازني إجازة عامة في سنة ست وعشرين بدمشق، ولما استهل شوال من السنة المذكورة خرج الركب الحجازي إلى خارج دمشق ونزلوا القرية المعروفة بالكسوة فأخذت في الحركة معهم، وكان أمير الركب سيف الدين الجوبان من كبار الأمراء وقاضيه شرف الدين الأذري الحوراني، وحج في تلك السنة مدرّس المالكية صدر الدين الغماري، وكان سفري مع طائفة من العرب تدعى العجارمة؛ أميرهم محمد بن رافع كبير القدر في الأمراء، وارتحلنا من الكسوة إلى قرية تعرف بالصنمين عظيمة، ثم ارتحلنا منها إلى بلدة زرعة وهي صغيرة من بلاد حوران نزلنا بالقرب منها، ثم ارتحلنا إلى مدينة بصرى وهي صغيرة، ومن عادة الركب أن يقيم بها أربعاً ليلحق بهم من تخلف بدمشق لقضاء مآربه، وإلى بصرى وصل رسول الله ﷺ قبل البعثة في تجارة خديجة، وبها مبرك ناقته قد بُني عليه مسجد عظيم، ويجتمع أهل حوران لهذه المدينة ويتزود الحاج منها ثم يرحلون إلى بركة زيرة (زيرا) وقيمون عليها يوماً ثم يرحلون إلى اللجون وبها الماء الجاري، ثم يرحلون إلى حصن الكرك وهو من أعجب الحصون وأمنعها وأشهرها ويسمى بحصن الغراب، والوادي يطيف به من جميع جهاته، وله باب واحد قد نحت المدخل إليه في الحجر الصلد ومدخل دهليزه كذلك، وبهذا الحصن يتحصن الملوك وإليه يلجؤون في النوائب وله لجأ الملك الناصر؛

لأنه ولي الملك وهو صغير السن فاستولى على التدبير مملوكه سلار النائب عنه فأظهر الملك الناصر أنه يريد الحج وواقفه الأمراء على ذلك فتوجه إلى الحج فلما وصل عقبه أيلة لجأ إلى الحصن وأقام به أعواماً إلى أن قصده أمراء الشام واجتمعت عليه المماليك وكان قد ولي الملك في تلك المدة بيبرس الششكير وهو أمير الطعام ويسمى (الملك المظفر)، وهو الذي بنى الخانقاه البيبرسية بمقربة من خانقاة سعيد السعداء التي بناها صلاح الدين بن أيوب، فقصده الملك الناصر بالعساكر ففر بيبرس إلى الصحراء فتبعته العساكر وقبض عليه وأُتي به إلى الملك الناصر فأمر بقتله فقتل وقبض على سلار وحبس في جُبٍّ حتى مات جوعاً. ويقال: إنه أكل جيفة من الجوع - نعوذ بالله من ذلك -.

وأقام الركب بخارج الكرك أربعة أيام بموضع يقال له: الثنية وتجهزوا لدخول البرية. ثم ارتحلنا إلى معان وهو آخر بلاد الشام ونزلنا من عقبه الصوان إلى الصحراء التي يقال فيها: (داخلها مفقود وخارجها مولود) وبعد مسيرة يومين نزلنا ذات حج وهي حسيان لا عمارة بها، ثم إلى وادي بلدح ولا ماء به، ثم إلى تبوك وهو الموضع الذي غزاه رسول الله ﷺ وفيها عين ماء كانت تبض بشيء من الماء فلما نزلها رسول الله ﷺ وتوضأ منها جادت بالماء المعين ولم يزل إلى هذا العهد ببركة رسول الله ﷺ.

ومن عادة حجاج الشام إذا وصلوا منزل تبوك أخذوا أسلحتهم وجردوا سيوفهم وحملوا على المنزل وضربوا النخيل بسيوفهم ويقولون: هكذا دخلها رسول الله ﷺ، وينزل الركب العظيم على هذه العين فيروى منها جميعهم ويقىمون أربعة أيام للراحة وإرواء الجمال واستعداد الماء للبرية المخوفة التي بين العلا وتبوك، ومن عادة السقائين أنهم ينزلون على جوانب هذه العين ولهم أحواض مصنوعة من جلود الجواميس كالصهاريج الضخام يسقون منها الجمال ويملؤون الروايا والقرب، ولكل أمير وكبير حوض يسقي منه جماله وجمال أصحابه ويملاً رواياهم، وسواهم من الناس يتفق مع السقائين على سقي جملة وملء قربته بشيء معلوم من الدراهم.

ثم يرحل الركب من تبوك ويجدّون السير ليلاً ونهاراً خوفاً من هذه البرية وفي وسطها الوادي الأخضر كأنه وادي جهنم - أعاذنا الله منها - وأصاب الحجاج به في بعض السنين مشقة بسبب ريح السموم التي تهب فانتشفت الماء وانتهت شربة

الماء إلى ألف دينار ومات مشتريها وبائعها، وكُتِبَ ذلك في بعض صخر الوادي، ومن هنالك ينزلون بركة المعظم وهي ضخمة نسبتها إلى الملك المعظم من أولاد أيوب، ويجتمع بها ماء المطر في بعض السنين وربما جف في بعضها، وفي الخامس من أيام رحيلهم عن تبوك يصلون إلى بئر الحِجْرِ حِجْرِ ثمود وهي كثيرة الماء ولكن لا يردها أحد من الناس مع شدة عطشهم اقتداء بفعل رسول الله ﷺ حين مر بها في غزوة تبوك فأسرع براحلته وأمر أن لا يسقي منها أحد، ومن عجن به أطعمه الجمال، وهنالك ديار ثمود في جبال من الصخر الأحمر منحوتة لها عتب منقوشة يظن رائيها أنها حديثة الصنعة، وعظامهم نَحْرَة في داخل تلك البيوت (إن في ذلك لعبرة) ومبرك ناقة صالح عليه السلام بين جبلين هنالك، وبينهما أثر مسجد يصلي الناس فيه، وبين الحجر والعلانصف يوم أو دونه، والعلان قرية كبيرة حسنة لها بساتين النخل والمياه المعينة يقيم بها الحجاج أربعاً يتزودون ويغسلون ثيابهم، ويدعون بها ما يكون عندهم من فضل زاد ويستصحبون قدر الكفاية، وأهل هذه القرية أصحاب أمانة وإليها ينتهي تجار نصارى الشام لا يتعدونها ويباعون الحجاج بها الزاد وسواه، ثم يرحل الركب من العلان فينزلون في غدر حيلهم الوادي المعروف بالعطاس؛ وهو شديد الحر تهب فيه السموم المهلكة، وقد هبت بعض السنين على الركب فلم يخلص منهم إلا اليسير، وتعرف تلك السنة (سنة الأمير الجالقي) ومنه ينزلون هدية وهي حسيان ماء بواد يحفرون به فيخرج الماء وهو زعاق، وفي اليوم الثالث ينزلون بظاهر البلد المقدس الكريم الشريف.



وصف دمشق وأهلها
من كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»
تأليف الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني
المتوفى سنة ١٠٤١هـ

قال الإمام الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني :
دمشق الشام ذات الحسن والبهاء والحياء والاحتشام ، والأدواح المتنوعة ،
والأرواح المتضوعة^(١) ، حيث المشاهد المكرّمة ، والمعاهد المحترمة ،
والغُوطَة العنّاء والحديقة ، والمكارم التي يُباري فيها المرء شأنه وصديقه ،
والأطلال الوَريفة والأفنان الوريقة ، والزهر الذي تخاله مَبْسِماً والتّدى ريقه ،
القُضبان المُلدُّ^(٢) ، التي تشوق رائحتها بجنته الخلد :

بحيث الروض وَصَّاحُ الشايَا أُنِيقُ الحِسن مَصْقُولُ الأديمِ

وهي المدينة المستولية على الطباع ، المعمورة البقاع ، بالفضل والرّباع :
تزيد على مر الزمان طلاوةً دِمَشْقُ التي راقت بحُلُو المشاربِ
لها في أقاليم البلاد مشارق مُنْرَهة أقمارها عن مغاربِ
ودخلتها أواخر شعبان المذكور^(٣) ، وحمدت الرحلة إليها وجعلها الله من
السعي المشكور :

وجدتُ بها ما يملأ العينَ قرّةً ويُسلي عن الأوطان كُلاًّ غريبِ

(١) الدوح : الشجر العظيم . الأرواح : جمع ربح ، المتضوعة : الرائحة العطرة .

(٢) الملد : الناعمة .

(٣) سنة ١٠٣٩هـ .

وشاهدت بعض مغانيها الحسنة ، ومبانيها المستحسنة .

نزلنا بها نَتْوِي المقامَ ثلاثةً فطابت لنا حتى أقمنا بها شهرا
ورأينا من محاسنها ما لا يستوفيه من تأتق في الخطاب ، وأطال في الوصف
وأطاب ، وإن ملاً من البلاغة الوطاب^(١) ، كما قلت :

محناسنُ الشامِ أجلى من أن تحاط بحسداً
لولا حمى الشرع قلنا ولم نقف عند حد
كانها معجزات مقرونة بالتحدي
فالجامع الجامع للبدائع يُبهر الفكر ، والغوطة المنوطة بالحسن تسحر الأبواب
لا سيما إذا حياها النسيم وابتكر :

أحب الحمى من أجل من سكن الحمى حديثٌ حديثٌ في الهوى وقديمٌ
فلله مرآها الجميل الجليل ، وبيوتها التي لم تخرج عن عروض الخليل^(٢) ،
ومخبرها الذي هو على فضلها وفضل أهلها أدل دليل ، ومنظرها الذي يتقلب
البصر عن بهجته وهو كليل^(٣) :

والروض قد راق العيونَ بحلّة
وعلى غصون الدّوح خُضِرُ غلائل
قد حاكها بسحابه أذار
والزهرفي أكامه أزرار
فكم لها من حسن ظاهر وكامن ، كما قلت موثقاً للبيت الثامن :

أما دمشق فجنّة
هي بهجة الدنيا التي
لعبت بأبواب الخلائق
لله منها الصالحية
منها بديع الحسن فائق
والغوطة الغناء حيّت
فاخرت بذوي الحقائق
والنهر صافٍ والنسيم
بالورود وبالشقائق
واللذن لأشواق سائق^(٤)
والطير بالعيدان^(٥) أبدت
في الغنا أحلى الطرائق

(١) الوطاب : سقاء اللبن (لسان العرب) .

(٢) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العالم اللغوي النحوي المتوفى سنة ١٧٠ هـ .

(٣) الكليل : الضعيف .

(٤) اللدن : اللين .

(٥) العيدان : الأغصان .

ولآلئ الأزهـار حلّت
ومرآود^(١) الأمطار قد
لا زال مغناها مصو

جيد غصن فهو رائق
كجالت بها حدق الحدائق
نأ أمنأ كل البوائق

وكما قلت مرتجلاً أيضاً مضمناً الرابع والخامس:

دمشق راققت زوآء^(٢)
فيها نسيماً عليلاً
وغُوطاً كعروسٍ
يا حُسنها من رياضٍ
كالزهر زهراً وعنـها
والجامعُ الفُردُ منها
وحاصلُ القول فيها
تذكيرها من رأها
دامت تفوق سواها

وبهجةً وغمّارةً
صحّ فوافقت بشاره
تُزهى بأعجب شاره^(٣)
مثل النضار نضاره^(٤)
عزف العبير عباره
أعلى الإله مناره
لمن أراد اختصاره
عذناً وحسبي إشاره
إنّ الة وإناره

وكما ارتجلت فيها أيضاً:

قال لي ما تقول في الشام حبرٌ
قلت ماذا أقول في وصف قُطرٍ

كلما لاح بارقُ الحسن شامة^(٥)
هو في وجنة المحاسن شامه

وقلت أيضاً:

قال لي صف دمشق مؤلّي رئيسٍ
قلت كَلّ اللسان في وصف قُطرٍ

جمّل الله خلّقه واحتشامه
هو في وجنة البسيطة شامه

وقلت أيضاً:

وإذا وصفت محاسن الدنيا فلا
بلدٌ إذا أرسلت طرّفك نحوه

تبدأ بغير دمشق فيها أولاً
لم تلق إلا جنةً أو جدولا

(١) المرآود: جمع مرود ، وهو ميل يكتحل به (اللسان).

(٢) الرواء: حسن المنظر.

(٣) الشارة: الهيئة.

(٤) النضار: الذهب.

(٥) شامه: نظر إليه.

ذا وصفٌ بعضِ صفاتِها وهي التي يَعْيَا البليغ وإن جاد وطوَّلا
والغاية في هذا الباب من الوصف لبعض محاسنها الفاتنة الألباب ، قولُ
أبي الوَحْش سبع ابن خلف الأسدي^(١) يصف أرضها المشرقة ، ورياضها
المورقة ، ونسيمها العليل ، وزهرها البليل^(٢) :

سقى دمشق الشام غيثٌ مُمرِعٌ^(٣) من مستهلِّ ديمة^(٤) دَفَاقِهَا
مدينة ليس يُصَاهِي حَسْنَهَا في سائر الدنيا ولا آفَاقِهَا
تود زوراء^(٥) العراق أنها تُعْزَى إليها لا إلى عراقها
فأرضها مثل السماء بهجةً وزهرها كالزهر في إشراقها
نسيم رَيًّا روضها مَتَى سَرَى فكَّ أخوا الهموم من وثاقِهَا
قد رَبَعَ الربيع في ربوعها وسيقت الدنيا إلى أسواقها
لا تسأمُ العيونُ والأنوفُ من رؤيتها يوماً ولا انتشاقها^(٦)
وقول شمس الدين الأسدي الطيبي :

إذ ذُكِرَتْ بقاعُ الأرض يوماً وقل في وصفها لا في سواها
بها ماشئت من دينٍ ودنيا

وكانَّ لسان الدين ذا الوزارتين ابن الخطيب ، عَنَّاها بقوله المصيب :

بلدٌ تحفُّ به الرياضُ كأنه وجهٌ جميلٌ والرياض عِذارُه^(٧)
وكانما واديه مِعْصَمٌ غادٍ ومن الجُسُور المحكمات سِوَاؤُهُ

وكنت قبل رحلتي إليها ، ووفادتي عليها ، كثيراً ما أسمع عن أهلها زاد الله
في ارتقائهم ، ما يشوقني إلى رؤيتها ولقائهم ، ويُسِّقني على البعد أريج الأدب
الفائق من تلقائهم ، حتى لقيت بمكة المعظمة ، أوحَدَ كبرائها الذين فرائدهم

(١) انظر وفيات الأعيان ٣/ ١٢٤ .

(٢) الأبيات في رحلة ابن بطوطة ص ٨٦ .

(٣) ممرع : مخصب .

(٤) الديمة : الغيمة الممطرة .

(٥) الزوراء : الجانب الشرقي لبغداد .

(٦) الانتشاق : الشم .

(٧) العذار : الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية .

بِلَبَّة^(١) الدهر منظمة ، عين الأعيان ، وصدر أرباب التفسير بها والبيان . صاحب القلم الذي طَبَّقَ الْكَلِمَى والمفاصل ، والفتاوى التي حكمها بين الحق والباطل فاصل ، والتأليف التي وَصَفَهَا بالإجادة من باب تحصيل الحاصل ، وارث العلم عن غير كَلَالَةٍ ، ذو الحسب المُشْرِقُ بِدُرِّهِ في سماء الجلالة ، صاحب المعارف التي زانت خِلاله ، وساحب أذيال العَوَارِفِ التي أبانت عن فضله دَلَالَةً ، مفتي السلطان في تلك الأوطان ، على مذهب الإمام النعمان ، مولانا الشيخ عبد الرحمن ، ابن شيخ الإسلام عماد الدين^(٢) لا زال سالكاً سبيل المهتدين ! فكان جَمَلُ الله به عصراً وأواناً ، لقضية هذا القياس عنواناً ، فلما حَلَلْتُ بدارهم ، ورأيت ما أذهلني من سَبَقِهِم للفضل وبِدَارِهِم ، صَدَقَ الْخُبْرُ الْخَبِيرَ ، وتمثلت فيهم بقول بعض من غَبَّرَ :

أَلَمْتُ بنا أوصافهم فامتألاً الفضا عَيْراً وأضحى نُورُهُ متألَّقاً
وقد كان هذا من سماع حديثهم بلاغاً فصَحَّ النَّقْلُ إذ حصل اللَّقَا
وقابلوني أسماهم^(٣) الله بالاحتفال والاحتفاء ، وعرفني بديع برهم فَنَّ
الاكتفاء :

غمرتني المكارم العُرُّ منهم وتوالت عليَّ منها فنونُ
شَرَطُ إحسانهم تحقَّقَ عندي لَيْتَ شعري الجزاء كيف يكونُ
وقابلوني بالقَبولِ مُغْضِينَ عن جهلي :

وما زال بي إحسانُهُم وجميلُهُم وبرَّهُم حتى حسبتُهُم أهلي
بل الأولى أن أتمثل فيهم بما هو أبلغ من هذا المقول في آل المهلب ، وهو قول بعض مَنْ نزلَ بقوم يَزِقُّ قَصْدَهُم غير خُلْب^(٤) ، في زمن به تقلَّبَ :
ولمانزلنا في ظلال بُيُوتِهِم أَمِنَّا ونلنا الخِصْبَ في زمن المَحَلِّ
ولو لم يَزِدْ إحسانُهُم وجميلُهُم على البر من أهلي حسبتُهُم أهلي

(١) اللبة: وسط الصدر ، ولبة القلادة: واسطتها (لسان العرب).

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن محمد العمادي ، مفتي دمشق توفي سنة ١٠٥١ (خلاصة الأثر ٣٨٠/٢).

(٣) أسماهم الله: أي رفعهم الله.

(٤) خلب: سحاب يلمع برقه ولا مطر فيه.

لا سيما المولى الذي أمداحه تُحلي أجياد الطُروس العاطلة^(١) ، وسمّاهُ
 يخجل أنواء الغيوث الهاطلة ، صدر الأكاير الأعظم ، الحائر قصب السبق في
 ميدان الإجادة بشهادة كل نائر وناظم ، الصديق الذي بوّده أعتبط ، والصدوق
 الذي بأسباب عهده أرتبط ، الأوحد الذي ضربت البراعة رواقها بناديه ، والماجد
 الذي لم يزل بديع البلاغة من كتب يناديه ، السري الحائر من الخلال ما أبان
 تفضيله ، اللوذعي الذي لم تزل أوصافه تحكم له بالسؤدد وتقضي له ، والحق
 أبلج لا يحتاج إلى زيادة براهين ، الأجل المولى أحمد أفندي بن شاهين^(٢) ،
 لا زالت العزة مقيمة بوآديه ، ولا برحت حضرة جامعة لبواطن الفخر وبوآديه ،
 والسعد يراوح مقامه وبغآديه ، والمجد يترّم بذكره حاديه ، فكم له أسماء الله
 ولغيره من أعيان دمشق لدي من أيادٍ ، يعجز عن الإبانة عنها لو أراد وصفها قس
 إياد^(٣) ، ولو تعرّضت لأسمائهم وحلّاهم ، أدام الله تعالى سؤدهم وعلاهم!
 لضاق عن ذلك هذا النطاق ، وكان من شبه التكليف بما لا يُطاق ، فليت شعري
 بأي أسلوب أؤدي بعض حقهم المطلوب؟ أم بأي لسان أثنى على مزايهم
 الحسان؟ وما عسى أن أقول في قوم نسقوا الفضائل ولاءً ، وتعاطوا أكواب
 المحامد ملاء^(٤)؟ وسحبوا من المجد مطارف وملاء^(٥) ، وحازوا المكارم ،
 وبدّوا الموادد والمصارم^(٦) ، سؤدداً وعلاءً؟

فما رياضُ زهر الربيع إذا بدت في وشيها البديع
 ضاحكة عن شنب الأقاح عند سُفور طلعة الصباح
 غنى بها مطوق الحمام وصافحتها راحة الغمام
 وبأكرتها نسمة من الصبا فأصبحت كأنها عهد الصبا
 نضارة وروثقا وبهجة تُفدى بكل ناظر ومُهجة

(١) الطروس: جمع طرس وهو الصحيفة. وعاطلة: التي ليس عليها حلي.

(٢) أحمد بن شاهين: شاعر الشام وأديبها في عصره ، مدرس الجقمقية ، وهو الذي أنزل
 المقرئ في مدرسته المذكورة ، واحتفل به ، توفي سنة ١٠٥٣هـ (خلاصة الأثر ٢٠/١).

(٣) خطيب العرب في الجاهلية ، من قبيلة إياد (بكسر الهمزة).

(٤) أي: مملوءة.

(٥) المطارف: جمع مطرف: رداء من خز ، الثلاء: ثوب يلبس على الفخذين.

(٦) بذوا: غلبوا. المصارم: صرم: ودّ. والموادد: الودود المحب.

أَطِيبُ مَنْ ثَنَائِهِمْ عَبِيرًا بَيْنَ الْوَرَى فِاسَأَلُ بِهِ خَيْرًا
دَامَتْ مَعَالِيَهُمْ عَلَى طَوْلِ الزَّمَنِ يُرَوَى حَدِيثُ الْفَضْلِ عَنْهَا عَنْ حَسَنِ
وَثَابَتْ وَقِرَّةٌ وَسَعْدٌ وَأُسْعِفُوا بِنَيْلِ كُلِّ وَعْدٍ

فهم الذين نوهوا بقدري الخامل ، وظنوا مع نقصي أن بحر معرفتي وافر
كامل ، حسبما اقتضاه طبعهم العالي .

فَلَوْ شَرَيْتُ بِعُمْرِي سَاعَةً ذَهَبَتْ مِنْ عَيْشَتِي مَعَهُمْ مَا كَانَ بِالْغَالِي
فَمُتَعَيْنَ حَقَّهُمْ لَا يُتْرَكُ ، وَحُبُّهُمْ لَا يَخَالطُ بغيره وَلَا يُشْرِكُ ، وَإِنْ أَطَلْتُ
الوصف فالغاية في ذلك لا تدرك .

يَزْدَادُ فِي مَسْمَعِي تَرْدَادُ ذِكْرِهِمْ طَيِّبًا وَيَحْسُنُ فِي عَيْنِي مُكَرَّرُهُ

وإذا كان المديح الصادق لا يزيدهم رفعة قدر ، فهم كما قال الأعرابي الذي
صَلَّتْ نَاقَتُهُ فِي مَدْحِ الْبَدْرِ ، وَالْبَلِيغُ وَذُو الْحَصْرِ^(١) فِي ذَلِكَ سَيِّئَانِ ، وَالْحَقُّ
أَبْلَجُ^(٢) وَالْبَاطِلُ لَجْلَجُ^(٣) ، وَلَيْسَ الْخَبْرُ كَالْعِيَانِ^(٤) :

هَبِ الرَّوْضَ لَا يُثْنِي عَلَى الْغَيْثِ نَشْرُهُ أَتَحْسَبُهُ تَخْفَى مَآثِرُهُ الْحُسْنَى
وقد تذكرت بلادي النائية ، بذلك المرأى الشامي الذي يبهّر رائيه ، فما شئت
من أنهار ذات انسجام ، أترعّ فيها من جزيال الأنس جام^(٥) ، وأزهار متوجة
للأدواح ، مُرَوِّحَةٌ لِلنَّفُوسِ بِعَاطِرِ الْأَرْوَاحِ ، وَحَدَائِقُ تَغْشَى أَنْوَارُهَا الْأَحْدَاقُ ،
وعينها للخبر عنها مضدّق وأي مضدّق :

فَهِيَ الَّتِي ضَحِكَ النَّهَارُ صَبَاحُهَا وَبَكَتْ عَشِيَّتُهَا عَيُونُ النَّرْجِسِ
وَاحْضَرَّ جَانِبُ نَهْرِهَا فَكَأَنَّهُ سَيْفٌ يُسَلُّ وَغِمْدُهُ مِنْ سُندُسٍ

وجنان ، أفنانها في الحسن ذوات أفنان :

صَافَحَتْهَا الرِّيحُ فَاعْتَنَقَ السَّرُّ وَ^(٦) وَمَالَتْ طَوَالَهُ لِلْقِصَارِ

(١) ذو الحصر: العبي الذي لا يستطيع الإبانة عن مراده .

(٢) أبلج: واضح .

(٣) لجلج: غير واضح .

(٤) العيان: الرؤية الواضحة .

(٥) الجريال: الخمر . الجام: الكأس .

(٦) السرو: شجر لا ثمر له .

لائذُ بعضُهُ ببعضٍ كقومٍ في عتابٍ مُكرّرٍ واعتذارٍ
 وبِطاحٍ راقٍ سَنَاهَا ، وَكَمَّلَ حَسْنَهَا وَتَنَاهَى ، كما قلت مضمناً في ذلك
 المنحى ، لقول بعض من نال في البلاغة مُنَى وَمِنَحَا :

دِمَشَقٌ لَا يُقَاسُ بِهَا سِوَاهَا وَيَمْتَنَعُ الْقِيَاسُ مَعَ النَّصُوصِ
 حُلَاهَا رَاقَتِ الْأَبْصَارَ حَسَنًا عَلَى حَكْمِ الْعُمُومِ أَوْ الْخُصُوصِ
 بِسَاطٍ زَمَرِدٍ نَثَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْيَاقُوتِ أَلْوَانِ الْفُصُوصِ

ولله در القائل ، في وصف تلك الفضائل :

إِنْ تَكُنْ جَنَّةَ الْخُلُودِ بِأَرْضٍ فِدِمَشَقٌ ، وَلَا يَكُونُ سِوَاهَا
 أَوْ تَكُنْ فِي السَّمَاءِ فَهِيَ عَلَيْهَا قَدِ أَمَدَّتْ هَوَاءَهَا وَهَوَاهَا
 بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَاعْتَمَمَهَا عَشِيَّةٌ أَوْ ضَحَاهَا

وعند رؤيتي لتلك الأقطار الجليلة الأوصاف العظيمة الأخطار^(١) ، تفاءلتُ
 بالعود إلى أوطان لي بها أوطار^(٢) ، إذ التشابه بينهما قريب في الأنهار والأزهار ،
 ذات العرف المِعْطَار^(٣) ، وزادت هذه بالتقديس الذي هَمَعَتْ^(٤) عليها منه
 الأمطار ، وتمثلت بقول الأصفهاني ، وإن غيرتُ سيراً منه لما أسفرت وجوه التهاني :

لَمَّا وَرَدْتُ الصَّالِحِيَّةَ حَيْثُ مُجْتَمَعُ الرِّفَاقِ
 وَشَمِمْتُ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ م نَسِيمِ أَنْفَاسِ الْعِرَاقِ
 أَيْقَنْتُ لِي وَلِمَنْ أَحَبُّ بِجَمْعِ شَمَلٍ وَأَتَّفَاقِ
 وَضَحَكْتُ مِنْ فَرَحِ اللَّقَا ء كَمَا بَكَيْتُ مِنَ الْفِرَاقِ
 لَمْ يَيْتَقَ لِي إِلَّا تَجَشُّمٌ أَزْمِنَ السَّفَرِ الْبِوَاقِي
 حَتَّى يَطُولَ حَدِيثُنَا بِصَفَاتِ مَا كُنَّا نَلَاقِي

وكنت قبل حلولي بالبقاع الشامية مولعاً بالوطن لا سواه ، فصار القلب بعد
 ذلك مُقَسِّمًا بهواه :

وَلِي بِالْحِمَى أَهْلٌ وَبِالشَّعْبِ جِيرَةٌ وَفِي حَاجِزِ خِلٍّ وَفِي الْمُنْحَنِ صَحْبٌ

(١) جمع خطر وهو علو القدر.

(٢) أوطار: حاجات.

(٣) الرائحة الطيبة الكثيرة.

(٤) همعت: سالت.

تَقَسَّمَ ذَا الْقَلْبِ الْمَتِيمُ بَيْنَهُمْ سَأَلْتَكُمْ بِاللَّهِ هَلْ يُقَسَّمُ الْقَلْبُ^(١)

فيا لك من صَبِّ مُرَاعٍ لِلذَّمَامِ ، منقاد لشوقه بزمام ، يخيل له أنه سمع صَوْتِ
قيانٍ ، بقول الأول:

إلى الله أشكو بالمدينة حاجةً وبالشام أُخْرِى كيف يلتقيان
وفردٍ تعددت جموعه ، ووشت بما أكتت ضلوعه دموعه ، فأنشد وقد تحير ،
ما بدّل فيه من عظم ما به وغير:

كتمت شأن الهوى يوم النوى فَوَشَى بسره من جُفُونِي أَيُّ نَمَامِ
كانت لِيَالِيٍّ بِيضاً فِي دَنَوِهِمْ فلا تَسَلْ بعدهم عن حال أيامي
ضُنَيْتُ وَجَدًا بِهِمْ وَالنَّاسُ تَحْسَبُ بِي سَقَمًا فَأَبْهَمُ حَالِي عِنْدَ لُؤَامِي
وليس أَضْلُ ضَنَى جَسْمِي النَحِيلِ سَوَى فزِطِ اسْتِيَاقِي لِأَهْلِ الْغَرْبِ وَالشَّامِ

وحصل التحير ، حيث لم يمكن الجمع ولا الخلو عند التخير ، كما قال ابن
دقيق العيد^(٢) ، في مثل هذا الغرض البعيد:

إِذَا كُنْتُ فِي بَنَجِدٍ وَطَيْبٍ نَعِيمِهِ تَذَكَّرْتُ أَهْلِي بِاللَّوَى فَمُحَسَّرِ
وَإِنْ كُنْتُ فِيهِمْ زِدْتُ شَوْقًا وَلَوْعَةً إِلَى سَاكِنِي نَجِدٍ وَعَيْلٍ تَصْبُرِي^(٣)
فَقَدْ طَالَ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مَوْقِفِي فَمَنْ لِي بِنَجِدٍ بَيْنَ أَهْلِي وَمَعَشَرِي

وبالجملة فالاعتراف بالحق فريضة ، ومحاسن الشام وأهله طويلة عريضة ،
ورياضه بالمفاخر والكمالات أريضة^(٤) ، وهو مقرّ الأولياء والأنبياء ، ولا يجهل
فضله إلا الأغمار الأغبياء^(٥) ، الذين قلوبهم مريضة:

أَتَى يَرَى الشَّمْسَ خُفَاشٌ يَلَا حِظَّهَا وَالشَّمْسُ تُبْهِرُ أَبْصَارَ الْخُفَافِيشِ؟
ولله در من قال في مثل هذا من الأرضياء:

وَهَبْنِي قَلْتِ هَذَا الصَّبْحُ لَيْلٌ أَيُعْمَى الْعَالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ

(١) القلب المتيم: الذي ذله الحب وقهره.

(٢) ابن دقيق العيد: محمد بن علي القشيري ، شيخ الإسلام توفي بالقاهرة سنة ٧٠٢ هـ.

(٣) عيل: ضعف وغلب.

(٤) الرياض الأريضة: الكثيرة العشب المعجبة للعين.

(٥) الغمر: الذي لم يجرب الأمور ، الجاهل.

وقال آخر فيمن عن الحق ينفر :

إذا لم يكن للمرء عَيْنٌ بصيرةٌ فلا غَرَوَ أن يرتابَ والصُّبْحُ مُسْفِرٌ
وحَسْبُ الفاضل اللبيب ، أن يروي قول بدر بن حبيب^(١) :

عَرَّجُ إذا ما شِمَّتْ برق الشَّامِ وَحَيَّ أَهْلَ الحَيِّ وَأَقْرَ السَّلَامِ
وَأَنْزَلَ بِإِقْلِيمِ جَزِيلِ الحَيَا بَارَكَ فِيهِ اللهُ رَبُّ الأَنْبَامِ
العز والنصر لديه ، وَمَا لِعُرْوَةِ الإسلامِ عَنْهُ انْفِصَامُ^(٢)
من أولياء الله كم قد حَوَى رُكْنًا بِمَرَاهِ يَطِيبُ المُقَامِ
وَهُوَ مَقَرُّ الأنبياءِ الألى والأصْفِيَاءِ الأتقياءِ الكرامِ
كم من شهيد في حِمَاهِ وكم مِنْ عَالِمٍ فَزِدْ وَكَمْ مِنْ إِمَامِ

ولذلك اعتنت الجهابذة بتخليد أخباره في الدواوين ، وابتنت الأساتذة بيوت
افتخاره المنيفة الأواوين ، وتناقلت أنباءه البديعة ألسن الراوين ، وهامت بأماكنه
المريعة هداة الشريعة فضلاً عن الشعراء الغاوين ، ومع ذلك فهم في التعبير عن
عجائبه غير متساوين ، أولا يرى أنهم يأتون من مقولهم ، على قدر رأيهم
وعقولهم ، ولم يبلغ جمع منهم ما كانوا له ناوين :

على قدرك الصَّهْبَاءُ^(٣) تُؤَلِّيك نَشْوَةً بِهَا سِيءٌ أَعْدَاءٌ وَسُرَّ صَحَابُ
ولو أنها تُعْطِيك منها بقدرها لَصَاقَتْ بِكَ الأَكْوَانُ وَهَيَّ رِحَابُ

وكننا في خلال الإقامة بدمشق المحوطة ، وأثناء التأمل في محاسن الجامع
والمنازل والقصور والعموطة ، كثيراً ما ننظم في سلك المذاكرة درر الأخبار
الملقوطة ، ونتفياً من ظلال التبيان مع أولئك الأعيان في مجالس مَعْبُوطَةٍ ،
نتجاذب فيها أهداب الآداب ، ونشرب من سلسال الاسترسال ونتهادى لُبَابِ
الألباب ، ونمدّ بساط الانبساط ونسدل أطناب الإطناب ، ونقضي أوطار الأقطار ،
ونستدعي أعلام الأعلام ، فينجزُّ بنا الكلام والحديث شجون ، وبالتفنن يبلغ
المستفيدون ما يرجون ، إلى ذكر البلاد الأندلسية ، ووصف رياضها السندسية ،

(١) هو الحسن بن حبيب الحلبي ولد بدمشق وتوفي بحلب سنة ٧٧٩هـ ، أديب مشهور
(الدرر الكامنة ٢/٢٩).

(٢) أي : أنها باقية على قوتها لا انقطاع لها .

(٣) الصهباء : الخمر .

التي هي بالحسن مَنُوطَة ، وقضاياها الموجهة التي لا يستوفيه المنطق مع أنها ضرورية وممكنة ومشروطة ، والفِطْر السليمة ، والأفهام المستقيمة ، بتسليم براهينها قاضية لا سيما إن كانت بالإنصاف مربوطة ، فصِرْتُ أوردُ من بدائع بُلغائها ما يجري على لساني من الفيض الرحماني ، وأسْرُدُ من كلام وزيرها لسان الدين ابن الخطيب السِّلْماني ، صب الله عليه شأيب رحماه وبلغه من رضوانه الأماني ، ما تُثِيرُه المناسبة وتقتضيه ، وتميل إليه الطباع السليمة وترتضيه ، من النظم الجَزَل ، في الجدِّ والهزل ، والإنشاء الذي يدعس به ذاكِرُهُ الألباب إن شاء ، وتصرفه في فنون البلاغة حالي الولاية والعزل ، إذ هو - أعني لسان الدين - فارس النظم والنثر في ذلك العصر ، والمنفرد بالسبق في تلك الميادين بأداة الحصر ، وكيف لا ونظمه لم تستولِ على مثله أيدي الهُصْر^(١) ، ونثره تُزري صورته بالخريدة ودُمِيَّة القصر^(٢) .

فلما تكرر ذلك غَيْرَ مرة على أسماعهم ، لهَجُوا به دون غيره حتى صار كأنه كلمة إجماعهم ، وعَلِقَ بقلوبهم وأضحى منتهى مطلوبهم ومُنِيَّة آمالهم وأطماعهم ، وصاروا يقطفون بيد الرغبة فنونه ، ويعترفون ببراعته ويستحسنونه ، ويستشقون من أزهاره كلَّ ذاكِ ، فطلب مني المولى أحمد الشاهيني إذ ذاكِ ، وهو الماجد المذكور ، ذو السعي المشكور ، أن أتصدَّى للتعريف بلسان الدين في مُصَنَّف يُعرب عن بعض أحواله وأنبائه ، وبدائعه وصنائه ووقائعه مع ملوك عصره وعلمائه وأدبائه ، ومفآخره التي قُلِّد بها جيدُ الزمان ولَبَّيْته^(٣) ، ومآثره التي أَرَجَ بها^(٤) مَسْرَى الشَّمال وهَبَّيْته ، وبعض ماله من النَّثَار والنظام ، والمؤلفات الكبار العظام ، الرائقة للأبصار ، الفائقة على كلام كثير من أهل الأمصار ، السائرة مسير القمر والشمس ، المعقود عليها بالخناصر بل الخمس ، كي ما يكون ذلك لهذه الأغراض مشيعاً ، ويخلع على مطالعه بهذه البلاد المشرقية من أغراضه البديعة ومنازعه وشيعاً^(٥) .

(١) الهصر: الكسر .

(٢) إشارة إلى كتابي «خريدة القصر» و«دمية القصر» .

(٣) اللبة: موضع القلادة من الصدر .

(٤) أَرَجَ: فاح .

(٥) الوشيع: علم يكون للثوب .

فأجبتة أسمى الله قدره الكبير ، وأدام عَزَفَ فضائله المُزرى بالعنبر والعبير^(١) .

ثم يقول: إني لما تكرر عليّ في هذا الغرض الإلحاح ، ولم تقبل أعداري التي زَنَدُهَا شَحَاح^(٢) ، عزمْتُ على الإجابة لما للمذكور عَلَيَّ من الحقوق ، وكيف أقابل بَرّه حفظه الله بالعقوق؟ وهو الذي يَرَوِي من أحاديث الفضل الحسان والصحاح ، فَوَعَدْتَهُ بالشروع في المطلب عند الوصول إلى القاهرة المعزية ، وأزمنت السَّيْرَ عن دمشق المعروفة المَزِيَّة ، وأبسنى السفر منها من الخلع زِيَّه ، وَرَحَلْنَا عن تلك الأرجاء المتألقة ، والقلوبُ بها وبمن فيها متعلقة :

حللنا دياراً للغرام سَرَتْ بِهَا إِلَيْنَا صبا نجدٍ بطيبِ نسيمِ
وَبَانَ رَدَا الأشجانِ لما تجادَبَتْ أَكْفُ المنى فيها رِداءِ نعيمِ
فما أنشبتنا العيسُ أن قَدَفَتْ بنا إلى فُرْقَةٍ والعهدُ غَيْرُ قديمِ
فإنْ نَكُ ودَعَا الديارِ وأهلَهَا فما عهدُ نجدٍ عندنا بِذَمِيمِ

فخرج معنا - أسماء الله مع جملة من الأعيان - إلى دَارِيَا ، المضاهية لِدَارِيَنَ في رِيَاها وحبذا رِيَا ، فألفيناها :

رِيَا من الأنداء طَيِّبَةٌ لَهَا القَدْرُ الجَلِيلُ
تُهْدِي لنا أَرْجَاؤَهَا أَرْجَاً من الرُّهْرِ البَلِيلُ
وبهَا الغُصُونُ تمايَلَتْ مَيْلَ الخليلِ على الخليلِ

ووصلنا عند الظَّهيرة ، وَسَرَّخْنَا العيونَ في محاسنها الشهيرة :

مَنْزِلٌ كالرَّيِّعِ حَلَّتْ عليه حَالِيَاتُ السَّحَابِ عَقَدَ التَّطَاقِ
يُمْتِعُ العَيْنَ من طرائقِ حُسْنِ تَتَجَافَى بها عن الإطراقِ

وقلنا بها ، لما نزلنا بجانبها :

وَبَشْنَا والسرورُ لنا نَدِيمٌ وَمَاءُ عيونِهِ الصَّافِي مُدَامٌ
يُسَايِرُهُ النسيمُ إذا تَغَنَّثْ حَمَائِمُهُ وَيَسْقِيهِ الغَمَامُ

(١) يعد هذا الكلام اعتذاراً من المؤلف عن الكتابة عن لسان الدين ابن الخطيب ثم إصراراً من ابن شاهين وعدم قبول الاعتذار ثم إجابة المؤلف .

(٢) الزند: العود الذي تقدح به النار، والشحاح: الزند الذي لا يخرج النار.

فيا لك من ليلة أُرَبَّتْ^(١) في طيّب النَفْحِ ، على ليلة الشَّرِيفِ الرُّضِيِّ
بِالسَّفْحِ^(٢) :

ونحنُ في رَوْضَةٍ مُقَوِّفَةٍ قد وُشِّيتْ بِالْغَمَائِمِ الْوُكُفِ
نُغْفِي عَلَى زَهْرَهَا فَيُوقِظُنَا وَهِنَا هَدِيرُ الْحَمَائِمِ الْهَتْفِ
وَدَوْحُهَا مِنْ نِدَائِهِ فِي وُشْحِ وَمِنْ لَالِي الْأَزْهَارِ فِي سُتْفِ
وَالْغُصْنِ مِنْ فَوْقِهِ حَمَامَتَهُ كَأَنَّهَا هَمْزَةٌ عَلَى أَلْفِ

وما أقرب قول الوزير ابن عمار^(٣) من وصف ذلك المضمار ، الجامع

للأقمار :

يَا لَيْلَةَ بِنْتَنَا بِهَا فِي ظِلِّ أكنافِ النَّعِيمِ
مَنْ فَوْقَ أَكْمَامِ الرِّيَا ضِ وَتَحْتِ أَذْيَالِ النَّسِيمِ

وناهيك بِمَحَلِّ قَرَبٍ مِنْ دَمَشْقِ الْغَزَاءِ ، فخلعت عليه حلل الحُبُورِ والسَّراءِ ،
وأمدته بضيائها ، وأودعته برق حَيَاها^(٤) وماء حياؤها ، فصار ناضراً الدَّوْحَاتِ ،
عاطر الغدوات والرَّوْحَاتِ ، مُوْنِقِ الْأَنْفَاسِ وَالنَّفْحَاتِ ، مُشْرِقِ الْأَسِيرَةِ
وَالصَّفْحَاتِ ، هذا والقلوبُ من الفراقِ فِي قَلْقٍ ، ولسانُ الحالِ ينشد :

وَبِي عَلاَقَةٍ وَجِدٍ لَيْسَ يَعْلَمُهَا إِلَّا الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقِ
ويحث على انتهاز فرصة اللقاء إذ هي غنيمة ، ويذكر بقول من قال وأكفُّ
الدهر موقظة ومُنِيمة^(٥) :

تَمَّتْ بِالرُّقَادِ عَلَى شِمَالِ فَسَوْفَ يَطُولُ نَوْمُكَ بِالْيَمِينِ
وَمَتَّعَ مَنْ يُحِبُّكَ بِاجْتِمَاعِ فَأَنْتَ مِنَ الْفِرَاقِ عَلَى يَقِينِ

ثم حضر بعد تلك الليلة موقف الوداع ، والكل ما بين واجم وبالك وداع ،

(١) أُرَبَّتْ : زادت .

(٢) يشير إلى بيتي الشريف الرضي :

يا ليلة السفح ألا عدت ثانية سقى زمانك هطالاً من الديم
ماض من العيش لو يفدى بذلت له كرائم المال من خيل ومن نعم
(٣) الوزير أبو بكر محمد بن عمار الشبلي : شاعر مشهور قتله المعتمد بن عباد سنة ٤٧٧ هـ
بإشبيلية .

(٤) الحيا : بالفتح المطر .

(٥) البيتان لابن الخياط .

فتمثلت بقول مَنْ قَلْبِهِ لِفِرَاقِ الْأَحْبَابِ فِي انْصِدَاعٍ:

وَدَعَّتْهُمُ وَدُمُوعِي فَاسْتَكْثَرُوا دَمْعَ عَيْنِي
عَلَى الْخُدُودِ غِرَازًا لَمَّا اسْتَقَلُّوا وَسَارُوا

وقول آخر:

يَا وَخْشَةً مِنْ جِيرَةٍ قَدْ نَأَوَا حَكَتْ دُمُوعِي الْبَحْرَ مِنْ بُعْدِهِمْ
عُلُوُّ قَدْرِي فِي الْهَوَى انْحَطًّا لَمَّا رَأَتْ مِنْزَلَهُمْ شَطًّا

وَحَقُّ لِي أَنْ أَمَثَلَ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِ الْفَزَارِيِّ:

لَا تَسَلَّنِي عَمَّا جَنَاهُ الْفِرَاقُ أَيْنَ صَبْرِي أَمْ كَيْفَ أَمَلِكُ دَمْعِي
حَمَلْتَنِي يَدَاهُ مَا لَا يُطَاقُ وَالْمَطَايَا بِالظَّاعِنِينَ تُسَاقُ
قَفَّ مَعِي نَنْدُبُ الطُّلُوقَ فَهَذِي سِنَّةٌ قَبْلُ سَنَةِ الْعُشَّاقِ لَنْ بَعِظْفِي نَسِيمُهُ الْخَفَّاقُ
وَأَعِدْ لِي ذِكْرَ الْغَوِيرِ^(١) فَكَمْ مَا فِي سَبِيلِ الْغَرَامِ مَا فَعَلْتِ يَوْمَ وَنَتَّ طَلَائِعَ الصَّبْرِ مَا
بِالْعَاشِقِينَ الْقُدُودُ وَالْأَخْدَاقُ ثَمَّ شَنَّتْ غَارَاتِهَا الْأَشْوَاقُ

وبقول غيره:

كُنَّا جَمِيعًا وَالِدَارُ تَجْمَعُنَا مِثْلَ حُرُوفٍ لِلْجَمْعِ مُلْتَصِقَةً
وَالْيَوْمَ صَارَ الْوُدَاعُ يَجْعَلُنَا مِثْلَ حُرُوفِ الْوُدَاعِ مُفْتَرِقَةً

وقول آخر:

حِينَ هَمَّ الْحَبِيبُ بِالتَّوْدِيْعِ لَمْ يَذُوقُوا طَعْمَ الْفِرَاقِ وَلَا مَا كَيْفَ لَا أَسْفَحُ الدَّمُوعَ عَلَى رَبْعِ هَبِّكَ أَنِّي كَتَمْتُ حَالِي أَتَخْفَى
عَيَّرُونِي أَنِّي سَفَخْتُ دُمُوعِي أَحْرَقْتُ لَوْعَةَ الْأَسَى مِنْ ضُلُوعِي حَاوَى خَيْرَ سَاكِنٍ وَجُمُوعِ زَفَرَاتِ الْمَتِيمِ الْمَضْدُوعِ
إِنَّمَا يُعْرَفُ الْغَرَامُ بِمَنْ لَا حَ عَلَيْهِ الْغَرَامُ بَيْنَ الرَّبُوعِ

وقول من قال:

أَقُولُ لَهُ عِنْدَ تَوْدِيْعِهِ لَنْ قَعَدَتْ عَنْكَ أَجْسَادُنَا
وَكُلُّ بَعْبَرَتِهِ مُبْلِسٌ^(٢) لَقَدْ سَافَرَتْ مَعَكَ الْأَنْفُسُ

(١) الغوير: موضع على الفرات ، وقيل: ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام.

(٢) مبلس: ساكت غمًا وحرزًا.

وقول الصابي^(١):

ولَمَّا حَضَرْتُ لِتَوَدِّعِهِ
عَكَسْتُ لَهُ بَيْتَ شَعْرِ مَضَى
لئن سافرتُ عنك أجسادنا

وقول المهذب بن أسعد الموصلي^(٢):

دَغْنِي وَمَا شَاءَ التَّفَرَّقِ وَالْأَسَى
لَا قَلْبَ لِي فَأَعْيِ الْمَلَامَ فَإِنِّي
هَلْ يَعْلَمُ الْمُتَحَمِّلُونَ لِنُجْعَةٍ
كَمْ غَادَرُوا حَرَضًا^(٤) وَكَمْ لَوْدَاعِهِمْ
وَالسَّقْمِ آيَةٌ مَا أُجِنُّ مِنَ الْجَوَى

وقول الكمال التُّوْحِي:

كَمْ لَيْلَةٌ قَدْ بَتَهَا أَرَعَى الشَّهَا
قَضَيْتُهَا مَا بَيْنَ نَوْمٍ نَافِرٍ
لَمْ أَنْسَ أَيَّامَ الشُّرُورِ وَطِيَّهَا
وَالرُّوْضِ قَدْ أَبْدَى بَدَائِعَ نَوْرِهِ
وَالْمَاءِ يَبْدُو كَالصَّوَارِمِ سَارِبًا
وَالطَّيْرِ بَيْنَ مُسَجِّعٍ وَمُرَجِّعٍ

وقول القاضي بهاء الدين السنجاري^(٥):

أَحِبَابَنَا مَالِي عَلَى بُعْدِ الْمَدَى
لله أَوْقَاتُ الْوَصَالِ وَمَنْظَرٌ
أَنْيَ يُطِيقُ أَخُو الْهَوَى كَتْمَانَهُ
جَلَدٌ وَمَنْ بَعْدَ النَّوَى يَسْجَلِدُ
نَضِرٌ وَغُصْنُ الْوَصْلِ غُصْنٌ أَمْلَدُ^(٦)
وَالخَدُّ بِالدمعِ المصونِ مُخَدِّدٌ

(١) الصابي: إسحاق بن إبراهيم كاتب مشهور توفي سنة ٣٨٤هـ.

(٢) الأشوس: من نظر تكبراً.

(٣) هو الأديب الشاعر عبد الله بن أسعد المعروف بابن الدهان الموصلي توفي بحمص سنة

(٤) حرَضاً: أي مشرفاً على الهلاك.

(٥) بهاء الدين أسعد بن يحيى السنجاري، فقيه شاعر، توفي بسنجار سنة ٦٢٢هـ.

(٦) غصن غصن أملد: طري.

مَا بَعْدَ مَفْتَرِقِ الرِّكَابِ تَصْبُرُ
يَا سَعْدُ سَاعِدِ بِالْبِكَاءِ أَخَا هَوَى

وقول ابن الأثير:

لَمْ أَنْسَ لَيْلَةَ وَدَّعَا
وَالدَّمَغُ مِنْ فِرطِ الْأَسَى

وقول الأرجاني^(١):

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلوَدَاعِ عَشِيَةً
بَكَيْتُ فَأَضْحَكَتِ الوُشَاةُ شِمَاةً

وقول ابن نباتة السعدي^(٢):

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلوَدَاعِ عَشِيَةً
وَقَفْنَا فَمَنْ بَاكِ يَكْفِكُفُ دَمْعَهُ

وقول بعضهم:

لَمَّا حَدَا الْحَادِي بِتَرْحَالِهِمْ
وَرَاخَ يَتَزَيُّ الْقَلْبَ عَنْ غَيْرِهِمْ

وقول الصفدي^(٤):

لَمَّا اغْتَنَقْنَا لَوْدَاعِ النَّوَى
رَأَيْتُ قَلْبِي سَارَ قَدَامَهُمْ

وقوله أيضاً:

تَذَكَّرْتُ عَيْشاً مَرَّ حُلُوًا بِقَرَبِكُمْ
وَمَا انْصَرَفْتُ أَمَالُ نَفْسِي لِعَيْرِكُمْ
سَأَصْبِرُ كَرْهًا فِي الْهَوَى غَيْرَ طَائِعٍ

عَمَّنْ أَحَبُّ فَهَلْ خَلِيلٌ يُسْعِدُ؟
يَوْمَ الْوَدَاعِ بَكَى عَلَيْهِ الْحَسَدُ

صَبَّأً وَسَارُوا بِالْحُمُولِ
يَجْرِي فَيَعْتَرُ بِالذُّبُولِ

وَطَرْفِي وَقَلْبِي هَامِعٌ وَخَفُوقُ
كَأَنِّي سَحَابٌ وَالْوَشَاهُ بُرُوقُ

وَلَمْ يَيْتَقِ إِلَّا شَامِتٌ وَغَيُورُ
وَمَلْتَزَمَ قَلْباً يَكَادُ يَطِيرُ

هَيَّجَ أَشْوَاقِي وَأَشْجَانِي
فَهُوَ لَهُمْ حَادٍ وَلِي نَائِي^(٣)

وَكذْتُ مِنْ حَرِّ الْجَوَى أُحْرَقُ
وَأَدْمَعِي تَجْرِي وَلَا تُلْحَقُ

فَهَلْ لِلْيَالِينَا الذَّوَاهِبِ وَاهِبُ؟
وَلَا أَنَا عَنْ هَذَا الرِّغَابِ غَائِبُ
لَعَلَّ زَمَانِي بِالْحَبَائِبِ آيِبُ

(١) هو أبو بكر أحمد بن الحسين الأرجاني قاضي نستر وعسكر ، له شعر رائع، توفي سنة ٥٤٤ هـ.

(٢) أبو نصر عبد العزيز بن عمر ابن نباتة السعدي ، من كبار شعراء عصره . توفي ببغداد سنة ٤٠٥ هـ.

(٣) ثاني : من ثنى القلب يشنيه .

(٤) صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي .

وقول ابن نُباتة المصري^(١):

فِي كَنَفِ اللَّهِ وَفِي حِفْظِهِ
لَوْ جَازَ أَنْ تَسْلُكَ أَجْفَانَنَا
لَكُنْهَآ بِالْبُعْدِ مُعْتَلَّةً
مَسْرَاكِ وَالْعَوْدُ بِعِزِّ صَرِيحِ
كُنَّا فَرَشْنَا كُلَّ جَفْنِ قَرِيحِ
وَأَنْتَ لَا تَسْلُكَ إِلَّا الصَّحِيحِ

وقول الحافظ أبي الحسن علي بن الفضل^(٢):

عَجِبْتُ لِنَفْسِي بَعْدَهُمْ مَا بَقَاؤَهَا
لَعَمْرُكَ مَا فَارَقْتَهُمْ مُنْذُ وَدَّعُوا
وَقَدْ مَنَعُوا مِنِّي زِيَادَةَ طَيْفِهِمْ
وَأَعْجَبُ مَا فِي الْأَمْرِ شَوْقِي إِلَيْهِمْ
وَلَمْ أَحْظَ مِنْ لُقْيَاهُمْ بِمُرَادِي
وَلَكِنَّمَا فَارَقْتَ طَيْبَ رِقَادِي
وَكَيْفَ يَزُورُ الطَّيْفُ حِلْفَ سُهَادٍ؟
وَهُمْ فِي سَوَادِي نَاطِرِي وَفُؤَادِي

وقوله رحمه الله تعالى:

رَعَى اللَّهُ أَيَّامَ الْمُقَامِ بِرَوْضَةٍ
كَأَنَّ الشَّقِيقَ الْغَضَّ بَيْنَ بَطَاحِهَا
نَجُومٌ عَقِيقِي فِي سَمَاءِ زَبْجَدِ
تَرُوحُ عَلَيْنَا بِالسَّرُورِ وَتَعْتَدِي

وقول القاضي الرشيد الأسواني^(٣):

رَحَلُوا فَلَا خَلَّتِ الْمَنَازِلُ مِنْهُمْ
وَسَرَوْا وَقَدْ كَنَّمُوا الْغَدَاةَ مَسِيرَهُمْ
وَتَبَدَّلُوا أَرْضَ الْعَقِيقِ عَنِ الْحَمَى
نَزَلُوا الْعُدَيْبَ وَإِنَّمَا هُوَ مَهْجَتِي
مَاضِرَهُمْ لَوْ وَدَّعُوا مِنْ أُوْدَعُوا
هُمْ فِي الْحَسَا إِنْ أَعْرَقُوا أَوْ أَيْمَنُوا
وَنَآؤًا فَلَا سَلَّتِ الْجَوَانِحُ عَنْهُمْ
وَضِيَاءُ نُورِ الشَّمْسِ مَا لَا يَكْتَمُ
رَوَتْ جَفُونِي أَيَّ أَرْضٍ يَمَّمُوا
رَحَلُوا وَفِي قَلْبِ الْمَتِيمِ خَيْمُوا
نَارَ الْغَرَامِ وَسَلَّمُوا مِنْ أَسَلَمُوا
أَوْ أَشَامُوا أَوْ أَنْجَدُوا أَوْ أَتَهَّمُوا

وقول الشاعر أبي طاهر الأصفهاني ، المعروف بالوثابي^(٤):

أَشَاءُوا فَقَالُوا وَقَفَّةً وَوَدَاعُ
فَقَلَّتْ وَدَاعُ لَا أَطِيقُ عِيَانَهُ
وَرُزِّمَتْ مَطَايَا لِلرَّحِيلِ سِرَاعُ
كَفَانِي مِنَ الْبَيْنِ الْمُشْتِ سَمَاعُ

(١) جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد الجذامي المصري، شاعر وكاتب، توفي بالقاهرة سنة ٧٦٨ هـ.

(٢) علي بن الفضل الإشبيلي الأندلسي، فقيه شاعر، توفي سنة ٦٢٧ هـ.

(٣) أحمد بن علي الأسواني المصري شاعر مشهور.

(٤) إسماعيل بن محمد الوثابي الأصبهاني، أديب شاعر، توفي سنة ٥٣٢ هـ.

وَعِنْدَ النَّوَى سِرُّ الْكُتُومِ مُذَاعُ

وَجَادَ عَلَيْهِ هَاطِلٌ وَهَتُونُ
غُضُونُ التَّدَانِي فَالْبِعَادُ يَهُونُ
فَكَمْ قُضِيَتْ لِلْمَعْسِرِينَ دِيونُ

عَظَمَ الْجَوَى^(١) وَاشْتَدَّتْ الْأَشْوَاقُ
ذَاكَ الْبَهَاءُ بِهَا وَلَا الْإِشْرَاقُ
عَنْهُ أَحَبُّهُ قَلْبُهُ يَشْتَاقُ

وَقَوَّضَ حَاضِرٌ وَأَرَنَّ بِأَدِي^(٢)
حَبَسْتُ بِهَا الْحَيَاةَ عَلَى فُؤَادِي

فَظَلَّ فِي اللَّيْلِ مِثْلَ النَّجْمِ حَيْرَانَا
فَقَالَ: إِنِّي اسْتَعْرْتُ الْيَوْمَ نَيْرَانَا

ذَكَرْتُ مَيَّ شَاغِلِي عَنْ كُلِّ شَيْ
أَنْتَ حَيٌّ فِي هَوَانَا؟ قَلْتُ: مَيَّ^(٤)

ظَلَّ كَثِيْبًا مُدْنَقًا مَوْجَعَا
تَذْرِفُ دَمْعًا أَرْبَعًا أَرْبَعَا

وَلَمْ يَمْلِكِ الْكُتْمَانَ قَلْبٌ مَلَكَتْهُ

وَقَوْلُ أَبِي الْمَجْدِ قَاضِي مَارِدِينَ:
رَعَى اللَّهُ رَبْعًا أَنْتُمْ فِيهِ أَهْلُهُ
وَلَا زَالَ مُخْضَرَّ الْجَوَانِبِ مُتْرَعٌ
لَنْ قَدَّرَ اللَّهُ الْإِلْقَاءَ وَأَيْتَعَتْ
وَإِنْ حَكَمَتْ أَيْدِي الْفِرَاقِ بَعُورَةَ
وَقَوْلُ آخَرَ:

غَيْتُمْ فَمَالِي فِي التَّصَبُّرِ مَطْمَعٌ
لَا الدَّارُ بَعْدَكُمْ كَمَا كَانَتْ وَلَا
أَشْتَاقُكُمْ ، وَكَذَا الْمَحَبُّ إِذَا نَأَى

وَقَوْلُ أَبِي الْحَسَنِ الْهَمْدَانِي:
وَيَوْمَ وَلَّتِ الْأَطْعَانُ عَنَّا
مَدَدَتْ إِلَى الْوَدَاعِ يَدًا وَأُخْرَى

وَقَوْلُ ابْنِ الصَّائِغِ:
قَدْ أَوْدَعُوا الْقَلْبَ لَمَا وَدَّعُوا حُرْقًا
رَاوَدْتُهُ يَسْتَعِيرُ الصَّبْرَ بَعْدَهُمْ

وَقَوْلُ الصَّدْرِ بْنِ الْأَدْمِيِّ مَكْتَفِيًا^(٣):
يَوْمَ تَوَدَّعِي لِأَحْبَابِي غَدًا
فَرَنْتُ نَحْوِي وَقَالَتْ: يَا تُرَى

وَقَوْلُ غَيْرِهِ:
وَلِي فُؤَادٌ مِذْنَأَى شَخْصُهُمْ
وَمُقْلَةٌ مَهْمَا تَذَكَّرْتُهُمْ

(١) الجوى: شدة الوجد.

(٢) أرن: صاح باكياً.

(٣) علي بن أحمد الأدمي، قاض وشاعر وكاتب، توفي بدمشق سنة ٨١٦هـ.

(٤) مي: هنا اختصار لكلمة ميت.

لَجَّتْ بِي الْأَشْوَاقُ إِلَّا الدُّعَا
وَقَدَّرَ الْفَرْقَةَ أَنْ يَجْمَعَا

من الدمع لما قيل قد رَحَلَ الركبُ
فَمِنْ أَضْلَعِي نَارًا وَمِنْ أَدْمَعِي سَكْبُ

تُسَاقِطُهَا عَيْنَاكَ سِمْطَيْنِ سَمَطَيْنِ
أَبُو مُضَرٍّ أَدْنِي تَسَاقَطَ مِنْ عَيْنِي

لَمَّا أُسْرَ بِهِ إِلَيَّ مُوَدَّعِي
فِي مَسْمَعِي أَجْرِيئُهُ مِنْ مَدْمَعِي

بِنظرة التوديع وَهُوَ يَحْتَرِقُ
وَجْهًا وَكَانَ الرَّدُّ لَوْ لَمْ نَفْتَرِقُ

قلبي فما بَعُدُوا عني ولا قَرُبُوا
فِي الْقَادِمِينَ وَفِي قَلْبِي إِذَا غَرَبُوا

سَاقَ الشَّجْوَانَ إِلَيْنَا
يَا مَنْ يَعْرِضُ عَلَيْنَا (٣)

يَوْمَ الْوَدَاعِ وَإِنْ أَجْرَى الدَّمْعَ دَمًا
مِنْ بُعْدِكُمْ هُدًى رَكْنُ الصَّبْرِ وَانْهَدَمَا
فَالْقَلْبُ ثَاوٍ بِهَا لَمْ يَصْحَبِ الْقَدَمَا

وليس لي من حيلةٍ كلما
أَسْأَلُ مِنْ أَلْفٍ مَا بَيْنَنَا
وقول الرُّعَيْنِيِّ الْغُرْنَاطِيِّ (١):

محاسنُ ربعٍ قد مَحَاهَنَ مَا جَرَى
تَنَاقُضَ حَالِي مَذْ شَجَانِي فِرَاقَهُمْ
وفي معناه قوله أيضًا (٢):

وقائلة: ما هذه الدررُ التي
فقلت لها: هذا الذي قد حَسَا به
وقول الرمزخري:

لم يُبْكِنِي إِلَّا حَدِيثُ فِرَاقِهِمْ
هُوَ ذَلِكَ الدَّرُّ الَّذِي أَوْدَعْتُمْ
وقول الزغاري:

قد بَعَثُهُمْ قَلْبِي يَوْمَ بَيْنِهِمْ
وَلَمْ أَجِدْ مِنْ بَعْدِهَا لِرَدِّهِ
وقول بعض الأندلسيين:

سَارُوا فَوَدَّعَهُمْ طَرْفِي وَأَوْدَعَهُمْ
هُمُ الشَّمُوسُ فِي عَيْنِي إِذَا طَلَعُوا
وقلت أنا مضمناً بديهة:

لا كَانَ يَوْمُ فِرَاقِي
فَكُنْ أَدَلَّ نَفْسًا
وقلت أيضاً مضمناً:

سَلا أَجَبَّتْهُ مَنْ لَمْ يَذُبْ كَمَا
يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ تُفَارِقَهُمْ
وَإِنْ نَأَى الْجِسْمُ كَرَّهَا عَنْ مَنَازِلِكُمْ

(١) هو أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطي.

(٢) وقيل: هما للقاضي الأرجاني.

(٣) إشارة إلى بيت المتنبي:

يَا مَنْ يَعْرِضُ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ وَجِدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ

وما نسينا عهداً للهوى كرمث
وأظلمت بالثوى أرجاء مقصدنا
وقلت أيضاً مضمناً:

نعم قرعنا عليها سنا ندماً
وصار وجدان ألف غيركم عدماً

لم أنس بالشام أنساً شمث بارقه
لهفي لعيش قضينا في مشاهدنا
وقلت كذلك:

جادت معاهدة أنواء نيسان^(١)
ما بين حُسن من الدنيا وإحسان

يا جيرة بانوا وأبقوا حسرة
كم قلت إذ ودعتهم والأنس لا
يا موقف التوديع إن مدامعي

تجري دموعي بعدهم وفق القضا
يُسى وعهدُ وداهم لن يُرفضا
فُضت وفاضت في ثرى ذاك الفضا

وكم تفاعلت بقول الأول ، مع علمي بأن على الله المعول:

إذا رأيت الوداع فاضبر
وانظر العود عن قريب
ولا يهمنك البعاد
فإن قلب الوداع عادوا

وضاقت بي الرحاب عند مفارقة أعيان الأحباب والصحاب ، وكاثرت دموعي
من بينهم السحاب ، وزند التذکر يقدهح الأسف فيهبج الانتحاب ، وقد تمثلنا إذ
ذاك والجوانح من الجوى في التهاب ، وذخائر الصبر ذات انتهاب ، بقول بعض
من مرّق البعد منه الإهاب:

ولما نزلنا منزلاً طله الندى
أجد لنا طيب المكان وحسنه
وقد طفت في شرق البلاد وغربها
فلم أر منها مثل بغداد منزلاً
ولا مثل أهلها أرق شمائل

أنيقاً وبُستاناً من التور حالياً
منى فتمنينا فكنت الأمانيا
وسيرت خيلي بينها وركاييا
ولم أر فيها مثل دجلة واديا
وأعذب ألقاظاً وأحلى معانيا

وبقول من تأسف على مغاني التداني ، وهو أبو الحجاج الأندلسي الداني^(٢):

أبى الله إلا أن أفارق منزلاً
كأن على الأيام حين غشيته
يطالعي وجه المنى فيه سافراً
يميناً فلم أحلله إلا مسافراً

(١) شمت: نظرت. البارق: البرق. الأنواء: جمع نوء، النجم الذي يكون به المطر.

(٢) أبو الحجاج يوسف بن عبد الله الفهري الأندلسي توفي سنة ٥٩٢ هـ.

وتخيلنا أن إقامتنا بدمشق وقاها الله كل صَرْفٍ ، ما كانت إلا حَظْرَةَ طيف مُلَمٍّ^(١) أو لمحة طَرْفٍ :

وَقَفْنَا سَاعَةً ثُمَّ ارْتَحَلْنَا وما يُعْغِي المشوقَ وقوفُ سَاعَةٍ؟
كَأَنَّ الشَّمْلَ لَمْ يَكُ فِي اجْتِمَاعِ إذا مَا شَتَّتَ البينُ اجْتِمَاعَهُ
وطالما علَّتُ النفسَ بالعودِ إليها ثم إلى بقاعي ، منشداً قولَ الأديب الشهير
بابن الفِقَاعِيِّ^(٢) :

متى عاينتُ عيناى أعلامَ حاجِرٍ جعلتُ مَوَاطِي العيسِ فوق محاجري
وإن لاح من أرضِ العَوَاصِمِ بَارِقٌ رجعتُ بأحشاءِ صَوَايدِ صَوَايدِرِ^(٣)
سقى الله هاتيكِ المَواطِنَ والرُّبَا مَوَاطِرَ أَجفانِ هَوَامِ هَوَامِرِ
وحيًا الحيا من ساكني الحيِّ أوجُهًا سَفَرُنْ بِأَنوارِ زَوَاهِ زَوَاهِرِ
بحيثُ زمانُ الوصلِ غَضٌّ ورَوْضُهُ أريضُ بِأزهارِ بَوَاهِ بَوَاهِرِ
وحيثُ جفونِ الحاسِدينَ غَضِيضَةٌ رَمَقَنَ بِأماقِ سَوَاهِ سَوَاهِرِ

ثم حاولت خاطري الكليل ، فيما يشفي بعض الغليل ، فقال على طريق التضمين ، وقد غلب عليه الشوق والتخمين :

بأبي من أودَعُوا مذ وَدَّعُوا قلبِي الشَّوقَ وَللِيعسِ ذَمِيلُ
جِيرَةٌ غَرٌّ كِرَامٌ خَيْرَةٌ كلُّ شيءٍ مِنْهُمُ ييدو جَمِيلُ
وعلى الجملة مالي غيرهم لو أرادوا أن يملُّوا أو يميلُّوا
ثم قلت وقد سدَدَ التَّنائِي إِلَيَّ نَبْلَهُ ، موطناً للبيت الثالث كما في الأبيات قبله :

يادَمَشَقاً حَيَّاكَ غَيْثٌ غَزِيرٌ ووقاكِ الإلهَ مِمَّا يَضِيرُ
حُسْنِكَ الفَرْدُ والبَدائعُ جَمْعُ مُتَنَاهٍ فِيهِ فَعَزَّ النَظِيرُ
أين أيا مَنَّا بظلكِ والشَّمْلُ جَمِيعٌ ، والعيشُ غَضٌّ نَضِيرُ
ثم أكثرت الالتفات عن اليمين وعن الشمال ، وقد شَبَّهت التَّيْداءَ والشوقَ

(١) ألم : زار . الطيف : الخيال .

(٢) هو يوسف بن عبد الله الفهري من أهل دانية ، شاعر وقاض ، توفي سنة ٥٩٢ هـ .

(٣) البارقي : البرق . الأحشاء الصوادي : العطش ، صوادر : صادرة عن الماء .

ببدل الكل والاشتمال ، وتنسبت من نواحي تلك الأرجاء أريج الشمال^(١) ،
وضمنت في المعنى قول بعض من ثنى الحب عطفه وأمال :

تَسَمَّتْ أرواحاً سَرَتْ من ديارِ مَنْ بِهِمْ كان جمعُ الشَّمْلِ لمحَّةِ حَالِمِ
وجاؤنْتُ من يلحى على ذاك جاهلاً بقول لبيبِ بالعواقبِ عالمِ
وما أنشَقُ الأرواحَ إلا أنها تمرُّ على تلك الرُّبا والمعالمِ
وما أحسن قول الآخر :

سَرَتْ من نَوَاحِي الشامِ لي نَسْمَةُ الصِّبَا وقد أصبحتُ حَسْرَى من السيرِ ظَالِمَةً^(٢)
وَمِنْ عَرَقِ مَبْلُولَةِ الجَيْبِ بِالنَّدَى وَمَنْ تَعَبَ أنفاسُهَا مُتَّابِعَةً
وقلت أنا :

حَمِدْتُ وحقَّ اللهُ للشامِ رحلَةً أتاحت لعيَني اجتلاءً مُحَيِّاهُ
وبعدَ التنائي صرْتُ أرتاحَ للصِّبَا لأنَّ الصِّبَا تُسْرِي بعاطِرِ رِيَّاهُ
فله عهدٌ قد أتاح بِجِلْقِ سروراً فحَيَّاه الإلهَ وحَيَّاهُ
واستحضرت عند جد السير قولَ صفوان بن إدريس المُرسِيّ ذكره اللهُ تعالى
بالخير :

أين أيامنا اللواتي تَقَضَّتْ إذ زَجَرْنَا للوصلِ أيمَنَ طَيْرِ
ثم قول غيره ممن حَنَّ وَأَنَّ ، وقلِقَ قلبه وما اطمأن :

أجِنُّ إلى مشاهدِ أنسِ إلفي وعَهْدِي من زيارته قريبُ
وكنت أظن قربَ العهدِ يُطْفِي لهيبَ الشوقِ فإزداد اللهبُ

وربما تجلدت مغالطاً ، متعللاً بقول من كان لإلفه مخالطاً :

حَضَرْتُ فكنت في بَصْرِي مُقيماً وغَبْتُ فكنتُ في وَسْطِ الفؤادِ
وما شَطَطْتُ بنا دارٌ ولكن نُقِلْتُ من السَّوادِ إلى السَّوادِ

وقول غيره :

وكن كما شئت من قُرْبٍ ومن بُعْدِ فالقَلْبُ يركاك إن لم يَرَعَكَ البصرُ

(١) أريج الشمال: العطر المنتشر من الريح الهابة من الشمال.

(٢) الظلع: هو شبه العرج.

ويقول الوداعي:

يا عاذلي في وخذتي بعدهم وأن ربي ما به من جليس
وكيف يشكو وحدة من له دمع حميم وأين أنيس

ثم رددت هذه الطريقة بقول بعض من لم يبلغه السلو ريقه:

لا رعى الله عزمة ضمنت لي سلوة القلب والتصبر عنهم
ما وقت غير ساعة ثم عادت مثل قلبي تقول لا بد منهم

ويقول ابن أجروم^(١) في مثل هذا الغرض المروم:

يا غائباً كان أنسي رهن طلعتة كيف اصطباري وقد كابدت بينهما
دعواي أنك في قلبي يعارضها شوقي إليك ، فكيف الجمع بينهما؟

ثم جدّ بي السير إلى مصر واستمر ، فتذكرت قول الصفدي وقد اشتدّ بالرمل
الحر:

أقول وحرّ الرمل قد زاد وقده ومالي إلى شمّ النسيم سبيل
أظن نسيم الجو قد مات وانقضى فعهدي به في الشام وهو عليل

وقول ابن الخياط:

قصدت مصرأ من ربا جلت بهمة تجري بتجريبي
فلم أر الطرة حتى جرت دموع عيني بالمزرب

وحين وصلت مصر لم أنس عهد الشام المرعي ، وأنشدت قول الشهاب

الحنبلي الزرعي:

أجبتنا والله مذ غبت عنكم شهداي سميري والمدامع مدراؤ
ووالله ما اخترت الفراق وإنه برغمي ، ولي في ذلك الأمر أعذار
إذا شام بزق الشام طرفي تتابعت سحائب جفني والفضاد به نار
ألا ليت شعري هل يعودن شملنا جميعاً وتحوينا ريوخ وأقطار؟

وقول ابن عنين:

دمشوق بنا شوق إليك مبرح وإن لبح واشر أو ألح عذول
بلاد بها الحصباء دز ، وتربها عيبر ، وأنفاس الرياح شمول

(١) هو محمد بن محمد الصنهاجي مؤلف الأجرومية توفي سنة ٧٢٣ هـ.

تَسَلَّلَ مِنْهَا مَائِهَا وَهُوَ مَطْلُوقٌ
وقول آخر:

وَصَحَّ نَسِيمُ الرُّوضِ وَهُوَ عَلِيلٌ

نَفْسِي الْفِدَاءَ لِأَنْسٍ كُنْتُ أَعْهَدُهُ
وَجِيرَةَ كَانَ لِي إِلْفٌ بَوْضِلِهِمْ
بِالشَّامِ خَلَفْتُهُمْ ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى
كَانُوا نَعِيمَ فَوَادِي وَالْحَيَاةَ لَهُ

وَطِيبِ عَيْشٍ تَقْضِي كُلَّهُ كَرَمٌ
وَالْأَنْسُ أَفْضَلُ مَا بِالْوَضْلِ يُعْتَنَمُ
سِوَاهُمْ فَاعْتَرَانِي بَعْدَهُمْ أَلَمٌ
وَالآنَ كُلُّ وَجُودٍ بَعْدَهُمْ عَدَمٌ

فإن أنشد لسان الحال ، فيما اقتضاه معنى البعد عنها والارتحال :

يَا غَائِبًا قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ قَلْبُهُ
إِنْ كَانَ صَدِّكَ نَيْلُ مَصْرِ عَنْهُمْ
بِالسَّامِ أَعْدَبَ مِنْ أَمْنٍ عَلَى فَرْقٍ^(١)
كَأَنَّمَا سَلَبْتَهُ كَفُّ مُسْتَرْقٍ
مِنَ النَّعِيمِ إِلَى ذَاكَ مِنَ الْخُرْقِ
لِي فِي الْجَوَى وَالنَّوَى وَالشَّجْوِ وَالْأَرْقِ

أتيت في جوابه بقول بعض من بَرَّحَ الجَوَى به :

لِللَّهِ دَهْرٌ جَمَعْنَا شَمْلَ لَدْتِهِ
مَرَّتْ لِيَالِيهِ وَالْأَيَّامُ فِي خُلْسٍ^(٢)
مَا كَانَ أَحْسَنَهَا لَوْلَا تَنْقَلَهَا
رَقَّ الْعَذُولُ لِحَالِي بَعْدَهَا وَرَأَى

وبالجملة فتلك الأيام من مواسم العمر محسوبة ، والسعود إلى طوالها منسوبة :

وَكَانَتْ فِي دِمَشْقَ لَنَا لِيَالٍ
جَعَلْنَاهُنَّ تَارِيخَ اللَّيَالِي
وَأَمَانِي زَمَانِي زَمَانِي زَمَانِي
وَأَمَانِي زَمَانِي زَمَانِي زَمَانِي

وهي مغاني التهاني التي مانسيتها ، وأماني زماني التي نعمت بطور سيناها ، عليها وعلى وطني مقصورة ، والقلب في المعنى مقيم بهما وإن كان في غيرهما بالصورة ، والأشواق إليهما قضايها موجهة وإن كانت غير محصورة :

وَاللَّهُ عَهْدٌ قَدْ تَقْضَى وَإِنْ يُعْدُ
بِقَلْبِي مِنْ ذِكْرِهِ مَا لَيْسَ يَنْقُضِي
إِذَا مَسَّحَتْ كَفِّي الدَّمُوعَ تَسْتُرًا
فِي أَيَّامِ أَعْفُو وَأَصْفَحُ
وَمِنْ بُرْحَاءِ الشُّوقِ مَا لَيْسَ يَبْرَحُ
بَدَتْ زَفْرَةٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ تَقْدَحُ

(١) الفرق: الخوف.

(٢) الخلسة بضم الخاء: الفرصة.

فإن جمعت شملي الليالي بقربهم
على أنها الأيام جِدُّ مُزَاحَهَا

وكثيراً ما يلهج اللسان بقول من قال:
وما تفضل الأوقات أُخْرَى لذاتها

ويردد قول مَنْ شوقه متجدد:

سقى مَعَهْدَ الأحباب ناعُ صَيِّبِ
وإن لم أكن من ساكنيه فإنه

وينشد من يلوم قول من في حشاه ولهُ وفي قلبه كلوم:

قد أصبح آخرُ الهوى أولهُ
بالله عليك خلّ ما أولهُ

فالعاذلُ في هواك مالي ولهُ
وأرحم دَنَفَا لَدَى حشاهُ ولهُ

* * *

أرجوزة ابن خداويردي في محاسن دمشق ومنتزهاتها وأنهارها وأوديتها

ناظمها محمد بن مصطفى بن خداويردي الشهير بالراعي المتوفى سنة ١١٩٥هـ وهو مؤلف «البرق المتألق في محاسن جلق».

اعتمدت في نشر هذه الأرجوزة على ما ذكره الشيخ عبد القادر بدران في كتابه «منادمة الأطلال ومسامرة الخيال» من الصفحة ٤١٢ - ٤١٩.

ونشر هذه الأرجوزة أيضاً الدكتور صلاح الدين المنجد في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.

وهذه الأرجوزة تحوي كل ما في دمشق وغوطتها وضاحتها من محاسن ، وكان لها شأن في جمعها كل هذه المحاسن .

أما التعريف بالأمكان التي ضمتها هذه الأرجوزة فقد اعتمدت فيها على «خطط دمشق» للمنجد وتعليقاته ، و«نزهة الأنام والتعليق عليه» للأستاذ إبراهيم صالح ، وكتاب «غوة دمشق» لكرد علي .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُولٍ لِمَنْ شَاءَ صَنُوفَ الْكَرَمِ
صَنَعَ حَكِيمٍ مَبْدَعَ مِتْقَانِ
هَذَا الْوُجُودِ ، كُنْ بَدَأَ مَعْتَبِرَا
وَلِقْوَةَ الْإِيمَانِ كَالْتَشْيِيدِ
وَأَخْتَهَا قَضَى لَهَا بِالسَّخْفِ
وَوُرُوداً يَنْعَمَاتٍ وَنُتْهِزُ
ظَمَأَى وَسُقْيَا أَرْضَهَا مِنْ بَثْرِ
تُسْقَى بِمَاءِ الدِّيمَةِ الْمُدْرَارِ
بِكَفِّهِ الْإِعْطَاءِ وَالْحَرَمَانُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ مَفِيضِ النُّعْمِ
مَكُونِ الْأَكْوَانِ بِالْإِتْقَانِ
بِأَمْثَالِ سَابِقٍ قَدْ صَوَّرَا
فِيهِ أَكْبَرَ شَاهِدِ التَّوْحِيدِ
فَكَمْ بِقَاعِ خَصَّهَا بِالشَّرْفِ
وَبِلْدَةِ حَوْتِ رِيَاضٍ وَزَهْرُ
وَبِلْدَةِ مَنْ عَاصَفَاتِ الْحَرِّ
وَقَرْيَةِ رَيْتِ مِنَ الْأَمْطَارِ
مَشِيئَةً قَدْ شَاءَهَا الرَّحْمَنُ

فَاسْنَدُ حَدِيثِي عَنْ رَبَاهَا وَارِوِ
بَلْ قِيلَ عَنْهَا جَنَّةٌ فِي الْأَرْضِ
وَتَعْرِفُ الدِّينَارَ عِنْدَ السَّبْكِ
وَلَيْسَ إِلَّا فِي رِيَاضِ تَجْرِي
وَاقٍ لِإِخْوَانِ الصَّفَا كَالْجُنَّةِ
سَهْلَ الْقَرِيضِ أَخَا الرِّكَاءِ (١) الْمَمْتَنِعِ
تُهْدَى لِخَيْرِ الْخَلْقِ مَهْدِي الْأُمَمِ
وَكُلُّهُمْ فِي فَضْلِهِ كَالسَّحْبِ (٢)
دَارِ التَّصَابِي وَالنَّعِيمِ السَّامِي
وَطَيْبِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَزْهَارِ

هَذَا دِمَشْقُ الشَّامِ دَارُ اللَّهْوِ
حَاكَتْ جَنَّاتِ الْخُلْدِ عِنْدَ الْعَرْضِ
بَلْ شَامَةُ الدُّنْيَا وَعَيْنُ الْمَلِكِ
أَنْهَارُهَا عَدَّ النُّجُومِ الزُّهْرُ
وَكَلَّ رَوْضِ فِي مِثَالِ الْجَنَّةِ
فَإِنْ تَرْمُ تَفْصِيلَ ذَا قَفٍ وَاسْتَمِعِ
بَعْدَ التَّحِيَّاتِ الْغَزَارِ الْجَمَّةِ
وَأَلِّهِ الْأَنْجَادِ ثُمَّ الصَّحْبِ
هَذَا اسْتَمِعَ مِنِّي حَدِيثَ الشَّامِ
قَدْ خَصَّهَا الرَّحْمَنُ بِالْأَنْهَارِ

(١) فِي نَسْخَةِ بَدْرَانَ: الذِّكَاءِ .

(٢) الْبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ لَيْسَا عِنْدَ الْمَنْجَدِ .

وخصَّها المولى بذاك الجبل
فكم نبي ضمَّه (قسيون)^(١)
وكم صحابي بها استشهدا
(ودير مُرَّان)^(٢) على قسيون
وتحتَه تلك الرياض الغضَّه
غَتَّت بها الأطيارُ في الأفنان
كذا (الحواكيرُ)^(٣) التي ينسابُ
كم أنَّ دولا بْ عليه وشكا
وقَطَّر الدموع في الحياضِ
(وقرية النخل) مكانَ الصُّلحا
(بالصالحية) سُميت يا صاحِ
تحفُّها القصور والجواسق
تظلُّها الأدواخُ كالأعلامِ
وكل طيرٍ آخذٌ في مغنى
وموكبُ الأزهارِ^(٤) في المكافحةِ
فلو ترى الرياحانَ بين الآسِ
كذلك المثنورُ والسوسانُ
وحلقة المحبوب بين الزهر
وفاق عَرَف الطيب عرف الديك

وقلَّ أن يخلو مكانٌ من ولي
وكم ولي عنده مدفونٌ
وفي خبايا أرضها قد لُحدا
كأنه في مُلكِ أفريدونَ
وبينها الأمواه مثل الفضه
فمالت الأغصانُ كالشَّوانِ
فيها (يزيدُ) السلسل المطيابُ
وشاقه عهد الرياض فبكى
وباح بالأسرار للرياضِ
فكم بها قصدُ نزيلِ نجحا
بل متدى اللذات والأفراح
كأنها بين الرُّبا سُرادقُ
تزورها الأرواحُ للسلامِ
وكل حزبٍ منهم في معنى
ونافحاتُ الطيب منها نافحه
وأصفَرَ الخيريِّ كالنبراسِ
وعنده خشخاشه ألوانُ
حاكتُ سنا الياقوتِ فوق النحرِ
له مقام السبق كالتمليكِ

(١) يريد جبل قاسيون . أي قاسيون .

(٢) قال د. المنجد: محلة في السفح الواقع أسفل قبة سيار وأعلى بستان الدواسة ، يطل منه على الربوة . انظر عنه مقدمة القلائد الجوهرية ص ٧ ، وأديار دمشق وبرها للزيات ، ومعجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٩٩ ، ومعجم ما استعجم ص ٣٦٢ ، ومسالك الأبصار ص ٣٥٣ .

(٣) جمع حاكورة: وهي في عرف أهل الشام بستان فيه أشجار التين الشوكي (الصبار) أو البرشومي وقد انقرضت هذه الحواكير على جانب نهر يزيد بعد أن غزاها العمران ، ولا تزال في بعض سهول المزة .

(٤) انظر عن أزهار الغوطة والصالحية كتاب نزهة الأنام للبدري أو غوطة دمشق للأستاذ محمد كرد علي .

يحكي ضياء الزهر في الأفلاك
 قد أشبها في الطيب نفع الغالية
 وثم عنبربوي زهر زاهي^(١)
 كجلنار^(٢) فاح في الأسحار
 وزنبق يزهو بوجه أبلج
 باتت تناجينا بعين سهرا
 وفعله في الروض فعل القرقف
 زهر القرنفل عطره كالند
 كذا البهار قطعة من صفر
 وطاب لي فيه الثنا والوصف
 لدى زهور سُميت باللعغ
 بالليلك انعم ياله من زهر
 وعرفه الزاكي كذا النيلوفر^(٣)
 يحكي عيبر المسك في الأسحار
 فلا تقل دارين لا والشحر
 ولم أقل في وصف شيء حتى

لياسمين الغض عطر زاكي
 وعنده النسرين ثم الفاغية
 كذلك زهر الأرغوان الباهي
 شقائق النعمان في الأزهار
 وسنبل في اللون كالفيروزج
 ونرجس بالطل عيّن سكرى
 وغاية الآمال زهر المضعف
 وأطيب الأزهار بعد الورد
 زهر الأقاحي حقة من تبر
 وعند زهر البان لذ القصف
 وكم منادي الشوق فينا لعلغ
 كذلك اللسان زاكي العطر
 إن البنفسج فضله لا يُكر
 وزهر أذريون في الأزهار
 وعند مرزنجوش طاب النشر
 ومبهم الأسماء زهور شتى

ذكر متنزهاتها

تراها جنات بلا محظور^(٦)
 كذلك (الأدنى) حياة النفس

وانظر إلى (السهمين)^(٤) (والميطور)^(٥)
 (والنيرب الأعلى)^(٧) محل الأنس

(١) عجز هذا البيت ليس موجوداً في نسخة المنجد.

(٢) جلنار: زهر الرمان.

(٣) ويقال: النيوفر، وهو ضرب من النبات ينبت في المياه الراكدة، له أصل كالجزر.

(٤) قال د. المنجد: السهم الأعلى، والسهم الأدنى. ويمتدان من الجسر الأبيض إلى الشرق حتى الشبلية. انظر المروج السندسية ص ٣٥. وانظر موضعهما في مخطط الصالحية.

(٥) قرية في أرض الصالحية كانت بسفح قاسيون تحت حي الأكراد، شرق قرية مقرى آخر حدودها نهر يزيد (غوطة دمشق ١٨١).

(٦) عجز البيت ليس موجوداً في نسخة المنجد.

(٧) النيربان: مكان يلي الربوة لجهة الصالحية ودمشق. والنيرب الأعلى هو بين نهري يزيد =

لم تلق إلا روضة أو نهرا
ومجمع الأزهار والأنهار
وحليها الزهر ونقش الظل
وفوقها شحروؤها يغرد
طير التصابي في رباها غنى
هبت رياح الشيخ والحوذان
وسرحة الوادي مكان الشط
(والمرجة الخضراء)^(٧) والسلسال
معاهد للحوار والولدان
لما غدت في حننها مغبوطه
وكل نهر منهم سيحان
وما حوى الخابور والميدان
وحيثما يمتت تلقى روضة
ومرتع الأطيوار والغزلان

ونزهة الدنيا أراضي (سطرا)^(١)
وفي (نصيب)^(٢) جحفل الأطيوار
تمشي بها الأمواه مشي الصل^(٣)
وفرشها الياقوت والزمرد
فكم بها روض وكم من معنى
وفي رياض (السفح) (واللوان)^(٤)
(والجبهة)^(٥) الغرأ محل البسط
واذكر رياض (القصر) (والخلخال)^(٦)
مسارح الآرام والغزلان
محاسن الدنيا رياض (الغوطه)
تشقها الأنهار والخلجان
فأين منها الشعب يابوان^(٨)
ومجمع الأمواه (جسر الغيضة)^(٩)
ملتفة الأغصان بالأغصان

- = وثورا ، والأدنى بين ثورا وبردى. انظر القلائد الجوهريه ص ١٥ ومخطط الصالحية.
- (١) سطرا: قرية كانت بالقرب من العنابة، أي بالقرب من مسجد الأقباب حتى القابون. وكانت مقرى متزهأ وتذكر مع سطرا. انظر نزهة الأنام ص ٢٧٣.
- (٢) أراضي نصيب هي بالقرب من الصالحية ، بالقرب من السهمين.
- (٣) الصل: الحية الخبيثة.
- (٤) السفح سفح قاسيون ، واللوان جنوبي المزة وغربي كفرسوسة وشمالي داريا ويقولون: أرض المزة واللوان. انظر نزهة الأنام ١٦٨.
- (٥) انظر في وصفها نزهة الأنام ص ٥٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٢.
- (٦) قال د. المنجد: يعني قصر الإمارة. وكان محله مكان التكية ، ومحلة القصر ما يحيط بها ويجاورها. والخلخال محلة بنيت عليها جامعة دمشق (غوطة دمشق ١٢٧ ، نزهة الأنام ٧٨ ، ٩٢).
- (٧) معروفة ، انظر عنها نزهة الأنام ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨.
- (٨) شعب بوان: أحد منتزهات الدنيا في بلاد العجم، وقد خلده المتنبي في نونيته.
- (٩) قال د. المنجد: جسر كبير بين الحديثة وجسرين على بردى. انظر غوطة دمشق ص ٥١ ، والغيضة هي غيضة السلطان ، وحوورها كان لا يستطيع الإنسان أن يدخل فيه لانضمامه، نزهة الأنام ٢١٩.

وإذ حباه ربه بالحظوه
 لكنها تمشي على المراتب
 وخطها فهو^(٢) الرئيس الأيسر
 وبره عليها قد أفاضاً
 وخصصوها للقرى سهاماً

ومتدى الأفراح (وادي الربوة)^(١)
 تجري به الأنهار كالكواكب
 قد ساقها حكيمها المهندس
 وكلهم قد جاوروا^(٣) الرياضا
 فقسّموا من بعضها أقساماً

تفصيل أنهارها

كم شوق محروورٍ لديه برداً
 غداؤه القيصوم ثم الرّندُ
 إذ جرّئه في داخل الأحجارِ
 إذ خصّصوه أهلها للشربِ
 نهر زها في حسنه ياناسُ
 يمشي كمشي الواله الحيرانِ
 مقامه فيها مقام العزّه
 اسمع فدتك النفس ما أقولُ
 يشق جوف الأرض نحو (المرجّة)
 وقد زهت أكنافها بالغرفِ
 حتى يُرى قد شق (صدر الباز)^(٦)
 كأنه سابور في الإيوانِ
 ترنو كالحاظ الغزال الأغيدِ

أولها أصل النهور (بردي)^(٤)
 وعند (ثوراهما) يثور الوجدُ
 كذا (يزيد)^(٥) أطيّب الأنهارِ
 يا طيّب ماء (القنوات) العذبِ
 وصنوه في فعله (باناس)
 يتلوه نهر اسمه (الداراني)
 وجدولٌ سُمّي (قناة المزه)
 هذي النهورُ السبعة الأصولُ
 أما أبو الأنهار زاهي البهجة
 (المرجّة الخضراء) ذات الشرفِ
 يمر مثل السهم كالمجتاز
 وقد جرى في ذلك الميدان
 تضمته قناطر من جلمد

(١) انظر عن الربوة وواديها نزهة الأنام ٥٣ وما بعدها ، وانظر فهرس الكتاب ص ٣٥١ .

(٢) في نسخة بدران: فوق .

(٣) في نسخة بدران: جاوزوا .

(٤) انظر خطط دمشق للمنجد ص ٢٣ في بحث أنهار دمشق والمصادر المذكورة هناك ،
 ونزهة الأنام للبديري ص ٢١٦ .

(٥) انظر عن أنهار دمشق مخطط دمشق للمنجد ص ٢٤ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ .

(٦) منتهى المرجّة من ناحية الغرب يسمى صدر الباز، وهو اليوم مكان الإذاعة والتلفزيون .
 انظر نزهة الأنام ص ٧٧ .

هناك يلقي جدولاً قد غربا
 وبعده من التصابي داعية
 ثم (المنيحي)^(٣) جدولٌ كبيرٌ
 كذلك نهرٌ اسمه (الزبديني)^(٤)
 وثمَّ نهرٌ اسمه (الوسطاني)
 يا مجمع الأحباب يا (درمينا)^(٥)
 ويا حياة النفس (نهر الماصيه)
 ولست أنسى (الجدول البalani)^(٦)
 يمشي ويبدأ صنوه (الزابون)^(٧)
 كذا خليجٌ اسمه (الشيداني)^(٩)
 وبيت نايم^(١٠) نهرها قد عظما
 وجدول يسعى إلى (الغرّيقه)^(١٢)
 وآخر يسقي رياض (المتبن)^(١٣)
 و(للبلالية)^(١٤) خصوا جدولاً

- (١) هو نهر المجدول . انظر خطط دمشق للمنجد ص ٣٦ .
 (٢) هو نهر الداعياني نسبة إلى قرية داعية . انظر خطط دمشق للمنجد ص ٣٦ .
 (٣) ويسمى المليحي نسبة إلى المليحة وهي في غرب زبدین أيضاً . انظر خطط دمشق
 للمنجد ص ٣٧ .
 (٤) نسبة إلى قرية زبدین بالقرب من المليحة .
 (٥) درمينا: نهر يتفرع من نهر زبدین . انظر وقفية سعد الدين باشا العظم (مخطوط) ،
 وخطط دمشق ص ٣٧ .
 (٦) نهر يسقي بالا ، وهي في شرق زبدین ، ونسب إليها . انظر غوطة دمشق ص ٩٩ .
 (٧) انظر خطط دمشق للمنجد ص ٣٨ ، وغوطة دمشق ص ٩٩ .
 (٨) انظر المصدر السابق ص ٣٨ ، وغوطة دمشق ص ٩٩ .
 (٩) انظر المصدر السابق ص ٣٨ ، وغوطة دمشق ص ٩٩ .
 (١٠) قرية في شرق جسرین .
 (١١) قرية في شرق بيت نايم .
 (١٢) في غرب العتيبة .
 (١٣) بالقرب من حرستا القنطرة ، ويسمى اليوم حوش المتبن .
 (١٤) في شرق تل الصالحية .

وما بقي يجري إلى العبادة يسعى كسعي الحية المرتادة

الذي ينقسم من نهري المنحني والداعيانى

وراق حسناً ماؤه فوق الصفا
يا حسن روضات به معموره
غنت عليهم صادحات الورق
كم سار من روض إلى بستان
قد أتحت أدواحه بالطرف
وجريه في رونق الإمارة
كذا (البلاطي) جدول كالأفعى
و(عين ثرما)^(٢) نهرها موصوف
و(نهر جسرین)^(٤) كذوب القطر
سقياً لأوقات مضت فيه ليا
كأنه الإسفنت^(٧) في الدنين
يجري إليها جدول خطاف
لها خليج كالحباب إذا التوى
فاسمع وكن في قولنا معتمدا

الجامعي نهر بها قد عرفا
و جدول يُسمى (بنهر البيره)
و جدول (المزاز) ثم (الشق)
وراق ماء (الجدول السلطاني)
وفاق في الحسن (نهر الزلف)
و جدول يسعى إلى (الخياره)
ولا تدع يا صاح (نهر الشبعا)^(١)
كذا (كلييا) جدول معروف
إلى (كفر بطننا)^(٣) خليج يجري
و جدول يجري إلى (حموريا)^(٥)
و (نهر سقبا)^(٦) في صفا اللجين
و (الأفتريس)^(٨) القرية المصطاف
الزهر والأدواح في (بيت سوا)^(٩)
هذا الذي قد قسموا من بردى

(١) من قرى إقليم بيت الآبار.

(٢) في شرق دمشق ، وغرب كفر بطننا.

(٣) في شرق عين ثرما.

(٤) في شرق كفر بطننا.

(٥) في الجنوب الشرقي من عربيل.

(٦) في جنوب حمورية.

(٧) الإسفنت بالكسر وتفتح القاء: المطيب من عصير العنب ، أو أعلى الخمر...

(القاموس).

(٨) في شرق سقبا.

(٩) قرية لا تزال عامرة.

الذي ينقسم من الداراني

أما الذي قسمته يا دارا (نهر العرا)^(١) و(الذيب) و(الشراك)^(٢) و(الحجر الدائر) شعب خامسه فقسّموه عندهم يا صاح (نهر الكريمي) ثم (نهر الغربي) و(جدول الأشعاب) نهر طامي يامن تخيرت الفيافي دارا كذاك (نهر الميلقون) الزاكي وجدول قد خصّ بالكفارسه يامن سنه في ضيا المصباح أبو عيار جدولٌ كالقضبِ يخذ وجه الأرض كالصمصام

الذي ينقسم من قنوات

وقسمت (قنوات) يا مسرور (نهر القُصير)^(٣) حظه التصغيرُ

الذي ينقسم من تورا

و(نهر ثورا) قسموه فاسمع أولها (الأنصار) نهر طافح و(نهر بشر) جدول سلسال و(غالب) نهر سليم القلب كذاك (نهر بالمحلات) اشتهر كذلك (الشباك) نهر زاخر و(نهر قليبين) و(نهر الزينبي) كذاك (عليتا) خليج منه نظماً حلا في الذهن ثم المسمع يجري ونشر الزهر منه فايحُ والماء فيه قرقف جريالُ وماؤه عذب لذيذ الشربِ وصنوه (السرداب) نهر معتبرُ كذا (الفراديس) الزكيّ العاطر و(نهر باب الثلث) عذب المشربِ حديثُ عطرِ الرّوضِ يُروى عنه

الذي ينقسم من يزيد

ومن (يزيد) جدول (الشجريه) و(نهر مهدي) فرقة فضيه

* * *

(١) قال د. المنجد: ورد في وقفية لالا مصطفى باشا باسم (نهر العرا) ص ١٤٧.

(٢) قال د. المنجد: في وقفية لالا مصطفى باشا أنه بأرض اللوان من أراضي المزة

ص ١٤٨.

(٣) انظر فروع هذا النهر في خطط دمشق للمنجد.

وكلها تجري على الدوام
نالها جلقنا فكانت أهلا

فهذه الأصول بالأقسام
مواهب الله العليّ الأعلى

ذكر أوديتها

اللاتي لأمرض القلوب أوديه
بالطيب يحكي جونة العطار
في حلل الدياتج والأطالس
تحفسه الأزهار والأمواه
واد ترى للأنس فيه مددا
إذ قصرت عما حواه الألسن
الربوة الغنا محل الأنس
كلاهما في حسنه غمدان
دع عنك في أوصافه المجادله
أنهاره في وسطه غدران
كسما ذا يغني طيره للدوح
فأين وادي أش أين الزهرا
يفاخر المريخ في شرفيه
أوقاته من أطيب الأوقات
فيه بقاع الفضل حتى (أرزه)^(٥)
كلاهما عن حسنه قد أعريا

ولنشرع الآن بذكر الأوديه
إذ كلهم في دوحه معطار
تخاله يختال كالعرائس
وكلهم في حسنه تياه
أولهم يا صاح (وادي بردي)
تجري عليه بالدموع (الأعين)
ثانيهم وادي حياة الأنفس
(وادي المكرم) عنده (كيوان)^(١)
بالقرب منهم (وادي الجنادله)
(وادي السفرجل)^(٢) منظر فتان
(وادي الحصا) صديق الروح
واذكر محل الشطح (وادي الشقرا)
يطله (الشرفان) من طرفيه
(وادي الصغير)^(٣) موسم اللذات
وأشرف الوديان (وادي برزه)^(٤)
(لحرنة وادي)^(٦) و(وادي معربا)^(٧)

(١) غربي دمشق قبيل الربوة موقع مشهور نزه.

(٢) واد أول الغوطة عند باب الشرقي وهو مشهور بزهر السفرجل منذ القديم ووصفه الشعراء.

(٣) بالتصغير واد قرب الميطور ، قبيل برزة. انظر المروج السندية ص ٢٢.

(٤) برزة: قرية مشهورة في شرق الصالحية.

(٥) أرزة: قرية حل محلها اليوم حي الشهداء في طريق الصالحية.

(٦) حرنة: في الشمال الشرقي من معربا قبل التل.

(٧) معربا: قرية في الجنوب الغربي من حرنة.

يضوع بشراً من عبير الزهر
أطيّاره تشدو على العيدان
قد غصن بالأمواء في الأدواح
على غناء الطير فاح العطر
(وادي) التصابي والهنا (بسيما)^(٤)
كم ذا شددنا نحوه من رحل
وعرجا بي نحو (وادي الفيجا)
واد سما يا صاح بالعواد
وليس مرأى العين مثل المخبر
إذ بينهم بالحسن نال العليا

(وادي التل)^(١) الرفيع القدر
(وادي منين)^(٢) أنضر الوديان
(وادي الدريج)^(٣) الطيب الأرواح
(وادي حلبون) سقاه القَطْر
ونزهة الدنيا بديع السِما
(وادي الخضرا)^(٥) محط الرحل
يا صاحبيّ نار شوقي هيجا
وأطربا سمعي بذكر الوادي
ونهره الطامي البهيّ المنظر
ووادي الشرقيّ عروس الدنيا

ذكر الأعين

وقاها ربُّ الشام شرَّ الأعين
تفوق بالمشور نثر الصاحب
ماء كذوب الدر حاز الفخرا
وماؤها في غاية اللطافه
بين الربا والتين والزيتون
يا من دعوك عندهم (مرجانه)
ماء قراح لؤلؤي الفرش
عين ثراها بالصفاء بزاقه
من لي بأوقاتٍ لَدِيكَ سَلَفْتُ
تأوي إليه زمر الملاهي

ونتبعُ الذكرى بذكر الأعين
أشهرها في الحسن (عين الصاحب)
وفي صفا الراوق (عين الخضرا)
كذلك عينُ اسمها (سيّافه)
واجلُّ صدا قلبي (بعين منين)
يا عين ذلك الروض يافتانه
ولا تسل عن لطف (عين الكرش)
وكم جمعنا الشمل في (الورّاقه)
يا عينُ من (بالزينية) عرفت
وعند (عين الشرش) روض زاهي

(١) التل: قرية مشهورة.

(٢) منين: قرية مشهورة شمال التل وينسب إليها الجوز المنيني.

(٣) الدريج: قرية في وادي حلبون نفسه.

(٤) بسيمة قرية معروفة. وهذه الأودية التي سيذكرها الآن هي في وادي بردى من بعد الفيحة.

(٥) يقصد وادي قرية عين الخضراء.

قد سمّيت يا صاح (بالرقية)
 كم للتصابي بعث غايات النهي
 ضياء مرآة بروض القصفِ
 قد أحرزت محاسن الأوصافِ
 إذ سقيها الرياض سقي النهرِ
 والبعض منها للقرى معونه
 ولا تروم العدَّ والاستقصا
 قد خُصَّ بالحرمان من أضعاف
 وغير ذكر الشام عندي طيشُ
 ومهبط القرآن والتبيينِ
 وخصّه بالسعي والتعريفِ
 وفيه للغفران نعم المطمحُ
 حامي حمى الإسلام ماحي الشركِ
 في أن فيها من رياض الجنة
 وخيركم بعدي خديزُ الصدقِ
 وثالث الخلفاء ذو النورينِ
 وبالرضا والعفو أرجو ختمي

وانعم بعين اللذة الفضيّه
 (عين قرقور) سقى عهدي بها
 (وعين أقلايا) حكمت بالرصيف
 (عين حروش) كالزالال الصافي
 فهذه العيون ذات القدر
 فالبعض منها قارب المدينة
 وما سواها صاح ليست تحصى
 فانهض وشمّر للتصابي باعا
 فهذه الدنيا وهذا العيش
 إلا مناط العز والتمكين
 وإد جباه الله بالتشريف
 وعنده الأوزار حقًا تُطرح
 وبلدة المختار عين الملكِ
 قد صحت الأقوال عند السنّة
 ونالت العليا بخير الخلق
 وصنوه الفاروق محيي الدين
 هواطل الرضوان فيها تهمي

* * *

أنهار دمشق

في هذا البحث اعتمدت ولخصت ما يتعلق بأنهار دمشق على :

- ١ - كتاب غدق الأفكار في ذكر الأنهار للإمام يوسف بن عبد الهادي المتوفى سنة ٩٠٩ هـ ، بتحقيق الأستاذ صلاح الخيمي .
- ٢ - ما كتبه الأستاذ أحمد وصفي زكريا في كتابه الريف السوري (١ - ٢) .

أنهار دمشق

في الجانب الغربي من دمشق وادي البنفسج ويعرف أيضاً بوادي الشقراء يسقيه خمسة أنهر ، ولدمشق سبعة أنهر تخرج من بيعة بين دمشق والزبداني تسمى بيعة الفيحة ، وتظهر بعد خروجها من الشعب بموضع يعرف بالنيرب ، ينصب هذا الماء كالنهر العظيم له صوت هائل .

قال ابن عبد الهادي : أصل بردى في موضعين : من عين الفيحة ومن ينابيع عيون التوت غربي الزبداني ، وتتفرع منه الأنهار المعروفة وهي سبعة : نهر بردى ونهر يزيد ونهر المزة ، ونهر باناس ونهر داريا ونهر داعية .

أما بردى فهو أصلها وهو النهر الذي ينبع من منبعه في عيون التوت إلى مصبه وأنشد بعضهم :

قالوا فؤادك برّد من محبتهم فقلت نار الجوى لا تنظفي أبدا
برّدت قلبي لما غبت عن نظري بما يزيد وما ثورا وما بردى
ويجري من منبعه إلى مصبه في بحيرة العتبية .

نهر يزيد : نسبته إلى يزيد بن معاوية وليس هو أول من شقه وإنما هو الذي زاده ووسعه فنسب إليه ، فإنه كان أولاً ساقية ، ثم إن يزيد بن معاوية صالح أهل الغوطة على زيادته فنسب إليه .

وبعد موت يزيد بقي النهر على حاله حتى ولي هشام بن عبد الملك فسأله أهل حرستا شرب سقايتهم وماء لمسجدهم فكلّم فاطمة بنت يزيد في ذلك فأجابته إلى ذلك .

وأصل مقسمه من الهامة ثم يسير في لحف الجبل ، ثم إلى قرية دمر ويسير في قاسيون ولحفه ويسير أيضاً تحت الجبل .

وتشرب منه أرض النيرب^(١) والصالحية والقابون وحرستا والميطور وطواحين
وحمامات ، وهو نهر عالٍ على لحف الجبل .

نهر ثورا: أكبرها نهراً وهو نهر عظيم أصله من بردى ، ومقسمه من
الشاذروان قبل الربوة ، وهو تحت نهر يزيد ، ويسقي أماكن كثيرة من بيوت
وحمامات وبساتين وبعض النيرب وجنوب أراضي الصالحية التي بين دمشق
والصالحية ، ويسقي أيضاً قرية بيت أبيات وقسماً من قرية جوبر وغالب قرى
الغوطة الفوقا وينتهي إلى عذرا .

نهر المزة: نهر صغير أقل الأنهار ومقسمه من الربوة وتشرب منه المزة
وما يحيط بها من هذه الجهة مثل كفرسوسة ونحو ذلك .

نهر باناس: ويعرف عند أهل دمشق بنهر بانياس ، وهو نهر وسط مقسمه عند
الربوة أسفل الجبل ويدخل جامع تنكز ويدخل في القلعة ويخرج منها ، وعليه
عدة طواحين وتشرب منه بعض قرى الغوطة ، ولكن ماءه يقل عن يزيد وثورا .

نهر داريا: ويعرف بالداراني مقسمة في الشاذروان قبل الربوة ، وهو دون
الثلاثة أنهار غزارة ، ويسقي داريا وأراضيها وما جاورها .

نهر داعية: مقسمه عند الصفوانية ، وماؤه لا يستعمل للشرب ، لأن أوساخ
البلد وأقذارها تنصب به ، فيسقى به البساتين لا غير ، وهو متفرع من نهر
باناس ، وعليه أوساخ الدباغة وأقذار البلد ، ويخرج من جهة الباب الصغير
وينزل من جهة عين ترما إلى كفربطنا وسقبا وما جاورها .

وقد ذكر ابن شداد نهر مجدول وهو نهر العقرباني نسبة إلى قرية عقربا ونهر
حيوه وهو نهر الزلف ونهر التوبة العليا والسفلى .

ومن الأنهار المضافة إلى دمشق نهر حروش بالمرج ونهر الزابول به ، ونهر
الأعوج الذي ينبع من جبل الثلج (الشيخ) وينزل على سعسع ، ثم ينزل إلى
الكسوة فيسقيها وهو من أحسن المياه وأخفها وأطيبها .

(١) النيربان: أعلى وأسفل ، فالأعلى ما بين نهري يزيد وثورا . والأسفل بين ثورا وبردى .

أنهار دمشق

وقال أحمد وصفي زكريا في كتابه «الريف السوري»^(١) ما ملخصه نقلاً عن شيخ الربوة شمس الدين الدمشقي: إن نهر دمشق بردى ينبعث من مرج الزبداني ومن عين الدله فوق الزبداني ومن عين الفيحة، ومن عين صغيرة في طول بردى.

وأصل عين بردى من تحت جبل في مرج الزبداني بجانب قرية يقال لها (الضيرة أو الصنيرة) ثم قال: إن عدد بساتين دمشق مئة ألف وواحد وعشرون ألف بستان، تسقى بماء واحد يأتي إليها من أرض الزبداني ومن وادي بردى عين تتحدر من أول الوادي ومن عين الفيحة، ويبعث نهراً واحداً يسمى بردى، ثم يتفرق سبع فرقات، كل فرقة نهر يسمى باسم.

منها نهر يزيد فتحه يزيد بن معاوية فسمي باسمه، ونهر ثورا فتحه ملك من ملوك الروم اسمه ثورا، ونهر بانياس أو بلنياس فتحه بلنياس الحكيم اليوناني فتسمى به، ونهر القنوات وكلاهما يجريان إلى داخل المدينة، ويتفرقان في المصارف والبرك والقنى والحمامات والطهارات، ونهر المزة منسوب إلى قرية تسمى المزة، ثم نهر داريا وهو سادس النهور وأرفعها مجرى وأبعدها مقسماً، وسابع النهور نهر بردى في قرارة الوادي، ولا يقبل الارتفاع من مجراه، ومنه تقسمت الأنهار المذكورة، ثم ينقسم من هذه الأنهار فرق وجداول وتتفرق متشعبة بأراضي الغوطة، حتى لا يبقى منها بقعة يمكن وصول الماء إليها إلا ويصل ويركبها.

ثم قال: تفريع بردى:

تفريع بردى - قدمنا أن نهر بردى ينقسم إلى سبعة فروع هو سابعاها، لكن كمية الماء الداخلة في فوهة كل من هذه الفروع مجهولة لا يعرفها في دمشق أحد على الضبط حتى ولا الدائرة الفنية المكلفة بذلك. وقد ظلينا مدة مديدة نسأل من نظن أنهم ذوو معرفة فلا نجد إلا أجوبة غامضة، أو لا نجد من يأبه بهذا الأمر المتعلق بنهر عظيم الأثر كبردى، الذي تستمد الحياة منه مدينة دمشق وغوطتها.

(١) الريف السوري لأحمد وصفي زكريا طبع بدمشق ١٣٧٤ - ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٥ - ١٩٥٧ م الجزء الثاني صفحة ٢٥.

وكنا اطلعنا على ما كتبه المسيو تومن الفرنسي في كتابه (الجغرافية البشرية لسورية المتوسطة ص ٥٥) فوجدنا أرقامه مغلوبة غير مقبولة. وما زلنا نسأل حتى أطلعنا صديقنا الهمام ذو الخبرة المتنوعة السيد رشيد الطرابيشي على تقرير مؤرخ في ٢٣ مايس سنة ١٩٢٥ مقدم إلى مدير الأوقاف من قبل لجنة خاصة لهذه الأضالة المنشودة كان هو عضواً فيها. وقد رأينا أن هذا التقرير وإن لم يكن فنياً وقطعياً هو على كل حال فريد في بابه ، وقد أصبح من الوثائق التاريخية الباحثة عن عرف جار في بردانا من عصور قديمة حتى يومنا هذا ، فنسبنا درجه في كتابنا بنصه. قالت اللجنة:

نعرض بناءً على الأوراق المحولة إلينا بتاريخ ٤ مايس ١٩٢٥ أجرينا الكشف على مقاسم يزيد وقناية المزة والديراني وثورا والقنوات وبانياس وبردى وشاهدنا ما يأتي:

١ - إن نهر يزيد ينقسم من نهر بردى قرب قرية الهامة بفوهة سعتها تقارب أربعة وثلاثين متراً وسبعين معشاراً ومسكور بأغصان الأشجار وحشيش الخز وسياج وكباشات خشبية، ويقدر الماء المرشح لبردى من فوارغ السدود خمسة وعشرين بالمئة - بالنسبة لمجموع الماء.

٢ - إن نهر قناة المزة ينقسم من بردى ما بين الهامة ودمر بقرب دار أحمد أفندي القضماني. فوهة مقسمة تقارب الأربعين متراً ومسكور بكباشات خشبية وأغصان الأشجار وحشيش الخز وبعض أشجار جسيمة ، ومقدار الماء المرشح منه لبردى خمسة وسبعون بالمئة بالنسبة لمجموع الماء.

٣ - إن نهر الديراني ينقسم من بردى ما بين دمر والشادروان وسعة فوهة مقسمة تقارب الأربعين متراً ومسكور بكباشات خشبية وأغصان الأشجار وحشيش الخز وما أشبه ذلك ، وبعض الكباشات من شجر الصفصاف نامية ، ويقدر الماء المرشح منه لبردى من فوارغ السدود بخمسة وعشرين بالمئة بالنسبة لمجموع الماء ، ويوجد أيضاً حجر كبير مبني داخل مجرى الماء بقرب مقسم نهر ثورا ويسمى هذا الحجر بالميزان أو الشاهدة ، ويتبين من التحقيق بأنه وضع قديماً لأجل قياس ارتفاع سطح الماء بالنسبة له حتى لا يحصل تجاوز على حقوق بقية الأنهر. فأجرينا قياس سطح الماء بالحالة الحاضرة فوجدناه يرتفع خمسة وثلاثين معشاراً (سانتيمتراً) عن السطح الأفقي للميزان.

٤ - إن نهر ثورا ينقسم من بعد دمر قرب جسر الخط الحديدي بموجب مقسم (بسط) مجرى منظم لا يوجد عليه أقل اعتراض. وينقسم الماء أربعة عشر حصّة لنهر ثورا^(١) وعشرة لنهر بردى ما عدا السيلين خاصة جامع الأموي الشريف.

٥ - إن نهر القنوات ينقسم من بردى قرب منتزه الشادروان وسعة فوهة مقسمه تقارب ثلاثين متراً ومسكور كغيره بكباشات خشبية وسياج وشوك ورمل وأحجار ، ويقدر الماء المرشح منه لبردى بثمانية عشر وثلاثة وثلاثين معشاراً بالمئة بالنسبة لمجموع الماء.

٦ - إن نهر بانياس ينقسم من قرب الربوة وسعة فوهة مقسمه تقارب الثلاثين متراً ومسكور بكباشات خشبية وأحجار وتراب وشيء قليل من السياج ، ويوجد حائط بني حديثاً من بتون بطول خمسة وثلاثين متراً تقريباً من كنار السد الشرقي حتى جسر الربوة الموجود فوق النهر المذكور ويقدر الماء المرشح منه لبردى خمسة بالمئة بالنسبة لمجموع الماء.

٧ - أما نهر بردى فلا يوجد بمجره في الربوة من الماء إلا مقدار قليل جداً ، ولولا الينابيع الموجودة بالنقاط المختلفة بمجره ، لما تجمع به ماء ولا جرى بالنظر لعدم اطراد سعة فوهة المقاسم في الأنهر المذكورة واختلاف شكل السدود ووسائطها. ولدى السؤال والتحقق من أهل الخبرة في محلات متعددة عن أصل التعامل والأصول المتخذة قديماً حتى يومنا هذا بخصوص كيفية السكور ونوعها ووسائطها ومقدار المرشح لنهر بردى بالنسبة لمجموع كميات الماء فوجدنا الإفادات مختلفة وبعضها متناقضة. ثم لدى الفحص الدقيق والسؤال من أصحاب المياه في الأنهر المختلفة عن وجود مستندات رسمية تتضمن كيفية تقسيم المياه فوجدت حجة شرعية عند السيد أحمد بقلّة من قرية كفرسوسة يرجع تاريخها إلى ما قبل خمس وسبعين سنة تقريباً محررة عام ذي القعدة سنة ١٢٦٩ هـ تنص على أن السكورة المستعملة لكافة الأنهر يقتضى أن تكون بالشوك والبلان وبالغما^(٢)

(١) ربما كانت هذه الحصص الأربع عشرة تعادل ٣٣، ٨٨ في المئة بالنسبة لما تبقى من الماء بعد تفرع الديراني.

(٢) الغما - أغصان الحور الرقيقة (شفاية) التي تقلم عن أمهاتها في فصل الشتاء وتجرد من =

ويوضع كباشات من دون تراب ولا أحجار على نسق واحد.

وأن أصحاب نهر الديراني يقتضي أن يسكروا ويأخذوا حقهم من الماء إلى علو الميزان الحجري الذي وضعه المرحوم السلطان سليمان صبت عليه سحائب الغفران ، يمر الماء فوق الميزان الحجري بأربعة قراريط أي باثني عشر معشاراً (سانتيما) ، فعند الكشف والمعانة والوقوف على ذات النهر والسكر والميزان ووسائط السد وجد ارتفاعه يزداد ثلاثة وعشرين معشاراً (سانتيما) فوق الحق الشرعي ، ويوجد أيضاً تجاوز صريح بكافة الأنهر. فلذلك يقتضي رفع التراب والأحجار وأغصان الأشجار وحشيش الخبز وما أشبه ذلك من كافة السكورة ووضع محلها الشوك والبلان والغما المعروفة بنوع من الشوك بدون ورق بكثافة متساوية. وبهذه الصورة تكون التقسيمات عادلة ومطابقة للقيود والتعامل القديم. وعليه قدمنا تقريرنا هذا للعمل بمقتضاه ليرجع الحق والعدل لأصله ودمتم محترمين سيدي. ٢٣ مايس ١٩٢٥.

| | | |
|------------------|---------------|--------------------------|
| الفرضي | عضو البلدية | وكيل معمار دائرة الأوقاف |
| محمد سليم الطيبي | رشيد الطرايشي | أحمد عيد الإمام |

| | |
|--------------------|---------------------|
| عضو الأوقاف | عضو المحكمة الشرعية |
| محمد توفيق السيوطي | محمد شفيق الأسطواني |

قلت: إن ما جاء في الحجة المذكورة آنفاً والمؤرخة في عام ١٢٦٩ هـ بشأن جعل السكر من كباشات الخشب ومن الشوك والبلان والغما. . مذكور أيضاً في كتاب (البرق المتألق في محاسن جلق) تأليف ابن خدا ويردى (القرن ١٢هـ) الذي قدمنا ذكره في حاشية الصحيفة ١٧ ، مما يدل على أن استعمال هذه المواد قديم منذ قرون لا يعرف أولها. فهل كانت هذه السكر على هذا الشكل في عهد الآراميين والرومانيين والأمويين أم كانت من الحجر؟ إن وجود سد حجري (بسط) على نهر يزيد عند مقسمه بعد الهامة لا تزال بعض آثاره ظاهرة ، طولها ١٤ متراً وعرضها متران وهي مبنية بالحجر والبلاط القديم ، ومثله الذي على نهر

= أوراقها فتوضع مستعرضة في مجرى النهر فوق الكباشات الخشبية لكي تسند الشوك والبلان المكلفين بمنع تسرب الماء وتحويلها إلى الفرع المطلوب.

ثورا عند مقسمه بعد دمر يدلان على أن استعمال الخشب والشوك والبلاط والغما أمر مستحدث .

وفي ظننا أن الفيضانات التي كانت تتكرر الحين بعد الحين في بردى خربت السدود الحجرية التي كانت على يزيد وثورا وغيرهما ، وحالت جهود الفوضى دون ترميمها فاستعاضوا عنها باستعمال المواد المذكورة السهلة المنال .

ومرت قرون جعلت أهل الغوطة ولا سيما الذين لا يتورعون عن التلاعب بالماء يعتادونها ، وصاروا لا يبغون عنها حولاً ، ولا يرضون بتبديلها بما هو أصح كالحجر أو الإسمنت ، حتى ولا يرفع التراب والأحجار والحشائش . ودعواهم أن هذا أمر قديم يجب أن يبقى على قدمه متجاهلين القاعدة الفقهية القائلة : (الضرر يزال ولو كان قديماً) .

هذا ولما صدر قرار اللجنة السابقة الذكر سنة ١٩٢٥ وظهرت عورات التفريع الحالي في أقسام بردى بدأ المدعون بالإضرار وضياع الحقوق في هذا التفريع يقيمون الدعاوى . ورأت الحكومة وجوب النظر إلى ذلك . فألفت سنة ١٩٣٦ لجنة قضائية دعته (لجنة إحصاء وتثبيت الحقوق المكتسبة على نهري بردى والأعوج ونبع الفيحة) وجعلت هذه اللجنة برئاسة قاضي استئنافي وعضوية ممثل عن دائرة المصالح العقارية وآخر عن دائرة الري واثنين من الخبراء المحليين .

وقد تلقت هذه اللجنة عدة دعاوى ، أولها بحق نهر المزاري بأنه يأخذ أكثر من حقه من جراء رفع الطاقة التي كانت تحدد حصته من الماء ، ولا تزال هذه الدعوى قائمة .

ثانياً: بحق نهر الديراني فقد تقدم أهل الغوطة المنتفعين بمياه ثورا وقنوات وبانياس وبردى ، وادعوا بأن نهر الديراني آخذ من بردى أكثر من حقه المسجل بحجج شرعية ، على أساس أن تكون كمية المياه التي يأخذها لا تتجاوز أربعة قراريط فوق حجر الميزان الموجود حالياً في مجرى نهر الديراني . ولا تزال هذه الدعوى أيضاً قائمة منذ سنين .

ثالثاً: تقدم أهل الغوطة المدعون بالحقوق ضد أهل نهر يزيد ، فقامت اللجنة بعد دراسة وأقرت رفع الكباشات والشوك والغما وتبديل ذلك ببسط حجري على غرار بسط ثورا الذي فوق بردى ، وحددت بقرارها النسب الواجب وضعها على البسط بأبعاد معينة ، حافظه بذلك نسب المياه بين نهر بردى وفروعه ونهر يزيد .

ثم أحالت قرارها هذا إلى وزارة الأشغال العامة بتنفيذه فعلاً بواسطة مصلحة الري ، ولما يتم شيء من ذلك رغم مرور بضع سنوات ، ولو تم هذا الأمر في يزيد لتعدى مفعوله إلى بقية الأنهار وزالت الأعشاب والأشواك والأخشاب المهربة للمياه والمضيفة للحقوق والمثبتة لأعراف رجعية وصارت بالحجر أو الإسمنت وفق الأساليب الفنية الحديثة وانتهت الفوضى والشكوى... فمتى يكون ذلك وعلى أي يد حديدية عادلة؟

هذا ونعود للبحث عما يتبقى في بردى من الماء القليل ونضيف إلى ما ذكرته اللجنة صاحبة تقرير ٢٣ ميس ١٩٢٥ بأن بردى كلما انفصل فرع منه يصغر ويتضاءل إلى أن يصبح بعد الربوة هزيباً يستغرب الناظرون إليه كيفية بلوغه دمشق وغوطتها. وجواب ذلك أن الينابيع التي في قرارته وضفتيه تمده بالماء فلا يلبث بعد ٥٠٠ متر حتى تراه قد استرد قسماً وثيراً مما أضاعه ، وهكذا يدوم الاسترداد حتى يجتاز الغوطة والمرج ، وهذا من مزايا بردى ، فهو عند إقامة سدود على مجراه عند الهامة ودمر الربوة وحين تحويل مياهه إلى فروعه بقصد الكري والتنظيف يلحظ أن المياه تنبثق ثانية بعد مسافة ويعود النهر إلى السيلان وذلك بفضل الينابيع التي تتغذى بالطبقة المائية المترشحة ولا سيما بعد موقع صدر الباز غربي المرجة الخضراء ، فتراه هناك قد قوي ونشط. ويحصل نفس الحادث حينما تحول مياه بردى لسقي البساتين حوله إذ تعود المياه إلى الظهور في قراره بعد مسافة ما ، ويجري النهر مرة أخرى مختلاً فخوراً ولو أن كمية الماء تكون ضئيلة إذ ذاك نسبياً ، وإلى ذلك أشار أحد الشعراء بقوله:

غِيَاضٌ يَفِيضُ الْمَاءَ فِي عِرْصَاتِهَا فْتَزْهُو جَمَالاً عِنْدَ ذَاكَ وَتَزْهُرُ
تَرَى (بَرْدَى) فِيهَا يَصُولُ كَأَنَّهُ وَحَصْبَاؤُهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ مَجْوَهْرُ

ومن الأحداث التي أيقظت بردى وأرته ما لم يره طول حياته من آلاف السنين هي ما أخذوا يعملون فيه أيام افتتاح معرض دمشق الدولي في شهر أيلول عام (١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٦) ، فقد نظفوا قسماً من مجراه بين جسر فكتوريا وجسر الحرية ، ووضعوا له حواجز رفعت مياهه فصارت سالحة لأن تمخر فيها الزوارق الصغيرة وتحمل المتنزهين مما لم يسبق له مثيل قط في دمشق ، وفي الليل وضعت فيه مصابيح كهربائية على حواجز أمام أرض المعرض فصارت تتلألأ بأشعتها الحمر هي والنوافير المتناثرة منها وتلفت أنظار الألواف من زوار

المعرض . وقد كنا نتمنى لبردانا الخالد أن ينظف دائماً ويعمق مجراه كله بين صدر الباز وساحة المرجة لتزداد مياهه من ينابيعه الجانبية ويتخلص من الطحلب والنجيل وأمثالها من الحشائش الطفيلية التي تشوه منظره .

إننا نريده (يصفق بالرحيق السلسل) ، ونريده بردي الذي يتحدث عنه الشعراء والكتاب على أنه أجمل أنهار الدنيا ، لا من التي تعبت به أقدام الصغار وتتهادى على سطح مياهه الشحيحة الأعشاب والأقذار . فعلى أمانة العاصمة أن تقوم بهذه الخدمة ، لا في أشهر المعرض فحسب ، بل طوال أشهر السنة ؛ لأن بردي زينة دمشق وروحها وريحانها . فهل يكون ذلك؟

بعض مصطلحات أهل الغوطة في مجاري المياه ومقاسمها - .

كل فتحة تأخذ ماءً من النهر دون انقطاع يسمونها (ماصية) ويجمعونها على (مواصي) وهي كماصية أمير المؤمنين على نهر تورا قرب حديقة أبي العلاء في أعلى شارع أبي رمانة .

ويسمونها أيضاً (باب) كباب الثلث على نهر تورا أيضاً قبل بلوغه قرية جوبر . وعندهم كلمة (مزاز) وصحيحها (المصاص) من المص ، وهو المكان الذي ينقسم فيه ماء النهر إلى فروع عديدة يملكها أصحاب حقوق عديديون . فمن المزازات ما يقسم الماء على قرية بكاملها ومنها ما يقسم بين عدد من الملاكين في القرية ، ومنها ما يقسم بين اثنين من الملاكين المتجاورين . والمزازات حجارة ضخمة توضع وسط مجرى النهر من ضفة إلى ضفة وعلى صف واحد مستقيم ، ثم يوضع فوق هذا الصف أحجار كبيرة أقل ضخامة من الأولى متباعد بعضها عن بعض بحيث يحصل بينها فتحات (مساكير) ذات مسافات قياسية متفق عليها منذ أجيال إما شفهيّاً أو وفق حجج مكتوبة . وهذه الأحجار هي لأجل أن تسند الحواجز الترابية التي يعملها الفلاحون في الفتحات العائدة إلى جيرانهم حينما يريدون إسالة الماء من فتحاتهم وقت (عدان) هم .

وعندهم كلمة (بسط) وهو فتحة النهر من أصله كبسط يزيد قبل دمر ، وأحجار البسط تكون متباعدة أكثر مما في المزازات العادية .

وعندهم كلمة (نفل) وهو المجرى المحفور وسط قاع النهر وعلى طوله بعرض وعمق متفق عليهما كالذي في قرية المزة . وفائدة النفل هو أنه يزيد الماء

(الصبيب) الجاري في النهر فيتمتع أصحاب الأرض السفلى بهذه الزيادة ، وفي قرية داريا نفل عميق طويل يقال: إن الذي أشار به هو أبو سليمان الداراني العالم الزاهد المتوفى سنة ٢١٥ هـ.

وعندهم كلمة (حالول) ويجمعونها على كلمة (حالات) وهو الباب الحديد الذي يوضع في النهر لسد مجراه عند اللزوم. وكلمة (حريم النهر) وهو مساحة الأرض التي تكون على ضفتي الأنهر المخصصة لتكويم الطين المستخرج من قاع النهر وقت تنظيفه. والقاعدة أن يكون عرض هذه المسافة في كل ضفة على قدر عرض النهر.

وعندهم أن كل مجرى ماء مكشوف هو (نهر) إذا كان كبيراً و(ساقية) إذا كان صغيراً. وكل مجرى ماء يسيل تحت الأرض هو (قناية) التي صحيحها قناة وجمعها قنوات وقني ، و(العدان) وعدان الشيء هو زمانه وعهده وأوله يطلقونه على وقت إعطاء كل ذي حق حقه من الماء.

هذا وبعد ما قدمناه ونقلناه عن تكوين بردى وتفريعه نبدأ الآن بوصف الأنهار الممتدة في ناحية الغوطة الشرقية فنقول:

نهر يزيد - ذكرنا أن هذا النهر ينسب إلى يزيد بن معاوية ، بينما هو أقدم منه ، وإن لم يعرف الذي شقه على الضبط. وفضل يزيد بن معاوية في أنه زاده وجعله نهراً بعد أن كان جدولاً فنسب إليه كما جاء في أقوال ابن عساكر التي سبق أن نقلناها ، وهو أول نهر ينفصل عن بردى في مكان يدعى (المقسم) جنوبي قرية الهامة على بعد ٤٠٠ متر عنها. ولكي تدخل مياه بردى في مجرى يزيد أقيم على بردى سد مكون من ركائز خشبية مغروزة في قاع النهر يدعونها (الكباشات). وفتحة بردى هناك ٣٤ متراً وفتحة يزيد ٢٥ ، ١٠ متراً فقط. وهذه الكباشات الخشبية تساعد على استعمال ما يدعونه الشوك والبلان والغماء وهي نباتات يضعونها أمام الركائز فتعترض سبيل المياه وتجعلها تسيل في مجرى يزيد ولا يجوز في عرف أهل الغوطة وضع غير هذه المواد حسب الحجج الشرعية ؛ وذلك لكي تتسرب المياه خلال الأشواك المذكورة وتنفذ إلى مجرى بردى بقدر لا يزيد عن ستة قراريط من أصل ٢٤ قيراطاً في بردى كله ، على ما قالته اللجنة المؤلفة سنة ١٩٢٥ في ما نقلناه عنها. والغالب أن العمل بهذه النسبة يجري خلال فصل الصيف فقط من جراء الحاجة إلى الماء آنئذ. ولأن ضبط الماء

ومعرفة مقدارها شتاء يصعب إبان فيضان المياه. أضيف إلى ذلك وجود مياه غزيرة في فصل الشتاء تستدعي وضع السد في فتحة النهر يزيد نفسه درءاً للفيضان في هذا النهر الصغير. وكنا ذكرنا أن سد مجرى بردى عند مقسم يزيد بالكباشات عمل مستحدث؛ لأن هناك سداً حجرياً (بسطاً) قديماً لا تزال بعض آثاره ظاهرة للعيان، طولها ١٤ متراً وعرضها متران، وهي مبنية بالحجر والملاط القديم. ولما قضت السيول على هذا السد وحالت عهود الفوضى دون ترميمه استعاضوا عنه بالكباشات الخشبية المذكورة.

وطول نهر يزيد من مكان تفرعه إلى منتهاه يقدر بـ ١٦ كيلاً من نقطة تعلق ٧٤٩,٥٠ متراً عن سطح البحر وتنتهي على ارتفاع قدره ٧٢٤ متراً، أي: إن فرق الارتفاع ٢٦ متراً في مسافة ١٦ كيلاً مما يجعل الانحدار ١,٥٥ متراً في الكيل الواحد تقريباً.

هذا وقد جرى لنهر يزيد خلال التاريخ تبدل كثير وتوسيع في مجراه حتى أخذ شكله الحالي في زمن يزيد بن معاوية كما قدمناه. وعرضه وعمقه الآن حوالي مترين في مثلهما أو أكثر من ذلك بقليل. وهو من حين تفرعه حتى دخوله الغوطة عند الربوة يبقى معلقاً في لحف الكتلة الجبلية حيث حفر مجراه في الصخر على النحو الذي وصفه المسيو تريس فيما قدمناه آنفاً. وإحدى مزايا (يزيد) هو أنه يؤلف الحد الفاصل بين الأرض المسقية الخضراء والأراضي الجافة القفراء في سفح جبل قاسيون. لكن مياهه ترتفع بواسطة السرايات (الأنفاق) إلى بُعد يقدر بـ ٣٠٠ - ٤٠٠ متر، وإلى عمق يقدر بـ ٤٠ متراً أو أكثر فيزداد بذلك عرض الأراضي المسقية الخضراء.

وبعد تفرع يزيد في الهامة يتجه نحو الشرق ويمر من شمالي قرية دمر التي تشرب منه، ثم من مضيق الربوة في لحف الكتلة الجبلية التي ذكرناها. وينطلق من فوق صخرة المنشار التي في فوهة مضيق الربوة ويتابع مجراه المحفور في تربة ركامية قاسية على ضفتيه جدران حجرية منتظمة. وهو كبير في الأصل عند تفرعه في الهامة كما قدمنا. لكنه كلما اتجه شرقاً يصغر لعدة أسباب منها الترشيح الذي يحدث خلال الشقوق والثقوب في جداره، ثم من المواصي والسبلان العديدة في طول مجراه وتنفذ منه كميات وافرة على أراضي الهامة ودمر وعلى نهر بردى الأصلي، ثم على نهر تورا الذي يستمد من يزيد الكثير من الماء في

كل مجراه ، وهو يسقي قسماً من أراضي الهامة (عدة غياض حور فقط) وأراضي دمر الشرقية (غياض وبساتين) والغياض والبساتين التي في الشاذروان والربوة ، ثم بساتين الصالحية المسماة (بين النيربين) أي بينه وبين تورا ، ثم بساتين أحياء الجهاركسية وأبي جرش والأكراد. وفي دور هذه الأحياء آبار ذات سرايات تستمد الماء من يزيد الذي يقل رويداً رويداً، ثم يتابع سيره شرقاً نحو قرية القابون ومنه شرب أهلها رغم عكراه ولوثه ، وهكذا إلى أن ينتهي في حقول حرستا الشمالية .

ويقول المسيو تريس في كتابه: إن لقريتي الهامة ودمر حقاً في الإسقاء كما تشآن أي: أنهما تستطيعان أخذ الماء دائماً أو موقّةً بالعدان أو بوضع النواعير. وبين الربوة وحي المهاجرين تتدفق مياه يزيد بغزارة من السبلان يتناولها أصحاب البساتين والطواحين القائمة في هذه المنطقة التي تسمى (النيربين). وإذا كان اتجاه سفح قاسيون حسناً نحو الجنوب ومياهه من يزيد وافرة وموقعه من المدينة جد قريب ، صارت هذه المنطقة خاصة بالبستنة الخضرية والشجرية والزهرية وحواكير الصبارة والآس وبصناعة الطحن الفعالة التي تمون مدينة دمشق بطحينها^(١) وبستانيو هذه المنطقة وطحانتها يحسدهم أهل المناطق والقرى التي في المجرى الأسفل ليزيد (يعني أهل القابون وحرستا). ويزعم هؤلاء أن أولئك البستانيين والطحانيين يستهلكون نصف ماء يزيد. وهذا الزعم معقول لأنه حين توزيع نفقات كرى النهر يدفع أهل أحياء الجهاركسية وأبي جرش ١٢ قيراطاً من ٢٤ ، وبقية القراريط يدفعها أهل القابون وحرستا. وحين توزيع ماء يزيد يكون عدان أبي جرش هكذا؛ كل يوم من العصر إلى العشاء لأجل إملاء آبار هذا الحي. ويقوم حي الجهاركسية أيضاً بالعمل نفسه كل يوم أربعاء في الساعات ذاتها. ونهر يزيد بعد أن تؤخذ منه مياه كثيرة لأجل بساتين حي الأكراد يصل إلى

(١) هذا القول كان منطبقاً قبل سنة ١٩٣٠ لكن العمران الحديث قد بدأ منذ ذلك الحين واستفحل بعد سنة ١٩٤٠ وارتفعت القصور والدور ذات الطبقات المتعددة الشاهقة وامتدت الجادات العريضة المعبدة ، فقلت البساتين والطواحين والحواكير المذكورة وتراجعت وهي آخذة بالتراجع والزوال بسرعة ملحوظة. وهذا مما يؤسف عليه بعد أن كانت أراضي النيربين والصالحية الحلية الخضراء لدمشق ومصدر الخضروات والفواكه والرياحين الطبية المبكرة. وهذا العمران مستمر غرباً وشرقاً. وقد لا يمضي ١٥ - ٢٠ سنة أخرى حتى يصل إلى الربوة في الغرب وحدود قريتي جوبر والقابون في الشرق وتزول تلك الحلية الخضراء بتاتاً مع الطواحين والأضرحة التي هناك.

القابون وهنا وسط هذه القرية مراز يقسمه إلى فرعين: أحدهما ذو ١١ قيراطاً إلى قرية القابون والثاني ذو ١٣ قيراطاً إلى قرية حرستا التي يضمحل فيها.

نهر ثورا - لا يعرف من هو ثورا ولا معناه ، وقد كتبه ابن عساكر بالتاء المربوطة وكتبه ياقوت بالألف الممدودة ، ونحن تبعنا ياقوت في ما كتبه . يبدأ انفصال ثورا عن بردى حين دخوله فم الربوة عند جسر الخشب (كما كان يطلق عليه وقد صار هذا الجسر الآن من الحجر والإسمنت) الذي يقع على طريق بيروت شرقي قرية دمر . ومقسم ثورا هناك بسيط على خلاف مقسم يزيد . فهو مبني من الإسمنت (وكان من قبل بناء حجرياً قديماً ويدعى البسط) وعرض ثورا عند المقسم نحو ستة أمتار بينما عرض بردى لا يتجاوز الثلاثة أمتار . ونقطة تفرع ثورا - كما في كل نقاط تفرع مشتقات بردى - صنعت عند وجود منعطف في النهر الأصلي ، استثمره القدماء لاشتقاق الماء بحكم السهولة الملحوظة في هذه المنعطفات ، ولذا كان مقسم ثورا بسيطاً وثابتاً وفي غير حاجة إلى الكباشات شأن التي ذكرنا وجودها في يزيد . والكباشات هنا لا تستعمل إلا في سد فتحة ثورا أيام كرى النهر وفي أوقات زيادة المياه التي يخشى من تخريبها لجدرانها . إن ما يأخذه ثورا من المياه ضئيل في النسبة عند المقسم ، فهو يأخذ ٢٤/١٤ من مجموع المياه الباقية في بردى عند نقطة التفرع . غير أنها لا تلبث أن تزداد بفضل المياه الهابطة من مواصي نهر يزيد على ثورا ، وقد تبلغ ضعف مبدأه حين بلوغه منتهى الربوة . وضمننا ثورا على طول مجراه قد بنيت بالحجارة ورصف قعره بالحجارة بحكم رخاوة التراب الركامي والرسوبي الذي في مجراه وخوفاً من حدوث انخساف بسبب رشح مياهه خلال ذلك المجرى .

وثورا يسير نحو الصالحية في جنوبي يزيد وموازاته ، وعليه مواصي عديدة تأخذ منه الماء وتسقي في مدينة دمشق أحياء الصالحية وسوق صاروجة والعقبة والعمارة ومسجد الأقباب والزينية والقصاع . وهذه الأحياء تسقى بماء غزير ولها بساتين خضرية وشجرية ذات مساحات واسعة^(١) . ثم يبلغ ثورا الجسر

(١) وهذه البساتين أيضاً زال معظمها بعد استفحال العمران الحديث وبروز دور وقصور ذات طبقات متعددة وجادات عريضة على النحو الذي ذكرناه في بحث يزيد . وسوف لا يمضي ١٠ - ١٥ سنة حتى يصل إلى حي القصاع ويتلاقى عمران الصالحية والقصاع وتزول الخضرة والنضرة من هذه المنطقة الجميلة .

المسمى باسمه على طريق (دمشق - حمص) شمالي حي القصاع. وله قرب هذا الجسر مزاز كبير يدعى (باب الثلث) وهو مقسم كبير جداً يبدو أنه عريق في القدم كعراقة ثورا الذي هو من صنع الآراميين أقدم سكان دمشق الذين عرفهم التاريخ. وباب الثلث مبني بأحجار ضخمة هرقلية وإحدى فتحاته الثلاث مسدودة بالأحجار والأشواك، والفتحتان التاليتان فقط جاريتان ، وهو منقسم على المنوال الآتي: ١٢ قيراطاً إلى قريتي جوبر وعين ترما معاً ، منها ٨ إلى جوبر و٤ إلى عين ترما، ثم ١٢ قيراطاً منها ٦ إلى زملكا و٣ إلى حزة و٣ إلى بعض أراضي عربيل. ثم يتابع ثورا سيره فيسقي أراضي مديرية وحرستا ومسرابة ودومة وينتهي في قرية عذراء. وعلى هذا النهر قناطر إسلامية كثيرة تبعد الواحدة عن الثانية نصف كيل ، وعلى اثنتين من هذه القناطر كتابتان من عهد الفاطميين تشيران إلى تاريخ بنائهما أيام أحد خلفائهم المستنصر بالله تاريخ الأولى سنة ٤٤٢ هـ وتاريخ الثانية سنة ٤٥٦ هـ ، وحين توزيع نفقات كرى نهر ثورا تقسم قراريط هذه النفقات على المنوال الآتي: ٢,٥ بساتين المهاجرين ، ٢,٥ بساتين الصالحية ، ٣ بساتين مسجد الأقباص ، ٣ قرية جوبر ، ٤ قرية حرستا ، ٥ قرية دومة ، (انظر ما ذكرناه عن فرع ثورا إلى دومة في الجزء الأول ص ٢٤٣).

إن مياه ثورا تسقي حوضاً يقدر طوله بـ ١٦ - ١٨ كيلاً وبعرض وسطي قدره ٣ كيلات. فهو يسقي الأراضي الواقعة بين مجراه ومجرى بردى حتى يصل إلى دومة ويضمحل هناك في فصل الجفاف. إلا أنه في فصل الشتاء يبلغ قرية عذراء ، ومن هذا يبدو أن ثورا يسقي ضعف أراضي يزيد وأنه مدار الحياة لنصف مدينة دمشق وغوطتها الشمالية.

الداعيانبي: ينسب إلى قرية مندثرة كان اسمها داعية. وهو ينفصل عن بردى في موقع الصوفانية (الصفوانية) خارج باب توما ليسقي عدة قرى وهي: عين ترما كفربطنا ، جسرين ، سقبا ، حمورية ، افتريس ، بيت سوا ، داعية وغيرها. ولهذا النهر بادئ ذي بدء أربعة سبلان في وادي جوبر ، ثم ينقسم على النحو الآتي: أربعة قراريط إلى عين ترما ، وقيراطان إلى كفربطنا ، ويوم كامل في الأسبوع من حق قرية سقبا ومثله يوم آخر من حق عين ترما ، وبقيّة أيام الأسبوع كلها إلى كفربطنا.

والقراريط الثمانية عشر الباقية تصل إلى مقسم يدعى العقادة نسبة إلى مقام

العقادة وهي تنقسم على المنوال الآتي: ٤ قراريط إلى كفر بطنا و٤ إلى جسرين، والعشرة قراريط الباقية تنقسم: ٣ إلى سقبا و٢ إلى افتريس وحمورية و٣,٥ إلى داعية المضمومة أرضها إلى حمورية و١,٥ إلى بيت سوا.

نهر المليحي - ينسب إلى قرية المليحة، وهو يفصل عن بردى خارج باب توما قرب طاحونة الأحد عشرية التي تقع شرقي مستشفى الجذامي القديم (القعاطلة) على بعد ٤٥٠ متراً من الباب الشرقي. وهو يتفرع في إحدى وعشرين قناة فيسقي أراضي المليحة والبلاط والخيارا وبستان القواص ودير بحدل وينتهي في شبعاء. وكنا قدمنا القول بأن نهري الداعيان والمليحي يحملان أوساخ مدينة دمشق ويفرسانها حين السقي في أراضي القرى المذكورة التي تؤلف (الغوطة الوسطى) فيسمدانها ويجعلانها أخصب مناطق الغوطة كلها وأبركها غللاً.

هذا وينبع مع مجرى بردى بعد خروجه من أرباض دمشق عدة أنهار (رواضع) أيضاً منها الزبديني والبيلائي (البالائي) والزابون والملك والشيلاني (الشيداني) ونهر بيت نايم ونهر الحزرماني والحزرماني. فالزبديني يفصل عن بردى بالقرب من بستان القوادري شرقي جسر المطير ويسقي أراضي حديثة الجرش وزبدين وقسماً من أراضي بزينة وتفيض مياهه على نهر حاروش الذي تقدم ذكره في بحث ناحية النشابية. والبيلائي يسقي أراضي بالا والحديثة، ونهر الزابون ينبع من عين السويصة قرب مجرى بردى ويسقي بعض أراضي جسرين والمحمدية والافتريس وحوش الأشعري وقسماً من أراضي كفر بطنا. ونهر الملك يفصل عن بردى قرب جسر الغيضة^(١) ويسقي قسماً من أراضي المحمدية. ونهر الشيباني أو الشيداني يسقي بالا وحزستا القنطرة. ونهر الحزرماني يسقي حزستا القنطرة وحوش خرابو. ونهر بيت نايم يسقي قرية بيت نايم وحوش الصالحية. ونهر الحزرماني يسقي بعض أراضي حوش الصالحية وحزرماء.

وهناك بعض الأنهار والجداول تخرج من ينابيع قريبة أو بعيدة عن مجرى بردى أمثال نهر قناة الأشعري الذي ينبع من عين الغيلانية بالقرب من قرية

(١) هذا الجسر يجمع بين قرى شمالي الغوطة وجنوبها. ومنه انبعثت الجدوة الأولى من الثورة السورية (١٩٢٥ - ١٩٢٧) والغبيضة كانت تدعى غبيضة السلطان، ولها ذكر في التواريخ.

حمورية ويسقي أراضي الأشعري وأوتايا والشفونية ، وأمثال الأنهار التي قدمنا ذكرها في بحث ناحية النشائية (ج ١ ص ٣٣٠) مما لا حاجة لتكراره. ثم يجري الباقي من نهر بردى شرقاً ويدخل أراضي المريج ويسقي قرى النشائية والقاسمية والغريفة والعبادة والبلالية والعتيبة وتصب فضلاته في بحيرة العتبية القبلية (التي تدعى أيضاً مستنقع الدغمشي ، وتنتهي في بحيرة العتبية الشمالية كما قدمنا في بحث ناحية النشائية في الجزء الأول من كتابنا هذا.

وتقسيم مياه بردى على هذا الشكل بين القرى والمزارع المختلفة في الغوطين الغربية والشرقية وفي ناحية النشائية هو على نظام دقيق وأصول ثابتة يجري التعامل بموجبها منذ قرون لا يعرف أولها ولا من وضعها أهم الآراميون أم الرومانيون أم غيرهم، ويندر وقوع اختلافات عليها؛ لأن كل قرية تحتفظ بسجلات مسطر بها حق كل حقل من الماء وما له من الساعات والدقائق مع يومه المعين في الأسبوع (العدان) ولهم فيها مصطلحات يصعب على غير أهل القرى أن يتفهموها بسرعة.

هذا وقد رددت كتب التاريخ مراراً بأن بردى كان في العصور الماضية يطغى في بعض مواسم الشتاء ويفيض ويكسر المجاري ويدخل بيوت دمشق وحوانيتها وجوامعها وساحاتها الواطئة، ويهدم البيوت ويفرق الأنفس والأموال ويضر أضراراً فاحشة. منها ما جرى في ليلة ١٤ صفر سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) فقد وصل طوفانه ليلتئذ إلى حجر تاريخ القلعة، وأخرج أحمد باشا الجزار والي دمشق في ذلك الحين مرسوماً بإلزام أهل الصالحية والقابون وحريستا عمارة نهر يزيد فاشتغلوا في عمارة ضفتي النهر المذكور أربعين يوماً من المقسم (محل بالهامة) إلى ضريح الشيخ جابر بالقابون وبلغ مجموع ما عمروه مئة ألف ذراع.

وقد أدرك أهل زمننا طغيان بردى وبغيه عدة مرار على صحن التكية السليمانية وحجراتها وعلى ساحة المرجة وصحن جامع يلبغا وسوق الخيل وسوق العتيق وغيرها. إلا أن هذه الحالات قد استبعدت الآن بفضل فتح حلالات الطواحين التي كان سدها يوجب ذلك مع أخذ الاحتياطات الأخرى.



أبواب دمشق^(١)

الأول: باب الصغير: وهو الذي نزل عليه يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه في حصار المسلمين الروم ودخل منه .

وسمي بذلك لأنه كان أصغر أبوابها حين بنيت .

الثاني: باب كيسان: وهو يليه من شرقيه ، ويُنسب إلى كيسان مولى معاوية لنزوله عليه^(٢) .

ويليه الثالث: وهو الباب الشرقي: لأنه شرقيّ البلد ، وعليه نزل خالد بن الوليد رضي الله عنه ومنه دخل عتوة .

ويليه الرابع: وهو باب توما من شام البلد، يُنسب إلى عظيم من عظماء الروم وسُمي باسمه .

ويليه الباب الخامس: وهو المسمى بباب الجنيق: منسوب إلى رومي اسمه الجنيق ، وبه تُعرف محلة الجنيق ، والباب مسدود الآن .

ويليه الباب السادس: وهو باب الفراديس ، منسوب إلى محلة كانت خارج البلد تسمى الفراديس ، والفراديس بلغة الروم: البساتين .

ويليه الباب السابع: وهو باب الجابية: منسوب إلى قرية الجابية وكانت في الجاهلية مدينة عظيمة .

قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله: كان باب الجابية ثلاثة أبواب؛ الأوسط منها كبير ، ومن جانبيه بابان صغيران ، وكان الباب الشرقي بهذه الصفة لكونه

(١) نزعة الأنام في محاسن الشام ص ٣٥ ، تاريخ دمشق لابن عساكر طبعة المجمع ١٨٥/٢ .

(٢) وأصبح في عهد الاستعمار الفرنسي لسورية باباً لكنيسة القديس بولس .

مقابله ، وكان من الثلاثة الأبواب ثلاثة أسواق ممتدة من الباب الشرقي إلى باب الجابية ، وكان الأوسط من الأسواق للمشاة من الناس ، وأحد السوقين لمن يشرق بدابته ، والثاني لمن يغرب بها ، حتى لا يلتقي فيها راكبان .

قال ابن البدري^(١) : والكواكب صوروها على الأبواب : فزحل على باب كيسان ، وعلى الباب الشرقي صورة الشمس ، وعلى باب توما الزهرة ، وعلى باب الجنيق القمر ، وعلى باب الفراديس عطار ، وعلى باب الجابية المشتري ، وعلى الباب الصغير المريخ .

الثامن : باب الفرج من الشّام (الشمال) أحدثه الملك العادل نور الدين . قال ابن عساكر : سماه هذا الاسم تفاعلاً لما وجد فيه من التفريغ بفتحه ، وكان بقربه باب يسمى باب العمارة ، فتح عند عمارة القلعة ثم سُدَّ بعده ، وأثره باق في السور .

التاسع : باب الحديد من شّامه (الشمال) قال ابن عساكر : وهو الآن خاص بالقلعة التي أحدثت غربي البلد ، سمي بذلك لأنه كله حديد .

العاشر : باب السلامة من شمال البلد منسوب إلى محلة كانت خارج البلد ، لأنه لا يتهيأ القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار . قال البدري : أحدثه الملك نور الدين .

الحادي عشر : باب الجنان من غربي البلد سمي بذلك لما يليه من الجنان ، وهي البساتين ، قال ابن عساكر : وكان مسدوداً ثم فتح .

الثاني عشر : باب النصر غربي البلد فتحه الملك صلاح الدين الناصر بن أيوب .

قال البدري : غالب هذه الأبواب القديمة بني عليها منائر نور الدين الشهيد رحمه الله على مساجد وجعل لكل باب باشورة كالسويقة بها حوانيت مملوءة بالبضائع ، فإذا حصنت المدينة وقفلت الأبواب ، يستغني أهل كل باب من هذه الأبواب بما عندهم ، وهو مقصد جميل والله أعلم .



(١) نزهة الأنام ص ٣٦ .

فواكه دمشق في القرن الثامن الهجري

هذا بحث عن ضمان فواكه دمشق وأنواعها ومقدار مكوسها وأماكن بيعها
أورده المؤرخ ابن الجزري في كتابه «تاريخ حوادث الزمان» الجزء الثالث من
صفحة ٨٧٦ - ٨٨٥.



ضمان الثمار والفواكه والخضار بالشام

وفي شهور هذه السنة سنة ٧٣٦ هـ حصل الاجتماع بزين الدين بن همام الدين وهو أخو الحاج أبي بكر ضامن دار البطيخ والفاكهة ، سألته عن ضمان دار البطيخ فذكر أنّ أوّل سنتهم في الضمان من أوّل نزول الشّمس إلى بُرج الحَمَل ، وإلى آخرها سنة شمسية ، بلغ مائتي ألف درهم وسبعة وثمانين ألف درهم. فقلت له: أريد تكشف لي الضّريبة وتفصّل كلّ صنف بصنّفه لأنّه مشارف الديوان ونائب أخيه في الديوان ، فذكر: أنّ أول شيء يدخل إلى الدار من السنة الجديدة اللوز العقابيّ ، والورد ، والتفاح السُّكريّ ، والقراصيا ، والفول الأخضر ، يؤخذ من كل سبعة دراهم درهم. هذه الأصناف عشرون ألف درهم ، ومعها الهليون خمسة آلاف درهم ، والتّارنج خمسة آلاف درهم.

[المشمش]

ومن بعدها المشمش ذكر أصنافه ، وكذلك جميع الفواكه حتى تكون الفوائد مكملة. الأوّل من المشمش السندياني يتبعه الحموي ، ويلحقه البلدي الكبار ، ويكون الرطل ستين حبة ، ويتبعه الخُراسانيّ المائي الحالي الذي ليس في الدنيا مثله. ويتبعهما الوزيريّ شبيه الخُراسانيّ ، إلا أن قلبه مرّ ، والكلابيّ أصناف كثيرة منه صغار وكبار ، ومائي وناشف. وفيه صنف يُسمّى ضراط البَخَاتِيّ^(١).

والكلابيّ يباع كل عشرة أرطال بدرهم ، ويُباع أكثره سلالاً كلّ سلّة برّبع درهم ، يكون زنتها رطلاً واحداً وفي آخر المشمش يجيء مشمش صغار القدّ ، صلب الحب ، وقلبه حلو ، وهو مائي إلى حدّ غاية.

(١) البخاتي: الإبل.

وذكروا أنه هو كان أصل المشمش البلدي والخراساني ، وبعض التين إذا كان اللوزي مقبلاً ما يباع الكلابي فيسطحونه على الأرض يبيس ، فيصير منه قناطر مقنطرة ، يباع القنطار بعشرين درهماً .

ومُكس المشمش الذي يباع بدار البطيخ عبر المراكز خمسة وثلاثون ألف درهم ، وما يأكله أصحاب البساتين والفلاحون وما يهدونه لبعضهم بعضاً ويطعمونه . والمراكز يباع فيها جميع أصناف الفواكه طوال النهار ، بخلاف دار البطيخ ، فإنها من بكرة إلى الثانية ، وتنقص . والمراكز فيها كتاب وأمناء ومشدون ، ويحمل كل مركز ما أخذه إلى الديوان الكبير والضامن ، وهي مركز الصالحية والعقبية ، وحكر السماق ، وزاوية الشيخ ثابت ، وميدان الحصا ، وباب الصغير أول الشاغور ، والباب شرقي وباب توما ، وعند المدرسة الزنجيلية ، ومسجد القصب ، والعقبية ، وغيره ، وضريبة المراكز أربعون ألف درهم . وزنار البلد ضربته عشرون ألف درهم .

[التوت]

وأما التوت ، فهو نظير المشمش ، وما عليه مكس ولا معارضة ، وهو يستوي قبل المشمش بعشرة أيام ، ويبقى بعده بنحو عشرة أيام ، والصيف هو عبارة عن التوت والمشمش ، وباقي الفواكه ، وهي عيال عليهما ، ويستوي التوت على التراخي أولاً بأول .

قلت : وهو ثلاثة أصناف ، الأول يقال له : العاصمي كُلي ولا تُخاصمي ، وهو ثلاثة ألوان أحمر وأسود وأبيض ، حلو طيب ، ويتبعه بنحو عشرة أيام التوت السلطاني حلو كبار ، ومن كباره وطواله يصفون منه خمسة تجي شبر ابن آدم ، وأما سبعة وثمانية فكثير ، يهدونه للأمرء والأكابر . وأكثر الناس يرجحونه على المشمش لأنّ فيه حرارة لطيفة ما ترخي المعدة ، والمشمش يُرخي المعدة ، ويستحيل سريعاً .

ويقيم التوت نحو خمسين يوماً . والثالث : التوت الشاميّ الأسود المر ، ويقوم مقام الشراب ، وذكر الحكماء من أكله في سنته مرتين يأمن مرض الخوانيق ، وخواصّه كثيرة خصوصاً لأصحاب الصفراء والحمايات جميعها ، وتغذيّ غداء حسناً ، ويسنّ عليه إذا لازمه بالسُّكر والثلج .

[الخوخ]

ويتبعهما الخوخ الأسود ، والخوخ الزجاجي الأبيض ، والشثوي وزن الخوخة الشتوية من أوقية إلى عشرين درهماً. والقبرصي دونه. والذي يُطبخ باللحم عين البقر والدب ، ويعمل منهما المزاور للمرضى. ويجيء في زمانهم التفاح النبطي والحرساني والدلدي ، والجنايبي طيب الطعم صغاراً ، والفضي يُطبخ باللحم لحمضه ، والمجهول والأحمر والشثوي الذي يأكلونه في الشتاء ويسافرون به إلى البلاد هو الحديثي أبيض مُشَطَّب بالحمرة ، والفتحي الذي يُعمل منه الشراب ، وخميرة التفاح ، ويؤكل طول السنة ، والزبداني.

[التين]

وفي الصيف أيضاً التين ، منه: الرومي لا يشبه حلاوته شيء ، والبرزي ، والميني ، وغيره ، وضربيته عشرون ألف درهم ، ثم البطيخ الأصفر ضربيته ثمانية وعشرون ألف درهم والبطيخ الأخضر ضربيته عشرون ألف درهم ، يستخرج من أصحابها من الضياع ، ومن كل ضيعة بكم أبيعت مقايها كل تسعة دراهم درهم.

[الرمان]

وأما الرمان ضربيته في كل سنة عشرة آلاف درهم ، ذكر أصنافه: المساحقي بلا عجو ، والملبس رخو العجو ، وشوكي ، وتدمري ، وكوفي ، واللفان مثل الشراب يُقرط ويخلط بالحلو ويؤكل ، يُغني عن الشراب. وأما طبيخه باللحم عجب من العجائب ، والحامض للطبخ ، ومنه الحب رمان.

[السفرجل]

والسفرجل ضربيته عشرة آلاف درهم وهو صنفان: البرزي الحلو، والآخر القصي الذي يُطبخ باللحم. ومن جملة خواص السفرجل إذا أكله المسهول على الريق عَقَلَ بَطْنَهُ ومَلَكَ إسهاله.

قلت: والسفرجل يُعمل منه شرابان: أحدهما يُقَطَّع صغاراً ويُقشر باطنه وظاهره ، ويوضع في الدَّست ويوضع عليه الجلاب ويُطبخ ، فإذا نضج واستوى يُترك على حاله إلى ثاني يوم يرخى مائه فيرفع على نار لينة إلى حيث ينعقد عليه الجلاب يحطّ في البرانيّ ويستعمل ، والشراب الخام منه يقطع ويدقّ تقشيريه ويعصر ماءً ، ويوضع مع الجلاب ويُطبخ بالجلاب أو العسل أو الدبس بنار لينة مثل الحلاوة ، فإذا استوى يوضع عليه اليانسيون وأطراف الطيب ، نافع لهضم الطعام وإصلاح المعدة ، وغير ذلك ، ولولا خوف الإطالة لذكرتُ في أكثر الفواكه خواصّ كثيرة ذكرها الحكماء .

[الإنجاص]

الإنجاص هو الكُمثرى ، أوله: العيلاني ، ويتبعه الشُّكري وهما لطيفا الحبة ، والمعنى كبار ولونه أحمر ، والعثمانيّ الصّيفي . هذه سعرها غالٍ ورطلان إلى رطل ونصف بدرهم . والخلافي قشره أخضر وباطنه أبيض ، ويلحقه حُموضة ، وإذا بات حلا ، وهو يخفف المعدة ويقطع الإسهال ، وسعره رخيص من ثلاثة أرطال إلى أربعة أرطال بدرهم . وأما خشبه فله قيمة جيدة يعملون منه القطع التي يحلجون عليها القطن المحبوب بحسب جوامكه حنة ، وما في الأخشاب ما يقوم مقامه ، والسفلائي قشره أسود ، وهو حُلُو كبار ، والسمرقندي كبار أصفر ، وأكثر الناس يعملوه في الخلّ ، ويضيفه إلى المخللات والملكيّ ، والصيني . هذا جميعه صيفيّ وأما الشتويّ الذي يُعلق ويسافر به إلى البلاد، فيقال له: الرحيبيّ، والعثمانيّ . وذكر أرض الدّار ومكسها سبعة آلاف درهم ، وهو الخيار ، والقثاء ، والقرع ، واللوبياء ، والثوم ، والبصل ، والخشخاش ، والحمص الأخضر ، وغير ذلك ، والقنييط مكسه خمسة عشر ألف درهم . والقلقاس وهو صغار ، البلدي ، والطرابلسي ، مثل المصريّ في طعمه وجودته .

[قول ابن عُنين الشاعر في دمشق]

وكان ابن عُنين قد نقله السلطان صلاح الدين وعاد إلى دمشق زمن العادل ، وكان قد وصل إلى خان بالق ، ومنه إلى الهند واليمن ، ووصل إلى مصر ومنها

إلى دمشق، سأله المعظم عن عجائب ما رآه في البلاد التي سافر إليها، فقال: كل ما في الدنيا مُفترَق هو في بلد مجموع وموجود ويفضل عليهم بالأحمرين والأبيضين، قال: وما هما؟ قال: العنب الداراني، والعنب العاصمي. والأبيضان القنبريس والثلج. ونظم في غربته هذين البيتين وهما:

وقائل إن في الأسفار فائده يوسعن في الرزق ذا مالٍ وذا خلقٍ
وقد مشيت إلى أقصى الذي كفروا وجيب أرعن والشلاق في عنقي^(١)

ومن أبيات:

أسعى لِرِزْقٍ فِي الْبِلَادِ مَشْتَتٍ وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَكُونَ مَقْتَرًا^(٢)

ومن أبيات:

إِذَا طَمَعُ كَسَا غَيْرِي ثِيَابًا فَأَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْعَزِّ يَاسِرٍ

وكان شرف الدين بن عنين من الفضلاء النبلاء الوزراء ووقائعه وجراياته لا تُعدّ ولا تحصى، وتوفي في سنة ثلاثين وستمئة بزُرْعٍ عند أهله. وأخذوا دوره بالحويرة ثلاث قاعات أعطوها لمجير الدين يعقوب بن العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب، فإذا ما خلف ولدًا رحمهم الله تعالى وإيانا.

قلت: وملاذ الدنيا تنقسم ستة أقسام وهي: المأكول، والمشروب، والملبوس، والمنكوح، والمشموم، والمسموع، وأفضل هذه الأقسام وأهمها هو المأكول، إذ كان قوام الأبدان ومادة الحياة، والله الموفق للصواب.

أنشدني الشيخ الصالح عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن أسعد بن عبد الواحد الجزريّ التاجر لبعض فضلاء الجزريين وقد كبر قوله:

الحمد لله إذ كبرتُ على أن صرتُ أمشي وفي يدي عُكَّازَه
صنعة ليتني حيثُ عليها حَدْرًا أَنْ أُشَالُ فَوْقَ الْجِنَازَه
إِنَّ طِيبَ الْحَيَاةِ أَحْلَى مِنَ الشَّهْرِ دِ وَطَعْمَ الْمَمَاتِ مُرَّ الْمَسْزَاذَه
ليتني عشْتُ ما حييت غلامًا وَقَوَامِي يَحْكِي الْقَنَا وَاهْتِزَاذَه

(١) هو أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسين بن عنين، الأديب والرئيس والشاعر الدمشقي، توفي سنة ٦٣٠ هـ.

(٢) البيت في: وفيات الأعيان ١٦/٥، ومعجم الأدباء ٨٥/١٩.

أشُدني الشيخ شمس الدين محمد البيسانيّ لنفسه من قصيدة ربعية قوله :

فاركض خيولك في التصابي والهوى فأخ الحِجى والحزْم من يتصابا
واعلم بأن جنى المسرة ساعةً فالعمرُ أسرع ما يكون ذهاباً
فاقطع زمانك للسُرور مُواصلًا لا تخش من ربّ السّماء عقابا
فالله قد ملأ البسيطة رحمةً وأفاد من يرجو لقاءه ثواباً

تتمة أخبار الأعناب

أول ما يدخل إلى دمشق العنب الداراني وهو أحمر اللون مدور حلو ، شبه الشُّكر يبقى دون شهر وحده ، ثم يتبعه البرزي أبيض أصابي ومدور ، ويتبعهما بقية الأعناب خمسة أو ستة ألوان. وأمير العنب: العاصميّ ، ويدخل إلى دار العنب في كل يوم ثلاثمائة حِمْل إلى خمس مائة حِمْل نحو شهرين ، الحِمْل فرتان وزن كل فردة خمسون رطلاً إلى خمسة وثلاثين رطلاً ، تباع كل فردة من عشرين درهم إلى ثمانية وسبعة ، يؤخذ من كل حِمْل درهم ونصف ، مكسه أربعون ألف درهم .

والعنب الذي يجيء من الجبل هو لدار الطعم ، مكسه في السنة خمسة وثلاثون ألف درهم . وهو ثلاثة ألوان ، أحمر كبار صلب ، وأبيض مدور يُسمى قصيف ، حُلو كبار ، بيض الحمام كقدر البيض ، يقيم إلى أن تزهر الأشجار ، يباع من رطلين إلى رطل بدرهم ، وهو مليح جداً ، حلو طيب إلى غاية .

[الدَّبَس]

والدَّبَس هو لدار الطعم ، مكسه في السنة أربعون ألف درهم ، يؤخذ من كل قنطار سبعة أرتال ، وحق الدار سبعة الدراهم ، وهو أربعة أصناف ، الأول الشديد الذي يعمل منه القطايف بقلب الجوز ، والثاني أصفر يُشبه العسل لتين . والثالث المرمّل يشبه الشُّكر المفتوت فيه ، والرابع السائل ، وهو صنفان : أحدهما يزغله مع القطر النبات في عمل الكثافة والقطايف . والآخر يُعمل منه جميع الحلاوات ، ويؤخذ عشرة أرتال دبس توضع في القدر ، وتعتصر ببياض البيّض والنّار فتبقى ستة أرتال ، ويضاف إليها قلب جوز ستة أرتال أو دونها بقليل ، أو يبقى بوزنه ، ويُعقد حلاوة جوزية أو منقوشة أو سمسمة ، وتُحطّ في

العلب ، ويسافروا بها إلى أكثر البلاد ، ومصر وبغداد وغيرهما. الذي يباع بدار
الطعم ثمنه أكثر من مائتي ألف درهم وخمسين ألف درهم ، خارجاً عن كروم
أهل البلد التي في الجبل والأمراء والأجناد.

[الزبيب]

الزبيب نحو خمسة ستة ألوان: الدربلي ، والجوزاني ، والأسود ، والصغار
بلا حَب ، وغير ذلك. ومُكسه عشرون ألف درهم ، ويؤخذ منه مثل الدبس
أرطال وسبعة دراهم.

[الملبن البعلبكي]

والمَلْبَنُ البَعْلَبَكِيُّ مُكُّسُهُ عشرة آلاف درهم ، وصفة عمله القنطار من ماء
العنب إذا وُضع في القدر وأوقد عليه يبقى ستون رطلاً ، يضاف إليه ثمانية
أرطال نشاء ، ورطل قلب لوز أو فستق ولوز ، ويُسافر به إلى جميع البلاد.

[الثلج]

الثلج يؤخذ منه للسلطان الرُّبْع وينقص من أول النهار إلى آخره الربع. مُكُّسُهُ
في السَّنة خمسة وثلاثون ألف درهم ، وضامن وديوان ، وغيره خمسة آلاف
درهم تكملة أربعين ألف درهم ، يباع في السنة ما يوضع على الفُقَّاع ،
وما يُشرب بالماء في الصيف بمئة ألف درهم وستين ألف درهم.



وصف ربوة دمشق ومنتزهاتها والقصر الأبلق ولعبة القبق لابن طولون الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣ هـ

يرجع الفضل في الكشف عن هذا الوصف للعلامة أحمد تيمور باشا عندما طالع كتاب «ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر» للعلامة المؤرخ شمس الدين محمد بن علي ابن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي المتوفى سنة ٩٥٣ هـ وذلك في ترجمة حيدر بن محمد بن جمال العصر أبي ذر الشامي الذي سأل ابن طولون في جمادى الأولى سنة ٩٤٠ هـ بجنيئة العم ابن قنديل بسفح قاسيون عن منتزهات دمشق فأجابه ابن طولون إلى ذلك .

والنسخة التي اعتمدها تيمور باشا هي نسخة مصورة غوتا من الورقة ٢٩ حتى ٣١ كتبت سنة ١١٥٩ هـ . وقد قام بنشرها في مجلة المجمع العلمي العربي في عام ١٩٢٢ ص ١٤٧ - ١٥٢ .

اعتمدت في نسخها على النسخة الخطية المصورة التي يحتفظ بها الأستاذ محمد لطفي الخطيب ، وهي بخط المؤلف .

* * *

وصف ربوة دمشق ومتنزهاتها والقصر الأبلق وميدان القبق

قال ابن طولون: وسألني [حيدر بن محمد بن جمال العصر أبي ذر الشافعي] عن متنزهات دمشق؟

فقلت له:

أعظمها الربوة ، وكان بها دكاكين لسمانين ، وبيواردية ، وأقسماوي ، وفقاعي ، وفرن ، وتنور ، وأربعة شرائحية ، وطباخ ، غير من^(١) يأتي إليها من البساتين وغيرها من المتعشين في الطبالي وغيرها .

وكان بها أربعة مساجد ، وجامع بخطبة ، ومدرسة يقال لها: المضججة^(٢) ، موقوفة على مدرس حنفي وطلبته . وكان بها الحمام المشهور ، فإنه من محاسن دمشق ؛ ببركة ناهضة وشبابيك شرقية وشمالية وقبلية ، وغرف .

وكان بها مهدان: شرقي نهر بردى على الأرض ، وغربيه ، ويصعد إليه بسلم حجر .

وكان بها التخوت ، وهو قصر مرتفع على سن جبل ، به قاعة لبوابة وطبقات على هيئة الإيوان ، ينظر الجالس هناك من مسافة يوم ، لو لم يكن حائل .

وبه مئذنة ومسجد وميضأة ، وتحت نهر ثورا ، وفوقه نهر يزيد ، ويصعد إليه من سلم حجر بناه نور الدين الشهيد [السلطان محمود بن زنكي] للفقراء ، فإن الأغنياء لهم قصور .

(١) في الأصل: «ما» .

(٢) في الأصل: «المضججة» .

وكان بها خمسة مقاصف: اثنان شرقي نهر بردى، وثلاثة غربيه، وفي كل واحد منها بيت للمقاصفي، وعنده فرش ومخاد ولحف للمتنزهة.

وكان بها مكانان لعينين: إحداهما تُسمى: الملمث قبال المهد الشرقي، والأخرى: السخنة شمالي المقاصف الغربية، وعليها قبة بين نهر بردى والقنوات، وهي من العجائب، فإن ماءها فاتر صيفاً وشتاءً.

وشماليتها أربع عيون تبان عند اختراق الماء؛ ثنتان ماؤهما بارد، وثنان ماؤهما سخن.

وكان بها خانان لربط الدواب قبلها.

وكان بها ميضأة كبيرة شمالي المهد الشرقي على حافة بردى.

[أنهار دمشق]

وهذا النهر [أي بردى] أصل أنهارها السبعة. والثاني: يزيد. والثالث: ثورا. والرابع: بانياس. والخامس: القنوات. والسادس: الداراني. والسابع: المزي. وكان بها العاشق والمعشوق. وهما برجان للحمام في لحف الجبل الغربي، وشماليتها برج عتيق يسمى العذول.

وكانت هذه الربوة في أول الزمان تقصد بالزيارة، ثم تغير أمرها وصار يقع بها المناكر، وتقصدتها الناس يوم السبت والثلاثاء دائماً، وبعض الناس يوم الأحد والأربعاء. ويقال لهما المحفل تطلع إليها فيهما: الحلقية، والمشعبذون، والمخايلية^(١)، والحكوية. وهذا في أيام الصيف، وأما في الشتاء فلها ناس تسمى المجاورين. ومع ذلك لا تخلو من الصلاة جماعة في المساجد وغيرها. ثم خربت ثم عمّرت وهكذا مراراً، والآن بقيت مأوى الوحوش.

وفي الوادي شرقيها في طريقها من جهة المدينة قطية، وقطية مكان كان به سمان، وشرائحي، ومقاصفي، وقد خربت.

وشرقيها في الطريق المذكور الجبهة [وهو] مكان على حافة نهر بردى به مسجد ودكاكين للمتعيشة، ومقصف له مقاصفي عنده فرش ولحف وبركة لها

(١) هم اللاعبون بخيال الظل (تيمور).

في الربيع وردية (هكذا) تقصد. وعلى كتفها حمام النزهة خربت وعمرت مراراً
والآن خراب.

[المرجة ، والقصر الأبلق]

وشرقها في الطريق المذكور المرجة^(١). وبها القصر الأبلق^(٢) ، وكان من
عجائب الدنيا يشرف على الميدان الأخضر شرقيه ، أنشأه الملك الظاهر ركن
الدين عقب رجوعه من حجته في المحرم سنة ثمانٍ وستين وستمئة. كذا رأيت
هذا التاريخ أعلى بابهِ الشمالي ، وعلى أسكفته ضرب خيط من رخام أبيض ،
ووسطه مكتوب: عمل إبراهيم بن غنائم المهندس^(٣).

وبابه الآخر ينفذ إلى الميدان ، وفي واجهته البلقاء ثلاثون شبكاً سوى
القماري ، ووسطه قاعة بأربعة لواوين: قبلي وشمالي ، وفي صدرهما شاذروان.
وغربي وشرقي في صدر كل منهما ثلاثة شبايك ، فالغربيات مطلات على
الطريق الآخذ إلى الحمام ، وتربة الصوفية. والشرقيات مطلات على الميدان.

وعلى واجهته الشرقية مئة أسد منزلة صورها [بأبيض في أسود] وعلى
الشمالية اثنا عشر أسداً منزلة صورها بأبيض في أسود.

وشماله [أي القصر الأبلق] على حافة نهر بردى قصر شيخنا الزين ابن
العيني^(٤).

(١) المرجة المقصود هنا شرقي الربوة حتى التكية السليمانية ، أما المرجة اليوم فهي ساحة
المرجة وفي وسطها نصب تذكاري للتغراف.

(٢) القصر الأبلق: هو مكان التكية السليمانية.

(٣) إبراهيم بن غنائم المهندس ، مهندس ، معمار فقيه حنفي وهو الذي أشرف على عمارة
المدرسة الظاهرية. توفي يوم الثلاثاء السادس والعشرين من رجب ودفن بسفح قاسيون
(المدرسة الظاهرية ص ١٣ - ١٤).

(٤) زين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر العيني: فقيه حنفي كبير ، قاضي الحنفية بدمشق ،
جامع للقراءات له مؤلفات، توفي سنة ٨٩٣ هـ (الضوء اللامع ٧١/٤ ، تاريخ البصري
١٢٥).

وقبله أعلى الكحجائية قصر شيخنا قاضي القضاة الشهاب^(١) ابن الفرفور ،
وغربيه قصر شيخنا الشهاب ابن الصميدي^(٢) .

وكان لكل من هذه القصور بوابون صيفاً وشتاء ، وقد خرب جميع ذلك في
الدولة العثمانية ؛ ولم يبق إلا واجهة القصر الأبلق الشرقية .

وكان من ثم إلى الربوة من جهة واديها قصور وجواسق ، وأبنية لم يبق منها
إلا القليل .

القبق

وفي هذه المرجة جرت العادة أن يُصب فيها الذي يُرمى عليه الشاب على
ظهور الخيل ، وصفته أنه يشتمل على خمس قوائم :

الأولى: المسماة بالركيزة ، وهي تُدق على الأرض بدقاق ، لأنها
كالخازوق ، لكن في رأسها حديدة مركبة صفة الطوق إن لم توثق بها وإلا
تنكسر ، وفي أسفلها حديدة كصفة سن الرمح ، لكن أغلظ منه بشيء يسير ،
ويكون دقها في الأرض قدر ذراع .

الثانية: السفلى ، وطولها سبعة أذرع ونصف ، وعلى رأسها حديدة مجوفة
مركبة فيها ، طولها نصف ذراع ، منها مُجوّف بغير خشب ربع ذراع ، ويكون
رأس الخشبة المركبة عليه هذه الحديدة مدوراً ، وغلظ هذه الخشبة وجنسها
كصفة القنطارية التي يُلعب بها وتُسمى الرمح ، ومن جنسه ، وفي أسفلها بخش
فيه سير يربط في رأس الحديدة التي في أسفل الركيزة ، ثم يربط على رأسها ،
وفي أسفل الركيزة سير يُربط به حبل البكرة ، وإلا ما تقف ويوثق الرباط ، وإلا
يحصل فساد في القبق .

(١) شهاب الدين أحمد بن محمود ابن الفرفور ، قاضي القضاة ، علامة كبير ، ولي نظر
الجيوش بدمشق ، كان جامعاً بين العلم والرئاسة والكرم وحسن العشرة ، حليبي
الأصل ، دمشقي المولد ، توفي ودفن بالقرافة سنة ٩١١ هـ (الكواكب السائرة
١٤١/١ ، حوادث الزمان ١٥٢/٢ ، ١٧٦) .

(٢) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحيم القرشي الصالحي الشهير بابن الصميدي ،
فقيه شافعي فاضل ، له قصر بالشرف الأعلى ، توفي سنة ٩١٠ هـ (الكواكب السائرة
٢١٠/١ ، متعة الأذهان ١٧٦/١) .

الثالثة: غلظها كغلظ الأولى ، وطولها سبعة أذرع ونصف ، ربع يركب منها في الحديدة المجوفة التي في القائمة الثانية قدر ما يصل وضعه هذه القائمة كالقنطارية ، لكنها أدق من الثانية .

الرابعة: وتسمى قائمة البكرة ، طولها كطول الثالثة ، وفي أسفلها حديدة مجوفة مركبة مثل الأولى ، وفي رأسها بكرة ، وفي البكرة حبل / وفي قائمة / ٣٠ ب / البكرة رزة حديد في وسطها ، وبعدها رزة ثانية ، بين الرزتين ثلاثة أذرع ، والحبل الذي في البكرة داخل في الرزتين ، وفي أسفل القائمة بعد الرزتين أطناب من قتب أربعة ، إن لم يدقوا في الأرض بعد أن يقام القبق وإلا يخاف عليه من السقوط في الهواء ، وطول كل باع أحد عشر باعاً .

الخامسة: قائمة دقيقة يوضع فيها القبق بعد الرابعة ، طولها سبعة أذرع ، توضع في رأس القائمة التي فيها البكرة ، ثم يربط الحبل في ثلث القائمة وفي أسفلها ، ويجر في البكرة بعد وضع القبق ، وارتفاع القبق جميعه ثلاثون ذراعاً بالحديد .

وأما صفة الرمي عليه فهي أن يُمسك المعلم عمود القبق ، وأربعة أنفس يمسك كل واحد منهم الحبل الذي هو طناب القبق ، ثم تجر العصا المركبة على القبق بالحبل المركب في البكرة ، ويربط على الركيزة ويقف الراكب الرامي في رأس الميدان ، وطوله خمسة وعشرون فرساً^(١) ، وهو لابس مطري ، ويجعل في بند ، وسطه ثلاثة عيدان من نشاب القبق ، ويعلق القوس في ذراعه الشمال ، وهو ماسك اللجام ويسوق الفرس في قوة مشواره ، ويشدّ روجه ويحزق أفخاذه على أجناب الفرس ، ويبعد المهماز عنها ويأخذ القوس والنشاب بسرعة ويكبر ، وإذا قرب إلى القبق بقدر طول قوس أو أنفس يمد ويطوي ، وكل ذلك في مشوار فرسه وهو سائق ، ثم يصوب بيده الشمال ، والإسناد تارة بها وتارة باليمين ، ثم يعود إلى رأس الميدان وهو سائق ، ويأخذ القوس والنشاب سريعاً ويكبر ، فإذا وصل إلى قرب القبق يميل ويمد تحت الركام

(١) كذا في الأصل ولعلها «ذراعاً» أو «قوساً» يريد رمية قوس كما يفهم من عبارته التالية (تيمور) .

وينبرم^(١) ، ويدور وسطه ويجعل مرفقه على مقدم الأمازي ، ويدور يديه ويقلب قبضته إلى فوق جهة القبق ، ويدور وجهه ويرمي على القبق إذ تبدي رأس الفرس القبق ، وشرطه نزول السهم تحت القبق ، وكل ذلك وهو سائق في مشوار واحد ، ويكرر الرمي على قدر خاطره ، ويختمه بثلاثة أسهم. الأول: من قبل أن يصل إلى القبق ويكبر ويرمي السهم. الثاني: تحت القبق ويكبر ويرمي السهم. الثالث: من أعلى الكفل إذا عدى الفرس القبق. وكل ذلك في مشوار الفرس وطول الميدان المقدم ذكره ، ويكون نزول الأسهم الثلاثة متوالية ، واحداً بعد واحد متصلين. وحسن قوة الأسهم أن يكون أربعين رطلاً بالشامي حتى تنزل الأسهم الثلاثة بعضها وراء بعض من علو سن الأسهم ، وفي العود إلى رأس الميدان يرمي أيضاً على القبق ثلاثة أسهم في مشوار راجلاً؛ الأول: حين سرفة القوس. والثاني: عند قرب القبق. والثالث: حين عدت الفرس القبق يلفتها سريعاً ويرمي عليه. والأحسن أن يرمي تارة على قوس ، زنته خمسة وأربعون رطلاً شامياً بنشاب يُسمى مجراً ، وتارة على قوس قوته خمسون رطلاً شامياً أيضاً ، ويُسمى هذا القوس الشرخ.

وقد رُمي على هذه الطريقة بحضرة السلطان الأشرف قايتباي، وقد تفرَّج على هذا الرمي قاضي القضاة قطب الدين الخيصري^(٢) من قصره بالشرف الأعلى تجاه هذا القبق ، وكان هذا القصر سبعة شبابيك من حديد ، وفي وسطه فسقية منصبة ، وخارجه صفة قمرية بطشطية من حجر المرمر، وبقرب هذا الصفة حمام ، وقد زال هذا كله.

[منتزهات دمشق]

وكان تجاه هذا القبق من جهة القبلة أسفل الشرف القبلي بستان يقال له النورة ، وهي اسم لزهر السفرجل ، في حفلته تهرع الناس إليه للترهة وكأنه لم يكن هناك.

ومن منتزهاتها ميدان اليلكي : وطوله على ظهور الخيل مئة وتسعون فرساً ،

(١) أي: يفتل.

(٢) قطب الدين.

وطول رمي اليلكي مئة وأربعة وعشرون قوساً. وفيه /كومان:/ /٣١/ الأول: من جهة الرأس مُسَنَّم ، طوله ثلاثة أقواس. والثاني: مقابله وطوله أيضاً ثلاثة أقواس. وعرض وجه الكوم قوس ، والبارز بينهما ثمانية عشر بعد مئة قيساً (قوساً).

وقرب هذا اليلكي بستان السيرجي ، ويعرف بالجودة يهرع الناس إليه في أيام حفلته ، وهو التفاح لكثرت به .

ومنها بستان المرشدية: بالقابون التحتاني ، تهرع الناسُ إليه في [يوم] خميس البيض للفرجة على زهر اللوز لكثرت به . ومنها [بستان] ست الشام: بالوادي التحتاني ، تهرع الناسُ إليه في يوم حفلة الزهر ، من حيث هو موجود كزهر المشمش وهو الغالب فيه .

ومنها: المحلات لدود القزّ ، بين عدة أنهر قرب ضريح شيخ أرسلان ، تهرع الناسُ إليه في أيام حل جوز القزّ حتى يصير حريراً للفرجة عليه .

ومنها: باب كيسان: أحد أبواب دمشق ، يهرع الناسُ إلى ظاهره في أواخر الشتاء للفرجة على المسابقة بين الخيل ، في مكان يقال له: طابق البريات .

ومنها الشيخ سعيد: قبلي المزة ، تجاه محل استسقاء أهل دمشق. وقد أدركت به منبراً من حجر حتى قبته ، وإلى جانبه محراب من حجر ، ودائرة حيطان أربعة من لبن ، يهرع الناس إلى هناك للفرجة على الوادي فوقاني ذهاباً وإياباً ، ويزورون الشيخ سعيد ، وهو مدفون في زاويته ، وفوقه قميص إذا ذكر الفقراء يبقى هذا القميص يهتز ، وإن لم يكن هواء. وإنما يهرعون إلى هناك أيام قطع الأنهر لتعزيلها ، وَرَدَّ مائها على نهر بردى أسفل هذا الوادي .

ومنها قرية عين الفيحة أصل هذا النهر، يهرع الناس إليها أيام استواء (نضح) القراصيا ، فإنه لا يوجد في دمشق أحسن منها ولا أكثر ، ولأجل ذا يذهب منها أحمال في علب على بغال إلى سلطان مصر في دولة الجراكسة .

ومنها قرية برزة: شرقي جبل قاسيون ، يهرع الناسُ إليها لزيارة مقام الخليل عليه السلام أعلاها أيام استواء (نضح) تينها ، فإنه لا يوجد إذ ذاك أحسن منه . ويكون التين الماسيوني قد فرغ .

ومنها الخميسيات: قبلي مغارة الجوع ، وإنما سُميت بذلك لأن مبتدأها كان
لزيارة الأموات ، والآن للفرجة. يهرع إليها الناسُ أيام وجود البلح وحبِّ
الآس.

وربما يختصر بعضهم فيجلس عند عين الكرش ، وسمي ذلك المكان
بالمقصة. ا.هـ.



متنزهات دمشق في أوائل القرن الرابع عشر

قال الشيخ محمد عز الدين عربي كاتبي:

ومن متنزهات دمشق وادي الربوة وجبلها ، على فرسخ من دمشق غربي قاسيون .

ذكر المفسرون أنه المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَوْبَيْنَهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] وهو جبل عال على قبلته مسجد. وفي هذا الوادي كهف صغير زعموا أن عيسى ابن مريم عليه السلام ولد فيه كما ذكره ابن الوردي الفقيه الشافعي في كتابه «الخريدة».

وهو جامع حسن وقد خرب وأضحى مكانه بستان يسقيه نهر يزيد المذكور ، وهذا البستان مطل على وادي الربوة ، وقد شاهدنا بعضاً من بقايا أثر منارة الجامع المذكور فيه ، ولهذا الأثر يسمّى هذا البستان اليوم بستان المنارة ، وباصطلاح أهل دمشق: المادنة .

وقد كان مرور خط سكة العجلة المسماة الشوسة الممتد بين دمشق إلى بيروت من أسفل هذا الوادي يرافق نهر بردى إلى آخر أراضي قرية الهامة .

وأيضاً خط سكة الحديد المسماة شمغدوفير ، وهي بجانب الطريق المذكور .

وهذا الخط الحديدي يمر بوادي بردى على طول له سهل الزبداني وإلى وادي الدله ووادي الرماننة من أعمال الزبداني ، ثم إلى وادي قرية يحفوفة من أعمال بعلبك ، ثم إلى سهل البقاع حتى يصعد إلى جبل المريجات وجبل مكة ، وظهر البيدر ، وإلى وادي حمانة وصوفر والعالية ، والجمهور من أعمال جبل لبنان حتى يدخل مدينة بيروت .

وبوادي الربوة المذكور من المناظر الطبيعية التي لم يوجد لها مثل بأقطار الأرض وقد شق ذلك الوادي السبعة الأنهر السابقة الذكر يتوسطهم بأسفل هذا

الوادي نهر بردى ، ويعلوه من الجانب الغربي أربعة أنهار ، وهي نهر بانياس ، ويعلوه نهر القنوت ، ثم نهر الديراني ، ثم نهر المزة ، ويعلوه نهر بردى المذكور من الجهة الشرقية نهر ثورا ، ويعلوه نهر يزيد ، وترى فيما بين هذه الأنهار من كل جهة من الطرفين الأشجار المتنوعة والأزهار البديعة الحسنة المنظر اللطيفة ، وقد يعلو أغصانها بلابلٌ وشحارير تغرد بأجمل الألحان ، وهو شيء مما يدهش العقول ويشرح القلوب ، وتتعش له الأرواح .

فمبتدأ هذا الوادي من أول مدخل مدينة دمشق ، وينتهي بحدود قرية دمر . وقد تَطَرَّرَ هذا الوادي اليوم على جهته الشرقية بالقرب من قرية دمر المذكورة بقصور شاهقات لبعض أهالي وذوات دمشق تشتمل على منازل وقاعات واسعات ، وغرف عاليات ، يحيط بها رياض مغروسة بمحاسن الرياحين والزهور على أبداع ترتيب وأجمل انتظام ، يتوسط حدائقها برك ماء مدورات ، مبنية بالرخام الأبيض ، يشق منتصف هذه البرك كاسات رخام على عمدان رقيقة ، يفور منها زلال الماء بنوافر مرتفعة بالهواء قامات ، تسكب هذه النوافر لتلك البرك بخير وأصوات مطربة بأنغام السيكاه . فالمار بهذا الوادي البديع يتلذذ فيه حقيقة بالحواس الخمس : بالنظر والشم والسمع والذوق وانتعاش النفس والروح بما لا مزيد عليه ، وهو أعظم منتزه لمدينة دمشق .

وأما مرجتها الخضراء الواقعة في مبدأ هذا الوادي في مدخل دمشق التي وقفها المرحوم السلطان نور الدين محمود بن زنكي أحد ملوك الشام المتقدمين لأجل الحيوانات العطيلة ، وطول هذه المرجة شرقاً بغرب ، من حدود باب تكية المغفور له (بإذن الله) السلطان الغازي سليمان خان إلى المحل المعروف بصدر الباز^(١) ، وهذه نهاية هذه المرجة الخضراء .

وأول حدائق الوادي المار ذكره قبله بشمال من حدود مقبرة الصوفية الفاصل بينهما نهر بانياس والطريق الموصل إلى الثكنة والمستشفى العسكري الجديدين إلى حدود بستان الشرف الذي يعلو المرجة المذكورة لجهة الشمال .

ويشق منتصف هذه المرجة نهر بردى ويعلوه لجهة القبلة نهر بانياس ، ويرافق نهر بردى المذكور بهذه المرجة على الجهة الشمالية طريق عجلة الشوسة

(١) صدر الباز هو الآن مكان مبنى الإذاعة والتلفزيون .

الممتد إلى مدينة بيروت ، وعلى شمال الطريق المذكور عين ماء عظيمة تسمى ماء القصارين ، تخرج من منبعها المخصوص الواقع غربي المرجة المذكورة لشمال ، ولم تزل ترافق الطريق المذكور إلى المحل المعروف بالبحصة تدخل في نهر بردى ، وهناك مقسم نهر عقربا .

وقد تجدد تعمير قبلي المرجة المذكور وغربي مقبرة الصوفية: الشكنة^(١) والمستشفى العسكري البديعان وقد صرف على تعميرهما على - ما قيل - مبلغ^٢ ينوف على سبعة ملايين قرش .

وفي شرقي مقبرة الصوفية المذكورة بملاصقة بستان العجام المستشفى^(٢) والمارستان السلطاني البديع المخصوص بالفقراء والأغراب التي أنشأها الوزير الخطير والي سورية العادل العنيف ناظم باشا حفظه الله تعالى ، وقد بلغ مصارفات تعميرها ما ينوف على ثمان مئة ألف درهم ، بمدخل هذا المستشفى بركة ماء على أجمل طرز تبرع بمصرفها رئيس المجلس الوطني العسكري الفريق عثمان باشا من ماله صدقة لكريمته المرحومة فاطمة خانم .

وقد أضيف جانب من المقبرة المذكور [أي مقبرة الصوفية] إلى هذا المستشفى ودرست منه قبور كثيرة ، خلا قبور العلماء أصحاب الشهرة^(٣) ، وجعل محله حديقة من أبداع حدائق المدينة ، وغرست عليها أنواع الأشجار اللطيفة ، والزهور والرياحين النفيسة ، حتى أضحت نزهة وبهجة لتلك المحل ، وقد تخصصت لأجل منتزه المرضى .

وقد تعمّر على جانب المرجة المذكورة شمالاً مخزن للبارود العسكري والأدوات والمهمات النارية السلطانية ، ويحيط بهذا المخزن بستان ذو أشجار وثمار من جميع أنواع فواكه الغوطة .

وهذه المرجة هي المنتزه الدائم لأهالي دمشق ، وبالمرجة المذكورة ثلاثة طواحين: اثنتان منهما على ماء نهر بانياس ، والثالثة على ماء مخصوص ينحدر

(١) ثم أصبح مكانها جامعة دمشق القديمة .

(٢) وقد سمي أيضاً مستشفى الغرباء ثم المستشفى الوطني .

(٣) بقي قبر الإمام ابن تيمية وإلى جانبه قبر آخر .

من نهر ثورا يشق بساتين الصالحة إلى بستان الشرف الواقع شرقي مخزن البارود المذكور منه إلى الطاحون.

وعلى نهر بردى بالمرجة المذكورة ثلاثة جسور: أحدها تجاه محطة العجلات وهو أعظمها مصنوع من الحديد المحكم. الثاني: الواقع مقابل باب التكية السليمانية الشمالي. والثالث: الواقع في منتصف عرصة المرجة.

ثم بمدة وجود الوزير الأعظم الصدر الأسبق المرحوم جواد باشا مشير فيلق دمشق وتوابعها أمر في بناء قصر مرتفع على ظهر نهر بانياس المذكور شمالي مقبرة الصوفية المذكورة للغرب يفصل بينهما الطريق الموصل من باب المشيرية إلى الثكنة العسكرية المار ذكرها ، وكان تعمير القصر على موجب الخريطة التي نظمها الوزير المذكور على طرز قفص الطير القنابر ، فوقع أبداع موقع ، وجعله محل قراءة للضابطان (أي الضباط).

ولما تجدد طريق السكة الحديدية من دمشق إلى بيروت ، وجعلت محطاتها خارج باب مصر الواقع بالطرف القبلي من ثمن الميدان الفوقاني ، ونظراً لبعدها هذا الموقع عن القاصدين من الركاب والتجار ابتاعت الشركة بستاناً قبلي مقبرة الصوفية المذكورة يفصل بينهما الطريق العام الموصل من باب السيد ذي الخمار الواقع غربي محلة القنوات البراني إلى قرية المزة ، ويمتد البستان المذكور لتجاه بعض أبنية الثكنة العسكرية القبلية ، يفصل بينهما الطريق العام ، فقطعت أشجار هذا البستان ، وصار اتخاذ محطة^(١) صغيرة لأجل قبول الركاب إلى بيروت وحوران. ولما تجدد أيضاً في سنة عشر وثلاث مئة وألف السكة الحديدية من دمشق إلى حلب ازدادت أبنية المحطة المذكورة وتعمّر بها مخزن كبير لأجل قبول شحن البضائع وحفظها.

وقد احتاطت مدينة دمشق بجنان وبساتين مغروسة بالأشجار ذوي الأثمار المتنوعة يشقها أنهر وجداول المياه الغزيرة ، وكل هذه البساتين أيضاً هي من المنتزهات اللطيفة ، ولندكر المنتزهات المخصوصة بالاجتماعات العمومية التي أعظمها بل وأبداعها وادي الربوة المتقدم ذكره ، ثم المرجة الخضراء.

وأما متنزه الطويلة: وهي مرجة خضراء واقعة غربي ثمن الميدان التحتاني

(١) وهي المسماة بمحطة البرامكة.

والفوقاني على الطريق المسمى صف الجوز الموصل من باب محلة الشويكة خارج جدران البلد إلى قرية الكسيب الأحمر المعروفة اليوم بالقدم الشريف . والسبب بتسميتها بذلك وجود الحجر المؤثر به قدم رسول الله ﷺ على ما قيل في جامعها الشريف .

وأما جامع العسالي: القريب من قبر حضرة موسى الكليم هو الواقع شرقي القرية المذكورة ، يفصل بينهما الطريق العام الموصل إلى حوران ولسائر الجهات كمصر والحجاز .

والمرجة المذكورة: يشقها على طولها قناة ماء لطيفة ، وهذه المرجة ملاصقة جدران البيوت من جهتها الشرقية ، وفيها الطريق الموصل إلى داخل ثمن الميدان ، ومحلة جامع حضرة القطب الجليل السيد الشيخ الغواص الرفاعي قدس الله روحه ونور ضريحه .

وأما متنزه ساحة البوابة: فهي العرصة الواقفة خارج باب مصر المار ذكره ، وهذه العرصة أكثر أرضها صخر ، وبها محافر التراب الأحمر المشهور الذي يطين به أسطح البيوت وجدرانها ، وعلى طرف هذه العرصة شرقاً إلى الشمال المقبرة المعروفة بمقبرة السيد تقي الدين الحصني . وقد تجدد في جهة العرصة المذكورة للغرب المحطة المخصصة بالسكة الحديدية الفرنسية التي بين دمشق وبيروت وحوران ، وقد تعمّر بها من القديم - أي: بالعرصة المذكورة - مخفر عسكري سلطاني ، وقد تجدد جانب المخفر المذكور تعمير محطة مؤقتة لطريق السكة الحجازية وتلغرافها . وهذه العرصة تمتد قبلة إلى منزل ركب الحاج الشريف تجاه قرية القدم الشريف وجامع العسالي المار الذكر ، وتجاه الجامع المذكور لجهة الغرب ضمن هذه العرصة مصطبة كبيرة يعلوها قبة ، وفي قبلي المصطبة المذكورة محراب يصلي فيه عند محطة ركب الحاج حولها وعند ذهابه وإيابه ، وخلاف الأوقات يصلي فيه أهالي القرية المذكورة وبعض المارين والمسافرين .

ثم وبالعرصة المذكورة جملة سواقي مياه تأتي من نهر قناية الصوف المعروفة بنهر الديراني لسقي الأراضي التي في أطراف هذه العرصة ، وهذه المياه جريانها على الدوام .

وأما متنزه ساحة السخانة: فهي العرصة الكبيرة الواقعة شرقي جدران بيوت

الميدانين على طولهما ، وعرض الساحة المذكورة غرباً لشرق من جدران البيوت إلى جدران البساتين الفاصل بينهما نهر ماء المالح . وفي عصر كل يوم من أيام الصيف يجتمع في طرف هذه الساحة أرباب وتجار الإبل ، ويحصل سوق يباع ويشترى به الجمال من الحيوانات ويدوم إلى غروب الشمس .

وأما متنزه الصوفانية : فهي جنائن متلاصقة يجمع بينها نهر بردى وجسره المعروف بجسر الصوفانية الواقع شرقي قبر سيدي الشيخ أرسلان الدمشقي قدس الله تعالى روحه لجهة الشمال للشرق ، وترتيب تلك الجنائن على أبداع ما يكون ، وقد اتخذتها النصارى متنزهاً لهم لقربها من محللتهم .

وأما متنزه باب شرقي : فالمحل المذكور كان تلّ تراب هدم قديماً ، يدل على أنه كان في محله معامل نارية ، مثل معامل الفخار والقيشاني ، كما شوهد آثار ذلك أثناء حفر التل المذكور ، وفي سنة ثلاث مئة وألف ترخص أحد أطباء المستشفى العسكري وردي شان بك المسيحي وسوّى ذلك التل العظيم حتى مهّده وجعله بستاناً ، وغرس فيه أنواع أشجار الفاكهة الدمشقية والغربية ، ثم أنشأ به داراً لسكنه ، فأضحى المحل المذكور على غاية من الحسن والأنس بعد وحشته ، وصار حوله متنزه للنصارى أيضاً لقربه من محللتهم داخل باب شرقي المدينة .

وأما متنزه الزينية وبرج الرؤوس فهذا المحل واقع شرقي محلة العمارة البرانية للشمال وهو طريق واسع يوصل من باب سوق مسجد الأقباب إلى عموم قرايا الغوطة ، وهو الطريق العام الموصل أيضاً إلى حمص وحماة وحلب وخلافها ، وبطرفي هذا الطريق الجنائن والبساتين الواقعين بأرض العنابة . وبهذا الطريق عين ماء الزينية المشهورة الجودة .

وكل هذه الجنائن والبساتين معدة لمتنزه أهالي دمشق القريين من الموقع المذكور صباحاً ومساءً ، لما بهما من بديع الترتيب ، والمقاصف التي لا توجد بخلافها . وبعض هذه الجنائن التي على جهة الطريق الشمالية للغرب والتي على جهته الشرقية تجدد بهما إنشاء بيوت ومحلات وأسواق ومساجد ومستشفيات ، ولم يزل البناء يزداد ويتحسن يوماً فيوماً .

وأما متنزه مرجة الدحاح وما بجانبها من الجنائن المعدة لمتنزه أشراف وذوات المدينة ليلاً ونهاراً وكل الأوقات نظراً لقربها وانتظامها البديع . فأما نفس مرجة

الدحداح المذكورة جميعها فأضحت مقبرة رغبة بمجاورة الصحابي الجليل أبي الدحداح^(١) ، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق^(٢) رضي الله تعالى عنهما وخلافهما من الأولياء والصالحين ، ولم يبق من المرجة شيء خال ، إنما قناة المياه لم تزل تجري بأطرافها .

وأما منتزه باب السلام فكذلك به جنائن على جانبي نهر بردى كجنائن جوار الدحداح ، وهي معدة للقاصدين .

وأما منتزه جنائن المزابل الواقعة ضمن محلة تسمى محلة المزابل من ثمن العمارة ، فكذلك هي جنائن واقعة على طرفي نهر بردى المذكور ، وهي معدة للقاصدين ، بها ما بالجنائن المذكورة من الانتظام وحسن الترتيب والمقاصف البديعة ، وجميع أصحاب ومستأجري هذه الجنائن لم يكن لهم صنعة وأسباب يتعيشون بها سوى استقبال القاصدين من الأهالي إلى جنائهم على حسب درجاتهم ، فيكتفون مما يعطى لهم . وهذه الجنائن يقصدونها صيفاً وشتاءً ، ولا تخلو من الجمعيات اللطيفة على الدوام .

وأما منتزه ماء عين الكرش فهو الواقع شمالي ثمن سوق ساروجة على الطريق العام الموصل إلى محلة مهاجري الأكراد في ثمن الصالحية ، فعلى الطريق المذكور من الطرفين جنائن وبساتين من أنزه المتزهات البديعة ، وهي أيضاً معدة للقاصدين ، وعلى الدوام لا تخلو من المنتزهين .

وأما متزهات ثمن الصالحية فمنها منتزه جبل قاسيون السابق الذكر وما به من الأئس والانشراح والمناظر البديعة التي لم يكن على وجه الأرض مثلها . وقد تجدد بسفح هذا الجبل لجهة الشرق تعمير محلة إلى مهاجري الأكراد ، ولم تزل تزداد حتى قريب من قرية برزة ، وتجدد أيضاً غربي السفح المذكور قرب مطلة

(١) قال ابن شداد نقلاً عن ابن قاضي شهبة: إن الذي ينسب إليه مرج الدحداح هو أحمد بن محمد بن إسماعيل التميمي الدمشقي الإمام العالم الذي كان يسكن بطرف العقبية، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة (اللمعات البرقية في النكت التاريخية ص ٨).

(٢) المدفون في هذا المقام ليس عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وإنما ربما يكون واحداً من أحفاد الصديق .

وادي الربوة محلة مهاجري الأتراك التي إلى الآن صارت بجسامة مدينة ثانية ، وقد تطرزت بأجمل البناءات وأرفعها .

ولما جاء إلى دمشق عاهل الألمان غليوم الثاني تعمّر من أجله متنزه بأعلى السطح المذكور مصطبة تشرف على بقعة دمشق وغوطتها وضياعها بأبدع منظر ، ووضع له على المصطبة المذكورة خيمة حرير عظيمة ، والمصطبة المذكورة باقية ليومنا هذا يقصدها الناس من كل جهة ، وعلى الدوام لا تخلو من الازدحام .

وأما متنزه جنائن الآس والحبلاس : فهو بالمحلة المذكورة من جهة الغرب يشقها نهر يزيد المتقدم ذكره فلا نظير له ، ولترتيبها بأقطار المعمورة ، ويعلو هذه الجنائن حواكير الصبر (الصبارة) واللوز والخروب وما أشبه ذلك ، فالقاصدون لهذه الجنائن في زمان إدراك الحبلاس يقسّمون متنزههم على ثلاثة أوقات : بكرة في حواكير الصبر (الصبارة) ومن الضحى للاصفرار في مقاصف جنائن الحبلاس على حافتي النهر المذكور ، ومساء بعد اصفرار الشمس يصعدون إلى جبل قاسيون ، بعضهم إلى المصطبة المذكورة ، والبعض لخلاف مراكز مظلة على بقعة دمشق وبدائعها فيشاهدون تلك المناظر المدهشة . انتهى .

وأما المتنزهات الخصوصية فهي لا تحصى ، ويضيق المجال عن ذكرها بوجه العموم ، حيث إن كافة بيوت مدينة دمشق وجنائنها وبساتينها المطوقة بها وبقراها وضياعها ومنتزهات لأهلها تفوق على المتنزهات العمومية بما لا يقاس .

وأما الهواء والماء بدمشق فجودة الماء وحسنه ورقة الهواء ولطفه مما أطبق عليه العموم ولا خلاف به ، وهذا يشهد ما لأهالي دمشق من العادات بجميع أنواع الفواكه والخضروات المتنوعة .



الجامع الأموي بدمشق^(١) شرف المسجد الجامع بدمشق وفضله

روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن يزيد بن ميسرة قال:

أربعة أجبل مقدسة بين يدي الله تبارك وتعالى: طور زيتا ، وطور سينا ، وطور تينا ، وطور تيمانا .

قال: فطور زيتا بيت المقدس ، وطور سينا طور موسى ، وطور تينا مسجد دمشق ، وطور تيمانا مكة .

- وبسنده عن قتادة قال:

أقسم الله تبارك وتعالى بمساجد أربعة قال: ﴿وَالثِّينِ﴾ وهو مسجد دمشق ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ وهو مسجد بيت المقدس ، و﴿وَطُورِ سَيْنَانَ﴾ وهو حيث كلم الله تعالى موسى ﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ وهو مكة .

- وبسنده عن محمد بن شعيب قال:

سمعت غير واحد من قدمائنا يذكرون أن الثين مسجد دمشق ، وأنهم قد أدركوا فيه شجراً من تين قبل أن يبنيه الوليد .

وعن يحيى بن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر قال:

كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها القربان ، فما تُقْبَلُ منه جاءت نار فأخذته ، وما لم يُقْبَلْ بقي على حاله .

وعن الحسن بن يحيى الخُشَنِي:

أن النبي ﷺ صلى في موضع مسجد دمشق .

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٢٣٦ - ٢٨٥ .

وعن كعب الأحبار:

ليبين في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الدنيا أربعين عاماً.

وعن القاسم ، أبي عبد الرحمن قال:

أوحى الله تبارك وتعالى إلى جبل قاسيون أن هبْ ظلك وبركتك لجبل بيت المقدس ، قال: ففعل. فأوحى الله إليه: أما إذا فعلت فإنني سأبني لي في حضنك بيتاً ، أي في وسطك ، وهو هذا المسجد ، يعني: مسجد دمشق أبعد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً ، ولا تذهب الأيام والليالي حتى أرد عليك ظلك وبركتك ، قال: فهو عند الله بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع.

قال عبد الرحمن بن إبراهيم:

حيطان مسجد دمشق الأربعة من بناء هود عليه السلام ، وما كان من الفسيفساء إلى فوق فهو من بناء الوليد بن عبد الملك.

ولما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر فيه كتاب نقش ، فأتوا به الوليد فبعث إلى الروم فلم يستخرجوه ، ثم بعث إلى العبرانيين فلم يستخرجوه ، ثم بعث إلى كل من كان بدمشق من بقية الأشبان فلم يستخرجوه ، فدلّ على وهب بن منبه فبعث إليه ، فلما قدم عليه أخبره بموضع ذلك اللوح فوجدوه في ذلك [١٠٣/ب] الحائط ، ويقال: ذلك الحائط بناء هود النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم ، فلما نظر إليه وهب حرك رأسه ، فإذا هو: بسم الله الرحمن الرحيم ، ابن آدم ، لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طويل ما ترجو من أملك ، وإنما تلقى ندمك لو قد زلت بك قدمك. وأسلمك أهلك وحشمك ، وانصرف عنك الحبيب ، وودعك القريب ، ثم صرت تُدعى فلا تجيب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا في عملك زائد ، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة وقبل الحسرة والندامة ، وقبل أن يحلّ بك أجلك ، وتُترع منك روحك ، فلا ينفعك مالٌ جمعته ، ولا ولد ولدته ، ولا أخ تركته ، ثم تصير إلى برزخ الثرى ومجاروة المولى ، فاغتم الحياة قبل الموت ، والقوة قبل الضعف ، والصحة قبل السقم ، قبل أن تؤخذ

بالكَظْم^(١) ، ويُحَال بينك وبين العمل . وكتب في زمان سليمان بن داود عليهما السلام .

وعن زيد بن واقد قال :

وَكَلَنِي الْوَلِيدَ عَلَى الْعَمَالِ فِي بِنَاءِ جَامِعِ دِمَشْقَ فَوَجَدْنَا فِيهِ مَغَارَةَ ، فَعَرَفْنَا الْوَلِيدَ ذَلِكَ . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ وَافَى وَبَيْنَ يَدَيْهِ الشَّمْعُ ، فَتَنَزَلَ فَإِذَا هِيَ كَنِيسَةٌ لَطِيفَةٌ ثَلَاثَةٌ أَذْرَعٌ فِي ثَلَاثَةِ أَذْرَعٍ . وَإِذَا فِيهَا صَنْدُوقٌ فَفَتَحَ الصَنْدُوقَ فَإِذَا فِيهِ سَفْطٌ ، وَفِي السَّفْطِ رَأْسُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ : هَذَا رَأْسُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ، فَأَمَرَ بِهِ الْوَلِيدَ فَرَدَّ إِلَى الْمَكَانِ ، وَقَالَ : اجْعَلُوا الْعَمُودَ الَّذِي فَوْقَهُ مَغْيَرًا مِنَ الْأَعْمَدَةِ . فَجُعِلَ عَلَيْهِ عَمُودٌ مُسَفَّطٌ الرَّأْسِ .

وعن زيد بن واقد قال :

رَأَيْتُ رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا حَيْثُ أَرَادُوا بِنَاءَ مَسْجِدِ دِمَشْقَ ، أُخْرِجَ مِنْ تَحْتِ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْقَبَةِ ، وَكَانَتْ الْبَشْرَةُ وَالشَّعْرُ عَلَى رَأْسِهِ لَمْ يَتَغَيَّرِ .

وسأل رجل الوليد بن مُسلم :

يَا أَبَا الْعَبَّاسِ ، أَيْنَ بَلَّغْتَ رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا؟ قَالَ : بَلَّغْنِي أَنَّهُ نَمٌّ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْعَمُودِ الْمَسَفَّطِ الرَّابِعِ مِنَ الرُّكْنِ الشَّرْقِيِّ .

وعن زيد بن واقد قال :

حَضَرْتُ رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا وَقَدْ أُخْرِجَ مِنَ اللَّيْطَةِ^(٢) الْقَبْلِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ الَّتِي عِنْدَ مَجْلِسِ بَجِيلَةَ ، فَوَضَعَ تَحْتِ عَمُودِ لِسْكَاسِكِ .

وقد رُوي البِلاطَةُ بِدَلِّ اللَّيْطَةِ .

وعن أنس بن مالك قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ بِصَلَاةٍ ، وَصَلَاتُهُ بِمَسْجِدِ الْقِبَائِلِ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ صَلَاةً . وَصَلَاتُهُ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يَجْمَعُ فِيهِ بِخَمْسٍ مِئَةٍ . وَصَلَاتُهُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِخَمْسَةِ آلَافٍ ، وَصَلَاتُهُ فِي مَسْجِدِي بِخَمْسِينَ أَلْفًا ، وَصَلَاتُهُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِئَةِ أَلْفٍ .

(١) الكَظْمُ: مخرج النَّفسِ ، القاموس: «كظم» .

(٢) اللَّيْطَةُ: كل شيء له صلابة ومثانة ، اللسان «ليط» .

وعن أبي زياد الشَّعباني أو أبي أمية الشَّعباني قال :

كنا بمكة فإذا رجل في ظل الكعبة ، وإذا هو سفيان الثوري فقال رجل :
يا أبا عبد الله ، ما تقول في الصلاة في هذه البلدة؟ قال : بمئة ألف صلاة . قال :
ففي مسجد رسول الله ﷺ؟ قال : بخمسين ألف . قال : ففي بيت المقدس؟ قال :
أربعين ألف صلاة . قال : ففي مسجد دمشق؟ قال : ثلاثين ألف صلاة .

وعن معاوية بن قُرَّة قال : قال عمر بن الخطاب :

من صلّى صلاة مكتوبة في مسجدٍ مصرٍ من الأمصار كانت له كحجة مُتقبَّلة ،
وإن صلّى تطوُّعاً كانت له كعمرة مبررة .

وعن كعب بمعناه ، وزاد :

فإن أُصيب في وجهه ذلك حُرِّم لحمه ودمه على النار أن تطعمه ، وذنبه على
من قتله .

وتقدم الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالي إلى القوام فقال : إني أريد أن
أصلي الليلة في المسجد ، فلا تتركوا فيه أحداً حتى أصلي الليلة ، ثم إنه أتى
إلى باب الساعات فاستفتح الباب ففتح له ، فدخل من باب الساعات فإذا برجل
قائم بين باب الساعات وباب الخضراء الذي يلي المقصورة قائماً يصلي ، وهو
أقرب إلى باب الخضراء منه إلى باب الساعات ، فقال القوام : ألم آمركم ألا
تركوا أحداً يصلي الليلة في [١٠٤/ب] المسجد؟ فقال له بعضهم : يا أمير
المؤمنين ، هذا الخضضر عليه السلام يصلي في المسجد كل ليلة .

خرج وائلة بن الأسقع من باب المسجد الذي يلي باب جيرون فلقي كعب
الأحبار فقال له : أين تريد؟ فقال له وائلة بن الأسقع : يريد بيت المقدس ، فقال
له : تعالَ حتى أريك موضعاً في هذا المسجد ، مَنْ صلّى فيه فكأنما صلّى في
بيت المقدس . قال : فذهب به فأراه ما بين الباب الأصفر الذي يخرج منه الوالي
إلى الحَيِّة ، يعني القنطرة الغربية . قال : من صلّى فيما بين هذين [فكأنما]^(١)
صلّى في بيت المقدس .

قال وائلة : إنه لمجسلي ومجلس قومي . قال : هوذاك .

(١) اللفظة مستدركة من تاريخ ابن عساکر ٢٤/٢ .

قال أبو زرعة:

مسجد دمشق خطّه أبو عبيدة بن الجراح وكذلك مسجد حمص ، وأما مسجد مصر فإنه خطه عمرو بن العاص زمن عُمر .

قال أبو ثوبان:

ما ينبغي أن يكون أحد أشدّ شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجدها .



لما قدم المهدي يريد بيت المقدس دخل مسجد دمشق ومعه أبو عبيد الله الأشعري كاتبه ، فقال: يا أبا عبيد الله ، سبقتنا بنو أمية بثلاث: قال: وما هنّ يا أمير المؤمنين؟ قال: بهذا البيت ، يعني: المسجد ، لا أعلم على ظهر الأرض مثله ، وبئبل الموالى ، فإن لهم موالى ليس لنا مثلهم ، وبُعمر بن عبد العزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبداً ، ثم أتى بيت المقدس فدخل الصخرة فقال: يا أبا عبيد الله وهذه رابعة .

ولما دخل المأمون مسجد دمشق ومعه أبو إسحاق المعتصم ويحيى بن أكثم قال: ما أعجب ما في هذا المسجد؟ فقال له أبو إسحاق: ذهبه وبقاؤه ، فإننا نهيته في قصورنا فلا تمضي به العشرون سنة حتى يتغير ، قال: ما ذاك أعجبنى منه . فقال له يحيى بن أكثم: تأليف رخامه ، فإني رأيت فيه عقداً ما رأيتُ مثلها ، فقال: ما ذاك أعجبنى ، فقالا له: ما الذي أعجبك؟ قال: بنيانه على غير مثال متقدم .

قال المأمون لقاسم التمار:

اختر لي اسماً حسناً أسمى به جاريتي هذه: قال: سمّها مسجد دمشق فإنه أحسن شيء .

قال الشافعي:

عجائب الدنيا خمسة أشياء: أحدها منارتكم هذه ، يعني منارة ذي القرنين ، والثاني أصحاب الرقيم الذين هم بالروم اثنا عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً ، والثالث مرآة ببلاد الأندلس معلقة على باب مدينتها الكبيرة ، فإذا غاب الرجل

من بلادهم على مسافة مئة فرسخ في مئة فرسخ فإذا جاء أهله ونظروا في المرآة رأوا صاحبهم بمسافة مئة فرسخ ، والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الإنفاق عليه ، والخامس الرخام والفسيفساء ، فإنه لا يُدرى له موضع ، فيقال : إن الرخام كلها معجونة ، والدليل على ذلك أنها لو وضعت على النار لذابت .

* * *

ما ذكر من هدم بقية كنيسة مَريَحنا وإدخالها في الجامع

عن كعب:

في قول الله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾^(١) فقال: إذا هُدمت كنيسة دمشق فَبُنيت مسجداً وظهر لُبس القصب ، فحينئذ تأويل هذه الآية ، وهدمها الوليد بن عبد الملك .

وكان معاوية أراد أن يبني مسجد دمشق فقال له كعب: ذلك أخص قريش وما اجتمع أبواه. فلما كان الوليد بن عبد الملك بعث إلى النصارى وقال لهم في كنيستهم وسألهم إياها فأبوا ، فقال لهم: اتنونا بالعهد فأتوه به فقال لهم: قد رضيتم ، فأنا أسجل البعض عليكم ، فنظروا فإذا كنيسة كذا ، وكنيسة كذا ، وكنيسة كذا ، ورضوا بأن أعطوا الكنيسة وكفَّ عن كنائسهم .

قالوا: وكان معاوية بن أبي سفيان يخرج إلى الصلاة في المسجد من الموضع الذي يصلي فيه الغرباء عند باب جيرون من عند الزجاجاة الخضراء ، فجعلت الزجاجاة علامة لِمَا سُدَّ من الباب من شرق المسجد خارج الباب .

قال يعقوب^(٢) بن سفيان:

سألت هشام بن عمار عن قصة مسجد دمشق وهُدْم الكنيسة قال: كان الوليد قال للنصارى من أهل دمشق: ما شئتم ، إنا أخذنا كنيسة توما عَنوة وكنيسة الداخلة صلحاً ، فأنا أهدم كنيسة توما . قال هشام: وتلك أكبر من هذه الداخلة . قال: فرضوا أن هَدَم كنيسة الداخلة ، وأدخلها في المسجد . قال: وكان بابها قبلة المسجد اليوم المحراب الذي يصلى فيه .

(١) المائدة: ١٠٥ .

(٢) انظر المعرفة والتاريخ للفسوي ج ٣/ ٣٣٥ .

قال: وهَدَمَ الكنيسة في أول خلافة الوليد سنة ست وثمانين ، وكانوا في بنيانه سبع سنين حتى مات الوليد ولم يتمّ بناؤه ، فاتمه هشام من بعده .
وفي حديث آخر :

لما همّ بهدم الكنيسة ، كنيسة مَرِيْحَتًا ليزيدها في المسجد ، دخل الكنيسة ، ثم صعد منارة ذات الأضالع المعروفة بالساعات ، وفيها راهب يأوي في صومعة له فأحدره من الصومعة ، فأكثر الراهب كلامه ، فلم تزل يد الوليد في قفاه حتى أحدره من المنارة ثم همّ بهدم الكنيسة ، فقال له جماعة من نجّاري النصارى: ما نجسُّر على أن نبدأ في هدمها يا أمير المؤمنين ، نخشى أن نُعزَّز أو يصيبنا شيء ، فقال الوليد: تحذرون وتخافون! يا غلام ، هاتِ المعول ، ثم أتى بسلم فنصبه على محراب المذبح ، وصعد فضرب بيده المذبح حتى أثر فيه أثراً كبيراً ، ثم صعد المسلمون فهدموه ، وأعطاهم الوليد مكان الكنيسة التي في المسجد ، الكنيسة التي تعرف بحمام القاسم بحذاء دار أم البنين في الفراءيس ، فهي تسمّى مَرِيْحَتًا مكان هذه التي في المسجد . وحولوا شاهدها فيما يقولون إليها ، إلى تلك الكنيسة .

وكان أراد أن يبني المسجد اسطوانات إلى الكوى - يعني الطاقات - فدخل بعض البنائين فقال: لا ينبغي أن يبني كذا ولكن ينبغي أن تبني فيه قناطر ويعقد أركانها بعضها إلى بعض ثم تجعل أساطين ، ويجعل عمد ، ويجعل فوق العمدة قناطر تحمل السقف ، ويخفف عن العمدة البناء ، ويجعل بين كل عمودين ركن . قال: فبني كذلك .

قالوا: ودخل المغيرة بن عبد الملك يوماً على الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فرآه مغموماً فقال له: يا أمير المؤمنين ، ما سبيلك؟ قال: فأعرض عنه ، ثم إنه عاوده فقال: يا أمير المؤمنين ، ما سبيلك؟ قال: فقال له: يا مغيرة ، إن المسلمين قد كثروا وقد ضاقت بهم المسجد ، وقد بعثت إلى هؤلاء النصارى أصحاب هذه الكنيسة لئُدخلها في المسجد فتأبوا علينا ، وقد أقطعتهم قطائع كثيرة ، وبذلت لهم مالاً فامتنعوا ، فقال له المغيرة: يا أمير المؤمنين ، لا تغتمّ قد دخل خالد من باب الشرقي بالسيف ، وباب الجابية دخل منه أبو عبيدة بن الجراح في الأمان ، فمأسحهم إلى أي موضع بلغ السيف ، فإن يكن لنا فيه حق أخذناه ، وإن لم يكن لنا فيه حق داريناهم حتى نأخذ باقي الكنيسة فنُدخله

في المسجد. فقال له: فرجتَ عني ، فتولّ أنت هذا ، قال: فتولاه ، فبلغت المسحة إلى سوق الرّيحان حتى حاذى من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع وكسّر بالذراع القاسمي ، فإذا باقي الكنيسة قد دخل في المسجد ، فبعث إليهم فقال لهم: هذا حق قد جعله الله عز وجلّ لنا ، لم يُصلّ المسلمون في غضب ولا ظلم ، بل نأخذ حقنا الذي جعله الله لنا ، فقالوا: يا أمير المؤمنين ، قد أقطعنا أربع كنائس وبذلت لنا من المال كذا وكذا ، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تتفضّل به علينا فافعل ، فامتنع عليهم حتى سألوه وطلبوا إليه. قال: فأعطاهم كنيسة حُميد بن درّة ، وكنيسة أخرى حيث سوق الجبن ، وكنيسة مريم ، وكنيسة المصلّبة ، ثم إن الوليد بعث إلى المسلمين حتى اجتمعوا لهدم الكنيسة ، واجتمع النصارى فقال للوليد بعض الأقساء - والفأس على كتفه وعليه قباء سفرجلي وقد شدّ برقة قبائه - فقال له: [١٠٦/ب] إني أخاف عليك من الشاهد يا أمير المؤمنين. قال: ويلك ما أضع فأسي إلا في رأس الشاهد ، ثم إنه صعد ، فأول من وضع فأسه في هدم الكنيسة الوليد. وسارع الناس في هدم الكنيسة ، وكبر الناس ثلاث تكبيرات وزادها في المسجد.

وقيل: إنه قيل للوليد: لا يهدمها أحد إلا جُنّ ، فقام يزيد بن تميم فجمع له وجوه أهل البلدة حتى علا الكنيسة ، ثم التفت إلى يزيد فقال: أين الفأس؟ فأتاه به فقال: إن هؤلاء الكفرة يزعمون أنّ أول من يهدمها يجنّ وأنا أول من يُجنّ في الله ، فأخذ برقة قبائه فوضعها في منطقتة ثم أخذ الفأس فضرب به ضربات ، ثم تناوله القوم وكلُّ من حضر ، ولم يجدوا من ذلك بدأ إذا فعله أمير المؤمنين ، وصاح النصارى على الدرج وولولوا ، ثم التفت إلى يزيد بن تميم وهو على خراجه فقال: ابعث إلى اليهود حتى يأتوا على هدمها ، ففعل فجاء اليهود فهدموها.

* * *

ما ذكر في بنائه واختيار موضعه

في كتاب «أخبار الأوائل» أن هذه الدار المعروفة بالخضراء من الدار المعروفة بالمطبق ، مع الدار المعروفة بدار الخيل مع المسجد الجامع أقاموا وقت بنائها يأخذون الطالع لها ثمان عشرة سنة. وقد حُفر أساس الحيطان ، حتى وافاهم الوقت الذي طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا أن المسجد لا يخرب أبداً ولا يخلو من العبادة. وأن هذه الدار إذا بُنيت لا تخلو من أن تكون دار الملك أو السلطنة والضرب والحبس وعذاب الناس والقتل ومأوى الجند والعساكر والبلاء والفتنة ، فبني على هذا ، والله أعلم. وكانت في ذلك الزمان كلها داراً واحدة.

ولما أرادَ الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق احتاج إلى صنّاع كثير ، فكتب إلى الطاغية أن وجه إليّ بمثني صانع من صنّاع الروم فإني أريد أن أبنّي مسجداً لم يَبِن من مضى قبلي ولا يكون بعدي مثله. فإن أنت لم تفعل غزوتك بالجيوش وأخرجت الكنائس في بلدي وكنيسة بيت المقدس وكنيسة الرها وسائر آثار الروم في بلدي ، فأراد الطاغية أن يفضّه عن بنائه ويضعف عزمه ، فكتب إليه: «والله لئن كان أبوك فهُمها فأغفل عنها إنها لوصمة عليه ، ولئن كنت فهِمتها وغيبت عن أبيك إنها لوصمة عليك ، وأنا مُوجّه إليك ما سألت» فأراد أن يعمل له جواباً فجلس له عقلاء الرجال في حظيرة المسجد يفكرون في ذلك ، فدخل عليهم الفرزدق فقال: ما بال الناس أراهم مجتمعين حلقاً ، فقيل له: السبب كيت وكيت ، فقال: أنا أجيبه من كتاب الله. قال الله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَهَا سَلِمْنَ وَكَلَاءَ إِنِنَّا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾^(١) فسُري عنهم.

(١) الأنبياء: ٧٩.

وروى أبو حفص:

أن هود النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم أسس الحائط الذي قبله دمشق.

ولما بنى الوليد بن عبد الملك القبة - يعني: قبة مسجد دمشق - فلما استقلت وتمت وقعت فشق ذلك عليه ، فأتاه رجل من البنائين فقال له: أنا أتولى بنيانها على أن تعطيني عهد الله ألا يدخل معي أحد في بنيانها ففعل ذلك ، فحفر موضع الأركان حتى بلغ الماء ثم بناها ، فلما استقلت على وجه الأرض غطاها بالحصص وهرب عن الوليد ، فأقام يطلبه ولا يقدر عليه . فلما كان بعد سنة لم يعلم الوليد إلا وهو على بابها فقال له: ما دعاك إلى ما صنعت؟! قال: تخرج معي حتى أريك ، فخرج الوليد والناس معه حتى كشف الحصر فوجد البنيان قد انحط حتى صار مع وجه الأرض فقال: من هذا كنت تؤتى ، ثم بناها بنيانها الذي عليه حتى قامت .

وقيل: لما حفر لأركانها حتى بلغ الحفر إلى الماء ألقى على الماء جران الكرم ، وبنى الأساس عليه .

قال إبراهيم بن أبي^(١) حوشب النصري [١٠٧/ب] وكان جده أحد قومة المسجد في بنائه قال:

حدثت أن الوليد بن عبد الملك بعث إليه يوماً عند فراغه من القبة الكبيرة ، فلم يبق منها إلا عقد رأسها فقال له: إني عزمت أن أعمدها بالذهب قال: فقال له: يا أمير المؤمنين ، اختلطت؟! هذا شيء تقدر عليه؟! قال له: يا ماجن تقول لي هذا؟! فأمر به فشق عنه وضرب خمسين سوطاً ، قال: ثم قال: اذهب فافعل ما أمرت به ، قال: فذكر لي أنه عمل لبنة من ذهب فحملها إليه ، فلما نظر إليه وعرف ما فيها وما تحتاج القبة إلى مثلها قال: هذا شيء لا يوجد في الدنيا ، ورضي عنه وأمر له بخمسين ديناراً .

(١) في الأصل: إبراهيم بن حوشب ، وهو إبراهيم بن أبي حوشب . ترجم له ابن عساكر ترجمة يسيرة في تاريخه قال: «حكى عن جد له حكاية منقطة في بناء قبة الجامع . حكى عنه يزيد بن أحمد السلمي» .

ولما قطع الوليد بن عبد الملك بالرصاص لمسجد دمشق لأهل الكُور كانت كورة الأردن أكثرهم في ذلك ، فطلبوا الرصاص من النواويس^(١) الغادية وانتهوا إلى قبر حجارة في داخله قبر من رصاص ، فأخرجوا الميت الذي فيه فوضوه فوق الأرض ، فوق رأسه في هوة من الأرض وانقطع عنقه فسأل من فيه دمٌ ، فهالهم ذلك ، فسألوا عنه فكان فيمن سألوا عنه عبادة بن نسي الكندي فقال لهم : هذا القبر قبر طالوت الملك .

وقيل : إنه لما فرغ الوليد بن عبد الملك من بناء المسجد قال له بعض ولده : أتعبت الناس في طينه كل سنة ويخرب سريعاً ، فأمر أن يُسقف بالرصاص ، فطلب الرصاص في كل بلد وصل إليه ، فبقي عليه موضع لم يجد له رصاصاً ، فكتب إلى عماله يحرضهم في طلبه ، فكتب إليه بعض عماله أن قد وجدنا عند امرأة منه شيئاً ، وقد أبت أن تبيعه إلا وزناً بوزن ، فكتب إليه : خذه ، وإن أبت إلا وزناً بوزن ، فخذهُ منها وزناً بوزن ، فلما وفاها قالت له : هو هدية مني للمسجد؟! قال لها : أنت أبيت أن تبيعي إلا وزناً بوزن شُحاً منك ، فتهدينه للمسجد؟! فقالت : أنا فعلت ذلك ، ظننت أن صاحبكم [١٠٨/أ] يظلم الناس في بنائه ويأخذ رجالهم ، فلما رأيت الوفاء منكم علمت أنه لم يكن يظلم فيه أحداً ثم ، وبيتاع وزناً بوزن ، فكتب إلى الوليد في ذلك ، فأمر أن يعمل في صفائحه : لله ، ولم يدخله في جملة ما عمله ، فهو إلى اليوم مكتوب عليه : لله . طبع بطابع على السقف .

وقيل : إن المرأة كانت يهودية ، وأنه كتب على الرصاص الذي أعطتهم : للإسرائيلية ، وذكر أنه رؤي منه شيء قبل الحريق عليه : للإسرائيلية .

ولما أراد الوليد بناء المسجد بدمشق كان سليمان بن عبد الملك هو القيم مع الصناع .

وكان المشايخ يقولون : ما تمّ مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة . لقد كان يفضل عند الرجل من القوام عليه الفأس ورأس المسمار ، فيجيء فيضعه في الخزانة .

(١) النواويس ، ج ناووس : مقابر النصارى . اللسان والتاج : «نوس» .

وقيل : إن قبة دمشق الرخام التي فيها فوارة الماء أقيمت في سنة تسع وستين وثلاث مئة .

وقيل : أنشئت الفوارة المنحدرة وسط جيرون في سنة ست عشرة وأربع مئة ، وجرت ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من شهر ربيع الأول من سنة سبع عشرة وأربع مئة ، بما أمر بجرّ القصعة من ظاهر قصر حجاج إلى جيرون وإجراء مائها القاضي فخرّ الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسن بن العباس الحسيني . جزاه الله على ذلك خيراً .

وتحتة بخط محمد بن أبي نصر الحميدي : وسقطت في صفر من سنة سبع وخمسين وأربع مئة من جمال تحاكت بها ، فأنشئت كرة أخرى ، ثم سقطت عمدتها وما عليها في حريق اللبادين ورواق دار الحجارة ودار خديجة ، في شوال سنة اثنتين وستين وخمس مئة .



كيفية ترخيّمه ومعرفة المال المنفق عليه

قال إبراهيم بن هشام:

ما في مسجد دمشق من الرخام شيء إلا رخامتا المقام ، فإنه يقال : إنهما من عرش سبأ وأما الباقي فكله مرمر .

قيل : هو المقام الغربي .

وقيل : هما من عرش بلقيس .

وقيل : كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم .

وعن عمرو بن مهاجر ، وكان على بيت مال الوليد بن عبد الملك :

أنهم حسبوا ما أنفق على الكرمة التي في قبلة مسجد دمشق فكان سبعين ألف دينار ، وحسبوا ما أنفقوا على مسجد دمشق فكان أربع مئة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار .

قال : وأتاه حَرَسِيّه فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أهل دمشق يتحدثون أن الوليد أنفق الأموال في غير حقها ، فنأدي بالصلاة جامعة وخطب الناس فقال : إنه بلغني حرسيّ أنكم تقولون : إن الوليد أنفق الأموال في غير حقها ، ألا يا عمرو بن مهاجر ، قم فأحضر ما قبلك من الأموال من بيت المال ، قال : فأنت البغال تدخل بالمال وتصب في القبّة على الأنطاع حتى لم يبصر من في الشام من في القبلة ، ولا من في القبلة من في الشام .

وقال : الموازين ، فوزنت الأموال ، وقال لصاحب الديوان : أحضر من قبلك من يأخذ رزقنا ، فوجدوا ثلاث مئة ألف ألف في جميع الأمصار ، وحسبوا ما يصيبهم فوجدوا عنده رزق ثلاث سنين ، ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عزّ وجلّ وقال : إلى ما تذهب هذه الثلاث السنين أتانا الله بمثله ، ألا وإني إنما

رأيتكم يا أهل دمشق تفخرون على الناس بأربع خصال فأحببت أن يكون
مسجدكم الخامس ، تفخرون على الناس بهوائكم ومائتكم وفاكهتكم
وحماماتكم ، فأحببت أن يكون مسجدكم الخامس ، فاحمدوا الله ، فانصرفوا
شاكرين داعين .

وقيل : إن الوليد بن عبد الملك اشترى العمودين الأخضرين الكبيرين اللذين
تحت النسر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمس مئة دينار .

قال أبو مُسهر :

عملت المقصورة لسليمان بن عبد الملك حين استُخلف .



ذكر ما كان عمر بن عبد العزيز ردّه على النصارى عند طلبه

قال علي بن أبي حمّلة:

لما ولي عمر بن عبد العزيز قال نصارى دمشق: يا أمير المؤمنين ، قد علمتَ حال كنيسةنا . قال: إنها صارت إلى ما تَرَوْن ، فعوضهم كنيسةً من كنائس دمشق لم تكن في صلحهم يقال لها: كنيسة توما .

وقيل: إن النصارى رفعوا إلى عمر بن عبد العزيز ما أخذوا عليه العهد في كنائسهم ، لا تُهدم ولا تسكن ، وجاؤوا بكتابهم إليه فكلّمهم عُمر ورفَع لهم في الثمن حتى بلغَ مئة ألف ، فأبَوْا ، فكتب عُمر إلى محمد بن سويد الفهري أن يدفع إليهم كنيسةهم ، إلّا أن يرضيهم ، فأعظمه ذلك وأعظم الناس ، وفيهم يومئذ بقية من أهل الفقه ، فشاورهم محمد بن سويد فقالوا: هذا أمر عظيم ، ندفع إليهم مسجدنا وقد أدنّا فيه بالصلاة ، وجمّعنا فيه ، يُهدم فيعاد كنيسة؟ فقال رجل منهم: ههنا خصلة: لهم كنائس عظام حول مدينتهم: دير مرّان وباب توما والراهب وغيرها ، إن أحبوا أن نعطيهم كنيسةهم ولا يبقى حول مدينة دمشق كنيسة ولا بالغوطة إلا هُدمت ، وإن شاؤوا تركت لهم كل كنيسة بالغوطة ، ونسجل لهم بها سجلاً ، وتركوا ما يطلبون ، فدعاهم فعرض ذلك عليهم فقالوا: انظرونا ننظرُ في أمرنا ، فتركهم ثلاثاً ، فقالوا: نحن نأخذ الذي عرضت علينا ، وتكتب إلى الخليفة تخبره أنا قد رضينا بذلك ، ويسجل الخليفة من قبله سجلاً منشوراً بأمان على ما بالغوطة من كنيسة أن تهدم أو تسكن . قالوا: نعم . فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بذلك ، فسره وسجّل لهم في كنائسهم التي خارج مدينة دمشق والغوطة ، أنهم آمنون أن تُخرب أو تسكن ، وأشهد لهم شهداً .

قال عمرو بن مهاجر: سمعت عمر بن عبد العزيز ، وذكر مسجد دمشق فقال :

رأيت أموالاً أنفقت في غير حقها ، فأنا مستدرك ما أدركت منها فرائده إلى بيت المال ، أعمد إلى ذلك الفُسيفاء والرخام فأقلعه وأطيئه ، وأنزع تلك السلاسل وأجعل مكانها حبالاً ، وأنزع تلك البطائن فأبيع جميع ذلك وأدخله بيت المال ، فبلغ ذلك أهل دمشق فاشتد عليهم ، فخرج إليه أشرافهم فيهم خالد القسري فقال لهم خالد: ائذنوا لي حتى أكون أنا المتكلم ، فأذنوا له . فلما أتوا دير سمعان استأذنوا إلى عمر فأذن لهم ، فلما دخلوا سلّموا عليه ، فقال له خالد: يا أمير المؤمنين ، بلغنا أنك هممت في مسجدنا بكذا وكذا ، قال: نعم ، رأيت أموالاً أنفقت في غير حقها ، وأنا مستدرك ما أدركت منها فرائده إلى بيت المال ، فقال له: والله ما ذلك لك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر: لمن هو ، لأملك الكافرة؟! وغضب عمر ، وكانت أمه نصرانية ، أم ولد ، رومية ، فقال خالد: إن تك كافرة فقد ولدت مؤمناً ، فاستحيا عمر ، وقال: صدقت ، فما قولك: فما ذلك لي؟ قال: إنا كنا - معشر أهل الشام وإخواننا من أهل مصر وإخواننا من أهل العراق - نغزوا فيفرض على الرجل منا أن يحمل من أرض الروم قفيزاً بالصغير من سيفساء وذراعاً في ذراع من رخام ، فيحمله أهل العراق وأهل حلب إلى حلب ، ويُستأجر على ما حملوا إلى دمشق ، ويحمل أهل حمص إلى حمص ، ويُستأجر على ما حملوا إلى دمشق ، ويحمل أهل دمشق ، ومن وراءهم حصتهم إلى دمشق ، فذلك قولي: ما ذلك لك ، فسكت عمر ، ثم جاءه بريدٌ من مصر من واليها يخبره أن قارباً ورد عليه من رومية فيه عشرة من الروم ، عليهم رجل منهم ، يريدون الوفود إلى أمير المؤمنين . فكتب إليه أن وجههم إليّ ووجه معهم عشرة من المسلمين ، عليهم رجل منهم ، كل منهم يحسن [الكلام] بالرومية ، ولا يُعلمونهم ذلك حتى يحملوا إليّ كلامهم ، فساروا حتى نزلوا دمشق خارج باب البريد ، فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين أن يستأذن لهم الوالي في دخول المسجد ، فأذن لهم ، فمروا في الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجه القبة ، فكان أول ما استقبلوا المقام ، ثم رفعوا رؤوسهم إلى القبة فخرّ رئيسهم مغشياً عليه ، فحُمِل إلى منزله ، فأقام ما شاء الله أن يقيم ثم أفاق . فقالوا له بالرومية: ما قصتك . عهدنا بك بالرومية ،

وما ننكرك ، وصَحِبْتَنَا فِي طَرِيقِنَا هَذِهِ فَمَا أَنْكَرْنَاكَ فَمَا الَّذِي عَرَضَ لَكَ حِينَ دَخَلْتَ هَذَا الْمَسْجِدَ؟ قَالَ: لَأَنَا - مَعْشَرَ أَهْلِ رُومِيَّةٍ - نَتَحَدَّثُ أَنْ بَقَاءَ الْعَرَبِ قَلِيلٌ ، فَلَمَّا رَأَيْتُمْ مَا بَنَوْا عَلِمْتُمْ أَنَّ لَهُمْ مَدَّةَ سَيِّلُغُونَهَا ، فَذَلِكَ أَصَابَنِي الَّذِي أَصَابَنِي . فَلَمَّا قَدَمُوا عَلَيَّ عُمِرَ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَمِعُوا مِنْهُ فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا أَرَى مَسْجِدَ دِمَشْقٍ غِيظًا عَلَى الْكُفَّارِ ، وَتَرَكَ مَا كَانَ هَمَّ بِهِ مِنْ أَمْرِهِ .

وقيل: إن عمر بن عبد العزيز لما استُخلف أرادَ أن يجردَ ما في قبلة مسجد دمشق من الذهب وقال: إنه يشغل الناس عن الصلاة ، فقيل له: يا أمير المؤمنين ، إنه أنفق عليه عدُّ فيء المسلمين وأعطياتهم ، وليس يجتمع منه شيء فينتفع به ، فأراد أن يبيضه بالجص فقيل له: تذهب النفقات فيه ، فأراد أن يستره بالخزف فقيل له: تضاهي الكعبة ، فينما هو في ذلك ورد عليه وفد الروم فاستأذنوا في دخول المسجد ، فأذن لهم ، وأرسل معهم من يعرف الرومية ، وقال: لا تعلموهم أنكم تعرفون الرومية ، واحفظوا ما يقولون ، فلما وقفوا تحت القبة قال رئيسهم: كم للإسلام؟ قالوا: مئة سنة ، فقال: فكيف تُصغرون أمرهم؟ ما بنى هذا البنيان إلا ملك عظيم . وأتى الرسول عمر فأخبره فقال: أما إذ هو غائظ للعدو فدعه .

ذكر ما في الجامع من القناديل وما فيه وفي البلد من الطَّلسمات:

كان مكحول إذا طفئت قناديل المسجد - يعني مسجد دمشق - يسدُّ أنفه . وقال: يعترني من رائحته المسك .

قال عبد الرحيم الأنصاري: سمعتُ الأعراب وهم يزورون المسجد يقولون:

لا صلاة بعد القليلة يعني الذرة . قلت له: رأيت القليلة؟ فقال: نعم . كانت تضيء مثل السراج . قلت: من أخذها؟ قال: أما سمعت المثل: منصور سرق القلة وسليمان شرب المرة .

منصور الأمير وسليمان صاحب الشرطة ، سليمان هو الأمير وهو ابن المنصور ، ومنصور صاحب شرطته .

وذلك أن الأمين كان يحب البلور ، فكتب إلى صاحب شرطته والي دمشق أن ينفذ إليه القليلة فسرقها ليلاً ، فلما قتل المأمون الأمين رد القليلة إلى دمشق ليشنع بذلك على الأمين . وكانت هذه القليلة في محراب الصحابة ، فلما ذهب

جعل موضعها بَرْنِيَّة^(١) من زجاج. قال الراوي: رأيتها. ثم انكسرت بعد فلم يُجعل في مكانها شيء.

وعن علي بن أبي حملة قال:

كنا نستمر مسجد دمشق في الشتاء بلبود - أحسبه قال: في عهد الوليد - فدخلته الريح فهزته ، فثار الناس فحرقوا اللبود.

قال أبو مروان عبد الرحيم وهو ابن عمر المازني:

لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد احتفروا فيه موضعاً ، فوجدوا باباً من حجارة مغلقة ، فلم يفتحوه ، وأعلموا به الوليد ، فخرج من داره حتى وقف عليه ، وفتح بين يديه ، فإذا داخله مغارة فيها تمثال إنسان من حجارة على فرس من حجارة في يد التمثال الواحدة الدرّة التي كانت في المحراب ويده الأخرى مقبوضة. فأمر بها فكسرت ، فإذا فيها حبتان ، حبة قمح وحبّة شعير ، فسأل عن ذلك فقيل له: لو تركت الكف لم تكسرهما لم يسوس في هذه البلدة قمح ولا شعير.

وقيل: إنه لما دخل المسلمون دمشق وقت فتحها ووجدوا على العمود الذي في المقسلاط على السّفود الحديد [١١١/أ] الذي في أعلاه صنماً ماداً يده بكفت مطبقة فكسروه ، فإذا في كفه حبة قمح ، فسألوا عن ذلك فقيل لهم: هذه حبة القمح جعلها حكماء اليونانيين في كف هذا الصنم طليماً حتى لا يسوس القمح ، ولو أقام سنين كثيرة.

وإنما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات ؛ لأنه كان عمل هناك ساعات يُعلم بها كل ساعة تمضي من النهار ، عليها صورة عصافير وحية وغراب. فإذا تمت الساعة خرجت الحية ، فصاحت العصافير وصاح الغراب ، وسقطت حصة في الطست.

قال أبو المفضل يحيى بن علي القاضي:

إنه أدرك في الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات معلقة في السقف فوق البطائن مما يلي الشُّبُع ، وإنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات

(١) البرنية: إناء من خزف. (القاموس).

قبل الحريق . فلما احترقت الطلسمات وجدت . وكان حريق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر ، سنة إحدى وستين وأربع مئة .
حدث جماعة من شيوخ أهل دمشق قال :^(١)

العمود الحجر الذي بين سوق الشعير وبين سوق أم حكيم عليه حجر مدور مثل الكرة كبير لعسر بول الخيل ، إذا دار الفرس أو الحمار ثلاث مرات انطلق البول منه ، علمه حكماء الروم من اليونانيين ، مجرب . وكان على قنطرة باب سوق أم حكيم الذي بحضرة مسجد الطباخين صنم مكسور على القنطرة للحاجات ؛ إذا دخل إنسان فيه لحاجة لم تقض .

وفي سقف مسجد الجامع طلسم عملها الحكماء في السقف مما يلي الحائط القبلي . فمنها طلسم للصنويات لا تدخله ولا تعشش فيه من جهة الأوساخ التي يكون منها ولا يدخله غراب . وطلسم للفأر والحيات والعقارب . وما أبصر الناس فيه من هذا شيئاً إلا الفأر . قال : ويوشك أن يكون تغير طلسمها ، وطلسم للعنكبوت لا ينسج في زواياه ، ويركبه الغبار والوسخ .

ما ورد في أمر السبع وابتداء الحضور فيه

قال حسان بن عطية :

الدّراسة محدثة ، أحدثها هشام بن إسماعيل المخزومي في قدمته على عبد الملك ، فحجبه عبد الملك بعد الصبح في مسجد دمشق ، وعبد الملك في الخضراء ، فأخبر أن عبد الملك يقرأ بقراءة هشام ، فقرأ بقراءته مولى له ، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد ، فقرأوا بقراءته .

قال خالد بن دهقان :

أول من أحدث الدّراسة بدمشق هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وأول من أحدث الدّراسة في فلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجُرشي ، وكان يحضر الدّراسة جماعة ممن يُعرف بالعلم أو بالرياسة ، ومن

(١) أي : راوي الحديث .

القضاة ومن الفقهاء ومن المحدثين. وروي عن بعضهم أنه كره اجتماعهم وأنكره، ولا وجه لإنكاره.

وسئل عبد الله بن العلاء عن الدراسة فقال: كنا ندرس في مجلس يحيى بن الحارث في مسجد دمشق في خلافة يزيد بن عبد الملك إذا خرج علينا أميرنا الضحاك بن عبد الرحمن بن عَزْزَب الأشعري من الخضراء، فأقبل علينا منكرأ لما نصنع. فقال: ما هذا؟! أو: ما أنتم فيه؟! فقلنا: ندرس كتاب الله، فقال: تدرسون كتاب الله عز وجل، إن هذا لشيء ما رأيته ولا سمعت أنه كان قبل، ثم دخل الخضراء. وكان الضحاك بن عبد الرحمن أميراً على دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز.

قال النعمي^(١):

ومما قيل في وصف الجامع نثراً^(٢).

قال صاحب صفى الدين من رسالة وصف فيها دمشق:

مضيتُ إلى مسجدها الجامع وشغفت بإدراك البصر منه إدراك المسامع، فلما وصلتُ إليه وحللت لديه رأيت من أوصافه ما أصغر الرواية^(٣)، وحصل من الحسن على النهاية، ونوره يجلو الأبصار، وجمعاً [يفضل]^(٤) على جموع الأمصار، وعبادة موصلة على الاستمرار، وقرآناً يتلى آناً الليل وأطراف النهار، ومنقطعين إليه قد أنفقوا في الاعتكاف نفائس الأعمار، والبركات تحف بجوانبه، والعلوم تنتشر في زواياه ومحاربه، والأحاديث عن رسول الله ﷺ تسند وتروى، والمصاحف بين أيدي التالين^(٥) تنشر فلا تطوى، وأعلام البر فيه ظاهرة فلا تخفى ولا تروى. والخلق منقسمون إلى حلق، قد نبذ أهلها القلق. والإسلام فيها فاش، والجهلُ به متلاش، وهو مما بناه الأولون لعبادتهم وجعلوه ذخراً لآخرتهم، وما برح معبدأ لكلّ ملة، اتّخذة المجوس والنصارى

(١) الجامع الأموي بدمشق ص ١٥٤.

(٢) الأعلام الخطيرة ص ٦٧.

(٣) في الأعلام الخطيرة: «رأيت مرأى صغر الرواية».

(٤) هذه الزيادة من الأعلام الخطيرة.

(٥) في الأعلام الخطيرة: «الناس».

واليهودُ قبل الإسلام هيكلاً وقبلة ، وهو بيت المتّقين وسوق المتصدّقين ، ليله للمتّهجين ونهاره للعلماء المجتهدين .

وذكر إبراهيم بن [أبي] ^(١) الليث الكاتب في رسالة :

وقد أفضيت إلى جامعها فشاهدت ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه ولا الرائي أن يعرفه ، وجملة ذلك أنّهُ بِكُرُّ الدهر ووحيد العصر ، ونادرة الأوان وأعجوبة الزمان ، وغريبة الأوقات وعجيبة الساعات ^(٢) ولقد أبقت أميّة ذكراً ما يدرس ، وخلّفت أثراً لا يخفى ولا يدرس .

* * *

(١) هذه الزيادة من الأعلق الخطيرة .

(٢) في الأعلق الخطيرة: «وجملته أنّ بكر الدهر و نادرة الوقت ، وأعجوبة الزمان وغريبة الأوقات» .

وصفه شعراً

وممّا قيل في وصفه نظماً^(١)، فمن أبيات^(٢) لبعضهم:

| | |
|------------------------------------|--|
| دمشقُ قد شاعَ حُسْنُ جامِعِها | وما حوَّثُهُ رُيا مرابعِها |
| بديعةُ المُدْنِ في الكمالِ لما | يُدرِكُه الطَّرْفُ من بدائِعِها |
| طَيِّبَةٌ أرضُها مُبارِكَةٌ | بالْيَمَنِ والسَعْدِ أخذُ طالِعِها |
| جامِعُها جامعُ المحاسنِ قد | فاقت به المُدْنُ في جوامِعِها |
| وبنيّةٍ بالإتقانِ قد وُضعت | لا ضيَعَ اللهُ سعيَ واضِعِها |
| تُذكرُ في فضيلِه ورفِعَتِه | أخبارِ صدقِ راقِئِ لسامِعِها |
| قد كانَ قَبْلَ الحريقِ مدهشَةٌ | فغَيَّرتُهُ نارٌ بلافِعِها ^(٣) |
| فأذهبتُ بالحريقِ بهجَتِه | فليسَ يُرجى إيابُ راجِعِها |
| إذا تفكرت في الفصوصِ وما | فيها تيقنتِ حدَقَ صانعِها ^(٤) |
| أشجارُها ما تزالُ مُثمرةً | في أرضِ تبرِ يغشى بقائِعِها ^(٥) |
| فيها ثمارٌ خالِها يَنعَثُ | وليسَ يخشى فسادَ يانِعِها |
| تُقَطَّفُ باللحظِ لا بجارِحَةِ الـ | أيدي ولا تُجنى لبائِعِها |
| وتحتها من رُخامِه قِطْعُ | لا قَطَعَ اللهُ كَفَّ قاطِعِها |

(١) في تاريخ ابن عساكر ٣٨/٢: «أنشدني بعض أهل الأدب لبعض المحدثين في جامع دمشق عمره الله».

(٢) الأبيات في تاريخ ابن عساكر ٣٨/٢، والأعلاق الخطيرة ٦٨، البداية والنهاية ١٥١/٩ - ١٥٣.

(٣) في الأصل: «نار في بلاقعها» وأثبتنا رواية الأعلاق الخطيرة.

(٤) في تاريخ ابن عساكر: «راصعها».

(٥) في تاريخ ابن عساكر:

| | |
|--------------------------|-----------------------|
| لا تذهب الريح في مدافعها | أشجارها ما تزال مثمرة |
| في أرض تبر تغشى بفاععها | كأنها في زمرد غرست |

أحکم ترخيمها المرخم قد
 وإن تفكرت في قناطره
 وإن تبينت حسن قبته
 تخترق الرياح في مخارمها
 وأرضه بالزخام قد فرشت
 مجالس العلم فيه موقنة^(٢)
 وكل باب عليه مطهرة
 يرتفق الخلق من مرافقها
 ولا تزال المياه جارية
 وسوقها لا تزال أهلة
 لما يشاؤون من فواكهها
 كأنها جنة معجزة
 دامت برغم العدا مسلمة

بان عليها إحكام صانعها
 وسقفه بان حذق رافعها
 تحير اللب في أضعها
 عصفاً فتقوى على زعازعها
 يفسخ^(١) الطرف في مواضعها
 ينشرح الصدر في مجامعها
 قد أمن الناس دفع مانعها
 ولا يصدون عن منافعها
 فيها لما شق عن مشارعها
 يزدحم الناس في شوارعها
 وما يريدون من بضائعها
 في الأرض لولا سري فجائعها
 وحاطها الله من قوارعها

وقال أبو بكر الصنوبري من أبيات يذكر فيها دمشق المحروسة ويذكر محاسن
 جامعها الأموي:

نعمننا في دمشق نعم
 فيما بهجتها إذ هي
 وباعبقتها إذ هي
 تأملته تجذ^(٣) فيه
 ترى إفراط بان يا
 دع الحائط بل دعه
 وصف تقديره إن كذ
 صف المحراب صف تش
 أما يخشى إمام قا

ة ليست بمغموطه
 في البهجة مغطوطه
 بسالجامع مغبوطه
 شروط الحسن مشروطه
 من الراؤون تفريطه
 إن استغربت تحويطه
 ست ذا وصف وتقسيطه
 نيف بانیه وتقريطه
 م في المحراب تغليطه

(١) في الأصل: «بنفسج» والتصحيح من تاريخ ابن عساکر.

(٢) في تاريخ ابن عساکر: «متقنة».

(٣) في الأصل: «تري» وأثبتنا ما في الديوان.

بته^(١) إن حاولت توسيطه
 يملُّ الطرفُ تسليطه
 — ركَ إن شئت وتبليطه
 هره ضاحكٌ مخروطة
 ضرب العقيان مقطوعة
 بة بالتبر منقوطه
 ن لا يسأمُ تشييطه
 أفي الجنة أغلوطه
 ر بالأنهار مغطوطه
 به الحسنُ وتسفيطه

ووسطَ طرفه القبه
 ترى سلطانَ حُسنٍ لا
 أنح ترخيمه فك
 إذا المنقوشُ من جو
 ومينُ مقودودة من ق
 حفا في أسطُرٍ مكتو
 رأيت الناظر العجلا
 هو الجنةُ في الأرض
 قصورٌ بينها الأشجا
 فمن قصر حكى تقيي

وقال^(٢) علي بن منصور السروجي من أبيات يصف فيها دمشق:

وجامعُ جامعٍ للدين معمورُ
 يملُّه الطرفُ فهو الدهرُ منظورُ
 والعلمُ يُذكر فيه والتفاسيرُ

في كل قصر بها للعلم مدرسة
 كأنَّ حيطانه زهرُ الربيع فما
 يتلى القرآنُ به في كلِّ ناحية



(١) في الديوان: «طرفك القبلة».

(٢) الأعلام الخطيرة: ص ٧١.

ومما قيل في جامع دمشق شعراً

قال في «الروضة البهية» ص ١٤ :

أَقِم تَلَقَّ العنَايَةَ والكِرَامَه
وَصَلِّ بِه تَصِل دَار الإِقَامَه
وَمَثْوَى للقبولِ به علامه
ومسجدُهَا لوجهِ الشَامِ شَامَه

جَامِعُ جَلِقِ نَعَمَ الإِقَامَةَ
وَيُمُّمُ نَحْوَه فِي كلِّ وَقْتِ
وَصَلِّ فِيه للرحمنِ سِرّاً
دمشقٌ لَمْ تَزَلْ للشَامِ وَجْهاً



أحداث في المسجد الأموي خلال القرون

القرن الأول

سنة:

- ٨٦ - الوليد يأمر ببنائه سنة ٨٦ وتنتهي عمارته سنة ٩٦ هـ^(١) .
٩٧ - عملت المقصورة لسليمان حين استخلف أمام المحراب^(٢) .

القرن الثاني

سنة:

- ١٣١ - زلزلة تصيب دمشق فانشق سقف في المسجد^(٣) .
١٦٠ - بنيت القبة الشرقية في الصحن أيام المهدي ، وقال في «الحوليات الأثرية»: شيدت في عهد الخليفة المهدي القبة الغربية وعرفت بقبة المال وأطلق عليها بعد ذلك قبة عائشة ، وهي في ثمانية جدران وجعل لها باب صغير من حديد^(٤) .
١٧٢ - توفي أمير دمشق الفضل بن صالح العباسي ، وهو الذي أنشأ القبة الغربية بجامع دمشق وتعرف بقبة المال^(٥) .

(١) الجامع الأموي ص ١١٠ نقلاً عن النعيمي .

(٢) المصدر السابق ص ١١٢ .

(٣) كشف الصلصلة في وصف الزلزلة للسيوطي .

(٤) مسجد دمشق ص ١١ ، الحوليات الأثرية ١٣ / ٦٣ .

(٥) الجامع الأموي بدمشق ص ١١١ .

القرن الثالث

سنة:

٢٣٣ - زلزلت دمشق فقطعت ربعاً من الجامع وتزايدت الحجارة العظام ووقعت المنارة^(١) وقال ابن تغري بردي: إن زلزالاً حصل بدمشق سنة ٢٣٣ هـ سقط به شرافات الجامع الأموي وانصدع حائط المحراب ، وسقطت منارته ، وقال العماد: انقطع في هذا الزلزال ربع منارته .

القرن الرابع

سنة:

٣٩٦ - أقيمت قبة الرخام التي فيها فوارة الماء^(٢) .

وفيها يقول الشاعر جعفر بن دواس الکتامي:

رأيت بالجامع المعمور معجزة في جلق أجدي من بها سمعا
فوارة كلما فارت فَرَتْ كبدِي وماؤها فاض بالأنفاس فاندفعا
كأنها الكعبة العظمى فكل فتى من حيث قابل أنبواباً لها ركعا
ثم جددها عثمان باشا عام ١١٨٣ هـ بعد زلزال عام ١١٧٣ هـ^(٣) .

القرن الخامس

سنة:

٤١٦ - أنشئت الفوارة المنحدرة وسط جيرون وجرت ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من شهر ربيع الأول من سنة سبع عشرة وأربع مئة ، وجرى ماؤها من قصر حجاج إلى جيرون أمر بذلك القاضي فخر الدين أبو يعلى حمزة بن الحسن ابن العباس الحسيني جزاه الله خيراً^(٤) .

(١) مسجد دمشق ص ١١ نقلاً عن السيوطي في كشف الصلصلة ، وانظر النجوم الزاهرة .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر، الجزء الثاني، وانظر الجامع الأموي بدمشق نقلاً عن النعمي ص ١٢٠ .

(٣) الحوليات الأثرية ٦٣/١٣ .

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر الجزء الثاني ، الجامع الأموي بدمشق ص ١٢٠ .

٤٤١ - أقيم في الصحن عمودان جعلاً لتنوير الجُمع ، ووضعاً في رمضان من هذه السنة بأمر قاضي دمشق^(١) .

٤٥٧ - سقطت في صفر فوارة جيرون ومئة من جِمال تحاكَت بها ، فأنشئت كرة أخرى ثم سقطت عمدها وما عليها من حريق اللبادين ورواق الحجارة ودار خديجة في شوال سنة اثنتين وستين وخمس مئة^(٢) .

٤٦١ - في نصف شعبان اختصم العباسيون والفاطيون بدمشق فألقت نار بدار الملك وهي الخضراء المتاخمة للجامع من جهة القبلة فاحترقت وسرى الحريق إلى الجامع ، وعظم الأمر واشتد الخطب فذهب بمحاسن الجامع فسقطت سقفه المبطن بالذهب وتناثرت فصوصه وسقطت القبة وصارت أرضه طيناً زمن الشتاء وغباراً زمن الصيف محفورة مهجورة ، ولم يبق منه إلا حيطانه الأربعة وصاروا أيام الجمعيات يصلون فيه على التلال^(٣) .

٤٧٥ - جددت عمارة قبة النسر وسقف المقصورة والطاقت والأركان الأربعة في دولة السلطان ملكشاه بن محمد وأخيه تنش السلجوقيين وأيام وزارة نظام الملك ، وأنفق على ذلك الوزير أحمد بن الفضل . قال الدكتور المنجد: وفي متحف دمشق كتابتان تذكران ذلك^(٤) .

القرن السادس

سنة:

٥٠٣ - جددت عمارة الحائط الشمالي أيام المستظهر العباسي بأمر قلعن أتاك أبي سعيد طغتكين^(٥) .

٥٠٣ - جدد الحائط الشمالي بأمر السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي^(٦) .

(١) مسجد دمشق ص ١٢ نقلاً عن تعطير الشام ق ١٣١ ج ٣ .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر الجزء الثاني .

(٣) اللمعات البرقية لابن طولون ص ٧١ ، ومسجد دمشق ص ١٢ ، والجامع الأموي ١١٩ نقلاً عن الذهبي .

(٤) مسجد دمشق ص : ١٢ - ١٣ .

(٥) مسجد دمشق ص ١٣ .

(٦) المصدر السابق ص ١٣ .

٥٠٧ - كان بطبرية مصحف عثمان فنقله طغتكين الأيوبي إلى جامع دمشق ووضع بمقصورة الخطابة^(١).

٥١٤ - أقيم شاذروان فوق فوارة جيرون^(٢).

٥٤٨ - توفي ابن القيسراني محمد بن نصر الدين وهو الذي تولى إدارة الساعات التي على باب الجامع^(٣).

٥٥٢ - ضربت زلزلة عظيمة دمشق لم يُرَ مثلها ، فرمت من فص الجامع الشيء الكثير الذي يعجز عن إعادة مثله^(٤).

٥٦٢ - احترقت اللبادين وباب الساعات بدمشق حريقاً عظيماً أذهب أموال الناس ، وطلعت النار من دكان هراس^(٥).

٥٦٢ - سقطت عمد فوارة جيرون وما عليها^(٦).

٥٧٠ - احترقت الكلاسة واحترقت معها مئذنة العروس فأمر السلطان صلاح الدين بتجديد المئذنة^(٧).

٥٧٠ - ذكر ابن عساكر بسنده إلى ابن زبير قال: إنما سمي باب الساعات ، لأنه كان عمل هناك بنكام الساعات يُعلم بها كل ساعة تمضي من النهار ، عليها عصفير من نحاس ، وحية من نحاس وغراب فإذا تمت الساعة خرجت فصفرت العصفير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست^(٨).

٥٧٥ - جدد السلطان صلاح الدين ركنين من القبة في شهور سنة خمس وسبعين وخمس مئة^(٩).

(١) الجامع الأموي بدمشق ص ١٣٥ نقلاً عن الذهبي.

(٢) مسجد دمشق ص ١٣.

(٣) الجامع الأموي بدمشق ص ١١٧.

(٤) مسجد دمشق ص ١٣.

(٥) الجامع الأموي بدمشق نقلاً عن الذهبي.

(٦) مسجد دمشق ص ١٣.

(٧) مختصر تنبيه الطالب ص ٧١ ، الأعلام الخطيرة ١/٧٦.

(٨) الجامع الأموي بدمشق ص ١١٥.

(٩) دليل متحف دمشق ص ٢٤.

٥٧٨ - توفي هبة الله بن محمد ابن مميل الشيرازي ، وكان إمام مشهد الإمام علي بالجامع الأموي^(١) .

٥٩٧ - أصابت زلزلة شديدة دمشق ، وسقط من الجامع الأموي المنارة الشرقية وست عشرة شرافة منه ، وغالب الكلاسة ، وتشققت قبة النسر^(٢) .

٥٩٨ - رمت زلزلة رؤوس منائر جامع دمشق وبعض شراريفه من شماله^(٣) ، ويقول عبد اللطيف البغدادي: حصلت زلزلة في ٢٦ شعبان سنة ٥٩٨ أفسدت فيها منارة الجامع الشرقية ، وسقطت ست عشرة شرافة من الجامع وإحدى المآذن وتشققت أخرى وقبة الرصاص يعني النسر .

٥٩٩ - توفي محمد بن عبد الكريم الحارثي الدمشقي المهندس ، وهو الذي صنع الساعات على باب الجامع .

القرن السابع

٦٠٢ - في شعبان هدمت القنطرة الرومانية التي عند الباب الشرقي ونشرت حجارتها ليلط بها الجامع الأموي بسفارة الوزير صفى الدين بن شكر (ت ٦٢٢ هـ) وزير العادل ، وكمل تبليطه في سنة ٦٠٤^(٤) .

٦٠٢ - في أول شوال غيروا من قبة الجامع عدة أضلاع من شمالها^(٥) .

٦٠٤ - كمل تبليط الجامع^(٦) .

٦٠٧ - قال أبو شامة: في ثاني شوال جددت أبواب الجامع الأموي من ناحية باب البريد بالنحاس الأصفر ، وركبت في أماكنها^(٧) .

(١) الجامع الأموي بدمشق ص ١٣٠ .

(٢) ذيل الروضتين ص ٢٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩ .

(٤) الجامع الأموي بدمشق ص ١١٣ ، والبداية والنهاية ٤٤/١٣ ، ومسجد دمشق ص ١٤ .

(٥) ذيل الروضتين ص ٥٤ .

(٦) البداية والنهاية ٤٤/١٣ .

(٧) ذيل الروضتين ص ٧٦ ، والجامع الأموي بدمشق ص ١٢٣ .

٦٠٧ - وفي شوال شرع في إصلاح الفوارة بجيرون وعُمل الشاذروان والبركة وعمل في الساحة مسجد بإمام راتب^(١).

٦١٠ - أمر العادل أيام الجمع بوضع سلاسل على أبواب الطريق إلى الجامع الأموي ؛ لئلا تصل الخيول إلى قريب الجامع الأموي ، صيانة للمسلمين عن التأذي بها والتضييق^(٢).

٦١١ - شرع الملك العادل بتبليط رواقات الجامع الداخلية وبدؤوا بناحية السبع الكبير ، وكانت أرض الجامع قبل ذلك حفراً وجوراً فاستراح الناس بتبليطه^(٣).

٦١٣ - أحضرت الأوتاد الخشب الأربعة لأجل قبة النسرة ، طول كل واحد منها اثنان وثلاثون ذراعاً بذراع النجارين ، قطعت من الغوطة ودخل بها من باب الفرج إلى المدرسة العادلية إلى باب الناطفانيين ، وأقيم لها الصاري ورفعت ثم وضعت^(٤).

٦١٤ - في ثالث محرم كمل تبليط داخل الجامع الأموي ، وجاء المعتمد مبارز الدين إبراهيم المتولي بدمشق فوضع آخر بلاطة منه بيده ، وكانت عند باب الزيادة فرحاً منه بذلك^(٥).

٦١٧ - نُصِب محراب الحنابلة في الرواق الثالث الغربي من جامع دمشق بعد ممانعة من بعض الناس لهم ، وكان ساعدهم بعض الأمراء في نصبه ، وهو الأمير ركن الدين المعظمي ، وصلى فيه الشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي ، ثم رفع في حدود سنة ٧٣٠هـ وعوضوا عنه بالمحراب الغربي عند باب الزيادة ، كما عوضوا الحنفية عن محرابهم الذي كان في الجانب الغربي من الجامع بالمحراب المجدد لهم في باب الزيادة حين جدد الحائط الذي هو فيه في الأيام

(١) ذيل الروضتين ص ٧٦ ، الجامع الأموي بدمشق ص ١٢٤ .

(٢) البداية والنهاية ٦٧/١٣ ، الجامع الأموي بدمشق ص ١٢٤ .

(٣) البداية والنهاية ٦٧/١٣ ، الجامع الأموي بدمشق ص ١٢٤ .

(٤) ذيل الروضتين ص ٩٢ ، الجامع الأموي بدمشق ص ١٢٥ .

(٥) البداية والنهاية ٧٥/١٣ ، الجامع الأموي بدمشق ص ١٢٥ .

التنكزية على يدي ناظر الجامع ابن مراجل (ت ٧٦٤هـ) أثناه الله تعالى^(١).

٦١٨ - فيها توفي رضوان بن محمد الخراساني الساعاتي ، وكان أوحده في علم الساعات وهو الذي عمل الساعات بباب الجامع الأموي ووضعها أيام الملك العادل نور الدين محمود.

٦٢٣ - توفي الإمام خزعل بن عساكر المصري ، إمام مسجد زين العابدين ابن علي^(٢).

٦٢٨ - رتب فيها إمام بمشهد أبي بكر من جامع دمشق وصليت فيها الصلوات الخمس.

٦٣٥ - توفي الملك الكامل محمد ابن الملك العادل بقاعة الفضة بقلعة دمشق ، ودفن بالقلعة حتى كملت تربته بالحائط الشمالي من الجامع ، وفتح لها شبك في الرواق الشمالي^(٣).

٦٤٥ - وقع حريق بالمنارة الشرقية فاحترق أعلاها وجميع ما فيها من البيوت وأقامت خراباً ثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً ، فأمر السلطان في أوائل سنة سبع وأربعين وست مئة وقيل: في سنة ثلاث وأربعين وست مئة بعمارتها ، وتولى عمارتها الشهاب الرشيد نائب المملكة^(٤).

٦٤٧ - أمر نائب السلطان بدمشق الأمير جمال الدين بن يغمور بتخريب الدكاكين المحدثه وسط باب البريد^(٥).

٦٤٧ - جدد الأمير ابن يغمور بركة الكلاسة وبلط دهليزها وأرض البركة والسقايات بباب الجامع.

٦٦٣ - شرع في رمضان بتبليط باب البريد من باب الجامع الغربي إلى القناة التي عند الدرج ، وعمل في الصف القبلي منها بركة وشاذوران ، وكان في مكانها قناة من القنوات يتنفع بها الناس عند انقطاع باناس.

(١) البداية والنهاية ٩١/١٣ ، الجامع الأموي ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) الجامع الأموي بدمشق ص ١٣١.

(٣) البداية والنهاية ١٤٩/١٣.

(٤) الجامع الأموي بدمشق ص ١٤٦ ، الأعلام الخطيرة ٧٦/١.

(٥) البداية والنهاية ١٧٧/١٣ ومسجد دمشق ص ١٦.

٦٦٤ - كملة عمارة الحوض الذي في شرقي القناة بباب البريد ، وعمل له شاذروان وقبة وأنايب يجري فيها الماء إلى جانب الدرج الشمالية^(١) .

٦٦٥ - ٦٧٦ - أمر الملك الظاهر بإخراج الخزائن والمقاصير التي كانت في الجامع ، فكانت قريباً من ثلاث مئة ، فاستراح الناس واتسع المسجد^(٢) .

استجد الظاهر كثيراً من الرخام في الحائط الشامي^(٣) .

جدد كثيراً من الفسيفساء في الناحية الغربية^(٤) .

جدد مشهد زين العابدين .

جدد باب البريد وفرشه بالبلاط^(٥) .

٦٧٤ - قال ابن شداد: ويشتمل هذا الجامع في الوقت الذي وضعنا فيه هذا الكتاب [الأعلاق الخطيرة سنة ٦٧٤ هـ] على تسعة أئمة يصلون فيه الصلوات الخمس وهم:

- الخطيب - إمام مقصورة الحنفية - إمام مقصورة الحنابلة - إمام الكلاسة ،
إمام مشهد زين العابدين علي رضي الله عنه - إمام في مشهد أبي بكر رضي الله
عنه - إمام مقصورة المالكية - إمام مشهد ابن عروة - إمام في مقصورة الكندي .
وفيه لإقراء القرآن في هذا الوقت ثلاثة وسبعون متصديراً يعسر تعدادهم وفيه
من الأسباع الموقوفة لقراءة القرآن .

السبع الكبير [أوقافه مختلفة] ، وعدة من فيه على ما استقرَّ عليه الحال الآن
ثلاث مئة وأربعة وخمسون نفرأ .

وسبع الأمير مجاهد الدين إبراهيم ، وسبع مجاهد الدين بُزَّان ، وسبع
الساوجي ، وسبع ابن السابق ، وسبع التاج الكندي بمقصورة الخضر عليه

(١) ذيل الروضتين ص ٢٣٧ ، البداية والنهاية ١٣/٢٤٦ .

(٢) البداية والنهاية ١٣/٢٤٩ .

(٣) مسالك الأبصار ١/١٨٥ .

(٤) قال الدكتور المنجد: ومن هذا الضرب من الفسيفساء كسيت جدران تربة الملك
الظاهر .

(٥) مسجد دمشق ص ١٦ ، النجوم الزاهرة ٧/١٩٥ ، ١٩٦ .

السلام، وسبع ابن عبد ، وسبع فخر الدين المالكي ، وسبع المجد بن الخليلي ،
وسبع الفاضل ، وسبع ابن المنجنيقي ، وسبع ابن حبش ، وسبع ابن كلاب ،
وسبع ابن نجشان ، وسبع ابن بشر ، وسبع ابن الحلوانية ، وسبع ابن صاحب
حمص ، وسبع ابن مصعب ، وسبع القاضي شرف الدين عبد الوهاب الحراني ،
وسبع جهته قبر يحيى بن زكريا عليه السلام ، وسبع المالكية ، وسبع الحنابلة .
وسبع الكورية بعد صلاة العصر تجاه مقصورة الخطابة . فيه أربع مئة
وعشرون نفرأ .

وسبع المتلقين من الصغار وهم ثلاث مئة وثمانية وسبعون نفرأ .
وفيه من الحلق للاشتغال بالعلم الشريف ، المصروف عليها من مال
الصالح :

حلقة تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الشافعي .

وحلقة الشيخ رشيد الدين الفارقي

وحلقة الشيخ شرف الدين أحمد ابن المقدسي .

وحلقة برهان الدين بن المراغي .

وحلقة القاضي زين الدين بن المرجل .

وحلقة زين الدين علي بن المنجا الحنبلي .

وحلقة الشيخ نجم الدين بن الشماع الحنفي .

وحلقة الشيخ تاج الدين عبد الرحمن الزواوي المالكي .

وحلقة الشيخ مجد الدين المارداني .

وفيه من حلق الحديث الشريف :

ميعاد المجد تجاه قبر رأس يحيى بن زكريا عليه السلام .

وميعاد للأمير سيف الدين بن الغرس [خليل] .

وميعاد بالكلاسة للقاضي الفاضل .

وفيه من المدارس :

الغزالية وتعرف بالشيخ نصر [الدين] المقدسي .

والأسدية للملك المظفر أسد الدين شيركوه وهي شافعية .
والمنجائية لابن منجا . حنبلية .
والقوصية . حنفية .
والسفينية . حنفية .
والمقصورة الكبيرة : حنفية .
والزاوية المالكية .
والشيخية لابن شيخ الإسلام .

وفي الجامع من الحلق المرصدة لقراءة الكتاب العزيز وتعليمه مئة وعشرون حلقة ، وكل منهم له راتب على ديوان الجامع ، أحدها على سبيل المثال :
حلقة الكوثرية : وقفها نور الدين على صبيان صغار وأيتام ، يقرؤون في كل ليلة بعد العصر ثلاث مرات : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ويهدون ثوبها للواقف ، ولهم على ذلك مرتب يتناولونه من ديوان السبع الكبير .
٦٧٨ - جدد أربعة أضلاع في قبة النسر من الناحية الغربية^(١) .

٦٨١ - احترق في رمضان سوق اللبادين وسوق جيرون بدمشق إلى حيطان الجامع واتصل الحريق إلى حمام الحصن ودار الخشب ، واستمر ثلاثة أيام ، واحترق سوق الكتبيين ، فكان مما احترق فيه لشمس الدين إبراهيم الجزري الكتبي خمسة عشر ألف مجلد غير الكرايس والأوراق ، وكان سبب هذا الحريق العظيم أن بعض الذهبين غسل ثوبه ونشره ، وجعل تحته مجمرة نار وتركها وتوجه للفظور ، فتعلقت النار بالثوب واتصلت ببارية (حصير منسوج) كانت معلقة ، ومنها إلى السقف ، وسلم أربعة دكاكين في ناحية درج اللبادين^(٢) .

ومما احترق في هذا الحريق سوق الزجاجيين حتى المرجانيين والخواتمين^(٣) .

(١) البداية والنهاية ٢٨٩/١٣ .

(٢) مسجد دمشق ص ١٧ عن تاريخ ابن الفرات ٢٥٠/٧ .

(٣) مسجد دمشق ص ١٧ نقلاً عن تاريخ دول الإسلام للذهبي ١٤٢/٢ .

٦٨٦ - في شهر ربيع الأول أعيد الصاحب محيي الدين ابن النحاس إلى نظر الجامع المعمور وعزل ابن الزكي^(١).

٦٨٨ - في عاشر جمادى الآخرة وقع حريق في مشهد علي رضي الله عنه بجامع دمشق في خزانة المصحف الشريف والستر الذي عليها وتداركوه سريعاً وسلم الله تعالى^(٢).

٦٨٩ - في يوم الإثنين سابع ربيع الآخر وصلت دور السلطان الأشرف من مصر إلى قلعة دمشق ثم نوذي في أسواق دمشق يوم الأحد ثاني عشرين ربيع: من أراد أن يحضر لسماع قراءة صحيح البخاري فليحضر إلى الجامع تحت قبة النسرة ، فاجتمع الناس بكرة الإثنين ، وكان القارئ الشيخ شمس الدين الفزاري بحضور قاضي القضاة شهاب الدين الخويي القاضي شرف الدين المقدسي ، والشيخ نجم الدين بن مكي وجماعة من المشايخ الرواة والأعيان^(٣).

٦٩٠ - ولي نظر الجامع في رجب الصدر شهاب الدين ابن السلعوس وخلع عليه خلعة سنية^(٤).

٦٩١ - وولي الخطابة في ربيع الأول الإمام أحمد بن إبراهيم الفاروقي الواسطي عوضاً عن ابن المرحل ، ثم خرجوا يوم الإثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول للاستسقاء إلى مسجد القدم وكان الجمع كثيراً^(٥).

٦٩١ - في ٢٨ رمضان ولي الخطابة بجامع دمشق الإمام محمد بن محمد البهراني الحموي عوضاً عن الواسطي الفاروقي.

٦٩١ - وفي اليوم نفسه صلى بجامع دمشق بالمقصورة السلطان الملك الأشرف^(٦).

(١) المقتفي على كتاب الروضتين للبرزالي ١١٠/٢ .

(٢) المقتفي ١٦٧/٢ .

(٣) تاريخ حوادث الزمان ٤٣/١ .

(٤) المقتفي ٢٤٣/٢ .

(٥) المصدر السابق ٢٧٣/٢ .

(٦) المصدر السابق ٢٩٤/٢ .

٦٩٢ - تولى الصدر أمين الدين ابن هلال نظر ديوان الجامع بدمشق لما تركه ابن السلعوس^(١).

٦٩٣ - في يوم الأربعاء الحادي والعشرين من صفر تقرر بمحراب الصحابة بجامع دمشق إمام راتب وباشر ذلك القاضي كمال الدين عبد الرحمن بن محيي الدين ابن الزكي وصلى بالناس عقيب صلاة الخطيب واستمر^(٢).

٦٩٣ - في يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر ولي الشريف زين الدين حسين ابن محمد بن عدنان الحسيني نظر ديوان الجامع المعمور بدمشق ولبس الخلعة وباشر الوظيفة^(٣).

٦٩٤ - في يوم الأربعاء ثاني عشر شهر رمضان رسم للإمام الحنبلي بجامع دمشق أن يتقدم في الصلاة على الخطيب الشافعي ، وأن تكون صلاته مع مشهد علي رضي الله عنه فإذا سلم أقيمت الصلاة للخطيب ، وأن يكون بعده يصلي إمام محراب الصحابة ، وسبب ذلك أن الحنابلة وإمام محراب الصحابة كانوا يصلون في وقت واحد ، وكان يحصل للناس أذى من المؤذنين وقت التكبير ، وحصل كلام كثير بين الناس ، فقطعوا الفتنة بصلاتهم مع مشهد علي رضي الله عنه ؛ لأنه ظاهر الجامع والحنابلة داخل الجامع ، فلا يحصل للمصلين تشويش ولا أذى وخمدت الفتنة بين الناس^(٤).

قال ابن كثير: وقد تغيرت هذه القاعدة بعد العشرين وسبع مئة^(٥).

٦٩٤ - في شوال وصل من الديار المصرية تولية الخطابة بجامع دمشق لقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة الحاكم يومئذ بدمشق عوضاً عن شرف الدين ابن المقدسي رحمه الله ، فباشر الإمامة ظهر الخميس خامس شوال وخطب من الغد^(٦).

(١) تاريخ حوادث الزمان ١٥٤/١.

(٢) المقتضي ٣٥٢/٢ ، تاريخ حوادث الزمان ٢٠٢/١.

(٣) المقتضي ٣٥٥/٢.

(٤) تاريخ حوادث الزمان ٢٥١/١ ، الجامع الأموي بدمشق ص ١٢٦.

(٥) البداية والنهاية ٣٣٩/١٣.

(٦) المقتضي ٤٠٥/٢.

٦٩٦ - في يوم الجمعة رابع المحرم حضر السلطان وأتباعه إلى الجامع لصلاة الجمعة بالمقصورة، وأخذ من الناس قصصهم ، حتى قيل : إنه رأى شخصاً بيده قصة ، فتقدم بنفسه إليه خطوات وأخذها منه ، وشكرت سيرته وحمد فعله^(١) .

٦٩٦ - في يوم الأحد مستهل ربيع الآخر باشر نظّر الجامع المعمور القاضي عز الدين ابن محيي الدين ابن الزكي ولبس الخلعة في ثامن الشهر^(٢) .

٦٩٧ - في خامس ربيع الآخر جعل للقاضي كمال الدين عبد الرحمن بن قاضي القضاة محيي الدين ابن الزكي حلقة تصدير بجامع دمشق بمئة درهم ، وجلس كذلك بمحراب الصحابة وألقى درساً بحضرة قاضي القضاة إمام الدين وخطيب المسلمين بدر الدين ابن جماعة وجماعة كبيرة من الفضلاء والعلماء^(٣) .

٦٩٨ - في شوال عمّر ناصر الدين ابن عبد السلام في ولايته لنظر الجامع المعمور المشهد الذي يصلي فيه القضاة يوم الجمعة، وأضاف إليه مقصورة الخدم وما وراءها ، وصار مكاناً ضاهى به مشهد علي زين العابدين رضي الله عنه وسماه مشهد عثمان رضي الله عنه ، ورتب به إماماً وشرع في إقامة الجماعة به يوم الجمعة صلاة العصر رابع عشرين شوال^(٤) .

٦٩٩ - ذكر الدرس يوم الإثنين مستهل المحرم الشيخ شمس الدين ابن أبي الفتح الحنبلي إمام الحنابلة بمقصورة الحنابلة بمقصورة الخضر بالجامع بحلقة الصالح ابن صاحب حمص ، عوضاً عن محيي الدين محمد بن محمد ابن العربي (حفيد الشيخ ابن عربي) وحضر قاضي القضاة وجماعة^(٥) .

٦٩٩ - التتر يدخلون دمشق ويضعون المجانيق في صحن الجامع ليرموا بها القلعة ، ونزلوا في مشاهده ، يحرسون أخشاب المجانيق وينهبون ما حوله من الأسواق ، واتخذوه حانة يزنون فيه ويلوطون ويشربون الخمر^(٦) .

(١) المقتفي ٤٨٤/٢ ، تاريخ حوادث الزمان ٣٢٩/١ .

(٢) المقتفي ٥٠٨/٢ .

(٣) تاريخ حوادث الزمان ٣٨٨/١ ، المقتفي ٥٤٣/٢ .

(٤) المقتفي ٥٩٢/٢ ، تاريخ حوادث الزمان ٤٤٢/١ ، البداية والنهاية ٤/١٤ .

(٥) المقتفي ٧/٣ .

(٦) البداية والنهاية ٩/١٤ ، السلوك للمقريزي ٨٩٣/٣/١ ، مسجد دمشق ص ١٧ .

٦٩٩ - في ذي الحجة انصرف ناصر الدين ابن عبد السلام عن نظر الجامع^(١).

٦٩٩ - تولى وقفه والنظر عليه صاحب بهاء الدين علي بن محمد.

٦٩٩ - رتب صاحب بهاء الدين علي بن محمد مصحفاً يقرأ فيه بعد صلاة الصبح تحت قبة النسر ، وأجرى على القارئ فيه كل شهر شيئاً معلوماً.

وكان بصحن الجامع حواصل للمنجنقات وحواصل للأمرء وغيرها من خيم وغيرها فأمر بإزالتها فاتسع الجامع وزاد رونقه.

وطلب تنظيم سجلات جديدة لأوقاف الجامع تنسخ من السجلات القديمة^(٢).

٧٠٠ - في أواخر المحرم باشر نظر الجامع الشريف نظام الملك أبو المناقب علي الحسيني نقيب الأشراف^(٣).

القرن الثامن

٧٠١ - ولي إمامة مشهد أبي بكر رضي الله عنه بالجامع استقلالاً برهان الدين الإسكندري ، وكان باشر مدة نيابة عن الشيخ محمد رحمه الله تعالى^(٤).

٧٠٢ - في يوم الخميس العشرين من جمادى الأولى باشر الشيخ زين الدين الفارقي الإمامة بالجامع^(٥).

٧٠٢ - في ليلة السبت عاشر شعبان توفي محيي الدين عثمان ابن الشيخ أحمد بن عثمان ابن إمام الكلاسة إمام مشهد ابن عروة ، ودفن ظهر السبت بسفح قاسيون بتربتهم وحضره جمع كبير^(٦).

(١) المقتفي ١١٣/٣ .

(٢) الجامع الأموي بدمشق ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٣) المقتفي ١٢٠/٣ .

(٤) المقتفي ١٨٩/٣ .

(٥) المصدر السابق ٢١٠/٣ .

(٦) المصدر السابق ٢١٧/٣ .

٧٠٢ - زلزلة عظيمة تشققت منها جدر جامع دمشق^(١).

٧٠٣ - في يوم الأربعاء ثاني عشر صفر ولي الشيخ كمال الدين ابن الشريشي نظر الجامع المعمور بدمشق عوضاً عن جمال الدين ابن شمس الدين بن صدر الدين سليمان الحنفي^(٢).

٧٠٣ - في خامس شهر ربيع الآخر شرع في ترخيم الجانب الشرقي من الجامع الأموي ليشبه الجانب الغربي، وشاور تقي الدين بن مراجل النائب والقاضي على جمع الفصوص وسائر الجامع في الحائط القبلي فرسما له^(٣).

٧٠٣ - في يوم الخميس حادي عشر شعبان لبس خلعة نظر الجامع الشيخ ناصر الدين ابن عبد السلام وجلس بها في الديوان^(٤).

٧٠٤ - في شعبان مشى جماعة في إبطال الوقيد ليلة النصف من شعبان ، وأخذوا خطوط المشايخ والعلماء ، وقام أيضاً في إجراء الأمر على العادة جماعة ، وحصل في ذلك كلام ، ولم يتفق تبطيله ، وصليت الصلاة أيضاً^(٥).

٧٠٦ - قصد أرباب الدولة صيانة الجامع ليلة النصف من شعبان فحضر الحاجب العلائي إليه قبل العصر وأخرج منه الناس ، وغلقت أبوابه ، واستمر الحال على ذلك إلى قريب وقت الفجر ، وإنما دخله طائفة قليلة من جهة باب الساعات ، وبعضهم في باب التربة الأشرفية ، وحصل للناس أذى كثير بذلك ، فإن الناس يقصدون الجامع في هذه الليلة في بعض البلاد ومن القرى ، فمكثوا ليلتهم في الدروب والظلم في شدة وضيق ونكد^(٦).

٧٠٧ - في جمادى الأولى عزل ناصر الدين ابن عبد السلام نفسه عن نظر الجامع وبقي الأمر والكلام إلى المتكلم يومئذ في الأوقاف الملك الكامل ،

(١) مسجد دمشق ص ١٨ نقلاً عن السلوك للمقريزي ١/٣/٩٤٤.

(٢) المقتضي ٣/٢٤٠.

(٣) الجامع الأموي بدمشق ص ١٢٩ ، البداية والنهاية ١٤/١٤٨.

(٤) المصدر السابق ٣/٢٥٧.

(٥) المقتضي ٣/٢٧٨ ، البداية والنهاية ١٤/٣٤.

(٦) المقتضي ٣/٣٣٣.

والديوان خالي من ناظر ، ثم إن الناظر المذكور باشر بعد ذلك^(١) .

٧٠٨ - في جمادى الآخرة أضيف إلى الشريف زين الدين ابن عدنان نظر الجامع المعمور عوضاً عن شمس الدين ابن الخطيري ؛ لتركه له وإعراضه عن المباشرة^(٢) .

٧٠٨ - في يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة باشر نظر ديوان الجامع المعمور القاضي شرف الدين ولد الصاحب جمال الدين ابن صصرى عوضاً عن الشريف زين الدين وجلس في الديوان بتشريف وطرحة سنية^(٣) .

٧١٠ - عاد في شهر ربيع الآخر الصدر شمس الدين عبد الله غبريال إلى نظر الجامع ، وكان قد كثر العلماء فيه وفي غيره ، واستقر أمره في المباشرة^(٤) .

٧١١ - وصل توقيع لجمال الدين ابن الصدر سليمان بإعادته إلى نظر الجامع فباشره في الثالث والعشرين من ذي القعدة ، عوضاً عن تقي الدين ابن السلعوس^(٥) .

٧١٩ - شرع بإصلاح رخام الجامع وترميمه ، وحلي أبوابه وتحسين ما فيه^(٦) .

٧٢١ - توفي الشيخ علي بن سعيد الأنصاري إمام مشهد علي رضي الله عنه من جامع دمشق ودفن بسفح قاسيون^(٧) .

٧٢٢ - كمل بسط داخل الجامع فاتسع على الناس ، وقد كان الناس يرمون وسط الرواق ويخرجون من باب البرادة ، ومن شاء استمر يمشي إلى الباب الآخر بنعليه ، ولم يكن ممنوعاً سوى المقصورة ، لا يمكن أحد الدخول إليها

(١) المصدر السابق ٣/٣٦١ .

(٢) المصدر السابق ٣/٣٩٥ .

(٣) المصدر السابق ٣/٤٠٥ .

(٤) المصدر السابق ٣/٤٦٤ .

(٥) المقتفي ٤/٤٩ .

(٦) مسجد دمشق ص ١٨ ، البداية والنهاية ١٤/٩٢ .

(٧) البداية والنهاية ١٤/١٠١ .

بالمداس بخلاف باقي الرواقات ، فأمر نائب السلطنة بتكميل بسطه بإشارة ناظره ابن المرحل^(١) .

٧٢٨ - وساعدهم على سرعة الإعادة حجارة وجدوها في أساس الصومعة الغربية التي عند الغزالية ، وقد كان في كل زاوية من هذا المعبد صومعة كما في الغربية والشرقية القبليتين منه ، فأيدت الشماليتان قديماً ولم يبقَ منهما سوى أسس هذه المئذنة الغربية الشمالية، فكانت من أكبر العون على إعادة الجامع^(٢) .
وغرم على نقض ذلك وعمله نحو خمسين ألف درهم^(٣) .

٧٢٨ - وفي يوم الجمعة ثالث عشرين رجب فرشوا الجامع وصلّى الناس الجمعة ، وفي صلاة العصر رتبوا الأئمة في الصلاة بالجامع الأموي المعمور ، فصلّى إمام الكلاسة أولاً على عادته ، ومن بعده إمام مشهد علي زين العابدين ابن الحسين سبط رسول الله ﷺ ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومن بعدهما إمام الشافعية خطيب الجامع المعمور ، ومن بعده إمام الحنفية في المحراب الجديد ، ومن بعده إمام المالكية نقلوه إلى محراب الصحابة ، ومن بعده إمام الحنابلة يصلي في المحراب الذي كان المالكية يصلون فيه غربي الجامع بمقصورة الخضر عليه السلام، ووسع المحراب المذكور وعلوه وكبروه ، ومن بعده إمام مشهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ومن بعده إمام مشهد ابن عروة ، ونقلوا كمال الدين ابن الزكي إلى محراب الكلاسة القديم بعد إمام الكلاسة بالجامكية التي كانت له بمحراب الصحابة رضي الله عنهم^(٤) .

٧٢٥ - توفي الشيخ الصالح عبد الله بن موسى الجزري ، كان مقيماً بمشهد أبي بكر من جامع دمشق^(٥) .

٧٢٧ - في العشر الأول من ذي الحجة فرغوا من ترخيم الحائط الشمالي ،

-
- (١) البداية والنهاية ١٤/١٠٢ .
 - (٢) البداية والنهاية ١٤/١٣٣ - ١٣٤ وانظر تاريخ حوادث الزمان ٢/٢٥٨ ، الجامع الأموي بدمشق ص ١٢٧ .
 - (٣) تاريخ حوادث الزمان ٢/٢٥٩ .
 - (٤) تاريخ حوادث الزمان ٢/٢٥٩ ، مسجد دمشق ص ١٩ نقلًا عن البداية والنهاية ١٤/٣٤ .
 - (٥) الجامع الأموي بدمشق ص ١٣٤ .

وكانوا في زمن السلطان الملك الظاهر قد رخموا من جهة الشرق إلى عند باب الكلاسة ، ولم يتموه وبقي إلى الآن ، وكان ناظر الجامع اشترى الرخام وعندهم في الحاصل رخام فشاور نائب السلطنة في تكميله فرسم لهم بذلك ، وقال الجزري: قِسْتُ الذي استجدوه من باب الكلاسة إلى زاوية الغزالي ستين ذراعاً بالقاسمي في ارتفاع ستة أذرع ، وعملوا عليه طراراً بذهب مكتوب فيه آيات من القرآن العظيم ، وصار الكل بسببه في غاية الحسن والجودة ، يكون تقدير ما غرم عليه نحو عشرين ألف درهم .

ولما فرغوا منه دخلوا إلى الجامع وفكوا الرخام الذي في الحائط القبلي من جهة الغرب فوجدوا في وسط الحائط خرجة متعققة ، واختلفوا في نقض الحائط وبنائه أو تركه وشاوروا السلطان عز نصره في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة كما سيأتي^(١) .

٧٢٨ - في أول شهر ربيع الآخر شالوا الرخام من الحائط القبلي من جامع دمشق من الناحية الغربية مما يلي باب الزيادة ، فوجدوا الحائط متجافياً ، فخيف من أمره ، وحضر تنكز بنفسه ومعه القضاة وأرباب الخبرة فاتفق رأيهم على نقضه وإصلاحه ، وكتب نائب السلطنة إلى السلطان يعلمه بذلك ويستأذنه بعمارته ، فجاء المرسوم بالإذن بذلك ، فشرع في نقضه وفي عمارته ، وعمل محراباً فيما بين الزيادة ومقصورة الخطابة يضاهاي محراب الصحابة ، وتبرع كثير من الناس بالعمل فيه من سائر الناس ، فكان يعمل فيه كل يوم أزيد من مئة رجل حتى كملت عمارة الجدار وأعيدت طاقاته وسقوفه بهمة تقي الدين ابن المرجل .

٧٢٨ - اتفق أنّ صبيّاً مقرئاً كان قد جمع سبعة دراهم وهو يتيم ، وراح وتسلف من جده من فرضه تمام عشرة دراهم ، وقال: أنا صليت التراويح عند الحائط لما ختمت القرآن الكريم ، واشترى بالعشرة دراهم مأكولاً وأحضره إلى الصنّاع وأطعمهم إياه ، فلما سمع الناس ما فعل الصبي اليتيم تناخوا وبقي كل واحد يحضر للصنّاع مأكولاً ، فأحضر ابن الشيرجي مشارف ديوان الجامع أطباق ططماج يوماً وجاب لهم الصاحب عز الدين ابن القلانسي رأسين شوي وسطلين جواذبه وخبزاً وبعث لهم الصاحب شمس الدين مثل عز الدين ، وبقي كل رئيس

(١) تاريخ حوادث الزمان ١٩٩/٢ .

وكبير يبعث لهم ، وآخر يوم بعث لهم الخطيب بدر الدين خطيب الجامع رأسين شوي وجواذبه وخبزاً كثيراً^(١).

وحضر الصوفية وجروا في الحبال التي ترفع بها الحجارة إلى بناء الحائط المذكور ، وجماعة كثيرة أيضاً حضروا وفعلوا ذلك وجروا في الحبال ، وناس نقلوا من الآلات والكلس وغيره لأجل التبرك بذلك^(٢).

٧٢٨ - وفي الإثنين الثامن من شهر رمضان شرعوا في ترخيم الحائط القبلي من الجانب الغربي بجامع دمشق ، وكان البدء أولاً في المحراب الذي جدوده في الحائط المذكور^(٣).

٧٢٩ - في العشر الأخير من صفر فرغوا من ترخيم حائط جامع دمشق القبلي الذي عمره وجاء في غاية الحسن للناظرين ، وعمل له درابزين من الحجر الأحمر ، وبسط جميع الجامع يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر ، وصلى الناس تحت الحائط المذكور المرخم وفتحوا باب الزيارة وكان له مدة مغلقة بسبب العمارة والآلات.

وذكر أن ما صرف على نقض السقف وعمارة الحائط خمسة وعشرون ألف درهم ، وأن مدة النقض إلى أن وصلوا إلى الأساس ثمانية عشر يوماً ، ومن ابتداء عمارته إلى نهايته وإعادة السقف أربعة عشر يوماً ، وكانت المدة جميعاً اثنين وأربعين يوماً^(٤).

٧٣٠ - في غرة ربيع الأول نزل إلى جامع دمشق الأمير سيف الدين تنكز وقاضي القضاة علم الدين الشافعي وحضر ناظر الجامع تقي الدين ابن مراجل ، وذكر أن تحت يده حاصلاً للجامع يومئذ سبعين ألف درهم ما لهم بها حاجة ، فاقتضت الآراء العالية السيفية وقاضي القضاة أن ينقض الرخام الذي في الحائط القبلي من جهة الشرق ومحراب الصحابة رضي الله عنهم ، وأن يعمل نسبة الجهة الغربية ومن بعد ذلك تعمل الفصوص الملونة والمدهن في الحائط القبلي ويتم

(١) تاريخ حوادث الزمان ٢/٢٦٠.

(٢) المصدر السابق ٢/٢٦٠.

(٣) المصدر السابق ٢/٢٦٦.

(٤) تاريخ حوادث الزمان ٢/٣١٨.

ما وهى واحترق في الدولة الفاطمية المصرية ، ويكمل ذلك نسبة مقصورة الخطابة وقبة النسرة من داخلها وأركانها ، وشرع في عمل ذلك الرخام الشرقي يوم الثلاثاء رابع ربيع الأول سنة ثلاثين وسبع مئة ، وحمل الرخام إلى مشهد علي زين العابدين رضي الله عنه ، وبقي الصناعات يعملون فيه بقية السنة إلى آخر ذي الحجة منها فكمل الترخيم والتذهيب ، فصار الشرقي الغربي جديداً مليحاً^(١).

٧٣٤ - في ليلة الجمعة الرابع عشر من جمادى الأولى باشر إمامة محراب الحنفية بجامع دمشق الشيخ الإمام شمس الدين نقيب جمال الدين ابن جملة الشافعي ، عوضاً عن الشيخ عماد الدين الرومي الحنفي^(٢).

٧٣٤ - في سحر يوم السبت سادس عشر شهر رمضان توفي الشيخ علي بن محمد الموصلي المعروف بالبالي ، كان رجلاً مباركاً ينوب في الإمامة بمشهد عثمان يعني مشهد المؤذنين بجامع دمشق ، ثم إنه استقل فيها^(٣).

٧٣٦ - في جمادى الأولى أخرجت مساطب سوق النحاسين فوجدوا حائط دار الخطابة متعتقاً فأخرب ، ووجدوا فيه حجارة كباراً ، وظهر باب كبير مليح له أسكفة وجوانب ، والجميع مخرب خلف محراب المقصورة ، ونقلت الحجارة الكبار إلى باب الفرج فاستعين بها في البناء^(٤).

٧٣٦ - في يوم الجمعة رابع ذي القعدة خُلع على الشيخ عز الدين ابن المنجي ناظر الجامع المعمور بسبب تكميل البطائن بالحائط الشمالي بالجامع في أيام مباشرته خلعة بطيلسان كاملة^(٥).

٧٤٠ - وفيها كان الحريق الكبير في دمشق بالدهشة ، ثم بقيسارية القسي ، وذهب لأهلها أموال كثيرة ، واحترقت المئذنة الشرقية ، وذلك من فعل النصارى ، وأقرت به طائفة فصلب بسبب ذلك أحد عشر نفرًا ثم وسطوا بعد أن

(١) المصدر السابق ص ٣٨٣ ، ومسجد دمشق ص ١٩ .

(٢) تاريخ حوادث الزمان ٦٦٩/٣ .

(٣) الجامع الأموي بدمشق ص ٢٣٤ .

(٤) الجامع الأموي بدمشق ص ١١٣ .

(٥) تاريخ حوادث الزمان ٨٧٥/٣ .

أخذ منهم ما يقرب من ألف ألف درهم ، وأسلم ناس كثير^(١) .

٧٤٠ - في ليلة السادس والعشرين من شوال وقع بدمشق حريق كبير شمل اللبادين والقبلية وما تحتها وما فوقها إلى حد سوق الوراقين وسوق الدهشة ، وحاصل الجامع وما حوله والمئذنة الشرقية ، وعدم للناس فيه من الأموال والمتاع ما لا يحصى كثرةً ، ونسب فعل ذلك إلى النصارى ، فأمسك كبارهم وسُمروا حتى ماتوا^(٢) .

٧٤١ - في عهد الطنبغا كملت عمارة منارة الجامع الأموي الشرقية في العشر الأخير من العشر الأخير من رمضان سنة ٧٤١هـ ، وصارت بهيئة رائعة (ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٢٦) .

٧٥٣ - في ليلة الإثنين سادس عشر صفر سنة ٧٥٣هـ وقع حريق عظيم شمالي الجامع الأموي (محلة النوفرة المعروفة قديماً بجيرون) واتصل الحريق بباب الجامع الأموي ، فبادر ديوان الجامع إليه وكشطوا ما عليه من النحاس الأصفر ، ونقلوه من يومه إلى خزانة الحاصل بمشهد علي (مشهد الحسين اليوم) ثم عدوا عليه يكسرون خشبه بالفؤوس الحداد ، وإذا هو من خشب الصنوبر ، وهو في غاية ما يكون من القوة ، وتأسف الناسُ عليه لكونه من محاسن دمشق ومعالمها^(٣) .

٧٥٩ - مات الإمام محمد بن إبراهيم الكردي الشافعي إمام مشهد علي في تاسع ذي القعدة^(٤) .

٧٧٤ - قال ابن طولون عند ذكره لحارة الكشك: وكان فيها آثار جامع بأعمدة ومئذنة نقلوا الجميع إلى عمارة الجامع الأموي بعد حريقه سنة ٧٧٤هـ^(٥) .

٧٧٧ - توفي علي بن إبراهيم الأوسي المعروف بابن الشاطر رئيس المؤذنين بالجامع الأموي بدمشق ، وهو الذي أبدع في صنع الإسطراب رتبه على أوضاع

(١) المصدر السابق ص ١٣٥ .

(٢) الجامع الأموي بدمشق ص ١٣٥ .

(٣) ولاية دمشق في عهد المماليك .

(٤) المصدر السابق ص ١٣٢ .

(٥) حارات دمشق القديمة (الخزانة الشرقية ٢/٢٢) .

مخصصة تعلم منه الساعات المستوية والساعات الزمانية ، وإليه ينسب عمل المنحرفين في قبلة مئذنة العروس بالجامع الأموي^(١) .
٧٩٤ - وقع حريق بالجامع^(٢) .

التاسع

٨١٤ - قال ابن قاضي شهبة: في شهر رمضان في يوم الجمعة ثانية رأيت المؤذنين يسلمون ويؤذنون بالمنارة الغربية ، وأظنه أول يوم أُذِّنَ فيها بعد عمارتها من فتنة تمرلنك^(٣) .

٨١٥ - وقال ابن قاضي شهبة أيضاً: وفي شعبان سنة ٨١٥ هـ في هذه الأيام انتقل الإمام الأول إلى مشهد النائب ، فإنه كان يصلي في صحن الجامع عند الباب الذي مقابل المحراب ، ويصلي بعد الثاني هناك ، فلما جاء المطر انتقل الأول إلى مشهد النائب ، والثاني إلى الجهة الشرقية عند مشهد عروة^(٤) .

٨١٥ - في شهر رمضان فرغ من تبيض شاذروان الفوارة وجرى فيه الماء ، وذلك بأمر أمير مصر^(٥) .

٨١٥ - في تاسع شوال ركب السلطان من دار السعادة في عصر اليوم المذكور ومعه جماعة يسيرة ، فنزل إلى الجامع الأموي فوجد الإمام الأول يصلي ، فجاء إلى المقصورة ، وأمر بإقامة الصلاة فأقيمت وصلى مع الأول ثم خرج ، ورسم بترخيم الحائط الشرقي والغربي داخل الجامع ، ولم يكن مرخماً سوى القبلي والباقي مبيض ، وقيل: إنه رسم بعمارة المئذنة الغربية أيضاً ، ووصوا على المتصدرين لا غير مع أخذ مالهم من المدارس من الجوامك والشعير من الضياع ، ثم ما أخذ من الأوقاف ، ثم جباية المسقف خمسة أشهر ، فحصل للناس مشقة بذلك ، لا سيما من هو منقطع إلى الاشتغال بالعلم ، وقد كانت في

(١) المصدر السابق ص ١١٧ .

(٢) علم الساعات لدهمان ص ٣٣ .

(٣) الجامع الأموي بدمشق ص ١٣٧ .

(٤) المصدر السابق ص ١٣٧ .

(٥) المصدر السابق ص ١٣٧ .

العشر الأخير من رمضان، ووصوا على الجهات من عند الناظر أي ناظر الجيش، فاجتمع الجماعة به فقال: كيف يجوز الأخذ من الجامع مع خرابه؟ فقبل له: فرع المتصدرين ليس هو موقوفاً على عمارة الجامع، وقال: أنتم ما حضرتم في شعبان وشهر رمضان، فقبل له: نحن في بيوتنا نشغل الناس ونفتي. فقال: الإفتاء للعوام هذا ما يكفي، وقال لبعض الجماعة: أنت شيخ على حافة قبرك، أريد أن تنقل الذي في صدرك إلى صدر هذا، وأشار إلى شخص طالب علم، ثم اتفق الحال على أن أخذ له من المتصدرين من كل واحد نحو ثلثي شهر وأعطى ذلك فسكت وبطلت قضية العمارة، ولم يرخم سوى يسير من حائط المشهد المعروف بمشهد عروة بالقرب من بابه^(١).

٨١٥ - في ذي القعدة عمل الدرايزين لمئذنة العروس^(٢).

٨١٦ - في صفر فرغ من بناء المئذنة الغربية، وقد احترق رأسها في فتنة تمرلنك، واستمر إلى أن كان الفراغ منها في هذا الوقت^(٣).

٨١٦ - في شوال انتقل الإمام الأول فصلى في مشهد عروة، وكان يصلي خارجه، فانفق الناس بتقدمه وصلوا داخل الجامع، ولكن من في غربي الجامع ربما لم يبلغه التكبير^(٤).

٨١٨ - في شعبان انتقل الإمام من مشهد عروة إلى محراب الحنابلة، وكان قبل فتنة تمرلنك يصلي الإمام الأول في المشهد المسمى بالسجن داخل مشهد علي، وأما الإمام الثاني وهو الإمام في مشهد علي^(٥).

٨١٩ - في شعبان انتقل الإمام من محراب الحنابلة إلى محراب المالكية^(٦).

٨١٩ - في عاشر شعبان مشى الناس في صحن الجامع بالأمته بمرسوم

(١) المصدر السابق ص ١٣٨.

(٢) المصدر السابق ص ١٣٩.

(٣) المصدر السابق ص ١٣٩.

(٤) المصدر السابق ص ١٣٩.

(٥) المصدر السابق ص ١٤٠.

(٦) المصدر السابق ص ١٤٠.

قاضي القضاة ابن زيد ، وكان الناسُ يمشون به حفاة من سابع عشر ربيع الأول من السنة .

٨١٩ - في ٢٣ شوال انتقل الإمام الأول من محراب المالكية إلى محراب الحنفية ، واتسع الناسُ وسهل عليهم متابعة الإمام لقربه^(١) .

٨١٩ - في يوم الخميس آخر سنة ٨١٩ هـ هدمت الدكاكين بباب الجامع الشرقي لأجل فتح البابين الصغيرين ، وكانا قد سُدَّا في فتنة تمرلنك ، وعملا تبييضاً في الجامع ، فلما كان في الوقت سعى الشيخ محمد بن قديدار في فتحهما ، فهدم الصف الذي في حائط الجامع حتى أزيد ما يقابل البابين ، ثم أعيدت بقية الدكاكين ، مع أن البناء في هذا المكان في أصله لا يجوز ؛ لأن هذا الموضع رحبة الجامع^(٢) .

٨٢٠ - ركب باب الجامع الصغير الشرقي في جهة الشمال ، ثم ركب الباب الآخر بعد ذلك ، وأما البابين الصغيرين الغربيين فركبا في العام الماضي^(٣) .

٨٣٠ - في شعبان كشفوا على رأس الجسور بالجامع الأموي فوجدوا بضعة عشر جسراً قد تآكلت فشرعوا في عملها طول الشهر ، وجاء رمضان والأمر على حاله ، وكان يعزل أيام الجمع للصلاة وبقية الأيام يصلى في المشهد والرواقات^(٤) .

٨٣٣ - في يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة صلى الإمام الأول بمشهد السجن داخل مشهده والثاني بمشهد علي ، وكان الإمام الأول يصلي بمحراب الحنفية من سنين ، وحصل بذلك رفق واتسع الموضع بالمصلين ، وكان الإمام الثاني يصلي عند قبر رأس يحيى بن زكريا ، فلما كان في هذه الأيام رسم السلطان للجامع الأموي بألف دينار من مال السكر ، فأخذت وصرفت في ترميم الجامع الأموي ، بحيث لم يظهر لما صرف المال فيه كبير أمر ، وكان في المشهدين الشرقيين بعض عمارة ، فلما فرغ من عمارتها أمر بالصلاة بها ليظهر

(١) الجامع الأموي بدمشق ص ١٤١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤١ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤١ .

(٤) المصدر السابق ص ١٤٤ .

للناس أن ذلك عمّر من مال السلطان ، وكان المشهدان المذكوران معطلين من فتنة تمرلنك إلى الآن^(١).

٨٨٤ - يوم الإثنين رابع عشرين ذي الحجة جاء محمد الدقي إلى القاضي صلاح الدين العدوي ، ومعه مطالعة الشيخ شهاب الدين ابن المحوجب بسبب عمارة الجامع الأموي ، وشرع في عمارته بمباشرة الأمير يشبك الحمزاوي والبداءة بمشهد الزيلع^(٢).

٨٨٥ - محرم العمل كثير في الجامع الأموي والمعلمون من المسلمين: عبد الوهاب الحلبي وابن العجلونية ومحمد ابن المؤذن والأعسر والدفية ابن التازي وأخوه عبد الوهاب^(٣).

٨٨٥ - صفر جاء لنقيب القلعة مرسوم بأن يكون مشاركاً للقاضي صلاح الدين العدوي في عمارة الجامع الأموي^(٤).

٨٨٥ - في يوم الإثنين ثالث عشر جمادى الأولى اجتمع خلقٌ كثير بسبب الخمارات وغيرها بالمشهد من الجامع الأموي^(٥).

في يوم الجمعة بعد صلاتها ثاني عشرين المحرم خطب بالجامع الأموي الشيخ سراج الدين ابن الصيرفي في أعلى منبر المقصورة الجديد بعد فراغ الجامع المذكور من عمارته بعد حريقه النار^(٦).

٨٨٦ - في يوم الجمعة تاسع عشرين المحرم تمت عمارة الجامع الأموي من كل وجه وخطب الشيخ سراج الدين ابن الصيرفي. قال الشيخ شهاب الدين ابن طوق: وهي أول خطبة خطب على منبره في مكانه المعتاد بعد العمارة.

٨٨٦ - في يوم الخميس حادي عشر ربيع الأول وضع في محراب الجامع الأموي عامودان من رخام أبيض منتهرين أخذاً من مدرسة البهائية بطرف الصالحية

(١) الجامع الأموي ص ١٤٥.

(٢) مفاكهة الخلان ٥/١.

(٣) المصدر السابق ص ٦.

(٤) المصدر السابق ص ١٤.

(٥) المصدر السابق ص ٢١.

(٦) المصدر السابق ص ٣٣.

من جهة الغرب ، وهي تحت نظر ابن عربشاه بواسطة أيديكي نقيب القلعة ، فأنكر الشيخ عز الدين ابن الحمراء الحنفي عليهم ولم يُسمع له فلا حول ولا قوة إلا بالله^(١) .

٨٨٦ - وفي جمادى الأولى كملت عمارة الجامع الأموي ومنع النساء كما فعله نائب الشام الأسبق بردبك ، وفي ذلك إشارة إلى وضع قيود على دخول النساء إلى الجامع كما فعل نائب الشام سابقاً بردبك وكان تولّى دمشق سنة ٨٧١ وسنة ٨٧٣ هـ^(٢) .

٨٨٦ - في يوم الإثنين رابع شوال أذن العصر بالجامع الأموي مرتين وصليت العصر مرتين وكان يوم غيّم^(٣) .

٨٨٧ - في يوم الثلاثاء رابع عشرين ربيع الآخر ورد مرسوم السلطان بعمارة المنارة الغربية المحترقة بالجامع الأموي وترصيص بقية الجملونات إن وجد رصاص ، كل ذلك من مال السلطان^(٤) .

٨٨٧ - في يوم الجمعة مستهل رجب فرغت عمارة الصاغة الجديدة وقف الجامع الأموي التي كانت حرقت قبل تاريخه مع حريق الجامع وعمّرت من مال الجامع^(٥) .

٨٨٨ - في رابع عشرين صفر توفي سيدي محمد دوادار ملك الأمراء قانصوه اليحياوي ، وهو الذي عمر الخزائن للمؤذنين بالجوامع وخصوصاً الجامع الأموي ، وكانت وفاته بمصر^(٦) .

٨٩٩ - قال الشهاب الحمصي: في يوم الخميس خامس عشر جمادى الأولى منعُ زين الدين الصفوري المحدث من القراءة بالجامع الأموي ومن غيره ، وأمرت بشيل كرسيه من الجامع الأموي ، وسببه أنه جمع كتاباً سماه «نزهة

(١) المصدر السابق ص ٣٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٥١ .

(٤) المصدر السابق ص ٥٤ .

(٥) المصدر السابق ص ٥٦ .

(٦) المصدر السابق ص ٦٠ .

المجالس» وذكر فيه أحاديث موضوعة على النبي ﷺ ، ثم أحضر الكتاب المذكور وذكر أنه تاب عن الأحاديث الموضوعة فيه ، وأنه لا يعودُ لذلك ، واللهُ يعلمُ المفسد من المصلح^(١) .

القرن العاشر

٩٠٠ - في يوم الجمعة ثالث شوال خطب الشيخ سراج الدين ابن الصيرفي على منبر الأموي ، فلم يكمل الخطبة حتى حصل له قولنج منعه من النزول عن المنبر ، فأشارَ إلى بعض الناس أن يصلي بالناس فصلئ بهم ، وسراج الدين مستمر على المنبر لم يصل ، ثم بعد الصلاة أنزل مغمى عليه إلى قدام بيت الخطابة ، ثم تحامل إلى بيته^(٢) .

٩٠٤ - وفي يوم الأربعاء خامس عشرين محرم - وهو عيد الزبيب - جمع النائب بالاصطبل جميع من له وظيفة بالجامع الأموي ، وآخر ما انتهى الأمر إليه أن لا يستناب أحداً في وظيفته ، وأن يياشرها بنفسه ، وأن يسوّى بين المؤذنين والمباشرين في المعلوم^(٣) .

٩١١ - في رمضان أمر النائب بعمل درابزين خشب طوال في يمئة الداخل من باب الزيارة أحد أبواب الجامع الأموي من لصيقه إلى آخر المجاز الموصل إلى الصحن ، ونقر في العواميد ، وجعل في الدرابزين ثلاثة أبواب يدخل منها ، ولم يكن بها أحد ممن يرجع إليه في الدين ، ولم يكن الجامع محتاجاً إليه ، بل تضيق الناس به ، وليس له أبهة في القلوب وذلك من مال وقف الجامع^(٤) .

٩١٢ - في يوم الأحد حادي عشر شوال أمر النائب بفتح قبة عائشة غربي صحن الجامع ففتحت ، وصعد إليها بنفسه ، ونائبه في النظر على الجامع المذكور ، ولم يوجد فيها سوى مصاحف عتيقة^(٥) .

(١) المصدر السابق ص ١٥٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٩٦ .

(٥) المصدر السابق ص ٣١١ .

٩١٣ - وفي يوم الخميس سابع عشرين رجب فرض القاضي الشافعي نيابة إمامة الجامع الأموي ، بعد عزل القاضي شهاب الدين أحمد الرملي السبعي الشافعي للغريب شهاب الدين أحمد الرملي السبعي الشافعي المعروف بابن الملاح ، وقد وافق المعزول في لقبه واسمه وبلده وفضيلته ومذهبه ، وهنا نكتة: وهي أن الشيخ غرس الدين اللدي الذي أخذ عنه المعزول لما توفي كانَّ سنه قريباً من سن هذين^(١) .

٩١٥ - في ذي الحجة قطع الماء من الجامع لأجل انسداد مصارفه ، ورمي على ذي الحجة مال كثير^(٢) .

٩١٧ - في يوم الأحد تاسع عشرين محرم قوي الهواء قوة كثيرة فكسر أشجاراً كثيرة ، وعند غروب الشمس زادَّ قوة حتى سقط الصحن النحاس الكبير الذي فوق النحاس المشبك ، الذي برأس العمود الغربي بصحن الجامع الأموي الذي وضعه والشرقي معه قاضي دمشق محمد لأجل التنوير ليالي الجُمع في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وأربع مئة^(٣) .

٩١٧ - في يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة حُمِلَ صنجق المحمل إلى الجامع الأموي على العادة ، ووضع في مكانه على العادة ، وفرح الناسُ بذلك ثم بطل ذلك في نصف شعبان من السنة^(٤) .

٩١٨ - في يوم الجمعة خامس عشر جمادى الآخرة نصب الصنجق بالجامع الأموي على العادة إعلماً بالتهيؤ لأمر الحج في هذه السنة لاجتماع شروط السفر ، من ضبط مشايخ العرب بني لام والأمراء وابن ساعد ، ولكن قد تعلق الغلاء في غالب البلاد^(٥) .

٩٢٢ - في يوم السبت سابع عشرين جمادى الأولى ركب ممالك النائب عليه ، وتحصنوا بالجامع الأموي ، وغلقوا أبوابه ومنعوا الناسَ من الصلاة فيه ،

(١) المصدر السابق ص ٣١٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٣٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٥٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٥٨ .

(٥) المصدر السابق ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

وغلقت أسواق دمشق خوفاً من نهبها ، وخطفت بعض العمائم بسبب اختلافهم مع أستاذهم (سيدهم) على مقدار صرف الجامكية (الرواتب)^(١).

٩٢٢ - في يوم الجمعة تاسع عشرين شعبان خطب على منبر الأموي وليّ الدين الفرفور باسم ملك الروم وكذا في سائر الجوامع^(٢).

٩٢٢ - في سابع رمضان يوم الجمعة أتى الخنكار (السلطان سليم) من المصطبة إلى الجامع الأموي ، ودخل من الباب الشمالي المسمى بالناطفانيين ثم من باب جب الهریشة إلى تحت النسر إلى المقصورة بعد صلاة الجمعة بها وأبوابها مغلقة ، وكان الخطيب القاضي الشافعي ولي الدين ابن الفرفور أجاد في خطبته ، واستطرد في الخطبة الأولى إلى ذكر السبعة الذين يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم الإمام العادل ، وطبق ذلك على ملك الروم الحاضر مسجعاً ، وذكر في الثانية نسبة باختصار عند الدعاء له ، ولقّبهُ بالملك المظفر وصرح بأنه سلطان الحرمين الشريفين^(٣) . . . ، ولما فرغت الصلاة انصرف الخنكار (السلطان) وانكبت الخلق للفرج ، وخرج من المكان الذي دخل منه وأرسل للخطيب ومثلها للمؤذنين ومثلها لأئمة الجامع المذكور ، وألفاً لبواب المقصورة . . . ثم ذهب إلى المصطبة .

٩٢٢ - في ليلة الإثنين سابع عشر رمضان جاء الخنكار (السلطان سليم) نحو نصف الليل إلى الجامع الأموي ليتأمله ، فدخل إليه من باب البريد في أناس قليلة ، وصلى بالمقصورة وقرأ في المصحف العثماني وزار قبر رأس سيدنا يحيى ابن زكريا عليهما السلام ثم قبر هود عليه السلام ثم صعد المنارة الشرقية ، ثم جاء إلى الكلاسة فزار بها شخصاً صوفياً يقال له : الشيخ محمد البلخشي الصوفي الحنفي ، وعرض عليه السلطان دراهم فأبى أخذها ويقال : إنه وصاه بالرعية ، وفرق على فقراء الجامع في هذه الليلة مالاً كثيراً حتى وصلت عطيته إلى نحو

(١) مفاكهة الخلان ١/ص ٢٠ و سنحيل عليه فيما يلي بالصفحات .

(٢) ص ٢٩ .

(٣) ص ٣٢ .

العشرين أشرفياً ، واجتمع عليه الناس لما خرج من باب البريد فرمى لهم الدراهم بالجفنة فاشتغلوا بها وانصرف عنهم^(١) .

٩٢٢ - في يوم العيد وهو يوم الإثنين مستهل شوال منها صلى الخنكار (السلطان سليم) العيد بالجامع الأموي ، وخطب الولوي (ولي الدين) ابن الفرفور القاضي الشافعي ، ولكنه صلاها على قاعدة مذهب أبي حنيفة ، بعد أن تاخر الخنكار في مجيئه إلى أن ارتفع النهار كثيراً ، واحتفل في هذا العيد احتفالاً عظيماً حتى أحضر حلل الحلوانية وغيرهم للطعامات وأطعم بعض الفقراء وغالب عسكره^(٢) .

٩٢٢ - وفي يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجة صلى الخنكار (السلطان سليم) الجمعة بالجامع الأموي ، ولم يؤذن قدام الخطيب سوى مؤذن^(٣) .

٩٢٣ - في يوم الثلاثاء تاسع رجب قدم من مصر إلى دمشق الشيخ تقي الدين باكير الحلبي ثم الرومي ، وقد تولّى نظر الجامع الأموي ، ونزل عند القاضي رضي الدين الغزي من مدة ، وأرسل إلى شمس الدين ابن الشيخ حسن الصالحي ان يكون نائباً عنه إلى أن يحضر^(٤) .

٩٢٣ - في ليلة الخميس سلخ شعبان وقع اختلاف في أن غداً رمضان ، فلم يشهد أحد فأطفئت قناديل مئذنة العروس بالجامع الأموي بعد إيقادها ، ثم ثبت على بعض القضاة فأعيدت وأصبح الناس صياماً^(٥) .

٩٢٣ - في يوم الجمعة ثالث عشرين رمضان صلى الخنكار (السلطان سليم) بالجامع الأموي الجمعة وكان الخطيب الولوي (ولي الدين) ابن الفرفور ، ثم صلى على الشيخ الإمام العلامة عبد النبي المغربي الدمشقي المالكي وكان توفي ليلة الجمعة عند المغرب ، ولم يصل الخنكار على أحد من الدمشقيين سواه ، وكانت له جنازة حافلة حملت على الأيدي وحضرها القضاة . . . ودفن بمقبرة

(١) ص ٣٦ .

(٢) ص ٣٧ .

(٣) ص ٤٠ .

(٤) ص ٦٤ .

(٥) ص ٦٦ .

الباب الصغير عند الشيخ البرهان ابن عون^(١).

٩٢٣ - في يوم الجمعة سلخ رمضان طالعت الأروام (الأتراك) من القلعة سنجقاً أحمر ليس عليه طراز ، وفي رأسه هلال شبه سنوبرة ، من فضة مطلية بذهب إلى الجامع الأموي ونصبوه في الباب الأوسط من الأبواب الثلاثة التي تحت قبة النسرة على العادة في وضعه ، وغير سنجق الجراكسة (المماليك) وهو كان من حرير أصفر أطلس بطرز مزركش بشراريب ، وهلاله من ذهب شبه نعل المصطفى ﷺ ، وكان أكثر بهجة ، وخرجت معه النقارات والمشعلين والملبسين على عادة الجراكسة (المماليك)^(٢).

٩٢٣ - في يوم الخميس العشرين من شوال توفي حليم شلبي خصيص السلطان ويقال: إمامه وشيخه ، الذي كان السبب في عمارة الخنكار (السلطان) الجامع عند المحيوي بن العربي ، وطلعت الأروام (الأتراك) على مآذن الجامع الأموي ، وأعلموا بموته على عادتهم ، وصلى عليه وعلى مقرئ ممالك الخنكار بالجامع الأموي الولوي (ولي الدين) ابن الفرفور وخلق خلفه من الأعيان وغيرهم ، ثم حضر الملك المظفر سليم خان بن عثمان بالجامع المذكور فأعاد الصلاة عليهما ثانياً الولوي المذكور إماماً ، وصلى الملك المذكور عليهما خلفه ، ثم حملا إلى الصالحية ومشى معهم إليها قاضي العسكر ركن الدين ابن زيرك ، وخلق لم تشهد مثلهم وحملوا حليم شلبي في سحلية على أيدي العسكر وشاشاه عليها ، ودفن إلى جانب الشيخ محمد البلخشي من القبلة بترية المحيوي المذكور ، وأما الجنائز الأخرى فدفنت بالبعد منه إلى جهة الشمال ، وفرق ثمة دراهم وكذا بالجامع الأموي^(٣).

٩٢٢ - في ليلة السبت العشرين من ذي الحجة توفي القاضي شهاب الدين الرملي المعزول قريباً عن نيابة القضاء ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، ولم يدخل محراب الجامع الأموي أحسن قراءة منه وحزن الناس عليه^(٤).

(١) ص ٦٨ .

(٢) ص ٦٩ .

(٣) ص ٧٢ .

(٤) ص ٧٧ .

٩٢٢ - في يوم الأربعاء سادس ذي القعدة كان نائب الشام مشغولاً بأمر الجامع الأموي ، فأبطل من مؤذنيه نحو الثلاثين ، ووصى أن لا يعطى غير المباشرين شيئاً ومنع العلاء بن طالو من أخذ معلوم نيابة النظر^(١) .

٩٢٣ - في يوم الجمعة سادس ذي القعدة حضر الملك المظفر سليم خان ابن عثمان في المقصورة بالجامع الأموي وأغلقت عليه وعلى أعيان معه ، ثم خطب الولوي (ولي الدين) ابن الغرفور ، ثم صلى صلاة الحنفية على طريقة الحنفية من سرعة الانحطاط من القومة من الركوع ، والقومة من السجود الأول ، فلما فرغ منها قام للتففل على قاعدتهم ، فتيقن جمع من الشافعية ومنهم الشيخ الحيوي النعيمي انتقاله لمذهبهم ولا قوة إلا بالله^(٢) .

٩٢٤ - في يوم الثلاثاء تاسع رمضان - كان عيد الزبيب - وفي يوم الأربعاء عاشره ورد مرسوم شريف خنكاري (سلطاني) لنائب الشام جاي بردي الغزالي ، فيه إشارة إلى توليته على الجامع الأموي ، على جاري العادة في أيام الجراكسة (المماليك) من أن يكون ناظره نائب الشام ، كائناً من كان ، وعزل ناظره التقي باكير الرومي^(٣) .

٩٢٦ - في يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول ركبت درابزين في طول قامة بباب على الغزالية بقرنة الجامع الأموي الغربية الشمالية ، وفكت درابزينها التي أحدثت قريباً في طول ذراع^(٤) .

٩٢٦ - في يوم السبت تاسع جمادى الآخرة قبض النائب على مباشري الجامع الأموي شمس الدين ابن الزحلي ، وجلال الدين ابن العالم بشكاية قاضي البلد عليهما بسبب أنه أراد أن يأخذ من مال الجامع ما كان يأخذه من قاضي البلد المنفصل الولوي [ولي الدين] ابن الغرفور زيادة عما بيده قبل ذلك ، فتوقفا في ذلك ومانعاه^(٥) .

(١) ص ٨٨ .

(٢) ص ٧٣ .

(٣) ص ٨٥ .

(٤) ص ١٠٣ .

(٥) ص ١٠٨ .

٩٢٦ - في يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة قال ابن طولون: في هذا اليوم رأيت الشباك الكمالي بمشهد النائب والإيوان الغربي والشرقي قد أصلح رخامهما وذهب طرزهما ، ودُهبَ المحراب بالشباك ، فعل ذلك ناظر الجامع ، وهذا الشباك والإيوانان به نيابة عن النائب ، ثم دُهبَ طرز الإيوان الشمالي^(١) .

٩٢٦ - في يوم الخميس رابع شعبان نودي للحجاج بالتوجه على الدرب الشامي ، وكان سنجقه قد طلع من أول الثلاثة شهور في كل جمعة ونصب بجامع بني أمية في الباب الأوسط تحت قبة النسر على العادة ، وأميره في العام الماضي جان بلاط نائب غزة ، وفي هذا اليوم وصل إلى دمشق ونزل بالمرجة^(٢) .

٩٢٦ - في ليلة الإثنين خامس عشر ليلة النصف من شعبان أوقدت قناديل العمارة الخنكارية (السلطانية أي عمارة جامع الشيخ محيي الدين بن عربي) والجامع الأموي جميعها كما جرت به العادة في الدولة الرومية (التركية) ولكن لم توقد مآذنها إلا في هذه الليلة^(٣) .

٩٢٦ - في يوم الخميس ثالث رمضان وصل إلى جامع بني أمية أحمال حصر مصرية عدة اثنين وعشرين حملاً أهداها له الأمير جانم الحمزاوي دوادار نائب مصر خير بك ، وقيل: إن النائب كلمه فيها لما توجه إلى الروم ، وقيل: إن مغرمها سبع مئة دينار ، وتكلف عليها ثلاث مئة دينار حمولة .

وفي يوم الجمعة رابعه فرشت هذه الحصر بالجامع وأزيلت العتق البردية ، وكانت قد امتلأت بقاً ، وفرقت على الجوامع والمساجد ، وكفّت هذه الحصر الجدد لجميع الجامع حرمه ولواوينه وكثر الدعاء للأمير جانم .

وقد قربت تكملة زخرفة الجامع من تميم الطرز بدواوينه والإعادة على الطرز داخله ، وقد كانت أرضيته بنفسجية فعملت أسود ، وتتبع جميع الرخام داخلاً وخارجاً فأصلح ما تخرب منه ، ودُهبَ ودهن ما يحتاج إلى ذلك حتى الدركاتين بباب البريد وباب جيرون والعضائد الأربع تحت قبة النسر ، وجلت أبواب

(١) ص ١١٠ .

(٢) ص ١١٤ .

(٣) ص ١١٥ .

الجامع قشطاً، فصارت كالذهب، وكذلك رأس الشعلتين وسط الصحن، ودهنت جميع العواميد داخله واحد أخضر وواحد أحمر عميق، وكانت بيضاء من صخر، وكتب رأسها بياض على سواد، وكانت مكتوبة بذهب على لازورد من أيام قاضي القضاة ابن حجي، ولما فعل ذلك أنكر ذلك عليه واستفتي عليه كما ذكر أخوه المؤرخ شهاب الدين ابن حجي في تاريخه. وجلوا تحت الكباش على رؤوس هذه العواميد بالقصدير، وكانت بياضاً على أصل خلقتها، وكذلك فعل بعواميد الدركاتين، وليتهم لم يدهنوا أبدانها فإنها زدوريات، فاندمجوا بالدهان، وأما عواميد الصحن كله فلم يتعرضوا لها، وكذلك دهنوا درابزين مئذنة العروس التحتاني والفقواني وكلس رأسها. وكذلك دهنوا النقيصة تحتها، وكذلك تبعوا رخام مشهد علي رضي الله عنه المشهور الآن بمشهد النائب وطرزه، وجددوا ما يذهب به، وكذلك الشباك الكمالي به، وطلبت أعمدته بالفضة، وقيل: إنه غرم على هذه الزخرفة ثمانين ألفاً من مال الجامع بإشارة النائب.

قال ابن طولون: وفي هذا اليوم بلغني أن النائب عزل مباشري الجامع هذا، ولم يترك سوى نائبه السيد، وولد شيخنا البرهان ابن الكيال الكبير^(١).

٩٢٦ - في ليلة الخميس عاشر رمضان أمر النائب لإمام الحنفية بالجامع الأموي أمين الدين ابن عون بأن يتروح بالمقصورة ليلة، والشيخ تقي الدين القاري الشافعي ليلة، وفعل ذلك وتركت التراويح بمحراب الحنفية، ولم يسهل ذلك على متعصبي الشافعية، والسبب في ذلك أنه كان يحصل لبعض المأمومين اشتباه في صلاته في التكبير خلف الإمامين، حتى إن بعضهم صلى الترويقة خمس ركعات، فذكر ذلك للنائب فأشار بما ذكرنا^(٢).

القرن الثاني عشر

١١١١ - في محرم بعد الظهر ورد الباشا للجامع، والقضاة والعلماء والقبيجي لأجل وضع الشمعات التي أوقفها السلطان مصطفى على ضريح النبي يحيى عليه السلام، وهم قنطار راجح، وعين خادماً بعلوفة (براتب) وعمل لهما شبكات،

(١) ص ١١٦، ١١٧.

(٢) ص ١١٨.

وضعوا واحدة عند رأسه ، والأخرى في المعزبة الأخرى عند رجله ، ودعا المفتي الحنبلي الشيخ أبو المواهب بحضور الباشا والقبجي والناس ودعوا للسلطان حفظه الله .

وفي تاسع عشر الشهر تمت السفريات النحاس وجاءت في غاية الجودة والحسن والنضارة ، وحُليت بالذهب واللازورد ، وكتبت فيها أبيات عربية تركية^(١) .

١١١٧ - في يوم الجمعة ثامن ربيع الثاني صلى سليمان باشا الجمعة بالأموي، ثم صعد هو وقاضي الشام للكشف على المئذنة الشرقية لخراب رأسها من أيام الزلزلة الكائنة في سنة سبع عشرة ومئة وألف^(٢) .

١١١٧ - في رمضان حصل زلزال بدمشق فانشق بسببه أعلى المنارة الشرقية في جامع بني أمية وسقط حجران من أعلى المنارة الغربية ، ولم يحصل من ذلك ضرر^(٣) .

١١٢٠ - في يوم الإثنين عاشر المحرم كملت المئذنة الشرقية وكان وقع رأسها من سنة سبع عشرة ومئة وألف سنة الزلزلة^(٤) .

١١٢٥ - في رجب ورد الباشا بالمصحف العثماني من بصير من قرى حوران ، كان في مسجد خراب مكتوب بالكوفي ، وهو أحد المصاحف التي أرسلها الإمام عثمان رضي الله عنه إلى الأطراف فإنه أرسل للكوفة وإلى دمشق ومصر ونحو ذلك ، ووضع في المقصورة بالجامع ، وقيل: إن المصحف العثماني الذي في دمشق مصحف الكوفة ، ومصحف دمشق مفقود لعله من زمن الحريق ، والنار من جند الله ، ونعم ما صنع ناصيف كافل دمشق^(٥) .

١١٣٠ - في رجب كمل جلاء رخام الجامع وذُهب كله ، وأوضحت كتاباته

(١) يوميات شامية لابن كنان ص ١٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٨ .

(٣) نصوص غير منشورة عن الزلازل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، نشرت في مجلة المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٨٢ ص ٢٥٦ - ٢٦٢ .

(٤) يوميات شامية ص ١٣٦ .

(٥) يوميات شامية ص ٢٠٣ .

وفرش بلاطه وطلبي نحاس أبوابه ، وكلست حيطانه ويّين دهانه ، فصار في غاية النضارة يكاد يدهش الناظر^(١) .

١١٣٠ - وفي رجب تمت القمرية التي جعلت لرجب باشا فوق رأس النبي يحيى عليه السلام لصيق الجهة الغربية ، لأجل أن يصلي بها ولا يراه أحد ، وقام بعض العلماء على هذا الأمر وأنكره ، ثم عاد ، وتُرك الأمر يعني من جهة الإحداث والتحريج وهو لا يجوز^(٢) .

١١٣٠ - وفي ذي القعدة رفعت القمرية التي أنشئت لرجب باشا في الجامع ، أشير إلى رفعها في فرمان المظالم ورفعها القيحي بيده^(٣) .

١١٣١ - في يوم الجمعة العاشر من شهر رمضان احترق المشهدان الغربيان وما بينهما فوق باب الجامع فوق مسرحة النحاس ، وهدمت تلك السقف بينهما ، واجتمع من الخلق ما لا يعلمه إلا الله لأجل الطفي مخافة أن يصل إلى الجامع ، وحملوا الماء بالقرّب ولم يفت للجامع ، ونقل أهل سوق الذراع حوائجهم لباب البريد ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وذلك لم يظهر إلا عند طلوع شمس يوم الجمعة في التاريخ المذكور وبقي هذان المكانان مهدومين كما قال الشاعر:

فأصبح بطن مكة مقشعراً كأن الأرض ليسَ بها هشام^(٤)

١١٣٤ - وفي جمادى الأولى سرق من الأموي أربعة قناديل من النحاس الأصفر ، كانت فوق محراب المقصورة ، لكنها من غرائب الصنعة من جهة الترخيم، لا مثيل لها في الإتقان والتخاريم ، ومرادهم يضمّونها للبوابين ، والله يصلح الحال^(٥) .

١١٧٣ - أصابَ زلزال المئذنة الغربية والشرقية في جامع بني أمية ، ففي الساعة العاشرة ليلاً من السادس من شهر ربيع الأول في نصف تشرين الأول ،

(١) يوميات دمشق ص ٢٨٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٨٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٠٤ .

(٥) يوميات دمشق ص ٣٣٦ .

وأصاب حصّة أيضاً من منارة العروس في ذلك الجامع الذي هو نزهة النفوس فذهب منها شيء يسير بتقدير اللطيف الخبير .

مجلة المعهد الفرنسي المجلد ٢٧ / ١٩٧٥ م ص ٧٢ نقلاً عن التذكرة الكمالية نقلاً عن نص لأحمد العجلوني الجراحي .

. وبعد أسطر :

وتلتها رجفات وزلازل وفي ثاني يوم من تلك الليلة ضحوة النهار رجفت الأرض وتزلزلت زلزلة شديدة فسقط من منارة الجامع الأموي الشرقية جداران الشرقي والشمالي .

وقبة النسرة العظمى في الجامع الأموي تشققت ووهت وتشقق الجدار الشرقي من الجامع المزبور . ووقعت شراريف الجامع المزبور ، وكان طول كل شرافة مقدار خمسة أذرع على حائط حول سقف الجامع مقدار قامة من سائر جهات الجامع الأربع بحيث أن الشخص إذا وقف على سطح الجامع لا يرى شيئاً من الدور التي حوله ، فسقطت تلك الشراريف ، وهدمت بعض الأماكن المجاورة للجامع كدار بني الغزي ، وحجرة الخلوتية الطباخية بالخانقاه السيمسياتية ورمت قبو إيوانها وهذه الأماكن شمالي الجامع .

وفعلت ببقية جهاته كذلك وفعلت أفعالاً عنيفة في الأحجار وانصدع في الجامع العمود تجاه باب مشهد المحيا الشريف النبوي تجاه العضاضة الكبرى .

(مجلة المعهد الفرنسي نقلاً عن التذكرة الكمالية).

١١٧٣ - أغان الله تعالى الجامع الشريف الأموي بكافل دمشق الدستور الأعظم الوزير عبد الله باشا بن إبراهيم الشهير بجته جي ، ومتولي أوقاف الجامع المشار إليه شيخ الإسلام المولى علي بن بهاء الدين بن محمد مراد المرادي الحسيني النقشبندي مفتي السادة الحنفية بدمشق ، فبذل الوزير المزبور الهمة في إصلاح المنارات ونقض المنارة الشرقية الهائلة التي أعجزت البنائين وأهل الصناعات أن يضعوا أيديهم فيها لما هي عليه من البناء الهائل المتداعي للسقوط ، وطلبت طائفة البنائين من النصارى أموالاً لأجل النقص ، فأمر الوزير المزبور بقطع الأخشاب العظام ونقلها للجامع فقطع شيء كثير من الغيضة الشهيرة الكائنة بالوادي الشرقي لدمشق ومن غيرها ونقل إلى الجامع حتى امتلأ خشباً ، واجتمع

جميع نشاري دمشق لنشره قطعاً ضخماً كل قطعة سمكها مقدار ثلث ذراع أو ربع ذراع ، وشرع البنائون في عمل السقائل لأجل النقض حول المنارة المزبورة واستعظم طائفة من البنائين من النصارى نقضها ، فانتدب رجل من طائفة النجارين المسلمين يقال له : الحبتلي لنقضها من غير سقالة ، وطلع إلى رأس المنارة إلى أن انتهى إلى هلالها ، ولم ينزع من ثيابه شيئاً بل خرج بقادوته وشخشيره ، وأخرج معه مطرقة وإزميلاً صغيراً ، وصار يقلع بهما الأحجار ويلقيها إلى أسفل والناس ينظرون إليه من صحن الجامع ونقض في ذلك الوقت حصة من المنارة ، وكانت أعلى مما هي عليه الآن بخمسة وثلاثين ذراعاً ، وأغلظ بمقدار خمسة أذرع ، وهلالها فوق شاش من الحجر كبير ، ولما نقضت خذلت طائفة النصارى من البنائين وبذل الوزير المذكور سابقاً (عبد الله باشا الجته جي) - وكان حاضراً لما صعد النجار المزبور إلى المنارة - له جائزة سنوية ، ووعده أنه إذا أتم العمل أن يقابله بالجوائز السنوية ، وأخذ البنائون في تهيئة أسباب البناء من عمل الدواليب وحفر الأساسات لها .

(مجلة المعهد الفرنسي الجزء ٢٧ ص ٧٤).

ففي ليلة الإثنين سادس الشهر المذكور [ربيع الثاني] بعد صلاة العشاء بالجامع الشريف بنحو ثلث ساعة رجفت العظمى والزلزلة الكبرى

وانكشفت تلك الساعة عن غالب منارات دمشق بالسقوط والقصف ، والمئذنة الشرقية الأموية المتقدم ذكرها وقعت إلى الأسفل ولم تحوج إلى فك ، وسقطت قبة النسر في الجامع المرقوم مع عظمها ، وسقط جميع الرواق الشمالي بأعمدته المحكمة وعضائضه ، وكان مشتملاً على عضائض وأعمدة بين كل عمودين عضاضة مبنية بالرخام وأنواع الأحجار المثمنة من أسفلها إلى أعلاها ، وسقطت المنارة الشرقية على جهة الجامع فهدمت مقدار ثلث المعاذب الثلاث التي بقربها ، وتشققت غالب الجدران وآلت وأشرفت على السقوط ، فسبحان الفعال لما يريد الحي القيوم الذي لا يموت .

(مجلة المعهد الفرنسي نقلاً عن التذكرة الكمالية عن رسالة العجلوني في الزلزال ج ٢٧ ص ٧٤).

ولما عرض كافل دمشق الوزير عبد الله بن إبراهيم الشهير بالجتجي إلى الأبواب العالية السلطانية بقسطنطينية المحمية بحال الجامع الشريف الأموي

المزبور وقلعة دمشق وما أصابها من الانهدام ، وسألوا الدولة في تعميمها ، وكان التخت العثماني السلطاني مصطفى ابن السلطان أحمد ، فلما وصل الخبر إليه صدر الأمر منه بتعميرها وأرسل أميناً على العمارة المزبور أحد البوابين بالأبواب العالية مصطفى بن محمد الشهير بأسباتحجي ، فلما وصل إلى دمشق بالأوامر والأقوال وذلك في سنة أربع وسبعين ومائة وألف نزل كافل دمشق الوزير عبد الله باشا المذكور إلى الجامع وحضر معه قاضي قضاتها إذ ذاك المولى ساطع علي بن مصطفى ختن علمي أحمد أفندي ، ومفتي الحنفية بدمشق ومتولي أوقاف الجامع المزبور المولى العلامة شيخ الإسلام المولى علي بن محمد المرادي النقشبندي ، وبقية أعيان دمشق من العلماء وكشفوا عما يحتاج إليه الجامع المزبور ، وجمعوا المعمرين والمهندسين وأرباب الصنائع من كل حرفة تتعلق بالتعمير ، فأمرهم المتولي على العمارة أن يشرعوا في إعادة ما انهدم ومرمة الباقي .

(رسالة زلزال ١١٧٣ هـ للعجلوني المنشورة في مجلة المعهد الفرنسي).

١١٧٣ هـ في رسالة عن الزلازل للشيخ الدردير أو للشيخ مصطفى العلواني قال :

« انتهيت إلى باب الجامع الشريف وأنا خائف من تتابع الأراجيف فرأيت رواقه الشمالي من عند الباب الصغير من القرب من الجانبة إلى قرب أودة (غرفة) المفتي الشافعي قد سقط سقفه وعضائده وأعمدته إلى الأرض ، ومثذنة العروس ومثذنة سيدنا عيسى والمثذنة الغربية [قال الشيخ دهمان: لم يذكر أحد غيره أن المثذنة الغربية سقطت ، بل هي باقية بطرازها المماليكي وعليها اسم الملك كما يشير لذلك نص كمال الدين الغزي] سقطوا إلى الأرض ، وقبة النسرخرت إلى الأرض ، وخرّب غالب الجامع سقفه وحيطانه وبلاطه فأذهلني ما رأيت ، وناديت: يا ليتني ما جئت ، وطار عقلي من الجزع وأضرّ بي ما لا يسع وقلت :

فبيكي جامع الأموي حزناً وكان لدى الجوامع كالرئيس
وما أوهى الخراب منارتيه فأتلفها سوى فقد العروس
وقبة نسره للأرض خرّت تسلم بالخضوع على الدروس

ثم انتهيت إلى الباب الشرقي المعروف «بجيرون» ترجف مني الأعضاء وتذرف العيون وأنا أقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ، وشاهدت ما ناله من الخراب ، وحرار عقلي وأنا أحاول كتم حيري من أي باب ، ورأيت أهله خلاء من

الأهل والأصحاب ، وقهوته تنادي: أين ندماني الذين كانوا بالأمس ، هل غابوا حقاً؟ أم دخلوا الرمس؟ وبركة خلعت منها الكراسي وبحر القتام سباحاتها المراسي ، وحمامه جماماً ، وصفوه قتاماً ، فزاد هيامي ووقعت على عرصاته دموعي وقلت:

ألا يباب جيرون المفدى سقيت من اللواقح بالغواد
ترى لي نظرة من بعد يأس أنال بها من الدنيا مرادي
وهل فوارة للماء فيه تزيد وماؤها يسقي الصوادي
وهل حمامها المعمور با ت يدير الظهر منه لكل بادي
وهل قهوته كالمسك عرفا وهل في أهل صدق الوداد
فعهدي فيه كأس الأنس تملئ على الزمان من بادٍ وغادي
فقبر بالزلزال منه إنسا تقادم عهده من عهد عادٍ
فإنني أندب الأطلال منه وأبكيها وشوقي في ازديادٍ
ولكنني سأرجو الله عوناً من السلطان مع سعي المرادي

ثم خرجت منه بقلب حزين ، وليس لي سوى الشوق قرين ، وشاهدته جهاته الأربع خراب.

وقبة النسر سقطت يشير إليها قولي فيما تقدم:

وقبة نسرهِ للأرض خرت تسلم بالخضوع على الدروس
ثم عمرت مع ما تخرب من المسجد سنة ١١٧٤ هـ أيام السلطان مصطفى بن أحمد وولاية كافل دمشق عبد الله بن إبراهيم الجتجي وأرخ هذه العمارة إسماعيل ابن عبد الكريم الحنبلي الجراعي من قصيدة.

وتقلدت بيتاً بتاريخ أتى شبه اللآلئ عقده لا يفصمُ
قد جدد السلطان دام المصطفى أمويّ جلق فوق ما هو أندمُ

وأرخه محمد بن محمد العدوي التبني المتوفى سنة ١١٧٦ هـ.

وعام تجديده قرره حاز على ألف وسبعين ثم أربع مئة

* * *

وعن طريقة إعادة بناء الجامع الأموي وطوائف البنائين بدمشق طريقة تمويل إعادة البناء.

(انظر التذكرة الكمالية الجزء السابع ١٥ ، ١٦ رقم ٧٨٥ أدب تيمور).

القرن الرابع عشر

١٣١١- احترق الجامع الأموي وأتت النار عليه كله ، ثم أعيد بناؤه على ما هو عليه الآن واكتمل سنة ١٣٢٠ هـ.

- في عهد الاستقلال قامت دائرة الآثار بالتعاون مع دائرة الأوقاف بإعادة أقسام كثيرة من الفسيفساء التي سقطت خلال الحرائق السابقة.

القرن الخامس عشر

١٤٠٨- جددت جدران الجامع الخارجية من الناحية القبليّة والغربيّة ، ورممت وعدلت المئذنة الغربيّة ، وأصلحت قبة النسر بإشراف لجنة يرأسها الدكتور محمد أمين أبو الشامات.

* * *

الحرائق بالجامع الأموي

١ - الحريق الأول في شعبان سنة ٤٦١ هـ:

أحرقه جنود الدولة الفاطمية (العبيدية) فقد كانت الحروب على أشدها بينهم وبين الجنود المحليين ، وحدث أن ألقى العبديون النار في قصر الخضراء بغضاً بالدمشقيين وحقداً على الأمويين ، فامتدت النيران إلى الجامع ، ففقد المسجد بهجته ونضارته ورونقه وتزيوقه ، ثم جهد الملوك من السلاجقة والنوريين والأيوبيين والمماليك في إعادة المسجد إلى سالف عهده ، وعني بعض الولاة بتجديده^(١) .

٢ - الحريق الثاني شوال سنة ٧٤٠ هـ:

وكان ذلك في أيام تنكز ، فأصيب المسجد بحريق كبير أتلف قسماً منه ، وأخذ ما يحيط به شرقاً وجنوباً من القيساريات والمدارس والأسواق ، ويبدو أن هذا الحريق كان مدبراً ، فقد اجتمع بعض النصارى في قرية جوبر ، وعملوا كعكاً من نפט وأدخلوه في سوق الدهشة ووضعوه في بعض الدكاكين ، فاحترق سوق الدهشة والمثذنة الشرقية والمدرسة الأمينية ، وتمت السيطرة على الحريق قبل توسعه ، ولما تحقق تنكز بالمؤامرة اعتقل رؤوس المتآمرين فحكم القضاة بقتلهم فقتلوا وصلبوا .

وللتوسع حول هذه المؤامرة والحريق انظر كتاب «حريق الجامع الأموي سنة ٧٤٠ هـ» الذي كتبه الدكتور صلاح الدين المنجد^(٢) .

٣ - الحريق الثالث سنة ٧٩٤ هـ:

وفيها احترقت المثذنة الشرقية ودخلت النار إلى الجامع ثم تبين أن وراء هذا الحريق اليهودي سديداً^(٣) .

(١) انظر البداية والنهاية ١٢/٩٧-٩٨ ، وتاريخ القلانسي ص ٩٦ ، ٩٧ ، خطط دمشق للعلبي ص ٢٨٨ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ٣١/٣٥ ثم نشر البحث منفصلاً .

(٣) الدرر المضية لابن صصرى ص ١١٧ ، ١٢٥ ، خطط دمشق للعلبي ص ٢٨٩ .

الحريق الرابع شعبان سنة ٨٠٣ هـ:

وقد احترق الجامع واحترقت دمشق كلها على يد تيمورلنك وجنوده وذلك في يوم الأربعاء سلخ رجب سنة ٨٠٣ هـ ، فطرحَ التتر النار في البيوت فعم الحريق البلد واستمر ثلاثة أيام ، فاحترق الجامع وسقطت سقوفه وزالت أبوابه ، ولم يبقَ إلا جدرانه^(١) .

الحريق الخامس رجب سنة ٨٨٤ هـ:

في ليلة الأربعاء ٢٧ رجب احترقت الأسواق المحيطة به ، وحاول الناسُ منع النار من الدخول إليه ، وانتشرت النار في الناحية القبليّة ، ثم عمّت الجامع بأسره ، وبعد يومين سقطت قبة النسّر ، وسقط معها نصف المئذنة الغربية ، حتى تضافرت الجهود لإعادته كما كان^(٢) .

الحريق السادس السبت ٤ ربيع الآخر ١٣١١ هـ:

وسببه أحد العمال الذين يصلحون سقف الجامع ، وأتت النار في يوم عاصف ، فوق باب الزيادة القبلي ، ثم انتشرت النار وعمت الجامع كله ولم تمض ساعتان ونصف حتى أتت عليه .

ثم بدأ أهالي دمشق بأمر من السلطان العثماني بإعادة بنائه ، وللتوسع في هذا الحريق يرجع إلى كتابين هامين:

١ - حريق الجامع الأموي أيام العثمانيين جمعها الدكتور صلاح الدين المنجد ونشر بدمشق سنة ١٩٥٣ م .

٢ - حريق الجامع الأموي وبنائه ١٣١١ - ١٣٢٠ هـ نصوص ووثائق للقاسمي وواصف وكردعلي والعظمي ، اختارها وحققها وقدم لها محمد مطيع الحافظ ونشر بمكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع بالكويت سنة ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م .



(١) كتاب تيمورلنك وحكاياته مع دمشق ، والسلوك للمقريزي ١٠٥١/٣ ، خطط دمشق للعلبي ص ٩٠ .

(٢) تاريخ البصري ص ٨٨ ، خطط دمشق للعلبي ص ٢٩٠ .

فوائد عامة عن الجامع الأموي

مصحف عثمان: قال ابن جبير^(١): في الركن الشرقي من المقصورة الحديثة في المحراب خزانة كبيرة فيها مصحف من مصاحف عثمان رضي الله عنه ، وهو المصحف الذي وجه به إلى الشام ، وفتح الخزانة كل يوم إثر الصلاة فيتبرك الناس بلمسه وتقيله ، ويكثر الازدحام عليه .

وقال ابن العماد^(٢): في ربيع الأول سنة ٥٤٣ هـ نازلت الفرنج دمشق... وكان أهل دمشق في الاستغاثة والتضرع إلى الله تعالى فأخرجوا المصحف إلى صحن الجامع ، وضع الناسُ والنساء والأطفال ، وفي اليوم الخامس وصل غازي بن أتاك وأخوه نور الدين فاجتمع أهل دمشق معهم وحملوا على الفرنج فانهمزمت الفرنج وأصيب منهم خلق .

وقال ابن كثير^(٣) في حوادث سنة ٧٣٥ هـ: وفي منتصف جمادى الآخرة علق الستر الجديد على خزانة المصحف العثماني ، وهو من خزّ طوله ثمانية أذرع وعرضه أربعة أذرع ونصف ، غرم عليه أربعة آلاف وخمسة مئة ، وعمل في مدة سنة ونصف .

وقال يوسف بن عبد الهادي^(٤) نقلاً عن مجاهد الدين قال: ورأس يحيى بن زكريا عليهما السلام بالجامع الأموي وبه مصحف عثمان ذكروا أنه بخط يده .

وذكر ابن طولون^(٥) الدمشقي في «تاريخه» من حوادث سنة ٩٢٢ هـ: وفي ليلة الإثنين سابع عشر جاء الخنكار (السلطان سليم) نحو نصف الليل إلى الجامع

(١) الجامع الأموي بدمشق ص ٢٢ .

(٢) شذرات الذهب ٦/١٣٤ .

(٣) البداية والنهاية ١٢/١٧٩ .

(٤) ثمار المقاصد ص ١٦٦ .

(٥) مفاكهة الخلان ٢/٣٦ .

الأموي ليتأمله ، فدخل إليه من باب البريد في أناس قليلة وصلوا بالمقصورة ،
وقرأ في المصحف العثماني وزار قبر رأس سيدنا يحيى بن زكريا عليهما
السلام ، ثم قبر هود عليه السلام ، ثم صعد المنارة الشرقية .

وقال العلمي: ولما مات الملك دقاق سنة ٤٩٣ هـ قام في المملكة أتابكه
طغتكين ، وكان بطبرية مصحف عثمان فنقله طغتكين إلى دمشق حيث هو الآن
في مقصورة الخطابة^(١) .

وذكر صاحب «زبدة كشف الممالك» الذي زار دمشق سنة ٨٣٠ هـ - أي بعد
فتنة تيمور - أن بدمشق مصحفاً بخط عثمان^(٢) .

وذكر ابن كثير في حوادث سنة ٧١١ هـ^(٣) وفيها توفي الشيخ يحيى بن
إبراهيم العثماني خادم المصحف العثماني نحواً من ثلاثين سنة ، وكان نائب
السلطنة الأقرم فيه اعتقاد .

فضل جامع دمشق: روي عن سفيان الثوري أنه سأله رجل وهو في ظل
الكعبة فقال له: ما تقول في الصلاة في هذا البلد؟ فقال: بمئة ألف صلاة، قال:
ففي مسجد رسول الله ﷺ؟ قال: بخمسين ألف صلاة ، قال: ففي مسجد بيت
المقدس؟ قال بأربعين ألف صلاة ، قال: ففي مسجد دمشق؟ قال: بثلاثين ألف
صلاة. ذكره البصروي^(٤) .

مكتبة الدفترى بالجامع الأموي: ذكر المحبي في ترجمة علي الدفترى صاحب
الكتب الموقوفة بالجامع الأموي: ولي دفترية الشام مرتين في سنة ١٠٠٧
و١٠١٤ هـ وحج في السنتين المذكورتين ، وكان له مشاركة جيدة في العلوم وله
أخذ بظواهر كلام الشيخ الأكبر قدس سره ، واعتقاد تام فيه واحتفال بكتبه ،
ووقف كتبه واستودعها بيت الخطابة بالقرب من المقصورة بالجامع الأموي ، ولم

(١) مختصر تنبيه الطلاب ص ١٤٩ .

(٢) زبدة الممالك ص ٤٥ .

(٣) البداية والنهاية ٦٦/١٤ .

(٤) الروضة البهية ص ١٤ .

تزل هناك إلى أن ادعى النظارة عليها بعض مفتي دمشق واحتوى عليها ، وفيها نفائس الكتب . توفي ١٠١٨ هـ^(١) .

محراب الجامع : قال ابن جبير^(٢) : ومحرابه من أعجب المحاريب الإسلامية حسناً وغبابة صنعة ، يتقد ذهباً كله ، وقد قامت في وسطه محاريب صغار متصلة بجداره ، تحفها سُويريات مفتولات فتل الأسورة ، كأنها مخروطة ، لم يَرُ شيء أجمل منها ، وبعضها حمر كأنها مرجان ، فشان قبة هذا الجامع المبارك مع ما يتصل بها من قبابه الثلاث ، وإشراق شمسياته المذهبة الملونة عليه ، واتصال شعاع الشمس بها ، وانعكاسه إلى كل لون منها ، حتى ترتمي الأبصار منه أشعة ملونة ، يتصل ذلك بجداره القبلي كله ، عظيم لا يلحق وصفه ، ولا تبلغ العبارة بعض ما يتصوره الخاطر منه ، والله يعمره بشهادة الإسلام وكلمته بمنه .

في رسالة «في زلازل دمشق وما أحدثته من التخريب» المنسوبة للشيخ أحمد الدردير المتوفى بدمشق ١٢٢٦ هـ أو للشيخ مصطفى العلواني المتوفى ١١٩٣ هـ والمنشورة في مجلة المعهد الفرنسي ج ٢٧ ص ٧٧ - ٩٤ :

« . . جامعها الفريد الذي عمره الوليد صالح من بني أمية وكان ملكاً عادلاً صالحاً ، أنفق فيه من نفائس الأموال ما لا يحصى ، وبذل فيه من الجهد والاهتمام ما لا يستقصى ، حتى عاد بحمد الله درة بيضاء في جيد الأيام ، وركناً يأوي إليه أهل الإسلام وجعل له سبعة أبواب :

أحدها باب البريد وعن يمينه وشماله بابان صغيران ينتهي الخارج منها إلى سوق باب البريد ، يسكنه كبار التجار ، ومن يتعاطى بيع الطيب من العنبر والمسك والعود والخلوقي وماء الورد وماء الزهر ، وباب كبير آخر يسمى باب جيرون شرقي الجامع وعن يمينه وشماله بابان صغيران ينتهي الخارج منها إلى سوق يسمى بالذهبية ، كان أولاً تشتغل [فيه] الشرايبي من الذهب والفضة ، ويومئذ يشتمل على قهوة لم يوجد في الدنيا لها نظير ، وبها فوارة ماء يصعد منها ويرتفع خمسة أذرع بالذراع الأسلابولي تصب ماءها إلى بركة عظيمة ، وتجاه

(١) خلاصة الأثر ٢٠٠/١ .

(٢) الجامع الأموي بدمشق ص ٢٢ .

القهوة حمام يسمى بالذهبية، يصعد إليه بعشر درجات، وهو أحد أكبر المحاسن وبه مسجد نبي الله يحيى عليه السلام.

وباب كبير شمالي بالقرب من الشيراباشية.

وباب كبير آخر شمالي يسمى باب الساعات يخرج منه إلى مدرسة الكلاسة وبابان صغيران أظنهما محدثان بعد العمارة.

وباب كبير قبلي يسمى بالعبرانية وكل من الأبواب مكفت بالنحاس الأصفر وبه أنواع الصناعات ، ومكتوب على كل باب اسم بانيه وصانعه.

[قال الشيخ دهمان: كتب على الباب الكبير الغربي أي الذي جهة باب البريد أنه أنشئ عام جلظ وحسابه بحرف الجمل ٩٣٣ هـ وكتب على الباب الصغير إلى جانبه اسم «السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ و» ينظر من زاده قليل سليمان بن خليل»].

وفي الجامع ثلاث مآذن إحداها تسمى بمئذنة الشرقية وهي المعروفة بعيسى ابن مريم عليه السلام. وبهذه المنارات خمسة وسبعون مؤذناً ودعجياً وريسين وبه من التداريس سبع مدارس أعظمها تحت القبة المعروفة بقبة النسر، وبه من البقع مقدار الخمسة والعشرين مجلساً في كل بقعة منها مدرستها بعد صلاة الصبح إلى قبيل الظهر لإفادة الطالبين من كل نوع من أنواع العلوم، ويخارج حرم الجامع قبتان إحدهما على ثمانية أعمدة [قال الشيخ دهمان: هذه القبة تدعى بقبة المال وهي في صحن الجامع في الشمال الغربي].

والثانية على ستة أعمدة [قال الشيخ دهمان: هي في الشمال الشرقي وتدعى بقبة زين العابدين وقد سقطت في زلزال ١١٧٣ هـ فأعيد بناؤها على جدران، وتدعى في عصرنا بقبة الساعات] وقبة بينهما صغيرة بكأس من الرخام يتفجر منه الماء.

وبالجامع المرقوم أربعة مشاهد: أحدها شرقي بالقرب من منارة سيدنا عيسى وله شيخ على طريق الششتري يقام به الذكر عقيب صلاة كل جمعة، والثاني خارج حرم الجامع، له شيخ يقيم به الذكر ليلاً في ليلة الجمعة وليلة الإثنين.

والثالث غربي وله شيخ طريق الششتري يقام به الذكر عقيب عصر كل جمعة.

والرابع غربي وله شباكان مطلان على حمام الجامع وبه بركة ماء يتوضأ فيها.

وبه مقصورة عجيبة تقصر العبارات عن وصفها معدة لتلاوة القرآن وبها من

المصاحف ما يفوق على المائة ، وبها مصحف الإمام عثمان جامع القرآن رضي الله عنه الذي كتبه بيده وعليه آثار دمه ولا حول ولا قوة إلا بالله . وبه أعني الجامع من النقوش والصناعات ما أعجز البلغاء عن وصفه حتى إنه قبل حرق تيمور [وذلك عام ٨٠٣ هـ] له ، كان إذا بلغ الرجل المائة ودخله يرى به عجيبة لم يرها بالأمس .

وكان به رصد إذا دخله الجنب يأتي هواء يكشف ثوبه ، ورصدٌ للطير ورصد للعصافير ورصد بجدره إذا وضعت كناسة فيها كل يوم لم تمتلئ وهي باقية إلى الآن .

قبة جامع دمشق المعروفة بالنسر وهي من أعظم القباب إذ هي راكبة على أربعة أركان ، كل ركن منها مائة ذراع من الرخام العادي والمعدري ، وفيها من أنواع الصناعات ما لا يوصف ، ومحيط بالقبة في الأعلى مقدار العشرين قمرية من البلور ، كل قمرية منها ارتفاعها عشرة أذرع ، وصف آخر قماري تحت الصف الأول ، وبها من الصناعات والنقوش ما لا يصفه ولا يبلغه بيان وتحتها تدريس خانة .

أبواب الجامع : قال ابن جبير^(١) : له أربعة أبواب :

باب قبلي أو يعرف بباب الزيادة^(٢) ، وله دهليز كبير متسع ، له أعمدة عظام ، وفيه حوائث للخرزيين وسواهم ، وله مرأى رائع ، ومنه يقضى إلى دار الخيل ، وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين ، وهي كانت دار معاوية رضي الله عنه وتعرف بالخضراء .

وباب شرقي : وهو أعظم الأبواب ويعرف بباب جيرون^(٣) .

وباب غربي : ويعرف بباب البريد .

وباب شمالي : ويعرف بباب الناطقين^(٤) .

(١) الجامع الأموي بدمشق ص ٢٢ .

(٢) وكان يسمى قديماً باب الساعات ، لأن الساعات كانت بجانبه وهي الساعات التي صنعها فخر الدين رضوان ابن الساعاتي ثم أطلق هذا الاسم على الباب الشرقي (تاريخ ابن عساكر ٤٧/٢) ، وسمي أيام الأتراك باب العبرانيين ، ثم أطلق عليه مؤخراً باب القوافين .

(٣) وعرف بعد ذلك بباب الساعات بعد انتقال الساعات إلى جانبه ، ويطلق عليه أيضاً باب اللبادين .

(٤) ويعرف أيضاً بباب الفراديس وباب العمارة .

وللشرقي والغربي والشمالي أيضاً من هذه الأبواب دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها إلى باب عظيم ، كانت كلها مداخل للكنيسة فبقيت على حالها .

وقال العمري^(١) : ويدخل إلى الجامع من ستة أبواب منها أربعة أصول (وقد تقدم ذكرها) واثنان مستجدان فأما المستجدان فهما الباب إلى الكلاسة ، والباب النافذ إلى التربة الكاملة وهما جناحا باب الناطفانيين .

باب الساعات

قال الشيخ محمد دهمان: أطلق اسم باب الساعات على اثنين من أبواب الجامع الأربعة:

١ - الباب القبلي الذي يقع غربي حرم المسجد ، ومن المرجح أن الساعات كانت موضوعة أسفل بناء المنارة الغربية مرتفعة عن الأرض بنحو خمسة أمتار .

٢ - باب جيرون: سمي أيضاً باب الساعات بعد حريق الخضراء مع المسجد الأموي سنة ٤٦١ هـ وقد أقيمت على مقربة من باب جيرون أربع ساعات في أزمنة متلاحقة^(٢) .

باب الناطفانيين: باب كبير شمالي بمصراعين إلى جانبه مثذنة العروس .

وما يزال في أيامنا بمصراعين ملبسين بالنحاس وعليهما .

المصراع الأيمن ————— المصراع الأيسر
في الأعلى:

بسم الله الرحمن الرحيم ادخلوها بسلام آمين
جدد هذا الباب المبارك في شهر المحرم سنة ثمان وتسع مئة .

في الأسفل:

عمر هذا الباب المبارك في أيام
مولانا السلطان
الملك الناصر فرج بن برقوق باشره مولانا
ملك الأمراء

(١) الجامع الأموي بدمشق ص ٦٥ .

(٢) علم الساعات ص ٢٢ - ٢٨ .

وعلى الباب بين الكتابات رنك ذلك السلطان^(١).

مدرسة الكلاسة: عمّرها نور الدين سنة ٥٥٥ هـ سميت بذلك لأنها كانت موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع. احترقت سنة ٥٧٠ هـ فجددها صلاح الدين^(٢) وقد كانت مدرسة للشافعية ، وقد دثرت في أيامنا ولم يبق منها سوى بحرثها التي جددها سنة ٦٤٧ هـ الأمير جمال الدين بن يغمور وبلط أرضها.

وكان لها باب كبير يفتح إلى الجامع وثلاثة شبابيك ومحرابان وإمامان ومؤذنان وراتبان ، وما يزال هذا الباب ويفتح أحياناً لخروج المصلين منه ، وفوقه من الداخل كتابتان كوفيتان مؤرختان سنة ثلاث وخمس مئة تشيران إلى تجديد عمارة الحائط الشمالي.

وكانَ إذا أذن أول من يصلي إمام الكلاسة ، ومن بعده إمام مشهد علي زين العابدين رضي الله عنه ، ومن بعدهما خطيب الجامع الشافعي ، ومن بعده إمام مشهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ومن بعده مشهد عروة وبعده مشهد عثمان رضي الله عنه ، ومحراب الكلاسة من الغرب.

أما في أيامنا فأبطلت الصلاة في المشاهد وأبطلت من الكلاسة لانهدامها. أما داخل المسجد فأول من يصلي الإمام الشافعي ثم يصلي الإمام المالكي ، ومن بعده إمام الحنابلة.

وقد كان مصكوك الباب مهجوراً دائراً لم يفتح من مدة مديدة حتى اتصل خبره بحضرة سليمان باشا (العظم) محافظ الشام سابقاً فجدده وأسكن به رجلاً من صلحاء الصوفية يتعبد الله فيه مع مرديه من الفقراء.

ومشهد عثمان في الجهة الغربية الشمالية وفيه بركة ماء كبيرة وثلاثة شبابيك أحدها الشباك الكمالي نسبة إلى القاضي كمال الدين الشهرزوري ، وكان نائب السلطنة يصلي فيه وقاضي القضاة الشافعي.

قبة عائشة: كان يدرس تحتها التاج الكندي ، وتعرف بقبة الساعات ، وقد

(١) مسجد دمشق ص ٢٢.

(٢) مختصر تنبيه الطالب ص ٧١.

سقطت في زلزال عام ١١٧٣ هـ فأعيد بناؤها على جدران^(١).

مقصورة الحنفية: هي مقصورة ابن سنان الحنفي وعرفت بالسلارية وبالتاجية وبالحنلية وكان بها خزانة كتب وقف^(٢).

تربة الملك الكامل ابن السلطان الملك العادل: في الحائط الشمالي للجامع الأموي كان لها ثلاثة شبايك أحدها يفتح ويغلق ويتطرق منه إلى الجامع ، ومن الجامع إلى التربة إلى الطريق.

توفي الملك الكامل سنة ٦٣٥ هـ بقلعة دمشق، ودفن بها إلى أن بنيت تربة جوار الجامع شمال شرقي الخانقاه السمساطية فنقل إليها ، وقد أنشأ هذه التربة بناته ، وكان بها قراء ودفن عنده سنة ٦٤٢ هـ الملك المغيث عمر بن الصالح أيوب وما يزال قبره قائماً ، وكان الشباك المطل على الجامع يفتح ثم أصبح نافذة كبيرة وفوقه كتابة بخط نسخي أيوبي جميل في سطرين فيها ما يلي: بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ الآية.

توفي السلطان الشهيد ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب. توفي بين العشائين ليلة الخميس الثاني والعشرين من شهر رجب سنة خمس وثلاثين وست مئة.

قال الدكتور المنجد: وقد فكت دائرة الآثار سنة ١٩٤٨م جدار التربة ورفعت الكتابة لتجديده بسبب ميل ظهر فيه^(٣).

تربة الملك الأشرف: إلى جانب الكلاسة من جهة الشمال ، توفي الملك الأشرف بقلعة دمشق سنة ٦٣٥ هـ ودفن بها إلى أن بنيت تربته هذه جوار الكلاسة، فنقل إليها ، وكان فيها مشيخة قراء تولاها أبو شامة ، وكان بها خزانة كتب. وقد تهدمت واختفت داخل الدور، وفي عام ١٩٤٠م ظهرت بعض معالمها على أثر قبلة سقطت هناك فهدمت الدور، وقد ظهرت بعض الأعمدة وظهر القبر^(٤).

المدرسة العزيزية: إلى جانب تربة الملك الأشرف ، نسبة إلى الملك العزيز

(١) المقصورة التاجية لدهمان ٤.

(٢) مسالك الأبصار ١/١٩٦.

(٣) مسجد دمشق ص ٢٢.

(٤) ذيل الروضتين ص ١٦٥ ، مسجد دمشق ص ٢٣.

عثمان ابن صلاح الدين المتوفى سنة ٥٩٥ هـ ، وقد قامت هذه المدرسة مكان دار الأمير أسامة بن منقذ^(١).

تربة السلطان صلاح الدين الأيوبي: توفي صلاح الدين ٥٨٩ هـ بقلعة دمشق ودفن بها وفي سنة ٥٩٢ هـ نقل إلى تربته هذه في المدرسة العزيرية ، وما تزال هذه التربة قائمة غير أن داخلها قد جدد زمن الأتراك ولُبِّست الجدران بالقيشاني^(٢).

زاوية الغزالي: آخر الحائط الشمالي ، وتعرف بزاوية الدولعي وبزاوية القطب النيسابوري ، وبزاوية الشيخ نصر المقدسي ، وتسمى بالغزالية لنزول الإمام الغزالي بها ، وهي مدرسة للشافعية^(٣) وكان المدرس فيها إما خطيب الجامع أو قاضي القضاة.

بيت الزيت: إلى جانب زاوية الغزالي من الغرب ، وكان بجانبه صومعة أخذ منها الحجارة التي بنوا منها الحائط القبلي ، ومنها يصعد إلى سطح الجامع.

قبة النسرة: قال ابن جبير^(٤): أعظم ما في هذا الجامع المبارك قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وسطه ، سامية في الهواء ، عظيمة الاستدارة ، قد استقل بها هيكل عظيم ، وهو غارب^(٥) لها يتصل من المحراب إلى الصحن ، وتحتة ثلاث قباب ، قبة تتصل بالجدار الذي إلى الصحن ، وقبة تتصل بالمحراب ، وقبة تحت قبة الرصاص بينهما ، والقبة الرصاصية قد أغصت الهواء وسطه ، فإذا استقبلتها أبصرت منظراً رائعاً ومرأى هائلاً ، يشبهه الناس بنسر طائر ، كأن القبة رأسه ، والغارب جؤجؤه ، ونصف جدار البلاط عن يمين ، ونصف الثاني عن شمال: جناحاه ، وسعة هذا الغارب من جهة الصحن ثلاثون خطوة ، فهم يعرفون الموضع من الجامع بالنسر لهذا التشبيه الواقع عليه ، ومن أي جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء منيفة على كل علو ، كأنها معلقة في الجو.

(١) مسجد دمشق ص ٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤ .

(٣) مختصر تنبيه الطالب ص ٦٤ .

(٤) الجامع الأموي بدمشق ص ١٦ .

(٥) الغارب: أعلى الظهر ويريد هنا أنه عماد لها.

وقال العمري^(١): وأما أركان القبة الأربعة وجناحا النسرين القبلي والشامي فمن الرخام إلى أعلى الجدر والأركان معمول بالفسيفساء، مسقوف بالبطائن المعمولة بالذهب واللازورد والزنجفر والإسفيداج والأصباغ الخالصة من لون والمركبة من لونين.

ثم قال^(٢): فأما القبة فمما لا يجول مثلها في ظن ، ولا يدور في فكر ، قد تعلق رفرफها بالغمام عابثاً ، وحلق طائرها إلى أخويه النسرين يبغى أن يكون لهما ثالثاً ، وقد بنيت على قناطر ممتدة على قناطر ، بعقود محكمة ، وقطع صخور منظمة إلى سقوف مذهبة ومحاسن موجزة مسهبة ، وعلى رأس القبة هلال عال في أنبوبة طول الرمح ، قد غلفت هي وكل الأسطحة بالرصاص ، وحكمت ميازيبه وجمع فيه من كل حسن غريبه .

قال الدكتور المنجد: احترقت هذه القبة في حريق عام ١٣١١ هـ وأعاد بناءها مهندس إيطالي على غير ما كانت عليه من قبل ، وأخبرني من يعرفها أنها كانت أقل ارتفاعاً مما هي عليه اليوم ، وكانت أيام الوليد فيها شمسيات زجاجية ملونة مذهبة^(٣).

وصف قبة النسرين: قال ابن جبير:

ومن أعظم ما شاهدناه من مناظر الدنيا الغربية الشأن ، وهيكلها الهائلة البنيان ، المعجزة الصنعة والإتقان ، المعترف لوصفها بالتقصير لسان كل بيان: الصعودُ إلى أعلى قبة الرصاص المذكورة في هذا التقييد ، القائمة وسط الجامع المكرم ، والدخولُ في جوفها ، وإجالَةُ لحظ الاعتبار في بديع وضعها ، مع القبة التي في وسطها كأنها كرة مجوفة داخلية وسط كرة أخرى أعظم منها؛ صعدنا إليه في جملة من الأصحاب المغاربة ضحوة يوم الإثنين الثامن عشر لجمادى الأولى المذكورة ، من مَرَقَى في الجانب الغربي من بلاط الصحن كان صومعةً في القديم ، وتمشينا على سطح الجامع المكرم ، وكله ألواح رصاص منتظمة ، كما قد تقدم الذكر لذلك .

(١) الجامع الأموي بدمشق ص ٦٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٠ .

(٣) مسجد دمشق ص ٢٦ .

وطول كل لوح أربعة أشبار، وعرضه ثلاثة أشبار ، وربما اعترض في الألواح نقص أو زيادة، حتى انتهينا إلى القبة المذكورة. فصعدنا إليها على سلم منصوب، وريح المئيد تكاد تطير بنا ، فَحَبَوْنَا فِي الْمَمْشَى الْمُطِيفِ بِهَا ، وهو من رصاص ، وسعته ستة أشبار، فلم نستطع القيام عليه لهول الموقف فيه، فأسرعنا الولوج في جوف القبة ، على أحد شَرَاجِيهَا الْمَفْتَحَةِ فِي الرصاص ، فأبصرنا مرأى تحار فيه العقول ، وتقف دون إدراك هيبه وصفه الأفهام .

وَجُلْنَا فِي فَرْشٍ مِنَ الْخُشْبِ الْعِظَامِ ، حول القبة الصغيرة الداخلة في جوف الرصاصية على الصفة التي ذكرناها ، ولها طِيقَانٌ يُبَصِّرُ مِنْهَا الْجَامِعَ وَمَنْ فِيهِ ، فَكُنَّا نَبْصُرُ الرِّجَالَ فِيهِ كَأَنَّهُمُ الصَّبِيانُ فِي الْمَحَاضِرِ ، وهذه القبة مستديرة كالكرة ، وظاهرها من خشب قد شُدَّ بِأَضْلَاعٍ مِنَ الْخُشْبِ الضَّخَامِ ، موثقة بِنُطْقٍ مِنَ الْحَدِيدِ ، ينعطف كل ضلع عليها كالدائرة ، وتجتمع الأضلاع كلها في مركز دائرة من الخشب أعلاها. وداخل هذه القبة ، وهو ما يلي الجامع المكرم ، خواتيم من الخشب ، منتظم بعضها ببعض ، قد اتصل اتصالاً عجيباً ، وهي كلها مذهبة بأبداع صنعة من التذهيب ، مزخرفة التلوين ، بديعة القرْنَصَةِ ، يرتمي للأبصار شعاع ذهبها ، وتتحير الأبواب في كيفية عقدها ووضعها لإفراط سموها أبصرنا من تلك الخواتيم الخشبية خاتماً مطروحاً جوف القبة ، لم يكن طوله أقل من ستة أشبار ، في عرض أربعة. وهي تلوح في انتظامها للعين كأن دور كل واحد منها شبر أو شبران الغاية لعظم سموها ، والقبة الرصاص محتوية على هذه القبة المذكورة ، وقد شُدَّتْ أَيْضاً بِأَضْلَاعٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الْخُشْبِ الضَّخَامِ ، موثقة الأوساط بِنُطْقِ الْحَدِيدِ ، وعددها ثمان وأربعون ضلعاً ، بين كل ضلع وضلع أربعة أشبار ، قد انعطفت انعطافاً عجيباً ، واجتمعت أطرافها في مركز دائرة من الخشب أعلاها. ودور هذه القبة الرصاصية ثمانون خطوة ، وهي مئتا شبر وستون شبراً ، والحال فيها أعظم من أن يُبْلَغَ وصفها ، وإنما هذا الذي ذكرناه نبذة يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَا وَرَاءَهَا ، وتحت الغارب المستطيل المسمى النسر ، الذي تحت هاتين القبتين ، مدخل عظيم ، وهو سقف للمقصورة ، بينه وبينها سماء جص مزينة ، وقد انتظم فيه من الخشب ما لا يحصى عدده ، وانعقد بعضها ببعض ، وتقوس بعضها على بعض ، وتركبت تركيباً هائلاً منظره. وقد أدخلت في الجدار كله دعائم للقبتين المذكورتين، وفي ذلك الجدار حجارة ، كل واحد

منها يزن قناطير مقنطرة ، لا تنقلها الفيلة فضلاً عن غيرها ، فالعجب كل العجب من تطليعها إلى ذلك الموضع المُفْرِط السمو ، وكيف تمكنت القدرة البشرية لذلك ، فسبحان من أَلْهَمَ عباده إلى هذه الصنائع العجيبة ، ومُعِينهم على التأتّي لما ليس موجوداً في طبائعهم البشرية ، ومُظْهِر آياته على أيدي من يشاء من خلقه ، لا إله سواه ، والقبتان على قاعدة مستديرة من الحجارة العظيمة ، وقد قامت فوقها أرجل قصار ضخام من الصّم الكبار ، وقد فُتِحَ بين كل رجل ورجل شمسية ، واستدارت الشمسيات باستدارتها ، والقبتان في رأي العين واحدة ، وكنينا عنها باثنتين لكون الواحدة في جوف الأخرى ، والظاهر منها قبة الرصاص .

ومن جملة عجائب ما عاينه في هاتين القبتين أن لم نجد فيهما عنكبوتاً ناسجاً ، على بُعد العهد من التفتد لهما من أحد ، والتعاهد لتنظيف مساحتهما ، والعنكبوت في أمثالهما موجود كثير . وقد كان حَقَّقَ عندنا أن الجامع المكرم لا تنسج فيه العنكبوت ، ولا يدخله الطير المعروف بالخطّاف ، وقد تقدم ذكرنا لذلك في هذا التقييد ، فانصرفنا منحدرين ، وقد قضينا عجباً عجاباً من هذا المنظر العظيم شأنه ، المعجز وضعه ، المترفع عن الإدراك وصفه ، ويقال: إنه ما على ظهر المعمور أعجب منظرأ ، ولا أبعد سموأ ، ولا أغرب بنيانأ ، من هذه القبة ، إلا ما يحكى عن قبة بيت المقدس ، فإنها يحكى أنها أبعد في الارتفاع والسمو من هذه . وجملة الأمر أن منظرها ، والوقوف على هيئة وضعها ، وعظيم الاستقدار فيها وعند مُعاينها بالصعود إليها ، والولوج داخلها ، من أغرب ما يحدث به من عجائب الدنيا ، والقدرة لله الواحد القهار ، لا إله سواه .

قباب صحن الجامع : قال ابن جبير^(١) : وفي الصحن ثلاث قباب :

إحداها في الجانب الغربي منه وهي أكبرها ، وهي قائمة على ثمانية أعمدة من الرخام ، مستطيلة كالبرج ، مزخرفة بالفصوص والأصبغة الملونة ، كأنها الروضة حسناً ، وعليها قبة رصاص كأنها التنور العظيم الاستدارة ، يقال : إنها كانت مخزناً لمال الجامع ، وله مال عظيم من خراجات ومستغلات ، تنيف - على

(١) الجامع الأموي بدمشق ص ١٩ .

ما ذكر لنا - على الثمانية آلاف دينار صورية في السنة ، وهي خمسة عشر ألف دينار مؤمنية أو نحوها^(١) .

وقبة أخرى صغيرة^(٢) في وسط الصحن ، مجوفة مثمثة من رخام قد ألصق أبدع إصاق ، قائمة على أربعة أعمدة صغار من الرخام ، وتحتها شبك حديد مستدير ، وفي وسطه أنبوب من الصفر يمجج الماء إلى علو ، فيرتفع وينثني كأنه قضيب لجين ، يشره الناس لوضع أفواههم فيه للشرب استظرافاً واستحساناً ويسمونه: قفص الماء .

والقبة الثالثة: في الجانب الشرقي قائمة على ثمانية أعمدة على هيئة القبة الكبيرة ، لكن أصغر منها^(٣) .

وذكر المرادي^(٤) في ترجمة الشيخ أحمد بن شمس الدين المعروف بابن سوار المتوفى سنة ١١٧٣ هـ أنه درّس في القبة الباعونية الكائنة داخل الجامع الأموي بالخارج وبحضرة جماعة .

قبة يزيد: وذكر الشيخ دهمان أن قبة يزيد كانت تعرف قبل عصر ابن كثير بقبة زين العابدين ، وتعرف في عصرنا بقبة الساعات ، وكانت قائمة على أعمدة كقبة المال الغربية من الزاوية الغزالية ، ولكنها سقطت في زلزال سنة ١١٧٣ هـ فأعيد بناؤها على جدران ، وهذه القبة هي المقابلة لباب مشهد الحسين المعروف في كتب التاريخ بمشهد علي^(٥) .

(١) وتعرف هذه القبة أيضاً بقبة المال ، بناها الفضل بن صالح العباسي أمير دمشق ، وقد فتحت أيام زيارة الإمبراطور غليوم الثاني لدمشق سنة ١٣١٧ هـ (انظر ما كتبه حبيب الزيات في كتابه خزائن الكتب بدمشق وحواليها) وما كتبه فيليب دي طرازي في كتابه (خزائن الكتب العربية في الخافقين) ١/١٣٠ ، ٢/٥٩١ ، وانظر مجلة المشرق ٤٧/٥ ، ٤٧/١٠ ، ٩٦١/١١ .

(٢) روى ابن عساكر في تاريخه ٢/٣٢ ، أنها أقيمت في سنة ٣٦٩ هـ ، وقد تهدمت إثر زلزال عام ١١٧٣ هـ ، فجددها عثمان باشا عام ١١٨٣ هـ .

(٣) بنيت في القرن الخامس الهجري ، ثم أصبحت في القرن الثالث عشر الهجري مقراً لساعات الجامع فسميت قبة الساعات (الحواليات الأثرية ٧٠/١٣) .

(٤) سلك الدرر ١/١١٢ .

(٥) في رحاب دمشق .

صوامع الجامع: قال ابن جبير^(١): للجامع ثلاث صوامع: واحدة في الجانب الغربي، وهي كالبرج المشيد تحتوي على مساكن متسعة، وزوايا فسيحة، راجعة كلها إلى أغلاق يسكنها أقوام من الغرباء أهل الخير، والبيت الأعلى منها كان معتكف أبي حامد الغزالي، ويسكنه اليوم الفقيه الزاهد أبو عبد الله بن سعيد من أهل قلعة يحصب المنسوبة لهم، وهو قريب لبني سعيد المشتهرين بالدنيا وخدمتها.

وثانية بالجانب الشرقي على هذه الصفة.

وثالثة بالجانب الشمالي على الباب المعروف بباب الناظفين.

محارب الجامع: قال العمري^(٢):

محراب الصحابة (الكبير): وهو في شرقي المقصورة، وهو محراب المسلمين الأول وبه تصلي المالكية الآن.

محراب الحنفية: وهو غربي المحراب الكبير باللازوردة تصلي به الحنفية جوار دار الخطابة.

محراب باب الزيادة: بالغرب تصلي به الحنابلة.

ولكل من هذه المحارب الثلاثة إمام ومؤذن، وقد وقف في كل محراب منها وقف على مدرس وجماعة من الفقهاء من المذاهب الثلاثة، كل طائفة في محرابها.

الساعة الشمسية: قال ابن قاضي شهبه: في سنة ٧٧٣ هـ صنع الأستاذ علاء الدين ابن الشاطر الرخامة بمئذنة العروس لمعرفة مواقيت الصلاة^(٣).

الأذان قبل دخول الوقت: قال ابن قاضي شهبه^(٤): وفي رجب سنة ٧٥٠ هـ أذن المؤذنون قبل الوقت بقرب ساعة، فصلى الناس بالجامع على عادتهم إماماً بعد إمام، ثم تبين أن الوقت باقٍ، فأعاد الخطيب صلاة الفجر بعد صلاة الأئمة

(١) الجامع الأموي بدمشق ص ١٩.

(٢) الجامع الأموي بدمشق ص ٦٧.

(٣) تاريخ ابن قاضي شهبه ٤٠٠/٢/٣.

(٤) المصدر السابق ٦٧١/١/٢.

كلهم ، وأقيمت الصلاة ثانية ، قال ابن كثير: وهذا شيء لم يتفق مثله .

السلام على النبي ﷺ عقب أذان العشاء: قال ابن قاضي شهبة^(١): وفي ربيع الأول سنة ٧٨٢ هـ أحدث بدمشق ليلة الإثنين السلام على النبي ﷺ عقب أذان العشاء .

الناظر على الجامع: ذكر ابن طولون^(٢) نقلاً عن ابن ناصر الدين في «توضيحه» في ترجمة قاضي دمشق ومقرئها عبد الله بن عامر اليحصبي: أحد القراء السبعة ، وقاضي دمشق بعد أبي إدريس الخولاني والناظر على عمارة الجامع الأموي . توفي سنة ثمانين عشرة ومئة وألف .

الناظر على الجامع: في ترجمة تقي الدين ابن مراجل: كان ناظر الجامع الأموي وغيره ، وكانت له همة وأمانة وصرامة ومباشرة مشكورة . توفي في يوم الثلاثاء ١٨ ذي القعدة سنة ٧٦٤ هـ ، ودفن بترتبه التي أنشأها تجاه دار بالقيبات (الميدان الفوقاني) وقد جاوز الثمانين^(٣) .

مئذنة العروس: قال الشيخ دهمان: في سنة ١٣٣٢ هـ نقص النصف الأعلى من مئذنة العروس وبني حديثاً على الطراز الموجود عليه اليوم .

الأذان في الجامع الأموي جمعاً قال ابن عابدين في «حاشيته على الدر»: إن أول من أحدث أذان جمع من المؤذنين هم خلفاء بني أمية في جامع دمشق ، وقال السيوطي: إن أول من أحدث أذان الإثنين معاً بنو أمية في خلافتهم ، وقال البدري: إن الوليد رتب لمنازة العروس ثلاث نوب كل نوبة أربعون مؤذناً وهي باقية إلى يومنا .

المئذنة الشرقية: كان ابن عساكر يعتكف في إحدى حجراتها في رمضان ، وقرئ عليه جزء من تاريخه فيها .

ويقول ابن عساكر: إن علي بن أحمد الغساني المتوفى سنة ٥٣٠ هـ كان منقطعاً ببيته الذي في المنارة الشرقية بالجامع مفتياً يقرئ الفرائض والنحو .

(١) المصدر السابق ١/٣/٢٨ .

(٢) قضاة دمشق ص ٦ .

(٣) تاريخ البيمارستانات في الإسلام .

وفي «الشذرات»: إن أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الرقي المتوفى سنة ٧٠٣ هـ كان يسكن بأهله في أسفل المئذنة الشرقية المعروفة بالطواشية.

المئذنة الغربية: كانت معتكف أبي حامد الغزالي، وقال ياقوت الحموي الذي زار دمشق سنة ٦١٣ هـ: هي التي تعبد فيها أبو حامد الغزالي وابن تومرت، وسكنها الخطيب البغدادي والخطيب التبريزي.

مذهب الأوزاعي والتدريس به بالجامع الأموي: قال ابن عساكر^(١) في ترجمة أحمد بن سليمان بن أيوب ابن حذلم الأسدي قاضي دمشق: كان آخر من كانت له حلقة في جامع دمشق، يدرس فيها مذهب الأوزاعي وكان شيخاً جليلاً ثقة مأموناً. قال تمام الرازي: كان القاضي أبو الحسن أحمد بن سليمان بن حذلم له مجلس في الجمعة، يملئ في داره فحضرنا مجلسه فقال: رأيت النبي ﷺ في النوم وعن يمينه أبو بكر وعمر وعن يساره عثمان وعلي رضي الله عنهم في داري، فجئت فجلست بين يديه وقال لي: يا أبا الحسن، قد اشتقتنا إليك فما اشتقت إلينا؟ قال: فلم تمض له جمعة حتى توفي رحمه الله في النصف من شعبان سنة سبع وأربعين وثلاث مئة.

تعيين أول إمام للحنفية بجامع دمشق: ذكر ابن طولون^(٢) نقلاً عن الصفدي في ترجمة قاضي دمشق: محمد بن موسى بن عبد الله البلاساغوني الحنفي المتوفى سنة ٥٥٦ هـ: تولى قضاء القدس ودمشق، وعزم على نصب إمام حنفي بجامع دمشق من محبته في مذهبه، وعين إماماً فامتنع الناس من الصلاة خلفه وصلوا بأجمعهم بدار الخيل، وهي القيسارية التي قبلي المدرسة الأمينية، وهو الذي رتب الإقامة في الجامع مثنى مثنى فبقيت إلى أن أزيلت زمن صلاح الدين سنة سبعين وخمس مئة.

الساعات بالجامع الأموي: قال الشيخ دهمان^(٣): وتعد هذه الساعات التي بالجامع الأموي أقدم ساعات وصفت بعد الساعات التي كانت موجودة في قصور الخلفاء والعلماء. ثم يقول: من المرجح أن هذه الساعات كانت موضوعة أسفل

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٩١/٣، وقضاة دمشق ص ٣١.

(٢) قضاة دمشق ص ٤٣.

(٣) علم الساعات ص ٤٥.

بناء المنارة الغربية مرتفعة عن الأرض نحو خمسة أمتار.

إنارة الجامع الأموي بالكهرباء: ذكر الشيخ القاسمي أن شركة الكهرباء اهتمت بتنوير الجامع الأموي هذه الليلة ليلة الثلاثاء ١ ذي الحجة ١٣٢٤ هـ/ ١٥ كانون الثاني ١٩٠٦ م، فهرعت الناس على طبقاتها ، وازدحم الجامع بهم وجربوا إنارته^(١).

التعزية بالجامع الأموي: ذكر النجم الغزي^(٢) في ترجمة سليمان باشا بن قباد والي دمشق أن أمه ماتت قبله بنحو أشهر فدفنها بالقرب من سيدي أبي بكر بن قوام بسفح قاسيون ، وعمل صبيحتها بالجامع الأموي عند باب السنجق ، فلما مات دفن إلى جانب أمه وعملت صبيحته حيث عملت صبيحتها ، ثم جرت الناس على ذلك ، وصار يعمل أكثرهم صبح موتاهم بالجامع واستهلوا ذلك ، وكانوا قبل ذلك يعملونها بالترب.

التدريس تحت قبة النسر: ذكر القاسمي^(٣) أن الوجيه أحمد أفندي الميني تنازل عن تدريس الحديث تحت قبة النسر بعد صلاة الجمعة إلى العلامة الشيخ سعيد الحلبي وقراءة المذكور عنه إلى وفاته ، ثم قراءة ابنه الشيخ عبد الله بالوكالة عن ابن صاحب الوظيفة إلى أن نفي في حادثة سنة ١٢٧٦ هـ/ ١٨٦٠ م المعروفة بطوشة النصارى.

وذكر أيضاً أن السيد محمد العطار أحد أجداد بني الحسيني تنازل عن تدريس «صحيح البخاري» تحت قبة النسر لما سعى في توجيهه عليه إلى الشيخ يوسف الشهرير بابن شمس أو قراءة المذكور عنه بالوكالة إلى وفاته.

السبع الكبير: أكبر الحلقات التي كان يقرأ فيها القرآن الكريم في الجامع الأموي ، وكان عدة من فيه ثلاث مئة وأربعة وخمسين نفراً^(٤).

وقد وردت هذه اللفظة (السبع) عند المقدسي في «أحسن التقاسيم» ص ١٨٠ ، وعند ابن بطوطة عند كلامه على دمشق.

(١) كتاب جمال الدين القاسمي تأليف ابنه ظافر القاسمي ص ٣٣٦.

(٢) الكواكب السائرة ٣/ ١٥٨.

(٣) إصلاح المساجد ص ١٧٦.

(٤) مختصر تنبيه الطالب ص ٢٢٢.

الدروس في الجامع الأموي: لما قدم دمشق الشيخ شمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزي ، كان له مجلس كل يوم سبت بكرة النهار عند السارية التي عند مشهد علي زين العابدين ، وكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع الأموي ، ويتركون البساتين والفرج في الصيف حتى يسمعون ميعاده ، ثم يرجعون إلى بساتينهم يتذكرون ما قاله من الفوائد والكلام الحسن^(١).

حلقة الحنابلة: حلقة يقرأ فيها القرآن الكريم بالجامع الأموي في الرواق الشمالي ما بين صلاة العصر إلى صلاة المغرب^(٢).

أول خطيب حنفي بالجامع الأموي: ذكر الغزي^(٣) في ترجمة خضر بن أحمد ابن خضر المشهور بالشيخ خير الدين الأماصي الحنفي خطيب دمشق: وهو أول حنفي خطب بالجامع الأموي ، كان شيخاً معتمراً منوراً صوفياً توفي ببلده أماسية بعد سنة ٩٦٤ هـ.

خطابة الجامع الأموي: قال المرادي^(٤) في ترجمة إسماعيل بن تاج الدين المحاسني خطيب جامع دمشق: وبعد وفاته سنة ١١٠٢ هـ انفصلت الخطابة عن بني محاسن وتولاها الشيخ إسماعيل الحايك ، ثم بعد وفاته تولاها الشيخ مصطفى الأسطواني وبقيت عليه إلى سنة ١١٢٥ هـ، ففيها عزل، وتوجهت للمولى سليمان المحاسني، ثم من بعده وجهت لأولاده ثم من بعدهم لأولادهم.

وقال في «أعيان دمشق»^(٥) في ترجمة خليل بن سليمان المحاسني خطيب جامع الأموي بدمشق توفي سنة ١٢٥٠ هـ ثم أعقب ولده رشيد الذي تولى خطابة الجامع ثم انتقلت بعده إلى بني الخطيب.

المقصورات: المقصورة: حواجز خشبية على صورة فنية جميلة ، لا يدخلها إلا المختصون بها، ويتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عند ازدحام الناس، وأول مقصورة كانت موضوعة للخلفاء والولاة ونوابهم ، وهي حذاء دعامات قبة

(١) الخزانة الشرقية ٢/٢٩.

(٢) كتاب وقف ابن المنجي ص ٣١.

(٣) الكواكب ٣/١٤٨.

(٤) سلك الدرر ١/٢٥٤.

(٥) أعيان دمشق للشطي ص ١١٦.

النسر ، وبذلك يصبح المنبر والمحراب ضمن قاعة جدرانها هذه الحواجز الخشبية ، وقد بقيت هذه المقصورة زمناً طويلاً ثم أزيلت^(١).

وقال ابن جبير^(٢): وفي الجامع المكرم ثلاث مقصورات: مقصورة الصحابة رضي الله عنهم ، وهي أول مقصورة وضعت في الإسلام ، وضعها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، وبإزاء محرابها عن يمين مستقبل القبلة باب حديد ، كان يدخل معاوية رضي الله عنه إلى المقصورة منه إلى المحراب ، وبإزاء محرابها لجهة اليمين مصلى أبي الدرداء رضي الله عنه ، وخلفها كانت دار معاوية رضي الله عنه ، (وتسمى الخضراء لوجود قبة خضراء فيها ، وموقعها إلى الجنوب من الجامع الأموي محاذياً لجداره الجنوبي ، وكان لدار معاوية باب يصلها بحرم الجامع حيث محراب الصحابة ومقصورة الخلفاء ، وقد سد هذا الباب في عهد متأخر وهو مجاور للمحراب الكبير بالجامع ، وقد احترقت الخضراء مع الجامع سنة ٤٦١ هـ)^(٣).

وقال العمري: وهي - أي الخضراء - سماط عظيم للصفارين (أي النحاسين) يتصل بطول جدار الجامع القبلي ، ولا سماط أحسن منظراً منه ، ولا أكبر طولاً وعرضاً ، وخلف هذا السماط على مقربة منه دار الخليل برسمه ، وهي اليوم مسكونة وفيها مواضع للكمادين (صابغي الثياب) وطول المقصورة الصحابية المذكورة أربعة وأربعون شبراً ، وعرضها نصف الطول. ويلها لجهة الغرب في وسط الجامع المقصورة التي أحدثت عند إضافة النصف المتخذ كنيسة إلى الجامع ، وفيها منبر الخطبة ومحراب الصلاة ، وكانت مقصورة الصحابة أولاً في نصف الحظ الإسلامي من الكنيسة، وكان الجدار حيث أعيد المحراب في المقصورة المحدثه، فلما أعيدت الكنيسة كلها مسجداً صارت مقصورة الصحابة طرفاً من الجانب الشرقي ، وأحدثت المقصورة المحدثه ، فلما أعيدت الكنيسة كلها مسجداً صارت مقصورة الصحابة طرفاً من الجانب الشرقي، وأحدثت المقصورة الأخرى وسطاً، حيث كان جدار الجامع قبل الاتصال ، وهذه المقصورة المحدثه أكبر من الصحابية.

(١) إعلام الوری ص ١٠٧ ، في رحاب دمشق ص ١٦٨ .

(٢) الجامع الأموي بدمشق ص ١٧ .

(٣) قصور الحكام بدمشق ص ٢٢ و ٢٣ ص ٣٤ .

وقال القاسمي: وكان في الجامع الأموي بدمشق مقصورة كبرى حول منبره ومحرا به إلى ركني القبة، أزيلت في حدود سنة ١٢٨٠ هـ بأمر والي دمشق وقتئذ^(١).

مقصورة الخضر: مكانها موضع محراب الحنابلة اليوم، وهي غير مقصورة المالكية^(٢).

المقصورة التاجية: وتسمى أيضاً بمقصورة ابن سنان الحلبية، وبالسلاوية في الزاوية الشرقية الشمالية، كان لها خزانة كتب وحلقة علم، وهي خاصة بالمذهب الحنفي، وتنسب إلى تاج الدين الكندي زين بن الحسن المتوفى سنة ٦١٣ هـ^(٣).

مشاهد الجامع

قال ابن جبير^(٤): في الجانب الشرقي من الصحن باب يفضي إلى مسجد من أحسن المساجد وأبدعها وضعاً وأجملها بناء يسمى مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقابله في الجهة الغربية في زاوية البلاط الشمالي من الصحن موضع هو ملتقى آخر البلاط الشمالي في أول البلاط الغربي مُجلل بستر في أعلاه، وأمامه ستر منسدل يزعم أكثر الناس أنه موضع لعائشة رضي الله عنها، وأنها كانت تُسمع الحديث فيه، وذلك كله لا أصل له وإنما ذكرناه لشهرته في الجامع.

وقال العمري^(٥):

الشرقي بقبة: مشهد أبي بكر رضي الله عنه، وبه عدة خزائن كتب وقف.

وشاميه (أي في الشمال الشرقي): مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

والغربي بقبة: مشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويعرف الآن بمشهد

(١) إصلاح المساجد من البدع والعوائد ص ١١٢.

(٢) في رحاب دمشق ص ٧٨.

(٣) في رحاب دمشق ص ١٦٨ - ١٨٦.

(٤) الجامع الأموي بدمشق ص ٢١.

(٥) المصدر السابق ص ٦٨.

عروة^(١) وبه شيخ حديث وجماعة من العلماء يستمعون الحديث بوقف مستقل وعدة خزائن كتب وقف.

وشاميه: مشهد عثمان ، وبه يصلي نائب السلطان في شباهه والحاكم الشافعي إلى جانبه ، وبهذا الشباك يحكم القاضي بعد الصلاة ، كأنه كرسي ملك له ، وبهذا المشهد تعقد مجالس القضاة الأربعة والعلماء لفصل القضايا المعضلة التي لا يتفرد بها قاض ، فيجتمعون بأمر نائب السلطان وينظرون في تلك الحكومة ويحكمون فيها بأجمعهم.

وفي كل من ذلك إمام يؤتم به ومؤذن يقيم الصلاة ويبلغ.

المشهد: قال العلموي^(٢): يسمى المشهد مشهداً لأنه محل التعبد وتشهد له تلك البقعة عند الموت وتسميات المشاهد في سنة ٧٣٠هـ: مشهد أبي بكر الصديق ، ومشهد علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وهو ثلاث قيل: أحدها كان فيه رأس الحسين رضي الله عنه ، وفي الوسطاني بركة ماء ، وله شبك يفتح إلى تحت الساعات ، والبراني فيه شباكان يفتحان إلى صحن الجامع أحدهما يقال له: الروضة وقدامه قبة تسمى قبة يزيد وله إمام ومؤذن ، وإلى جانبه مقصورة الحنفية ولها إمام ومؤذن ، وزاوية للفقراء الحلبيين المجاورين للجامع وفيها قاعة صغيرة ولها باب إلى اللبادين.

قال المنجد عن مشهد زين العابدين: وينسب لعلي بن أبي طالب ، ويذكر الشيعة أنه مشهد لعلي وهذا من أغرب مختلقاتهم ، وقد كان هذا المشهد مهملاً في القرن الماضي. قال الميني في كتابه: «الإعلام بفضائل الشام».

مشهد الحسين

كان للشيخ طاهر الأمدي دار ملاصقة لباب الجامع الأموي من ناحية النوفرة،

(١) هكذا جعل العمري موضعه وكذلك أبو شامة المقدسي في ذيل الروضتين ص ١٩٦ ، لكن النعيمي في الدارس ٨٢/١ يذكر أنه بالجانب الشرقي في صحن الجامع وكذلك العلموي في مختصره ، وبدران في منادمة الأطلال ، والمنجد في مسجد دمشق ص ٢٥ ، ودهران في مخططه للجامع .

(٢) مختصر تنبيه الطالب ص ٦٤ ، ومسجد دمشق ص ٢١ .

فحدث أن وقع حائط الجامع من ناحيتها سنة ١٢٧٣ هـ فتهدمت، فعُوض بدار غيرها فجعل قسماً من داره الأولى زاوية، وأدخل بعضها لمشهد الحسين، وقد وسع المشهد حينئذ وبني داخله على الكيفية الحالية، وكان في حائطه قديماً كوة يقال: إن رأس الحسين عليه السلام وضع بها، وكان وراءها مربع (غرفة الضيوف) فأدخلت للمشهد وجعل لها محراب، وجعل المحل الذي يقال: (إن رأسه الشريف وضع فيه) على هيئة قبر وصار يقال له: مشهد الحسين رضي الله عنه.

قال الشيخ جمال الدين القاسمي: لم يتعرض لذلك الحافظ ابن عساكر أصلاً مع أنني سبرت تاريخه أجمع، نعم الفجوة الأولى في هذا المشهد كانت تسمى مشهد زين العابدين لكونه لما قدم الشام كان يصلي فيه^(١).

وفي ترجمة محمد سليم حمزة المتوفى ١٣٠١ هـ: لما جدد مشهد الحسين سنة ١٢٧٣ هـ تولى المترجم عليه، وكان من الملازمين له والمدرسين فيه.

المشهد الشرقي بالجامع الأموي: عرف هذا المشهد بمشهد ابن قيصر، قال النجم الغزي^(٢) في ترجمة محمد خليل ابن قيصر القبيباتي الحنبلي الصوفي: صحب علي ابن ميمون وتلميذه سيدي محمد بن عراق، وكان يقيم الذكر بعد صلاة الجمعة بالمشهد الشرقي داخل الجامع الأموي تحت المنارة الشرقية، بحيث عرف المشهد به. توفي سنة خمس وسبعين وتسع مئة وقد جاوز المئة سنة رحمه الله.

مشهد المحيا: هو المشهد الشرقي من الجامع الأموي^(٣).

مشهد الحرمين: بالقرب من باب البريد الغربي للجامع.

مشهد السفرجلاني: منسوب إلى الشيخ عبد الرزاق السفرجلاني خليفة الشيخ محمد المغربي المزطاري الشاذلي^(٤).

(١) تاريخ علماء دمشق ١/٢٨ - ٢٩.

(٢) الكواكب ٣/٥٩.

(٣) خلاصة الأثر ٤/٣٧٥.

(٤) سلك الدرر ١/٦٦.

مشهد علي: هو مشهد الحسين في عصرنا كما قال الشيخ محمد دهمان^(١).

مشهد عروة: هو مشهد أو دار حديث أنشأها شرف الدين محمد بن عروة الموصلي المتوفى سنة ٦٢٠ هـ وألحقها بالجامع الأموي ، وكانت قديماً تعرف بمشهد علي ، فبنى فيه شرف الدين بركة ومحراباً ، وبيضه وجعل فيه خزانتي كتب فنسب إليه ، وهو لصيق بالجامع الأموي من جهة باب القيمرية ، وكان النقشبندية يجلسون فيه لقراءة أورادهم^(٢).

حجرة الحلبي في الجامع الأموي: هي الحجرة المعروفة بالشيخ سعيد الحلبي وابنه عبد الله وهي شمالي الجامع الأموي^(٣).

قياس الجامع: طوله من باب الساعات إلى باب البريد مئتا خطوة وثمانون خطوة شرقاً بغرب ، وقبله بشمال مئة وخمس وسبعون خطوة ، منها داخل الجامع ثلاث رواقات ، كل رواق خمسة وعشرون خطوة إلى حد الأبواب ، وصحن الجامع تسعة وثمانون خطوة ، والرواق الشمالي أحد عشر خطوة.

قال الدكتور المنجد: اختلف قديماً في قياس الجامع لاختلاف ما يقاس به ونوعه ، ففي ابن عساكر: وطول هذا الجامع من الشرق إلى الغرب مئتا خطوة وهي ثلاث مئة ذراع ، وفي العرض من القبلة إلى الشمال مئة وخمس وثلاثون خطوة وهي مئتا ذراع. ونقل ابن جبير وأضاف: وسعة كل بلاط من بلاطاته ثمانين عشرة خطوة. وقياس الجامع اليوم حسب مخططات المساحة الرسمية هو ١٥٥ م × ٩٧ م وهو أدق وأصح قياس^(٤).

الزيادات في الجامع: قال العمري^(٥): في هذا المسجد زيادات في شماله اتسع بها فناؤه وتفسحت أرجاؤه:

منها الزاوية الحلبية في أول حده الشمالي من الشرق.

والتربة الكمالية: لها مسجد له إمام ومؤذن.

(١) ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٦١ .

(٢) ثمار المقاصد ص ٢٣٩ .

(٣) أعيان دمشق ص ١٢٦ ، ١٨٨ .

(٤) مسجد دمشق ص ٢١ والجامع الأموي بدمشق ص ١٥ .

(٥) الجامع الأموي بدمشق ص ٦٩ .

والكلاسة: وبها إمامان.

وفي شامها: التربة الأشرفية والمدرسة العزيزية، ولكل منهما إمام ومؤذن وجوار المدرسة العزيزية التربة الصلاحية من غربها.

مقام هود عليه السلام: قيل: إن هوداً عليه السلام مدفون في أساس الحائط الجنوبي^(١).

باب البرادة: هو في ركن النسر أي أسفل قبة النسر، وهو الباب المقابل للبحرة العثمانية، وكان يسمى باب السنجق^(٢).

القبة في وسط صحن الجامع: كانت بأربعة عواميد رخام أبيض، وفي وسط القبة جرن الرخام فيه أنبوبة من نحاس يجري منها الماء قدر ذراع، وسطل حديد معلق بسلسلة يشرب به الناس، وقد أقيمت هذه القبة سنة ٣٦٩ هـ كما ذكر ابن عساكر، ووصفها ابن جبير ص ٢٦٧^(٣).

القبة في صحن الجامع من جهة الغرب: كانت على عواميد، ولها باب صغير في أعلاها وفيها أوراق.

قبة يزيد: كانت في شرق صحن الجامع.

العمودان في صحن الجامع: كانا في غرب صحن الجامع، وهما من رخام وعلى رأسيهما صفة ثعابين من نحاس، توضع فيها خراريق وزيت، وتشعل في ليالي الجمع، فيضيء منها الجامع بأسره وقيل: إن تحت هؤلاء العمود طلسم للحيات فلا توجد فيه. والله أعلم^(٤).

وقال ابن جبير^(٥): وفي الصحن بين القباب عمودان متباعدان يسيراً، لهما رأسان من الصفر، مستطيلان مُشْرَجَبَان قد حُرِّمًا أحسن تخريم، يسرجان ليلة النصف من شعبان، فيلوحان كأنهما ثريتان مشتعلتان، واحتفال أهل هذه البلدة

(١) مسجد دمشق ص ٢٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢٦.

(٣) المصدر السابق ص ٧.

(٤) مسجد دمشق ص ٢٧.

(٥) الجامع الأموي بدمشق ص ٢٦.

لهذه الليلة المذكورة أكثر من احتفالهم ليلة سبع وعشرين من رمضان المعظم .

الفوارة المتصلة بباب جيرون: قال ابن جبير^(١): وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة ، تقلها أعمدة من الرخام ، ويستدير بأعلاها طرة من الرصاص واسعة مكشوفة للهواء ، لم ينعطف عليها تعتيب ، وفي وسط الحوض الرخامي أنبوب صفر يزعج الماء بقوة ، فيرتفع إلى الهواء أزيد من القامة ، وحوله أنابيب صغار ترمي الماء إلى علو ، فيخرج منها كقضببان اللجين ، فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية ، ومنظرها أعجب وأبدع من أن يلحقه الوصف .

وقال العمري^(٢): قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر: أقيمت القبة الرخام التي فيها فوارة الماء في سنة تسع وستين وثلاث مئة . قال: وقرأت بخط إبراهيم ابن محمد الحنائي: أنشئت الفوارة المنحدرة في وسط جيرون سنة ست عشر وأربع مئة ، وأمر بجرّ القصعة من ظاهر قصر حجاج إلى جيرون وأجرى ماءها الشريف فخر الدولة حمزة بن الحسن بن العباس الحسيني . وتحت بخط محمد ابن أبي نصر الحميدي: وسقطت في صفر سنة سبع وخمسين وأربع مئة من جمال تحاكت بها فأنشئت كرة أخرى .

قال ابن عساكر: ثم سقطت عمدتها وما عليها في حريق اللبادين ورواق دار الحجارة ودار خديجة في سنة اثنتين وستين وخمس مئة .

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: ثم عمل لها الشاذروان في آخر دولة الملك العادل سنة نيف وعشرة وست مئة ، قال: ورأيت القصعة ، وهي أكبر من التي في وسط طهارة جيرون وفي زناها الأوسط ست أنابيب صغار ، تفور حول الفوارة وعليها درابزينات ، فلما احترقت اللبادين سنة إحدى وثمانين وست مئة تلفت هذه القصعة وبني عوضها هذه البركة المثمنة ، وينبع الماء في هذه البركة من قناة دفنت إليها من مكان مرتفع ، فيعلو بها الماء نحو قامة ، وسمعة الفوارة أعظم من مرآها واسمها أجّل من معناها .

(١) الجامع الأموي بدمشق ص ٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٢ .

الساعة المشهورة وعملها: قال ابن جبير^(١):

وعن يمين الخارج من باب جيرون ، في جدار البلاط الذي أمامه غرفة ، ولها هيئة طاق كبير مستدير ، فيه طيقان صُفر قد فُتحت أبواباً صغاراً على عَدَد ساعات النهار ، ودُبّرت تدبيراً هندسياً ، فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر ، من فَمِي بازِيَيْنِ مصوّرَيْنِ من صُفر ، قائمَيْنِ على طاسَتَيْنِ من صفر تحت كل واحد منهما: أحدهما تحت أول باب من تلك الأبواب ، والثاني تحت آخرها ، والطاستان مثقوبتان ، فعند وقوع البُنْدُقَتَيْنِ فيهما ، تعودان داخل الجدار إلى الغرفة ، وتبصر البازيين يمدّان أعناقهما بالبندقيتين إلى الطاستين ، ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيّله الأوهام سحراً ، وعند وقوع البندقيتين في الطاستين يُسَمَعُ لهما دوي ، وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر؛ لا يزال كذلك عند انقضاء ساعة من النهار حتى تنغلق الأبواب كلها وتنقضي الساعات ، ثم تعود إلى حالها الأول ، ولها بالليل تدبير آخر ، وذلك في أن القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرّمة ، وتعرض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة ، مدير ذلك كله منها خلف الطيقان المذكورة ، وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة ، فإذا انقضت عمّ الزجاجة ضوء المصباح ، وفاض على الدائرة أمامها شعاعها ، فلاحت للأبصار دائرة محرّمة ، ثم انتقل ذلك إلى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل ، وتحمر الدوائر كلها ، وقد وُكِّلَ بها في الغرفة متفكّداً لحالها ، دَرَبٌ بشأنها وانتقالها ، يعيد فتح الأبواب ، وصُرِفَ الصنج إلى موضعها ، وهي التي يسميها الناس المِنْجَانَةَ^(٢).

رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام: قال ابن جبير^(٣): مشهد رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وهو مدفون بالجامع المكرم في البلاط القبلي ، قبالة الركن الأيمن من مقصورة الصحابة رضي الله عنهم ، وعليه تابوت خشب

(١) الجامع الأموي بدمشق ص ٢٤ .

(٢) كان مقر الساعات أسفل بناء المنارة الغربية ، ثم انتقلت إلى جوار باب جيرون في أواخر القرن الرابع الهجري (للتوسع انظر: كتاب علم الساعات للشيخ محمد أحمد دهمان).

(٣) الجامع الأموي بدمشق ص ٢٨ .

معترض من الأسطوانة ، وفوقه قنديل كأنه من بلور مجوف ، كأنه القدح الكبير لا يدري أمن زجاج عراقي أم صوري^(١)؟.

وقد بنيت عليه قبة بعد حريق الجامع سنة ١٣١١ هـ فوق ضريح رأس يحيى بن زكريا وزخرفت وعليها آيات قرآنية بخط الخطاط الشهير رسا.

باب البريد: في غرب الجامع له ثلاثة أبواب أكبرها الوسطاني، وهذا الباب من النحاس ، وفي وسطه في المصراع الأيمن مايلي: أنشأ هذا الباب مولانا الملكي ، الملك لله عام جلظ في جمادى الأولى ، وعلى المصراع الأيسر: من فضل الله وبره الخفي الواحد القهار عامله الله بلطفه الخفي ، وجلظ بحساب الجمل تساوي ٩٣٣ هـ أي صنع عام ٩٣٣ هـ وعلى المصراع الأيمن والأيسر من الباب الأيسر الصغير: بنظر من زاده قليل سليمان بن خليل^(٢).

مشهد ابن عروة: في غرب الجامع كما في كتاب مسجد دمشق وكذا في «ذيل الروضتين» ص ١٩٦ وفي «مسالك الأبصار» ص ١٩٦: والمشهد الغربي على اسم عمر ويعرف الآن بمشهد عروة وبه شيخ حديث وعدة خزائن كتب، لكن النعمي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ يذكر أن هذا المشهد بالجانب الشرقي من صحن الجامع الأموي قبلي الحلبية ، ويعرف قديماً بمشهد علي.

مقصورة الخضر أو الخضراء: وكانت تسمى قبل سنة ٧٢٧ هـ مقصورة المالكية وهي من مدارس الشافعية في قبلي الجامع^(٣).

مقصورة الخطابة: إلى جانب المنبر وأمامها سدة الأذان^(٤).

بيت الخطابة: جانب المنبر وهو الذي يستريح فيه الخطيب.

الأذكار بالجامع الأموي:

قال ابن قاضي شعبة في حوادث سنة ٧٤٢ هـ: وفي جمادى الآخرة أمر تقي

(١) مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٤١ ج ٣ ، ٤ ، رحلة ابن جبير معجم البلدان مادة: دمشق ، ومسالك الأبصار ص ١٨٨ ، وزيارات الشام للهوراني ص ٤ ، والإعلام بفضائل الشام للميني ص ٨٩ .

(٢) مسجد دمشق ص ٢٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٥ .

(٤) المصدر السابق .

الدين السبكي بعد ولايته الخطابة (بالجامع الأموي) المؤذنين بزيادة أذكار عقيب الصلوات على ما كان زاده الخطيب بدر الدين بن القزويني من التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثاً وثلاثين ، فزادهم السبكي قبل ذلك «أستغفر الله» ثلاثاً «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» كما ثبت في «صحيح مسلم» ، وبعد صلاتي الصبح والمغرب بعد التسبيح والتحميد والتكبير : «اللَّهُمَّ أجِرنا من النار» سبعاً و«أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» .

قال ابن كثير: وكانوا قبل ذلك بسنوات قد زادوا بعد التأذين ليلة الجمعة التسليم على رسول الله ﷺ على هذا الوجه الذي يفعل اليوم. قال: وطال بسبب ذلك الفصل وتأخر فعل الصلاة عن أول وقتها. قال الحافظ شهاب الدين بن رجيحي: كان ذلك في حدود الثلاثين وسبع مئة. قال: وكذلك التسليم قبل أذان الفجر، وبعد التسبيح حدث قبل هذا بيسير. وأول ما حدث في السَّحَر في رمضان. ذكر ذلك شيخنا ابن كثير في (باب الأذان من «أحكامه») ولم أره في «تاريخه» .

وحكى لي شيخنا ابن حيش أن والده أول ما أخذت هذا السلام وصار يفعله في نوبته بجامع تنكز ، وكان رئيس المؤذنين به مدة وجدّه ، ثم تبعه بقية المؤذنين ، وأما التذكير قبل أذان الفجر فحدث بعد الخمس مئة، حكاه ابن كثير عن بعض علماء التاريخ أنه سُمع يقول ذلك. وأما التذكير يوم الجمعة قبل الزوال فحدث في شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وست مئة ، أرخه شيخنا تاج الدين الفزاري^(١) .

أئمته :

يشتمل الجامع في زمن ابن شداد صاحب كتاب (الأعلاق الخطيرة) على سبعة أئمة يصلون فيه الصلوات الخمس :

١ - الخطيب .

٢ - إمام في مقصورة الحنابلة .

٣ - إمام في مقصورة الحنفية .

٤ - إمام في الكلاسة .

(١) تاريخ ابن قاضي شهبة ٢/١/٢١٧ ، البداية والنهاية ١٤/١٩٤ .

٥ - إمام في مشهد علي زين العابدين .

٦ - إمام في مشهد ابن عروة .

٧ - إمام في مقصورة الكندي^(١) .

قراءة القرآن في الجامع الأموي :

يشتمل الجامع في زمن ابن شداد صاحب كتاب (الأعلاق الخطيرة) على ثلاثة وسبعين متصديراً، وفي الجامع من الحلق المرصدة لقراءة الكتاب العزيز وتعليمه مئة وعشرون حلقة ، وكل منهم له راتب على ديوان الجامع^(٢) .

التدريس فيه :

من أعمال نائب دمشق منكلي بغا أنه أحدث في الجامع الأموي درس تفسير أسند إلى الحافظ ابن كثير وجعل له ثمانون درهماً في الشهر وخصص له خمسة عشر طالباً لكل واحد عشرة دراهم ، ولكاتب الغيبة عشرون درهماً^(٣) .

السواري الأربع في الجامع الأموي :

كتب على السواري الأربع القائمة في مدخل جامع بني أمية من الغرب أربع وثائق في إبطال المكوس ، وكتبت كل وثيقة على سارية .

الأولى: في سنة ٨٦٣ هـ في عهد قايتباي الحمزاوي كافل الممالك الشامية، أبطل بها رسم المقرر على الأسواق والطواحين وغيرها من المكوس بدمشق .

الثانية: في سنة ٨١٥ هـ أمر الظاهر جقمق بإبطال المكوس على الأقمشة الحمصية والأردية وفروع القطن وغيرها .

الثالثة: في سنة ٨٥٢ هـ مرسوم من السلطان الملك الظاهر أبي سعيد جقمق بإبطال بعض المكوس ومنها التمر والعفص والسّمك البوري والحناء والقماش المصري .

الرابعة: فيها ذكر الخروج والقلقاس وجلود الجاموس^(٤) .

(١) الأعلاق الخطيرة ٨١/١ .

(٢) الأعلاق الخطيرة ٨٥/١ .

(٣) ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٥٩ .

(٤) دمشق في عهد الأيوبيين ص ٤٨ - ٤٩ .

كتابات على قبة الجامع الأموي ومقصورته وغيرها:

قال الشيخ محمد أنيس الطالوي: في أوائل رجب سنة ثمان وتسعين ومئتين وألف: وجدت بخط المرحوم الشيخ مصطفى الحلبي في مجموعة له ما نصه:
(مكتوب على الركن من أركان قبة الأموي بالكوفي).

بسم الله الرحمن الرحيم - في محلين -

أمر بعمارة هذه القبة والمقصورة والسقف والطاقت والأركان في خلافة الدولة العباسية أيام الإمام المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين ، وفي دولة السلطان المعظم شاهنشاه الأعظم سيد ملوك الأمم ملك شاه أبي الفتح بن محمد ، وأيام أخيه الملك المؤيد الأجل المنصور تاج الدولة وسراج الملة وسرور الأمة أبي سعيد تتش بن ملك الإسلام ناصر أمير المؤمنين ، وفي أيام وزارة السيد الأجل نظام الملك أتابك أبي علي الحسن بن علي الوزير الأجل السيد فخر المعالي ناصح الدولة عميد السلاطين أبو ناصر أحمد بن الفضل مان ، من خالص ماله ابتغاء ثواب وجه الله عز وجل وذلك في جمادى الأولى من شهر سنة خمس وسبعين وأربع مئة .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم - في محلين -

أمر بعمل هذه المقصورة وبترخيم الأركان في خلافة الدولة العباسية أيام الإمام المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله أمير المؤمنين ، وفي دولة السلطان المعظم شاهنشاه سيد ملوك الأمم ، مولى العرب والعجم أبي الفتح ملك شاه بن محمد بن داود نصير أمير المؤمنين ، وأيام أخيه الملك الأجل تاج الدولة وسراج الملة وسرور الأمة أبي سعيد تتش بن ملك الإسلام ناصر أمير المؤمنين ، وفي أيام وزارة السيد الأجل نظام الملك قوام الدين شمس المنتقا ، سيد الوزراء ، صدر الإسلام ، عباب الدولة ، أتابك أبي علي الحسن بن علي نصير أمير المؤمنين ، الوزير الأجل السيد العميد فخر المعالي ناصر الدولة عميد الحضرتين أبو نصر أحمد بن الفضل ، من خالص ماله ابتغاء ثواب الله عز وجل في شهر سنة خمس وسبعين وأربع مئة .

* * *

أمر بتجديد هذا الحائط المبارك السلطان المعظم شاهنشاه الأعظم مولى
الأمم ، مالك رقاب العرب والعجم ، جلال دين الله ، سلطان أرض الله ، ظهير
عباد الله ، معين خليفة الله ، غياث الدنيا والدين ، ناصر الإسلام والمسلمين ،
مجلي الدولة القاهرة ، ومعين الملة الزاهرة ، وعماد الأمة الباهرة أبو شجاع
محمد بن شاهنشاه ، وسيلة أمير المؤمنين ، أعز الله أنصاره ، وأدام أيامه
وضاعف اقتداره ، وذلك في شهور سنة ثلاث وخمس مئة .

* * *

[على] باب الكلاسة الصغير على الحائط الشمالي في رواق الصحابة:

أمر بتجديد هذا الحائط في خلافة الدولة العباسية أيام مولانا الإمام المستظهر
بالله ، أمير المؤمنين الأمير الكبير الإسفهلار الأجل السيد أبو شجاع ظهير
الدين ، عضد الإسلام ، معز الدولة ، شرف الملة ، فخر الأمة ، قوام الملوك ،
عميد الأمراء ، أمير الجلوس العالي ، نصير الخلافة العباسية أعز الله أنصاره ،
وذلك في سنة ثلاث وخمس مئة .

من حواشي مختصر الدارس للعلموي تأليف محمد أنيس الطالوي (مخطوط
في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي).

* * *

التعريف ببعض جوامع دمشق ومدارسها

خصص العلامة جمال الدين القاسمي قسماً من كتابه «تعطير المشام» في التعريف ببعض مساجد دمشق ومدارسها.

ونظراً لأهمية هذه التعاريف لأنها من وصف معاصر للأحداث التي عاصرت المؤلف نقلها مع ذكر رقم الصفحة إلى جانب كل جامع ومدرسة.



التعريف ببعض جوامع دمشق ومدارسها

الجامع الجديد:

في الصالحية جده جامعاً التاجر سليمان بن حسين الغفري سنة ٩٩٠ هـ وكان أولاً تربة بديعة البناء على طراز ترب الملوك، أنشأتها عصمة الدين خاتون بنت معين الدين الأمير زوجة نور الدين ثم صلاح الدين واقفة المدرسة الخاتونية والخانقاه. ثم أنشأها الخواجا أبو بكر بن العيني تربة شمالي هذه التربة ثم وسع هذا الجامع توسيعاً حسناً بمساعدة أهل الخير تقبل الله منهم. ١٧٥/٣.

جامع الحشر:

المعروف بجامع السنجدار بناه أرغون شاه تحت قلعة دمشق، ثم جده سنان آغا جاديش البيكجيرية سنة ١٠٠٨ هـ وقتل مجده في فتنة سنة ١٠١٠ هـ.

جامع حسان:

بناه الأمير الأجل الإسفهلار المقر نجم الدين محمد أبو طالب بن علي سنة ٥٧٥ هـ، ذكره ابن عساكر عند ذكره مساجد دمشق فقال: مسجد في قصر حجاج كبير على بابه قناة، بناه الأمير علي كرد وجده ابن الأمير أبو طالب، له إمام ووقف ا. هـ.

جامع الحاجب: المعروف بجامع الورد في سوق صاروجا أنشأه الحاجب الكبير بدمشق بر سيباي الناصري وفرغ من بنائه سنة ٨٣٠ هـ. تولى بانيه نيابة طرابلس ثم حلب ثم طلب الإقالة وأن يقيم بدمشق، فأجيب وعفي عنه فخرج إلى سراقب - قرية من قرى حلب - وهو مريض فمات بها فغسل وكفن وأحضر في تابوت، ثم وضع في نعش وصلي عليه في جامع يلغا ودفن بترته في جامع المذكور رحمه الله تعالى.

جامع جراح:

احترق ودثر في سنة ٩٧٤ هـ فانتدب الكمال الحمزاوي رحمه الله لكتابة دائرة تؤخذ من أصحاب الخير ، وجمع له مبلغاً ليعمره به جزاء الله خيراً.

جامع الحيوطية:

قبلي محلة قبر عاتكة قال شمس الدين بن طولون في تاريخه المسمى (مفاكهة الخلان في نوادر الزمان) وفي يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى سنة ٨٨٥ هـ أقيمت الجمعة بالجامع الذي أنشأه الأمير علي بن حيوط قبلي محلة قبر عاتكة شرقي الشويكة وهو جامع حسن نزه أخذه من بيته وجعله جامعاً ووقف عليه جهات متعددة، انتهى.

وقد اندرست تلك الجهات حتى وهت أركانه وحيطانه مدة سنين ، ثم قبض الله لتجديده الرجل الصالح المعتقد الشيخ طالب السيروان الشهير بالصباغ فجمع من أهل الخير ما يلزمه ورفع معظم جوانبه وسقفه وذلك سنة ١٣٠٧ هـ رحمه الله تعالى وشكر سعيه.

جامع الدرويشية:

قال زيادة على «منادمة الأطلال» ، نقلاً عن «الكواكب السائرة».

وأنشأ درويش باشا سبيلاً آخر في حائط جامعهم وقيل في تاريخه:
أحيى دمشق وأهلها بسبيله درويش باشا دام فعل جميله
قبل الكريم ثوابه لما أتى تاريخه لله خير سبيله

جامع الزيتونة:

في خطة قصر حجاج جده أحد أعيان دمشق محمد بن محمود الشهير بابن الناشف ترجم له المحيي ترجمة طويلة (ذكر القاسمي مختصراً لها) ثم ذكر أنه توفي سنة ١٠٧٤ هـ.

جامع السادات:

داخل باب الجابية ، جده المقر الكريم الظاهري الملكي الأشرفي نائب القلعة المنصور بدمشق سنة ٨٧٤ هـ، يقول بعض الأساتذة: إن هذا الجامع هو المعروف قديماً بدار الحديث السكرية ، والظاهر أنها احترقت في الفتنة التيمورية

سنة ٨٠٣ هـ حتى جددوها مسجداً نائب القلعة المذكور كما قرأته في حجر قديم بحائظه القبلي داخل خزانة المصاحف. ولما فتح السوق الجديدة في عهد ولاية مدحت باشا بدمشق سنة ١٢٩٧ هـ أمام جامع السيائية وقصد أن تكون على خط واحد إلى الباب الشرقي ، فأزيلت جملة من الدكاكين المقابلة لشبابيك السيائية وهدم ما وراءها ، وهكذا إلى أن وصلوا إلى شمالي جامع السادات المذكور فأخذت قطعة من جهته الشمالية وكانت خارج حرمه ، وأزيلت لتمهيد الطريق ، ثم بقي الجامع مثلوم الجهة الشمالية البرانية مدة على ما هو عليه من ضعف الحيطان ، إلى أن قيض الله تعالى لتجديده برتمه صاحب المبرات المرحوم الحاج عبد الغني القوتلي وفتح له باباً كبيراً من جهة السوق ، وكان تمام تجديده سنة ١٢٩٩ هـ جزاه الله خيراً.

جامع السنانية :

قد وصفه إمامه الماجد سيدي الشيخ الإمام الوالد رضي الله عنه وأرضاه وجعل في عليين نزله ومأواه بقوله :

هو المسجد الجامع ، ومن بديع الصنع الجميل جامع الحسن الموضع والبهيح الموقع ، محكم الترتيب والبناء ، متناسب الجهات والأرجاء ، رفيع المنبر ، المنقى من صفائح الرخام ، بديع المحراب في الإتيقان والأحكام ، وسدته المقابلة للمنبر تسامي أختيتها في حسن المنظر ، قد وضعت على ستة أعمدة ، تسر بلطفها النواظر والأفتدة ، منها عمودان أسودان أمام الباب ، يشهدان للوارد والصادر بنيل الثواب ، وقبته القائمة على أربعة أركان قد علت في السماء إلى العنان ، ورواق صحنه قد راق وضعاً وضاء نوراً ، ما دخله مكروب إلا وجد في نفسه أنساً وسروراً ، وما أحسن عمودي إيوانه المبرومين وما أتقن قبابه من الجانبين ، وأما منارته الزمردية فهي كعروس تحلت بحلة خضراء سندسية ، ترتفع بها الأصوات بأطيب النفحات .

من كل من إن قال في تأذينه الله أكبر صدع الأبراجا
وترى الأنام لحسن طيب أذانه دخلوا طاعة ربهم أفواجا

لا تنقطع دروسه الليلية والنهارية ، ولا يخلو كل وقت من عبادة دينية ، وكم غص بالناس الجمعة والعيدين مع امتلاء سدّاته وصحنه إلى البابين ، فجزى الله معمره خير الجزاء وأنالهُ المقام الأعلى يوم الجزاء أمين ، انتهى .

وقال أبو الضياء (أي الشيخ جمال الدين القاسمي) في مدحه:

للسنانية القلوب تهادي
من فشا خيرُهُ وعمّ شداه
عمدة القادة العظام الموالي
صالح فالج تقيّ نقي
فضله طبق الأنام جميعاً
مثل ذا الجامع الذي قد بناه
قد بدا جامع المحاسن وضعاً
بالتقى والهدى تأسس رؤماً
جدا معبد لنجوى وتقوى
لا يرى مثله لدفع هموم
فجزى ربنا الوزير سناناً
ما أقام الصلاة فيه مصلّ

لسنانية الوزير سنان
وعلا صيته بكل مكان
مفرد ماله بمسراه ثاني
كامل عامل وحيد الزمان
كم له شاهد بمراي العيان
ياله مسجداً رفيع المباني
وسما بهجةً وفاق الأماني
لرضا منزل الهدى والبيان
كم ترى عابداً به كل آن
إذ غدا رفعه بأعلى التهاني
غرفاً تزدهي بحور حسان
ودعا للفلاح أهل الأذان

ذكر في «ذيل مختصر الدارس» أن هذا الجامع كان أولاً مسجداً صغيراً فجدده وجعله جامعاً عظيماً الوزير الأعظم سنان باشا لما تولى دمشق سنة ٩٩٤ هـ وكانت مدة ولايته لدمشق نحواً من سبعة أشهر، وتمت عمارته سنة ٩٩٩ هـ انتهى ملخصاً.

وقد عمر وراء حائط الجامع القبلي مدفناً وأنشأ فيه مكتباً، وكان للمدفن المذكور إيوان كبير وبحرة ماء لها فوارة، وله شباكان عظيمان نظير شباكي التكية الكبيرين المطلقين على جنيتها من جانبي المدفن: الأول جانب جهة الحمام، والثاني جانب جهة الصباغين، وكان فيه قصر بديع موضوع على السبل الثلاثة التي على الطريق، ولم يزل هذا المدفن على ذلك إلى زهاء سنة ستين ومئتين وألف ففيها حصل لرأس مثذنة الجامع صداع، فطولب متولي الجامع بإصلاحها فادعى الإفلاس، فجاءه بعض الناس بعد أن وسوس في صدره الخناس، وقال له: مكننا أن نخرج من المدفن دكاكين من الجانبين جانب الحمام وجانب الصباغين ونعطيك خمسة عشر ألف قرش تصلح ببعضها رأس المنارة، والباقي لك، ونجعل على كل دكانة في السنة قدراً مرصداً للجامع، فعول رأيه على ذلك بعد استشارة مفتي دمشق حسين أفندي المرادي، فهُدِمَ الحائطان من جانبي المدفن وعمرت دكاكين من الصفيين وصارت أمام الشباكين اللذين في آخر حائط

حرم الجامع القبلي، ثم بعد مدة رفع أمر هذه الدكاكين إلى أحد وزراء الشام فهمم بإزالتها لكونها محدثة، فتدارك أصحاب الدكاكين ذلك، واستمرت على حالها إلى الآن، وفي سنة ١٢٩٣ هـ حصل في رواق الجامع القبلي وأقواسه وغالب قبابه انشلال أوجب نقضها فنقضت وأعيدت كما كانت ورمم الجامع من أطرافه، وجعلت الحجرة الغربية ميقاتاً ووضعت بها الساعات وزخرفت بعد لم شعثها، وطلب وقتئذ من سيدي الوالد قدس الله روحه عمل تاريخ لذلك مع الرمز إلى أن ذلك حصل في مدة حمدي باشا فأنشأ تاريخاً بديعاً نقش على رخامة ووضع على محراب الإيوان:

الله أكبر هذا جامع جمعا
لأن ذا البر والخيرات منشؤه
لقد تجدد في أيام دولة من
ومن به عمرت أوقاف بلدتنا
جزاهم الله عدد الصنع خير جزا
لا زال يعمر والتاريخ جاء به
نور الجمال وبالإخلاص قد رفعا
سنان باشا الذي ما مثله سمعا
حمدي له واجب شكراً لما صنعا
محمد اليوسفي الله فيه سعى
والناظرين ومن للمحسنين دعا
قد جددوا جامعاً للخير كم جمعا

ولما جدد سنة ١٣١١ هـ ماء حجرة الساعات والسبيل خارجها من أهل الخير والإحسان طلب من سيدي الوالد أيضاً رحمه الله تعالى عمل تاريخ لذلك، فأنشأ تاريخاً لطيفاً نقش على رخامة كبيرة في حائط السبيل وهو:

سلسيــــــــــــل أم ســــــــيــــــــــــل ورده
فارتشف منه زلالاً سائغاً
واسق ماء لو غلا الماء فمن
فهنيئاً للذي أنشأه
للورى أنعش من برد النسيم
واحمد المولى على هذا النعيم
يسق ظمآنأ له الفضل الجسيم
ولمن جدد ذا الخير العميم

وفي سنة ١٣٢٦ هـ وُسِّدَ إلى متوليه القيام عليه وسلم إليه جانب من مورده المسمى بالمسقفات واتفق أنه تزوج إحدى سراري والي الشام فأخذ يتلاعب بالمورد وخطر له أن يسد خزانه في حائط إيوانه الشرقي في جانب بابه القبلي من ناحية الصباغين، وذلك ليأخذ فراغها ويجعله دكاناً ففعل ذلك ولم يمكنه الإنكار لقوة الاستبداد وقتئذ، إلا أنه لم يلبث الحال حتى منحت الأمة الدستور وانطلقت الألسن وظهرت الصحف والمجلات وأمكن إنكار المنكر ولو باللسان، فحينئذ خطر لي أن أستفتي بدمشق من المفتي الحنفي الذي له نظارة على نظار

هذا الجامع إلزام المتولي بإعادة هذه الخزانة فأرسلت له فتوى سترها ، ولما تضمنت فتواي وجوب عزل المتولي لخيانته أرسل إلي المفتي أمين الفتوى يرجو لي أن أستفتي عن طلب عزل المتولي ، وأكتفي بإعادة الخزانة ، فقلت: لا بأس ، لأن القصد إعادته إلا أنني أرسلت الفتوى إلى العالم النحرير السيد أبي المواهب علي أفندي الدجاني مفتي يافا ، فأجاب عنها بتمامها. وهاك صورة فتواي:

ما قول مولانا الهمام حفظه الملك العلام في خزانة في حائط مسجد من داخله بنيت من عهد الواقف لبعض حوائج المسجد ، أو ليحفظ بها ربعات ومصاحف شريفة أو كتب موقوفة ، ولم تزل كذلك يوضع بها من حاجيات المسجد ما تدعو الضرورة إليه أكثر من ثلاث مئة سنة إلى أن سدها أحد نظار المسجد الآن ، وأخذ فراغها وجعله دكاناً وفتح لها باباً من حائط المسجد في حال كون المسجد من أغنى المساجد وقفاً ومورداً ، وله فضلة من أوقافه تقوم بعمارة مسجد ثانٍ ، فهل ما فعله الناظر اعتداء على المسجد وتغيير لصفة الواقف لا تجوز؟ وهل إذا كان المسجد غنياً عن مورد هذه يجبر الناظر على إعادتها خزانة كما كانت؟ وهل يعد مثل أفعال هذا الناظر تلاعباً بالمسجد وجهلاً بحرمة وبواجب حق النظر بحيث يكون ارتكاب هذه الآثام في بيوت الله مخللاً باستحقاق النظر ، بحيث يسوغ للحاكم أن يكف يده وينصب عنه وكيلاً أم لا؟ أفيدونا الجواب ا.هـ.

فأجاب السيد علي أبو المواهب المنوه به قبل وراسلني به من يافا بما مثاله :

الحمد لله ملهم الصواب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد والآل والأصحاب: لا يجوز اتخاذ الناظر الخزانة دكاناً حيث كانت معينة لحفظ المصاحف الشريفة ، والكتب الموقوفة ، نظير ما لو كان الموقوف رباطاً فإنه يجوز تحويله مستغلاً أو كان داراً للسكن فاستغلها أو بالعكس كما هو ظاهر ، وكذا لو لم تكن معينة لذلك ، لأن لجدار المسجد حكمه ففي (البحر): من بنى بيتاً على جدار المسجد وجب هدمه ولا يجوز أخذ الأجرة. وفي (الإسعاف): لو أراد قيم المسجد أن يبني حوانيت في حرم المسجد وفنائه قال الفقيه أبو الليث: لا يجوز له أن يجعل شيئاً من المسجد سكناً أو مستغلاً ، وذلك أن الفناء تبع المسجد فيكون حكمه حكم المسجد ، وإذا جعل حانوتاً ومسكناً تسقط حرمة كما في

«الهندية» عن «المحيط». ويلزم الناظر بإعادتها إلى الصفة الأولى بعد تعزيره بما يليق بحاله كما في «فتاوى» قاري الهداية و يضمن ما صرفه من غلة الوقوف وقيمة الأتقاض إن لم يكن ردها ويعد تصرفه هذا خيانة لكونه غير جائز فيستحق به العزل ففي «البحر»: وامتناعه (أي المتولي) من التعمير خيانة، وكذا لو باع الوقف أو بعضه أو تصرف تصرفاً غير جائز عالمياً به ، وفي تقييده بكونه عالمياً نظر لما في «محاضر الفصولين»: الجهل بالأحكام ليس بعذر في دار الإسلام والله تعالى أعلم. (الفقير إليه عز شأنه السيد علي أبو المواهب الدجاني مفتي يافا عفي عنه).

وقد اختصر مفتي دمشق فتواي وحذف منها ما ذكرته أولاً وهاك صورة اختصاره وجوابه:

ما قول مولانا الهمام عفا عنه الملك السلام في خزانة في حائط مسجد معلوم بناها الواقف لحوائج المسجد ، واستعملت في ذلك أكثر من ثلاث مئة سنة ، فسدها أحد نظاره وجعلها دكاناً للاستغلال ، والحال أن المسجد له غلة وافية بعمارته ووظائفه ، فهل ليس له ذلك وتعاد للمسجد كما كانت والحال هذه؟ .

(الجواب) الحمد لله وحده، نعم ليس له ذلك وتعاد للمسجد كما كانت والحال هذه كما في «التنقيح» والله سبحانه وتعالى أعلم. (كتبه الفقير قطنا زاده محمد صالح مفتي الشام الشريف غفر له) في ٢٩ رجب الحرام سنة ١٣٢٦ هـ.

فتأمل الفرق بين الفتويين يظهر لك الفرق بين المفتيين ، ولا غرو فالسيد أبو المواهب من أولي العلم والأدب والعقل ليس له نظير في بلاد فلسطين ، جد واجتهد واشتغل في الأزهر وغيره وورث العلم أباً عن جد. وأما مفتي دمشق المذكور فإنما نال الفتوى بالطرق المعروفة في دور عبد الحميد ، وعند التحقيق لا يعد في صف الطلاب فضلاً عن العلماء أولي الألباب ، ولذا أجاب بما أجاب واختصر من فتواي ما هو فصل الخطاب ، أعني الصدع بالحق الواجب في هذا الباب ، وهو ما أفتاه أبو المواهب عليه رحمة الملك الوهاب.

وقد اتفق في سنة ١٣٣٠ هـ أن احتاج الجامع المذكور إلى مرمة شيء من حجارته الرخامية المصفحة على حيطان حرمه ومحرابه وأرض منافذه (شبابيكه) وإلى إصلاح إيوانه وجانب من صحنه ، فخطر لبعض الموظفين في المسجد أن يشير على المجمع الذي عين من قبل مدير الأوقاف لتعمير ما يلزمه بهدم حائط

صحنه الشرقي، وجعل الفراغ الذي وراءه المسمى بالباشورة وهي مجمع مقاسم المياه تحتها، ويجعل باباً لتلك الحجرة من المسجد وتعطى إلى منور المسجد ليضع حاجياته، فهدموا الحائط المذكور وأخذوا ببنائه، وشرعوا في فتح باب لذلك فقامت قيامة أصحاب المياه ورفعوا شكواهم إلى القاضي فأرسل أمين الفتوى ومن ناب عنه فرأوا أن لا حق ببناء تلك الحجرة فأعيد الحائط كما كان، وجعل موضع الباب خزانة، وقد فعل ما هو الصواب لعدم استحقاق أحد فراغ هذا المحل وتفوت منافعه بتسقيفه. اللهم ألهم النظر لخير ما ولوا عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

جامع السويقة:

ويسمى جامع المرادية أنشأه الوزير مراد باشا رحمه الله تعالى. قال النجم الغزي في «الكواكب السائرة» في ترجمة مراد باشا: باني المرادية خارج باب الجابية بالسويقة المحروقة، وكان مكانها حوش وربما كان به جماعة من بنات الخطا فلما بني بيت القهوة في جواره، وكان الشيخ محمد اليتيم يعمل القهوة سعى في استئجار ذلك الحوش وضمه إلى بيت القهوة وجعله ساحة يجلس الناس بها، واتخذ مكاناً منها مسجداً، فإذا حضر وقت الصلاة أقام الصلاة وصلّى هو ومن حضر جماعة، فلما ولي مراد باشا الشام سنة ٩٧٦ هـ أراد أن يبني مسجداً فاختير له هذا المكان فبناه ورتب له خطيباً وإماماً ومؤذنين وقراء، وبني له حجرات، ورتب لمن يسكن به طعاماً، ورتب قراء يقرؤون بالجامع الأموي. انتهى.

وكان انتهاء عمارته ٩٧٨ هـ وكان بنى فيه لنفسه مدفناً ورأيت في أوراق قديمة عندي ذكر فيها أسماء وزراء الشام ومنهم مراد باشا المدفون في السويقة، ولكن النجم الغزي لم يذكر ذلك، وقد نقش على باب الجامع القبلي تاريخ وفاة الوزير المذكور وهو:

مراد باشا بنى جامعاً ما مثله قد بنى في البلاد
تقبل الله سبحانه وسوف يجزيه يوم المعاد
وموته صح تاريخه بجنة نال أقصى مراد

(٩٨٢)

وكان في صحن الجامع ثلاث صُفَف مرتفعات وبينها طريق يداس بالنعال

وكانت تمر به النساء ، تدخل إليه من باب وتخرج من الآخر ، ثم ترتب على ذلك منكرات فظيعة ، ولما تولّى إمامته خلاصة المرشدين الشيخ محمد بن عبدالله الخاني النقشبندي سنة ١٢٤١ هـ شرع في لمّ شعته شيئاً فشيئاً وكان قد استولى على حجراته غالب أشقياء المغاربة ممن لهم في السوقة وقتئذ الشوكة الغالبة حتى إن الحجرة القبليّة الكبيرة فيه كان قاطناً بها مغربي منجم له مساوي قبيحة ، وكان من فظيخ أمره وعدم حيائه من الله والناس أنه يدخل لحجرته امرأة امرأة لأجل التنجيم والرمل ويختلي معها ولا يمكن دخول ثالث عليهما أبداً إلى أن أصبح أهل الجامع يوماً من الأيام فوجدوه مذبحاً ومطروحاً عليه ورقة مكتوب فيها: نحن قتلناه فلا تتهموا أحداً ، وأراح الله الناس من شره. ثم في سنة ١٢٥٩ هـ أزال الشيخ محمد الخاني المنوه به الضّفّف التي في صحنه ومهد أرضه على نسبة واحدة ومنع الطريق منه ، وغير بحرته وكانت طويلة مربعة ، وبلط أرضه كلها وعمل الرواق الشمالي بأقواسه ، وسقفه وسوى إيوانه القبلي على نسبة واحدة ، وكان له صُفّتان مرتفعتان وجدد ما اضمحل من كثير من الحجرات جزاه الله أحسن الجزاء.

مسجد السياغوشية:

نسبة لسياغوش باشا كان صهر محمد باشا الشهير بكوبرلي ، وكان غلام أبيه الوزير كوبرلي زوجه بنته لعقله وديانته ، كذا رأيت في مؤلف لفاضل تركي .

وذكر المحبي في ترجمة حسن باشا شوربزه أنه كان منتمياً إلى الوزير الأعظم سياغوش باشا ، فدفع إليه مالاً وأمره أن يبني له مسجداً بدمشق ويرتب فيه من يقوم بشعائره، فبنى المسجد المعروف بالسياغوشية، وأحسن بناءها، وكانت وفاة حسن باشا المذكور سنة ١٠٢٧ هـ انتهى.

جامع السيائية:

خارج باب الجابية أنشأه نائب السلطنة بالشام سيباي الذي كان أمير السلاح بمصر وابتدأ بعمارته من سنة ٩١٥ هـ وأتمه في سنة ٩٢١ هـ وضم إليه مدرسة وزاوية وتربة وبناه بالحجر الأبلق والرخام .

قال العلموي: ولم يدع بدمشق مسجداً مهجوراً ولا مدفناً معموراً إلا وأخذ منه من الأحجار والآلات والرخام والعواميد ما أحب وأراد و تقلد ذلك حتى

سماه علماء دمشق: جمع الجوامع، ثم إنه سافر مع الغوري لمحاربة السلطان سليم، ولما التقى الجمعان في مرج دابق قتل سييبي فيمن قتل من عساكر الغوري ولم يدفن سييبي بمدفنه الذي أعده لنفسه في الجامع المذكور سامحه الله تعالى.

جامع الشادبكية:

في محلة القنوت أنشأه واقفه مدرسة لا جامعاً، ثم أحدث فيه منبر وخطبة واشتهر بذلك ونقش على بابه: أنشأ هذه المدرسة أمير البلاد الشامية شادبك المولوي المخدومي داودار السيفي في رجب سنة ٨٥٧ هـ رحمه الله. وذكر السخاوي في «الضوء اللامع» أن شادبك توفي في جمادى الثانية سنة ٨٨٧ هـ ودفن بمدرسته المذكورة. قال: أخبرني بذلك إمامها.

جامع سيدي صهيب:

في ميدان الحصى، جدده الحاج خلف بن ضرغام خليفة الملك المعظمي من نعم الملك المعظم أبي المظفر عيسى بن الملك العادل سنة ٦٠٦ هـ.

وفي سنة ١٢٩٤ هـ سعى بتجديده إمامه العالم النحرير الشيخ سليم سماره واشترى حوشاً صغيراً كان في جواره، وأدخله في حرمة ورفع جدرانه وجدد منبره وسقفه جزاه الله خيراً.

وربما يظن أن صهيباً رضي الله عنه في جواره وليس كذلك؛ لأن وفاته بالمدينة.

جامع الشيخ عبد الغني النابلسي:

في داره الكائنة في الصالحية، ولما توفي سنة ١١٤٣ هـ ودفن في داره في القبة التي كان أنشأها سنة ١١٢٦ هـ، بنى إلى جنب ضريحه جامعاً حفيده الشيخ مصطفى ابن الشيخ إسماعيل بن الشيخ عبد الغني.

ثم وسع في سنة ١٣٠٩ هـ هذا الجامع وأخذ مربع من أصل الدار وضم إليه، وورد لذلك إحسان سلطاني خاص. وكانت وفاة الشيخ مصطفى المذكور سنة ١١٩١ هـ ودفن جنب قبر جده في القبة. وأما ولده الشيخ إسماعيل فإنه توفي سنة ١١٦٣ هـ ودفن في الدار المذكورة عند الباب على يمين الداخل رحمهم الله تعالى.

جامع العداس:

في محلة القنوات داخل حارة تضاف إليه، بناه الشيخ أحمد الزاهد المعروف بالعداس المتوفى سنة ٨٦٥ هـ كذا وجدته في أوراق قديمة يوثق بها.

جامع عز الدين:

خارج باب الجابية على طريق الذهاب إلى باب السريجة، كان أولاً يعرف بجامع مسلوت، ثم أضيف هذا الجامع إلى الولي الجليل الشيخ عز الدين الصناديقي المترجم في «الكواكب السائرة» لأنه كان مقيماً فيه غالب أيامه، توفي في حدود الستين وتسع مئة ودفن شمالي الجامع المذكور رحمه الله.

ثم في سنة ١١٧٢ هـ جدد هذا الجامع بعض أهل الخير جزاه الله خيراً.

جامع العنابة:

في محلة باب السريجة، أعمر جوامع تلك المحلة وأكثرها جماعة، كان أولاً مسجداً صغيراً بلا حرم ثم وسعه جماعة من موفقي جيرانه سنة ١٢٢٤ هـ ثم في سنة ١٢٣٣ هـ اجتمع أهل الخير من جيرته وأحبوا أن يشتروا قطعة من الجنيئة وراءه ليجعلوها حرماً لهذا المسجد فرضي صاحب الجنيئة ولم يأخذ ثمناً، ثم عمروا جدرانها ومحرابه وكان في أواخر الجنيئة المذكورة قبران فلم يدرسوهما ووضعوا عليهما ستراً. ثم في سنة ١٢٩٩ هـ سعى بتجديد خطبة فيه محبنا الأديب النجيب الشيخ محمد بن الشيخ سعيد الحكيم واستحصل على براءة سلطانية في الخطبة فيه وصنع له منبراً وأقام خطبته، وفي سنة ١٣٢٣ هـ سعى بعض أهل الخير من جيرانه بشراء نحو عشرة أذرع من الجنيئة المذكورة أيضاً فتقدم لذلك بعض التجار وهدم حائطه القبلي الأصلي وكان من لبن وقدم إلى الأمام ورفع من الحجر القلعي، ثم هدم سقفه وحائطه الشمالي أيضاً وتبرع البعض بعمارته على نفقته وكثيرون بتقديم أدوات ترميمه وآخرون بدراهم، ولم تزل المهمة جارية بعمارته إلى أن نجزت سنة ١٣٢٥ هـ.

جامع المزاز:

في ظاهر محلة الشاغور، أنشأه غوران شاه السيد تقي الدين الزيني الجوني، وكان قبل ذلك مسجداً ثم خرب أيام الفتنة التيمورية فجدده الطواشي مرجان خازندار الأمير شيخ، ووقف عليه ورتب به وظائف سنة ٨١٣ هـ.

جامع المعلق:

خارج باب الفرج بين الحواصل سمي بذلك لكونه مبنياً على بردى ويسمى الجامع الجديد، أنشأه المقر الجنب العالي محمد بن عبد الرحمن البيروتي سنة ٩١٥ هـ وهو جامع حسن يصعد إليه بدرج مبني بالحجر الأبلق ومنارته مطلة على بابه شاهقة. وفي سنة ١٠٥٠ هـ مرت صاعقة في الهواء فأصابت رأس هذه المئذنة فتهدم نحو ثلثها فجددها والي الشام وقتئذ محمد باشا رحمه الله.

جامع الملاح: بباب شرقي جوار جامع ضرار، إنشاء الصاحب شمس الدين ناظر الدواوية المتشرف بدين الإسلام سنة ٧٠١ هـ.

جامع منجك:

بميدان الحصى أسسه الأمير إبراهيم بن الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري. استشهد في واقعة ولم يوجد. كذا في «الدارس» أقول (أي القاسم): هذا غلط لاندرى من أين جاءه فإن نسبة هذا الجامع كجامع مسجد القصب للأمير محمد بن الأمير إبراهيم المذكور.



مدارس دمشق

الأحمدية:

مدرسة في السوق الجديد المعروف بالحميدية ، أنشأها أمير الحج وكافل دمشق أحمد شمسي باشا، قدم والياً على دمشق سنة ٩٦٣ هـ واستمر بها إلى سنة ٩٦٨ هـ فكانت مدة ولايته ست سنوات وأشهرأ، وكانت وفاته بالروم سنة ٩٨٨ هـ.

الإسماعيلية:

مدرسة معروفة في سوق الخياطين، إنشاء الوزير إسماعيل باشا العظم أمير الحج وكافل دمشق ، تولاها من سنة ١١٣٧ هـ إلى سنة ١١٤٣ هـ.

ولما تم بناؤها قيل في تاريخها:

أنشأ وزير الشام إسماعيل في
مدرسةً أضحت لوجه الله عن
طوبى له قد نال في الدارين من
قل عند تاريخ البناء إنها
دمشق مأوى الخير والرفادة
إخلاص فعل بالتقى أجاده
فضل الكريم العفو والسعادة
مدرسة العلوم والإفادة

١١٥١

الزنجارية ويقال: الزنجلية:

وكانت الجمعة تقام بها ثم انهدمت وانقطعت الخطبة منها مدة ثم جردها قاضي قضاة الشام عبد الرحمن أفندي سنة ١٠١١ هـ.

السليمانية:

مدرسة غربي باب البريد وراء خان الكرك، إنشاء الوزير سليمان باشا العظم سنة ١١٥٠ هـ وقيل في تاريخها:

للخير والعلم والطلاب مدرسة
أعني الوزير أمير الحج سيدنا
قد شادها أوحده الدنيا سليمان
من كل أفعاله بر وإحسان

بالقرب من داره الزهراء أوقفها وشيّد منها على الإخلاص بنيان
أثابه الله في الدارين صالححة كذلك السعد والتوفيق أعوان
وهاتف البشر والإخلاص أرخها أس القبول على الإشراف عنوان

وكان تولّى ولاية دمشق وإمارة الحج سنة ١١٤٦ هـ وسار سيرة ممدوحة في
ولايته وكانت وفاته في رجب سنة ١١٥٦ هـ وهو في نواحي طبرية وعكا لمنع
المتغلبين وقتل على تلك الجهات، فجيء به محمولاً بتخت إلى دمشق وصلي
عليه بالأموي ودُفن بمقبرة الباب الصغير.

مدرسة عبد الله باشا:

معروفة معمورة أنشأها والي دمشق الوزير محمد باشا العظم وعلى بابها
تاريخ إنشائها وهو:

يا حسن مدرسة زهت بأساسها وتفاخرت عزاً على أجناسها
قد شاهدها المولى الوزير محمد شمس المعارف من أجل أناسها
لله وقفاً والقبول مؤرخ ناشى على التقوى مجيد أساسها

١١٩٣

ومحمد باشا المذكور تولّى دمشق مرتين مرة سنة ١١٨٥ هـ وبقي سنة ثم
عزل والثانية سنة ١١٨٧ هـ وبقي عشرين سنة ثم نسبت هذه المدرسة لولده
الوزير عبد الله باشا ذلك لأنه أنشأ في المدرسة المذكورة الحجرات العالية فارتفق
بها كثير من الطلبة ورأيت في إحدى غرفاتها العالية أبياتاً في ذلك مطلعها:

صدر الوزارة خير من ورث المفاخـر عن أب
والذي دمشق الشام عبد الله عز الموكب
كثرت مآثر بره طوبى له فيما أحبي
أنشأ لنا غرفاً رفيعات لها الحسن اجتبي
هي من سموات المفـا خر بالمكان الأقرب
لم لا وقد شيدت مبا نيهـا لأسنى مطلب
وهو القراءة والصلـا ة على التهامي الـثـرـبي

وهي طويلة. وعبد الله باشا المنوه به تولّى دمشق وإمارة الحج ثلاث مرات
الأولى سنة ١٢١٠ هـ وبقي ثلاث سنوات ثم عزل والثانية سنة ١٢١٤ هـ وبقيت
أربع سنوات ثم عزل والثالثة سنة ١٢٢١ هـ وبقي سنتين.

الفتحية :

جامع ومدرسة في محلة القيمرية أنشأها الهمام المبجل فتحي أفندي بن مجد الفلاقسي الأصل الدمشقي الدفتري ، كان معظماً موقراً ذا ثروة عظيمة رزق الإقبال التام وتصدر بدمشق وكان المرجع بها في الأمور، وكان يصطحب أجلاء الفضلاء وامتدحه الشعراء واشتهر صيته في الآفاق حتى إن الأديب الشيخ سعيد السمان ألف له كتاباً سماه «الروض النافع فيما ورد على الفتحي من المدائح» وله إنشاء وشعر مستحسن ، ومن آثاره بدمشق هذه المدرسة والحمام بمحلة ميدان الحصى وتجديد منارتي التكية السليمانية وكان ناظراً عليها. توفي مقتولاً مع حاشيته والمنتسبين إليه لأمر عظيم أقيمت عليهم سنة ١١٥٩ هـ. وقد بسط ترجمته المراد في «تاريخه».

المرادية :

مدرسة معمورة عند باب البريد كانت خاناً يسكنه أهل الفسق فاشتراه وبناه مدرسة العالم الرباني الشيخ مراد بن علي بن داود الحسيني الحنفي البخاري ثم الدمشقي النقشبندي. شرط في كتاب وقفه أن لا يسكنها أمرد ولا متزوج ولا شارب تنن كما ذكره أحد سلالته خليل أفندي المرادي مفتي دمشق في «تاريخه» المشهور.

الصمادية :

داخل باب الشاغور منسوبة لبني الصمادي القادريين، وقفها العارف المسلك الشيخ محمد بن خليل الصمادي المتوفى سنة ٩٣٨ هـ وجدد بناءها الشيخ إبراهيم بن مسلم بن محمد الصمادي المتوفى سنة ١٠٧٣ هـ، وممن دفن في إيوانها الشيخ العارف محمد بن خليل الصمادي واقفها المذكور وكذا ابنه محمد المتوفى سنة ٩٩٤ هـ وكذا الشيخ عيسى بن مسلم بن محمد المذكور المتوفى سنة ١٠٢١ هـ.

العسالية :

زاوية بالقرب من القدم أنشأها والي الشام أحمد باشا المعروف بالكجك لشيخ الخلوئية وذلك سنة ١٠٤٥ هـ وللوالي المذكور وقائع حميدة، قتل سنة ١٠٤٦ هـ وأرسل رأسه إلى دمشق فدفن في الزاوية المذكورة.



فوائد تاريخية عامة عن دمشق

آداب سكن المدارس: الآداب التي يجب أن يتحلّى بها طالب العلم والمدارس في سكنى المدارس (انظر تذكرة السامع لابن جماعة ص ١٩٣ - ٢٣٤).

أبانا وفرفار: مقال عن نهري أبانا وفرفار لحبيب الزيات (مجلة المشرق ١٧٠/٣٧).

إبراهيم باشا بن محمد علي باشا: إبراهيم باشا في سورية مقال لهنري لامنس اليسوعي (مقال في مجلة المشرق ٢٧/٩٣٠).

إبراهيم باشا في دمشق: انظر كتاب مذكرات تاريخية لمجهول (أحد كتاب الحكومة في سرايا دمشق، وهو معاصر لفترة حكم إبراهيم باشا في سوريا) نشرها قسطنطين المخلصي.

أثمان مدينة دمشق الثمانية في العهد العثماني: قسمت دمشق إدارياً إلى ثمانية أقسام (أثمان).

١ - ثمن القيمرية وفيه مسلمون ونصارى ويهود.

٢ - ثمن الشاغور.

٣ - ثمن الميدان التحتاني.

٤ - ثمن الميدان الفوقاني.

٥ - ثمن القنوات.

٦ - ثمن العقبية.

٧ - ثمن العمارة.

٨ - ثمن الصالحية.

وقد جرى هذا التقسيم سنة ١٨٦٠ هـ وشُكل في كل ثمن مجلس بالانتخاب (كتاب سورية في القرن التاسع عشر ص ٧٦) وانظر تحديداً لكل ثمن في (الروضة البهية ص ٢٢ - ٢٦).

إحدى عشرة سنة بين والد وابنه :

ذكر الغزي في ترجمة إسماعيل بن محمد السيوفي الشهير بخطيب السقيفة بباب توما بدمشق ، وهو والد شمس الدين الشهير بابن خطيب السقيفة : بينه وبين ابنه في السن إحدى عشرة سنة لا تزيد ولا تنقص فإن مولد ولده سنة ٨٤٤ هـ في ربيع الأول ، أما الوالد فولد في مستهل ربيع الأول سنة ٨٣٣ هـ كما حرر النعمي ولادتهما ، وهو أمر غريب لا يكاد يتفق ، وكانت وفاة شمس الدين قبل أبيه يوم الأحد ثاني صفر سنة ٨٩٧ هـ وتوفي والده يوم الخميس ثاني عشر ربيع الأول سنة ٩٠١ هـ ودفن عند والده جوار الشيخ أرسلان رحمهم الله تعالى . (الكواكب السائرة ١ / ١٦٠).

إحصاء النفوس بدمشق :

في غرة جمادى الثانية سنة ١٢٧٧ هـ صدر الأمر بإحصاء النفوس في دمشق فأحصيت وتمت دفاتها في أربعة أشهر .

الأذان عند دفن الميت :

ذكر المحبي في ترجمة محمد الميداني (المدرس تحت قبة النسر) المتوفي سنة ١٠٣٣ هـ أنه لما أنزل في قبره عمل المؤذنون ببدعته التي ابتدعتها منذ سنوات بدمشق من إفادته إياهم أن الأذان عند دفن الميت سنة . قال المحبي : وهو قول ضعيف ذهب إليه بعض المتأخرين ورده ابن حجر العسقلاني في «العباب» وغيره . فأذنوا عند دفنه .

الأراضي الأميرية (الميرية) :

هي الأراضي الزراعية التي تكون ملكية الرقبة فيها للسلطان (للدولة) رغم بقائها في حيازة المتسلم لها ما دام ملتزماً بشروط العمل بها ، وسبب التسمية كانت بسبب أنها كانت تحت تصرف الأمير الحاكم الممثل في شخص السلطان العثماني ، وقد أصبح ذلك قانونياً بصدور قوانين عمل بها سنة ٩٧٤ هـ أثناء حكم السلطان سليم ، وقد سمحت هذه القوانين للسلطين أن يوزعوا مساحات

شاسعة من أراضي الميري ببلاد الشام على جنودهم وأعوانهم ، وقد صدر قانون الأراضي عام ١٨٥٨ م وكان هذا القانون يهدف إلى تشجيع الفلاحين على تسجيل الأراضي الميرية التي تملكها الدولة بأسمائهم .

أربعة مدرسين من أسرة واحدة يتوارثون التدريس ويدرسون في مدرسة واحدة:

قال ابن قاضي شهبة: وفي جمادى الأولى سنة ٧٦٢ هـ درس تقي الدين عبد الله ابن القاضي جمال الدين ابن قاضي القضاة شرف الدين ابن الكفري الحنفي بالمدرسة الطرخانية ، نزل له أبوه عنها ، كما نزل جده لأبيه عنها ، وكما نزل والد جده عنها فهو رابع أربعة نسقاً مدرسون فيها من سنة ٦٧٥ هـ كما أخبر جد المدرس لابن كثير .

توفي تقي الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفري الحنفي سنة ٨٠٣ هـ كما أرخه السخاوي في «الضوء اللامع» .

وأما جمال أبو عبد الله يوسف فتوفي في حياة أبيه سنة ٧٦٦ هـ .

وأما شرف الدين أحمد بن الحسين فتوفي سنة ٧٤٤ هـ .

وأما شهاب الدين الحسين بن سليمان بن فزارة فتوفي سنة ٧١٩ هـ .

(تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ١٨٠ والدرر الكامنة ٥/ ٢٢٢ ، والضوء اللامع ٥/ ٧٣ ، وقضاة دمشق ١٩٩) .

الألبانيون بدمشق:

هاجر الألبانيون ثلاث هجرات:

الأولى خلال عام ١٩١٢ - ١٩١٤ .

الثانية خلال عام ١٩١٨ - ١٩٣٩ .

الثالثة خلال عام ١٩٤٨ - ١٩٥٠ .

الإمام الفيروز أبادي بدمشق:

ذكر ابن قاضي شهبة قال: وفي شعبان سنة ٧٦٣ هـ اجتمع جماعة من أعيان العلماء بدمشق ببستان الشيخ جمال الدين الشريشي ، منهم صلاح الدين الصفدي ، وشمس الدين الموصللي ، وعماد الدين ابن كثير ، ومجد الدين محمد بن يعقوب

الشيرازي (الفيروز آبادي) وهو من ذرية الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وهو من أئمة اللغويين ، ونور الدين ابن الصارم ، وأحضرُوا نيفاً وأربعين مجلداً من كتب اللغة منها: «صحاح الجوهري» و«غريب أبي عبيد» واثنان وثلاثون مجلداً من كتاب «المنتهى» في اللغة للبرمكي ، وحضر بدر الدين ابن العلامة جمال الدين ابن الشريشي ، فأخذ كل من الحاضرين مجلداً من تلك وأخذ يسأل (الفيروز آبادي) عن أبيات الشعر المستشهد بها فينشد كلاً منها ، ويتكلم عليه بكلام مفيد. قال ابن كثير: وجزم الحاضرون والسامعون أنه يحفظ جميع شواهد اللغة ولا يشذ عنه منها إلا القليل الشاذ ، وهذا من أعجب العجائب وأبلغ الإغراب. (تاريخ ابن قاضي شهبة ٢٠٣/٢/٣).

أبواب دمشق الثمانية: مدحها:

دمشق في أوصافها جنّة أرض راضيـــــــــــــــــه
أما ترى أبوابها قد جعلت ثمانيه
منتخبات التواريخ لدمشق ص ٣١.

وقال أيضاً: أبوابها المستعملة ثمانية على عدد أبواب الجنة؛ لأنها جنة الدنيا (المنتخبات ٢٤).

أبواب دمشق القديمة:

باب توما: رممه تنكز سنة ٧٢٤ هـ. وتوما هو زوج ابنة هرقل ملك الروم.
باب السلام: رمم سنة ٦٤١ هـ والمشهور أن نور الدين الشهيد أحدثه أو سيف الدين، سمي بذلك لأن جميع من يدخل إلى دمشق من البر يدخلون من هذه الجهة للسلام على الخلفاء الراشدين. وقال فيه الشيخ حسن بن محمد العطار:
بوادي دمشق الشام جز بي أcha البسط وعرج على باب السلام ولا تخط
فإن على باب السلام من البها ملابس حسن قد حفظن من العط
باب العمارة: ويقال له: باب الفراديس.

وبعدده باب بين السورين وقد أزيل في سنة ١٣٣٧ هـ.

باب البوابجية: رمم سنة ٦٠٦ هـ ويقال له: باب الفرج، والمشهور أن نور الدين جده. وقال فيه العارف عبد الغني النابلسي:

قل ما تشاء عن جلق وانسب لها ولا حرج
فالخير واليمن بها وبابها باب الفرج

ثم وجدت مكتوباً على هذا الباب: أنه أمر بتجديده سنة ٤٨٩ هـ في رمضان
الملك أبو بكر بن أيوب نصير ومساعد أمير المؤمنين.

باب السرايا: في غربي دمشق هدم سنة ١٨٦٢م عند صدور القرار في إصلاح
الطرق.

باب الجابية: رمم سنة ٥١٠ هـ وسمي باب الجابية ، لأن سكانها يدخلون
دمشق منه ، وهي قرية من قرى البلقاء وهوران ، وكانت في الجاهلية مدينة
عظيمة .

باب النصر: ويعرف باب السعادة، وكان بناؤه مجدداً وكان موقعه في مدخل
سوق الحميدية .

باب الشاغور: ويسمى باب الصغير: مما يلي المقبرة التي سميت باسمه .

الباب الشرقي: وهو من عهد الرومان .

باب كيسان: منسوب إلى كيسان مولى معاوية ، جدد في زمن الملك
المنصور الصالحى .

(منتخبات التواريخ لدمشق ٢٩ - ٣٠) .

باب البريد: نسبة إلى بريد بن سعيد . (المنتخبات ص ٢٥) .

باب جيرون: ينسب إلى جيرون بن سعد بن عاد ، واشتهر هذا الباب
بضخامته وروعته ، وهو باب الجامع الأموي الشرقي .

(خطط الشام لمحمد كرد علي ص ١٢٣) .

وانظر عن باب جيرون: (قرة العيون في أخبار جيرون لابن طولون) تحقيق
د. صلاح الدين المنجد .

الأتابك: أتاك يتألف من لفظين وهما أطا بمعنى أب ، وبك بمعنى أمير ،
وأصله أن السلاطين السلاجقة منذ أيام ملك ابن ألب أرسلان (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ)
كانوا يطلقون لفظ أتاك على كبير أمرائهم ، ويولونه الوصاية والرعاية من بعدهم
على سلطان أو أمير قاصر صغير . وكثيراً ما تزوج الأتابك من أم الموصى به ،
فتصبح العلاقة بين السلطان ووصيه شبه أبويه ، ثم أطلق هذا اللقب في أيام

المماليك بمصر على مقدم العساكر والقائد العام على اعتبار أنه أبو العساكر
والأمراء جميعاً ، وكان يسمى أتاك العساكر .
(دمشق في العهد الأيوبي ص ١٤٦ نقلاً عن كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك).

الإخصاصية: هي محلة الدرويشية، وجامع درويش باشا في محلة
الإخصاصية، ثم تغلب اسم الدرويشية على الإخصاصية.
(إعلام الوري ص ٨٠).

إرم ذات العماد: اسم من أسماء دمشق، ويقال: إنه كان بها أربع مئة ألف
عامود من الحجارة الضخمة، وقد عثر على بعض تلك العواميد في أول القرن
العشرين تحت الأرض، فظهرت على شكل شارع مستقيم تكتنفه العواميد من
الجانبين، وذلك لما احترق الجامع الأموي سنة ١٣١١ هـ فأخذ بعضها لعمارته .
(المنتخبات لتواريخ دمشق ص ٢٤).

الاستدار: وظيفة التحدث في أمور بيوت السلطان كلها من المطابخ
والشراب . . .
(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٢١).

إقامة الجمعة خارج دمشق في أكثر من مسجد: قال الإمام الذهبي: وفي سنة
٦٣١ هـ أقيمت الجمعة بمسجد جراح بالشاغور (وهو خارج سور دمشق).
(تاريخ الإسلام للذهبي حوادث سنة ٦٣١ ص ٩).

إقامة الجمعة داخل دمشق في أكثر من مسجد وكذلك في ضواحي دمشق:

قال ابن قاضي شهبة في حوادث سنة ٧٤١ هـ: وقد جُدد في هذا القرن داخل
دمشق جمعة، ولم يقع ذلك منذ فتحت وإلى الآن، وجدد في ضواحيها جمع
كثيرة، فمن ذلك بجامع الأخرم في سنة ٧٠٧ هـ وبجامع تنكز سنة ٧١٨ هـ وبجامع
كريم الدين سنة ٧١٨ أيضاً، وبجامع القعاطلة في السنة المذكورة، وبمسجد القصب
سنة ٧٢١ هـ وبمسجد القابون سنة ٧٢١ هـ، وبالشامية البرانية سنة ٧٣٢ هـ،
وبالخاتونية البرانية في سنة ٧٣١ هـ وبجامع خيلخان في سنة ٧٣٦ هـ ومواقع أخر .
(تاريخ ابن قاضي شهبة ١٢٤/٢).

وقال ابن كثير وابن قاضي شهبة في حوادث سنة ٧٦٥ هـ: وفي ذي القعدة
جددت خطبة ثانية داخل سور دمشق. قال ابن كثير: ولم يتفق ذلك منذ فتوح

الشام إلى الآن في مسجد داخل باب كيسان ، وسعه النائب وجدده وساق إليه الماء وجعله جامعاً وعين لخطابته الشيخ صدر الدين .
(تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٢٤٥ ، البداية والنهاية ١٤/ ٣٢٣).

الفاظ تركية تستعمل في الأدوات العثمانية والمجتمعات العامة والخاصة :

الأفندي: عبارة تدل على شخص محترم غير عسكري ، تعرفه السجلات في المحاكم الشرعية بأنه: يشغل مركزاً رسمياً في الحكومة العثمانية أو يشغل وظيفة دينية كالمفتي أو تعليمية غير حكومية . وهذا اللقب يميز الطبقات العليا والوسطى عن الطبقة العاملة .

الآغا: وظيفة اختصاصية عثمانية إدارية وعسكرية ، لقد كان لقب آغا موروثاً في أسماء القادة الأكراد العسكريين والاجتماعيين .

الخاتون: امرأة مسنة محترمة متزوجة لها أولاد .

الكدك: حق استعمال واستئجار عقار معين وخاصة الوقف لغرض إنتاجي أو تجاري محدد .

مشد سكة: عبارة تطلق على بيع الحيوانات والآلات الزراعية .

الأسطة: في الحمام: هي امرأة تغسل رأس النساء .

بلانة: من تخرج الأوساخ من أبدان النساء بنحو كيس أو ليفة وصابون في الحمام .

داية: هي القابلة .

الرسام: اسم لمن يرسم القماش المنسوج .

لظامة: هي المرأة التي تستأجر للطم وجهها حزناً على الميت ، وكان عدد النساء اللطامات اللاتي يستأجرن لهذه الغاية ما بين ٤ - ١٠ ، يلبسن الثياب السود ، ويسخنن وجوههن وأيديهن بمسحوق الفحم ، ويحللن شعورهن على أكتافهن ويدرن بأطراف الدار ، وهن كالرئيس وأهل الميت حولهن كالتلاميذ ، فيأخذون بالولاوليل والبكاء والصراخ ويعددن صفات الميت .

الياورلية أو الأغوات: الحاميات المحلية لأبواب مدينة دمشق .

وكان حي الميدان معقل الياورلية ، وكذلك الشاغور والصالحية .

وكان الأغوات الياورلية يجندون الأعوان من أحيائهم السكنية ، وأصبح العضوية شيئاً وراثياً ، وفي القرن الثالث عشر الهجري أصبحت هذه الحاميات مقرات عسكرية محلية لها وسائلها المستقلة من أجل العمل السياسي .

وقد انضم كثير من الأغوات إلى الطرق الصوفية ، وإلى نقابات التجار والحرفيين ، ففي الميدان أصبح كثير منهم من كبار تجار القمح مثل عبد الله آغا سكر .

وكذلك في الصالحية جاء كثير من المهاجرين الأكراد فانخرطوا في خدمة الياورلية الأغوات .

الأقجة: وزن متعامل به في الدولة العثمانية ، وكانت قيمة الأقجة في الفترة الأولى للحكم العثماني للشام تتراوح بين الثلث والربع للدرهم العادي ، كما أصبحت في فترة لاحقة تساوي ثلث بارة ، مع العلم بأن كل ٤٠ بارة كانت تساوي قرشاً واحداً .

القايي قول: هم انكشارية الدولة يقيمون في قلعة دمشق .

الانكشارية اليرلية أو المحلية: هم من أهالي دمشق ، وأقاموا في حي الميدان وبعضهم سكن الصالحية وسوق ساروجة .

الدفتردار: المحاسب أو المسؤول عن الأمور المالية .

الصليان: ضريبة عن الدكاكين والمخازن والمغالتق فرضها عبد الرؤوف باشا والي الشام .

ماشطة: هي الداية (القابلة) يطلق عليها هذا اللقب في وقت خاص هو ليلة زفاف الزوجة إلى بعلها ، وكانت العادة أن كل بنت تزوجت تأتي دايتها معها ليلة زفافها ، وهي التي تمشطها وتلبسها ثيابها وتزينها .

مهتار: رجل يستخدم عند المقوم حين موسم الحج ، ووظيفته القيام على خيم الحجاج الموجودين عند المقوم .

مقوم: هو من يتعهد نقل الحجاج إلى الحرمين الشريفين .

لالا: هو مربّي أولاد الوزراء والأمراء والكبراء .

سوق الدقاين: في رأس البزورية ، وقد أزيل منذ سنوات بعيدة وصار مكانه

قهوة ، وسبب إزالته أن الجيران تضجرت من كثرة دق الأقمشة .

أوجاق الينكجريان: يعني العسكر الجديد (سلك الدرر ١/٥٣).

الألاجة: نوع من الأقمشة (هامش سلك الدرر ١/١٣٢).

قارشناكم: يعني تداخلنا في أموركم ، وكلمة قارشمازيدك جعلها المصريون والشاميون معربة وتصرفوا فيها من باب المداخللة (حاشية سلك الدرر ١/٥٧).

الإيلجية: جمع الجي وإيلجي ، تركي الأصل ، ومعناه السفير أو الرسول (ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٩٤).

الجمعات: ١٠١ أرطة.

البلك: ٦١ أرطة.

السجمان: ٣٤ أرطة.

الإنكشارية: انتمت قوى الإنكشارية في الشام إلى الجمعات (١٠١ أرطة) (الأرطة = ١٠٠ جندي).

إذن نامه: قرار.

القاضي في دمشق هو في المرتبة الثامنة.

السرदार: آغا القابوقول.

الشهبندر: نقيب التجار.

مكتوبجي وكيخيا: أمين عام.

ألای بك: قائد درك.

الدفتردار: نصت المادة السابعة من قانون الولايات على أن: (الشؤون المالية ومحاسبة الولاية تناط بموظف مالي يحمل لقب دفتردار ، ويمثل السلطة المركزية العليا في كل ما له علاقة بمالية الولاية ، وهو موضوع تحت أمر الوالي ، ولكنه يرتبط مباشرة بوزير المالية. وينوب عنه المحاسب ، وممثله في القضاء مدير المال) وكان الدفتردار عضواً في مجلس إدارة الولاية ، كما كان المحاسب عضواً في مجلس إدارة اللواء ، ومدير المال عضواً في مجلس إدارة القضاء وتضم دائرة الدفتردار عدداً من الموظفين والجبابة يقومون بجباية الضرائب وأهمها:

الويركو: ضريبة فرضت بعد عام ١٨٨٦م على الأرض الزراعية بنسبة ٤ و٠٪ وعلى الأبنية التي تقل قيمتها عن ٢٠ ألف ليرة بنسبة ٥ و٠٪ فإذا زادت قيمتها ارتفعت نسبة الضريبة ، وقد دعت هذه الضرائب على الأبنية بالمسقات.

العشر: ضريبة على الإنتاج الزراعي تجبى بالالتزام بنسبة ١٠٪ ثم رفعت إلى ١٢ و٥٪.

الكودة أو الأغنام: ضريبة جبت على أساس ١٥٥ قرش على الرأس الواحد بالنسبة للغنم ، ثم زيدت حتى وصلت إلى خمسة قروش ، وفرضت على الجمال أكثر من ضعف هذه الضريبة.

التمتع: ضريبة فرضت على المهن والصناعة والتجارة تراوحت بين ٢ إلى ١٠٪.

سالنامه: سال: سنة. نامه: ورقة.

وهي تحوي إحصائيات سنوية مالية وأسماء موظفي الولاية ، وبعض المعلومات التاريخية والجغرافية والسياسية والاجتماعية للولاية. (من كتاب سورية في القرن التاسع عشر ص ٤٤ وما بعدها).

الوالي: حاكم الولاية ، يلقب بالباشا ، ويحمل رتبة الوزارة ويخاطب بالدستور المكرم والمشير المفخم.

المتصرف: ممثل الوالي في اللواء (قسمت كل ولاية إلى عدد من الألوية).

القضاء: هو قسم من اللواء يديره قائم مقام.

الناحية: قسم من القضاء يديره مدير للناحية.

مجلس إدارة: يضم كبار الموظفين وعدداً ممثلاً ينتخبهم الأهالي ، وتمتع المجلس في أول عهده بسلطات قضائية سحبت منه بعد تشكيل المحاكم النظامية ، واقتصرت مهمته على الإشراف على الشؤون العامة وسير الإدارة والجباية ، كما شكل من أعضائه مجلس تأديبي لصغار الموظفين برئاسة القاضي.

المحاكم الشرعية: نظمت المحاكم الشرعية عام ١٨٦٦م وحددت صلاحيتها بعد عام ١٨٧٧م ومنعت من سماع القضايا الجنائية ثم الحقوقية ، واقتصرت

ولايتها على أمور الأوقاف والتركات والزواج والطلاق والنفقة .

باش كاتب : رئيس كتاب .

كاتب عدل : مسجل الصكوك .

المحاكم التجارية : شكلت عام ١٨٦٠م .

المجلس البلدي : صدر عام ١٨٧٥م قانون انتخاب المجالس البلدية .

بشنجي أوردو : الجيش الخامس . وهو القوة من الجيش المخصص لسورية .
ثم غير اسمها إلى الجيش الرابع ، وضم هذا الجيش فرق المشاة ١٧ - ٢٠ وفرقة
الخيالة الخامسة ، وتألقت كل فرقة عادة من لوائين وضم كل لواء أربعة أليات
وكل ألي ستة عشر طابوراً أحدها من القناصة ، أما فرقة الخيالة فقد ضمت
ثلاثة ألوية .

(من كتاب سورية في القرن التاسع عشر) .

* * *

- مدير مكتب الوالي الخاص : الكاهية ، الكتخدا ، الكيخية .

- كاتب الرسائل : المكتوبجي .

- حامل الأختام : مهردار .

- أمين الصندوق : الخزانة دار .

- حامل السلاح : السلاحدار .

- التشريفاتي : احتشامات أغاسي .

- رئيس الاصطبل : ميراخور .

- الحاجب : قبولر أغاسي : أغا البوابين .

- المتسلم : نائب الوالي في حالة مرضه أو غيابه .

- أمير اللواء : السنجق (وهو حاكم إداري زمن السلم ، وقائد لجند سنجقه
في الحرب ، وله علم وطبل ، كما منح لقب سنجق بك) .

- أمير ألي : مساعد أمير اللواء من الجاوشية . ومنح أمير الألي علماً وطبلاً

وعهد إليه بالإشراف على جمع الفرسان الإقطاعيين زمن الحرب ، ويشرف على أعمال السوباشي .

- السوباشي: كبير موظفي الأمن في اللواء (مدير الشرطة) والمنفذ لأحكام القضاء وأوامر المحتسب .

- ساليانه: رواتب سنوية .

- الدفتردار: مدير الخزانة .

- أعمال الإنكشارية: قائد القوات العسكرية .

- الميري: مبلغ صغير حددته الولاية في نفقات الإدارة المركزية .

- قابوقول: تمركزت قوة قابوقول دمشق في القلعة وسوق ساروجة ، واستقلت عن الوالي في بعض الأحيان .

- يرلي: إنكشارية محلية (جند محلي) (عسكرية) .

- زعامة: معاش مقداره من عشرين ألفاً إلى مائة ألف .

- خاص: معاش أكثر من مائة ألف .

- تمار: معاش أقل من عشرين ألفاً .

- أرطة: مائة جندي .

- الجيش النظامي الإنكشاري: ١٦٥ إلى ١٦٦ أرطة عاملة و٥٩ أرطة احتياط .

- الشوربجي: قائد أرطة .

- يازجي: كاتب .

- بيرقدار: حامل العلم .

- وكيل خرج: محاسب .

- الإنكشارية: قسمت قوة الإنكشارية في القرن التاسع عشر الميلادي إلى

ثلاث مجموعات رئيسية هي: الجمعات (١٠١ أرطة) والبلك (٦١ أرطة) و(السجمان ٣٤ أرطة) .

(من كتاب سورية في القرن التاسع عشر) .

الإماجات: جمع إماج وهو الهدف الذي يرمى إليه السهم (ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٧٧).

إمارة الحج الشامي: كانت إمارتها مرتبطة بوالي دمشق ، ثم انفصلت عن الوالي ، وأفردت بأمر خاص في عهد الوالي صبحي باشا ، وأول من تقلدها محمود باشا أجليقيين من ممتازي أكراد دمشق وكان قد تقدم الشيخ أبو المواهب محمد بن عبد الباقي الحنبلي للدولة العثمانية في رفع إمارة الحج عن ولاية دمشق ، ويكون دفع مخصصاتها من دار السلطنة وذلك في سنة ١٢١٢ هـ وبذلك رفعت المغارم التي كانت تجبى من الناس باسم تحضير الحج الشامي .
المنتخبات لتواريخ دمشق ١/ ٢٧٠ ، ٢/ ٦٨٩).

الأمثال:

مقال أمثال العوام في الشهور وفصول العام لأنطون جميل .
نشر في مجلة المشرق ٨/ ٦٦٤ ، ٦٨٧ ، ٨٢٥ .

انتشار الطريقة الشاذلية بدمشق:

ذكر المرادي في ترجمة الشيخ محمد بن أحمد المزطاري المغربي المكناسي الشاذلي المالكي: شيخ الطريقة الشاذلية أخذها عن شيخه صاحب الكرامات قاسم بن أحمد القرشي السفياني المدعو بابن بلوشة ، قدم المترجم دمشق ، وأخذ عنه بها الطريق محمد بن خليل العجلوني ، وكتب له بذلك إجازة مطولة ، وكان يقول: جئت من المغرب لأعمر ديارك ، وأخذ أيضاً الشيخ عبد الرزاق بن عبد الرحمن السفرجلاني ومن ذلك الوقت اشتهرت الطريقة الشاذلية بدمشق وكثر أتباعها والآخذون لها ، ثم إن المترجم رحل من دمشق إلى مكة المكرمة وتوفي بها في محرم الحرام سنة ١١٠٧ هـ عن ثلاث وستين سنة .

(سلك الدرر ٤/ ٣٣)

الأندر: هو البيدر جمع أنادر، وينسب إليه مسجد عند طرف أندر بن أبي عقيل بناه أبو عامر الآجري .

(الأعلاق الخطيرة ١/ ١٤٤).

الأوزاع: هي العقيبة الكبرى ، والعقيبة الصغرى قرب جامع الجوزة .
(غوطة دمشق ص ١٦٢).

أول مقبرة للمسلمين بدمشق:

قال الحافظ ابن عساكر: عن سعيد بن عبد العزيز الدمشقي ، وغيره في أول مقبرة دفن المسلمون فيها بدمشق: أن المسلمين يومئذ نشبوا القتال من تلك الناحية يعني من ناحية الباب الشرقي يوم نزولهم على دمشق ، فقتل ناس من المسلمين فدفنوا في مقبرة باب توما ، فهي أول مقبرة بدمشق للمسلمين .

أول شرطي بدمشق:

هو حميد بن حريث من وجوه أهل دمشق وفرسان قحطان ، وهو رئيس شرطة يزيد بن معاوية ، وهو أول شرطي تولى هذه الوظيفة بدمشق .
(منتخبات التواريخ لدمشق ص ٨٨) .

أول تعيين للقضاء على المذاهب الأربعة:

ذكر ابن طولون نقلاً عن ابن قاضي شهبة: في سنة ٦٠٤ هـ فيما استجد بدمشق أربعة قضاة كما فعل في العام الماضي بمصر ، لكل مذهب قاض .
(قضاة دمشق ص ١٨٧ ، ٢٤٣ ، ٢٧٣) .

أول مسجد بدمشق:

ذكر الإمام يوسف ابن عبد الهادي: مسجد خالد في مقبرة باب توما صلى فيه خالد وقت الحصار ، وهو أول مسجد صلى فيه بدمشق .
(ثمار المقاصد في ذكر المساجد ص ١٦٠) .

أول قاضي تركي لدمشق في الدولة العثمانية:

ذكر النجم الغزي في ترجمة القاضي محمد بن محمد الفناري الرومي الحنفي أول قضاة القضاة بدمشق من الدولة العثمانية، كان عالماً وفي قضاة محمود السيرة مرضي الطريقة، مات سنة ٩٢٦ هـ وهو قاض بحلب .
(الكواكب السائرة ١/٢١) .

أول المطابع بدمشق في العهد العثماني:

تأسست مطبعة لولاية سورية في العهد العثماني عام ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤ م لطبع جريدة سورية الرسمية بالعربية والتركية ، وعهد بإدارتها خلال السنة الأولى لخليل الخوري ، وتوجد بدمشق مطبعتان حجرتان رسميتان واحدة عسكرية

والأخرى مدنية تطبعان الروزنامات واللوائح العسكرية ، وقد ضمتا فيما بعد لمطبعة الولاية .

ووجدت مطبعة واحدة خاصة بدمشق أسسها حنا الروماني سماها مطبعة دمشق سنة ١٨٥٥م وأحضر أدواتها من أوروبا ثم باعها إلى سليم المدور الذي باعها بدوره إلى حنا حداد ، وآلت ملكيتها أخيراً عام ١٨٨٢م إلى محمد الحنفي ، الذي أضاف إليها حروف المطبعة الوطنية البيروتية ، واقتصر في عهدها الأول على نشر الكرايس الدينية .

(كتاب سورية في القرن التاسع عشر ص ١٧٨ ، ١٨٢).

الأوائل :

قال الحافظ السيوطي^(١) في كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل :

- أخرج ابن عساكر عن كعب الأحبار قال :

أول حائط وضع على وجه الأرض بعد الطوفان حائط حرّان^(٢) ودمشق ، ثم

بابل .

قال^(٣) وأخرج عن حُصين بن عبد الرحمن السلمي قال :

لما هبط نوحٌ من السفينة وأشرف من جبل حسمى رأى تل حران ، فأتى حرّان فخطّها ، ثم أتى دمشق فخطّها فكانت حران أول مدينة خطت بعد الطوفان ، ثم دمشق .

قال^(٤) وأخرج ابن عساكر :

أول من أحدث أذان اثنين معاً بنو أمية :

وأول ما زيد : «الصلاة والسلام» بعد كل أذان المنارة في زمن السلطان المنصور حاجي بن الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن المنصور ،

(١) الوسائل إلى معرفة الأوائل ص ٢٨ .

(٢) مدينة عظيمة مشهورة ، وهي قصبة مضر بينها وبين الرها يوم ، و بينها وبين الرقة يومان ، وهي على طريق الموصل والشام والروم (معجم البلدان ٣/٢٤١) .

(٣) الوسائل ص ٢٨ .

(٤) الوسائل ص ٤٦ .

بأمر المحتسب نجم الدين الطنبذي ، وذلك في شعبان سنة إحدى وتسعين وسبع مئة .

وكان حدث قبل ذلك في أيام السلطان صلاح الدين بن أيوب أن يقال قبل أذان الفجر في كل ليلة بمصر والشام: «السلام على رسول الله» واستمر ذلك إلى سنة سبع وستين وسبع مئة ، فزيد بأمر المحتسب صلاح الدين البرلسي أن يقال: «الصلاة والسلام عليك يا رسول الله» ثم جعل في عقب كل أذان سنة إحدى وتسعين وسبع مئة .

قال^(١): وقال ابن سعد:

أول من أمر المؤذن أن يُشعره ويناديه فيقول: السلام على أمير المؤمنين - يرحمك الله - معاوية بن أبي سفيان. قال ابن عبد البر: وقيل: إن المغيرة بن شعبة أول من فعل ذلك. قال: والأول أصح.

قال^(٢) وفي «الأغاني»:

أول من قرأ في آخر الخطبة ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل: ٩٠] عمر بن عبد العزيز ، ولزمها الخطباء إلى عصرنا هذا ، وكان النبي ﷺ يقرأ ﴿ ق ﴾ وكان عمر بن الخطاب يقرأ ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ إلى قوله: ﴿ مَا أَحْضَرْتَ ﴾ وكان عثمان بن عفان يقرأ آخر سورة النساء ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ [النساء: ١٧٦] ، وكان علي بن أبي طالب يقرأ: الكافرون والإخلاص. ذكر ذلك ابن الصلاح في «فوائد رحلته».

قال^(٣): وأخرج ابن عساكر ، عن يحيى بن حمزة قال:

أول رجل رأيته يلبس السواد عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، عم السفاح أمير دمشق.

قال^(٤):

(١) الوسائل ص ٥١ .

(٢) الوسائل ص ٦٣ .

(٣) الوسائل: ص ١٤٦ .

(٤) الوسائل: ص ١٦٤ .

أول من لُقّب الملك الأشرف: موسى بن العادل، ذكره الحافظ ابن حجر في كتابه «نزهة الألباب في الألقاب».

قال: وأول من لقب الملك الصالح: طلائع بن رزيك وزير الفاطميين، ثم الصالح إسماعيل بن نور الدين الشهيد.

قال^(١):

أول الأمراء على الشام أبو عبيدة بن الجراح.

قال^(٢):

أول قاضي بالشام أبو الدرداء.

قال^(٣): أول من أحدث دراسة القرآن في جامع دمشق في السَّبْع: هشام بن إسماعيل المخزومي. أخرجه ابن عساكر من طريق الأوزاعي، عن خالد بن معدان.

وقال ابن عساكر^(٤): قال ابن الأكفاني: مُدرك بن زياد الفزاري: أحد أصحاب رسول ﷺ ورحمة الله عليه قبره بقريّة بقرية (الست زينب) من طريق غوطة دمشق. قال: وهو أول صحابي توفي بظاهر دمشق.

الأواخر:

قال^(٥) ابن اللبودي في النجوم الزواهر في معرفة الأواخر:

آخر من كان بينه وبين النبي ﷺ تسعة رجال ثقّات بالسماع المتصل شيخ شيوخنا صلاح الدين أبو عبد الله وأبو عمر محمد بن تقي الدين أبي العباس أحمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن أبي محمد عبد الله ابن الشيخ القدوة أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر بن فتح بن حدث بن محمد بن يعقوب بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن حسين بن محمد بن

(١) الوسائل: ص ١٩٠.

(٢) الوسائل: ص ١٩٦.

(٣) الوسائل: ص ٢٠٦.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٤٢٠، ٤٢١.

(٥) النجوم الزواهر ص ٤٩.

سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، النابلسي الأصل ثم المقدسي ، الصالحي الحنبلي .

مولده سنة أربع وثمانين وست مئة بسفح قاسيون ظاهر دمشق ، وقيل : قبل ذلك ، وتوفي يوم السبت الرابع عشر من شوال سنة ثمانين وسبع مئة ، ودفن يوم الأحد بتربة جده الشيخ أبي عمر بسفح قاسيون^(١) .

وقال أيضاً^(٢) :

آخر من كان بينه وبين النبي ﷺ ثمانية رجال ثقات بالسماع المتّصل : فخر الدين أبو الحسن علي بن شمس الدين أبي العباس أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور الأنصاري السعدي المقدسي الصالحي الشهير بابن البخاري .

ولد في آخر سنة خمس وتسعين أو أول سنة تسع وتسعين وخمس مئة ، وتوفي ثاني ربيع الآخر سنة تسعين وست مئة .

وقال أيضاً :

آخر من كان بينه وبين النبي ﷺ ثلاثة رجال : [محدث الشام] الحافظ أبو الحسن أحمد^(٣) بن عمير بن يوسف بن موسى بن جَوْصا الدمشقي . توفي سنة عشرين وثلاث مئة .

وقال أيضاً^(٤) :

آخر الصحابة موتاً بالشام - فيما قاله يحيى بن بكر ، والأحوص بن حكيم ، وابن المدني ، والفلاس ، وابن حبان وابن قانع وابن عبد البر^(٥) وغيرهم - : عبد الله بن بُسر المازني ، كنيته أبو بُسر ، وقيل : أبو صفوان ، مات سنة ثمان وثمانين ، قاله الواقدي وجماعة^(٦) .

(١) الدرر الكامنة ٣/٣٠٤ .

(٢) النجوم الزواهر ص ٤٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥/١٥ .

(٤) النجوم الزواهر ص ٦١ .

(٥) الاستيعاب ٣/٨٧٤ .

(٦) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ١٧/١٦١ .

وقيل: إن آخر الصحابة موتاً بالشام: عتبة بن عبد السلمي^(١) - قاله الواقدي - وهو عتبة بن النُدْر غير عتبة بن عبد. قال ابن عبد البر^(٢): وليس ذلك بشيء. مات عتبة سنة سبع وثمانين. وهو ابن أربع وتسعين سنة.

وقيل: آخر الصحابة موتاً بالشام: أبو أمامة الباهلي^(٣): واسمه صُدَيّ بن عجلان بن عمرو بن عَنَم بن عُمير بن وهب بن رياح بن الحارث بن مَعْن بن مالك. هذا القول جزم به أبو عبد الله بن مندة، وروي عن الحسن البصري وسفيان بن عيينة. والصحيح الأول.

سكن أبو أمامة مصر، ثم انتقل إلى حمص فسكنها، ومات بها سنة إحدى وثمانين وقيل: سنة ست وثمانين. وعاش إحدى وتسعين سنة رضي الله عنه.

وقال أيضاً^(٤):

آخر الصحابة موتاً بدمشق - فيما قاله قتادة ودُحيم وأبو زكريا بن منده - : وائلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن غبيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن علي بن كنانة، وقيل: هو وائلة بن الأسقع بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر. قال ابن عبد البر^(٥): والأول أكثر وأصح إن شاء الله تعالى. نزل البصرة، وله بها دار فيما يقال، ثم سكن الشام، وكان منزله على ثلاثة فراسخ من دمشق بقرية يقال لها البلاط. ومات سنة خمس وثمانية، وقيل: ثلاث، وقيل: ست، وقيل: مات ببيت المقدس، قاله أبو حاتم الرازي^(٦) وغيره. وقيل: مات بحمص. قاله ابن قانع.

(١) قال ابن عساکر: له صحبة، قيل: إنه سكن دمشق وروى عن النبي ﷺ حديثين (تاريخ دمشق ٢٨٦/٣٨).

(٢) الاستيعاب ١٠٣٢/٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/٣٥٩ وتاريخ دمشق لابن عساکر ٥٠/٢٤.

(٤) النجوم الزواهر ص ٦٢ وتاريخ دمشق لابن عساکر ٣٤٣/٦٢ صاحب رسول الله ﷺ من أهل الصفة شهد فتح دمشق وسكنها إلى أن توفي بها.

(٥) الاستيعاب ١٥٦٤/٤.

(٦) الجرح والتعديل ٤٧/٩.

وقال أيضاً^(١):

آخر الصحابة موتاً بفلسطين: - فيما قاله أبو زكريا بن منده - عبد الله بن أم حرام ، وهو أبو أبي عبد الله بن عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنيم بن النجّار ، وبعضهم يقول فيه: عبد الله أبي . قال ابن عبد البر^(٢): وهو خطأ من قائله ، وإنما هو أبو أبي . انتهى .

وهو ابن امرأة عبادة بن الصامت .

وقيل: إنه مات ببيت المقدس ، ذكره ابن سميع . وقيل: بدمشق . قال الحافظ أبو طاهر السلفي: وقبره الآن ظاهر دمشق يُزار بباب الصغير ويتبرك به ، أ هـ .

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين: وقد رأيت نصيبته على قبره بمقبرة الباب الصغير^(٣) من دمشق خارج الحظيرة - يعني - التي فيها معاوية بن أبي سفيان ، وفضالة بن عبيد ، ووائلة بن الأسقع ، وسهل بن الحنظلية ، وأوس بن أوس رضي الله عنهم . مكتوب عليها بالخط الكوفي: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا قبر عبد الله بن أم حرام ، يكنى أبا البراء ابن امرأة عبادة بن الصامت رحمه الله . انتهى .

قال ابن اللبودي: وقد رأيت ذلك كما ذكره ابن ناصر الدين .

فإن كان ابن أم حرام مات بدمشق ، فأخر الصحابة موتاً بفلسطين: قيس بن سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة الأنصاري الخزرجي . فقد ذكر أبو الشيخ في «تاريخه» عن بعض ولد سعد أن قيس بن سعد توفي بفلسطين سنة خمس وثمانين في ولاية عبد الملك . والمشهور أنه توفي بالمدينة سنة ستين ، وقيل: سنة تسع وخمسين في آخر ولاية معاوية . وكان من الأجواد المشهورين .

وكان سِنَاطاً لا لِحْيَةَ له ، وكذلك كان عبد الله بن الزبير ، وشريح القاضي ، وكانت الأنصار تقول: لَوَدِنَا أَنْ نَشْتَرِيَ لَقَيْسَ بْنَ سَعْدٍ لِحْيَةَ بِأَمْوَالِنَا ، وكان مع ذلك جميلاً طَوَالاً ، وكان من دهاة الصحابة . قال عمرو بن دينار: قال قيس بن

(١) النجوم الزواهر ص ٦٣ .

(٢) الاستيعاب ٣/ ٨٩١ .

(٣) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٢٠ .

سعد: لولا الإسلام لمكرت مكرأ ما تُطيقه العرب .

وقال ابن اللبودي أيضاً^(١):

آخر الخلفاء من بني أمية: مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعدي ،
قُتل ببوصير من أرض مصر سنة اثنتين وثلاثين ومئة .

وقال أيضاً^(٢):

آخر ملوك دمشق من بني أيوب الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد
ابن الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين بن أيوب . قتله هولاء سنة
تسع وخمسين وست مئة .

وقال أيضاً^(٣):

آخر ملوك البلاد المشرقية من بني أيوب الملك الكامل محمد ابن الملك
المظفر غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، حاصره التتار في ميًا فارقين
عامين وقتلوه وبعثوا برأسه إلى الشام فطيف به وذلك في سنة ثمان وخمسين
وست مئة .

وقال أيضاً^(٤):

آخر شيء حدث به من الأجزاء أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم
نعمة بن الحسن بن علي بن بيان الدَيْرْمُقَرَّني الدمشقي المعروف بالحجار . فيما
قاله ابن ناصر الدين في كتابه «الانتصار لسماح الحجار» :- «الأمالي والقراءة»
لابن عفان ، و«مسند عمر رضي الله عنه» للنجاد ، و«حكايات إبراهيم بن أدهم»
رحمة الله عليه .

وكانت وفاة الحجار بين الظهر والعصر من يوم الإثنين خامس عشرين صفر
سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودفن من الغد بسفح قاسيون^(٥) .

(١) النجوم الزواهر ص ٨٨ والمختصر لأبي الفداء ٢١١/٣ .

(٢) النجوم الزواهر ص ٩٨ والمختصر لأبي الفداء ٢٠٣/٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٩٩ .

(٤) النجوم الزواهر ص ١٣٤ .

(٥) الدرر الكامنة ١/١٤٢ .

وقال أيضاً^(١):

آخر شيء حدث به من المسموعات الحافظ أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن خليل بن عبد الله بن محمود بن يوسف بن تمام الزبيدي السَّمَوَالِي البعلبكي ثم الدمشقي المعروف بابن الشرائحي . - فيما قاله تلميذه - : «صحيح مسلم» .

وكانت وفاة ابن الشرائحي سنة تسع عشرة وثمان مئة^(٢) .

وقال أيضاً^(٣):

آخر ما صنّفه الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله تعالى: «كتاب تكميل الإنصاف والعدل بتعجيل الإسعاف بالعزل» و«كتاب ذكر ما وجدت في سماعي مما يلتحق بالجزء الرباعي» كذا رأيت في فهرس مصنفاته .

وكانت وفاته في ليلة الإثنين الحادي عشر من رجب سنة إحدى وسبعين وخمس مئة .

وقال أيضاً^(٤):

آخر من قضى بالشام من الأوزاعية أتباع الإمام أبي عمرو الأوزاعي: القاضي أبو العباس أحمد بن سليمان بن أيوب بن سليمان بن داود بن عبد الله بن حذلم الأسدي .

وكانت وفاته سنة سبع وأربعين وثلاث مئة رحمه الله تعالى .

وقال أيضاً^(٥):

آخر من روى عن أبي علي الحسن بن محمد بن الحسن بن القاسم بن درستويه: أبو القاسم الحسين بن محمد بن إبراهيم بن الحسين الدمشقي الحِجَنَائِي .

(١) النجوم الزواهر ص ١٣٥ .

(٢) الضوء اللامع ٢/٥ .

(٣) النجوم الزواهر ص ١٤٨ .

(٤) المصدر السابق ص ١٥٢ .

(٥) النجوم الزواهر ص ١٧٩ .

وقال أيضاً^(١):

آخر من روى عن الحافظ السلفي بالإجازة الخاصة: أبو عبد الله محمد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي.

وقال أيضاً^(٢):

آخر من روى عن الحافظ ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي سماعاً بدمشق: أبو محمد مكّي بن المسلم بن خلف بن علّان القيسي [الدمشقي الطيبي ت ٦٥٢ هـ]^(٣).

وقال أيضاً^(٤):

آخر من روى عن أبي حفص عمر بن كرم بن أبي الحسن الدّينوري الحمّامي: الإمام قاضي المسلمين أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي.

وقال أيضاً^(٥):

آخر من روى عن أبي عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى الزّبيدي: أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن الحسن بن علي بن بيان ابن الشحنة الحجّار الصالحي.

وقال أيضاً^(٦):

آخر من روى عن أبي حفص عمر بن محمد بن أبي سعد الكرمانبي: أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الولي بن جُبارة المرّداوي الصالحي الحريري.

(١) النجوم الزواهر ص ١٩١.

(٢) النجوم الزواهر ص ١٩٢.

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ص ١٣٧ - ١٣٨ وهو أسند من بقي بالشام في زمانه.

(٤) النجوم الزواهر ص ١٩٨.

(٥) المصدر السابق ص ١٩٩.

(٦) النجوم الزواهر ص ٢٠٠.

وقال أيضاً^(١):

آخر من روى عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن الحسن بن علي بن بيان ابن الشحنة الحجار الديرمقرني الصالحي: أم عبد الله عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسية.

وقال أيضاً^(٢):

آخر من روى عن أبي محمد عبد الله بن علي بن أحمد المقرئ سبط أبي منصور الخياط: العلامة أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكندي اللغوي.

وقال أيضاً^(٣):

آخر من روى عن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي بالإجازة: أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن البخاري المقدسي الحنبلي.

وقال أيضاً^(٤):

آخر من روى عن أبي الحسن علي بن أحمد ابن البخاري: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي المقدسي الحنبلي.

وقال أيضاً^(٥):

آخر من روى عن الحافظ أبي محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى التوني الدمياطي: أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر ابن السلار الدمشقي الصالحي الحنبلي.

وقال أيضاً^(٦):

آخر من روى عن الواعظ أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمّويه

(١) المصدر السابق ص ٢٠١.

(٢) النجوم الزواهر ص ٢٠٦.

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٧.

(٤) المصدر السابق ص ٢٠٧.

(٥) المصدر السابق ص ٢٠٩.

(٦) المصدر السابق ص ٢٠٨.

- واسمه عبد الله بن محمد بن سعد بن الحسن بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن أبي بكر الصديق القرشي التميمي البكري الشَّهْرودي البغدادي الصوفي: أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله بن يحيى بن بُنْدَار بن مَمِيل الشيرازي الدمشقي المزي.

وقال أيضاً^(١):

آخر من روى عن أبي محمد عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن حمد المطعم: أم محمد فاطمة بنت محمد بن أحمد بن المنجى التنوخية الدمشقية.

الباشا: هو حاكم لولاية من الولايات العثمانية ، وهي كلمة فارسية اختصار لكلمة باديشاه الفارسية.

(العرب والعثمانيون للدكتور عبد الكريم رافق ص ٤٤).

البايزة: لفظ مغولي ، وهو لوح صغير من ذهب مرسوم على أحد وجهيه رأس س سبع ، وهو كالوسام في عصرنا ، وكان يمنح لكبار رجال الدولة عند المغول (ولادة دمشق في عهد المماليك).

البرق: تم ربط دمشق بالمدينة المنورة بريقاً في عهد حسين ناظم باشا في سنة ١٨٩٤م.

(منتخبات التواريخ لدمشق ص ٢٧٧ ، سورية في القرن التاسع عشر ص ١٥٦).

بركة المنجدين: قال الحكيم فنديك الانكليزي رئيس أطباء بيروت سابقاً نقلاً عن كتب حكماء اليونان: إن في دمشق الشام بركة ماء بناها بعض حواربي المسيح عليه السلام ، وأنهم كانوا يغسلون بها كل مريض بأي مرض كان ويسقونه منها فيعافيه الله تعالى من مرضه.

وهي موجودة تجاه زقاق الحصرية بجادة سوق مدحت باشا وتسمى بركة المنجدين ، وقد وضع عليها حديد يقصدها الإفرنج والسواح لأجل الشرب منها تبركاً بها.

(الروضة البهية ص ٣٣).

(١) المصدر السابق ص ٢١٠.

البطيركية ونقلها من أنطاكية إلى دمشق:

قال الحافظ ابن كثير: في سنة ٧٦٧ هـ حضر عندي في يوم الثلاثاء تاسع شوال البترك بشارة الملقب بميخائيل، وأخبرني أن المطارنة بالشام بايعوه على أن جعلوه بتركاً بدمشق عوضاً عن البترك بأنطاكية، وقال: إنه في الحقيقة هو عن إنطاكية... (البداية والنهاية ١٤/٣٣٤).

البقاع العزيزي: نسبة إلى العزيز وهو الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. قال في «التعريف»: ومقر ولاية كرك نوح. وأما البقاع البعلبكي فهو نسبة إلى بعلبك لقرية منها. قال في «التعريف»: وليس له مقر ولاية.

وهاتان الولايتان منفصلتان عن بعلبك، وهما مجموعتان لحاكم غير حاكمها، والآن يتولى تلك الناحية حاكم من طرف ولاية الحكم في دمشق الشام. (سلك الدرر ١/٢١٤).

بلبل: طائر صغير من أنواع العصافير.

وبلبل كما قال المؤرخ ابن عبد الهادي: كنت مرة قد شريت أمة فسميتها (بلبل) وكانت مباركة ذبّية، فولدت لي ولدي عبد الهادي وبتاً سميتها عائشة ثم إنها - أي البنت - توفيت في طاعون سنة ٨٨٣ هـ، وأقامت عندي مدة عشر سنين لم تخرج من بيتي، حتى إن أخي عندما تزوج طلب مني أن تحضر عرسه فقلت: قولوا لها، فسئلت في ذلك، فامتنعت ووكد لها فلم تسمع، وقالت: أنا حلفت أني ما أخرج من هذا البيت إلا أن أكون ميتة.

وقد ألف الإمام المذكور رسالة في أخبارها سماها (لقط السنبل في أخبار البلبل) بخط مؤلفها بالمكتبة الظاهرية برقم ٣١٨٦ (٦٢ - ٦٩).

بناية العابد:

هي سراي عزت باشا العابد من تصميم المعمار درنده، بدئ البناء عام ١٩٠٨م وانتهى سنة ١٩١٠م وقد استعملت الحكومة التركية هذه البناية في آخر عهدها زمن الحرب منزلاً لإدارتها العسكرية، ثم استعملت مقراً للمؤتمر السوري في عهد الملك فيصل.

(منتخبات التواريخ لدمشق ٢/٨٤٩).

البنكان ، وتكتب البنكام أو البنجان: كلمة فارسية على وزن فنجان لفظاً ومعنى ، واستعمل لفظ البنكان في المصطلح الفني للساعات ذات الآلات الميكانيكية الفيزيائية ، ثم توسعوا في هذه التسمية وأطلقوها على كل آلة تقوم بضبط الوقت ، وإن لم تحوِ آلات ميكانيكية .

(علم الساعات لدهمان ص ١٦).

بوابات دمشق:

ذكر ابن طولون في حوادث سنة ٩٢٦ هـ: وفي شهر ربيع الأول همّ النائب جان بروي الغزالي في عمل بوابات خارج دمشق ، وكان قد فرغ من عمل بوابة شرقي جامع تنكز وحمامه الذي خربه في هذه الأيام وجعله بستاناً مع البيوت دائرة ، وجعل عليها جلد جاموس منها بوابة غربي الجامع المذكور متصلة بجداره القبلي ، ومنها بوابة قبلي الحمام الناصري بالقرب من بابه ، وجعل لها مرامي ، ومنها بوابة شمالي جامع يلغا وبيت الجلالة ، ومنها بوابة قبلي جامع الحاجب بسوق صاروجا ، ومنها بوابة شمالي جامع جراح متصلة بتربة يزيد وغير ذلك .
(مفاكهة الخلان ١٠٠/٢).

بنو حزام: دارهم شهيرة عند سوق الخيل (يعني البزورية اليوم) وبابها الباب العظيم الذي يفتح شرقاً ولعلها دار أسعد باشا.

(منتخبات التواريخ لدمشق).

بيت أبيات: هي غربي الصالحية ، وهي محلة طاحون الأشنان في طريق حي الأكراد من جهة مقبرة الدحداح.

(غوطة دمشق ص ٢٢٣).

البيمارستان:

انظر تاريخ البيمارستانات في الإسلام للدكتور أحمد عيسى، طبع بدمشق ١٩٣٩ م.

البيمارستان الدقاقي: كان هذا البيمارستان غربي الجامع الأموي يفصل بينهما السوق الضيق وانظر عن تجديده (ولاة دمشق في عهد المماليك ص ١٥٧).

وقال الأيوبي: قال ابن العماد في «الشذرات»: المارستان الصغير بدمشق أقدم من المارستان النوري ، وكان مكانه في قبلة مطهرة الجامع الأموي ، وأول

من عمره بيتاً وخرب رسوم المارستان فيه أبو الفضل الأحنوي ، ثم ملكه بعده أخوه البرهان الأحنوي وهو تحت المئذنة الغربية بالجامع الأموي من جهة الغرب، وينسب إلى أنه عمارة معاوية أو ابنه (دمشق في عهد الأيوبيين ص ٦٤).

البيمارستان النوري ونور الدين الشهيد:

قال ابن طولون الدمشقي: قال أبو صالح شعيب بن حرب المدائني: إني لأحسب يجاء بسفيان الثوري يوم القيامة حجة من الله على هذا الخلق، يقال لهم: لم تدركوا نبيكم فقد رأيتم سفيان ألا اقتديتم به؟ قال أبو شامة في أول «الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية»: وهكذا أقول هذان حجة على المتأخرين من الملوك والسلاطين، لله درهما من ملكين تعاقبا على حسن السيرة وجميل السريرة وهما حنفي وشافعي شفا الله بهما كل عيٍّ وظهرت بهما من خالفهما العناية فتقاربا حتى في العمر ومدة الولاية، وهذه نكتة قلّ من فطن لها ونبه عليها ولطيفة هداني الله بتوفيقه إليها، وذلك أن نور الدين الشهيد ولد سنة إحدى عشرة وخمسمائة وتوفي سنة تسع وستين وولد صلاح الدين بن أيوب سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وتوفي سنة تسع وثمانين وكان نور الدين أسن من صلاح الدين بسنة واحدة وبعض أخرى، وكلاهما لم يستكمل ستين سنة فانظر كيف اتفق أن بين وفاتهما عشرين سنة وبين مولدهما إحدى وعشرون سنة، وملك نور الدين دمشق سنة تسع وأربعين وملكها صلاح الدين سنة سبعين فبقيت دمشق في المملكة النورية عشرين سنة وفي الصلاحية تسع عشرة سنة، وهذا من عجب ما اتفق في العمر ومدة الولاية ببلدة معينة لملكين متعاقبين مع قرب الشبه بينهما في سيرتهما، والفضل للمتقدم فكان زيادة مدة نور الدين كالتنبيه على زيادة فضله ألا تراه بنى المارستانات في البلاد دون صلاح الدين ومن أعظمها البيمارستان الذي بناه بدمشق فإنه عظيم كثير الخرج جداً، بلغني أنه لم يجعله وفقاً على الفقراء وحسب، بل على كافة المسلمين من غني وفقير.

قال أبو شامة: قد وقفت على كتاب وقفه فلم أره مشعراً بذلك وإنما هذا كلام شاع على السنة العامة ليقع ما قدره الله تعالى من مزاحمة الأغنياء للفقراء فيه والله المستعان، وإنما صرح فيه بأن ما يعز وجوده من الأدوية الكبار وغيرها لا يمنع منه من احتاج إليه من الأغنياء والفقراء فخص ذلك بذلك فلا ينبغي أن يتعدى إلى غيره، لاسيما وقد صرح قبل ذلك بأنه وقف على الفقراء والمنقطعين، وقال

بعد ذلك: من جاء إليه مستوصفاً لمرضه أعطي، وروي أن نور الدين رحمه الله شرب من شراب اليمارستان فيه، وذلك موافق لقوله في كتاب الوقف: من جاء إليه مستوصفاً لمرضه أعطي، والله أعلم.

وقال ابن كثير: ومن شرط اليمارستان أنه على الفقراء والمساكين وإذا لم يوجد بعض الأدوية التي عز وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء، ومن جاء إليهم منهم فلا يمنع من شرابه. انتهى. وقال ابن حجي في «تاريخه»: إن كتاب وقف اليمارستان النوري اتصل بالقاضي كمال الدين المعري وكتب عليه به سجل جامع له ولجميع أوقاف نور الدين، وهو كتاب ضخمة، واتصل هذا الكتاب بي بشهادة ابني قاضي الكرك علي المعري، والكتاب بخط أحدهما وفيه أن الواقف الملك العادل نور الدين جعل نظره لقاضي دمشق أو لحاكم المسلمين بالشام. انتهى.

وبلغني في أصل بناء هذا اليمارستان نادرة وهي أن نور الدين وقع في أسر بعض ملوك الفرنج - خذلهم الله تعالى - فقطع على نفسه في فدائه مالاً عظيماً فشاور نور الدين أمراءه فكلُّ أشار بعدم إطلاقه لما كان من الضرر على المسلمين، وقال نور الدين: إلى الغد، ثم استخار الله تعالى وأرسل في السر يقول: أحضر المال فأحضر ثلثمائة ألف دينار فأطلقه ليلاً؛ لئلا يعلم به أصحابه، وتسلم المال فلما بلغ الفرنجي مأمته مات وبلغ نور الدين خبره فأعلم أصحابه فتعجبوا من لطف الله تعالى بالمسلمين حيث جمع لهم الحسنتين وهما الفداء وموت ذلك اللعين، فبنى نور الدين بذلك المال هذا اليمارستان ومنع المال الأمراء؛ لأنه لم يكن عن إرادتهم، وهو أحسن من اليمارستان الدقاقي بباب البريد والسيفي بالصالحية العتيقة والقيمري بالصالحية الجديدة.

(اللمعات البرقية ص ١٥).

بيوت مشاهير دمشق:

قال الصفدي في كتابه «الوافي بالوفيات» في حرف الحاء: حجاج بن غلاط بن خالد أبو كلاب ويقال له: أبو محمد وأبو عبد الله السلمي ثم النهدي، أسلم عام خيبر وهو الذي قدم مكة بفتح خيبر وأخبر به العباس سراً وأخبر قريشاً بضده علانية حتى جمع ماله بها، وخرج عنها وسكن المدينة وبنى بها مسجداً وداراً يعرفا به، ثم تحول إلى دمشق وكان له بها دار عرفت بعده بدار الخالدين وصارت بعده إلى ابنه خالد بن الحجاج، وكان خالد ابنه أمير دمشق من قبل

بعض بني أمية، وقيل: إن الحجاج نزل حمص وعقبه بها، وله بها دار تعرف بدار الخالدين واستعمل معاوية ابنه عبيد الله ونصر بن حجاج وهو أول من بعث بصدقته إلى رسول الله ﷺ من معدن بني سليم، وكانت معه يوم حنين إحدى الرايات الثلاث لبني سليم، وقيل: إنه مدفون بقالي قلا بأرض الروم وهو أبو نصر بن حجاج وخرج حجاج هذا قبل إسلامه في ركب من قومه إلى مكة، فلما جن عليه الليل كان في واد وحش مخوف فقال له أصحابه: يا أبا كلاب، قم فاتخذ لنفسك وأصحابك أماناً فقام الحجاج يطوف حولهم ويكلؤهم ويقول: أعيذ نفسي وأعيذ صحبي من كل جنبي بهذا الثقب حتى أؤوب سالمأ وركبي

فسمع قائلاً يقول: ﴿يَنْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ﴾ [الرحمن: ٢٣] الآية فلما قدم مكة خبر بذلك في نادي قومه، فقالوا له: صبات يا أبا كلاب إن هذا فيما يزعم محمد أنه نزل عليه، قال: والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء ثم أسلم وحسن إسلامه ورخص له رسول الله ﷺ أن يقول بما شاء عند أهل مكة عام خيبر من أجل ماله وولده حتى جمع ماله بها من أهل وولد، انتهى.

وقال في حرف السين: سعيد بن خالد بن عمر بن عثمان الأموي، أصله من المدينة وسكن دمشق وداره بناحية سوق القمح شمالي دكة المحتسب القديمة وله بها دور هذه أحدها، وهو صاحب الفدين قرية من عمل دمشق، انتهى.

وقال فيه: سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص أدرك النبي ﷺ وروى عنه، له بدمشق دار تعرف بدار نعيم وحمام نعيم بنواحي الديرماس، انتهى.

وقال فيه: سليمان ابن عبد الملك بن مروان وكانت داره بدمشق موضع سقاية جيرون، توفي يوم الجمعة عاشر صفر سنة ٩٩ للهجرة بمرج دابق، عرضت له سعلة وهو يخطب فنزل وهو محموم فما كانت الجمعة الأخرى حتى مات، وكان من خيار ملوك بني أمية، انتهى.

وقال في الدال: داود بن مروان بن الحكم الأموي أدرك عصر الصحابة وداره بدمشق في ناحية البزورين وكانت له دار أخرى في جيرون، وإليه تنسب الأرض المعروفة بالدوادارية في شام الأرزة من بيت لهيا، وهو الذي مر بين يدي أبي سعيد الخدري وهو يصلي فدفعه فشكاه إلى أبيه مروان، انتهى.

وقال في حرف الرءاء: رشا ابن نظيف بن ماشاء الله أبو الحسن الدمشقي المقري، قرأ بحرف ابن عامر على الحسين بن داود الداراني، وله دار موقوفة على القراء بباب الناظيفين توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة، انتهى.

وقال فيه: روح بن زنباع أبو زرعة وقيل: أبو زنباع الجدامي الفلسطيني ولأبيه صحبة، حدث عن أبيه معاوية وعبادة وكان له اختصاص بعبد الملك بن مروان لا يكاد يغيب عنه، وكان له بدمشق دار عند دار ابن النقب في طرف البزورين بالقرب من دور القرشيين والمسجد المعروف بالصور والفندق الذي يباع فيه الغسول مع ما بينه من الدور من قبله كلها كانت لأبيه زنباع، انتهى.

وقال: ذو الكلام الحميري ابن عم كعب الأحبار أدرك النبي ﷺ ولم يره وأسلم على يد جرير بن عبد الله البجلي لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، وشهد اليرموك أميراً على كردوس وكان يسكن حمص، وكان له بدمشق دار وحوانيت وشهد فتح دمشق، والصف القبلي من الحوانيت عند باب الجابية كان لذي الكلاع ووفاته سنة ٣٧ هـ قتل بصفين، انتهى.

وقال في حرف الباء الموحدة: بشر بن مروان الأموي وهو أخو عبد الملك، ولي إمرة العراق لابنه المذكور، وله دار بدمشق عند عقبة الكتان وهو أول أمير مات بالبصرة، توفي سنة خمس وسبعين من الهجرة، وقف الفرزدق على قبره ورثاه، انتهى.

(اللمعات البرقية ص ٥٦ - ٥٩).

بين النهرين: هو القسم الغربي مما يسمى في عصرنا بساحة الشهداء (المرجة) والمراد بالنهرين: بردى وفرعه المنفصل عنه المسمى عقربا.

التازيك: كان هذا اللفظ يطلق على العرب والمسلمين عامة، ثم استعمله المغول للدلالة على أهل فارس فقط.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٦٢).

التر: احتلالهم لدمشق زمن المماليك:

احتل التتر دمشق ثلاث مرات.

١ - سنة ٦٥٨ هـ (ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٣٢).

٢ - الثانية ٦٩٩ هـ (ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٥٨).

٣ - الثالثة ٨٠٣ هـ.

التذكير يوم الجمعة:

انظر «البداية والنهاية» سنة ٧٤٤ هـ.

الترام:

في سنة ١٣٢٥ هـ جاءت لدمشق شركة عثمانية ، ووضعت عجلات تسمى الترامواي ، مزخرفة في غاية الحسن على حديد ممتد بالطريق السلطاني من باب مصر الواقع في نهاية طريق الميدان المسمى بوابة الله إلى جسر نهر ثورا الواقع على ثلثي الطريق الموصل إلى ثمن الصالحية. يجرها بخار مركب على شريط نحاس ممدود على الطريق مرتفع مقدار سبعة أذرع على عواميد حديد مغروسة على الأرض ، وهذه العجلات لركوب الأهالي مخصوص. تشتغل هذه العجلات من الصباح إلى قريب نصف الليل بدون فتور بأجرة طفيفة جداً ، وبهذه العجلات ازداد رونق دمشق سيما لما تنورت عموم طرقها ليلاً بالنور الكهربائي البديع ، وقد جعل مركز لآلات هذه المهمة في المحل المسمى: التكية، الواقع فيما بين قريتي سوق وادي بردى والزبداني.

(الروضة البهية ص ٣٥ - ٣٦).

وتم فتح طريق لخط الجر والتنوير من جسر الأبيض في الصالحية إلى جامع الشيخ الأكبر وآخر إلى محلة المهاجرين ، وذلك بعهد عارف المارديني والي دمشق الذي تولاها سنة ١٣٣١ هـ.

(المنتخبات ص ٢٨٥).

وقال القاسمي: وقد احتفل اليوم الخميس ٢٤ ذي الحجة ١٣٢٤ هـ/ ٧ شباط ١٩٠٧ م بتمشية الترامواي وحضر الاحتفال الوجهاء من الأمراء كما أُخبرت ، ثم ركب كثير منهم فيه من محطته إلى منتهاه في الميدان ، وركبت معهم الموسيقى التي في مكتب الصنائع.

ومشى الترامواي رسمياً في يوم الثلاثاء ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٤ هـ/ ١٢ شباط ١٩٠٧ م من أمام العدلية إلى الصالحية ، وبقي سيره إلى الميدان متأخراً ريثما تتم بعض الشؤون، وقد مد سلك التنوير خط باب السريجة بالكهربائي.

(كتاب جمال الدين القاسمي لظافر القاسمي ص ٣٢٧).

التربة: محل للدفن الخاص الذي عليه طربال وهو القبة العظيمة.

(ولاية دمشق في العهد المملوكي ص ٤٣).

تربة الشيخ أرسلان: ذكر الشطي أن التربة المقابلة لمقامه ليس فيها من أهل السنة إلا الشيخ محمد طه المشهور بشيخ غزال.

(أعيان دمشق ص ٢٤٧).

تربة أيبك الحموي: بسفح قاسيون غربي زاوية ابن قوام ، وهذه التربة تنسب إلى عز الدين أيبك الحموي الظاهري نائب دمشق المتوفى في ٢٠ ربيع الآخر سنة ٧٠٣هـ.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٥٤).

تربة بني المنجى: تقع هذه التربة في سفح قاسيون شمالي الجامع المظفري تحت الروضة.

(البداية والنهاية ١٣/٣٤٥).

تربة تنبك: دفن فيها نائب دمشق تنبك ، وهي في حي الميدان معروفة بالتينية ذات واجهة جميلة.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٨٦).

تربة تنكز: فيها محراب مزين أعلاه بالفيسفساء «في نصف محرم من سنة ٧٤١هـ» وصلت جثة تنكز إلى دمشق في تابوت ودفن في تربته لصيق جامع الذي أنشأه بدمشق.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١١٦).

تربة الحمرية: كانت تقع غربي مشفى المجتهد اليوم ، وقد درست في هذا القرن (أي الرابع عشر الهجري) وقامت الأبنية على أنقاضها ، وهي ثالث تربة في دمشق من حيث المساحة بعد باب الصغير والفراديس.

(تاريخ البصروي حاشية ٣ ص ٣٤).

تربة ستية: هي تربة زوجة تنكز الست ستية بنت الأمير سيف الدين عمر الكوكائي ، وهذه التربة في أول زقاق المحكمة ، وهي لصيق مدرسة نور الدين الشهيد من الجهة القبلية ، وهي مسجلة من الآثار القديمة.

وهي ذات باب مقرنص جميل ، وهذه التربة مؤلفة من أربعة أقسام :

١ - قبة للدفن .

٢ - مسجد للصلاة .

٣ - مكتب للأيتام .

٤ - رباط للنساء .

وقد كتب عليّ عتبة بابها ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه التربة المباركة المقر الشريف العالي المولولي الأميري الكبير الغازي المجاهدي الملكي المخدومي السيفي سيف الدنيا والدين تنكز نائب السلطنة المعظمة المحروس عز نصره ، وكان الفراغ في شهر ذي الحجة سنة ٧٣٠ هـ .

(ولاية دمشق في عهد المماليك هـ ١٢١ - ١٢٢) .

تربة الشيخ محيي الدين بن عربي : جددها والي دمشق ضياء باشا وجعل فيها زخارف التي هي عليه اليوم .

(منتخبات التواريخ لدمشق ص ٢٧١) .

تربة صلاح الدين الأيوبي : أظهرها وبنى عليها القبة والبناء الجميل والي دمشق ضياء الدين .

(منتخبات التواريخ لدمشق ص ٢٧١) .

تربة الشيخ عبد الغني النابلسي : عمرها ضياء الدين والي دمشق .

(منتخبات التواريخ لدمشق ص ٢٧١) .

تربة غرلو العادلي : نسبة إلى سيف الدين غرلو العادلي . تولى نيابة دمشق سنة ٦٩٥ هـ فأقام بها نائباً نحو شهرين في جمادى الأولى سنة ٧١٩ هـ ودفن بتربته بسفح قاسيون .

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٥٤) .

تربة الأمير فرج : الذي هو ابن الأمير منجك : قبلي مدرسة أفريدون العجمي ، وقد حولت إلى عقارات ، ولا يزال قسم من بنائها القديم موجوداً يختفي حول حوائط أقيمت أمامه .

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٥٠) .

تربة عمر ركن الدين ابن الأمير منجك: قرب مخفر الشيخ حسن.
(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٥١).

التربة اليونسية: هي الطاووسية بالشرف الأعلى.
(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٦٥).

ترقيم البيوت بدمشق: في عام ١٨٦٥م جرى ترقيم البيوت بدمشق والصالحية
من أجل جمع الضرائب.

التفرغ للعلم: قال ابن قاضي شعبة في ترجمة أحمد بن سعد بن أحمد
الغساني التكري الأندرشي النحوي شارح «التسهيل» و«مختصر تهذيب الكمال»
المتوفى سنة ٧٥٠هـ:

قال الصفدي: كنا عند القاضي تقي الدين السبكي فجرى ذكر إمساك تنكز
نائب الشام، فقال الأندرشي: ما علمت بوقوع ذلك - قال: وكان ذلك بعد
إمساك تنكز بخمس سنين - وقد ولي فيها أربعة نواب بعده فعجبنا من إعراضه
عن أحوال الناس، وكان ورعاً دَيِّباً صَيِّباً، منقبضاً عن الناس إلى الغاية،
منجمعاً عنهم ليس له بأمرهم عناية، لم أرَ في عمري ولا رأيتُ غيري مثل
انجماعه، ولا مثل أطراح أمور الناس ودفاعه.

(تاريخ ابن قاضي شعبة ١/٢/٦٧٧).

التقويم الرومي: أدخلت السلطات العثمانية ما عرف بالتقويم الرومي في
السابع من ربيع الثاني سنة ١٢٥٥هـ آذار ١٨٣٩م وهو أشهر غريغورية وسنوات
هجرية وتقويم جوليان، وأخيراً ألغي هذا التقويم في ١٧ ربيع الثاني ١٣٣٥هـ
فبراير شباط ١٩١٧م واتبع التقويم الغريغوري.

(سورية في القرن التاسع عشر ص ١٦١).

التلغراف: في سنة ١٣١٢هـ تم مد السلك البرقي المسمى تلغراف من دمشق
إلى حرم النبي ﷺ وقد وضع تاريخه في النصب التذكاري المقام في ساحة
المرجة بدمشق على أبداع طرز جديد وفي ساحة دوائر الحكومة بدمشق.

(الروضة البهية ص ٣٦).

توفيق طارق: الرسام التركي المشهور عين مديراً لمكتب الصنائع بدمشق.
(المقتبس العدد ١١٨ - ٦ أيار ١٩٠٩م).

- التومان: الفرقة التي يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل (تركية الأصل).
- (ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٦٢).
- التين: اسم من أسماء دمشق ، وسبب التسمية كما ظهر للمحصني: إنه لوجود وادي التين في سوق وادي بردى ووادي معربا.
- (المنتخبات ص ٢٦).
- الثكنة الحميدية العسكرية (جامعة دمشق القديمة): أنشئت بعهد حسين ناظم باشا والي دمشق في البرامكة غربي مقبرة الصوفية.
- (المنتخبات لتواريخ دمشق ص ٢٧٨ ، الروضة البهية ص ٤٥).
- ثلاث نساء ينزل سند أهل الأرض بالحديث الشريف درجة بموتهن:
- ست الوزراء ابنة عمر بن أسعد المنجى ت ٧١٦هـ، ترجمتها في «الدرر الكامنة».
- عائشة ابنة محمد بن عبد الهادي المقدسية، توفيت سنة ٨١٦هـ ترجمتها في «الضوء اللامع» ٨١/١٢.
- أم الخير أمّة الخالق ولدت سنة ٨١١هـ وتوفيت سنة ٩٠٢هـ «الكواكب السائرة» (١/١٦٢).
- هي آخر من يروي عن أصحاب الحجاز ، نزل أهل الأرض درجة في رواية البخاري بموتها.
- الثلاثاء والسبت:
- هما يومان يتوقف التدريس فيهما بالمدراس.
- (الخزانة الشرقية ٢/٢٤).
- جادة الخلووية: هي أول جادة الصالحية إلى القصاع ، وبقيت تلك الجادة في حيز التخطيط الهندسي إلى تنظيمها وسميت بشارع بغداد.
- (المنتخبات ٢٨٦).
- الجادة الرشادية: هي الجادة النافذة إلى باب السريجة من جانب محطة السكة الحجازية، وقد سميت بعد الاحتلال الفرنسي جادة كاترو ، وقد فتحت هذه الجادة بعهد والي دمشق عارف المارديني الذي تولى دمشق سنة ١٣٣١هـ.

جامع الشيخ أرسلان: ذكر ابن طولون نقلاً عن شيخه النعمي أنه قال: وذكر لي بعض المشايخ أن قبر عبد الله بن عامر (أحد القراء السبعة) في المكان الذي دفن عنده الشيخ أرسلان خارج باب توما، والله أعلم (قضاة دمشق ص ٦).

وفي مقبرة الدحداح قبر كتب عليه: قبر عبد الله بن عامر أحد القراء السبعة، وبجانبه قبر أبي الدحداح يقع هذا القبر شمالي مقبرة الدحداح.

جامع الأفرم: بناه الأمير جمال الدين أقوش الأفرم سنة ٧٠٦ هـ (في حي المهاجرين).

قال البدري: إنه كان جامعاً جميلاً ، وقد خرب أكثر ما حوله من البناء في أيام تيمورلنك فصار هذا المسجد في حالة سيئة ، ولكنه بقي يحتفظ بتخطيطه وأكثر زخارفه الجميلة ، وفي أيام ولاية مدحت باشا لدمشق هدم هذا المسجد مع كثير من الأبنية الأثرية ، ورضفت بحجارتها الطرقات. وفي سنة ١٣٢٧ هـ بنى فوق أرض هذا المسجد مسجداً جديداً المرحوم داود بن عبد الجبار البخاري ، ثم أنشأ له منارة حسنة بمساعدة السيد رضا القوتلي ، ثم هدم هذا المسجد لتوسيع الطريق وعملت دائرة الأوقاف على إعادة بنائه.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٠٧).

جامع خيلخان وصلاة الجمعة فيه وفي غيره: ذكر الشيخ جمال الدين القاسمي نقلاً عن السبكي: إن دمشق - سلمها الله - من فتوح عمر إلى اليوم وهو شهر رمضان سنة ٧٥٦ هـ لم يكن داخل سورها إلا الجمعة واحدة. انتهى.

وقد أقيمت في عهده رحمه الله خارج السور في ثلاثة جوامع: خيلخان خارج الباب الشرقي ، وكان يخطب فيه شمس الدين ابن القيم ، والآن دُرسَ هذا الجامع ولم يبق منه إلا بابه ونافذتان مسدودتان، وفي جامع يلبغا، وجامع تنكر المعروف الآن (أي سنة ١٣٢٣ هـ) بالمكتب الإعدادي العسكري، وقد اعتبر محلاتها كقرى لأن كل واحد منفصل عن الآخر.

(إصلاح المساجد من البدع والعوائد للقاسمي ص ٦٤).

جامع الخليلي في منطقة العناتبة بدمشق: يقول محمد مطيع: شهدت على مخطوط بالظاهرية أن جامع الخليلي كان تكية وشيخ التكية هو جمال الدين الأرضوي وذلك في تاريخ سنة ١٢٢٣ هـ.

جامع الربوة: هو جامع حسن قد خرب وأضحى مكانه بستان يشق نهر يزيد ، وهذا البستان مطل على وادي الربوة ، وقد بقي أثر منارة الجامع المذكور فيه ، ولهذا الأثر تسمى هذا البستان بستان المنارة .

جامع الشيخ محيي الدين بن عربي: ذكر الغزي في ترجمة أحمد أبي عراقية: الشيخ الصالح المعتقد المكنى بأبي عراقية ، أصله من العجم ، وكان مقيماً بدمشق ، وكان للأتراك فيه اعتقاد. قال ابن طولون وهو ممن أخذ عنه: وقد أخبرنا كثير عن استيلاء الأتراك لهذه البلاد قبل استيلائهم عليها وأخبر عن عمارتهم لقبر محيي الدين بن عربي تكية ، وقد وقع ذلك بعد موته كما قال ، أ هـ . وكانت وفاته سنة عشرين وتسع مئة ودفن بسفح قاسيون .
(الكواكب السائرة ١/١٥٢).

جامع السنانية: أنشأه سنان باشا وكان في موضعه مسجد رحبة البصل .
(الأعلاق الخطيرة وحاشيته ١/١١٦).

جامع عز الدين أبو حمرة: هو جامع المسلوت . (الروضة البهية ص ٢٢).

جامع كريم الدين (الدقاق): في شهر شعبان سنة ٧١٨ هـ كمل عمارة الجامع الذي أنشأه القاضي كريم الدين وكيل السلطان أعز الله سلطانه من ماله بالقبليات (الميدان الفوقاني) في آخر ميدان الحصى قبلي دمشق ، وأقيمت فيه الجمعة في سابع عشر شعبان .

(المقتني وهو ذيل البرزالي على تاريخ أبي شامة حوادث سنة ٧١٨ هـ ، وانظر الخزانة الشرقية ٣/١٢١).

جامع المعلق بالعمارة: ويسمى جامع بردليك ، وهو المعروف بالجامع الجديد أيضاً .

(شذرات الذهب ٨/٧٨).

جامع النطايعين: خارج باب الفراديس في حي العمارة ، والعمارة تقول: اللطايعين .

جبل قاسيون والمأمون: ذكر ابن طولون أن المأمون وافى دمشق سنة ٢١٥ هـ فنزل ديرمران ومكانه المعروف بالسهم إلى قرب النيرب خارج دمشق بسفح قاسيون ، فعمر المأمون هذا الدير وبنى القبيبة التي فوق الجبل ، وكان يأمر

بالليل بمجامر عظيمة فتوقد ، وتجعل في طشوت كبار وتدلّي من فوق الجبل من عند القبيبة بسلاسل وحبال فتضيء له الغوطة فيعبرها بالليل .
(قضاء دمشق هـ ١٦).

جبل قاسيون وفضائله: ذكر ابن عساكر في ترجمة أحمد بن كثير أحد الصالحين بسنده إليه قال: قال أحمد بن كثير:

صعدتُ إلى موضع الدم في جبل قاسيون ، فسألت الله عزَّ وجلَّ الحجَّ فحججتُ ، وسألتُه الجهاد فجاهدتُ ، وسألتُه الرباط فربطتُ ، وسألتُه الصلاة في بيت المقدس فصليتُ ، وسألتُه أن يُغنيني عن البيع والشراء فُرزقتُ ذلك كله . ولقد رأيتُ في المنام كأنني في ذلك الموضع قائماً أصلي ، فإذا النبي ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، وهابيل بن آدم . فقلتُ له: أسألك بحقِّ الواحد الصمد ، وبحقِّ أبيك آدم ، وبحقِّ هذا النبي ، هذا دمك؟ قال: إي والواحد الصمد، إن هذا دمي جعله الله آيةً للناس . وإني دعوتُ الله ربَّ أبي آدم ، وأمّي حواء ، ومحمد النبي المصطفى: اجعلْ دمي مُستغاثاً لكل نبي وصدّيق ومؤمنٍ دعا فيه فتجيبه ، وسألك فتعطيه . فاستجاب الله لي ، وجعله طاهراً آمناً ، وجعل هذا الجبل آمناً ومغيثاً . ثم وكل الله عزَّ وجلَّ به ملكاً ، وجعل معه من الملائكة بعدد النجوم يحفظون من أتاه لا يُريد إلا الصلاة فيه . فقال لي رسول الله ﷺ في المنام: قد فعل الله ذلك كرمًا وإحساناً ، وإني آتية كل خميس ، وصاحباي وهابيل ، فنصليّ فيه .

ورواه تمام أيضاً ، عن أبي بكر أحمد بن عبد الله بن الفرّج البرّامي قال:
وروي عن أحمد بن كثير قال:

صعدتُ إلى موضع دم ابن آدم . . . فذكر نحوه ، وزاد في آخره:

فقلتُ: يا رسول الله ، ادعُ الله لي أن أكون مُستجابَ الدعوة ، وعلمّمني دعاءً لكل ملّة وحاجة ، فقال لي: افتح فاك ، ففتحتّه ، فتفل فيه ، ثم قال لي: رزقت فالزم ، رزقت فالزم .

(تاريخ ابن عساكر ، الأحمدون طبع المجمع ص ١٥٢).

جسر باب الفرّج وقيسارية الدهشة: قال ابن طولون: رأيت بخط علم الدين البرزالي في «تاريخه» في سنة ٧٣٦ هـ وفي شهر رجب كملت عمارة جسر باب

الفرج والحوانيت التي عمرت عليه ، ورسم بتأخير غلقه إلى العشاء أسوة ببقية الأبواب ، وهذه العمارة من مال الجامع وريعها له ، وهي سبعة حوانيت من كل جانب ، وحصل بذلك نفع للجامع ومصالحه ، وذلك بأمر نائب السلطنة في مباشرة الشيخ عز الدين بن منجى، انتهى.

وقال ابن كثير: في سنة ٧١٥هـ وفي هذا الشهر يعني رمضان كملت القيسارية المعروفة بالدهشة عند الوراقين واللبادين، وسكنها التجار فميزت بذلك أوقاف الجامع وذلك بمباشرة الشيخ شمس الدين.

(اللمعات البرقية في النكت التاريخية لابن طولون ص ٥٤).

جسر الحرية: أنشئ بعهد شكري باشا والي دمشق.

(منتخبات التواريخ لدمشق ص ٢٨١).

الجراكسة (الشراكسة): انظر في تاريخهم: الوجوه العامة بذكر نسب الجراكسة من قریش، طبع في القاهرة سنة ١٣١٦هـ وقد هاجر قسم منهم إلى دمشق وعددهم ١٠٠٠ شخص سنة ١٨٧٨م.

- وهاجر من قبل سنة ١٨٧٢م إلى القنيطرة فريق منهم وعددهم بين ٣٠٠ - ٤٠٠ شركسي.

- وكذلك سنة ١٨٨٤م وفيها تم إسكان ٤٢ أسرة في القنيطرة.

جلق: اسم من أسماء دمشق. لفظة أعجمية ، وضعت علماً على هذه المدينة ، وقيل: هو اسم للكورة ، وقيل: اسم إحدى قرأها ، وهذا الاسم قديم إذ هو مذكور في شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه في أواخر دولة الغسانيين وهو قوله:

لله در عصابة نادمتها يوماً بجلق في الزمان الأول
(لمنتخبات التواريخ دمشق ص ٢٥).

الجمعية التاريخية السورية بدمشق: أسست بدمشق سنة ١٨٧٥م وتألقت من سبعين عضواً بغرض تشجيع البحث التاريخي مع عدم التعرض للأمور الدينية والسياسية.

(سورية في القرن التاسع عشر ص ٢٢٢ والقساطلي).

الجوامع التي أنشئت بالعهد العثماني بدمشق: جامع السلطان سليم الشهير

بجامع الشيخ محيي الدين بن عربي - جامع التكية السليمانية ، جامع المدرسة الأحمديّة ، جامع برويز باشا ، جامع الدرويشية ، جامع المدرسة السليمانية ، جامع مراد باشا (التقشبندي) ، جامع الزاوية الصمادية ، جامع كوجك أحمد باشا (جامع العسالي) ، جامع القرماني ، جامع سنان باشا ، جامع عيسى باشا ، جامع لالا مصطفى باشا ، جامع التكية المولوية ، جامع فتحي الفلافنسي ، جامع سياغوش باشا (الياغوشية).

(عن مقال للأستاذ خالد معاذ في كتاب دراسات تاريخية وأثرية ص ١١٧).

جيريون: اسم من أسماء دمشق ، وهو على وزن فعلون وهي من لفظ جير ، ومن قال: وزنه فيعول فهو من جرن على الأمر أي: مرن.

(منتخبات التواريخ لدمشق ص ٢٤).

حاجب الحجاب: يعبر عنه رسمياً بأمر حاجب ، وظيفته الجلوس بدار العدل (وظيفة الوزير الكبير) وإذا خرج نائب دمشق (الوالي) عن دمشق كان هو نائب الغيبة عنه.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٧).

حادثة المجتهدين بدمشق أو حادثة رمضان: كان سببها إلقاء الشيخ محمد رشيد رضا درساً دينياً في الجامع الأموي ، فاعترضه بعض رجال العلم في بعض المسائل ، وكاد بعض العوام يقتله ، لولا حماية الشيخ أديب تقي الدين له.

وقد ألف سليم الجزائري تاريخاً مخصوصاً بهذه الحادثة طبع بمصر.

(منتخبات التواريخ لدمشق ص ٢٨٠).

حادثة المجتهدين: وقعت في دمشق ما بين سنة ١٣٠٣ - ١٣١٧ هـ وقد دُعي للمحاكمة في ١٠ شعبان سنة ١٣١٣ هـ بحضور المفتي والقاضي: ١ - الشيخ بدر الدين الحسيني.

٢ - الشيخ سليم سمارة والشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ توفيق الأيوبي ، الشيخ أمين السفرجلاني ، الشيخ سعيد الفرا ، الشيخ مصطفى الحلاق ، الشيخ جمال الدين القاسمي.

(انظر تفصيلاً في هذه الحادثة بكتاب جمال الدين القاسمي لظافر القاسمي).

حارة جامع الدقاق: أو حارة الجامع الكريمي ، أنشئت في عهد تنكز المقتول سنة ٧٤١هـ.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص١١٧).

حارة الذهبين وصناعة الذهب: إلى يسار الخارج من باب جيرون ، وفي هذه الحارة أماكن يمد فيها خيوط الذهب غلاظاً ثم لا يزالون يعالجونها إلى أن تصير كالشعر ، وكذلك عملهم بالفضة .

(خطط الشام ٢٠٥/٤ ، نزهة الأنام للبدري ص ٢٦٣).

حارة الشائق أو حارة الشالة: في حي سوق ساروجة، أنشئت في عهد تنكز المقتول سنة ٧٤١هـ.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص١١٧).

حارة ابن صبح أو حارة قولبي: في حي سوق ساروجة أنشئت في عهد تنكز المقتول سنة ٧٤١هـ.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص١١٧).

حاشية ابن عابدين ومصادرتها: رفع بعض المخذولين من كبار رجال المعارف في حدود سنة ١٣٢٠هـ تقريراً عن أن في (رد المحتار) كلمة ماسة تثير الخواطر، فصدر الأمر بمصادرته من المكتبات وجرت مصادرته بالفعل والعيون تبكي دماً من وقع هذا العمل السيئ، فنهض الأستاذ الكوشي واستصحب معه العلامة محمد فرهاد بن عمر الريزوي المتوفى سنة ١٣٤٣هـ عن ٨٨ سنة وكان من الشيوخ الهرمين مثله ، فذهبا توأ إلى القصر السلطاني ، وطلبا مقابلة جلالة الملك فقبلاه وقالوا له: «لعل جلالة مولانا لا يشك في تعلقنا بعرشه القائم بحراسة الدين ، وقد حملنا هذا التعليق على أن نرفع إلى مسامع جلالته أن «رد المحتار» الذي ليس يخلو بيت عالم منه قد صودر أسوأ مصادرة ، وهذا مما يدمي قلوب المخلصين ، والمسألة التي تنسب إليه موجودة تقريباً في كل كتاب فقهي ، وقد رفعنا هذا إلى مسامع مولانا قياماً بواجبنا» ومثل هذا العرض كان يعد جرأة بالغة في ذلك العهد ، فأصدر جلالة الملك أمره بإعادة الكتب إلى أصحابها ، ونفى ذلك الموظف الكبير الذي رفع عنه تقريراً إلى إحدى الولايات

البعيدة على أن يكون شايشاً خادماً بسيطاً في البلدية. توفي الأستاذ التكوشي في ٢٩ صفر سنة ١٣٣٩ هـ.

(كتاب التحريز الوجيز فيما يتغيه المستجيز لمحمد زاهد الكوثري ص ٤٢).

حبس باب الصغير: كان عند طاحون السجن قرب سوق الحبالين.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٦١).

الحج الشامي: وصف طريق الحج الشامي، كتاب مخطوط في مجموعة برلين رقم ٦١٣٧ ، ١٨٦٠ (II) We.

وكتاب آخر لعثمان؟ وصف طريق الحج في سنة ١١٥٦ هـ مخطوط ١٠٥ (II) PM ٦١٤٧.

وكتاب المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية مطبوع بوزارة الثقافة بدمشق.

حجر الذهب هو أجلٌ موضع في دمشق ويقول الأمير جعفر الحسني: إن هذه المحلة شرقي القلعة موضع العسرونية اليوم.

(الأعلاق الخطيرة ١٢٣/١ حاشية ٣).

حريق دمشق: في عهد قطز دمر نائب دمشق (الوالي) في أول ربيع الأول سنة ٧٤٤ هـ وقع حريق عظيم بسوق الصالحية الذي بقرب جامع الحنابلة ، احترقت فيه نحو مئة وعشرين دكاناً.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٣١).

حريق دمشق: في سنة ٣٧١ هـ أحرقت جبهة الشاغور وباب شرقي وعدة مساجد وعمها الخراب بعدما كانت عليه من حسن العمارة.

(ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي) في حوادث سنة ٣٧١ هـ.

حريق دمشق: في سنة ٧٥٥ هـ جمادى الآخرة ليلة العشرين وقع حريق باشورة باب العجابية.

في ٩ شوال ٧٥٦ هـ حريق سوق اللبادين.

في ٢٤ جمادى الأولى سنة ٧٥٧ هـ حريق ظاهر باب الفرج (باب المناخلية) واحترقت فيه عدة قياسر.

في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٧٥٧هـ حريق داخل باب الصغير قرب مسجد الشد.

في ٧٥٧هـ حريق السوق بكامله قبلي جامع الحنابلة بالصالحية في ١٥ رجب.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٤٦).

في ٥ ربيع الأول سنة ٧٦٥هـ احترقت باشورة باب الفرغ الذي على الجسر وأثر الحريق بحجارة الباب.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٥٨).

حصن الثقفين: هو المكان الواقع بين سوري معبد جوييتر من الغرب.

(كتاب وقف القاضي عثمان بن أسعد المنجى ص ١٥).

حصن جيرون: هو المكان الواقع بين سور معبد جوييتر الداخلي وسوره الخارجي من ناحية الشرق عند باب جيرون.

(كتاب وقف القاضي عثمان ابن المنجى تحقيق د. المنجد ص ١٥).

حكام دمشق قبل الإسلام وبعدها: انظر المنتخبات ص ٣٤ وما بعدها.

حكر السماق: هو الآن شارع النصر أو شارع جمال باشا.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١١٨).

حكر الفهادين: بظاهر دمشق على نهر بردى وتسمى قبة الطواويس ، وحكر الفهادين في محلة البحصنة البرانية اليوم ، وقبة الطواويس هي جامع الطاووسية اليوم.

ودفن في قبة الطواويس: شمس الملوك أبو نصر دقاق بن تتش بن ألب أرسلان السلجوقي حاكم دمشق أيام السلاجقة وتوفي سنة ٤٩٧هـ.

(دمشق في العصر الأيوبي ص ١٢).

حمام أيبك: ينسب إلى عز الدين أيبك الحموي الظاهري نائب دمشق ، تم بناؤه في شوال سنة ٦٩٤هـ ، وهو في محلة مسجد الأقصاب ، دثر ولم يبق له أثر.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٥٣).

حمام الحدادين: في سوق الدرويشية.

(الروضة البهية ص ٢٩).

حمام الذهب: في محلة قبر عاتكة، ينسب إلى عاتكة بنت يزيد بن معاوية (منتخبات التواريخ لدمشق ١/٤٣٦).

حمام الذهبية: في سوق الذهبية الذي هو في شرقي باب جيرون.

(رسالة زلازل دمشق للشيخ أحمد الدردير المنشورة في مجلة المعهد الفرنسي بدمشق ص ٢٧ - ٢٨).

وفي «سلك الدرر» ٣/١٣٥ في ترجمة عبد المعطي الفلاقسي أنه تولى الجامع الأموي واجتهد في تعميره وفي سنة ١١١٢ هـ بنى حمام الذهبية، وكان قبلاً سوقاً لدق الذهب للطواقي والطشاني التي تلبسها النساء ثم بطل الزي في سنة ١١٠٧ هـ.

حمام القيشاني: عمره درويش باشا والي الشام.

(المنتخبات ٢/٥٩١).

وكان حماماً شهيراً في الحسن والرونق وجودة الخدمة والعدة، ونال حظاً من الإقبال في المدة الأخيرة، بحيث صار تضرب به الأمثال، ثم سقط وهجر وزهد فيه نفوراً من قِيَم كان أداره بنفسه، وليس من أهل الخبرة في التودد والتلطف لقاصديه، ولا زال كذلك، ظهر لملاكه أن يعملوه سوقاً، فحولوه إلى مخازن ودكاكين وذلك في عام ١٣٢٤ هـ، وقد كمل وسكن في عام ١٣٢٥ هـ. (قاموس الصناعات الشامية ١/١٠٩).

حمام المرادنية: من أشهر وأجمل حمامات دمشق، كان في محل سوق مدحت باشا من جهة أوله.

(الروضة البهية ص ٣٤).

حمام الملكة: في سوق الدرويشية.

(الروضة البهية ص ٢٩).

حمام منجك: بالعمارة، حول إلى دور منذ أكثر من ستين سنة.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٥٠).

حادثة الستين: انظر في ذلك المنتخبات ص ٢٦٦ ، وحادثة الستين لمحمد أبو السعود الحسيني المنشورة في المجلة الأميركية ببيروت .

حدود دمشق القديمة: يفهم من الأخبار القديمة أن مساحة سطحها كانت قليلة؛ لأنهم قالوا: إنها واقعة على ضفة نهر بردى الجنوبية ، بيضية الشكل ، طولها من الشرق إلى الغرب نحو ميل ، ومن الشمال إلى الجنوب نحو ميل ونصف ، وأن السور محيط بها ، وأن قلعتها المشهورة واقعة في زاوية السور الشمالية الغربية ، فيكون حدها الغربي القلعة المذكورة ، وحد دمشق الشرقي باب الفراديس ، وجنوباً باب الجابية وباب الشاغور أو باب الصغير مما يلي المقبرة التي سميت باسمه ، وحدها شمالاً وادي بردى .

(منتخبات التواريخ لدمشق ص ٢٨).

الحرير الهرمزي: كان يصنع بدمشق على اختلاف أشكاله وتباين أوصافه ، ولعل كلمة حرير شيرمز الذي يطلق على نوع من الحرير يجمع بين صفات التافتا والساتان من هذا النوع .

حور تعة: أراضي بستان مجاور لقصر اللباد .

(الأعلاق الخطيرة ١/١٤١ ، غوطة دمشق ص ٢٣٠).

حي المهاجرين: أنشئ للمهاجرين المسلمين الكريتيين الأتراك من أهل جزيرة كريت بدمشق، وسمي باسمهم حي المهاجرين، وكان السلطان قد أرسلهم لدمشق وذلك في عهد حسين ناظم باشا والي دمشق سنة ١٨٥٨م .

(المنتخبات ص ٢٧٧ ، سورية في القرن التاسع عشر ص ٨٤ ، الروضة البهية ص ٥١).

الخان والوكالة والقيسارية: لفظة فارسية بمعنى البيت والمنزل، وأطلقت أيضاً على الحانوت وهو منزل التاجر، وعلى الفندق وهو منزل المسافر ، ولا تزال الخانات بدمشق تتناول كلا المنزلين ، وأغلب ما كانت تعرف الخانات التجارية باسم الوكالة أو القيسارية، ففي سنة ١٠٠٥ هـ بنى مراد باشا والي الشام القيسارية المعروفة بالمرادية. قال المرادي: أخذ البيوت التي وراء باب البريد وعمرها وكالة حسنة، وأمر أن تسكن فيها تجار السباهية، وقال الشيخ أبو الطيب الغزي في تاريخ الوكالة: ولي الشام مراد باشا فبنى خير وكالة ، والوكالة اسم للخان كما هو المعروف في عرف المصريين، والدمشقيون يسمون ذلك: قيسارية .

(خلاصة الأثر ٤/٣٥٦ - ٣٥٧).

وكانت الخانات تسمى أيضاً بأسماء البضائع كخان الحرير وخان الجوخ ، وربما نسبت إلى بناتها أو المقيمين فيها أو النازلين بها كخان الخزندار عند مسجد القصب .

وقد عدّد يوسف بن عبد الهادي خانات دمشق في (رسالة الإعانات على معرفة الخانات) وهي ٧٦ خاناً .

خان عياش : هو خان حسام الدين لاجين ، وهو تحت ثنية العقاب الواقع في ملتقى بغداد وحمص ، انظر صورة له في (ولاية دمشق في العهد المملوكي ص ٤٧ ، وانظر ما كتب على عتبته من أوقاف) .

خان لاجين : نسبة للأمير حسام الدين لاجين المنصوري نائب دمشق ، وهو تحت ثنية العقاب الواقع في ملتقى طريقي بغداد وحمص ، والمشهور في عصرنا هذا بخان عياش .

(انظر عنه وما كتب على عتبته من أوقاف وصورة له في ولاية دمشق في العصر المملوكي ص ٤٦ - ٤٧) .

الخان النجيبى : ينسب إلى جمال الدين آقوش النجيبى الصالحى المملوكى نائب دمشق ، وهو في آخر طريق الميدان ولم يبق له أثر . (ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٤٢) .

خدمة الكتب بالمدرسة : وظيفة ؛ واجب الموظف فيها القيام بترتيب الكتب وتنظيفها وترميمها وإرشاد القراء ما يلزمهم من مراجع أي : ما يشبه عمل قيم المكتبة اليوم .

الخزندارية : موضوعها التحدث عن الخلع والتشريف السلطانية بالقلعة وعدتها أربعة طواشية خصيان ، وتعيينهم يكون من قبل نائب دمشق لا من قبل السلطان .

(ولاية دمشق في عهد المماليك الدهمان ص ١٧) .

الخط الحديدي الحجازي (الشمندوفير) : في سنة ١٣١٦ هـ صار البدء في مدّ خط السكة الحديدية المسماة في لغة الإفرنج (شمندوفير) ، وذلك من دمشق إلى بيت الله الحرام ، وترتب للاشتغال بهذا الخط خمسة طوابير من العساكر النظامية ، وتضاعف ذلك إلى ثمانية طوابير ، وجمعت من أجله الأموال من

عموم مسلمي الدنيا ، وكان تعميره إدارة مجلس مركب من وزير دمشق ومشيرها وناظر الخط المذكور الياور الأكرم كاظم باشا وبعض رؤساء الملكية والعسكرية .
(الروضة البهية ص ٣٦).

وقال في «المنتخبات»: أمر بإنشائه الخليفة السلطان عبد الحميد وقد شكل له مجلساً برئاسة الكاتب الثاني له الوزير أحمد عزت باشا العابد لجمع الإعانة من المسلمين ، وقد تم بإشراف المشير كاظم باشا الأزميرلي وبمساعدة والي دمشق حسين باشا ناظم باشا .

(منتخبات التواريخ لدمشق ١/٢٧٩).

ويوم أقل أول قطار حجاج بيت الله الحرام سجل جمال الدين القاسمي في «مذكراته» فرحته وفرحة المسلمين بهذه النعمة فكتب: وبعد عصر يوم الجمعة ٦ صفر ١٣٢٤ هـ/ ٣١ آذار ١٩٠٦م قدم وابور الحجاج من المدينة المنورة إلى الشام ، وكان السرور عاماً بقطعه هذه المسافة التي هي ثلاثة عشر يوماً بسير الإبل بمقدار أربع وعشرين ساعة فيا لها من نعمة كبرى.

(كتاب جمال الدين القاسمي لظافر القاسمي ص ٣٧٥).

الخط الحديدي: بين مزيريب ودمشق ، ثم من بين بيروت ودمشق تم في عهد حسن رفيق باشا والي دمشق الذي تولاهما سنة ١٣١٢ هـ .

(المنتخبات ص ٢٧٦).

خط الخواصين: هو سوق الخياطين جانب قبر نور الدين الشهيد .

(الأعلاق الخطيرة ١/٢٠٣)

الخمريون: محلة خارج دمشق على القنوات .

(الأعلاق الخطيرة ١/١٥٣ نقلاً عن معجم البلدان ٢/٣٤٢).

خولان: قرية كانت بقرب دمشق وخربت وبها قبر الخولاني ، وبها آثار باقية تدل على أنها قديمة وبها دير قيس ، وهي من إقليم خولان ومحلها الآن بالقرب من قرية داريا .

(منتخبات التواريخ لدمشق ١/٤٢٧).

دار الذهب الجديدة: كانت قبالة مدرسة دار القرآن والحديث التي أنشأها تنكز ، ولم يكن في دمشق دار أحسن منها ، ويقوم مكانها الآن الخان المسمى

بخان السبيعي بالبزورية مع قسم من قصر العظم .

(ولاية دمشق في عهد المماليك لدهمان ص ١١٨).

دار الذهب القديمة: كانت داخل باب الفراديس (باب العمارة) بناها تنكز .

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١١٨).

دار رضوان: في القلعة بدمشق .

(قصورالحكام في دمشق لعبد القادر الريحاوي ص ٤٣) (وانظر الأغلاق الخطيرية ص ٣٨).

الدارس في تاريخ المدارس (تنبيه الطالب): حققه الأمير جعفر الحسني وطبع بالمجمع العلمي العربي سنة ١٩٤٨ م هو تلخيص تنبيه الطالب لخصه ابن طولون من كتاب شيخه تنبيه الطالب .

قال ابن طولون في حوادث سنة ٩٢٣ هـ: في يوم الأحد بعث إلى المحيوي (محيي الدين) النعمي بالحضور فحضر ، ومعه مصنفه الذي لخصه المسمى بتنبيه الطالب والدارس على بيان مواضع الفائدة كدور القرآن والحديث والمدارس .

(مفاكهة الخلان ٧٣/٢).

دار السعادة: دار أيوية عرفت أولاً بفروخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، ثم انتقلت إلى ابنه الملك الأمجد ، ثم اشتراها من ورثته الملك الأشرف وأوقفها على ابنته ، مكانها بين التكية الأحمدية (جامع الأحمدية) وبين المدرسة القجماسية في سوق الحميدية ، ويرجح بأن دار محمد باشا العظم والي الشام في أيام العثمانيين كانت تقوم على قسم منه ، وقد هدمت منذ بضع سنين وأصبحت الآن مخازن تجارية .

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٢٦).

دار السعادة: ذكر ابن طولون في حوادث سنة ٩٢٤ هـ: وفي بكرة يوم الجمعة ثاني عشر صفر دخل جان بردي الغزالي راجعاً من توديع الخنكار (السلطان سليم) إلى دمشق ، وتلقته الأمراء الباقون بدمشق ، وشباب حاراتها لابسين العدد ، وقدامه الانكشارية ورماة البندق وعدتهم نحو الخمس مئة ، وهو لابس زي الأروام (الأترك) ونزل عند الشامية البرانية ، وأمر بعمارة دار السعادة

وإصطبلها ، فشرعوا في ذلك عجباً ، ثم نادى مناداة حسنة بأن لا ظلم ولا عدوان ، وأن رؤوس النوب والنقباء ومشايخ الحارات بطلون .
(مفاكهة الخلان ٨٣/٢).

دار السعاة أو دار العدل: قصر عند باب النصر وأمام واجهة القطعة الجنوبية (قصور الحكام في دمشق ص ٤٨).

دار الصناعة: كانت جانب دار العدل البرانية (القصر العدلي اليوم).
(ولاة دمشق في عهد المماليك ص ١٤٩).

دار طرخان: طرخان هو الأمير ناصر الدين طرخان بن محمود الشيباني أحد أمراء دمشق مات سنة ٥٢٠ هـ.

(الأعلاق الخطيرة ١١٨/١ ، ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٢١٦ ، ثمار المقاصد ص ٨٦).

دار الطعم: كانت مقابل باب قلعة دمشق الغربي ، ثم نقلت إلى تجاه المدرسة الزنجارية بباب توما ، والمراد بالطعم الحبوب الخاصة بالدولة .
وهناك دار طعم أخرى أشار إليها مرسوم منقوش على شباك جامع الحنابلة .
(في رحاب دمشق ص ٨١).

دار العدل: دار لكشف الظلمات أنشأها نور الدين الشهيد ، وفي العهد المملوكي أضيفت هذه الدار إلى دار السعادة ، وأصبحت دار العدل مركزاً للحكومة .

(انظر بحثاً مطولاً عن دار العدل ووصف مجلس الحكم في دار العدل في كتاب ولاة دمشق في العهد المملوكي ص ٢٦ - ٢٩).

دار العدل: ذكر المحبي في ترجمة السيد محمد بن محمد القدسي الشافعي الدمشقي المعروف بابن خصيب وبالسيد الصادي ، وفي دمشق بالسيد القدسي: (تولّى التدريس في الجوزية والعمرية والعذراوية والأموي ، ولما انهدمت دار العدل التي قد عمرها الملك العادل نور الدين بدمشق ، وكان هدمها في أواخر سنة ألف ، أخذ المترجم حصة من أرضها وعمرها داراً له وسكن بها مدة ، وكان قبل ذلك ساكناً بالمدرسة الريحانية ، توفي سنة ١٠٠٨ هـ .

(خلاصة الأثر ١٥٤/٤).

دار العدل: ذكر المحبي في ترجمة قاسم بن عبد المنان الكردي الأصل نزيل دمشق، ناظر وقف سنان باشا بالشام، تملك دار العدل المنسوب تعميرها إلى السلطان نور الدين الشهيد بالقرب من باب السعادة، وعمّرها عمارة متقنة، وصار وكياً عن نواب الشام مرات، عمر ضريح سيدي سعد بن عبادة بالمنيحة تابع وقف السنانية، وبنى عليه قبة لطيفة وأحدث إلى جانبه مسجداً، توفي سنة ١٠٥٧ هـ.

(خلاصة الأثر ١/٢٩٢).

دار العدل البرانية: هي مكان القصر العدلي اليوم.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٤٩).

الدار العمومية: هي المكتبة الظاهرية، تأسست في عهد مدحت باشا والي الشام.

(منتخبات التواريخ لدمشق ص ٢٧٢).

دار المسرة: بناها نور الدين الشهيد وخرّبها الملك العادل، وهي في قلعة دمشق.

(الأعلاق الخطيرة ص ٣٨ - ٣٩).

دار المشيرية: هي الآن مكان القصر العدلي، هدمت سنة ١٩٤٥ م.

(قصور الحكام في دمشق ص ٨٥).

دار المعلمين: أنشئت بدمشق في عهد حسن رفيق باشا الذي تولّى دمشق سنة ١٣١٢ هـ.

(المنتخبات لتواريخ دمشق ص ٢٧٦).

الدالاتي: كلمة مشتقة من Deli التركية تعني الأحمق أو المجنون.

والدالاتية الجند المرتزقة التركية في بلاد الشام، ودعوا بذلك نظراً لطيشهم.

(العرب والعثمانيون للدكتور عبد الكريم رافق ص ٥١).

الداماد أحمد نامي: هو ابن الفيلسوف فخري بك صاحب الخان الشهير باسمه في بيروت وكان من أغنيائها. ولد أحمد بيروت واشتهر بالداماد لأنه كان

أحد أصهرة السلطان عبد الحميد العثماني. ثم تولى رئاسة الدولة السورية في ٢٧ نيسان ١٩٢٦م/ ١٣٤٥ هـ.

(منتخبات التواريخ لدمشق ص ٢٩٥).

دبس وطحينة: لقب لعالم، ذكر السخاوي في ترجمة أحمد بن معتوق الكركي أنه كان من شيوخه الشمس البالسي الملقب بالدبس والطحينة.

(الضوء اللامع ١٠٨/٧).

دخول مذهب الإمام الشافعي إلى دمشق: ذكر النعيمي نقلاً عن ابن قاضي شهبه في ترجمة محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زرعة الدمشقي: أبو زرعة قاضي دمشق، وكان قبل ذلك على قضاء مصر لأحمد بن طولون مدة ثمانين سنين، وهو الذي أدخل مذهب الشافعي دمشق وحكم به القضاة، وكان الغالب على دمشق مذهب الأوزاعي، توفي سنة ٣٠٢ هـ.

(قضاء دمشق ٢٢).

درب العجم: هو زقاق العجم: وهو ما يطلق عليه درب النوفرة شرقي الجامع الأموي.

(مدارس دمشق وربطها للأربلي ص ٢٢ حاشية ١).

درب اللبان: ربما كان في أرض اللبان، المنطقة التي توجد فيها المدرسة الحافظية كما قال ابن عبد الهادي، وهذه المدرسة معروفة اليوم في سفح قاسيون إلى الشرق من جامع العثمان الجديد.

(خانات دمشق للريحاوي مجلة الحوليات ٥١/٢٥).

الداكر: المزارع والأحواش.

(الريف السوري ص ٣٤).

الدفتار: هو المحاسب أو المسؤول المالي في العهد التركي.

الدكدكجي: قال المرادي: الدكدكجي نسبة تركية، وهو صانع الدكيك، وهو باللغة التركية ما يوضع سائراً على ظهر الحصان، والجيم باللغة التركية كياء النسبة في اللغة العربية، اهـ. وقال مصحح كتاب «سلك الدرر»: لا يوجد شيء يوضع على الحصان يقال له دكدك فالظاهر أنه دودكجي بمعنى القصاب أعني الزمار، ولربما أصله كان بطائفة الدليلان زماراً، أو كان يصنع القصابة.

(سلك الدرر ٢١/١).

دمشق: اختلف في تسميتها بالشام فقيل: من شامة القبلة أي شمالها، وقيل: لأن قوماً من بني كنعان تشاءموا إليها أي: تياسروا. . .
(المتنخبات لتواريخ دمشق ص ٢٦).

دمشق لا تخفي ظالمًا: كان في دمشق رجل فاتك وإلى جانب بيته قوم لهم ولد صغير في آذانه حلق من ذهب، فاغتاله الرجل يوماً فخنقه وأخذ الحلق من أذنه وأخرجه في قفة ودفنه في باب الصغير، وفقدته أمه فاتهمت الرجل به فعذبه المبارز عذاباً أليماً فلم يقر وأطلق، وفي قلب المرأة النار من ولدها، فطلقت زوجها وتزوجت الرجل القاتل، وأقامت معه مدة، فقالت له يوماً وهي تداعبه: قد مضى الابن وأبوه وكان منهما ما كان، وكان الزوج قد مات: أنت قتلت الصغير؟ فقال: نعم، وأخذته ودفنته في الباب الصغير، فقالت له: قم فأرني قبره، فأخذها وخرج بها إلى المقابر، وحفر القبر فرأت ولدها فلم تتمالك وضربت القاتل بسكين أعدتها له، فشقت بطنه ودفنته فألقت في القبر، وجاءت إلى المبارز فحكمت له الحكاية فقام وخرج معها إلى القبر فكشفتها له، فقال لها: أحسنت، والله ينبغي لنا كلنا أن نشرب لك فتوة.

(ذيل الروضتين ص ٥٠ نقلاً عن سبط ابن الجوزي).

الدهشة: أطلق هذا الاسم على عمارتين كبيرتين (سوقين) أنشئت في شرقي الجامع الأموي بعد حريقه سنة ٤٦١ هـ وسميت كل واحدة منهما: الدهشة؛ دهشة للرجال ودهشة للنساء.

(علم الساعات ص ٢٧).

الدهشة: قيسارية اكتمل بناؤها سنة ٥٧١ هـ، وهناك سوق اسمه الدهشة احترق سنة ٧٤١ هـ في الحريق الذي وقع حول الجامع الأموي عند الزاوية الجنوبية الشرقية وامتد إلى مئذنة عيسى عليه السلام.

(خانات دمشق للريحاوي، الحوليات الأثرية ٥٤/٢٥).

الدوادر: أمين السر أو ممسك الدواة، وهي فارسية معربة من دويت دار.

(الألفاظ الفارسية المعربة لدي شير ص ٦٨).

دويرة حمد: هي خانقاه من خوانق الصوفية بدمشق، وهذه الخانقاه كانت

في درب السلسلة بباب البريد ، ودرب السلسلة هو الطريق الذي يصل العسرونية بسوق الحميدية من جهة الشمال .

(في رحاب دمشق لدهمان ص ٧١ نقلاً عن النعمي).

دير صليبا: ويقال له: ديرالسائحة ودير خالد بن الوليد ، نزل به حين حاصر دمشق ، كان مقابل باب الفراديس من أبواب دمشق القديمة ، وفي رواية البلاذري أن أهل هذا الدير أتوا خالداً بسلمين وعليهما رقى بعض جنده إلى أعلى سور الباب الشرقي ، ونزلوا إليه وليس عليه إلا رجل أو رجلان وتعاونوا عليه وفتحوه .

وفي قول الكلبي: إن هذا الدير كان على ميل من الباب الشرقي . . وإلى جانبه دير ثانٍ للنساء الرواهب ، وروى البكري عن أبي الفرج الأصبهاني أن الديرين كانا ديري بطرس وبولس بنواحي بني حنيفة في ناحية الغوطة .
(انظر بحثاً عنه في الخزانة الشرقية ١٢/٢ بعنوان دير صليبا بدمشق).

اليلجانس: عربة على سكة حديد تجرها الخيول والبغال ، وهي شركة فرنسية مدت الطريق المعبد من بيروت إلى دمشق سنة ١٢٧٦ هـ ولما تألفت شركة دخ سنة ١٣١٠ هـ مدت السكة الحديدية بموازاة طريق المركبات من الربوة ، فصارت الربوة مدخل دمشق الأصلي .

(الريف السوري ١٩٣/٢).

ديوان التمييز: تشكل في دمشق في عهد محمد راشد باشا والي دمشق الذي تولى من سنة ١٨٨٢ - ١٨٨٨ م .

(منتخبات التواريخ لدمشق ١/٢٦٩).

الذراع القاسمي: ينسب إلى القاسم بن زياد بن بكر ، كان عاملاً لعمر بن عبد العزيز على غوطة دمشق ، وبقي إلى أيام هشام بن عبد الملك وهو الذي ماز أنهار دمشق في خلافة هشام ، وقال الرازي: وكانت داره الدار التي بحضرة دار أم البنين غرب كنيسة يحنا ، والحمام المعروف بحمام قاسم ، والدار التي فيها لبني شعيب وغيرهم كانت دار القاسم بن زياد صاحب المساحة يعني خارج باب الفراديس .

قال الحافظ ابن عساكر: وبلغني أن القاسم كان حياً سنة ١١٥ هـ .

(تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٦/٤٩).

ذيل كشف الظنون: ذكر المرادي في ترجمة إبراهيم بن علي الحنفي الرومي رئيس طائفة الجند المعروفين بالعرجية في الدولة العثمانية له من الآثار: الذيل على كشف الظنون لكاتب جليبي الرومي في أسماء الكتب والإلحاقات ، و ترجمة كتاب صدر الشريعة بالتركية وغير ذلك من الآثار ، وكان بارعاً لاسيما في علوم القرآن ، وقد اطلعت وأنا بالروم (بتركية) برحليتي الثانية سنة سبع وتسعين ومئة وألف على كتابه المذكور. توفي في طريقه إلى الحج سنة ١١٨٩ هـ .
والعربة: هي العجلة بالعربية .

(سلك الدرر ١/١٤).

الراهب: محلة كانت خارج دمشق قبلي مصلى العيد. منها أبو عبد الله الراهبي الزاهد.

(تاريخ دمشق لابن عساكر ٦٧/٤٤).

راوية: قرية من قرى غوطة دمشق بها قبر أم كلثوم (أو السيدة زينب) وقبر مدرك بن زياد الفزاري الصحابي ، وهو أول أصحاب رسول الله ﷺ دفناً بدمشق .

(الأعلاق الخطيرة ١/١٣٣ نقلاً عن معجم البلدان ٢/٢١٦).

الرباط: الرباط في مصطلح أهل دمشق خاصة هو الخانكاه لكنه خاص بالنساء المتعبدات .

(ولاية دمشق في العهد المملوكي ص ٤٣).

رباط أبي البيان: ينسب إلى أبي البيان بن محمد القرشي الشافعي الزاهد ، كان صاحب أحوال ومقامات وسلوك ، وكان هو والشيخ أرسلان الدمشقي شيخاً دمشق في عصرهما مات سنة ٥٥١ هـ وإليه ينسب رباط أبي البيان بدرج الحجر .

(انظر مختصر الدارس ص ١٦٠).

الربوة: على فرسخ من دمشق غربي قاسيون. ذكر المفسرون أنها المرادة بقوله تعالى: ﴿وَأَوْسَتْهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] وهو جبل عال على قبته مسجد، وفي هذا الوادي كهف صغير .

(الروضة البهية ص ٤٢) (الإشارات إلى أماكن الزيارات ص ٢٥).

والربوة مبتدؤها: من أول مدخل مدينة دمشق ، وتنتهي بحدود قرية دمر .
(الروضة البهية ص ٤).
رثاء: انظر «أخبار الأخيار بما وجد على القبر من الأشعار»، جمع أحمد اللبودي نشرها ل. شيخو.

(مجلة المشرق ٩٢/٢١).

رحى' الأشنان: من منتزهات دمشق.

(ثمار المقاصد ص ١١٠).

الرصيف: كان من جنوب باب البريد لصيقه ويمتد حتى سوق درويش باشا.
(كتاب وقف القاضي عثمان ابن المنجى ص ٢٦).

الروضة: معروفة اليوم ، وهي مقبرة موفق الدين ابن قدامة المقدسي .
(انظر مختصر الدارس ص ١٤٢).

وقد دفن فيها الشيخ أمين التكريتي إمام جامع الشيخ محيي الدين في قبر الشيخ موفق.

(كتاب وقف القاضي عثمان ابن المنجى ص ٣٠).

زاوية ابني قرا: ذكر الغزي في ترجمة الشيخ إبراهيم العجلوني الدمشقي الشافعي الصوفي: أخذ الطريق عن الأخوين الشيخين العالمين الزاهدين الشهاب أحمد والبرهان إبراهيم ابني قرا ، وكان يتكسب بالعطر والبزر، توفي فجأة قرب جامع جراح وحمل إلى منزله بقرب زاوية الشيخين المذكورين ، وكان ذلك عشية السبت عشرين شوال سنة سبع عشرة وتسع مئة، رحمه الله تعالى.

(الكواكب السائرة ١/١١١).

زاوية سعد الدين بالميدان: ذكر النجم الغزي في ترجمة الشيخ حسين بن حسن بن محمد الجبائوي ثم الدمشقي الشافعي الشهير بابن سعد الدين الصوفي ابن الشيخ الصوفي: (مشى على طريقة أهله). توفي يوم الإثنين خامس عشر ذي الحجة سنة ٩٢٦ هـ عن نحو خمس وثلاثين سنة ، ودفن عند والده برؤوس العمائر عند باب الله رحمه الله تعالى.

(الكواكب السائرة ١/١٨٥).

زقاق النقيب: ذكر الشطي: أن زقاقنا (أي الزقاق الذي كان يسكنه) والمسمى

بزقاق النقيب سمي بنقيب الأشراف السيد حمزة بن يحيى بن حسن بن عبد الكريم الشهرير بابن حمزة الحنفي، نقيب الأشراف بدمشق والمولود بها سنة ١١٤٢ هـ والمتوفى بها سنة ١٢١٧ هـ ودفن بمرج الدحداح رحمه الله .
(أعيان دمشق ٩٢ - ٩٣).

الزلافة: هي الطريق الذي شمالي الباب الصغير .

(في رحاب دمشق ص ٨٣).

الزلزلة سنة ١١٧٣ هـ والالتجاء إلى الله تعالى:

ذكر المرادي في ترجمة الشيخ أحمد بن شمس الدين المعروف بابن سوار شيخ المحيا بدمشق: العالم الزاهد المتوفى سنة ١١٧٣ هـ، أنه لما صارت الزلزلة العظمى في دمشق ونواحيها في سنة وفاته صام الناس ثلاثة أيام ودعوا وابتهلوا إلى الله تعالى في مسجد المصلى، وكان المترجم هو الذي قدموه للدعاء فدعا وابتهل إلى الله تعالى والناس خلفه .

(سلك الدرر ١/ ١١٢).

زيادة الماء في نهر بردى وفيضانه: قال ابن قاضي شهبة: وفي جمادى الأولى سنة ٧٦٤ هـ فاضت المياه بدمشق زيادة كثيرة جداً بحيث إنه فاض الماء في سوق الخيل من نهر بردى، حتى إنه عم جميع العرصة المعروفة بموقف الموكب، بحيث أجريت فيه المراكب بالكراء، وركب فيها المارة. قال ابن كثير: واستمر ذلك جمعاً متعددة، وامتنع نائب السلطنة والجيش من الوقوف هناك، وهذا أمر لم يعهد مثله، وما رأته قط في مدة عمري، وقد سقط بسبب ذلك بنايات كثيرة، وتعطلت طواحين غمرها الماء. هذا كلام ابن كثير. قال ابن قاضي شهبة: والغرابة في استمرار الماء جمعاً متعددة، وإلا فقد شاهدنا نحن الزيادة على النحو الذي ذكره أو أزيد منه مرات، وكذلك كانت الزيادة مرة أخرى في ربيع الآخر من سنة ٧٦٥ هـ، وكسر الجسر الخشب الذي عند جامع يلبغا وجاء فصد جسر الزلاية فكسره أيضاً، وقد جاءت الزيادة بدمشق مرات.

(تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٢/ ٢١٩، البداية والنهاية ١٤/ ٣٠٠).

زيادة المياه والسيول بدمشق وغيرها:

قال ابن طولون: قال الذهبي في (العبر): في سنة تسع وستين وست مئة وفي

شوال جاء بدمشق سيل عرمرم وقت أول دخول الشمس وذلك بالنهار والشمس طالعة، فغلقت أبواب البلد وطغى الماء وارتفع وأخذ البيوت والجمال والأموال، وارتفع عند باب الفرج ثمانية أذرع حتى طلع الماء فوق أسطحه عديدة وضج الخلق وابتهلوا إلى الله تعالى، وكان وقتاً مشهوداً أشرف الناس فيه على التلف ولو ارتفع ذراعاً آخر لغرق نصف دمشق وكان التوت كثيراً، انتهى.

وقال فيه: في سنة ثلاث وثمانين وستمائة وفي شعبان كانت الزيادة الهائلة بدمشق بالليل، وكان عسكر مصر نازلاً بالوادي فذهب لهم مالا يوصف وخربت البيوت وانطمت الأنهار، انتهى.

زاد في «مختصر تاريخ الإسلام»: وارتفع الماء على جسر باب الفرج قامه، وكان السلطان - يعني المنصور قلاوون - بالقلعة وافتقر جماعة من العسكر، وقال فيه: في سنة إحدى وأربعين وستمائة وفيها جاءت بدمشق الزيادة الكبرى التي ما سمع بمثلها فوصلت إلى حائط جامع العقبية، انتهى. وقال فيه: في سنة تسع عشرة وسبعمائة وفي رمضان جاء سيل عرمرم بدمشق والشمس طالعة، وكان السفرجل معبأً تحت الشجر فتطين وغسلوه وذهب كثير من مصاطبه ولم أر السيل أشد عكراً من هذه المرة حتى كان الماء طحينة، قيل: الرطل منه يصفى ثلثه طين شديد فخلق سمك بردى وطفلاً فأخذه الناس وكان وقوعه بأرض إبل السوق، وكان بردى في مرج شعبان من ثلاثة أشهر ليس فيه قطرة ثم بعد يوم فرغ الماء وعاد وادي مرج شعبان يبساً كما كان ونشف بعد يومين وانقطعت عدة عيون كقناة يلدا وقناة زملكا، وكانت سنة قليلة الماء ويست أشجار كثرة، انتهى. وقال السيد في «ذيل العبر»: في سنة إحدى وستين وسبعمائة وفي ذي الحجة موافقة لتشرين الأول أرسل بعامة بلاد الشام رعد عظيم وبرق وصواعق وأمطرت السماء مطراً عظيماً وسقط برد في بعض الأماكن نحو البيض وما دونه، وهلك من ذلك خلق من السيول وأبيدت كروم كثيرة واستمرت المياه متغيرة نحو شهر، انتهى. وهي آخر سنة ذكرها.

وقال الأسدي في «تاريخه»: في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة في جمادى الآخرة منها وفي ليلة الثلاثاء حادي عشره جاءت زيادة عظيمة بحيث طلعت إلى الدرجة العالية من جامع يلبغا ولم يبق إلا يسير وتدخل إلى الجامع، وصار تحت القلعة إلى باب خان الظاهر بحراً وتهدمت بيوت ودكاكين كثيرة وعدم الناس شيئاً

كثيراً، ومات تحت الهدم وبالزيادة جماعة من الناس، وكان قد بني تحت الدكاكين
بباشورة باب الفراديس عضادة بحجارة جرت على عجل فأخذتها الزيادة، انتهى.
وقال فيه: في سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة في رجب وفي يوم الإثنين ثامن
عشره جاءت زيادة كثيرة طمت تحت القلعة إلى خان الظاهر إلى باب دار الطليخ
وبلغني أن الماء علا على الجسر الذي عند باب الحديد ذراعاً وجاءت الأخبار
بكثرة الأمطار في سائر الجهات، انتهى. بعد أن قال: في سنة ثلاثين وثمانمائة في
ربيع الأول وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر جاءت زيادة مفرطة فخرت أماكن بين
النهرين وهدت جسر الزلابية وجسر الحديد وجسر برج الشيخ، ووصل الماء إلى
خان الظاهر وأغلق السوق الذي فيه أياماً، ووصل الماء إلى دكاكين التجار وصار
الماء بين بابي الفرج والفراديس نحو قامة، وغرق زرع قرى حول البحيرة حتى
قيل: هذا هو الطوفان الأصغر وكانت هذه الزيادة بسبب كثرة الأمطار، انتهى.
وقال: في جمادى الآخرة منها وفي يوم الجمعة ثالث عشر حصل صعقة أتلفت
شيئاً كثيراً من اللوز والعنب الداراني والجوز والمشمش، وكان ذلك في خامس
عشر نيسان فاعرفه، انتهى.

وأعظم زيادة بلغتنا زيادة حصلت في بعلبك قاله الذهبي في «مختصر تاريخ
الإسلام» في سنة سبع عشرة وسبعمائة وفيها جاءت الزيادة العظمى التي لم يسمع
بمثلها ببعلبك في صفر فغرق فيها بداخل المدينة مائة ونيف وأربعون نفساً،
وهدت من سور البلد برجاً وبدنه وهي من الصخر المحكم فخرق من السور
مساحة أربعين ذراعاً مسيرة خمسمائة ذراع، ثم تفسخ بعد ذلك وأندك، وهدم
السيول ما مر عليه إلى أن ملأ الجامع فخرق الحائط الغربي وأذهب الأموال وخنق
الرجال والأطفال، ثم أسرع إلى الخندق الذي للقلعة فخرق من سور البلد يقال:
مساحة خمسة وعشرين ذراعاً وانحط إلى البساتين وكان منظراً مهولاً فظن أنها
القيامة وتواترت الأخبار بذلك وما الخبر كالعيان، والذي انهدم من البيوت
والحوانيت ستمائة موضع. وحدثني القاضي شمس الدين بن المجد أن السيول دخل
بيته وغرق كتبه وزوجته وحماته فرمى بها إلى الأمانة فماتت ورفع السيول زوجته
فألقاها فوق عقد باب الأمانة ثم أنزلت بعد بسلم وحمل الماء رأس عمود حتى
ألقاه على ركن بحذاء العمود في ارتفاعه، وهو من أعجب ما سمعت، انتهى.
ومثله في (العبر).

وقال في «ذيلها»: في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وفي جمادى الأولى كان غرق بغداد المهول من الزيادة وبقيت السفينة وسواى الماء الأسوار وعمل في سد السكور كل أحد، ودثرت الحوافر وغرق أمم من الفلاحين وعظمت الاستغاثة بالله، ودام خمس ليال وعملت سكورة فوق الأسوار، ولولا ذلك لغرق جميع البلد وليس الخبر كالعيان. وقيل: تهدم بالجانب الغربي نحو خمسة آلاف بيت، ومن الآيات أن مقبرة الإمام أحمد ابن حنبل غرقت سوى البيت الذي فيه ضريحه فإن الماء دخل في الدهليز علو ذراع ووقف بإذن الله وبقيت البواري عليها غبار حول القبر، صح هذا عندنا وجر السيل أخشاباً كباراً وحيات غريبة الشكل صعد بعضها في النخل، ولما نضب الماء نبت على الأرض شكل بطيخ كطعم القثاء، انتهى.

(اللمعات البرقية ص ٢٥ - ٢٩، وانظر في هذا الكتاب مادة: فيضان نهر بردى).

السباق: قال البرزالي: وفي يوم السبت العشرين من ربيع الآخر سنة ٧١٤ هـ وهو ثالث آب: سعى من دمشق عبد السلام المصري والغزاوي إلى غباغب وعادا من يومهما، ولم يسبق أحدهما الآخر، وقبل ذلك سعى عبد السلام المذكور من حمص إلى دمشق يوم السبت أيضاً، ثم سعى في السبت الذي بعده حميد المكارى على باب الفرج من حمص أيضاً فتأخر قليلاً فحكم عليه بالغلب، وكان وصوله إلى الخان وقت العصر، ولكنه ثار عليه فتق آخره، وكان جماعة يتعصبون له فتألّموا لذلك كثيراً.

(الوفيات للبرزالي ص ٢٤٧).

السرايا القديمة: كانت في محلة الدرويشية وبالضبط مكان المشيرية الذي أقيم مكانه القصر العدلي.

(قصور الحكام في دمشق لعبد القادر الرياحوي ص ٨٥).

سلسلة الحفاظ للحديث وسلسلة المفسرين وعلماء القراءات وفقهاء الشافعية والحديث المسلسل وفقهاء الشافعية.

قال الإمام تاج الدين السبكي:

سلسلة الحفاظ، وقد كان شيخنا الذهبي يوردها وكتبها بخطه وقرأتها عليه وأنا أرى إيرادها هنا من قبلي:

فأقول: لم تر عيناى أحفظ من أبي الحجاج المزى وأبى عبد الله الذهبى ،
والوالد (أبى تقي الدين السبكي) رحمهم الله ، وغالب ظنى أن المزى يفوقهما فى
أسماء رجال الكتب الستة ، والذهبى يفوقهما فى أسماء الرجال من بعد الستة
والتواريخ . والوالد يفوقهما فى العلل والمتون ، والجرح والتعديل ، مع مشاركة
كلّ منهم لصاحبه فيما يميّز به عليه ، المشاركة البالغة .

وسمعتُ شيخنا الذهبى ، يقول: ما رأيتُ أحداً فى هذا الشأن أحفظَ من
الإمام أبى الحجاج المزى ، وبلغنى عنه أنه قال: ما رأيتُ أحفظَ من أربعة:
ابن دقّيق العيد ، والدّمياطى ، وابن تيميّة ، والمزى ، فالأولُ أعرفهم بالعلل
وفقه الحديث ، والثانى بالأنساب ، والثالث بالمتون ، والرابع بأسماء الرجال .

قال: وسمعتُه يقول فى شيخنا أبى محمد الدّمياطى: إنه ما رأى أحفظَ منه ،
وكان الدّمياطى يقول: ما رأى شيخاً أحفظَ من زكيّ الدين عبد العظيم ، وما رأى
الزكيّ أحفظَ من أبى الحسن عليّ بن المفضّل ، ولا رأى ابن المفضّل أحفظَ من
الحافظ عبد الغنى ، ولا رأى عبد الغنى أحفظَ من أبى موسى المدينى ، إلا أن
يكون الحافظ أباً القاسم ابن عساكر ، فقد رآه ولم يسمع منه ، هذا كلام
الذهبى .

قلت: لا ريب أن ابن عساكر أحفظَ من ابن المدينى ، والذهبى يعرف هذا ،
ولكن عُذره عدّم سماع عبد الغنى منه ، كما ذكر ، فكأنه يُسلسلُ للرؤية مع
السماع ، لا لمجرد الرؤية .

ثم قال شيخنا ، وسمعتُه منه: ولا رأى ابن عساكر والمدينى أحفظَ من أبى
القاسم إسماعيل بن محمد التميمى .

ولا رأى إسماعيلُ أحفظَ من أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى .

ولا رأى ابن طاهر أحفظَ من أبى نصر ابن مأكولا .

ولا رأى ابن مأكولا أحفظَ من أبى بكر الخطيب .

ولا رأى الخطيبُ أحفظَ من أبى نعيم .

وأبو نعيم ما رأى أحفظَ من الدارقطنى ، وأبى عبد الله بن منده ، ومعهما
الحاكم .

وكان ابنُ مَنَدَه يقول: ما رأيتُ أَحْفَظَ من أبي إِسْحاقَ ابنِ حمزة الأصبهانيِّ .
 وقال ابن حمزة: ما رأيتُ أَحْفَظَ من أبي جعفر أحمد بن يحيى بن زهير
 الشُّسْرِيِّ ، وقال: ما رأيتُ أَحْفَظَ من أبي زُرْعَةَ الرازيِّ .
 وأما الدارقُطَنِيّ فما رأى مِثْلَ نَفْسِهِ .
 وأما الحاكمُ فما رأى مِثْلَ الدارقُطَنِيّ ، بل وكان يقول الحاكم: ما رأيتُ
 أَحْفَظَ من أبي عليِّ النَّيسابُوريِّ ، ومن أبي بكر ابن الجعابيِّ .
 وما رأى الثلاثة أَحْفَظَ من أبي العباس ابن عُقْدَةَ .
 ولا رأى أبو عليِّ النَّيسابُوريِّ مِثْلَ النَّسَائِيِّ .
 ولا رأى النَّسَائِيِّ مِثْلَ إِسْحاقَ بنِ راهويِّه .
 ولا رأى أبو زُرْعَةَ أَحْفَظَ من أبي بكر ابن أبي شَيْبَةَ .
 وما رأى أبو عليِّ النَّيسابُوريِّ مِثْلَ ابنِ خُزَيْمَةَ .
 وما رأى ابنُ خُزَيْمَةَ مِثْلَ أبي عبد الله البُخاريِّ .
 ولا رأى البُخاريِّ ، فيما ذكر ، مِثْلَ عليِّ بن المَدِينِيِّ .
 ولا رأى أيضاً أبو زُرْعَةَ والبُخاريِّ وأبو حاتم وأبو داود مِثْلَ أحمد بن حَنْبَلٍ ،
 ولا مِثْلَ يحيى بن مَعِينٍ ، وابنِ راهويِّه .
 ولا رأى أحمدُ ورفاقه مِثْلَ يحيى بن سَعِيدِ القَطَّانِ .
 ولا رأى هو مِثْلَ سُفْيَانَ ومالِكٍ وشُعْبَةَ .
 ولا رأوا مِثْلَ أَيُّوبِ السَّخْتِيَّانِيِّ .
 نعم ، ولا رأى مالِكُ مِثْلَ الرُّهْرِيِّ .
 ولا رأى الرُّهْرِيِّ مِثْلَ ابنِ المُسَيَّبِ .
 ولا رأى ابنُ المُسَيَّبِ أَحْفَظَ من أبي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه .
 ولا رأى أَيُّوبُ مِثْلَ ابنِ سِيرِينَ .
 ولا رأى مِثْلَ أبي هُرَيْرَةَ .
 نعم ، ولا رأى التَّوْرِيَّ مِثْلَ منصور .

ولا رأى مَنْصُورَ مثلَ إبراهيمَ .

ولا رأى إبراهيمَ مثلَ عَلْقَمَةَ .

ولا رأى عَلْقَمَةَ كابن مسعود ، فيما زعم .

قلت : هذه السِّلْسِلَةُ التي كان شيخنا الذَّهَبِيُّ يذكرها ، ولولا كراهتي للكلام في التفصيل ، لاسيما فيمن لم نلقهم ، لكنك أتكلّم عليها .

وأقول على نَمَطِها : ما رأيت عيناى أعلم بالتفسير من الشيخ الوالد ، ولا رأى هو فيما ذكر عنه كشيخه العراقي ، ونقطع الكلام من هنا ، ولو شئنا لوصلناه إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، ولكن الكلام في التفصيل صعب .

وأقول : ما رأيت عيناى أعرف بالقراءات منه ، لأنى وإن أدركت الشيخ ابن بسخان ، فلم آخذ عنه .

وكان الشيخ الوالد ، يقول : ما رأيت فيها كابن الصائغ .

وأقول : ما رأيت عيناى أفقه من الشيخ الوالد ، ولا رأى هو أفقه من ابن الرِّفْعَةِ ، ولا رأى ابن الرِّفْعَةِ فيما ذكر أفقه من الظَّهير التُّزْمَتِي .

وأقول : ما رأيت بعد أبي حيان أنحى منه ، وكان يفوقه في حُسن التَّصَرُّفِ فيه ، وتصانيفهما تُنبئك عن ذلك ، وكان هو يقول : لم نلق في صناعة اللسان كأبي حيان .

ولا رأيت عيناى في المعقولات بأسرها ، وفي علم الكلام على طريق المتكلمين مثله ، وكان يقول : إنه لم يلق فيها كالباجي ، ولم يلق الباجي كالشيخ الخُسْرُ وشاهي ، ولم يلق الخُسْرُ وشاهي كالإمام فخر الدِّين الرازي .

ولتبرِّك عند ختم هذه السِّلْسِلِ بِذكر حديث مُسَلَّسٍ بالفقهاء .

فنقول : أخبرنا إمامُ الفقهاء والمحدثين الوالدُ رحمه الله ، بقراءتي عليه :

أخبرنا الفقيه الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف ، في كتابه .

(ح) :

وحدَّثنا الفقيه الحافظ أبو سعيد خليل بن كَيْكَلِيدِي ، من لفظه بالمسجد

الأقصى : أخبرنا محمَّدُ بن يوسف بن المهتار الفقيه ، بقراءتي ، قال : أخبرنا

الفقيه الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن الصَّلاح ، قال أبو محمد :

كِتَابَةً ، وقال ابن المِهْنَار: سَمَاعاً ، قال: أخبرنا الفقيه ابن الفقيه ابن الفقيه ، أبو بكر ، القاسم بن عبد الله بن عُمَر النَّيْسَابُورِيِّ بها ، قراءةً مني عليه ، وأخبرنا أبو البركات عبد الله بن محمد بن الفضل ، الفقيه ابن الفقيه ابن الفقيه ، حَدَّثَنَا جَدِّي أبو عبد الرحمن الشَّحَامِيُّ ، وأبو عليّ الجاجزِمِيُّ الفقيهان في فنيهما ، قالوا: حَدَّثَنَا الإمام أبو منصور ، البَغْدَادِيُّ الفقيه ، حَدَّثَنَا أبو زكريا يحيى بن أحمد الشُّكْرِيُّ الفقيه ، والقاضي أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحُخْتَنِيُّ الفقيه ، والإمام أبو طاهر محمد بن محمد الزِّيَادِيُّ الفقيه ، قالوا: حَدَّثَنَا أبو الوليد حَسَانُ بن محمد القُرَشِيِّ الفقيه ، حَدَّثَنَا القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سُريج الفقيه ، قال: حَدَّثَنَا أبو داود السَّجِسْتَانِيُّ الفقيه الحافظ ، حَدَّثَنَا محمد بن سليمان الأَنْبَارِيُّ الفقيه ، حَدَّثَنَا زيد بن الحُبَاب ، البارِعُ في الفقه والحديث ، عن محمد بن مُسْلِم الطائِفِيِّ ، أفقه أقرانه ، عن عمرو بن دينار ، فقيه آل الرُّبَيْر ، عن عِكْرَمَةَ فقيه مَكَّة ، عن ابن عَبَّاس الذي دعا له ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ ، فَفَهِّهْ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ» قال: قُتِلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِيْنَهُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا .

(طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ١٠/٢٢٠).

سلسلة فقهاء الشافعية: ذكر النجم الغزي في ترجمة الشيخ أبي بكر المعروف بابن قاضي عجلون الدمشقي .

قال: إني أقول: ما رأيت ولا أظن أني أرى أفقه من شيخ الإسلام والذي وسمعتة أو حضرته وهو يقول: ما رأيت أفقه من شيخ الإسلام زكريا ولا أحسن تصرفاً إلا أن يكون شيخ الإسلام تقي الدين أبو بكر ابن عبد الله ابن قاضي عجلون وهو أكثر نقلاً واستحضاراً، وهما ما رأيا أفقه من شيخ الإسلام الشمس القاياتي، وهو ما رأى أفقه من شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، وهو ما رأى أفقه من شيخ الإسلام تقي الدين السبكي، وهو ما رأى أفقه من فقيه المذهب النجم ابن الرِّفْعَة، وهو ما رأى أفقه من السيد التزمتمتي فقيه وهو ما رأى أفقه من سلطان العلماء ابن عبد السلام، وهو ما رأى أفقه من الإمام فخر الدين ابن عساكر الحافظ، وهو ما رأى [أفقه من] القطب النيسابوري، وهو ما رأى أفقه من الإمام محمد ابن يحيى، وهو ما رأى أفقه من حجة الإسلام الغزالي، وهو ما رأى أفقه من أبي المعالي إمام الحرمين، وهو ما رأى أفقه من والده الشيخ

أبي محمد الجويني، وهو ما رأى أفقه من القفال، وهو ما رأى أفقه من الإمام أبي زيد المروزي، وهو ما رأى أفقه من شيخ الإسلام أبي إسحاق المروزي، وهو ما رأى أفقه من الباز الأشهب ابن سريج، وهو ما رأى أفقه من الإمام أبي القاسم الأنماطي، وهو ما رأى أفقه من الإمام أبي إبراهيم المزني، وهو ما رأى أفقه من إمام الأئمة أبي عبد الله محمد ابن إدريس الشافعي، وهو ما رأى أفقه من إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك ابن أنس، وهو ما رأى أفقه من الإمام نافع، وهو ما رأى أفقه من عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، وهو ما رأى أفقه من رسول الله ﷺ.

وأخبرنا شيخ الإسلام الوالد قال: أخبرنا شيخ الإسلام تقي الدين ابن قاضي عجلون، عن أخيه شيخ الإسلام نجم الدين أن جميع الذين أفتوا في عهد سيدنا رسول الله ﷺ في قوله رحمه الله تعالى:

لقد كان يفتي في زمان نبينا
مع الخلفاء الراشدين أئمة
معاداً وعماراً وزيد بن ثابت
أبي ابن مسعود وعوف خذيفة
ومنهم أبو موسى وسلمان خبهم
كذلك أبو الدرداء وهو تمة
وأفتى بمرآه أبو بكر الرضى
وصدقه فيها وتلك مزية

وتوفي شيخ الإسلام تقي الدين ابن قاضي عجلون صاحب الترجمة في ضحوة يوم الإثنين حادي عشر رمضان سنة ثمان وعشرين وتسعمئة بمنزله بالدولعية داخل دمشق، وصلى عليه ولده قاضي القضاة نجم الدين شمالي مقصورة الجامع الأموي ودفن بمقبرة باب الصغير.

(الكواكب السائرة ١/١١٧).

السنبوسك: عجين مرقوق يقطع بالسكين على شكل مستطيل بعرض نحو أصبعين، يوضع فيه مجروش الجوز أو الفستق مع شيء من السكر، ويلف بشكل مثلث متساوي الأضلاع ويقلى بالسمن ثم يوضع في القطر ويؤكل. ويكاد يصبح الآن منسياً لقلة استعماله، ويقال للمثلث المتساوي الأضلاع: إنه سنبوسكي الشكل.

(في رحاب دمشق ص ٨٤).

سنير: جبال دمشق المقابلة للبنان.

(الأعلاق الخطيرة ١/٣٥٧ الحاشية رقم ٥).

سورية: اسم غلب إطلاقه على القطر الشامي ، والشام يتناول اليوم فلسطين والأردن وسورية .

قال البكري: سورية بضم أوله وكسر الراء المهملة وتخفيف الياء أخت الواو وفتحها اسم للشام .

وسبب التسمية: قيل: إن تسميته بسورية نسبة لصور ثغر الشام القديم ومخرج الصاد والسين واحد .

وقال آخرون: إن اليونان لما فتحوا الشام رأوا الآشوريين يتولون أمره فسموه آشورية .

وكان الفرس يسمون العراق والجزيرة والشام سورستان إضافة إلى السريانيين الذين هم الكالانيون وتسميهم العرب النَّبَط .

(خطط الشام ١/٧) .

سوق الخواصين: كان في عهد المماليك ، وهو الآن سوق الخياطين ، والخواصون جمع خواص؛ وهو الصائغ الذي يحوصل أي: الذي يزين الأشياء بصفائح الذهب .

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٧١) .

سوق الخججا (الخوجة): في سنة ١٣٢٣ هـ تجدد السوق المعروف بسوق الخوجة المنشأ على الطرز الجديد في محل عرصة خندق قلعة دمشق الغربي الذي ابتاعها راغب بن رشيد الخوجة من الدائرة العسكرية ، وشارك في تعميره أحدالمسيحيين المعروف بابن الأصفر ، ولهذا السوق أربعة أبواب أولها في مبتدأ سوق الأروام ، والثاني تجاه سوق النحاسين ، والثالث هو النافذ بين باب القلعة القديم إلى تجاه سوق القميلة وجامع السيد خليل ، والرابع المقابل لجامع السنجدار ، وهذا السوق من أطف أسواق دمشق الحديثة جداً .

(الروضة البهية ص ٣٥) .

سوق العظم: ذكر المرادي في ترجمة الوزير محمد باشا بن مصطفى العظم: والي دمشق وأمير الحج الشريف للمرة الأولى في رجب سنة ١١٨٥ هـ وعزل عنها في ربيع الأول سنة ١١٨٦ هـ ثم أعيد إلى دمشق وإمارة الحج سنة ١١٨٧ هـ وبقي فيها إلى وفاته ١٣ جمادى الأولى سنة ١١٩٧ هـ ، وفي عهده بنى المترجم

السوق الذي يقرب داره تجاه القلعة الدمشقية عند المدرسة الأحمدية ، وكان الشروع في بنائه في أوائل جمادى الأولى ١١٩٥ هـ .
(سلك الدرر ٩٧/٤).

سوق علي باشا: تجدد في سنة ست وتسعين ومئتين وألف ، وهو تجاه دوائر الحكومة والبلدية والعدلية إلى ساحة سوق الخيل ، والموصلة إلى سوق ساروجا وخلافها .

(الروضة البهية ص ٣٤ - ٣٥).

وقد فتح في عهد عمر فوزي باشا والي دمشق (المنتخبات ص ٢٧١).

سوق الفسقار: اسمه اليوم سوق مدحت باشا .

(تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٢١٥).

والفسقار كما فسره سوفاجيه في مقالة (دمشق الشام) ص ٢٠: يدل على مكان صنع الفسقة ويبيعها ، والفسقة شراب فيه ماء وخل ، كان يشربه الجنود الرومان .

السوق الكبير: من باب الجابية إلى باب شرقي .

(دمشق في العهد الأيوبي نقلاً عن رحلة ابن جبير).

وهو السوق المستقيم أي: الطريق الروماني الذي يصل الباب الشرقي بباب الجابية .

سوق القواسين أو قيسارية القواسين: هو من السلاح كان في غربي الجامع الأموي .

(علم الساعات ص ٣٣).

سوق اللبادين: شرقي الجامع الأموي .

(علم الساعات ص ٢٧).

سوق مدحت باشا: في سنة ١٣٠٨ هـ تجدد تعمير سوق مدحت المبتدأ أوله من سوق باب الجابية تجاه منارة جامع سيباي الواقع في أول سوق الدرويشية ، وآخره متصل بأول سوق مثذنة الشحم الممتد إلى محلة النصارى بالطريق الموصل إلى باب شرقي وهو سوق على طراز سوق الحميدية .

(الروضة البهية ص ٣٤).

سويقة صاروجا: أنشئت في عهد تنكز المقتول سنة ٧٤١هـ.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١١٧).

السيدة زينب: انظر التحقيق في أن القبر الذي هناك إنما هو قبر أم كلثوم ، وهي امرأة من أهل البيت سميت بأم كلثوم ولم يحفظ نسبها .

(الأعلاق الخطيرة ١/١٣٤ وفي الحاشية ٣ من الكتاب نفسه ١/١٨٢).

إنها زينب بنت علي بن أبي طالب كنيته أم كلثوم، أمها فاطمة الزهراء ، وكانت مع أخيها لما قتل فحملت إلى دمشق وحضرت عند يزيد بن معاوية .

شارع بغداد: تم تشييده في عهد رئيس الدولة السورية أحمد نامي الذي تولى سنة ١٩٢٦م وتم فتحه لكي يلاحق الفرنسيون الثوار بدباباتهم ومصفحاتهم إلى الغوطة .

(المنتخبات ص ٢٩٧).

الشام: أقسامها خمسة: الأولى فلسطين وأوسطها بلدة الرملة ، والثانية حوران ومدينتها العظمى طبرية ، والثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق ، والشام الرابعة: حمص ، والشام الخامسة: قنسرين ومدينتها العظمى حلب .

(منتخبات التواريخ لدمشق ص ٢٢).

الشام: معناها الطيب . وإطلاق الشام على دمشق من باب إطلاق العام على الخاص .

(خطط الشام ١/٨).

الشام: الشام والشام والشام: يتناول الأقاليم الداخلة في فلسطين وسورية بحسب الاصطلاح الحديث .

يجوز في اسم الشام التذكير والتأنيث ، والمشهور التذكير .

وسميت بالشام لتشائم بني كنعان إليه ، وقيل: بل بسام بن نوح لأنه نزل به واسمه بالسريانية شام ، وقيل: لأن أرضه؛ أي أرض الشام مختلفة الألوان بالحمرة والسواد والبياض ، فسمي شاماً لذلك . كما يسمى الخال في بدن الإنسان شامة ، وقيل: سمي شاماً لأنه عن شمال الكعبة .

(خطط الشام ١/٧-٨).

الشرف الأعلى والأدنى: لنهر بردى شرفان (والشرف المكان المشرف على غيره) يشرفان عليه: أحدهما وهو الأعلى في الجهة الشمالية التي فيها جامع الطاووسية ومدرسة التجهيز الأولى (ثانوية جودت الهاشمي) ودار المعلمين. والآخر الشرف الأدنى وهو القبلي شارع جمال باشا (النصر) إلى جامعة دمشق.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١١٩ ، دمشق في عهد الأيوبيين ص ٥٦).

الشرف القبلي (الأدنى): يمتد من جامع الأمير تنكز في حكر السماق (شارع النصر حتى قبور البرامكة) إلى قبور الصوفية (جامعة دمشق اليوم).

(دمشق في عهد الأيوبيين ص ٥٦).

الشروط العمرية: هي المعاهدة العمرية والشروط التي شرطها أهل الذمة على أنفسهم ، في مقابل حفظ دمائهم وأموالهم وإقامة بعض شعائر دينهم على كيفية مخصوصة ، وكتبوا بذلك كتاباً إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فزاد فيها أشياء .

(منتخبات التواريخ لدمشق ص ٥٩ - ٦٣).

الشروطيون: جمع شروطي: هو العارف بالشروط ، وهو الشاهد العدل ، أو الشاهد أو الكاتب العدل .

(علم الساعات ص ٢٤).

شكري العسلي: حاول منع اليهود عام ١٩١٠م من شراء الأراضي في فلسطين ، وكان يشغل قائم مقام الناصرية ، ولكن والي بيروت وافق على البيع . (سورية في القرن التاسع عشر ص ١٢٩).

شمهورش: ذكر المرادي في ترجمة أحمد بن علي المنيني الدمشقي المتوفى سنة ١١٧٢هـ أن والده روى عن قاضي الجن عبد الرحمن الصحابي الجليل الملقب بشمهورش ، فإنه اجتمع به والده في حدود سنة ثلاث وسبعين وألف وصافحه وأخاه ، وأمره بقراءة شيء من القرآن فقرأه وهو يسمع ، فلما أتم قراءته قال له: هكذا قرأه علينا النبي ﷺ بين الأبطح ومكة ، وتكرر اجتماعه به بعد ذلك وقد توفي شمهورش المذكور في سنة تسع وعشرين ومئة وألف ، وأخبر بوفاته الأستاذ عبد الغني النابلسي ، ووافق تاريخ وفاته فقد الجنيني شمهورش .

(سلك الدرر ١/١٣٤).

شيخ الشيوخ: هو رئيس خوانق الصوفية جميعاً ، وكان لهذه الوظيفة قيمة سياسية تزيد على قدرة قضاء القضاة .

(ولادة دمشق في عهد المماليك ص ٦٨).

ثم أصبح هو الذي يعقد الشد والعهد لأهل الصنائع ، وكان صاحب المنصب يعرف قديماً بسلطان الحرافيش ، ثم كني احتشاماً بشيخ الشيوخ ، والله تعالى أعلم .

(خلاصة الأثر ٤/١٤٥).

الشهود: هم مجموعة من الكتاب المعروفين بشؤون العقود والكتابة ، وكانت مهمتهم التأكد من صحة العقود والتوقيع عليها منعاً من حدوث مشكلات بسببها في المستقبل ، وكانوا يقيمون في دكاكين حول الجامع الأموي ، وفي أماكن متفرقة من البلد قريباً من مركز القضاة ، وهم أصلاً موظفون عند القاضي ، وكانوا ينتقون من أهل العلم والصلاح وتشبه مهمتهم (الكتاب العدل) في الوقت الحاضر .

(تاريخ البصروي حاشية ٢ ص ٥٧).

الصحافة بدمشق: قال محمد كرد علي في «مذكراته»: بدأت أقرأ الجرائد اليومية في الثالثة عشر من عمري وأنا في السنة الأخيرة من المدرسة الابتدائية ، وبعد حين اشتركت بجريدتين: الأسبوعية ولسان الحال نصف الأسبوعية ، أولعت بمطالعة لسان الحال لأن فيها أخباراً طريفة معربة عن الإنكليزية ، واشتركت لما كنت في السنة الثانية من المدرسة الثانوية بجريدة إفرنسية أسبوعية تصدر في باريز اسمها (صديق الريف) وأطلع بعض الصحف التركية الصادرة عن الأستانة ولاسيما المجلات الأدبية والتاريخية ، وما بلغت السادسة عشرة حتى أخذت أخباراً ومقالات في الجرائد .

(المذكرات ٥١ ، محمد كرد علي - حياته وآثاره، ص ١٩).

الصحف في دمشق: صدرت جريدة ولاية سورية الرسمية عام ١٢٨١ هـ/ ١٨٦٤ م بإدارة خليل الخوري .

(كتاب سورية في القرن التاسع عشر ص ١٨٤).

صدر الباز: هو المرج الأخضر غربي دمشق والشرفان القبلي والشمالي ، وقد

شبهوه بصدر الباز؛ لأن وادي بردى ينضم من رأسه ثم يعلوه جبلان هما كالرأس للباز ، ثم يتسع فيكون الشرفان كالأجنحة له .

(دمشق في عهد الأيوبيين ص ٥٦).

الصناجق: أمراء بمصر زمن الأتراك العثمانيين . أصله سنجق: صاحب علم وهو أمير ، واستعملوه زمن الأتراك ، حتى جمعه على سناجق ، فالسناجق كلمة محرفة في التركيب والحروف . أبادهم محمد علي باشا الذي تولى مصر سنة ١٢١٩ هـ .

(هامش سلك الدرر ١/٣٨).

صورة لختم كتاب سنن أبي داود: قال ابن طولون في «تاريخه» في حوادث سنة سبع وتسع مئة: وفي يوم السبت ثالث ربيع الآخر منها ، وهو ثالث عشرين تشرين الأول ختمت «سنن أبي داود» على الشيخ سراج الدين ابن الصيرفي بمحل المجاورة الحنفية قرب مقصورة الخضر بالجامع الأموي ، وحضر شيخنا محيي الدين النعمي ، وشيخنا شمس الدين الخطيب المصري الحنفي ، وفرّق المسّمع علينا علماً كثيرة فوق العشرة: حلاوة صابونية ودراهم في قراطيس ، وأعطاني منها واحدة ، وذلك في عدة وأربعين مجلساً ، كعدد سماعه لها مع والده بقراءة القطب الخيضرى على السيد زين الدين ابن الطحان كاتب الجرائد بسوق جقمق ، كان بالجامع أيضاً .

(مفاكهة الخلائق ١/٢٤٨).

طاحون الأشنان: على طريق الأكراد من جهة مقبرة الدحداح ، وكانت سابقاً قرية بيت أبيات .

(غوطة دمشق ص ١٦٣).

طاحونة السقفين: مشرفة على نهر بردى .

(المنتخبات ص ٤٠٦).

الطارمة: تعبير مملوكي هو القبة أو الغرفة العالية مفتوحة من جوانبها يطل الجالس فيها على ما حوله .

طريق الأربعين: عُمر إلى تربة خالد النقشبندى في عهد حسن رفيق باشا والى دمشق الذي تولّاها سنة ١٣١٢ هـ .

(منتخبات التواريخ لدمشق).

طريق دمشق بيروت: كان المسافرون القادمون من بيروت يصعدون من دمر نحو جبل قاسيون ويبلغون قمة السيار ، ثم يهبطون من العقبة التي تدعى عقبة دمر نحو حي المهاجرين الحالي ، ودام ذلك دوام القرون الماضية إلى أن مدت شركة مركبات الديليجانس الفرنسية سنة ١٢٧٦ هـ الطريق المعبد من بيروت إلى دمشق فجعلتها تمر من الربوة ، ولما تألفت شركة (د ح ت) سنة ١٣١٠ هـ مدت السكة الحديدية بموازية طريق المركبات من الربوة أيضاً فصارت الربوة مدخل دمشق الأصلي.

(الريف السوري ١٩٣/٢).

طريق دمشق بيروت: افتتح عام ١٨٦٠ هـ للعجلات، أما طريق بيروت دمشق الحديدي فقد تم إنشاؤه سنة ١٨٩٤ م.

(سورية في القرن التاسع عشر ص ١٥٥).

عالقين: قرية بظاهر دمشق (انظر حواشي ديوان ابن عنين لقصيدته الرائية في مدح دمشق).

عالية وعويلة: كانت عند القطائع ذكرها ابن جبير في رحلته وهو موضع قرب مسجد القدم على ميلين من دمشق ، كما يقول ابن عساكر ، وعالية من أرض قرية القدم بقي اسمها فقط. (غوطة دمشق ص ١٧٤ ، ٢٣٨).

عدد سكان دمشق سنة ١٥٤٨ م:

يزيد على ٣٤٠٠٠ نسمة منهم ٣٠٠٠ مسيحيون ، ١٠٠٠ يهودي والأخيران يسكنون في الضواحي الشرقية لباب توما وباب شرقي ، وأحياء دمشق (حاراتها) ٣٨ ، ستة في الصالحية ، وواحد خارج باب الجابية ، وأكثر الأحياء كثافة باب المصلح بلغ تعداد سكانه ٣٠٠٠ نسمة، وحي الميدان أكثر من ٢٠٠٠ نسمة.

عدد سكان دمشق سنة ١٩٥٢ م:

بلغ عدد سكان دمشق حسب إحصاء سنة ١٩٥٢ م: ٣٧٢٧٠٨ نسمة.

وقضاء دومة ٨٠٦١٧.

وقضاء دمشق الغوطة ٧٨٤٠١.

وقضاء القنيطرة ٥٦٧٤٧.

وقضاء النبك ٥٣٧٤٧ .

وقضاء قطنا ٤١٧٧٩ .

وقضاء القطيفة ٣٩٧٠٨ .

وقضاء الزبداني ٢٥٨٢٠ .

المجموع ٣٦٦٥١٩ .

(الريف السوري ١/٣٠) .

عزّتا: موضع قرب قرية التل (انظر تحقيق خليل مردم بك في ديوان ابن عنين ، وكرد علي في غوطة دمشق ص ٨٧ بالحاشية) .

ابن عساكر ووقفه: ذكر ابن طولون في حوادث سنة ٩٠٩ هـ: وفي يوم الثلاثاء حادي عشرين ذي الحجة ثبت على شيخنا المحيوي النعيمي تقرير السراج ابن الصيرفي لشهاب الدين ابن السويدي في نظر وقف الحافظ ابن عساكر عن الزيني المقتول لكونه مزوّجاً بامرأة من ذرية الواقف المذكور .
(مفاكهة الخلاص ١/٢٧٤) .

عشّرا: موضع بحوران من أعمال دمشق (انظر حواشي ديوان ابن عنين لقصيدته الرائية في مدح دمشق) .

العصبية القبلية بدمشق حتى سنة ٩٢٦ هـ: ذكر ابن طولون الدمشقي في «تاريخه» في حوادث سنة ٩٢٦ هـ: وفي يوم الإثنين تاسع عشر جمادى الأولى كانت زفة ختان الولد محمد بن الأزعر أحمد بن قبيعة الحائك في الكتان ، وكانت هائلة عزم والده فيها الشباب من حارات دمشق وضواحيها كالشاغور والقيبات وكفرسوسية والمزة والقابون وبرزة وحرستا ، واجتمعوا بالصالحية عند الجامع المظفري بالعدد الكاملة والأقمشة المفتخرة ، وأعارتهم الحكام عدة خيول ملبّسة ، قيل: سبعة ، وجاءت الحراسته معهم بنقرهم ملبسين ، وعمل بعض الحياك له نولاً محمولاً على دابتين ينسج فيه .

ونزلوا الصالحية خلا النول المذكور على درب الشبلية ، وداروا دورة دمشق على باب الجابية ثم الشاغور ، ثم الشيخ أرسلان ، ثم السبعة ، ثم مسجد الأقباب ثم حارة المزابل ، فوقع بينهم وبين أهلها بسبب أن من في الزفة قيسية وأهل هذه الحارة يمنية ، وبينهما من العداوة مالا يخفى فُجرح بعض الناس ،

ولولا لطف الله حصل بوقوع نائب الغيبة ثمة لحصل شر عظيم ، فحال بينهما ثم عادوا إلى الصالحية على طريق الجسر ، ومعهم الطبول والزمور والمغاني والمخايلة وغير ذلك .

(مفاكهة الخلان ١٠٥/٢).

العصر: من أنواع التعذيب في زمن المماليك ، وكثيراً ما كان يعذب به الوزراء وأصحاب الأموال الكثير لأجل أن يعترفوا بما يخفونه من الأموال ، وكيفية ذلك أن يوضع الشخص أو أطرافه بين خشبتين ويضغط عليه حتى تكاد تزهد روحه ، ثم يحل عنه ، ويطلب إليه أن يعترف ويقر بما عنده من الأموال ، ويكرر له هذا العمل حتى تطمئن نفس المعذب أنه لم يبق لديه شيء .

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٧١).

العظم: قصر أسعد باشا .

(انظر دراسة عنه في مجلة المشرق المجلة ص ٢٤).

عقبة دمر: أحد متزهات دمشق .

(المنتخبات ص ٢٣).

الشهداء تشهد جنازة عمر بن عبد العزيز: ذكر الحافظ ابن عساكر ذلك فقال:

قرأت بخط عبد العزيز بن أحمد ، ثم أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أسد بن عمّار عنه ، نا عبد الوهاب بن جعفر ، حدثني أبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد الإمام ، حدثني أبي ، نا محمد بن إسحاق بن الحريص ، نا أبو محمد المُسيّب بن واضح ، نا عيسى بن كيسان عمّن حدّثه ، عن عمير بن الحُبّاب السلمي ، قال :

أسرت أنا وثمانية معي في زمان بني أمية ، فأدخلنا على ملك الروم ، فأمر بأصحابي فضرِبَتْ رقابهم ، ثم إنّي قُرِبْتُ لضرب عنقي فقام إليه بعض البطارقة فلم يزل يقبّل رأسه ورجليه ويطلب إليه حتى وهبني له ، فانطلق بي إلى منزله ، فدعا ابنة له جميلة ، وكان عمير بن الحُبّاب رجلاً جميلاً نبيلاً ، فقال له البطريق: هذه ابنتي أزوجك بها وأقاسمك مالي وقد رأيت منزلي من الملك ، فادخل في ديني حتى أفعل بك هذا ، فقلت له: ما أترك ديني لزوجة ولا لدنيا ، قال: فمكث أياماً يعرض عليّ ذلك وآبى ، فدعيت ابنته ذات ليلة إلى بستان لها ، فقالت: ما يمنعك مما عرض عليك أبي ، يزوجني منك ويقاسمك ماله ،

وقد رأيت منزله من الملك وتدخل في دينه؟! فقلت: ما أترك ديني لامرأة ولا لشيء، فقالت: فتحب المكث عندنا أو اللحاق ببلادك؟ فقلت: الذهاب إلى بلادتي، قال: فأرتني نجماً في السماء، وقالت: سِرْ على هذا النجم بالليل واكْمُنْ بالنهار، فإنه يبلغك إلى بلادك، ثم زوّدتني وانطلقت، فسرت ثلاث ليالٍ أسير الليل واكْمُنْ بالنهار، قال: فيينا أنا اليوم الرابع مكمّن فإذا الخيل، قال: فقلت: طُلبْتُ، قال: فأشرفوا عليّ فإذا أنا بأصحابي المُقتلين على دوابّ معهم آخرون على دوابّ شهب، قال: فقالوا: عُمَيْر؟ فقلت: عُمَيْر، فقلت: أوليس قد قُتلتم؟ قالوا: بلى، ولكن الله تعالى نَشَرَ الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عمر بن عبد العزيز، قال: فقال لي بعض الذين معهم: ناولني يدك يا عُمَيْر، فناولته يدي، فأردفني ثم سرنا يسيراً ثم قذف بي قذفةً وقعت قرب منزلي بالجزيرة من غير أن يكون لحقني شيء.

(تاريخ دمشق لابن عساكر المجلد ٣٦ ص ٢٢٧).

العنابة: مجموع بساتين من دون جسر ثورا الآخذ إلى طريق دوما، تحتوي على دور وقصور دمرتها السلطة الفرنسية في الثورة السورية وهي لصيق بيت لها (المستشفى الفرنسي اليوم). وتعرف بجنائن الورد.

عين الزينية: هي عين ماء مشهورة بالجودة في محلة الزينية (الروضة البهية ص ٤٩).

عين الفيحة: تم جلب مياه عين الفيحة في أقيّة إلى حي المهاجرين، وتقسيم الماء على السبل في أحياء المدينة في عهد حسين ناظم باشا. (المنتخبات ص ٢٧٧).

عين ماء القصارين: تخر من منبعها المخصوص الواقع غربي المرجة الخضراء لشمال، ولم تزل ترافق الطريق (السكة الحديدية) إلى المحل المعروف بالحصّة فتدخل في نهر بردى.

(الروضة البهية ص ٤٥).

العملة المستعملة بين سنتي ١٨٥٠ - ١٨٨٠م: كان يقدر الثمن في البيع في الفترة الواقعة بين سنة ١٨٥٠ - ١٨٨٠م بالقروش الفضية غالباً مع الغازي الذهبي، وقليلاً ما كانت تظهر الليرة المجيدية والبارة الفولاذية، ومن حوالي عام ١٨٧٠م بدأت تظهر الليرة العثمانية، وهذه العملات كلها عثمانية، وقد بدأت العملات

الأوربية بالظهور بشكل متناثر في سجلات الوثائق. منذ عام ١٨٦٠ م ، وكان أولها الليرة الفرنسية (الليرة النابليونية وبعضها بالجنيه البريطاني).

الفتاوى العالم كيرية أو الفتاوى الهندية: ذكر المرادي في ترجمة السلطان محمد أورنگ زينب عالم كير سلطان الهند المتوفى سنة ١١١٨ هـ: أنه أمر علماء بلاده الحنفية أن يجمعوا باسمه فتاوى تجمع جل مذاهبهم مما يحتاج إليه من الأحكام الشرعية ، فجمعت في مجلداتٍ وسماها «الفتاوى العالم كيرية» واشتهرت في الأقطار الحجازية والمصرية والشامية والرومية ، وعمّ النفع بها ، وصارت مرجعاً للمفتين (سلك الدرر ٤/١١٤).

فتح باب كيسان بعد غلقه نحواً من مئتي سنة: ذكر ابن كثير في سنة ٧٦٥ هـ وفي يوم الأربعاء السادس والعشرين من شعبان اجتمع نائب السلطنة والقضاة عند باب كيسان، وشرع الصانع في فتحه عن مرسوم السلطان الوارد من الديار المصرية ، وأمر نائب السلطنة وأذن القضاة في ذلك واستهل رمضان وهم في العمل فيه .

(البداية والنهاية ١٤/٣٢٢).

قال ابن حبيب: كان مسدوداً من أيام العادل نور الدين الشهيد لأمر اقتضى ذلك . (تاريخ ابن قاضي شعبة ٣/٢/٢٤٤).

فتح طريق للصالحية: ذكر ابن طولون في حوادث سنة ٨٨٥ هـ: وفي يوم الثلاثاء ثاني عشره ابتدئ بعمارة درب الصالحية من جهة الشبلية من جسر طاحون السمرية تحت طاحونة عين الكرش .

(مفاكهة الخلان ١/٢٤).

الفتوى بدمشق وكتابهم: ذكر المرادي في ترجمة السيد أسعد بن أحمد بن أحمد الحرستي الأصل الدمشقي ، الشريف لأمه: الفقيه الفرضي البارع ، قرأ على المشايخ وحصل ، وتخرج على يد العالم الشيخ علي التركماني ، وقرأ عليه وصار كاتب الفتوى معه عند المفتي حامد العمادي ، ثم عند المفتي علي العمادي ، وذلك لأن والده الشيخ أحمد كان كاتب الفتوى عند العمادي المذكور ، وكان والده من الأفاضل الفقهاء الفرضيين . توفي السيد أسعد سنة ١١٨٢ هـ عن نيف وخمسين سنة رحمه الله تعالى .

(سلك الدرر ١/٢٢٣).

فتوى الحنفية بدمشق: أبيات بمدح الشيخ خليل الصديقي حين ولي إفتاء دمشق الشام أنشأها أحمد بن علي المنيني (ت ١١٧٢ هـ).
(سلك الدرر ١/١٣٨).

- أبيات للشيخ خليل الصديقي (المفتي) (سلك الدرر ١/١٤٠).

- قصيدة في مدح المفتي علي المرادي وهي لأحمد شاكر الحكواتي (سلك الدرر ١/١٦١).

- الفتوى بدمشق وانتقالها بعد وفاة حسين المرادي إلى محمد أسعد الصديقي، ثم إلى إسماعيل المنيني، ثم إلى السيد عبد الله بن محمد طاهر المرادي (سلك الدرر ١/٢٤٢).

- المفتي إسماعيل الحايك (سلك الدرر ١/٢٥٦).

- في ترجمة عبد الرحمن بن أحمد القاري المتوفى سنة ١١٣٢ هـ أنه استطاع أن يتولى الفتوى بدمشق بدلاً من محمد بن إبراهيم العمادي مدة ستة أشهر، ثم عادت للعمادي (سلك الدرر ٢/٢٨١).

فتوى دمشق للشيخ عبد الغني النابلسي: ذكر المرادي في ترجمة خليل بن أسعد الصديقي: أنه لما توفي مفتي الحنفية بدمشق المولى الهمام محمد بن إبراهيم العمادي وذلك سنة ١١٣٥ هـ انعقد الإجماع من أهالي دمشق على أن يصيروا مفتياً الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي فذهبوا إليه وأبرموا عليه في ذلك فلم يرض وأبى، فلم يزالوا يلحون عليه ويبرمون جميعهم إلى أن قبلها، فكتبوا العروض للدولة العلية، وصار الأستاذ النابلسي يكتب على الأسئلة الفقهية، فما استقام الأمر إلا وجدّت الأخبار بورود الفتيا لخليل بن أسعد الصديقي، ثم إنه ندم على فعله مع الشيخ النابلسي، لأن محبتهم معه قديمة، وكان الأستاذ قد فدى أسعد الصديقي بعينه (أي ذهب عين النابلسي) لأمر أوقع فيه بالهلاك وصار الأستاذ بعين واحدة إلى أن مات رحمه الله تعالى.

(سلك الدرر ٢/٨٤).

فتوى الحنفية: كان الشيخ أحمد بن أحمد الحرستي ثم الدمشقي كاتب الفتوى عند المفتي إسماعيل الحايك وزوج ابنته وهو الذي جمع له فتاويه، ثم صار

كاتب الفتوى عند المولى علي العمادي المفتي، توفي أحمد الحرستي ١١١٥ هـ (سلك الدرر ١/ ٨٠).

فتوى الحنفية: في يوم الجمعة عاشر شوال سنة ١١٥٥ هـ عُزل حامد أفندي العمادي عن وظيفته (الإفتاء) ووجهت إلى ابن عمه محمد أفندي العمادي. (حوادث دمشق اليومية ص ٢٩).

حامد العمادي شغل منصب الإفتاء أربعة وثلاثين عاماً (هامش ٣ حوادث دمشق اليومية ص ٢٩).

وقال البدري أيضاً: وفي تلك الأيام أي رمضان سنة ١١٥٦ هـ رجعت الفتوى إلى حامد أفندي العمادي.

(حوادث دمشق اليومية ص ٤٩).

فتوى دمشق: ذكر الشيخ جمال الدين القاسمي: أن أبا السعود أفندي المرادي نزل عن وظيفة الفتوى بدمشق لما وجهت عليه بعد وفاة أبيه حسين أفندي العمادي، ورغب الوالي منه اختيار مفتي فاصر على ذلك وأبى إلى أن اختير طاهر أفندي الآمدي فعين مفتياً للشام.

(إصلاح المساجد من البدع والعوائد ص ١٧٦).

الفتوحات المكية وتحقيق نسختها: ذكر المرادي في ترجمة الشيخ إبراهيم بن مصطفى الحلبي الفقيه الحنفي محشي «الدر المختار» المتوفى سنة ١١٩٠ هـ أنه لما اجتمع بالوزير محمد باشا المعروف بالراغب اطلع على غزير علم المترجم وتلمذ له فأقرأه في كثير من العلوم وقابل له النسخ المتعددة منها «الفتوحات المكية» أتى بأصلها نسخة المؤلف من قونية، وغالب النسخ المقابلة خط المترجم.

(سلك الدرر ١/ ٣٨).

الفرايس: عن مكحول قال: قال كعب الأحبار: اتبعني فتبعته حتى وصلنا إلى غار في جبل قاسيون، فصلى وصليت معه، فسمعته يجتهد في الدعاء، ثم سار حتى دخلنا المدينة من باب الفرايس فسمعته يقول: يا أيها الناس، وجدت في ألواح: أن الله تعالى يقول: الفرايس جنتي وإليها يجتمع أهل عنايتي.

(الروضة البهية ص ٣٩ - ٤٠ والأعلاق ١/ ١٧٧ وقال ابن عساكر عن هذا

الحديث: ١٠٤/٢ هذا حديث منكر، فمكحول لم يدرك كعباً.

الفلوس: قال ابن قاضي شهبة: وفي شعبان سنة ٧٤١هـ تعامل الناس بالفلوس الجدد التي ضربت وجُعلت كل ثمانية ثمن درهم كما كانت من قبل ، وبطل التعامل بها وزناً ، وعلى الفلوس من الجانبين خاتم سليمان ، وفي وسطه في الجانب الواحد: ضرب بدمشق ، وفي الآخر سنة إحدى وأربعين. قال ابن كثير: واستحسن الناس ذلك لأن التي قبلها مكتوباً عليها اسم الله تعالى ، وربما سقط بعضها تحت الأرجل وغير ذلك من المحال المكرهة. (تاريخ ابن قاضي شهبة ١٢٥/١/٢).

الفوارة: انظر عن الفواره والأعمدة المحيطة بها خارج باب جيرون. (علم الساعات ص ٢٦).

الفوارة: عند باب جيرون أنشئت في القرن الخامس الهجري سنة ٤١٦ هـ وجرت سنة ٤١٧ هـ وقد أجرى ماءها الشريف القاضي فخر الدين أبو يعلى حمزة ابن الحسن.

(خطط دمشق للمنجد ص ١٢٥).

الفيحاء: اسم من أسماء دمشق ، وتعليل تسميتها بذلك أنه لقب لها لاتساعها.

(منتخبات التواريخ لدمشق ص ٢٥).

فيضان نهر بردى: وفي ٦ ذي الحجة سنة ٧٧٤ هـ وهو ٢٩ أيار في كثرة المشمش وقع مطر عظيم بوادي بردى ، فحمل النهر وفاض بالميدان وبين النهريين وتحت القلعة ، ودخل الحوانيت التي ظاهر باب الفرج من الجانب القبلي والشمالي ، ووصل إلى قرب باب الفراديس ، وصار جامع يلغا جزيرة والماء حوله ، وقال كثير من الناس: إنهم لم يروا مثله.

(تاريخ ابن قاضي شهبة ٤١٣/٢/٣).

وانظر أيضاً في هذا الكتاب مادة: زيادة المياه والسيول بدمشق.

القاعدة في أول رمضان: ذكر ابن طولون في القاعدة المشهورة: أن رابع رجب أول رمضان ففي سنة ٩١٨ هـ كان رابع رجب يوم الأربعاء فكان أول رمضان الأربعاء ، ثم قال ابن طولون: لكن أخبرت أنها تكون أول مرة وثاني مرة

كذلك ، ثم تختل ، وكذا القاعدة الأخرى (يوم صومكم يوم نحركم يوم رأس ستكم) تختل في الثالثة .

(مفاكهة الخلان ١/٣٧١).

قاسيون: انظر في فضله (الإشارات إلى أماكن الزيارات ص ٢٠) وانظر (قاسيون والخرافات لهنري لامنس اليسوعي: المشرق ٢٤/٩٣٨).

قانون المختائر: انظر عنه (الريف السوري ١/١٧).

قبة النصر أو قبة يلغا: بناها يلغا اليحيوي وهي عند مسجد القدم ، ويظن بأن القبة التركية القائمة أمام زاوية العسالي قامت على أنقاضها. وقد أنشأها الأمير يلغا في موضع خيمته ذكرى لانتصاره بخلع السلطان الملك الكامل شعبان. وكان أي ملك أو أمير إذا قدم من مصر ينزلها فيستريح من عناء السفر. ثم تلبس الجنود الثياب الجديدة الجميلة ، ويلبس الأمير الخلع ، وتخرج أهل دمشق وأعيانها لملاقاته ، فتملأ الناس الطرقات من باب النصر (مدخل سوق الحميدية) إلى قبة يلغا يقيمون المهرجانات ، ويفعلون مثل ما كان أيام المماليك عند قدوم الحاج وعند خروجه من دمشق.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٣١ ، ١٣٣).

قبر آقوش: جمال الدين النجيب الصالحي المملوكي نائب دمشق: تزعم العامة (أن القبر الذي بقرب جامع مراد باشا الشهير بجامع النقشبندي في أول طريق الميدان ، والذي هو بناء تركي فيه قبر على شاهده عمه انكشارية) هو قبر آقوش النجيب وهو خطأ.

إذ إن الأمير جمال الدين آقوش لما عزله الملك الظاهر من ولاية دمشق سنة ٦٧٠ هـ ذهب إلى القاهرة فأقام بها مدة ثم اعتراه فالج أربع سنوات حتى توفي ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ بالقاهرة بداره بدرج الملوخية ، ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بتربته التي أنشأها بالقرافة الصغرى.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٤٢).

قبر بردبك بتربة النائب جانب قبة الشيخ أرسلان: قال ابن طولون في حوادث سنة ٩٠٨ هـ: وفي عشية يوم الأحد سادس عشرين شوال توفي الأمير نائب

القلعة بردبك ، وصلي عليه ثاني يوم ودفن بترية النائب جوار الشيخ أرسلان (مفاكهة الخلان ١/٢٦٥).

قبر ابن عساكر: قال ابن طولون في حوادث سنة ٨٩٩ هـ وفي يوم الأحد مستهل ذي القعدة حفر في الزاوية القلندرية جوار القبة الظاهرية التي بمقبرة الباب الصغير قبلي بلال رضي الله عنه عن ناووس حجر فإذا هو مكتوب عليه اسم فاطمة بنت أحمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقد أحكم بناؤه . وبجوارها نصيبة عليها مكتوب إنه قبر الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي ابن عساكر مؤرخ الشام توفي سنة إحدى وسبعين وخمس مئة . (مفاكهة الخلان ١/١٥٨).

قبر سيدي عمود: ذكر ابن طولون الدمشقي في حوادث سنة ٩١٥ هـ: وفي هذه السنة جدد النائب مكاناً قبلي دار السعادة والمدرسة العذراوية وغربي المدرسة الصارمية وشمالي حارة الغرباء وغربي المارستان النوري ، وجدد تجاهه قناة وبركة وساق الماء إليهما ، واشتهر بين الناس أن رجلاً من الجند اسمه أبو بكر بن شعبان بالرجبي - بالجيم - حسنٌ للنائب ذلك ، وأنه رأى في منامه بعض الصالحين يدعى سيدي أحمد عمود مدفوناً لصيق عمود في هذا المكان ، فأبرز القبر والعمود وكساهما ، ولما توفي النائب المذكور محا الرجبي المذكور اسمه من الطراز بالمكان وجعل اسمه موضعه ، وقال: إنما كتبت اسم النائب حشمة معه ، وأوقف عليه قيسارية البهار قبلي قيسارية تنكز وغير ذلك . (مفاكهة الخلان ١/٣٣٩).

قبر أبي مسلم الخولاني: عبد الله بن ثوب ، قيل: دفن بداريا . (الروضة البهية ص ٩٣ ، الإشارات ص ٢٥).

وقال النجم ابن اسرائيل في «جزئه»: أبو مسلم الخولاني نزيل داريا وليس المدفون بها ، ابن عمه أبو إدريس الخولاني ، وخليفته عليّ زوجته بعده ، وأبو مسلم مات بالثغر من بلاد الروم وقبره هناك يستسقى به . (الإشارات ص ٢٦).

وقد أفرد له العلامة عبد الرحمن العمادي مفتي دمشق في تاريخه المسمى (الروضة الريا في ذكر من دفن بداريا) ترجمة مطولة . (المنتخبات ص ٤٢٣).

قبر الشيخ أرسلان بن يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الله الجعبري الدمشقي: دفن إلى جانب شيخه أبي عامر المؤدب. أبو عامر في القبر القبلي والشيخ أرسلان في القبر الأوسط ، وخادمه الشيخ أبو المجد في القبر الشمالي. قال النجم ابن إسرائيل: فاتفق في عصرنا أنه دفن في القبر الرسلائي الثالث الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز السندي خادم الضريح الرسلائي وتلميذ الشيخ علي الزعيمي. قال ابن طولون في «بهجة الأنام» قلت: وقال محمد بن محمد الصقلي ومن خطه نقلت: ودفن بهذا الضريح الشيخ نجم الدين ابن إسرائيل وحضرت أنا دفنه فيه.

(الروضة البهية ص ٨٦ - ٨٧).

قبر الشيخ أمين التكريتي: إمام جامع الشيخ محيي الدين بن عربي. دفن في الروضة في قبر الشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي.

(كتاب وقف القاضي عثمان بن أسعد المنجي ص ٣٠).

القراصية: القراصية الدمشقية وشهوة الخلفاء الفاطميين لها.

(مقال لحبيب الزيات في مجلة المشرق ٣٦/٦٠).

قرحتا: من قرى دمشق المرج (مرج السلطان).

(الأعلاق الخطيرة ١/١٦١ هامش ٤).

قرية بيت لهيا: قرية مشهورة كانت خارج دمشق عند المستشفى الإنكليزي في القصاع.

(انظر جبل قاسيون لدهمان ص ١٩ ، معجم البلدان ١/٧٨٠).

قرية سطر العرب: من قرى دمشق (معجم البلدان ٣/٩٠) وكان موقعها شرقي مسجد القصب، وقد وردت في شعر ابن منير الطرابلسي عند ذكره منتزهات الغوطة.

قصر الجنيد: في حي الميدان.

(الأعلاق الخطيرة نقلاً عن ثمار المقاصد).

قصر جواد باشا: مشيد فيلق دمشق وتوابعها في العهد التركي ، والقصر على ظهر نهر بانياس شمالي مقبرة الصوفية للغرب ، يفصل بينهما الطريق الموصل من باب المشيرية إلى الثكنة العسكرية، كان تعمير القصر على موجب الخريطة التي

نظمها الوزير المذكور على طرز قفص الطير (القناير) وجعله محل قراءة للظباطان (ضباط) ولما تجدد طريق السكة الحديدية من دمشق إلى بيروت صار اتخاذها محطة صغيرة لأجل قبول الركاب.

(الروضة البهية ص ٤٦).

قصر حجاج: محلة كبيرة ظاهر دمشق منسوب إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان ، قاله الحافظ ابن عساكر.

(الأعلاق الخطيرة ١٥٤/١ هامشا، نقلاً عن معجم البلدان ٤/١١٠).

قصر الخضراء: بناه معاوية بن أبي سفيان وجعله دار إمارة.

(تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/١٣٣).

وخربه بدر الجمالي أمير الجيوش (الأعلاق الخطيرة ١/٣٧) وكان موقعه متاخماً للجامع من جهة القبلة.

وقال الريحاني: موقعه إلى الجنوب من الجامع الأموي محاذياً لجداره الجنوبي ، وكان لدار معاوية باب يصلها بحرم الجامع حيث محراب الصحابة (المالكية) ومقصورة الخلفاء ، وظل هذا الاتصال بين القصر والجامع لما بعد تشييد جامع الوليد ، وقد سد في عهد متأخر باب الجامع المجاور للمحراب الكبير ، والذي كان يدعى قديماً باب الخضراء وهو في الأصل أحد فتحات الباب الثلاثي لمعبد جوبيتر ، وزال القصر نهائياً عام ٤٦١ هـ في الحريق.

واستمر اسم الخضراء على المحلة التي كان فيها قصر معاوية لوجود قبة خضراء فيه .

(انظر بحثاً مفصلاً عن الخضراء في البحث: قصور الحكام في دمشق لعبد القادر الريحاوي، ومجلة حوليات أثرية ٢٢/٢٣).

قصر دمشق الآرامي: هدمه ونهبه تغلات فلازر الثالث ملك الآشوريين خلال هجومه على دمشق في عام ٧٣٤ ق م .

ويظن الأستاذ عبد القادر الريحاوي: أن من يجتاز الشارع المستقيم عند الحي المعروف بمثذنة الشحم يلاحظ إذا وقف في الأزقة التي اسمها تلة السماكة ممرات صاعدة وأدراجاً ترتفع بين مستويات متعددة للأرض ، هناك احتمال كبير بالعثور على آثار المدينة (دمشق) الآرامية ، وقصر ملوك الآراميين .

(قصور الحكام في دمشق للريحاي ص ٣٢).

قصر العظم وآل العظم: أصلهم من معرة النعمان أول من تولّى منهم الحكم
إسماعيل باشا العظم.

انظر دراسة عن أسعد باشا وقصره (العرب والعثمانيون للدكتور رافق
ص ٢٥٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٣ ، ٢٣٦).

وانظر كتاب الأسرة العظيمة لعبد القادر العظم طبع بدمشق سنة ١٩٦٠م ،
وقصر أسعد باشا العظم بدمشق للدكتور المنجد مجلة الأديب ص ٣٧ - ٤٤ سنة
١٩٤٦م ، وكتاب وقف أسعد باشا العظم للدكتور المنجد نشر بدمشق سنة
١٩٥٣م.

قصر اللبان أو اللباد: هو في طريق بساتين الصالحية التي يذهب إليها من حي
القزازين على نحو ألف خطوة ، وهو بستان كبير متصل بطاحون الأشنان وما زال
يعرف إلى الآن بقصر اللبان.

(غوة دمشق ص ٢٣٠ ، الأعلام الخطيرة ١/١٤٣ هامش ٢).

قصر هرقل: يبدو أن قصر حاكم دمشق في العهدين الروماني والبيزنطي ،
وربما كان بالقرب من معبد دمشق (معبد جوبيتر) وفي المنطقة المحاطة بالسور
الخارجي للمعبد ، وقد يكون قصر معاوية المشهور بالخضراء قد أقيم على
أنقاض ذلك العصر القديم ، فهو أنسب مكان لمثل هذا البناء ، بسبب موقعه
المتوسط من المدينة وإلى جوار معبدها ، ويؤكد هذا القول ما قاله الحافظ
ابن عساكر ، عن قصر معاوية: الخضراء التي كان فيها معاوية من بناء أهل
الجاهلية من البناء القديم (تاريخ ابن عساكر ٢/١٣٨) ، وتذكر المصادر الغربية
قصرًا في دمشق يدعى «قصر هرقل» ظل معروفًا حتى عهد متأخر. أول من ذكر
هذا القصر المؤرخ ابن فضل الله العمري من القرن الثامن الهجري. قال: (قصر
هرقل وهو بالشرف الأعلى ويعرف في زماننا بقصر شمس الملوك ، لم يبق منه
اليوم إلا الجوستق والحمام ، والجوستق الآن خانقاه للفقراء ، ولم يزل منزلاً
للملوك ومنتزهاً لأهل البلاد لإشرافه على نهر بردى والوادي ، نزله السلطان
صلاح الدين) (مسالك الأبصار ١/٢٤٩).

وأما ابن جببر فقد وصف هذا القصر دون أن يطلق عليه اسماً يقول: «ومن

أعظم ما شاهدناه موضع يعرف بالقصر... وهو من البلد بنصف ميل». من عبارة العمري وقول ابن جبير وقول ابن عساكر يصبح موقع القصر في محلة النيرب القديمة التي كانت تقع شرقي الربوة بين بردى وفرعه ثورا الذي يجري إلى الشمال منه في سفح قاسيون».

(قصور الحكام للريحاوي ص ٣٢ - ٣٣).

قصر يلغا: هو قصر فخم خارج دمشق بالقطائع شرقي قرية القدم ، لا تزال أطلاله موجودة وتعرف تلك الجهة بالقصر.

(ولاية دمشق في عهد المماليك لدهمان ص ١١٨).

القصير: قصير دومة ، سميت قصير القوافل ، لأنها على طريق القوافل (غوطة دمشق ص ٢٨٦).

قضاء الحنابلة: تولى قضاء الحنابلة بدمشق العلامة محمد البرقاوي سنة ١٢٥٠ هـ ، بعد وفاة والده وتولى بعد وفاته سنة ١٢٩٧ هـ الشيخ أحمد الشطي فقضى وأمضى ، فلما كان القاضي العام موسى كاظم أفندي ألقى القضاء الحنبلي لتكون الأحكام كلها حنفية ، فتعطلت أمور الأوقاف المعروفة بدمشق ، وهنا اجتمع بعض الرؤساء وأرباب الأوقاف عند القاضي ، وقرروا له لزوم إعادة الوظيفة الحنبلية ، فأعادها وعين توفيق أفندي السيوطي نائباً حنبلياً من قبله ، فلم يزل قائماً بهذه الوظيفة إلى سنة ١٣٣٩ هـ حيث صار مفتياً حنبلياً ، وتولى محمد جميل الشطي النيابة الحنبلية في مكانه ، فما زال قائماً بها إلى سنة ١٣٤٩ هـ حيث ظهر قانون الاستبدال ، واستبدلت الأوقاف بالنقود من الأموال ، فسبحان محول الأحوال وإليه المرجع والمآل.

(أعيان دمشق ص ٢٣٤).

القعاطة: موقع بين الباب الشرقي وباب توما. (في رحاب دمشق ص ٧٠).

كتابات على قلعة دمشق الشام:

قال الشيخ محمد أنيس الطالوي: في أوائل سنة ثمان وتسعين ومئتين وألف وجدت بخط المرحوم الشيخ مصطفى الحلبي في مجموعة له ما نصه:

مكتوب على قلعة دمشق الشام بالقرب من بابها الذي ما بين العسرونية وباب الفرج حجر تاريخ مكتوب عليه بالكوفي.

بسم الله الرحمن الرحيم وحمدلة وصلاة.

أمر بعمارة هذا البرج المبارك مولانا السلطان المعظم تاج الدولة وعضد الدولة أبو سعيد تتش بن ملك الإسلام والمسلمين ناصر أمير المؤمنين البارسلان ابن جعفر بك داود بن ميكائيل بن سلجوق ، من خالص ماله ، في شهر سنة ثلاث وسبعين وأربع مئة.

مكتوب في القرب منه على السور، بسملة:

خيراً لمولانا السلطان الملك الظاهر عز الدنيا والدين ، العالم العادل ، المجاهد المرابط المنصور بيبرس الصالحي ، وأمر بعمارة القلعة المنصورة وتسليمها للعزیز المخدومي الظاهري سلامش في سنة ثمان وخمسين وست مئة ، وأستادارها رئيس الجيش المنصور يوم الأحد سادس العشرين رمضان من العام المذكور بتولي العبد الفقير إلى الله تعالى عز الدين أيبك الملكي الظاهري الصالحي المعروف بالذدار كان الله له .

مكتوب على باب الإقباء الصغير في القلعة^(١):

أمر عمارة هذا الإقباء المباركة السدرية من باب الفرج إلى باب النصر على الأبراج والبذنات في أيام مولانا السلطان العالم العادل الغازي المجاهد في سبيل الله تعالى الملك المنصور الكبير سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي ، وكان المجتهد في عمل ذلك وأصل ذلك والمباشر العبد الفقير إلى الله تعالى علم الدين بن سنجر المعروف بأرجواش المنصوري رجاء ما عند الله من الثواب وحسن المآب رحمه الله ورحم من ترحم عليه أن... عليه ، وكان الفراغ من ذلك في سلخ شهر المحرم سنة سبع وثلاثين وست مئة.

(١) في حواشي مختصر تنبيه الطالب للعلموي (مخطوط في مكتبة مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي).

مكتوب عليّ باب القلعة المسدود من جهة باب الفرج إلى باب النصر عليّ
الأبراج والبدنات:

أمر بعمارة هذا البرج المبارك مولانا السلطان الملك العادل سيف الدنيا
والدين ، سلطان جيوش المسلمين ، خادم الحرمين الشريفين أبو بكر بن أيوب ،
بتولية العبد الفقير إبراهيم بن موسى ، وذلك في سنة ست وست مئة .

مكتوب عليّ باب البرج الذي فوق السور الذي عليّ باب القلعة من جهة
العصرونية:

أمر بعمارة هذه البدنات مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين
محمد ابن الملك المنصور قلاوون ، بتولية الأمير عز الدين أيك رحمه الله في
سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

* * *

من جهة الغرب مكتوب عليّ ضريح أبي الدرداء في جامع القلعة^(١):

زر مقاماً أشرق أنواره
قلعة الشام غدت مدفنه
هو حي عند مولاه فقل
وعليه أيضاً من الشرق (سنة ٣٢ هـ):

عم رضوان إلهي بقعة
الصحابي الجليل القدر من
كان في الزهد مع التقوى علي
وعليه أيضاً من جهة القبلة:

وهو في السنة شمس أشرق
وأحاديث رواها مئة
قد ثوى في قلعة الشام همت
للبرايا بحلال وحرام
عنه مع تسع وتسعين تمام
بركات منه فيها بسلام

(١) الصحيح أن قبر أبي الدرداء في مقبرة باب الصغير ، وإنما في القلعة مقامه الذي كان
يعيش فيه .

قلعة دمشق: من أعمال سنجر الشجاعي فيها أنه بنى فيها الدور السلطانية والطارمة والقبة الزرقاء.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٥٢).

قلعة دمشق: ذكر ابن طولون في «تاريخه» في حوادث سنة ٩٢٢ هـ: في يوم الثلاثاء تاسع شوال عزم الخنكار (السلطان سليم) على هدم ما حوالي القلعة الدمشقية وسور البلد من البيوت والدكاكين كما فعل بحلب ، وقال للمعلم أحمد ابن العطاء: اذهب فانظر ما فيها من الأملاك والأوقاف ، فقومها حتى ندفع إلى ملاكها ثمنها ، وتستبدل عوض الأوقاف ، فذهب فقومها ، ثم جاء فرأى ذلك يساوي مالاً كثيراً ، ويقال: إن التقويم كان بمئة وخمسين ألف دينار ، فرجع عن ذلك ، وقال: أنا ما جيت إلا أعمر ، وما جيت أخرب .

(مفاكهة الخلان ٣٧/٢).

قلعة دمشق: في زلزال سنة ١١٧٣ هـ سقط جميع سور قلعة دمشق الغربي .

(رسالة العجلوني المنشورة في مجلة المعهد الفرنسي ج ٢٧ ص ٧٥).

قلعة دمشق: (انظر دراسة عنها في كتاب ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٢٥ - ٢٦ ، والأعلاق الخطيرة ص ٤٠ وانظر الشمعة المضيئة في أخبار القلعة الدمشقية طبع بدمشق سنة ١٣٤٧ هـ).

قلعة دمشق: أبوابها أربعة: باب الحديد ، وباب من جهة المدينة ، وباب يخرج منه إلى باب النصر وإلى دار السعادة ، وباب من جهة الغرب .

قلعة دمشق: وصفها المهندس إيكوشار من أنها تساوي متحف اللوفر في باريس .

(الحوليات الأثرية السورية ٣٤/٢٣).

القلندرية: كلمة أعجمية بمعنى المحلقين ، وهم فرقة صوفية يحلقون رؤوسهم وشواربهم ولحاهم وحواجبهم ، وكانت هذه الفرقة مكروهة من الفقهاء ، ونشأت في عهد الظاهر بيبرس وهو الذي شجعها ، وكان سبب انتشارها في الشام ومصر ، ومن مشاهير رجالها الشيخ عثمان كوهي الفارسي ، وقد ورد اسمه في قصة الظاهر بيبرس باسم عثمان بن الحجلة ، وقال بعضهم: إن

هذه الفرقة أول ما ظهرت بدمشق سنة ٦١٦ هـ ، وكانت له عدة زوايا في مصر والشام . (منها زاوية في باب الصغير).

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٥٣).

القليجية: وهي في حارة الخضرا ، كانت مجتمع الفضلاء والعقلاء للاستشارة إذا دهم أهل دمشق أمر .

(انظر تفصيلاً عنها في حارة الخضرا في حارات دمشق القديمة لابن طولون).

القناصل الأجنبية: بدأ وجود القناصل بدمشق في عهد إبراهيم باشا (منتخبات التواريخ لدمشق ص ٢٦٢).

القهوة: ذكر الغزي في ترجمة أبي بكر بن عبد الله العيدوسي الشاذلي: الشيخ صالح المعروف بالعيدروس وهو مبتكر القهوة المتخذة من البن من اليمن ، وكان أصل اتخاذه لها أنه مرّ في سياحته بشجر البن على عادة الصالحين فاقتات من ثمره حين رآه متروكاً مع كثرته ، فوجد فيه تخفيفاً للدماغ واجتلاباً للسهر وتنشيطاً للعبادة ، فاتخذه قوتاً وطعاماً وشراباً ، وأرشد أتباعه إلى ذلك ، ثم انتشرت في بلاد اليمن ، ثم إلى بلاد الحجاز ، ثم إلى الشام ومصر ، ثم سائر البلاد ، واختلف العلماء في أوائل القرن التاسع في القهوة وفي أمرها ، حتى ذهب إلى تحريمها جماعة ترجح عندهم أنها مضرّة ، وآخر من ذهب إليه بالشام والد شيخنا الشيخ شهاب الدين العيثاوي الشافعي ، ومن الحنفية بها القطب ابن سلطان ، وبمصر الشيخ أحمد بن أحمد بن عبد الحق النباطي تبعاً لأبيه ، والأكثر ذهبوا إلى أنها مباحة ، وقد انعقد الإجماع بعد من ذكرناه على ذلك ، وأما ما ينضم إليها من المحرمات فلا شبهة في تحريمه ، ولا يتعدى تحريمه إلى تحريمها حيث هي مباحة في نفسها ، وأما مبتكرها فإنه من سادات الأولياء ، وكانت وفاته في أوائل القرن العاشر رحمه الله تعالى .

(الكواكب السائرة ١/ ١١٤).

القهوة في دمشق: قال ابن طولون مؤرخ دمشق: وفي سنة إحدى وأربعين وتسع مئة حضر قاضي مكة المكرمة وشيخ الحرم الشريف بها لدمشق وشرب القهوة المتخذة من البن عند الشيخ علي الكيزاني تجاه مسجد العفيف بالصالحية

وسمعا المولد النبوي ، ولم أعلم أنها شُربت في بلدنا هذه يعني دمشق .
(المنتخبات ٢/٥٨٢).

قيد النفوس: بدأ بدمشق في عهد أمين باشا ومحمد باشا والي دمشق .
(المنتخبات ص ٢٨٦).

القيسارية: كانت تطلق خصوصاً على ما اتسع من الدور الجامعة ، وتكون في وسطها غالباً بركة للماء ودكاكين أو حُجر للتجارة كالأسواق يضمها سور واحد . قال ابن كثير في أخبار سنة ٧٤٧ هـ: «منحت في أول هذه السنة القيسارية التي أنشأها النائب الأمير يلبغا ظاهر باب الفرج . . وداخلها قيسارية تجار ، وفي وسطها بركة ومسجد وظاهرها دكاكين ، وأعاليتها بيوت للسكنى» وقد زالت هذه القياسر بأسرها من دمشق ولم يبق منها بقية ، وغلب اسم الخان في العهد الأخير على القيسارية ولذلك اشتهرت قيسارية أسعد باشا وأشباهاها .
(الخزانة الشرقية ٣/٥٠).

قيسارية: جمعها قيساريات وقياسر ، وهي من أصل يوناني كما ورد في الموسوعة الإسلامية ، وتعني البناء الملكي أو الإمبراطوري ، وذلك لأن السوق من الأملاك العامة التابعة للدولة أي أنها ذات صفة ملكية .
(خانات دمشق للريحاوي مجلة الحوليات الأثرية ٢٥/٤٧).

وفي العصر المملوكي نلاحظ أن لفظة الفندق لم تعد مستعملة ، لأن المنشآت هذه أصبح يطلق عليها قيساريات أو خانات ، ونلاحظ أن لفظة قيسارية أصبحت اصطلاحاً على المنشآت التجارية المخصصة لمهنة من المهن أو للبيع والشراء (المصدر السابق ص ٥٢).

قيسارية الدهشة: في سنة ٧١٥ هـ في شهر رمضان كملت القيسارية الملقبة بالدهشة والسوق المجاور وسكن في ذلك التجار (الخزانة الشرقية ٣/١٢٣).

قيسارية الزرد: يظن أنها كانت شرق الجامع الأموي بنواحي حصن جيرون .
(كتاب وقف القاضي عثمان بن أسعد المنجي ص ١٦).

قيسارية الصياغ: هي القيسارية الكائنة إلى جوار جدار الجامع الأموي الجنوبي (وتسمى حالياً سوق الصاغة القديم) احترقت عام ٨٠٠ هـ كما ذكر ابن قاضي شعبة ، ثم جددت بعد ذلك ، واحترقت أخيراً عام ١٩٦٠ م ، وجرى

التقيب في أرضها بحثاً عن آثار قصر الخضراء .

(خانات مدينة دمشق للريحاوي الحوليات الأثرية ٥١/٢٥).

قيسارية القسي: لعلها قيسارية القواسين التي عين مكانها النعيمي خلال حديثه عن المدرسة الأمينية .

(خانات مدينة دمشق للريحاوي ، الحوليات الأثرية ٥٤/٢٥).

قيسارية يلبغا: شيدها الأمير سيف الدين يلبغا سنة ٧٤٧ هـ ظاهر باب الفرج ، وداخلها قيسارية تجارة ، وفي وسطها بركة ومسجد ، وظاهرها دكاكين وأعالها بيوت للسكن ، احترقت سنة ٧٥٧ هـ ثم في سنة ٧٩٨ هـ وجددت سنة ٨١٤ هـ .
(خانات مدينة دمشق للريحاوي ، الحوليات الأثرية ٥٣/٢٥).

قينية: كانت مقابل الباب الصغير، وصارت بساتين في القرن السادس الهجري، ومكانها الطريق الذاهب إلى المزة من باب سريجة ، وهو حذاء باب السريجة تماماً.

(غوة دمشق لكرد علي ص ٢٤٢).

الكثيب الأحمر: بالقرب من قرية القدم ، والكثيب يقال فيه قبر موسى.

(المنتخبات ص ٣٧٦).

كفرسوسة والمزة والقدم: هذه القرى الثلاث ضمت إلى دمشق سنة ١٩٤٨م بمقتضى المرسوم ذي الرقم ١٨٣٤ تاريخ: ١٢ آب ١٩٤٨م وأبعت بأمانة العاصمة (الريف السوري ١٢٢/٢).

كنيسة الروم بالميدان: بنيت بعد حوادث ١٨٦٠م.

(كتاب سورية في القرن التاسع عشر ص ١١٧).

كبخية، كتخدا: مخفف كدخدا (كد) بفتح الكاف: الدار، و(خدا) صاحب ، فهو صاحب الدار على قاعدة الفارسية، وأطلق على من بيده الأمور فتحها ورتقها، وهذا أمر شائع بين أكابر الزمان في دولة الأتراك العثمانيين ، الذين هم وكلاء الديار.

(هامش سلك الدرر ٣٨/١).

اللؤلؤة الكبرى: هي حارة الحلبوني ، واللؤلؤة الصغرى قبلي حارة الحلبوني (زقاق الجن اليوم). (غوة دمشق ص ١٧٨). وقال الريحاوي: اللؤلؤة الصغرى:

خارج السور من جهة الغرب ويرجح أن تكون بين التكية وجامع تنكز (قصور الحكام في دمشق للريحاوي ص ٤١).

اللغة العربية: قال اليزوركلو: إن أهل دمشق هم أكثر السوريين عراقية في العربية ، وذلك لعلاقتهم المتصلة بالتجارة مع مكة ، واللهجة العربية فيها أجمل من سائر لهجات الشام ، وكان الشيخ محمد عبده يقول: إن الفصح في لغة الشام أوفر مما هي في لهجة مصر.

ماء السممر للجراد:

قال الشيخ المرادي في ترجمة الشيخ علي بن حسين المصري نزيل دمشق وإمام الشافعية:

ولما سلط الله تعالى على قرى دمشق الجراد وأكل زرعهم مدة سنين حصل لأهل الشام ضيق وشدة على ذلك، فاختروا أن يرسلوا المترجم والشيخ العالم عبد الرحمن الكفرسوسي لأجل جلب الماء المعروف بماء السممر، وجاؤوا به إلى دمشق، قلت: وقد ذكره غير واحد منهم ابن الوردي في خريدة العجائب العيون والآبار وقال: عين بين أصفهان وشيراز بها مياه مشهورة وهي من عجائب الدنيا؛ وذلك أن الجراد إذا نزلت ووقعة بأرض يحمل إليها من تلك العين ماء في ظرف لا غير فيتبع ذلك الماء طيور سود تسمى السممر (سميرم ناحية بين عراق وفارس يجلب ماء الزرزور منها، وسميرم بفتح السين والراء وبكسر الميم بناها سام ابن إرم، فسميرم مخففة وقارية بتشديد الياء أيضاً زر زور وزر زور في الفارسي، سارج بفتح الراء وسارسبز أيضاً (وسمرمه) غول أوقيانوس (ظالمة دحي قونجلوز ديرلر) ويقال لها: السوادية بحيث إن حامل الماء لا يضعه على الأرض ولا يلتفت وراءه فتبقى الطيور على رأس حامل ذلك الماء كالسحابة السوداء إلى أن يصل إلى الأرض التي بها الجراد ، فتصيح الطيور عليها وتقتلها فلا ترى من الجراد متحركاً بل يموتون من أجل تلك الطيور.

وذكر ابن الحنبلي في «تاريخه» أن من شرطه أن يكون الوارد به من أهل الصلاح، ولا يمر به تحت سقف، وقال الصلاح الصفدي في الجزء الثاني والثلاثين من «تذكرته»: قال الشيخ شمس الدين أبو الثناء محمود الأصفهاني: إن بمدينة قشمين مسيرة ثلاثة أيام عن أصفهان عين ماء ساحة برزة يسمى ماؤها ماء الجراد له خاصية؛ وهي من حمل من مائها في إناء إلى الأرض التي أتاها الجراد

فيعلق ذلك الإناء في تلك الأرض فيقصد ما لا يحصى من طير، يقال له: ساريا كل ما فيها من الجراد حتى يفنى وشرط هذا الإناء أن لا يمس في طريقه ولا في مكان تعليقه، انتهى.

ورأيت في بعض المجاميع أنه في سنة إحدى وستين بعد الألف جاء جراد إلى الشام فكتبوا له مراسلات من قبل المشرع إلى الأطراف وعلقت في الأماكن فلم يصر ضرر على الزرع، وظهر من ذلك تأثير عجيب في دفع مضراته وصورة المراسلات المرسلة.

(بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل).

بسم الله ما شاء الله * لا يسوق الخير إلا الله ولا يأتي بالحسنات إلا الله * ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله * ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم * أيها الجراد المنتشر ببستان كذا بأراضي كذا تحضر مجلس المشرع الشريف بدمشق وترحل بقدرة الله تعالى عن البستان المذكور وبفضل قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد * ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد * ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم * وحسبنا الله ونعم الوكيل * نعم المولى ونعم النصير * وكانت وفاة المترجم بدمشق في سنة ثلاث وستين ومائة وألف رحمه الله تعالى.

(سلك الدرر للمرادي الجزء الثالث ص ٢١٤).

المارستان: انظر البيمارستان في كتابنا هذا.

الماسونية: دخلت دمشق سنة ١٨٦٤م (الروضة الغناء للقساطلي ص ٩٢).

ماصية أمير المؤمنين: إحدى المواصي القديمة المتفرعة من نهر ثورا.

المجلس النيابي بدمشق: شيد في عام ١٩٣٦م.

محاكم دمشق في العهد العثماني:

١ - محكمة السنانية، وتدعى أيضاً محكمة الميدان العالية وتقع قرب جامع السنانية.

٢ - المحكمة الكبرى أو البزورية في منطقة البزورية.

٣ - المحكمة العونية: في الحي المسمى بالعونية جنوب سوق ساروجا حيث يمر شارع الثورة اليوم.

٤ - محكمة الباب العالية وهي المحكمة الرئيسية.

المحكمة بدمشق: ذكر ابن طولون أن القاضي ولي الدين ابن الفرفور في سنة ٩٢٨ هـ حولت في عهده المحكمة إلى البادرانية ثم إلى السمساطية ، ثم إن هذا القاضي حوّل المحكمة إلى الجوزية .

محكمة الباب: ذكر المرادي في ترجمة الوزير محمد باشا العظم: والي دمشق وأمير الحج تولاهما مرتين الأولى في رجب سنة ١١٨٥ هـ وعزل عنها في ربيع الأول سنة ١١٨٦ هـ والثانية أعيد لها سنة ١١٨٧ هـ وبقي إلى وفاته في ١٣ جمادى الأولى سنة ١١٩٧ هـ وأنه بنى محكمة الباب ، وجددها بعد أن تهدم غالبها ، وصرف على ذلك نحو ثلاثة عشر ألف قرش ، وكان القاضي العام بدمشق إذ ذاك المولى محمود طاهر محمود أفندي زاده فنقله محمد باشا إلى دار بني الترجمان قرب القلعة الدمشقية ، وهناك صار مجلس القضاء إلى أن تم بناء المحكمة .

(سلك الدرر ٩٧/٤).

المحكمة البيانية: ذكر المرادي في ترجمة فتح الله بن عبد الواحد الدادخي الأصل الدمشقي: أحد الأفاضل، الأديب الشاعر ، كان يتولى النيابة في محاكم دمشق والقضاء ، وفي أيامه أغلقت المحكمة البيانية الكائنة في محلة باب شرقي بالقرب من محلة النصارى ، وهي مدرسة ، وتوليتها الآن (أي أيام المرادي أوائل القرن الثالث عشر) على أحد بني محاسن ، ووقع في زمانه فيها بعض منكرات وأمور مخلات فأغلقت وهي الآن كذلك ، ونسبت الأمور الصادرة فيها للمترجم لكونه كان يتولاها .

(سلك الدرر ٢٧٥/٣).

المحمل: ذكر ابن طولون في حوادث سنة ٩٢٤ هـ: وفي صبيحة ليلة النصف من رمضان داروا بالمحمل دورة دمشق ، ومعه خيول ملبسة ، وهجن مكورة ، وجمال مُرَحَّلَة ، ورجاله مدرعة في مهيع عظيم ، وخرج من دار السعادة وعاد إليها ومعه السنجق ، وهما على هيئتهما في أيام الجراكسة (المماليك) غير أنه

مكتوب عليها اسم سلطان الروم الملك المظفر سليم خان بن عثمان. وجلس نائب الشام جان بردي الغزالي في الشباك الكبير من شبايك حرم جامع يلغا المطل على تحت القلعة ، وجيء بجمل المحمل إلى قدامه فبرك على ركبته ، ثم نهض كأنه يقبل الأرض له ، ثم ذهب إلى الدورة المذكورة. (مفاكهة الخلان ١٦/٢).

المحمل: انظر البحث عن المحمل في كتابنا هذا.

المحيا: ذكر المحبي في ترجمة الشيخ بركات بن تقي الدين المعروف بابن الكيال الدمشقي الشافعي: خطيب الصابونية القارئ المجود ، لازم المحيا بالجامع الأموي وجامع البزوري محلة قبر عاتكة خارج دمشق في زمن شيخ المحيا عبد القادر بن سوار ، وكان يقرأ العشر المعتاد من سورة الأحزاب في المحيا.

(خلاصة الأثر ٤٣٦/١).

مخطط دمشق التنظيمي: وضعه المهندسان دانجيه وإيكوشار عام ١٩٣٧م يقوم هذا المخطط على تنظيم شبكة شوارع أساسية إلى جانب شبكة شوارع ثانوية ، وهذا التنظيم مطابق لمفهوم العمران الفرنسي عند هومسمان الذي نظم مدينة باريس أيام الإمبراطورية الثانية ، هذا المشروع (المخطط) لم ينجح بسبب إهماله الحدائق والملاعب والبساتين القائمة ولعدم تخصيصه أسواقاً محلية.

ثم قدّم المهندس ميشيل إيكوشار عام ١٩٦٧م مع بانشويا مخططاً حرصاً فيه على المحافظة على المنطقة الخضراء ، وركزا التوسع على المناطق الجرداء ، كما اهتمتا بصيانة الطابع التاريخي للأماكن الأثرية ، وخاصة الجامع الأموي وقلعة دمشق التي وصفها إيكوشار من أنها تساوي متحف اللوفر في باريس. (الحوليات الأثرية السورية ٢٣/ص ٣٤).

المدارس الرشدية: مدارس أنشئت بدمشق ، وهي ثانوية رسمية ، جرى تأسيسها في دمشق سنة ١٨٨٢ - ١٨٨٣م وذلك لدخول الطلاب في الإعداديات العسكرية ، وكان في دمشق مكتب حربي إعدادي فيه ستون طالباً ، وكلية حربية تضم مئة تلميذ.

(سورية في القرن التاسع عشر ص ٦٩).

المدارس في العصر العثماني: أنشئت بدمشق ثمانية مدراس شرعية:

١ - مدرسة سليمان القانوني أنشأها سنة ٩٦٢ هـ.

٢ - مدرسة شمسي أحمد باشا أحد الولاة العثمانيين، وتسمى المدرسة الأحمدية أنشأها سنة ٩٦٣ هـ، وهي الآن في سوق الحميدية وتسمى جامع الأحمدية.

٣ - المدرسة المرادية الجوانية الكبرى شيدت سنة ١١٠٨ هـ.

٤ - المدرسة المرادية الجوانية الصغرى شيدت سنة ١١٧٧ هـ.

٥ - التكية وجامع المرادية، شيدها بجانب دار آل المرادي في حارة الورد بسوق ساروجة.

٦ - مدرسة إسماعيل باشا العظم، أنشئت سنة ١١٤١ هـ وجددها أسعد باشا العظم سنة ١١٦٢ هـ في سوق الخياطين.

٧ - مدرسة سليمان باشا العظم أنشئت سنة ١١٥٠ هـ.

٨ - مدرسة عبد الله باشا العظم سنة ١١٩٣ هـ.

(عن مقال للأستاذ خالد معاذ في كتاب دراسات تاريخية وأثرية ص ١١٥).

مدحت باشا: والي دمشق مات ١٠ نيسان ١٨٨٣م في جدة في السجن.

انظر عنه: - مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، تأليف قدرى قلعي.

- مذكرات مدحت باشا، نشرها ابنه علي حيدر وعربها يوسف كمال شحاتة.

- محاكمة مدحت باشا، تعريب يوسف كمال شحاتة.

- تاريخ مدحت باشا وجمعية الاتحاد والترقي لعزرا سمويل سامسون. (تراجم مشاهير الشرق لجرجي زيدان الجزء الأول).

المدرسة الكاملة (العثمانية بدمشق)^(١):

أسسها الشيخ محمد كامل القصاب سنة ١٣٢٠ هـ، وحظيت بنخبة ممتازة

(١) سميت بالعثمانية بدمشق، تمييزاً لها عن (العثمانية ببيروت) التي أنشأها أحمد عباس الأهري.

من شباب العرب الناهضين لبث أهدافهم وخدمة بلدهم وتحقيق رسالتهم ، فوجدوا في زعيمهم الشيخ كامل القصاب ما لا يجدون في غيره حميةً ووعياً وإقداماً وجرأةً ، ورباهم على حب العربية وخدمتها وإتقانها وحب بلادها ، مع الأخلاق العربية الكريمة المتينة ، وكان المثل الأعلى الذي تنشده البلاد في صاحب المدرسة .

فمن هؤلاء الذين درسوا فيها: عبد الوهاب الإنكليزي وعبد الرحمن الشهبندر وعارف الشهابي وشكري العسلي وصالح قنباز وسليم الجندي ورشيد بقدونس وأسعد الحكيم وسعيد العاص وغيرهم من الأعلام ، وكان والي دمشق حينئذ إسماعيل فاضل باشا مسلماً ديناً يحب العرب ، فكان يزور المدرسة تباعاً حتى صار له بها ولوع وعليها عطف ، وخطت المدرسة برسالتها خطوات إلى الأمام بتشجيعه ويذكر الشيخ أبو الحسن (وهو ابن الشيخ كامل القصاب) أنه حين كان تلميذاً فيها خرج مع طلاب المدرسة وأساتذتها في مظاهرة كبرى يرتدون الألبسة العربية (العباءة والعُقل) وينشدون في أسواق دمشق بكل حماسة النشيد المشهور (نحن جند الله شبان البلاد) .

وكان الشيخ محمد كامل القصاب ينتقي للتعليم فيها القديرين من أهل الإخلاص عن العربية وبلادها ولغتها ، وكان معلموها من الرعيل الأول من زعماء البلاد وأحرارها ، واشتهرت المدرسة بتمثيل الروايات باللغة الفصحى والإقبال عليها ، وكان يضع هذه التمثيليات وكلها وطنية أو يترجمها أساتذة أكفيا كالأستاذ الدكتور أسعد الحكيم والأمير عارف الشهابي الذي ترجم عن التركية روايته (طارق بن زياد وفتح الأندلس) ومثلت في المدرسة ، وكانت حدثاً هز البلد في العهد التركي .

ثم خلف الوالي الفاضل والي من حلب مشترك اسمه عارف المارديني حارب المدرسة تقرباً إلى الحكام الأتراك . دعي يوماً إلى حضور تمثيلية بعنوان: (الحق والباطل) فاستاء مما فيها من عيب للحكام وإثارة للمحكومين فانسحب قبل انتهاء الحفلة ، وقال لمؤسس المدرسة الذي خرج لوداعه: (إني مستعد لكل مساعدة) ثم قدم وشاية إلى وزارة المعارف في الأستانة لمحاكمة مؤسس المدرسة ، فلما أعلنت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م شغلوا عنه .

تولى إدارة المدرسة بعد الشيخ محمد كامل الشيخ أبو الحسن .
(انظر حاضر اللغة العربية في بلاد الشام ص ٢٨).

المدرسة النجيبية: كانت لصيق المدرسة النورية في سوق الخياطين من جهة الشمال، وقد اختلست هذه المدرسة ولم يبق منها إلا التربة التي بناها الأمير آقوش (جمال الدين آقوش النجيبى نائب دمشق (واليها) في عهد المماليك ليدفن فيها ولكن دفن بمصر) والعوام ينسبون هذا القبر لابن دقيق العيد خطأ فإن المذكور مدفون أيضاً على التحقيق بالقاهرة.

وممن درّس في هذه المدرسة ابن خلكان وابن كثير .
(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٤٢).

المرج: قال ابن طولون: وجدت بخط الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين:
والمرج عدة مواضع منها بدمشق وأعمالها:

مرج الصفر: بين قرية الكسوة وغباب من قرى دمشق، بنى فيه عز الدين خطاب خاناً جيداً كان الناس ينتفعون به قبل الفتنة (فتنة تيمور لنك). والمرج المذكور إنما يعرف اليوم بخان خطاب. انتهت الوجادة.

قال شيخنا المحبوبى النعمي: أم حكيم بنت الحارث أم هشام زوج عكرمة بن أبي جميل ابن عمها قتل بأجنادين، ثم تزوجها خالد بن سعد على أربع مئة دينار، فلما نزل المسلمون على مرج الصفر أراد أن يعرس بها فقالت: لو أخرجت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع، فقال خالد: قد أصاب في جموعهم قالت: فدونك فاعرس عند القنطرة التي بمرج الصفر وبها سميت قنطرة أم حكيم. لخصته من تاريخ الصفدي.

ثم قال ابن ناصر الدين: ومرج البقاع عليه عدة قرى. ومرج شعبان، وكذلك المرج القبلي والمرج الشامي مرج راهط.

(اللمعات البرقية ص ٧ - ٨).

مرج الأشعريين: مكان خانقاه الطواحين شمالي قلعة دمشق، يشمل سوق التبن وخان البطيخ وخان الباشا إلى سويقة ساروجا المشرفة على مرج الأشعريين.

(غوطة دمشق ص ١٧٩).

المرجة الخضراء: واقعة في مبدأ وادي الربوة في مدخل دمشق ، وقفها السلطان نور الدين الشهيد محمود بن زنكي لأجل الحيوانات العطيلة ، وطول هذه المرجة بقرب من حدود باب تكية السلطان سليمان إلى المحل المعروف بصدر الباز (مبنى الإذاعة والتلفزيون) وهذه نهاية هذه المرجة الخضراء ، وقبلة بشمال من حدود من مقبرة الصوفية الفاصل بينهما نهر بانياس والطريق الموصل إلى الثكنة والمستشفى العسكري (جامعة دمشق اليوم) الجديدين إلى حدود بستان الشرف (الروضة البهية ص ٤٤).

مرج راهط: هو مرج عذرا (ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٦٩).

مرج الزنبقة: أي المرج الأخضر الواقع غربي دمشق (دمشق في العصر الأيوبي ص ١٢).

مرج الصفر: انظر ما تقدم في مادة: المرج.

وقال دهمان: مرج الصفر سهل قبلي دمشق يبعد عنها ٣٨ كم تقوم في غربيه قرية صغيرة تعرف بشقحب. يحده شمالاً قريتا الطيبة وزاكية ، وغرباً مزرعة المازنية وقرية شقحب ، وجنوباً أركيس والزريقية ، وشرقاً عالقين ، وهو الآن معدود من أراضي قرية زاكية يقع في الجنوب الشرقي من مزارعها ، وكان هذا المرج من منازل الغساسنة قبل الإسلام.

(ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٩١).

مزارات دمشق: قال ابن طولون الدمشقي:

وقد لخص كتاب «المزارات» المذكور العزبن شداد في كتابه (الأعلاق الخطيرة) وقال فيه: عذراء بها قبر حجر بن عدي وأصحابه الذين قتلهم معاوية ببيت لها والصحيح بيت الآلهة؛ ذكروا أن آزر كان ينحت الأصنام ويدفعها لإبراهيم عليه السلام ليبيعهما فيأتي بها إلى حجر في البلد فيكسرها عليه والحجر إلى الآن بدمشق في مسجد في درب يقال له: درب الحجر ، وقرأت في السفر الأول من التوراة: آزر مات بجران لما سكن بها عند خروجه من العراق ولم يدخل الشام.

راوية بها قبر أم كلثوم وقبر مدرك من الصحابة من غربيها وقبر كنان من الصحابة قريباً من قرية تعرف بحقلب لنا. وبيت رانس وهو بينهما غربي تلثبانا،

وهذا كَنَاز هو أبو مرثد بن الحصين مات بالمدينة، وهذا مناقض للأول فأنعم النظر فيه فياني كذا نقلته، انتهى. ووجدت بخط الحافظ ابن ناصر الدين في مسودة (توضيح المشتبه): وفتح الكاف كَنَاز بن حصن أبو مرشد، بدري كبير، قلت: هو بفتح الكاف والنون المشددة وبعد الألف زاي، يقال: إن قبره بفدايا من إقليم باناس من كورة غوطة دمشق على حد أرض الشاغور من المشهور وهو المشهور بقبر كُتْر بضم الكاف وفتح المثناة بعدها راء قيل: هو تصحيف وإنما وجدوا على قبره مكتوباً: هذا قبر كُتْر بغير ألف فقرأه كثر واشتهر بذلك والله أعلم. نبه على ذلك الحافظ أبو محمد القاسم ابن البرزالي في «معجم البلدان والقرى» انتهت الوجادة.

داريا بها قبر أبي سليمان الداراني، انتهى. قال أبو شامة في «الروضتين» قال العماد: وفي هذه السنة يعني سنة خمس وستين وخمسائة خرج نور الدين الشهيد إلى داريا فأعاد عمارة جامعها وعمر مشهد أبي سليمان الداراني وشتى بدمشق، انتهى.

وبشماليها قبر أبي مسلم الخولاني وخولان قرية هناك باقية آثارها.

مشهد الأقدام قبلي دمشق به آثار أقدام في الصخر يقال: إنها آثار أقدام أنبياء، ويقال: إن القبر الذي به قبر موسى بن عمران وليس بصحيح، والصحيح أن قبره لا يعرف.

ميدان الحصى قبلي دمشق به قبر ذكروا أنه قبر أم عاتكة أخت عمر بن الخطاب، وعنده قبر ذكر أنه قبر صهيب الرومي وقبر أخته، والصحيح أنه بالمدينة وقبر أم عاتكة أيضاً.

شهد النارج به حجر مشقوق وله حكاية مع علي بن أبي طالب بالجبانة قبلي الباب الصغير قبر بلال بن حمامة، وقبر كعب الأبحار قيل: بحمص، وقبر فضة، وقبر أبي الدرداء وأم الدرداء وقبر فضالة بن عبيد، وقبر وائلة بن الأسقع، وقبر أوس بن أوس الثقفي، وقبر أم الحسن بنت حمزة بن جعفر الصادق، وقبر علي بن عبد الله بن عباس، وقبر ولده اليمان، وقبر زوجته أم الحسن بنت جعفر بن الحسن بن الحسين بن فاطمة الزهراء، وقبر خديجة بنت زين العابدين، وقبر سهيل بن الحنظلية، كل هؤلاء في تربة واحدة، انتهى.

قال الصلاح الصفدي في حرف السين المهملة: سهيل بن عمرو بن عدي الأنصاري الأوسي وهو سهل بن الحنظلية، صحب النبي ﷺ وباعه تحت الشجرة وسكن دمشق وقبره بها في حجر الذهب مما يلي السور، وكان متعبداً حتى لا يكاد يفرغ من العبادة، وكان لا يولد له فقال: لأن يكون لي سقط في الإسلام أحب إلي مما طلعت طلعت عليه الشمس، وقبره في مقابر باب الصغير في الحجرة التي فيها قبر معاوية والحافظ ابن عساكر، رأيت ذلك في حجر منقوش عتيق في قبلة الحجرة، وفي ذلك المكان قبر معاوية وابن الحنظلية وفضالة بن عبيد ووائلة بن الأسقع وأوس بن أوس الثقفي ومات في صدر خلافة معاوية، انتهى. وقبر ابن عمر بن علي بن أبي طالب، وقبر سكينه بنت الحسين، انتهى. قلت: سكينه توفيت بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة وهي بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، كانت سيدة نساء عصرها من أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن، تزوج بها مصعب بن الزبير فهلك عنها ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حرام فولدت له قريباً، ثم تزوجها بعد عبد الله ابن عثمان الأصعب بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول، ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل. وقيل في ترتيب أزواجها غير هذا، والطرة سكينه منسوبة إليها وكان تزوجها ابن عمها عبد الله بن الحسن الأكبر فقتل يوم كربلاء ولم يدخل بها، وكانت من أجلد النساء إذا لعن مروان علماً لعنته وأباه وأمرت للشعراء بألف، ألف انتهى.

وبالجبانة قبر أويس القرني وقد زرناه بالرقعة وبشعر الإسكندرية والذي صح أنه بالرقعة.

ومن شرقي البلد قبر عبد الله بن مسعود وقبر أبي بن كعب والصحيح أن قبرهما وأزواج النبي ﷺ مثل عائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة وزينب بنت جحش وصفية وأم أيمن، وقيل: كانت حبشية واسمها بركة وفاطمة أخت عمر بن الخطاب بالمدينة. وبجبانة دمشق -يقال- سبعون صحابياً وكثير من المشايخ، وقيل: إنما حرثت وزرعت مقدار مائة سنة فلذلك لا تعرف القبور.

باب الفراديس به مشهد الحسين، انتهى.

وفي يوم الجمعة خامس عشر صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة قتل السلطان

فرج بن برقوق ذبحاً بقلعة دمشق ودفن بمقبرة باب الفراديس بتربة بني الشهيد، انتهى.

ويلى باب الفراديس دير صليبا ويعرف بدير خالد بن الوليد المخزومي، نزله أيام حاصرت العرب دمشق وفتحها، وهو في موضع حسن كثير البساتين والمياه عجيب البناء وأرضه مفروشة بالبلاط الملون وإلى جانبه دير النساء قال الشابستي وأنشدت فيه:

يا دير باب الفراديس المهيج لي بلا بلاً بقلاليه وأشجاره
ومغلساً لي من مالي ومن نشبي بما أباكره من خمر خماره
لو عشت تسعين عاماً فيك مصطحباً لما قضى منك قلبي بعض أوطاره
وبظاهر البلد عند مشهد الخضر قبر محمد بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. وبجامع الأموي زاوية الخضر ومقصورة الصحابة، وبحائطه القبلي قبر هود عليه السلام، والصحيح أن قبره في حضرموت شرقي عدن.

وفي المجاهدية قدم النبي ﷺ في صحرة سوداء أتوا بها من حوران. وفي دمشق في العلبين عمود العسر مجرب، وعمود يزار وينذر له في مسجد عند باب الصغير. ومما يختص ببلاد جند دمشق في بعلبك على باب البلد من الشمال قبر مالك بن الأشتر النخعي والصحيح أنه بالمدينة، وبها قبر حفصة زوج النبي ﷺ والصحيح أنها أم حفص أخت معاذ بن جبل، فإن حفصة ماتت بالمدينة. وبها دير إلياس النبي عليه السلام ويقال: إنه كان محبوساً به. وبقلعتها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وبها الوادي والصخر الهائل وهو الذي أنزل فيه ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩] والصحيح أن الوادي وادي القرى وقوم ثمود كانوا به وبها قبر أسباط.

ومن أعمالها قرية يقال لها: الكرك بها قبر نوح عليه السلام وقيل فيه غير ذلك. وتحت الكرك قبر جعلة بنت نوح بقرية يقال لها عرجوش، وقبر شيب بن نوح وقيل: إنه جبل أبي قبيس والصحيح أن الذي بجبل أبي قبيس قبر شيث بن آدم، وبالبقاع قبر شيبان الراعي. وفي حوران بقرية قرن الحارة مولد إدريس عليه السلام. وبقرية دير أيوب عليه السلام كان به وبها ابتلاه الله تعالى وبها العين التي ركضها برجله والصخرة التي كان يجلس عليها وقبره، وبقرية نوى قبر

سام بن نوح عليه السلام. وبقرية المحجة شهداء من الصحابة رضي الله عنهم وبها حجر ذكروا أن النبي ﷺ جلس عليه. والصحيح أنه ما بارز بصرى، وذكروا أن بجامعها سبعين نبياً وبقرية بسر قبر اليسع. وبقرية حران أصحاب الأخدود. وببصرى مسجد النبي ﷺ قيل: إنه صلى به، وقبلها دير يقال له دير الناعقي كان به بحيرى الراهب وبه اجتمع بالنبي ﷺ. وبصرخد مشهد ذكروا أن موسى وهارون عليهما السلام كانا به لما خرجا من التيه، وبه قدم هارون عليه السلام. وبالبيثنة تحت جبل بني هلال قده خشب ذكروا أنه كان لرسول الله ﷺ. وبقرية الحمة قبر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. وب(عمتا) قرية بغور نابلس بها قبر أبي عبيدة بن الجراح وقد زناه بطبرية، وأريحا بها قبر ذكروا أنه قبر موسى بن عمران عليه السلام.

وبالمهيد بالسواد ذكروا أن إبراهيم الخليل عليه السلام ولد بها. وبالبلقاء الكهف والرقيم وقد زرنهما ببلاد الروم عند مدينة يقال لها: أبسس، وقيل: هي مدينة دقيانوس ويقال: إن مدينة طليطلة والصحيح الذي ببلاد الروم.

وبماب قبر ينزل عليه النور ويراه الناس وهو على جبل، والناس يزعمون أنه قبر موسى بن عمران عليه السلام. وبصرفة قبر يزعمون أنه قبر يوشع بن نون. وبالطور قبر جعفر بن أبي طالب الطيار وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة والحارث بن النعمان وعبد الله بن سهل وسعد بن عامر بن النعمان القيسي وأبي دجانة الأنصاري واسمه سماك.

وباللجون مقام إبراهيم عليه السلام. وبلاوي قرية لاوي بن يعقوب عليهما السلام. وبظهر الحمار قرية بها قبر يامين أخي يوسف، وبنابلس مسجد ظاهرها ذكروا أن آدم عليه السلام سجد فيه، وبها الجبل الذي يعتقد اليهود أن إسحق عليه السلام فدي عليه، والسمره تصلي إليه واسمه كزيمون^(١). وبها عين تحت كهف يعتقدونها، وببلاطة من أعمالها عين الخضر وحقل يوسف الصديق عليهما السلام وقبر يوسف عند الشجرة وهو الصحيح. وبعورتا قبر يوشع بن نون ومفضل ابن عم هارون. وبسيلون كان يعقوب ساكناً ومنها خرج يوسف مع إخوته والجب الذي ألقى فيه بين سنجيل ونبلس عن يمين الطريق.

(١) في معجم البلدان لياقوت (كزيديم).

ومما يختص ببلاد جند الأردن في شرقي بحيرتها قبر سليمان بن داود والصحيح أنه دفن إلى جانب أبيه في بيت لحم وهما في المغارة التي بها مولد عيسى، ومن شرقيها قبر لقمان الحكيم وابنه عليّ ما قيل، وبطبرية قبر أبي عبيدة بن الجراح وزوجته، عليّ ما قيل، وقيل: بيسان.

وفي لحف جبل طبرية قبر أبي هريرة، والصحيح أنه بالبقيع وقيل: بالعقيق. وبطبرية عين ماء تنسب إلى عيسى عليه السلام وبظاهرها مشهد قيل: به قبر سكينه بنت الحسين، وقبر يقال: إنه قبر عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب. وبإربد من أعمالها قبر أم موسى ابن عمران عن يمين الطريق وأربعة من أولاد يعقوب دان وإيساخور وزبلون وكاد. وفي الطريق إلى باناس قصر يعقوب وبيت الأحزان وجُبُّ يوسف وإنه في طريق القدس. وبحطين قبر شعيب وزوجته عليّ ما قيل. وبالشجرة قبر صديق بن صالح وقبر دحية الكلبي عليّ ما قيل وبكفر كنه مقام يونس وقبر ابنه.

وبرومة قبر يهودا بن يعقوب وبكفر مندة وقيل: إنها مدين، والصحيح أن مدين شرقي طور سيبا قبر صفورا بنت شعيب زوجة موسى، وبها الجب الذي قلع الصخرة من عليه وسقى منها أغنام شعيب، والصخرة باقية هناك وبها قُبر اثنان من أولاد يعقوب امشير وتفيالي. وعند هذه الأماكن جبل يقال له: الطور قيل: إن موسى عليه السلام من هذا الجبل رأى النار. وبالناصره دار مريم ابنة عمران وبها سميت النصارى وقيل: إن ظهور عيسى منها. وبعا عين البقر ذكروا أن البقر خرجت منها لآدم فحرث عليها، وعليّ هذه العين مشهد ينسب لعلي بن أبي طالب رؤي هناك، ويقولون: بها قبر عك الذي نسبت إليه ويزعمون أنه نبي.

ومما يختص ببلاد جند فلسطين وهي القدس الشريف وهناك قبر راحيل أم يوسف عن يمين الطريق السالك من القدس إلى الخليل. وبحلحول قبر يونس عليّ ما قيل. وبرامة مقام إبراهيم الخليل. وبكفر تريل قبر لوط. وبياقين مقامه عليه السلام وبها كان يسكن بعد رحيله من زغر والموضع الذي خسف بقومه هو اليوم البحيرة المنتنة، وقيل: إن الحجر الذي ضربه موسى فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بزغر، وبوادي النمل خاطبت النملة سليمان بن داود عليهما السلام عليّ ما قيل، وبعسقلان بئر إبراهيم عليه السلام يقال: إنه حفرها بيده وبه مشهد الحسين، كان به رأسه فلما أخذها الفرنج نقله المسلمون إلى القاهرة سنة ٥٤٩ هـ،

وبالرملة قبر عبادة بن الصامت رضي الله عنه . ١ هـ ملخصاً مع بعض زيادات .
(اللمعات البرقية ص ٣٤ - ٤٢).

مستشفى الغرباء (الوطني): أنشئت في عهد حسين ناظم باشا والي دمشق (المنتخبات ص ٢٧٧) وهي شرقي مقبرة الصوفية بملاصقة بستان العجم ، وهو مستشفى مارستان سلطاني مخصوص بالفقراء والأغراب التي أنشأها الوزير ناظم باشا بلغت مصارفات تعميرها ما ينوف عن ثمانمئة ألف درهم .

بني بمدخلها بركة ماء على أجمل طرز ، تبرع بمصرفها رئيس المجلس الطبي العسكري الفريق عثمان باشا من ماله صدقة لكريمته المرحومة فاطمة خانم ، وقد أضيف قسم من مقبرة الصوفية إلى هذا المستشفى ودرست منه قبور كثيرة خلا قبور العلماء أصحاب الشهرة (الروضة البهية ص ٤٥) .

المساجد في القرن السابع الهجري: ذكر أبو شامة في حوادث سنة ٦٦٠ هـ قال: وفي هذه السنة نظر في أمر أئمة المساجد بدمشق ، فمُنِعوا من الاستتابة ، ورجع بعضهم بما كان تناوله إذا لم يقم بالوظيفة ، منهم التاج الشحرور والجمال الموقاني ، وابن بنت غانم ، وابن عبد السلام وغيرهم ، ونقص كثيراً من جامكياتهم (رواتبهم) المقررة ، وكان المتولي لذلك والي الشرطة بدمشق ، وهو الافتخار أباز ، وكان شيخاً كبيراً ولي دمشق في أول السنة ، ومكن النظر في المساجد فجرى ما جرى (ذيل الروضتين ص ٢١٨) .

مسجد أرغون شاه وترته: جدد هذا المسجد سنان آغا جاويش الإنكشارية سنة ١٠٠٨ هـ .

انظر تفصيلاً عن وقفه في (ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٤٠ - ١٤١) .

مسجد الذبان: هو مكان مخفر الشيخ حسن في أول طريق الميدان (ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٤٥) .

مسجد السيدة رقية (مسجد الرأس): دفن فيه رأس الكامل محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، الذي قتله التتار وعلقوا رأسه على باب الفرديس (ولاية دمشق في عهد المماليك) .

ولم يصح أن السيدة رقية دفنت هنا .

مسجد عائلة وعويلة: قال ابن طولون في «بهجة الأنام في فضل الشام» قلت:

وقيل: قبلي دمشق في شرقي القبيبات مسجد عائلة وعويلة، قد كتب شيخنا المحيوي في ذلك جزءاً، قال النبي ﷺ: ليلة أسري بي مرت على عائلة وعويلة. (الروضة البهية ص ٨٣) وانظر عايلة وعويلة في بحثنا هذا.

مسجد أبي عبيدة: قال في «الفضائل البهية»: مسجد أبي عبيدة خارج باب الجابية، وأبو عبيدة هذا أحد العشرة، كان في زمن فتح دمشق أميراً على المجاهدين، ويتعبد الله تعالى في بقعة لطيفة على باب المدينة، فبنى هناك مسجداً لطيفاً يعرف بمسجد أبي عبيدة يصلي الناس فيه ويتبركون به..

(الإشارات ص ٧) (الروضة البهية ص ٧١).

مسجد النارنج: قال الهروي في «الزيارات»: مسجد النارنج بباب الصغير، وبه حجر مشقوق وله حكاية مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه (الروضة البهية ص ٨٢).

المسرح في دمشق: عن مسرح أبي خليل القباني والشيخ سعيد الغيرة (انظر كتاب سورية في القرن التاسع عشر ص ١٩٢ وتاريخ علماء دمشق ١/٣٦).

المشاركة: مصطلح على وظيفة الإشراف على بقاء الخدمة وصلاحها بشكل جيد في المدرسة.

المصطبة: هي مصطبة (مسطبة) صنعت (في حي المهاجرين) لما جاء إلى دمشق عاهل الألمان غليوم، وتعمرت من أجله وكانت تشرف على بقعة جميلة من دمشق وغوطتها وضياعها بأبدع منظر، ووضع له على المصطبة المذكورة خيمة حرير عظيمة، قال في «الروضة البهية»: والمصطبة المذكورة باقية ليومنا هذا يقصدها الناس من كل جهة وعلى الدوام لا تخلو من الزحام (الروضة البهية ص ٥١).

مصطبة (مسطبة) السلطان: هي مصطبة عظيمة كانت في سهل القابون بينها وبين برزة، كان الملوك والنواب والعظماء من القواد ينزلون فيها إذا قدموا من جهة حلب. يقول البدري المتوفى سنة ٨٩٤هـ: إنها في قدر فدان.. وفيها قصر حسن البناء، وقد بقي أثرها إلى عهدنا الحاضر، ثم سويت بالأرض وأصبحت أرضاً زراعية. (ولاية دمشق في عهد المماليك ص ٣١).

مشاليم: مصطلح بمعنى 'مجانين' ، وأهل الشام يقولون: مشلوم بمعنى مضطرب الفكر.

(سلك الدرر ٤٣/١) الهامش.

المصاري: جمع مصرية ، وهي عملة من فضة رخصت الحكومة العثمانية لحكومة مصر بسكها بدار السك بالقلعة ، ويطلق عليها أحياناً البارة ، والقرش أربعون بارة ، ولا زال أهل دمشق يسمون النقود مصاري (حوادث دمشق اليومية ص ٤ هامش ٤).

مطبعة معارف الولاية: في الجانب الشمالي من المدرسة الظاهرية بدمشق حُجِرَ، جعلت فيها بادئ ذي بدء مطبعة الولاية لطبع ما يختار نشره من مخطوطات المكتبة ، ثم نقلت فيما بعد إلى أمام السراي ، واتخذ في مكانها مكتب للحكومة سنة ١٣٠٩ هـ وأضيف إليها دار فيما يليها. (خزائن الكتب في دمشق).

معبد أبي الدرداء: في قلعة دمشق معبد أبي الدرداء الصحابي، وهو معروف يزار ويتبرك به.

(الإشارات إلى أماكن الزيارات ص ٧).

مغارة الجوع: قيل: مات فيها أربعون نبياً ولها حكاية.

(الأعلاق الخطيرة ١/١٨١).

مغارة الدم: هو المكان الذي قتل قاييل أخاه هابيل ، وهناك حجر يزعمون أنه الذي فلق به هامته. (الروضة البهية ص ٣٨).

واستسقى الناس في خلافة هشام بن عبد الملك في موضع دم ابن آدم عليه السلام فسقوا، بحيث أقاموا في المغارة ستة أيام لا يستطيعون دخول البلد من كثرة المطر. (الروضة البهية ص ٤٠).

(وانظر تفصيلاً عن فضائل المكان في الروضة البهية ص ٤٠ ، ٤١) (الإشارات ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١) (الأعلاق الخطيرة ١/١٨١).

المقاسمات: مصطلح يعني قسمة الأموال في الميراث.

مقام إبراهيم: بغوطة دمشق في قرية برزة في جبل قاسيون. قال البصري في «فضائل الشام»: قال البرهان التاجي: إن القاضي أبا بكر العربي الشافعي ذكره

في كتابه (أخبار الدلائل) وأنه شاهد صحة ذلك ، واستدل بما وقع للسبكي من تنكز نائب الشام ، فإنه عزم على ضرب ابنه القاضي حسين فتوجه السبكي إلى المقام بقرية برزة ، فأقام به يسأل الله تعالى أن يكفيه شره ، فما نزل حتى أخذ الله تعالى تنكز وأجاب دعاءه (الروضة البهية ص ٤١-٤٢) (الإشارات ص ٣٢-٢٤).

وقيل: إن إبراهيم عليه السلام ولد في قرية برزة (الأعلاق الخطيرة ١/١٧٢).

مقبرة الدحداح: قال ابن طولون: قال الأسدي: في سنة ٣٢٨ هـ [توفي] أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يحيى بن زيد أبو الدحداح التميمي الدمشقي ، سمع أباه ومحمد بن هاشم البعلبكي وجماعة كثيرة [وروى] عنه الطبراني وأبو بكر الأبهري وأبو بكر ابن المقرئ. قال الخطيب: كان مكتفياً بحديث الوليد بن مسلم روى عن جماعة من أصحابه. وقال الذهبي: وكان يسكن بطرف العقبية ، وقع لنا أجزاء من حديثه. قلت: وإليه ينسب مرج الدحداح. توفي في المحرم، وقيل: في ذي القعدة، أ هـ.

وأما ما روينا في «صحيح مسلم» في الجنائز ، عن جابر بن سلمة قال: قال رسول الله ﷺ على أبي الدحداح ، ثم أتني بفرس عربي فعقله - أي أمسكه - رجل فركبه ، فجعل يتقوص به - أي يتوثب - ونحن نتعبه نسعى . قال: فقال رجل من القوم إن النبي ﷺ قال: كم من عذق معلق أو مذلل في الجنة لأبي الدحداح . فقال شعبة: لأبي الدحداح، أ هـ.

فليس هذا المرج ينسب إليه بل إلى ذلك الرجل الذي هو غير صحابي ، لكنه من رواة الحديث .

(اللمعات البرقية في النكت التاريخية لابن طولون ص ٨).

المقسلاط: هو المكان الذي التقى فيه القائدان خالد وأبو عبيدة حين دخل أحدهما من باب الجابية والثاني من باب شرقي . وهو البريص ، وهو موضع النحاسين بدمشق كما قال البلاذري ، وهو عند منتصف الشارع المستقيم الممتد بين باب الجابية وباب شرقي تقريباً (قصور الحكام لعبد القادر الريحاوي ص ٣٤) (الحوليات الأثرية ٢٢/٣٤).

مكتب الصنائع: تأسس في عهد مدحت باشا والي دمشق . (المنتخبات ص ٢٧٢).

مكحلة: هي المدفع في اصطلاحنا اليوم (ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١٤٤).

الملطفات: هي كتب سرية تكتب على كاغد لطيف ، وتلف وتختم ، ثم توضع في مكان خفي ، كنصاب سكين أو سواك أو عصا أو نحو ذلك ، يجوف داخلها وتوضع فيه وتسلم إلى من يراد تسليمها إليه بصورة سرية لا تلفت النظر . (ولاية دمشق في عهد المماليك ص ١١٦).

المناخ: حارة في العقبية، ورد ذكر المناخ في فيضان نهر بردى سنة ١١٦٠ هـ فقد ذكر البديري الحلاق أنه في خامس محرم الحرام من هذه السنة الموافق لأول كانون الثاني ١٧٤٧م زادت المياه بسبب سيل عظيم ، ودخوله للشام كان نصف الليل ، فحصل طوفان لم يسمع له نظير من قديم الزمان ، هجم وأتلف أموالاً كثيرة لا تعد ولا تحصى حتى صارت المرجة كالبحر ، ومع ذلك الماء يخطف الطير ، وله خريز ودوي وهدير ، وقد غطت هذه الزيادة حجر تاريخ القلعة ، ومرت في الأسواق والدور ، وأخرجت شيئاً غير محصود ، وقد صارت تحت القلعة (من الجهة الشمالية) وفي المناخ بالارتفاع طول قامة الإنسان. قال البديري: وقد دخلتُ إلى قهوة المناخية بعد انصراف الماء فوجدت الماء في أعلى مساطبها أعلى من ذراع.

(حوادث دمشق اليومية ص ٨٦).

المناسخات: مصطلح يعني أن تموت ورثة بعد ورثة ، وأصل الميراث قائم لم يقسم .

منزل زوار باشا: هو ثانوية جول جمال (اليوم) وكان عام ١٩١١م مدرسة للطب .

منزل ناظم باشا: والي دمشق: هو القصر الجمهوري القديم في آخر خط المهاجرين (الحوليات الأثرية ٢٣/٣٤).

منع القراءة بكتاب نزهة المجالس للصفوري بالجامع الأموي: ذكر ابن طولون نقلاً عن الشهاب الحمصي في «ذيله»: وفي يوم الخميس خامس عشر جمادى الأولى سنة ٨٩٩ هـ منعتُ (أي الحمصي) زين الدين الصفوري المحدث من القراءة بالجامع الأموي وفي غيره ، وأمرت بشيل كرسيه من الجامع الأموي ،

وسببه أنه جمع كتاباً سماه «نزهة المجالس» وذكر فيه أحاديث موضوعة على النبي ﷺ ، ثم أحضر الكتاب المذكور وذكر أنه تاب ورجع عن الأحاديث الموضوعة فيه ، وأنه لا يعود لذلك ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ (مفاهة الخلان ١/١٥٩).

المنلا والملا: المنلا: بضم الميم أصله «المولى» أي الشيخ ، ثم استعملته الأعاجم بمعنى المتعلم والعالم على حسب سنه ، وقالت: منلا وملا بتشديد اللام ، ثم تُنَوِّسِيَّتْ عربيته وقيل: المنلا. (هامش سلك الدرر ١/٦٣).

المهمندارية: هي تلقي الرسل الواردين إلى الدولة من حكومة أخرى (ولاية دمشق في عهد المماليك ص١٩).

مياه عين الفيحة: في سنة ١٣٢٤ هـ نهضت أكارم رجال دمشق وبمساعدة وزيرها ناظم باشا وجرت المباشرة والاشتغال بتخطيط وتعمير طريق دملة لأجل مد قسطل حديد ضخمة؛ لاستيعاب أربعة آلاف متر ماء؛ يمتد من قلب نبع ماء عين الفيحة إلى بركة المقاسم التي بدئ بتعميرها أيضاً في العرصة التي ابتعت لأجلها الواقعة في محلة الصالحية غربي جامع السكة المعروف بأبي ثقاله ، يفصل بينهما الطريق العام ، يدخل إلى الساحة المذكورة بزقاق مستطيل ، وهذا الماء لا ينقص عن مقدار نصف ماء نهر القنوات ، لكي يوزع من البركة المذكورة إلى مئتين وخمسين حنفية حديد توضع في مركز السبلان وخلافها في عموم شوارع وطرق مدينة دمشق وأزقتها ، بحيث لا تبعد كل واحدة منها عن الأخرى من الطرفين أكثر من مئتي متر ، والمتحقق تخمين عموم صرفيات ذلك مبلغاً وقدره خمسة وخمسون ألف ليرة عثمانية. . . ويحمده تعالى تمت إسالة هذا الماء الصافي في تلك الحنفيات قبل طبع هذا الكتاب (أي كتاب الروضة البهية المطبوع سنة ١٣٣٠ هـ) (الروضة البهية ص٣٦).

الميدان: لدمشق ميدانان يرتادهما السلاطين والأمراء يلعبون فيهما بالكرة والصولجان ويروضون خيولهم ، وكانا بمثابة معسكرين لإنزال الجيوش فيهما عندما تضيق القلعة وتزدحم.

أحدهما: الميدان الأخضر (وهو المكان الذي يقوم فيه الآن قصر الحكومة ، السرايا ودائرة الشرطة) وهو على مرج فسيح قرب نهر بردى غربي دمشق ، ويسمى أيضاً مرج الزنبقة.

وآخر: يقع في جنوبي المدينة ، ويمتد على أرض حصباء ولهذا دعي ميدان الحصى .

وقال ابن جبير: وعلى مقربة من القلعة خارج البلد في جهة الغرب ميدانان كأنهما مبسوطان خزاً وعليهما حلق والنهر بينهما .

(دمشق في عهد الأيوبيين ص ٥٩ - ٦٠ ، ولاية دمشق في العهد المملوكي ص ٥٢) .

الميطرون: قرب بيت لها بينها وبين عين ثرما (غوطة دمشق ١٩٥) .

الميطور: في أرض الصالحية آخر حدودها تحت نهر يزيد ، ونقل عن ابن شداد أنها كانت مزرعة ليحيى بن أحمد بن يزيد بن الحكم وكان يسكن ارزونا وهو الميطور الشرقي (غوطة دمشق ص ٢٤٧ ، ٢٨٦) .

نائب الشام: ويسمى الكافل، كافل الممالك الشامية ، وهو حاكم دمشق زمن المماليك ، ويسمى أيضاً ملك الأمراء أو المقر الكافلي (التاريخ البصري ص ١١٩ هامش ١) .

النظارة: مصطلح يطلق على الإشراف على تسيير شؤون الوقف ، وكان المسيّر للوقف في العهد العثماني يسمى (متولي) والمفتش على الأوقاف (ناظر) والناظر كان بمنزلة المدير العام للمدرسة فهو يعمر ويؤجر ويصرف للقائمين على العمل من رواتب وغيرها ، ويخصم على المتخلفين مقدار ما تخلفوا .

الوراقة والوراقون: ذكر ابن طولون في تاريخ سنة ٩٢٦ هـ: وفي يوم الثلاثاء حادي عشر ذي القعدة توفي المعلم عبد الكريم بن داود المدعو بشريم الوراق ، وكان آخر المعلمين القدماء في هذه الصنعة ولديه دين وصلاح ومحبة للصوفية . توفي فجأة ودفن غربي الروضة بسفح قاسيون . (مفاكهة الخلان ١٢٣/٢) .

وراء الدور: هي منطقة الصدف قرب مقبرة الدحداح (غوطة دمشق ص ١٦٢) .

ورع الإمام المقدسي: ذكر ابن رجب في ترجمة العلامة محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد السعدي المقدسي الحنبلي ، وهو ابن أخي الحافظ ضياء المحدث: كانت له قدم راسخ في التقوى ووقع في النفوس ، وحكي عنه أنه كان يحفر مكاناً في جبل الصالحية لبعض شأنه فوجد جرة مملوءة دنائير ، وكانت امرأته معه تعينه في الحفر ، فاسترجع وطم المكان كما كان أولاً . وقال

لزوجته: هذه فتنة ولعل لها مستحقين لا نعرفهم ، وعاهدها على أن لا تشعر
أحداً بذلك ولا تتعرض إليه ، وكانت صالحة مثله ، فتركا ذلك تورعاً مع فقرهما
وحاجتهما ، وهذا غاية الورع والزهد رحمهما الله تعالى.

(ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٣٢١).

وَسَطٌ: مصطلح يعني قطع الرجل نصفين بحسب اصطلاح المماليك.

* * *

وصف لرحلة الحج في القرن العاشر الهجري

التي قام بها العلامة ابن طولون الدمشقي في سنة ٩٢٠ هـ.

وهي تتضمن وصفاً شاملاً لكل مرحلة من مراحل الحج من دمشق إلى مكة المكرمة ، وفيها وصف للقاءاته مع علماء مكة والمدينة وتلقيه عليهم ، وفيها وصف لحالته النفسية عندما وصل إلى المدينة المنورة ودخوله لزيارة النبي ﷺ بقوله: لم أتمالك عقلي ، ورأى ما فعله الرافضة بجماعة من الحجاج وإيذاءهم لهم ، ويورد خلال الرحلة بعض الأحكام الفقهية ، وينقل عن الحافظ ابن ناصر الدين بعضاً من تعريفاته لبعض الأماكن ، وذكر في آخرها الأجزاء الحديثية التي ألفها شيخه يوسف ابن عبد الهادي الذي خص كل منزلة بجزء حديثي . ثم ختمها بفوائد عدة .



البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي

للإمام محمد بن علي ابن طولون الدمشقي
المتوفى سنة ٩٥٣ هـ^(١)

مخطوط في التيمورية
٧٩ مجاميع
من ٢١٥ حتى ٢٢٨

(١) اعتمدت في إخراج هذه الرسالة على ما نشره الأستاذ الفاضل حمد الجاسر في مجلة العرب، السنة ١٠، العدد ١١ - ١٢، إذ لم أستطع الحصول على النسخة المحفوظة في المكتبة التيمورية بالمجاميع رقم ٧٩ من الورقة ٢١٥ - ٢٢٨، وقد حاولت مراراً فأخبرني المشرفون أن الرسالة غير موجودة، وقد وضعت لكل مرحلة عنواناً وعلقت بعض التعليقات المفيدة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله خالق البشر ، ومأنح البشر ، ومصدّر الإقامة والسفر ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وآله ما اتصلت عين بنظر وأذن بخبر .
وبعد فهذا تعليقٌ سمّيته : «البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي» فأولها :

قبة يلبغا: خارج دمشق من جهة القبلة .

رحلنا من دمشق إليها قاصدين حجّ بيت الله الحرام ، يوم الأربعاء تاسع عشر شوال سنة عشرين وتسع مئة غدوةً مع المَحْمَل ، وكان أمير الحاج أمير ميسرة أصبائي الجركسي المتكلم على المدرسة اليونسية بالشرف الأعلى ، فوصلناها الضحوة الكبرى ، ثم بثنا بها . ثم رحلنا غدوةً إلى خان ذي النون فوصلناه بين الصلاتين .

ثم رحلنا منه عند بزوغ القمر ، فوصلنا أرض الدلا بعد العصر ، فعشنا بها . ثم رحلنا منها في الثلث الأول من الليلة ، فمررنا على قرية شيخ مسكين^(١) في أثناء نصفها ، ثم على قرية طفس أواخرها ، ثم على أرض القصر أول الفجر .

ثم على منارة المزيريب قبل طلوع الشمس ، ثم نزلنا المزيريب مع طلوعها ، ثم تلقينا المَحْمَل وقد أقبل من «طريق الجزية» فنزل شمالي المحطة والسوق . وكانت الأقوات أول السوق رخيصة ثم غلت .

ثم رحلنا منه ثالث يوم فوصلنا إلى أذرعات^(٢) وقت العصر ، فوجدنا أسعارها كالمزيريب .

(١) في الأصل : سمسكين .

(٢) هي مدينة درعا اليوم .

ثم رحلنا منها أوائل فجر الغد فوصلنا إلى منزلة «الزرقاء» وهي بين «السرية» و«البلقاء» وقت الغروب فبتنا بها.

ثم رحلنا أوائل فجر الغد فمررنا على قرية «مركا» أوائل النهار.

ثم وصلنا إلى منزلة «عمَّان» وهي أم البلقاء بعد الظهر فوجدنا الأسعار غالية وليس هناك شيء من الإقامة.

ثم رحلنا أوائل فجر الغد ومررنا على قرية «الجارية» ثم على قرية «الأيدون». ثم مررنا على قرية «أم العمدة» وقرية «الخيرا» ثم على قرية «القصطل» وقت الظهر، ثم على قرية «خيرا» أوآخر النهار، ثم على قرية «المنبعة» وهي آخر أرض البلقاء، فعشينا على بثرها وقت العشاء.

ثم رحلنا فمررنا على خان خراب يسمى «خان قياد» وقت الغداء، ثم على «وادي الشواق» ثم على «وادي النسور» ثم نزلنا بعد المغرب بفلاة قريب «خان القطراني». ووجدت بخط الحافظ ابن ناصر الدين في مسودة «توضيح المشتبه» في حرف القاف قوله: و«القطراني» منزلة معروفة للحاج الشامي بين الحسا ووادي النسور وبها خان خراب. انتهى.

ثم رحلنا منها أول فجر الغد وقت رحيلنا من التي قبلها فذهبنا على طريق اللجون إليها، وقد حصل لنا مشقات من عقبات كثيرة مزعجة. ثم وصلنا منزلة «اللجون» بعد الظهر، فوجدنا الأسعار بحمد الله منخفضة، وحصل جلب كثير من الطحين من القدس فحصل به الرفق.

ثم رحلنا منها ثالث يوم طلوع الشمس، فمررنا على صوَّان أسود، وعقبات كثيرة، ثم تلقينا أرضاً بيضاء متربة بريح شديدة حتى كادت أن تعمي الأبصار، ثم عشنا بأرض فلاة بعد المغرب.

ثم رحلنا أول الفجر من الغد، ثم استقبلنا وادياً بين جبال يشرف منها على مطلات على منزلة «الحسا» ثم مررنا على أراضٍ مختلفة الألوان لا تشبه واحدة منها الأخرى. ثم وصلنا إلى منزلة «الحسا» وقت الظهر، ولم ينزل بها أحد، ولم نرَ بها أحداً، غير أنه قيل: إن الركب الحلبي رأوا بها بعض إقامة فاشتروها.

ثم مررنا قريب المغرب على قرية خراب تسمى «برمة» فعشينا بفلاة هناك بعد المغرب، ورأينا بها هلال ذي القعدة ابن ليلتين.

ثم رحلنا أوائل فجر الغد فاستقبلنا ريح شديدة وبعض مطر فمررنا على «خان عُنيرة» قبل الظهر ، فرأيت في أرض فلاة حمراء بحجارة سود صغار ، وهو على يمين الذهاب ، وقبليه بغرب بركة كبيرة بحجارة ، ثم عشنا بأرض فلاة قريب «أرض معاذ» «بعبيل الصر» والريح شديدة.

ثم رحلنا أوائل فجر الغد ، فوصلنا إلى منزلة «معاذ» وقت الغداء ، فلم نجد بها إقامة أصلاً ، فبتنا هناك والحرامية كثيرة وهم يداورون الحاج .

ثم رحلنا أواخر الليل ، فوصلنا إلى أشجار أم عباس عند الظهر ، ثم عشنا بالقرب من «بئر المنبعة» وقت العشاء ، وكانت ليلة باردة .

ثم رحلنا أوائل فجر الغد ، فمررنا على «بئر المنبعة» قبل طلوع الشمس ، ثم وصلنا «قرية عبادة» وهي خراب على يمين الذهاب قبيل الظهر .

ثم شرعنا في نزول «عقبة الصوان» بعد الظهر ، فرأيت بها عجائب ، منها رمل أحمر كالدم ، ورمل أصفر كالورس ، وجبالاً كثيرة ، وهذه العقبة أسهل من «عقبة اللجون» المتقدمة ، ثم في أواخرها حصل علينا مطر ، واستمر إلى أن عشنا بـ «حالات عمار»^(١) وهي فلاة بين جبال صغار على جانبي الطريق ، وذلك قبيل «الجبل الأسود» الدور الصغير الذي هو شرقي الطريق وقت العشاء .

ثم رحلنا أوائل فجر الغد فوصلنا محلة «عين ماصرر»؟ بفتح الصاد المهملة والراء عند محلة «الطيلية» وهي رابية حجر ذات طباق مفطرة قدر البيت الكبير ، وهي شرقي الطريق على يسرة الذهاب إلى مكة . ويقابلها غربي الطريق على يمنة الذهاب جبال كبار صلب صلب ، كأنها صلب ترات؟ قد رسم برشم كالقمح ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وقال لي جماعة: إن بهذه الأرض حجر الماء الذي يسن عليه الحديد والفولاذ ، ومنها يأخذه الناس . ثم مررنا على أرضٍ مختلفة الألوان ، ثم على زلاقات «ذات حج» بين جبال صغار .

ثم عشنا على «ذات حج» في ثلث الليل الأول ، فوجدنا ماءها عجيب الحال .

ثم رحلنا وقت الغداء الصغير من الغد ، ولم يتيسر لنا ماء نشربه ، لأن

(١) يقال لها الآن: حارة عمار .

أحسن حفائرها التابوت والشريطي ، وقد احتوت عليهما جماعة أمير الحاج ،
وقد أخذتني عبرة .

ثم دخلنا أرض قاع بسيطة ، ثم عشنا بفلاة منها غربي جبلين يعرفان بقرن
الشیطان .

ثم رحلنا قبيل الفجر واستمرينا في القاع المذكور بعد العشاء .

ثم رحلنا قبل الفجر من الغد فوصلنا «تبوك» وقت الغداء الكبير . فوجدت
نخيلها كنخيل أرض ذات حج ، وأرضها رمل كأرضها ، ورأيت البركة والماء
نحو قامة ، ورأيت جماعة من الأسقاط يغتسلون بها عراة في حال استقاء الناس
منها بالأدلية .

ثم رحلنا وقت الظهر ، ثم مررنا على «وادي الأثل» الثلث الأول من ليلة
الغد ، فعشنا بسطحة الوادي المذكور .

ثم رحلنا أواخر الليل ، فمررنا على «أشاير» وهي عمل على رؤوس
الجبال ، ثم على «مغاير القلندرية» ثم نزلنا «عقبة الأخيضر» وهي عقبات صعبة
في انحدار مضيق عرضُه نحو الخمسة أذرع فما فوقها ، بحيث أن العرب تقدر
على ردمه بحجارة من أعلى الجبل ، وقد فعلوا هذا في سنة^(١) . . . ، وأما طوله
فنحو المئة خطوة ، ثم بعد ذلك سعة وسهولة ، ورأيت في هذا المضيق عن
اليسار وأنت ذاهب لوحاً من حجارة مكتوب فيه (الخ . . . ابن الخ . . . من
يرافق في سفره مرا) قد أحاط بهذا الوادي غرباً وشرقاً جبال من حجارة بيض
مفطرة ، وغير مفطرة ، كالمحترقة بالنار ، طول بعض الجبال نحو الخمسين
ذراعاً ، واستمرينا في واد بين الجبال المذكورة إلى المحطة عند البركة ، فوصلنا
مع مغيب الشمس ، وذهبت إلى البركة فرأيتها ملآنة نحو النصف ، وإلى جانبها
بئر ، وهناك بركتان أخريان ليس بهما ماء ، يقال : إن إحداهما كانت للركب
الحلبي والأخرى للكركي .

فلما كان أوائل الثلث الأخير من الليل رحلنا ، واستمرينا بهذا الوادي بهذه
الجبال إلى وقت الغداء ، ورأينا به حنظلاً وعشاراً كثيراً ، ثم دخلنا «الجنيات»

(١) فراغ في الأصل .

والشمس حينئذ مواجهة لنا إلى أن خرجنا منها قريب العصر .

ثم دخلنا أرضاً سهلة قليلة الأحجار ، كثيرة الرمل المزعج ، وهي بين جبلين ، ثم مرزنا على «مقرة مالباني» وقت العصر ، وهي بواد بسفح جبل طويل عريض ، وأرضه حمراء بحجارة سود غالباً .

ثم دخلنا أرضاً حمراء سهلة بغير حجارة .

ثم مرزنا على رأس الجبل الكبير الذي يقال له «الأسدة» ثم دخلنا الوادي الذي باسمها .

ثم مرزنا على الجبلين اللذين هما على جانبي الطريق يسميان «خرص المعظم» .

ثم عشنا على «بركة المعظم» بعد المغرب فذهبت إليها ، فإذا هي بركة عظيمة ليس بها ماء ؛ لأنها من جمع المطر ، وقد بَعَدَ إِبَانَةُ .

ثم رحلنا أوائل فجر الغد فمرزنا على أرض «الجنيب» وهو اسم لمجمع ماء في جبل غربي الطريق ، كان الحاج يَرِدُه قديماً . وهذه الأرض أحد «السبع مفارش» وهي مفروشة بحصى صغار ، وفي أثناء هذه الأرض قطع كثيرة مرملة ، شريقها قطع جيدة شجر أم غيلان .

ثم عشنا قبيل العشاء في أرض «فرش الرز» .

ثم رحلنا أوائل الربع الأخير من هذه الليلة ، فمررنا على «زلاقات شق العجوز» ورأيت بها عجائب من الحصى والحجارة والرمل والجبال .

ثم مررنا على جبل مدور كبير بالزلاقات يسمى «القارع»^(١) ثم على «شق العجوز» ولم نَرَ به ماء ، ثم مررنا على «جبل الطاق» ثم دخلنا «أرض البقيعات» ورأيت جبلاً كعجين الكدس .

ثم دخلنا على أرض «مبارك الناقة» بعد العشاء ، واستمر بنا السير إلى أن عشنا قبلي «الميرك الكبير» بتلك الرُّبَا بالوادي ، وقد حصل على الناس مشقة .

ثم رحلنا عند طلوع الشمس من الغد فمررنا على «الجبل اليتيم» وهو قطعة جبل كبير منفرد شمالي الوادي المذكور ، ثم على «أبيار الحجر» وأوائل «مدارين

(١) ويقال له أيضاً: الأقرع .

صالح» قال ابن ناصر الدين في مسودة «توضيح المشتبه» له: «ومداين صالح التي بالقرب من العُلا من طريق الحاج من الشام: بلد إسلامي وصالح المنسوب إليه من بني العباس بن عبد المطلب ، وفيها قبور عليها نصايب تاريخها بعد الثلاث مئة. ذكره أبو محمد القاسم بن البرزالي فيما وجدته بخطه» انتهى كلام ابن ناصر الدين. ورأيت بها عجائب منها: رمل أصفر كالورس ، ومنها جبال منحوت فيها بيوت بأبواب صغار منحوتة بإتقان ، ومنها جبال صغار ليس بها شيء منحوت ، ثم رأيت جبلاً يميناً ، وجبلاً يساراً كالشُور من بينهما خندق إلى أوائل أرض «العلا العتيقة». ثم دخلنا المحطة تحت الجبل الغربي العالي ، غربي العين الجوانية بعد العصر ، فرأينا بالعلا الخير الكثير ، حتى بيع رطل العجوة ورطل التمر بثلاثة! ثم شاهدت تحت هذا الجبل قبراً فقيل لي: إنه قبر أمير الحاج الشامي شاذبك الأشرفي، توفي في «العقبة السوداء» عند «هدية» سنة اثنتين وسبعين وثمانمئة ، فصبرته زوجته ، ثم ماتت هي أيضاً فدفنا جميعاً تحت الجبل الذي «بمحطة العلا» غربي العين.

ثم رحلنا بعد يومين بعد الفجر ، فمرزنا على «العلا العتيقة» ثم على «طربل دغيم» وهو الذي يُقال له: «فرس النبي» ثم على «معرج البقلة» ثم على «مطران الكبير» فعشينا به .

ثم رحلنا وقت فجر الغد فمرزنا على «حميرا مطران» ثم على «غلف» ثم على «حفاير الزمرد» ثم على «مناعة» ثم على «سور النعام» ثم على «عُقارة» ثم على «بوارين» ثم عشينا بين الجبال الأربعة .

ثم رحلنا نحو نصف الليل فمرزنا على سويقة ، وبها قبر جندل على ما قيل ، ثم وصلنا «هدية» غروب الشمس ، فوجدنا بها آثار سيل كبير أتى من شرقيها من جهة أرض «خيبر» .

ثم رحلنا منها قبل الغد ، فمرزنا على «العقبة السوداء» ثم على «وادي الجماجم والرمم» ثم على «وادي الإضان» ثم عشينا بقرب «الفحلّتين» وهما قطعتان كبيرتان على رأس جبل غربي الطريق ، يراهما الحاج من بعد ، وبعض الناس يزعم أن النبي ﷺ صعدهما .

ثم رحلنا في ثلث هذه الليلة الأخير ، فدخلنا «وادي القرى»^(١) ثم عَشِينَا فِي أواخره .

ثم رحلنا في رُبْع هذه الليلة الأخير ، فمررنا على «سد عليّ» ثم على منزلة «البرة» وقد تباشر الناس برؤية الحرم النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام . ثم جاء فقراء المدينة يسألون الصدقة ، ورأيت في كثير من أطفالهم لطافة . فتصدّق عليهم بعض الحاج بسموط عزل لطيف ، وبعضهم بحفنة من الثقل لطيف ، وبعضهم بكعب بقسماط إلى غير ذلك .

ثم دخلنا أرض «أبيار الجُرف» ثم رأيت «جبل أحد» تجاه وجهي على يسرة الداخل إلى المدينة الشريفة ، وبسفحه «قبة سيدي حمزة وقبور الشهداء» ثم رأيت «جبل سلع» على يمين الداخل ، ثم رأيت^(٢) الخمس «والقبة الشريفة الخضراء» وشرقي ذلك «قبة العباس» بالبقيع ، فلم أتمالك عقلي حينئذ ، وإذا بالطواشِيَّة وناظر الحرم وأكابر البلد قد خرجوا لملاقاة المحمل الشامي ، ثم لحقهم أمير المدينة على هيئة العرب ، وبين يديه عبيد بأرماع كثيرة ، وبين يديه طَبْل يُضرب عليه في هيئة عجيبة . ثم نزلنا على باب المدينة الذي شرقي بيت الأمير ، ثم انتقلنا إلى خان داخله .

ثم توجهنا إلى الحرم النبوي ، من غير دخول حَمَام ، ثم دخلتُ الحرم النبوي فصليتُ ركعتين ، ثم أتيتُ الحضرة النبوية على صاحبه أفضل الصلاة وأتم السلام ، فزرتُه من عند رجليه ، ثم أبو بكر رضي الله عنه ، ثم عمر رضي الله عنه .

ثم صليتُ المغربَ خلفَ إمامها الحنفي ، وقد كان الإمام هناك العلامة شمس الدين الخجندي صاحبنا . توفي بدمشق ودفن عند ضريح حماد بباب الصغير ، فوصل خبره إلى أهله معنا ، فباشر الإمامة ابنُ عمه .

ثم بتنا تلك الليلة بالحرم النبوي ، ثم لما صلينا الصبح من الغد ذهبت أنا وصاحبنا أمين الدين بن عون وجماعة إلى زيارة البقيع ، فرأينا في طريقنا الدُعر

(١) ليس وادي القرى المذكور في كتب التاريخ ، بل هي وادي ذي خُشْب بضم الخاء والشين المعجمتين .

(٢) فراغ في الأصل: قال الأستاذ حمد الجاسر رحمه الله: كذا وهو يقصد المنارات الخمس .

من صنع الرافضة بجماعة من الحجاج من تَعْرِية وتجريح ومدّ للذبح ، ولا قوة إلا بالله . فبدأنا بزيارة سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقرأنا عنده شيئاً وأهديناه . ثم دُزنا على أماكن الزيارة هناك موضعاً موضعاً ، وصدفنا هناك شيخنا العلامة شمس الدين ابن رمضان الحنفي ، والمتقن شهاب الدين ابن الخيضر الشافعي في ساعة ، ثم عدنا وصلينا الظهر بالحرم النبوي .

ثم عدنا إلى منزلنا وإذا بصدر من التمر جاءنا ما بين بُزني ومَعْقَلِي وصِيْحَانِي من عند أحد الخدام بالحرم شمس الدين المغربي . ثم ذهبنا من الغد فزرناه بمنزله فقدم لنا ضيافة شامية ، ورأينا منه غاية الإكرام .

ثم رحلنا وقت الغداء الصغير ، فمررنا على مساجد النبي ﷺ ، ثم على «عقبة الحرّة السوداء» ثم على «وادي العقيق» وهو مسيل ما بين الحرّة وبين «ذي الحُلَيْفَة» المعروفة «بأبيار علي» ثم وصلنا «ذا الحليفة» بين الصلاتين ، فتوضأت هناك ولم يتيسّر لي من بئر علي ، ثم دخلت «مسجد الشجرة» فصليت به ركعتين ، ثم علّمت أصحابنا كيفية الإحرام ، ثم هبت ريحٌ باردة فأحرمتُ وقت العصر بعد انبعاث راحلتي بالعمرة بعد التجرد المشروع ، فلما قربت من «المفرح» بردتُ وحصل لي بردٌ شديد ، فلبست دفعة واحدة على نية الإهداء ، ثم مررنا على «المفرح» ثم على «قبور الشهداء» ليلاً ، ثم عشنا في أوائل «وادي بني سالم» .

ثم رحلنا أول فجر الغد فمررنا على جبل «وَرِقَان» ثم على «بئر ذات العَلَم» و«بركة طاز» ، ولم نر بها ماء ، ثم على «مَبْرَك الغزالة» ثم على «وادي النار» ثم على «بركة زَيْدِيَة» وهي خراب ، ثم عشنا أوائل «وادي الصُّقراء» عند «الجَدِيدَة» واسم هذه المنزلة «الحزامي»^(١) فوجدنا البطيخ الأخضر بها كثيراً ، واليقطين المدور ، كلُّ واحدة نحو الخمسة أرطال وشواءً لذيذاً .

ثم رحلنا أول فجر الغد ، فمررنا على قرية «أذِيال» ثم على «المريمية» ثم على «الرجابي» ثم على «الهاشمي» ثم على قرية «الحمراء» ثم على «نقب علي» وهو الطريق الذي يذهب منه الحاج المصري إلى ينبع . ثم على قرية «العلق» ثم على قرية «الْحَرْمَاء» ثم على قرية «العُلْيَا» ثم على قرية «الشُّفْلَى» ثم على قرية «الصَّارَة» ثم على قرية «الجَدِيد» بفتح الجيم آخرها هاء . ثم على قرية «دُعْج»

(١) قال الأستاذ حمد الجاسر: المقصود خيف الحزامي بالحاء المهملة .

بدال مهملة ثم غين معجمة ثم باء موحدة ثم جيم . ثم على قرية «الحَسَنِيَّة» ثم على «العالية» ثم عشنا على قرية «الفارعة» بالفاء ثم الراء المهملة ثم العين المهملة أيضاً.

ثم رحلنا أوائل ثلث الليل الأخير ، فمرزنا على قرية «البركة» ثم على قرية «الجديد» - ضد العتيق - ثم على قرية «التعاليق» التي يُقال لها «حُنين» وليست بِحُنين التي كانت بها الوقعة المشهورة ، فإنها كانت بواد قرب الطائف ، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً .

ثم وصلنا «بدرأ» فحطّينا به ساعة ، ووجدنا بها البطيخ كثيراً ، والعجوة أكثر ، ورأينا المعمارية قد شرعوا في عمارة بركة منظمة هناك يصل إليها الماء من «الفارعة» رسم بعمارتها سلطان مصر الأشرف قانصوه الغوري ، وجاءت في محلها ، فإن الماء هناك عزيز ، ورأيت النساء والبنات هناك يبعن اللسان وراس أخت؟ ود الخفاته؟ وغير ذلك .

ثم رحلنا ومررنا على المكان الذي يقال له «الغار» ثم على «رمل عالج» ثم عَشِينَا أوائل «قاع البزوة» بعد العشاء ، وتلك الليلة رأى جماعة من الحاج هلال ذي الحجة .

ثم رحلنا أوائل ثلث الليل الأخير فمررنا على «جبل القروذ» و«درب الماشي» ورأينا هناك من الغرب طرفاً من البحر ، ثم عشنا على محلة نزول سلطان مكة ابن بركات قبل البستان بعد العشاء .

ثم رحلنا أواخر الليل فمرزنا على «البستان» ثم على «نخيل رابغ» ثم وصلنا منزلتها قبلي «النخيل» وشمالي «الجحفة» فنزلنا هناك ساعة حتى أحرم بعض الحاج ، فإن المحرم إذا مرَّ بميقتين يجوز له الإحرام مِنْ أَيَّهما شاء عند أئمتنا الحنفية .

ثم رحلنا ومررنا على «الجحفة» ثم على الجبال الصغار التي يقال لها «البيادر الرملية» وعشنا هناك بعد العشاء .

ثم رحلنا أواخر هذه الليلة ، فمرزنا على أرض «الطاق» ثم على «جبل ودان» و«قديد» ثم عشنا في أوائل «رملة عقبة السوق» في أوائل الثلث الأول من الليل .

ثم رحلنا أوّل فجر هذه الليلة فمررنا على «عقبة السويق» بعد ارتفاع الشمس ، ورأيت بها بعضَ أجرانٍ يقال: إنه كان يُسقى بها سويق الشُّكر. وقد جرت عادة أكابر الحج أن يسقوا الجمّالة والعكّامة والمتوبة والسقاين وصبيانهم هنا من السكر المذوب.

ثم نزلنا على «بركة خُلّيص» ساعة ، ورأيت الماء جارياً إلى البركة ، وفي وسطها أربعة أعمدة من حجارة يقال: إنه كان عليها قصر ، وبالقرب من هذه البركة قلعة ، ووجدنا هناك البطيخ الأخضر مُتيسراً.

ثم رحلنا فمررنا على «الدّيسة» ثم على «مَدْرَج عثمان» ووعده بعد المغرب ، ثم على «بير عُسفان» ووعده وديستنه . ثم عشنا في أواخر ما بعد العشاء .

ثم رحلنا أول الثلث الأخير من هذه الليلة فمررنا على «المحاطب» وهو عشب كثير ، ثم على «المُنحني» وهو جبل بارز كالجنّاح غَرْبي الطريق ، يزعم الحاج أنه انحنى للنبي ﷺ ، ثم على «وادي المنحني» ثم عشنا على «أبي عُرْوَة» قريباً من البركة بعد العصر .

ثم رحلنا أوائل ليلة الغد فمررنا على المساجد ، وطلع لنا الفجر الكاذب عند «مسجد علي» والصادق عند «مساجد عائشة» قريباً من «التنعيم» ثم على «سبيل الجوخي» عند طلوع الشمس .

ثم دخلنا من «ثنية كداء» وقت الغداء الصغير ، وأهل مكة جالسون هناك يتفرجون على المحمل الشامي ، ومعهم خلق من الحاج المصري ، وقد تلقاه سلطان مكة بعسكره ، ومع أمير مكة الجُرْكُسيّ في أبهة عظيمة ، فنزلنا بمحطة «باب المعلى». ثم ذهبْتُ إلى الحرم المكي ، ودخلتُ من باب السلام كما اتفق لي بالمدينة الشريفة ، فاستقبلنا صاحبنا الجمالي ابن حسن بإناء فيه من ماء زمزم ، فشربته ثم طفت طواف القدوم ، وإذا بالظهر قد أذن فصلينا صلاته ، ثم سلّمْتُ بزيادة «دار الندوة» على محدث مكة الشيخ عز الدين ابن فهد الهاشمي ، ثم على إمام الحنفية الشهابي ابن البخاري صاحبنا من وقت قدم دمشق مع نائبها البرج ، ثم على السيد كمال الدين بن الحسيني شيخ الإسلام ، وقد كان أتى مع الحاج المصري وصحبته شهاب الدين ابن سالم .

ثم عرض عَلَيَّ صاحبنا المحب جار الله بن فهد أن أذهب معه إلى كاتب سرِّ

مصر ابن أجا لأسمع عليه المجلس الأخير من المشيخة التي خرّجها له ، فلم يتيسّر لي ذلك .

ثم عدتُ إلى المنزل ، ثم صليتُ المغرب بالحرم ، وتفرّجت على الشموع التي تُشعل حوالي الكعبة ، وبثُّ هناك فرأيت على «باب السلام» بعد العشاء من أصناف الحلوى أشياء مفتخرة لم تتفقُ في مدينتنا دمشق إلا في ليالي شهر رمضان ، وهي رخيصة ، ورأيت هناك رُماناً كبيراً .

ثم بعد صلاة الصبح من الغد ذهبت إلى «المنزلة» ، وتفرّجت على الحاج المصري ، وهو صاعد إلى الجبل ، وقيل: إن فيه ستة عشر محفة ، منها محفة جوخ مقصص لكاتب السر المذكور ، ومحفة من حرير بطرارة مذهبة لحريمه ، وأخرى كذلك لولد سلطان مصر قانصوه الغوري ، وأخرى كذلك لوالدته ، وفي أرجل جَمَلَيْهَا خلاخيل من ذهب .

ثم في هذا اليوم وهو يوم الإثنين سادس ذي الحجة الحرام من هذا العام سمعت من لفظ خاتمة المحدثين ببلد الله الأمين ، عز الدين أبي الخير وأبي فارس محمد المدعو عبد العزيز ابن الحافظ نجم الدين أبي القاسم محمد المدعو عمر بن فهد الهاشمي: «المسلسل بالأولية» على طريقة الأئمة المرضية من كتابه المسمى بـ «القصور العوالي في المسلسلات الغوالي» المشتمل على مئة وعشرين حديثاً مسلسلاً ، تخريجه لنفسه من مروياته .

ثم أنشدني البيتين اللذين نظمهما في معناه وقال: ليس لي من النظم غيرهما .
ثم الحديث المسلسل بالمحمدين من الكتاب المذكور ، وهو الحديث الرابع والعشرين منه .

ثم المسلسلات بحرف العين المهملة ، وهي: التاسع والعشرون ، والثلاثون ، والحادي والثلاثون ، والثاني والثلاثون ، والثالث والثلاثون ، والرابع والثلاثون ، والخامس والثلاثون من الكتاب المنوّه به .

ثم ذكر لي أنه وقع له حديثان عُشاريان مِنْ مروياته وقال: لا يوجد الآن أعلى منهما ، فأنكرت ذلك في هذا العصر ، فأوعدني بذكرهما وقال لولده الأكبر المحب محمد المدعو جار الله: اثني بالمحفظّة الفلانية ، فأتى بها ، فأخرج منها كراسةً وأراني الحديثين منها مُخرّجين من رواية الحافظ أبي القاسم

الطبراني ، أولهما من رواية أبي جرول زهير بن صرد الجُشَمِي فذكر حديث الشعر :

امتنُّ علينا رسول الله في كرم

حدَّث به الطبراني ، عن عبيد الله بن رُمَاحس القيسي ، عن أبي عمرو زياد بن طارق، عنه^(١) ، فقلت له: إن الحافظ أبا عبيد الله الذهبي قال في كتابه «الميزان»: إن بين عبيد الله وشيخه سقط رجل ، فأنكر ذلك وأمر ولده بإحضار كتاب «الميزان» فأحضره وكشف عن ذلك فرأى ما قلته حقاً فتعجَّب من ذلك ، ثم أمره بإحضار «لسان الميزان» للحافظ أبي الفضل ابن حَجَر فأحضره ، فرآه وهى قول الذهبي ، فأراني إياه ، فقلت له: تأمل كلامه فإنه لم يُقدم على تَوْهِيته صريحاً ، فأعجبه ذلك مني ، وقال: أَطُّنُّكَ لست من الشاميين ، فإننا اجتمعنا بهم وليس فيهم من يعرف من الحديث ، فأزلت ذلك الظن ، وحققت عنده أنني من صالحيتها. فَسَرَّ بذلك وقال: نحن ذاهبون معكم إلى عرفات ، وإذا عدنا نحن وأنتم إلى منى ، فلا تنزلوا إلا في بيتنا هناك من كل بُدٍّ فلم يتيسر ذلك .

ثم في يوم الخميس تاسع ذي الحجة من السنة المذكورة ذهبت إلى عرفات ، وطلعتُ إلى قَبَّة سيدنا آدم به ، وكان قد جدَّدها سلطان مصر كما قيل ، ثم وقفت مع جماعة من العلماء والصلحاء على الصخرات المفترشة إلى غروب الشمس ، ثم نفرت خلف المحمل المصري والشامي ، وقيل: إن جمل المحمل الشامي سبق جمل المحمل المصري ، فَعَرَقَب نَفَرٍ مِصرَ لجمل المحمل الشامي عَصِيَّةً .

ثم دخلنا من بين العلمين ، وهما إشارتان يميناً وشمالاً .

ثم قطعنا وادي عُرْنَةَ ثم المَأزِمِينَ .

ثم أتينا المزدلفة بعد العشاء فصليتُ بها المغرب والعشاء مجموعتين ، وبتنا هناك مع أناس قلائل ، منهم القاضي شمس الدين ابن البهنسي الحنفي وولده البرهاني إبراهيم .

ثم صلينا الصبح بغلس ، وذهبنا إلى وادي منى ، فمررنا على المشعر

(١) انظر كتاب عوالي الأسانيد للحافظ ضياء الدين المقدسي ص ٧٤ بتحقيق محمد مطيع الحافظ ففيه الحديث كاملاً .

الحرام ، ثم أتينا مسجد الخيف ، فوضعنا أمتعتنا هناك .

ثم ذهبنا إلى جمرة العقبة ، فرميناها من أسفل بسبع حصيات .

ثم عدنا إلى أمتعتنا ، ولم يتيسر لنا الذهاب إلى الكعبة لنطوف طواف الركن لاستصعاب المشي عَلَيَّ من هنا إلى هناك لضعف بدني ، وبتنا هناك .

ثم في ثاني يوم العيد ذهبنا إلى البيت (أي الكعبة) راكباً ، مع صاحبنا الجمال بن حفص ، فطفنا به سبعاً مع خُلُوه غالباً ، وتمكنتُ من تقبيل الحجر ومن الإتيان بالمشروعات حينئذ .

ثم خرجنا إلى المسعى ، فسعينا سبعاً مع خُلُوه غالباً أيضاً ، ثم فرغنا وُعدنا إلى منى ، وصلينا الظهر بمسجد الخيف .

ثم ذبحنا وحلقنا ، واستمرينا نرمي كل يوم بعد دخول الظهر وقبل صلاتها الجمرات ؛ نبدأ بالجمرة التي تلي مسجد الخيف ، وهي على يسار الذهاب منه ، ثم الجمرة الثانية التي تليها ، وهي على يمين الذهاب أيضاً ، ثم جمرة العقبة وعدة الحصا التي تُرمى بها هذه الجمرات سبعون حصاة أتينا بها من المزدلفة معنا .

ثم أتينا المحصَّب اليوم الرابع بعد الظهر ، ونزلنا عند بركة المصري ، ثم لازمت البيت والشرب من زمزم ، وكنت أقيم بمدرسة السلطان قايتباي المطلّة على باب الكعبة .

ثم اجتمعْتُ في يوم الأربعاء خامس عشر ذي الحجة من السنة المذكورة ، بالمحدث عز الدين ابن فهد ، وسمعت من لفظه الحديثين المذكورين .

ثم سمعت في هذا اليوم المذكور على خطيب مكة المحب أبي البركات وأبي الطيب وأبي بكر أحمد النويري العَقيلي المسلسل بالأولية من فهرس مروياته المسمى بـ «فتح القريب لمرويات خاتمة المسندين الشيخ محب الدين الخطيب» تخريج صاحبنا المحب محمد المدعو جار الله ابن فهد ، خلا الكلام عليه .

ثم خمسة إنشادات في نظم المسلسل المذكور أولها لابن عساكر ، والثاني لابن حجر ، والرابع لابن ناصر الدين ، والثالث والخامس للشيخ رضوان ، والثلاثة الآخرون مشايخ المُسمع بالإجازة .

ثم المسلسل بقراءة سورة الصف .

ثم المسلسل بالفقهاء .

ثم المسلسل بلباس خِرقة التصوف وألبسني إياها .

ثم المسلسل بختم المجلس بالدعاء ، وحصل لنا منه الجبر التام .

ثم لما عَزَمْنَا على الانصراف أرسل لنا بعض عبيده بصدر يشتمل على عدة صحون صيني من أنواع الحلوى المفتخر .

ثم أهدى لنا الشيخ عز الدين ابن فهد صدرًا من الكعك المحشي عَجْوَة .

ثم ضَيَّفَنَا إمام الحنفية شهاب الدين البخاري في منزله ، وزودنا بشيء من الدراهم لها جرم . وذهب معنا إلى أماكن الزيارات بمكة وباب المعلى ، وزرناها مكاناً مكاناً ، وقد كان أعارني الشيخ عز الدين ابن فهد مؤلفاً في أسماء من دفن بباب المعلى وتراجمهم ، فكنت لما أזור مكاناً أراجع ترجمته من ذلك المؤلف .

وأول ما زرت الست خديجة الكبرى زوج النبي ﷺ ورضي عنها ، وختمت بزيارة عمي الخواجا برهان الدين بن هديل بالقرب منها عند قبر القاضي شهاب الدين بن عبادة .

ثم رحلنا عن مكة قاصدين الشام على الطريق والمنازل المتقدم ذكرها .

وفي الأمثال: «أنت من الحجاج لك منازل معروفة»، لكن لَمَّا وصلنا المدينة الشريفة زُرت بها مالك بن سنان غربيّ طريق الخروج من خان السلطان جوار بيت الأمير ، وهو والد أبي سعيد الخدري ، مصَّ دَمَ النبي ﷺ يوم أُحُدَ وازْدَرَدَةٌ فقال ﷺ: «من خالط دمه دمي لن تمسه النار» وفعل مثل ذلك عبد الله بن الزبير وهو غُلَامٌ مراهقٌ فقال له ﷺ مثل ما قال لمالك لكنه زاد لابن الزبير: «ويلٌ لك من الناس ، وويل للناس منك». ذكره الدار قطني وغيره .

ثم عرض لي مرض في الحال منعني من العود إلى زيارة النبي ﷺ بحيث أنني تحققت الموت هناك .

ثم حُمِلت من المدينة الشريفة وأنا في غمرات (١) واستمرت هكذا

(١) فراغ في الأصل .

إلى العُلا ، فَفُضْتُ ثم تراجعْتُ إلى العافية شيئاً فشيئاً ، وسألت: متى رأيتم هلال المحرم من سنة واحد وعشرين وتسع مئة؟ فقالوا: ليلة بتنا بآخر «ديسة البيرة» التي بعد «أبيار الجرف» بالقرب من المدينة الشريفة.

واستمرينا على منازلنا في الطلعة كما تقدم ، إلى أن بتنا بالقرب من أرض «المنبعة» .

ثم رحلنا بعد الفجر من الغد فمررنا على «مطلات اللبن» .

ثم مررنا بين قرية «خيرا» ومشتاتها ، ثم على قرية «اللبن» ثم عشنا بـ صفع سميّاز ورمداز شرقي بوسين التي هي شرقي «عمّان» أم البلقا .

ثم رحلنا بعد الفجر من الغد ، فمررنا على «البلاطة» ثم على مكسرات «الزرقاء» ثم على «الزرقاء» وعشنا عند «قصر شبيب» .

ثم رحلنا من الغد بعد الظهر ، فمررنا على أرض قرية «خوّ» بالخاء المعجمة وتشديد الواو شرقي الدّرب ، ثم على «وادي البطم» وفيه الفجري الذي على التّل ، ثم على «وادي الزعتر» وفيه عمودان أبيضان منصوبان ، ثم على «الخربة السوداء» ثم عشنا بأول أرض صنع الدباس .

ثم رحلنا أوائل ثلث الليل الأخير ، فمررنا على «المفرق» ثم «الفدين» ثم قرية «سما» شرقي الطريق من بعد ، ثم «الجيزة» و«الشوكرين» شرقي «الطيبة» وقرية «وركاء» غربيها . ثم وصلنا «الطيبة» فوجدنا بها بعد إقامة .

ثم مررنا على قرية «صيدى» ثم على قرية «الغيرة الكبرى» ثم عشنا على قرية «الغيرة الصغرى» .

ثم مررنا بعد نصف الليل الأخير ، فمررنا على قرية «نامر» ثم على قرية «دنيبة» ثم على قرية «شقرى» ثم على قرية «محجة» ثم على قرية «كتيبة» رأس الماء من الغرب ، ثم على قرية «تينا» ثم على قرية «القنية» غربيها .

ووجدت بخط الحافظ ابن ناصر الدين في مسودة «توضيح المشتبه» و«قنية بني السّالار»: قرية من قرى دمشق بين «الصنمين» و«كتيبة» من عمل «زرع» سمع بها أبو محمد القاسم ابن البرزالي ، على ابن الخلال في سنة خمس وثمانين وست مئة . انتهت الزيادة .

ثم مررنا على قرية «الخفي» شرقي «القنية» المذكورة بشام ، ثم على جسر

النهر ، ثم على قرية «الصنمين» ثم على قرية «قيطا» غربيها ، ثم على قرية «دي دي» شرقي الطريق ، ومقابلها قرية تسمى «الزمار» ثم على قرية «دير البخت» غربي ، ومقابلها قرية تسمى «موتبين» ثم على وعرة «غباغب» وقريتها شرقي الطريق ، ومقابلها غربي الطريق «الكتف السري» وهو جبل ممتد من غرب برأسه قبية قديمة ، ثم على «خان العدس» الخراب ، ثم على «خان ذي النون» العمار ، ثم عشنا على قرية «الكسوة» نحو نصف الليل .

ثم رحلنا آخر الليل ، ووصلنا منزلنا بصالحية دمشق وقت الظهر .
وأول من جاءني العم القاضي مجد الدين ابن طولون الحنفي ، وسلّم عليّ ، ثم جاءني كريم الدين ابن الأكرم ، وابن عمر الأمير عماد الدين إسماعيل ، ثم تتابع الأصحاب ، والحمد لله على السلامة .

تنبه: رأيت السيد الحسيني قال في «ذيله» في سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة: ومات فيها المقرئ المجيد شمس الدين محمد ابن شيخنا سعيد بن فلاح بن أبي الوحش النابلسي الأصل الدمشقي ، رئيس المؤذنين بالجامع الأموي ، توفي بدرب الحجاز ، وصار قبره منزلة للحجاج معروفة . انتهى . ولم أدر أين هي؟
فائدة: قد وضع المؤقتون جَدُولاً لعروض منازل الحجاز على الدرب الشامي .

فعرض الكسوة: لح به .

وعرض الصنمين: لح ح [٢٨ - ٨] .

وعرض زرع: لب نا [٣٢ - ٥١] .

وعرض سكاكه: ليزم [٣٩ - ٤٠] .

وعرض بصرى: لب لح [٣٢ - ٣٨] .

وعرض الثنية مصبة النبي ﷺ: للب نو [٣٢ - ٥٦] .

وعرض الخربة: لب هـ [٣٢ - ٥] .

وعرض الزرقا: لا مح [٣١ - ٤٨] .

وعرض سمناز: لا مه [٣١ - ٤٥] .

وعرض زيزا: لا كبا [٣١ - ٢٣] .

- وعرض وادي النسور: لايح [٣١ - ٦].
- وعرض القطراني: لا و[٣١ - ١٨].
- وعرض الحسا: ل بط [٣٠ - ١٩].
- وعرض معاذ: ل [٣٠ - ٠٠].
- وعرض عقبة الصوان: كما ل [٦١ - ٣٠].
- وعرض الفرش: كح ل [٢٨ - ٣٠].
- وعرض بئر الأخيضر: كح ي [٢٨ - ١٠].
- وعرض الصاني: كز يد [٢٧ - ١٤].
- وعرض رخم: كز ح [٢٧ - ٢٨].
- وعرض العلا: كو مح [٢٦ - ٤٨].
- وعرض حفاير الزمرد: كو كه [٢٦ - ٢٥].
- وعرض شعب النعام: كو يح [٢٦ - ١٨].
- وعرض هدية: كه ن [٢٥ - ٥٠].
- وعرض بركة المعظم: كد كو [٢٤ - ٢٦].
- وعرض وادي القرى: كه [٢٥ - ...].
- وعرض مدينة النبي ﷺ: كد م [٢٤ - ٤٠].
- وعرض بئر علي: كد ل [٢٤ - ٣٠].
- وعرض وادي بني سالم: كد كب [٢٤ - ٢٢].
- وعرض قبور الشهداء: كد يح [٢٤ - ١٨].
- وعرض بير ذات العلم: كد ل [٢٤ - ٣٠].
- وعرض القطار: كح نه [١٨ - ٥٥].
- وعرض آخر وادي الغار: كح مو [٢٨ - ٤٦].
- وعرض الصفرا: كح لز [٢٨ - ٣٧].
- وعرض بدر: كح كج [٢٣ - ٢٣].

- وعرض عالج: كج بط [٢٣ - ١٩].
- وعرض جبل صبح: كج يح [٢٣ - ١٨].
- وعرض طرف قاع البزوة: كج ن [٢٣ - ٤٤].
- وعرض قُدَيْد: كب لد [٢٢ - ٣٤].
- وعرض رابغ: كب لب [٢٢ - ٣٢].
- وعرض خليص: كب مو [٢٢ - ٤٦].
- وعرض المدرج: كب [٢٢ - ٤٠].
- وعرض عسفان: كانه [٢١ - ٥٥].
- وعرض المحاطب: كان [٢١ - ٥٠].
- وعرض أبو عروة: كامه [٢١ - ٤٥].
- وعرض المساجد: كام [٢١ - ٤٠].
- وعرض مكة المشرفة: كال [٢١ - ٣٠].
- وعرض منى: كاك [٢١ - ٢٠].
- وعرض عرفات: كاي د [٢١ - ١٤].

خاتمة: قد أفرد شيخنا المحدث جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن القاضي بدر الدين حسن بن المسند شهاب الدين أحمد بن الحافظ شمس الدين بن عبد الهادي المقدسي الأصل الصالحي الحنبلي ، لكل من منازل الحاج على الدرب الشامي جزءاً حديثاً أخرجه من رواياته:

أولها: جزء: «إزالة الضجر عن أنشأ السفر» وختمه بثلاثة أبيات من نظمه ، سمعته عليه بقراءة الشيخ بدر الدين حسن بن أحمد اللوياني بقبة يلغا خارج دمشق .

وثانيها: «مجلس أهل البنية بصحيح النية» وختمه بييتين من نظمه في مدح القبة المذكورة. سمعته عليه بقراءة الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أحمد الفندقومي ، بالقبة المنوه بها يوم الخميس ثامن عشر شوال سنة ثمان وتسعين وثمان مئة ، وهو متوجه إلى الحجاز ، ثم وعدته ورجعت .

ثالثاً: «مجلس الصنمين في الترغيب على محافظة الصلاة قرّة العين» وختمه بيتين لمجنون ليلي ، وأسمعه من لفظه بأرض «رأس الماء» قرب الصنمين يوم السبت عشرين شوال المذكور.

رابعها: مجلس «تعريف الإخوان بفضل حوران» وختمه بيتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه بمكان تجاه اليرموك من أرض حوران يوم السبت حادي عشرين شوال المذكور.

خامسها: مجلس المزيريب وسماه بـ «الإرشاد إلى أن الحج من الجهاد» وختمه بيتين من لفظه في مدح حوران ، وأسمعه من لفظه بأرض المزيريب ثاني عشرين شوال المذكور.

سادسها: مجلس «البيات بأرض أذرعات» ولم يخته بشيء من النظم ، وأسمعه من لفظه بأرض أذرعات يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال المذكور.

سابعها: مجلس الزرقا وسماه بـ «منصّة الظهور لترغيب الحج المبرور» وختمه بيتين من نظمه في الزرقاء ، وأسمعه من لفظه بها يوم الخميس خامس عشرين شوال المذكور.

ثامنها: مجلس: «إزالة الحصر بالجمع والقصر» وختمه بيتين من نظمه في معناه ، وأسمعه من لفظه بالمكان والتاريخ المذكور قبله.

تاسعها: مجلس «التمر المنقى في فضل البلقا» وختمه بقوله: وعمّان: بفتح العين وتشديد الميم ، مدينة قديمة بالشام من أرض البلقا ، فأما بالضم والتخفيف فهو صُقْع عند البحرين ، وله ذكر في الحديث ، وأسمعه من لفظه قبلي خان القطراني بأرض البلقا يوم السبت سابع عشرين شوال المذكور.

عاشرها: مجلس: «التحصين بموافقة الصالحين» وختمه بقصيدة لامية لابن عساكر ، وأسمعه من لفظه باللجون مرتين: يوم الأحد ثامن عشرين شوال المذكور ، وسمعه في المجلس الأخير صاحبنا الشيخ مبارك بن عبد الله القابوني.

حادي عشرها: مجلس الحسا وسماه بـ «الاعتدال بالمشي في الحج والجهاد» وختمه بيتين من نظمه في تضمين قول بلال:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة . . .

وأسمعه من لفظه بمعان يوم الخميس ثالث ذي القعدة من السنة المذكورة .
ثاني عشرها: مجلس معان وسماه بـ «الوفا في فضل المشي والحفا» وختمه
ببيتين من نظمه في مدح معان ، وأسمعه من لفظه بالمكان والتاريخ المذكور
قبله .

ثالث عشرها: مجلس «الحرس بإزالة الجرس» ولم يخته بشيء من النظم
وأسمعه من لفظه بالمكان والتاريخ المذكور أيضاً .

رابع عشرها: مجلس العقبة وسماه بـ «القينة العادلة في اشتراط الزاد
والراحلة» وختمه ببيتين من نظم الشيخ البرهان الباعوني ، وأسمعه من لفظه بقرية
عبادا من أرض العقبة ، يوم الأحد سادس ذي القعدة المذكور .

خامس عشرها: مجلس الزلاقات وسماه بـ «الرماء إلى فضل سقي الماء»
وختمه ببيتين من نظمه وأسمعه من لفظه بالزلاقات يوم الإثنين سابع ذي القعدة
المذكور .

سادس عشرها: مجلس «التنميق لمن ضل عن الطريق» وختمه بأبيات من
نظمه لا بأس بها ، وأسمعه من لفظه بأرض الطويلة آخر حالات عمار ، يوم
الإثنين سابع ذي القعدة المذكور .

سابع عشرها: مجلس ذات حجّ وسماه بـ «الانتعاش لفضل سقي العطاش»
وختمه ببيتين من نظمه في ذات حج وتابوتها ، وأسمعه من لفظه بذات حج يوم
الثلاثاء تاسع ذي القعدة المذكور ، ثم قرأه عليه بالمكان والتاريخ البرهان
إبراهيم بن محمد بن العلماي الحنفي .

ثامن عشرها: مجلس «السلوك إلى محل تبوك» وختمه ببيتين من نظمه فيها ،
وأسمعه من لفظه بها يوم الخميس عاشر ذي القعدة المذكور .

تاسع عشرها: مجلس الأخيضر وسماه بـ «التحقيق في فضل من مات في
الطريق» وختمه ببيتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه بالأخيضر يوم السبت ثاني
عشر ذي القعدة المذكور .

العشرون منها: مجلس «فرش الرزّ» وهو في فعل المعروف ، وختمه ببيتين
من نظم غيره ، وأسمعه من لفظه به يوم الإثنين رابع عشر ذي القعدة المذكور .

الحادي والعشرون: مجلس «الشهود لما ورد في ديار ثمود» وختمه بيتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه بأرض ثمود يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة المذكور.

الثاني والعشرون: مجلس العلا ، ويسمى بـ «الإعانة على أداء الأمانة» وختمه بيتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه بالعلا يوم الأربعاء سابع عشر ذي القعدة المذكور ، ثم قرأه عليه بالمكان يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة المذكور البرهان إبراهيم بن محمد بن العلاموي الحنفي .

الثالث والعشرون: مجلس الشعاب وُسْمِي بـ «إرشاد الإخوان إلى إطعام الجيعان» وختمه بيتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه بالشعاب يوم الأحد تاسع عشر ذي القعدة المذكور ، ثم أسمعه مرة ثانية بهديّة يوم الثلاثاء ثاني عشرين ذي القعدة المذكور.

الرابع والعشرون: مجلس «معايير الزمرد» وهو في قضاء حوايج الإخوان ، وختمه بثلاثة أبيات من نظمه ، وأسمعه من لفظه بأول حفاير الزمرد ، يوم الأحد تاسع عشر ذي القعدة المذكور.

الخامس والعشرون: مجلس هديّة ، وهو في ذكر خيبر ، وختمه بيتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه بهديّة يوم الثلاثاء ثاني عشرين ذي القعدة المذكور.

السادس والعشرون: مجلس الفحلتين وسماه بـ «الرقّة في أن الأجر على قدر المشقة» وختمه بيتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه يوم الخميس رابع وعشرين ذي القعدة المذكور بأرض الفحلتين .

السابع والعشرون: مجلس وادي القرى ، وهو في تعداد الخطأ في العبادات . وختمه بيتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه بوادي القرى يوم الخميس رابع وعشرين ذي القعدة المذكور .

الثامن والعشرون: مجلس المدينة ، وسماه بـ «الفرحة بالوصول إلى بلد الرسول» وختمه بيتين من نظمه ، وأبيات لغيره ، وأسمعه من لفظه بالروضة النبوية يوم الجمعة بعد الصلاة خامس عشري ذي القعدة المذكور .

التاسع والعشرون: «مجلس القبول بالدخول إلى مجلس الرسول» وختمه

بأبيات من نظمه ، وأسمعه من لفظه بمسجد الرسول ﷺ يوم الجمعة بعد الصلاة
خامس عشري ذي القعدة المذكور.

الثلاثون: مجلس هو «أن الأجرة عند الوصول إلى الروضة والحجرة» وختمه
بأبيات من نظمه بالروضة عند الحجرة ، يوم الجمعة بعد الصلاة خامس عشري
ذي القعدة المذكور.

الحادي والثلاثون: «مجلس البقيع وما فيه» وختمه ببيتين من نظمه ، وأسمعه
من لفظه بالبقيع ، تجاه ضريح عثمان بن عفان في مصطبة ضريح القاضي زين
الدين الحنبلي ، يوم الأحد سابع عشرين ذي القعدة المذكور.

الثاني والثلاثون: مجلس وسماه بـ «النبأ عن زيارة قبا» وأسمعه من لفظه
بالمدينة الشريفة ، يوم الأحد سابع عشرين ذي القعدة المذكور.

الثالث والثلاثون: مجلس «إرشادات العاني إلى ميقات الحج المكاني» وختمه
ببيتين من نظمه كالذي قبله ، وأسمعه من لفظه بالجحفة ، ليلة الإثنين ثامن
عشري ذي القعدة المذكور.

الرابع والثلاثون: مجلس «الأمان في ميقات الحج الزماني» وختمه ببيتين من
نظمه ، وأسمعه من لفظه ليلة الإثنين ثامن عشري ذي القعدة المذكور بالجحفة
المعروفة الآن بأبيار علي^(١).

الخامس والثلاثون: مجلس «الإحرام وما فيه» وختمه ببيتين من نظمه،
وأسمعه من لفظه بالجحفة أيضاً يوم الإثنين ثامن عشري ذي القعدة المذكور ،
ثم قرأه عليه بالمكان والتاريخ البرهان إبراهيم بن محمد بن العلماوي الحنفي .

السادس والثلاثون: «مجلس وادي بني سالم» ولم يخته بشيء من النظم ،
وأسمعه من لفظه بوادي بني سالم وهم سايرون يوم الإثنين ثامن عشري ذي
القعدة المذكور.

السابع والثلاثون: «مجلس وادي الصفراء» وختمه بأبيات من نظم ذي الرمة

(١) قال الأستاذ أحمد الجاسر: ليست الجحفة أبيار علي ، بل الحليفة هو أبيار علي ، أما
الجحفة فهي جنوب رابع .

يصف ظبية خرجت من الدَّهْناء ، وأسمعه من لفظه به يوم الثلاثاء تاسع عشرين ذي القعدة المذكور.

الثامن والثلاثون: «مجلس المساجد التي على طريق المدينة» ، وختمه بيتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه يوم الأربعاء سلخ ذي القعدة المذكور ببدر.

التاسع والثلاثون: مجلس «وفاء النَّذْر لبلوغ بدر» وختمه بأبيات من نظمه وأسمعه من لفظه بتاع البزوا عند بئر السلطان نهار الجمعة ثاني ذي الحجة من السنة المذكورة.

الأربعون؟

الحادي والأربعون: «مجلس رابع» وختمه بيتين من نظمه ، وأسمعه بلفظه برابع يوم الجمعة ثاني ذي الحجة المذكور.

الثاني والأربعون: «مجلس خُلَيْص» وبه قلعة عنتر ، وختمه بأبيات من نظمه ، وأسمعه من لفظه بخليص ، يوم الأحد رابع ذي الحجة المذكور.

الثالث والثلاثون: «مجلس فضل العشر» وختمه بيتين من نظمه وأسمعه من لفظه قرب بئر عُسْفَان. يوم الأحد رابع ذي الحجة المذكور.

الرابع والأربعون: «مجلس الخروج من مكة المشرفة» وختمه بأبيات أظنها من نظمه ، وأسمعه من لفظه بمكة عند باب العمرة ، يوم الجمعة بعد الصلاة سادس ذي الحجة المذكور.

الخامس والأربعون: «التقوية لفضل يوم التروية» وختمه بأبيات من لفظه ، وأسمعه من لفظه بعرفة يوم الجمعة يوم عرفة.

السادس والأربعون: «الصفة ليوم عرفة» وختمه بيتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه بعرفة يوم الجمعة يوم عرفة المذكور.

السابع والأربعون: «طرح السيئات على عرفات» وختمه بيتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه بعرفة يوم السبت تاسع أو عاشر ذي الحجة المذكور على خلاف فيه .

الثامن والأربعون: «مجلس بعض الأحباب عن ثواب حج السياب»؟ وفيه

بيتان من نقله وأشعر من لفظه بعرفة يوم الجمعة تاسع ذي الحجة المذكور على خلاف فيه .

التاسع والأربعون: مجلس «الهيام إلى بيت الله الحرام» وختمه بييتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه يوم الجمعة تاسع ذي الحجة المذكور على خلاف فيه .

الخمسون: مجلس «جزيل الثواب لمن ترك المعاصي في الذهاب والإياب» وختمه بأبيات من نظمه ، وأسمعه من لفظه بعرفة يوم الجمعة تاسع ذي الحجة المذكور على خلاف فيه .

الحادي والخمسون: مجلس «الابتهاج برد لفظ الحاج» وختمه بأبيات من نظمه ونظم غيره ، وأسمعه من لفظه يوم الجمعة تاسع ذي الحجة المذكور على خلاف فيه .

الثاني والخمسون: مجلس «الصفة ليلية المزلفة» وختمه بييتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه ليلة الأحد عاشر ذي الحجة المذكور بمزلفة بضوء القمر .

الثالث والخمسون: مجلس «الهنا بوادي منى» وختمه بييتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه يوم الإثنين ثاني عشر ذي الحجة المذكور بوادي منى .

الرابع والخمسون: مجلس «البناء على فضل أيام منى» وختمه بأبيات من نظمه ، ونظم غيره ، وأسمعه من لفظه يوم الإثنين ثاني عشر ذي الحجة المذكور بوادي منى .

الخامس والخمسون: «مجلس يوم النحر» وختمه بييتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه يوم الإثنين ثاني عشر ذي الحجة المذكور بوادي منى .

السادس والخمسون: «مجلس لاحقف على من بلغ مسجد الخيف» وختمه بييتين من نظمه ، وأسمعه من لفظه يوم الإثنين ثاني عشر ذي الحجة المذكور بمسجد الخيف .

السابع والخمسون: «مجلس الإنذار برمي الجمار» وختمه بأبيات من نظمه ، وأسمعه من لفظه يوم الإثنين ثاني عشر ذي الحجة المذكور بوادي منى .

وقد عزمت على انتقاء أربعين حديثاً من هذه المجالس المتّوه بها .

فائدة: لما حجَّ الإمام الفقيه الواعظ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن رشيد

-بفتح أوله- البغدادي نظم ذهابه وإيابه ، وَخَصَّ الْحَجَّ فِي عَشْرَةِ مَنَاسِكٍ ، وَخَتَمَهُ بِزِيَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَزِيَارَةِ قُبَا وَالْبَقِيعِ وَحِمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ بِالْوُدَاعِ ، ثُمَّ بِالْوَصِيَّةِ لِلْإِخْوَانِ بَعْدَ الرَّجُوعِ وَالْحَثِّ عَلَى الْحَجِّ ، وَقَالَ فِي آخِرِهَا :

وَحُجَّ بِمَالٍ مِنْ حِلَالِ عِرْفَتِهِ وَإِيَاكَ وَالْمَالَ الْحَرَامَ وَإِيَاهُ
فَمَنْ كَانَ بِالْمَالِ الْمَحْرَمِ حَجَّهُ فَعَنْ حَجَّهِ وَاللَّهُ مَا كَانَ أَغْنَاهُ
إِذَا هُوَ لَبِيَ اللَّهَ كَانَ جَوَابَهُ مِنْ اللَّهِ : لَا لِيَنَّكَ حَجٌّ رَدَدْنَا
كَذَاكَ رَأَيْنَا فِي الصَّحَاحِ مَسْطَرًّا وَمَا جَاءَ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ سَطْرَنَا
فَحُجَّ بِهَذَا الشَّرْطِ وَاللَّهُ فَاسْتَحْزَرَ فِي الْحَجِّ أَجْرًا وَافِرًا مَا حَصَرْنَا

وقال أبو شامة في سنة إحدى وعشرين وست مئة: ونظمت في طريقي في هذه السنة قصيدة ميمية ذكرت فيها المنازل من دمشق إلى عرفات ، ووصفت فيها ما أمكن من أماكن الزيارات أولها:

مازلت أشتاق حج البيت والحرم وأن أزور رسول الله ذي الكرم
وهي طويلة ، ومنها عند فتح باب الكعبة للحجيج:

وَأَسْرَعُوا نَحْوَ ذَلِكَ الْبَيْتِ حَاسِرَةً رُؤُوسُهُمْ بَيْنَ مَطْوَافٍ وَمَسْتَلِمٍ
وَالْبَابَ قَدْ أَطْلَقُوهُ لِلْحَجِيجِ فَلَمْ يَرَوْا بِهِ مَانِعًا طَوَّلَ مَقَامَهُمْ
ثم حججت في السنة بعدها ، ونظمت بها قصيدة همزية وصفت فيها أمر الحج والمنازل التبوكية أولها:

يا حبذا وطن الحبيب النائي

تنبية: أول من افتتح طريق الحج الدمشقي المعظم عيسى بن العادل سنة إحدى عشرة وست مئة ، سار من الكرك على الهجن حادي عشر ذي القعدة ، ومعه بعض خواصه ، وجدد البرك والمصانع ، وتلقاه سالم أمير المدينة وخدمه ، وقدم له الخيل والهدايا ، ثم سار إلى مكة ونزل بالأبطح ، ثم بات بمنى ليلة عرفة ، وصلى بها الصلوات الخمس ، وكانت الوقعة يوم الجمعة ، وحج على مذهب أبي حنيفة قارناً ، وما غطى رأسه ولا كتفه ثلاثة عشر يوماً حتى انقشط كتفه وقبح ، مع أنه لا يُستحب كشفه إلا حالة الاضطباع ، في طواف القدوم ، والتقاء أمير مكة قتادة وقصر في خدمته ، ثم عاد سالماً ، ثم جهز لأمير مكة جيشاً فانهزم إلى البرية.

تنبية: قرأ المحدث أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد البعلبكي على الأصيل

شرف الدين أبي محمد بن محمد بن المنجى التنوخي من كتاب «اقتضاء العلم العمل» للحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي: باب التغليظ من ترك العمل بالعلم يوم الأحد خامس عشري شوال سنة إحدى عشرة وسبع مئة بثنية الكرك بمنزل الحاج منها المعروفة باللجون ، ثم قرأ عليه من الكتاب المذكور (باب في ذم طلب العلم للمباهاة به) ، والباب الذي يليه يوم الخميس تاسع عشر شوال منها بمنزلة الحاج بمعان ، ثم قرأ عليه من الكتاب المذكور (باب ما قيل في حفظ حروفه) ، والباب الذي يليه يوم الجمعة سابع ذي القعدة منها بمنزلة الحاج بتبوك ، ثم قرأ عليه من الكتاب المذكور (باب كراهية طلب الحديث للمفاخرة) يوم الثلاثاء ثامن عشر ذي القعدة منها بمنزل الحاج بهديّة ، ثم قرأ عليه من الكتاب المذكور (باب من كره تعلم النحو لما يكسب من الخيلاء والزهو) إلى باب (أن الأعمال هي الزاد) ، والأخيرة يوم الخميس رابع ذي الحجة منها بمنزل بخليص ، ثم قرأ عليه من الكتاب المذكور (باب اغتنام الشبيبة والصحة والفراغ) إلى آخر الكتاب يوم السبت ثالث عشر ذي الحجة منها بمنزل الحاج قبالة مسجد الخيف من منى وهي من الحرم الشريف ، وكانت القراءة في هذا الكتاب في ثمان مجالس ، ولم يؤرخ الأولين ، والله أعلم .



محمل الحج: وصفه عامة وبدمشق خاصة وتاريخه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أول قافلة للحج في الإسلام كان خروجها من المدينة المنورة في ذي القعدة من السنة التاسعة للهجرة وقد ضمت حوالي ٣٠٠ حاج ، وكانت تحت إمرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم تعاقبت وفود الحجاج لأداء فريضة الحج ، ونشأت مراكز جديدة إلى جانب المدينة المنورة في دمشق وفي الكوفة وفي بغداد وفي الفسطاط، ثم بالقاهرة وتونس وفاس وتعز وصنعاء لتجمع الحجاج وانطلاق قوافلهم التي أخذت تغادر سنوياً تلك المراكز في طريقها لأداء فريضة الحج .

* * *

المحمل

أشار اللغويون إلى كلمتي محمّل ومحمّل ، وذكروا لها عدة معان؛ فالمحمّل بفتح الميم الأولى وكسر الثانية: هو شقان على البعير ، يحمل فيهما العدليان .
والمحمّل بكسر الميم الأولى وفتح الثانية: هو الزنبيل الذي يحمل فيه العنب إلى الجرين (وهو المكان الذي يجفف فيه)^(١) .

وأشار ابن سيده إلى كلمتي الحمولة والحمول ومفردها حمل ، وذكر أن

(١) لسان العرب ١١/١٧٨؛ وشرح القاموس ٧/٢٨٩ .

الهودج كان فيها نساء أولاً ، كما فسرها بأنها مراكب مثل المحفة إلا أن الهودج يُقَبَّب والمحفة لا تُقَبَّب^(١).

أما بالنسبة لقافلة الحج فإن اصطلاح المَحْمَل أو المَحْمَل - والناس استعملوا الأخيرة - يعني ذلك الهيكل الخشبي المخروطي الشكل الذي يحلى بأجمل حلية وأبهج زينة ، ويحمل على جمل ، ويصاحب قافلة الحج من دمشق ومن القاهرة ، وفي كثير من الأحيان من بغداد ومن تعز إلى مكة ومشاعر الحج والمدينة المنورة ويعود منها في عودتها إلى ديارها .

وقد وصف القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ - وهو أقدم وصف وصل إلينا - هذا النوع من المحامل في كلمات قليلة فذكر^(٢) «بأن المحمل: «يحمل على جمل وهو في هيئة لطيفة ، وعليه غشاء من حرير أطلس أصفر ، وبأعلاه قبة من فضة مطلية» .

كما أورد العياشي^(٣) في «رحلته» - وقد شهد احتفال المحمل في شوال سنة ١٠٧٢ هـ فقال: «إنه قبة من خشب رائعة الصنع بنمط متقن وشبابيك ملونة بأنواع الأصباغ وعليه كسوة من رفيع الديداج المموه بالذهب ، ورقبة الجمل (الذي يحمل المحمل) ورأسه وسائر أعضائه محلاة بجواهر منظمة أبلغ نظم ، وعليه ريش محلى بمثل ذلك ، والجمل في أعظم ما يكون من السمن وعظم الجثة وحسن الخلقة مخضب جلده كله بالحناء» .

ووصف المحمل المستشرق الإنكليزي إدوارد لين الذي شهد عودة قافلة الحج المصري إلى القاهرة في شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٠ هـ وصفاً مسهباً فذكر: «بأنه هيكل مربع من الخشب قمته هرمية وعليه غطاء من الديداج الأسود المطرز بالنقوش الموشاة بالذهب ، وللغطاء أهداب من الحرير في أطرافه السفلى ، وفي أعلى المحمل خمس كرات من الفضة في أعلى كل منها هلال ، وفي الجزء الأعلى من الغطاء الذي يشغل مقدمة المحمل طرزت بالذهب صورة تمثل الكعبة المشرفة ، وفي أعلاها شعار السلطان العثماني . أما الجزء الداخلي

(١) المخصص ٧ / ١٤٦ .

(٢) صبح الأعشى ٤ / ٥٧ .

(٣) الرحلة العياشية ١ / ١٥٠ .

من المحمل فلا يحتوي إلا نسختين من القرآن الكريم حفظت كل منها داخل صندوق مطلي بالفضة ، ويحمل المحمل على جمل يمتاز بقوته وأصالته وضخامة حجمه ، وقد خصص لهذا الغرض ، ولا يستخدم لأي غرض آخر ما بقي على قيد الحياة» .

وتشير بعض النظريات إلى أن شجرة الدر قامت بأداء فريضة الحج أثناء الفترة التي تربعت فيها على عرش مصر ، وقد سافرت في هودج حُمل على جمل ، ومن ثمَّ أمرت بهودجها بعد حج ذلك العام أن يرسل سنوياً مع قافلة الحج المصري دون أن يشغله راكب ؛ ليكون شعاراً للقافلة ونائباً عن الملكة في موسم الحج . وقد حذا حذو شجرة الدر من أتى بعدها من السلاطين والحكام . وتبدو هذه أنها لا تعدو أسطورة إذ يمكن دحضها ببساطة وهي أن شجرة الدر حكمت مصر فقط ثلاثة أشهر .

وتقول نظرية أخرى بأن الذي بدأ إرسال المحمل هي شجرة الدر نفسها ، أرسلته ليوضع على قبر السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وهذه النظرية لا تعتمد على أي مصدر قديم .

وقد وردت كلمة «المحمل» عند أبي شامة المقدسي^(١) عندما حج سنة ٦٢٢ هـ وأشار إلى حج راكباً المحمل السلطاني المعظمي نسبة إلى الملك المعظم . وكذلك عند ابن كثير^(٢) في حوادث سنة ٦٢٤ هـ الذي أشار إلى أن الملك الأشرف الأيوبي قد جهز أخاه شهاب الدين غازي للحج في هذا العام في محمل عظيم . في ضوء ذلك يمكننا القول : إن عادة إرسال المحمل مع قافلة الحج وقد كانت في العهد الأيوبي وعهد المماليك .

وقد ذكر المقرئبي^(٣) : أن أول من أدار المحمل الملك الظاهر بيبرس البندقاري ، وذكر^(٤) أيضاً في حوادث سنة ٦٦٤ هـ إرسال المحمل مع قافلة الحج لأول مرة .

(١) الذيل على الروضتين ص ١٤٤ .

(٢) البداية والنهاية ١٣ / ١١٧ .

(٣) الذهب المسبوك ص ٤ .

(٤) السلوك ١ / ٢ / ٥٤٤ .

وجميع المظاهر التي تحيط بالمحمل في تكوينه أو الدور الذي لعبه تدل على أن المحمل مر بمراحل حتى وصل إلى الوصف الذي قدمنا وصفه^(١).

* * *

(١) للتوسع عن المحمل أصله ونشأته ووصفه انظر مقال الدكتور عبد الله عقيل الظاهري المنشور في مجلة كلية الآداب بالرياض المجلد الثاني السنة الثانية ص ٣٢٣.

وصف لمسيرة المحمل من دمشق، وزيت الحرم النبوي والسنجق في أوائل القرن الرابع عشر الهجري

قال الشيخ عز الدين عربي كاتب^(١) الصيادي:

ومن سوق الدرويشية يكون مرور موكب محمل الحاج الشريف أثناء ذهابه وإيابه ، ولهذا الموكب يومَ ذهابه ويومَ إياه يومٌ تجتمع له عموم أهل المدينة (دمشق) وعموم أهل القرى والضياع قاصدين من خلاف البلدان ، ويحصل بهذا السوق وبالأسواق المتصلة به وهي سوق سنان باشا وسوق النحاتين وسوق الغنم وسوق محلة السويقة ، وسوق باب مصلى ، وسوق الميدان (التحتاني) ، وسوق الميدان الفوقاني ، وسوق السلطاني ، إلى باب مصر المسمى بواحة الله .

فجميع هذه الأسواق واقعة بطريق واحد متصلة بعضها ببعض ، ومسافة ذلك من ابتداء سوق الدرويشية المذكور إلى باب مصر المذكور على مشي موكب المحمل المذكور مقدار ساعة زمانية .

وفي يوم هذا الموكب تتعطل عموم أشغال المدينة ما عدا باعة المأكولات فقط . ولهذا الموكب الشريف قبل ذهابه مواسم وأيام تقصد لأجل الفرج والتبرك وهو:

حيث أن زيت الحرم النبوي يرسل من دمشق في كل عام ، وهذا الزيت مرتب على قرية كفرسوسية الواقعة غربي دمشق للقبلة مسافة ساعة ، ويجلب الزيت المذكور ضمن ظروف موضوعة داخل صناديق خشب محمولة على ظهور الإبل بصورة مزخرفة ، تمشي بمقدمتهم المدافع والطبول وأهل تلك القرية بالألعاب والترويد، ومنهم من يلعب بالسيف ومنهم من يلعب بالعصا ، فيدخلون من باب السريجة غربي ثُمن القنوات تجاه قبر الصحابي زيد بن ثابت رضي الله

(١) في كتابه الروضة البهية ص ٣٠ المطبوع بدمشق سنة ١٣٣٠ هـ .

تعالى عنه ، ويمرون بها من سوق باب الجابية إلى سوق الدرويشية إلى تجاه دائرة المشيرية ودائرة الحكومة السنية ، حتى يأتوا بها إلى مركز الكلار المخصوص بأدوات وعوائد الحاج الشريف^(١) . .

وكذلك شمع الحج النبوي الشريف يرسل من الشام في كل عام يسكب في دار أحد الذوات قصد التبرك والخدمة لصاحبه ﷺ . وثاني يوم من الزيت يأتون به على أعناق الرجال ملفوف بالशल الكشمير الفاخر ، والموسيقى السلطانية تصدح بألحانها بمقدمته ، وخلفها جميع المؤذنين وجمع غفير من الأشراف والذوات والعامه ، ومواقد البخور تضرم بين يديه وعن يمينه وشماله يمرون به حتى يصل لمركز الكلار المذكور .

وفي اليوم الثالث يخرجون السنجق الشريف من القلعة بعد صلاة الظهر فيظهرون به من باب القلعة الشرقي المعروف بباب البوابجية (العصرونية اليوم) وبمقدمته الموسيقى السلطانية ، وجميع المؤذنين مع عموم سناجق العسكرية الموجودين بدمشق ، ويمشي تجاهه نقيب السادة الأشراف وبعض من السادات المشار إليهم ، فيمرون به من سوق البوابجية إلى سوق السروجية حتى يأتوا به جامع السنجدار ، فيضعونه تجاه القبر إلى أداء صلاة العصر بالجامع المذكور ، فيظهرون به بهذا الموكب الشريف حتى يوصلونه إلى دائرة المشيرية ، فيستقبله المشير لأسفل الدرج ؛ أي السلم ، ويأخذه ويضعه بقصره .

وفي ثاني يوم يصير خروج الموكب الشريف المار ذكره أي موكب المحمل الشريف يقدمه أمراء الملكية والعسكرية وأصحاب الرتب من الأهالي ، وجميعهم بالألبسة الرسمية المطرزة بالذهب ، ويحيط بالمحمل بعض أهل الطرق يذكرون الله تعالى ، والموسيقى السلطانية خلفه تصدح بألحانها ، وخلفها العساكر السوارية والبيادة ، وعسكر البوليس ، والجنדרمة ثم العكيل ، وهم المأمورون بالمحافظة إلى مكة المكرمة .

فيخرج هذا الموكب من باب دائرة المشيرية الواقع في مبتدأ سوق الدرويشية المذكور ، ولم يزل الهوينا الهوينا إلى باب مصر ومنها إلى محطة القدم الشريف تجاه جامع العسالي ، وكل من هذه المواكب المتقدمة له موسم مخصوص

(١) المقصود جامع زيد بن ثابت ، فالإمام زيد توفي بالمدينة المنورة .

يقصده الناس ، ويحصل اجتماعات ، وترى السرور بدمشق حاصلاً بكل أنحائها ، فكيف لا وجميعه يتعلق بقصد النسك لبيت الله الحرام ، وطلب المغفرة منه تعالى وزيارة حضرة السيد الكامل عليه السلام . وناهيك ما لمدينة دمشق بهذا الشرف لكونها باب بيت الله الحرام ، وباب حضرة سيد المرسلين عليه السلام وأكثر أهلها لهم الخدمة بهذا الطريق الشريف ، فهنيئاً لهم على هذا الإنعام الجزيل ، وعلى ما خصهم المولى تعالى من الفضيلة .

* * *

| المسافة بالكيلو متر المجموع | مسافة المحطات بالكيلو متر عدد | أسماء المواقع |
|-----------------------------|-------------------------------|-----------------------------|
| ٠ | ٠ | دمشق المحمية ^(١) |
| ٢١ | ٢١ | الكسوة |
| ٣١ | ١٠ | دير علي |
| ٥٠ | ١٩ | مسمية |
| ٦٣ | ١٣ | جباب |
| ٧٠ | ٧ | خبب |
| ٧٩ | ٩ | مجحة |
| ٩٢ | ١٣ | إزرع |
| ١٠٧ | ١٥ | خربة الغزالة |
| ١٢٤ | ١٧ | درعاه . . الطعامية |
| ١٣٦ | ١٢ | نصيب |
| ١٦٢ | ٢٦ | مفرق |
| ١٨٦ | ٢٤ | خربة السمرة |
| ٢٠٣ | ١٧ | زرقاء |
| ٢٢٣ | ٢٠ | عمان |
| ٢٣٥ | ١٥ | القصر |
| ٢٥٠ | ١٥ | ليين |
| ٢٦١ | ١١ | جيزه |
| ٢٨٠ | ١٩ | الضبعة |
| ٢٩٦ | ١٦ | خان الزبيب |
| ٣١٠ | ١٤ | سواقة |
| ٣٢٧ | ١٧ | قطرانة |
| ٣٤٨ | ٢١ | منزل |
| ٣٦٨ | ٢٠ | خربة القريقرة |
| ٣٧٩ | ١١ | الحسا |

(١) من كتاب الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية لمحمد عز الدين عربي كاتبي الصيادي ص ١٠٥ - ١٠٦ طبع الكتاب بدمشق سنة ١٣٣٠ هـ.

| | | |
|--------------------|----|-----|
| جروف الدراويش | ١٩ | ٣٩٨ |
| عنزه | ١٦ | ٤٢٤ |
| وادي الجردون | ١٧ | ٤٤١ |
| معان | ١٩ | ٤٦٠ |
| غدير الحج | ١٥ | ٤٧٥ |
| بئر شديد | ١٣ | ٤٨٨ |
| العقبة | ٢٧ | ٥١٥ |
| بطن الغول | ٦ | ٥٢١ |
| وادي الرتم | ١٠ | ٥٣١ |
| تل الشجام | ١٦ | ٥٤٧ |
| رملة | ٩ | ٥٥٦ |
| مدورة | ١٧ | ٥٧٣ |
| حارات عمار | ٢٢ | ٥٩٥ |
| ذات حج | ١٤ | ٦٠٩ |
| بئر هرماس | ٢٤ | ٦٣٣ |
| حزم | ٢٢ | ٦٥٥ |
| محطب | ٢٣ | ٦٧٨ |
| تبوك | ١٥ | ٦٩٣ |
| وادي القتيل | ٢٨ | ٧٢١ |
| دار الحج | ٢٤ | ٧٤٥ |
| مستاخة | ١١ | ٧٥٦ |
| الأخضر | ٥ | ٧٦١ |
| خميس | ٢٢ | ٧٨٣ |
| دلسعيد | ٢٣ | ٨٠٦ |
| المعظم | ٢٣ | ٨٢٩ |
| خشم صنعا | ٢٥ | ٨٥٤ |
| دار الحمرة | ٢٧ | ٨٨١ |
| المطالع مفارش الرز | ٢٤ | ٩٠٥ |
| أبو طاقة | ١٤ | ٩١٩ |

| | | |
|-----------------|----|------|
| المزاحم | ١٢ | ٩٣١ |
| ميرك الناقة | ١٠ | ٩٤١ |
| مدائن صالح | ١٤ | ٩٥٥ |
| العلا | ٢٥ | ٩٨٠ |
| بدائع بئر الغنم | ١٩ | ٩٩٩ |
| مشهد | ١٤ | ١٠١٣ |
| سهل المطر | ٢٢ | ١٠٣٥ |
| زمرد | ١٥ | ١٠٥٠ |
| بئر الجديد | ٢٣ | ١٠٧٣ |
| طويره | ١٨ | ١٠٩١ |
| مدرج | ٢٥ | ١١١٦ |
| هدبة | ١٩ | ١١٣٥ |
| جداعة | ٢١ | ١١٥٦ |
| أبو نعيم | ١٧ | ١١٧٣ |
| إصطبل عتتر | ١٦ | ١١٨٩ |
| بويرة | ٢٠ | ١٢٠٩ |
| بيار ناصيف | ٢٠ | ١٢٢٩ |
| بواط | ١٨ | ١٢٤٧ |
| حفيرة | ٢٠ | ١٢٦٧ |
| المحيط | ٢١ | ١٢٨٨ |
| المدينة المنورة | ١٥ | ١٣٠٣ |

* * *

وقال وصفي زكريا في وصف الاحتفالات بيوم الزيت والشمع والمحمل^(١):

ومن ذكريات كفرسوسية القديمة إلى ما قبل نصف قرن^(٢): أن زيت الحرم النبوي في المدينة المنورة كان يشتري من معاصرها ، ففي اليوم الثاني من شوال من كل عام ويسمونه (يوم الزيت) كان يجري الاحتفال بنقل هذا الزيت من كفرسوسية ضمن ظروف موضوعة داخل صناديق خشب محمولة على ظهر الإبل بصورة مزخرفة ، تمشي في مقدمتها المدافع والطبول وأهل كفرسوسية بألعاب السيف والترس أو العصا ، فيدخلون بها من باب السريجة ويمرون من سوق باب الجابية إلى دائرة المشيرية (مكان القصر العدلي الحالي بشارع النصر) وسراي الحكومة (مكان بناية العابد الحالية) حتى يأتوا بها إلى الكيلار في البحصة وهو المستودع الخاص بأدوات محمل الحج ولوازمه ، وفي اليوم الثاني (أي الثالث من شوال) (يوم الشمع) يحتفل بنقل الشمع من الدار التي سكب فيه ووزنه ثلاثة قناطر ، كما يحمل ماء الورد من محصول قرية المزة ووزنه نحو قنطار ، والملبس ووزنه عشرة أرتال ، وهم يحملون الشمع على أعناق الرجال ملفوفاً بالشال الكشمير الفاخر، كما يحمل ماء الورد والملبس اللذان يهديان إلى الحرمين وموسيقى الجيش تصدح في مقدمة الحاملين ووراءها المؤذنون وجمع غفير من الأعيان والعامّة ، ومواقد البخور تضرم بين يديه وحوله ، يمرون حتى يصل إلى مركز الكيلار المذكور.

وفي اليوم الثالث (أي الرابع من شوال) ويسمونه يوم السنجق، يخرجون السنجق الشريف من القلعة التي كان يحفظ بها ، وينقلونه باحتفال مهيب إلى دائرة المشيرية فيستقبله المشير ويأخذه ويضعه في قصره.

وفي اليوم الرابع (أي الخامس من شوال) ويسمونه (يوم المحمل) يخرج موكب الحج الشريف مع المحمل والسنجق باحتفال عظيم من باب دائرة المشيرية ، وأمامه أرباب الوظائف الملكية والعسكرية وأصحاب الرتب من الأهلين ، وجميعهم بالألبسة الرسمية المطرزة بالذهب.

ويوضع المحمل على جمل قوي عالٍ ، ويحيط به بعض أهل الطرق

(١) الريف السوري ٢ / ١٦٦ .

(٢) طبع كتاب الريف السوري سنة ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .

(الصوفية) يهللون ويكبرون والموسيقى العسكرية تصدح بألحانها ، وخلفها ألوف من الجنود المشاة والفرسان والدرك وهجانة العكيل النجديين المكلفين بمواكبة الركب. كل ذلك وسط مئات الألوف من المتفرجين من أهل دمشق وغيرهم الوافدين من بلاد الشام كلها ، فيخرج هذا الموكب العظيم ويسير الهوينا الهوينا إلى حين الميدان فباب مصر ومنها إلى قرية القدم التي فيها قبة جامع العسالي ، ويوضع المحمل في هذه القبة نحو عشرة أيام ريثما تنتهي أسباب السفر ، ثم يؤخذ الركب إلى الحجاز.



الصنائع والحسبة في القرن العاشر الهجري

للإمام جمال الدين يوسف بن عبد الهادي
المعروف بابن المبرد الصالحي الدمشقي

كتاب الصنائع

اعلم أن الصنائع كثيرة ، وقد اختلف العلماء في أفضلها : فقيل : الحرثة والزراعة ؛ لأن الإنسان يتوكل على الله ضرورة في ذلك ، وبها قوام الناس والمعاش ، وحاجة الناس إليها داعية الصغير والكبير حتى الدواب والبهائم والطيور والذَّرَّ وغير ذلك ، وآلتها الأرض والبقر وآلة الحرث .

وقيل بأفضلها العطر : فإن عمر رضي الله عنه قال : لو اتجرت لم أتجر إلا في العطر ، إن فاتني ريحه لم يفتني ريحه .

وقيل : الأفضل مطلقاً التجارة مطلقاً ، والتجارة تارة تكون في البلد ، وآلتها المال فقط ، وتارة تكون في غير البلد ، وتحتاج إلى المال والدواب .

وقيل : أفضل التجارة في اللبن : ورد في حديث : لو اتجر أهل الجنة - ولا يتجرون - ما اتجروا إلا في اللبن . وذلك لأن الذي يتجر في اللبن لا يزال يحب الخصب للمسلمين .

ومما تُكره التجارة فيه : الأقوات من القمح والشعير ونحو ذلك . وورد في حديث : من احتكر لم يمت حتى يضربه الله بالجذام . ولأن المتجر في ذلك يحب الغلاء .

[ومما تكره فيه]: التجارة في الحرير والذهب والفضة ، وما فيه ضرر على المسلمين .

وتحرم التجارة في محرم ، كالخمر والخنزير والسلاح للأعداء .

وأما الطباعة : فهي صنعة تحتوي على حسن وقيح .

وأما الحياكة : فكذلك تحتوي على حسن ، وهو عموم النفع ، وأما القبيح فلما فيها من الدناءة والوضع . وقد قيل : إنها من فروض الكفايات .

وأما النجارة: فهي صنعة حسنة ، حتى قيل: إن زكريا كان نجاراً ، وقد صنع نوح سفينته .

وأما الخياطة: فهي صنعة حسنة ، وقد دعت لهم (أي للخياطين) مريم .
وأما السمانه والغامية^(١): فهي حرفة تحتوي على حسن وقبيح ، وكذلك بيع الفاكهة والقلوب ، وغير ذلك .

وأنحس الطوائف: التراسون ، والكيالون . وبعدهم: الجمالون ، والجمالون ، والصارفة ، والبزادة^(٢) ، والحجامون ، والمقلشون^(٣) ، والدباغون ، والرملية^(٤) ، والمشعوذون . وكره أحمد رحمه الله كسب بياعة الدقيق ، وكسب الماشطة .

ويحرم أجر النائحة والمغنية .

ومن الصنائع ما هو مبارك وهو: الخبازة ، والعطارة ، والفراية ، والنجارة ، والزراعة والخياطة .

ومنها ما هو قليل البركة وصاحبه مُخَوَّمٌ في الغالب: كالحريرية ، والقباقيب ، والذهبية ، والبارودية ، والحمالين ، والحطابين ، والسقاين ، فتأمل ذلك لما فيها من المعاصي والمفاسد الخفية ، والله أعلم .

كتاب الحسبة

يحتاج المحتسب إلى معرفة الأحكام من الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والبيع ، والشراء ، والنكاح ، والطلاق . والمباح من الأطعمة والمحرم ، والمباح من الأشربة والمحرم . وما يكفر به الإنسان وما به يسلم ، والذبايح وشروطها ، والشهادات والإقرار . وجميع هذه الأحكام ليأخذ الناس بها .

(١) الغامية: بائعو الحنطة والحمص وسائر الحبوب .

(٢) البزادة: جمع بازدار: حامل الباز وبائعه .

(٣) المقلشون: جمع مقلش: الذي يقلش الجلود أي يقشرها .

(٤) الرملية: هم يضربون بالرمل ويدعون معرفة الغيب .

ويحتاج إلى معرفة الصنائع وجيدها من رديئها وغشها ، وخالصها من مغشوشها .
ثم اعلم أن أرياب الصنائع أنواع كثيرة :
الأول : الحَاكَة : وهم مئة صنف .
الأول : حَاكَة القطن وهم عشرة أصناف .
الأول : حَاكَة البطّايين : وغشهم بقلة الصفاقة ، وشد ذلك بالعجين .
الثاني : حَاكَة القطن الرفيع .
الثالث : حَاكَة العمائم .
الرابع : حَاكَة الأُرُر .
الخامس : حَاكَة الفوط^(١) والشدود^(٢) .
السادس : حَاكَة المناشف .
السابع : حَاكَة اللحف .
الثامن : حَاكَة التفاصيل^(٣) العقربانية^(٤) .
التاسع : حَاكَة الثياب الكركية .
العاشر : حَاكَة المختم من القطن .
وهؤلاء الحسبة عليهم في الجودة .
الثاني : حَاكَة الكتان : وهم أكثر من عشرين صنفاً .
الثالث : حَاكَة الحرير : وهم أكثر من أربعين صنفاً .
وهؤلاء الحسبة عليهم في الجودة ، وعدم الغش ، وعدم الخلوة بالصبيان
وغلاق الأبواب عليهم معهم .
الرابع : حَاكَة الصوف : وهم أكثر من عشرين صنفاً .

(١) الفوطة : عامية ؛ لباس كالمترز .

(٢) الشدود : نسيج من حرير يتخذ للعمائم والمناطق .

(٣) التفاصيل : جمع تفصيلة : قطعة قماش تكفي لثوب واحد ، بمعنى الصاية .

(٤) العقربانية : نسبة إلى عقربا من قرى غوطة دمشق .

والحسبة عليهم في الجودة.

الخامس: حاكة البسط: وهم أكثر من عشرة أصناف.

السادس: حاكة الخيش والعدول: وهم أكثر من خمسة أصناف.

الثاني: التجار: وهم عدة أصناف: من يبيع الثياب التي لم تستعمل من كل

ما تقدم.

والحسبة عليهم في التقوى في المعاملة ، والتقوى في البيع والشراء.

ومن يبيع الخلقان المخيطة والمستعملة. والحسبة عليهم كذلك.

الثالث: الجوهريّة ، وهم أصناف.

والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش ، وإدخال شيء في شيء.

الرابع: العطارون: وهم من يبيع العطر والأبازير.

والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش ، وإدخال شيء في شيء.

الخامس: الطباخون:

والحسبة عليهم في النظافة ، وغسل الأواني وتغطيتها ، وعدم الغش

بالرديء ، والرفع في البيع.

السادس: الفامية:

والحسبة عليهم في النظافة ، وغسل الأواني ، والتقوى في البيع والشراء.

السابع: الفاكهانية:

والحسبة عليهم في التقوى في البيع والشراء ، وعدم إدخال الرديء في

الجيد.

الثامن: الثقليّة:

والحسبة عليهم في تغطية الأوعية ، وعدم خلط الرديء بالجيد ، والتقوى في

البيع والشراء.

التاسع: الدقاقون: وهم الطحانون.

والحسبة عليهم في الجودة وعدم الغش.

العاشر: الخبازون:

والحسبة عليهم في التقوى ، وعدم الغش بالردىء .

الحادي عشر: الجبوية: وهم من يبيع الحبوب كلها، والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش بالردىء .

الثاني عشر: التراسون:

والحسبة عليهم في ترك الشيطنة في الليل ، والرفق بالدواب ، وترك الكلام الفاحش .

الثالث عشر: الجمالون:

والحسبة عليهم في الرفق بالدواب ، والتقوى في أنفسهم .

الرابع عشر: الحمّالون:

والحسبة عليهم في التقوى وعدم الخيانة .

الخامس عشر: النجارون:

والحسبة عليهم في التقوى والنصح في الصناعة .

السادس عشر: المعمارية:

والحسبة عليهم في التقوى والنصح .

السابع عشر: الحدادون: وهم أصناف كثيرة .

والحسبة عليهم في التقوى والنصح .

الثامن عشر: الأبتارون:

والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش .

التاسع عشر: الفواخرة:

والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش .

العشرون: الوراقون:

والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش .

الحادي والعشرون: البيطرة:

والحسبة عليهم في التقوى وحسن الصنعة .

الثاني والعشرون : السقطية :

والحسبة عليهم في التقوى وحسن المعاملة .

الثالث والعشرون : الفُقاعية :

والحسبة عليهم في التقوى ، وتغطية الأواني ، والنظافة وعدم الغش ، وكثرة الماء .

الرابع والعشرون : الشرابية :

والحسبة عليهم في النظافة ، وتغطية الأواني ، وعدم الغش والتنقيص .

الخامس والعشرون : الأطباء :

والحسبة عليهم في التقوى والنصح والمعرفة ، والتواضع والتأني .

السادس والعشرون : الجرائحية :

والحسبة عليهم في التقوى والمعرفة والنصح وجودة الأدوية .

السابع والعشرون : العشابة .

والحسبة عليهم في المعرفة ، وعدم خلط شيء بشيء ، والغش .

الثامن والعشرون : الشماعون :

والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش .

التاسع والعشرون : بياعة الحرير والخيطان :

والحسبة عليهم في المعاملة وعدم الغش بالردئي .

الثلاثون : الحلوانية :

والحسبة عليهم في النظافة ، وجودة الطبخ ، وتغطية الأواني وعدم الغش .

الحادي والثلاثون : بياعة الصابون وعماله :

والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش وخلط الجيد بالردئي .

الثاني والثلاثون : السماسرة :

والحسبة عليهم في الصدق والأمانة وعدم الشيطنة .

- الثالث والثلاثون: الخضرية:
والحسبة عليهم في النظافة وحسن المعاملة.
- الرابع والثلاثون: اللحامون:
والحسبة عليهم في النظافة وحسن المعاملة.
- الخامس والثلاثون: الشرايحية.
والحسبة عليهم في النظافة والإصلاح وعدم السرقة.
- السادس والثلاثون: القزازون:
والحسبة عليهم في الجودة وعدم الغش.
- السابع والثلاثون: القباقيبة:
والحسبة عليهم في الجودة والإصلاح وعدم الغش.
- الثامن والثلاثون: الدهانون وأصحاب المدهون كله:
والحسبة عليهم في الجودة وعدم الغش والإصلاح.
- التاسع والثلاثون: بياعة اللبن والجبن ونحو ذلك وعماله:
والحسبة عليهم في الجودة وعدم الغش والنظافة والتغطية.
- الأربعون: ضرابة اللبن:
والحسبة عليهم في الجودة وحسن المعاملة.
- الحادي والأربعون: بياعة الطيور:
والحسبة عليهم في التقوى والصدق.
- الثاني والأربعون: الشهود:
والحسبة عليهم في الرفق ، وقلة الطمع والديانة.
- الثالث والأربعون: المؤذنون:
والحسبة عليهم في معرفة الأوقات والأمانة والمباشرة.
- الرابع والأربعون: النحاسون:
والحسبة عليهم في التقوى وحسن الصنعة وعدم الغش.

الخامس والأربعون: المناخلية:

والحسبة عليهم في الجودة ، وعدم وضع الخشن .

السادس والأربعون: الغرابيلية:

والحسبة عليهم في الجودة .

السابع والأربعون: أصحاب الخانات:

والحسبة عليهم في الأمانة واجتناب المناكر والمحرمات .

الثامن والأربعون: حمّامية:

والحسبة عليهم في الأمانة والنظافة والسخونة والرفق بالناس .

التاسع والأربعون: الرّبّالون:

والحسبة عليهم في عدم مضايقة الناس والتقدير عليهم .

الخمسون: السكرية:

والحسبة عليهم في المعاملة وعدم الغش .

الحادي والخمسون: بياعة السلاح وعماله:

والحسبة عليهم في الجودة والإتقان ، وعدم الغش .

الثاني والخمسون: الذهبية:

والحسبة عليهم في التقوى وعدم الغش وعدم الخلوة بالصبيان .

الثالث والخمسون: الخياطون:

والحسبة عليهم في الإتقان وحسن العمل .

الرابع والخمسون: الطواقية:

والحسبة عليهم في الجودة وحسن العمل .

الخامس والخمسون: الزرابيلية:

والحسبة عليهم في الإتقان وحسن العمل .

- السادس والخمسون: السراميجية^(١):
والحسبة عليهم في الإتقان وحسن العمل .
السابع والخمسون: الأخفافية:
والحسبة عليهم في الجودة وحسن العمل .
الثامن والخمسون: الحياكون:
والحسبة عليهم في الجودة وحسن العمل .
التاسع والخمسون: الدقاقون:
والحسبة عليهم في المعرفة والجودة وعدم التقطيع .
الستون: الكتبة:
والحسبة عليهم في الجودة وعدم التعفيش .

* * *

(١) انظر الهامش في الأصل .

كتاب الطباخة

لجمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الصالحي

الدمشقي المتوفى سنة ٩١٠ هـ

نشرها حبيب الزيات في الخزانة الشرقية ٢ / ١١٢

كتاب الطباخة

- ١ - اطرية: يعمل من العجين ، ويرمى على غرف ، وطبيخه مثل طبيخ الرشتى ، يوضع على المرق ويغلى عليه .
 - ٢ - بورانية: طعام من الباذنجان ، وهو أن يقطع الباذنجان ، ويسلق اللحم في ماء يسير ، ثم يوضع عليه الباذنجان حتى ينضج ، ويوضع عليه الجوز والبقدونس المدقوق .
 - ٣ - تفاحية^(١): يوضع اللحم ويقشر التفاح ويقطع ويلقى عليه ، ثم يوضع عليه الحلو .
 - ٤ - ثريد: يسلق اللحم ويسقى بمرقه الخبز ، ويوضع عليه اللبن والثوم والنعنع ، ويوضع اللحم عليه . وكذلك ثريد غير اللحم .
 - ٥ - جوذابة: يؤخذ الرز ، يوضع عليه الحليب وقليل الماء والزعفران ، ويوضع في تنور الشواء .
 - ٦ - جزرية: يسلق اللحم بقليل من الماء ، ويوضع عليه الجزر وفصوص الثوم والبصل المقشر ، ثم يوضع عليه الثوم المدقوق .
 - ومنهم من يضع عليه أيضاً الاسفاناخ ، ومنهم من لا يضع الاسفاناخ ويضع الجوز والبقدونس .
 - ٧ - حصرمية: تطبخ على عدة طرق:
- أحدها: أن تطبخ بماء الحصرم فقط ، فيسلق اللحم ويوضع عليه السلق

(١) ذكرت في هامش المخطوطة بخط مغاير لخط المؤلف ، وسيورد المؤلف: «السفرجلية» وهي تطبخ بطريقة مشابهة .

والقرع ، ويوضع ماء الحصرم ، وتخضر بالجوز والبقدونس .

الثاني : أن يطبخ باللبن ، وهي كذلك إلا أنها تزداد اللبن .

الثالث : أن يسلق اللحم ، ثم تولى الحوائج الموضوعه فيها ، ثم يكسر اللبن بالمرق وتصبه عليه ، ثم تضع عليها ماء الحصرم ، ثم تخضرها بالجوز والبقدونس .

٨ - حلوى : أنواعها كثيرة جداً . منها :

الحلاوات المتخذة من الناطف ، وهو أن تضع الدبس أو العسل ، أو السكر أو الرب ، ثم تضعه على نار هادية ، وتحركه إلى أن يأخذ القوام ، ثم تخفق بياض البيض وتضعه عليها ، ثم تحركه حتى يقوى ويصير ناطفاً .

فإذا أردت بعد ذلك الحلاوة اللوزية : وضعت اللوز المحمص وعلقته (أي عقدته) . والجوزية : الجوز . والفستقية : الفستق . والبندقية : البندق . والقضامية : القضامة . والسسمية : السمسّم المحمص . والطحينية : الطحين المحمص بالدهن .

وأما الحلاوة العجمية : فيحمّص الطحين بالشيرج حتى يرخي ويغلى الدبس أو غيره ويوضع عليه .

وأما الخبيص : فيؤخذ الدبس ويوضع على النار حتى تظهر رغوته وتنزع ، ويكسر النشا بالماء ويوضع عليه .

٩ - خوخية : يسلق اللحم والخوخ ، وتولى الحوائج من السلق والبادنجان والجزر والقرع ونحو ذلك من حوائجها ، ويهرس الخوخ بمرق اللحم ويصفى ويوضع على الحوائج . ثم تحلى ، ثم تخضر بالجوز والبقدونس .

١٠ - رمانية : يسلق اللحم بيسير ماء ، وتوضع الحوائج ، ثم يعتصر الرمان أو يدق حب الرمان ويستخرج ماؤه ، ويوضع على ذلك ، ثم يحلى ثم يخضر .

١١ - رشتا : يسلق اللحم ثم يوضع عليه الرشتا ، وبعضهم يضع فيها البصل ، وبعضهم يضع الحمص ، وبعضهم يضع الكسفر الخضرا المخروطة على وجهها .

١٢ - رز مقلقل : يسلق اللحم ، ثم يوضع الرز بقدر ما تقف فيه الملعقة ،

- ثم يغلى عليه حتى تشمط الرزة ، ثم ينزل ويصفى الماء ، ويوضع عليه الدهن ويكمر . وبعضهم يضع فيه الحمص ، وبعضهم يضع التمر .
- ١٣ - رز حلو: يوضع الرز بعد غليان الماء ، حتى يشمط ويقارب الاستواء ، ثم يوضع عليه الحلو حتى يعقد ويذّر عليه الزنجبيل وينزل .
- ١٤ - رز برشتا: تقلى في الفرن وتوضع مع الرز .
- ١٥ - ريباسية: يسلق اللحم والريباس ويصفى بعد مرسه ، ويوضع على الحوائج ، ويكسر اللبن بمرق اللحم ويوضع عليه .
- ١٦ - زيرياج: يعمل بالحلب رمان والدبس والإجاص والعناب والمشمش واللوز .
- ١٧ - سماقية: يسلق اللحم وتوضع فيه الحوائج من الكرفس والجزر واللفت والحمص والسلق ، وينقع السماق ويمرس ويصفى ويوضع على ذلك .
ومنهم من يطبخها بكروش البقر ، ومنهم من يطبخها بكروش الغنم المحشية .
- ١٨ - سفرجلية: طبخها طبخ التفاحية ، وهو أن تأخذ التفاح أو السفرجل تقشره وتسلق اللحم في ماء يسير وتضعه عليه حتى يقارب النضج ، ثم تضع عليه الحلو واللوز والخشخاش والدهن .
- ١٩ - سخاتير: هو أن تأخذ كروش الغنم فتسملطها وتنظفها وتخيطنها أكياساً ، وتصلّ الرز وتضع معه اللحم السمين والحمص والكسفرة والزعفران والفلفل ، وتضعه فيها وتخيطن عليه وتطبخه ، فإذا استوى تسقي له الثريد باللبن والننع والثوم وتضع عليه .
- ٢٠ - شعيرية وشوربا: تُعمل منها مفلفل وشوربا . أما المفلفل فهو كالرز ، والشوربا تسلق اللحم وتضع عليه . شوربا هو أن يسلق اللحم ويوضع عليه الرز ، وبعضهم يضع الحمص ، وبعضهم يضع الكسفرة الخضرا .
- ٢١ - ششبرك: هو أن يؤخذ اللحم المخروط^(١) ، فيحشى في عجين ممدود

(١) أي اللحم المفروم .

كالتطماج مقطع ويطبخ بالماء حتى يستوي ، ثم ينزل ويوضع عليه اللبن والثوم
والنعنع .

٢٢ - شوى : يؤخذ اللحم فيدهن بالزعفران ، ويوضع في التنور ويسد عليه .

٢٣ - صلما : يؤخذ العجين فيفتل ويقطع قطعاً صغاراً ، ويرصع بالأصبع
كالدرهم ، ويطبخ بالماء حتى يستوي ، ثم يوضع عليه اللبن ، ويقلى له اللحم
بالبصل ، ويوضع عليه النعنع والثوم .

٢٤ - ططماج : يمد العجين ويقطع ويطبخ في الماء حتى يستوي ويوضع عليه
اللبن والنعنع والثوم والسمن واللحم المقلو .

٢٥ - عصيدة : يؤخذ الماء فيغلى ويوضع فيه الرز حتى يشمط ، ثم يذر فيه
الطحين ويُعصد حتى يستوي ، ثم ينزل ويوضع عليه الدهن واللبس ، وإن دُرَّت
عليه القلوبات كان أجود .

٢٦ - عصفورية : يسلق اللحم ، ثم يوضع الرز والقرع عليه ، ويصغ
بالزعفران .

٢٧ - عجورية : يسلق اللحم في سير من الماء ، ويوضع عليه العجور حتى
ينضج ، ثم يخضر بالجوز والبقدونس والثوم .

٢٨ - عدس : أحسن طبخه أن يُجرش ثم يطبخ ويوضع فيه السلق
والقلقاس ، ثم يوضع عليه بعد الاستواء السماق والبصل المقلو والبقدونس
والخل والزيت .

٢٩ - غريبة : يسلق اللحم ، ثم ترفع أكثر مرقة ، وتضع على الباقي الحوائج
من البصل والقرع والبادنجان ، وتكسر اللبن فيما رفعته وتضعه عليه ، ثم تخضر
بالجوز والبقدونس .

٣٠ - فولية : يسلق اللحم ويقلى الفول بالدهن ، ثم تضع عليه اللحم
والمرق ، ثم تضع عليه الصعتر المدقوق ، والكسفرة والثوم المدقوقين ، ثم
تفقس عليه البيض ، وتذر عليه الفلفل والكسفرة اليابسة ويغطى حتى يجمد
وينزل .

٣١ - قرعية : يسلق اللحم ، ثم يقلى القرع والبصل بالكسفرة المدقوقة ، ثم
تضع عليه المرق .

- ٣٢ - قنبريسية: تكسر القلبريس بالماء وتضعه ثم يغلي ، ويوضع فيه اللحم والرز ، وبعضهم يسلق اللحم ، ثم تكسر القلبريس وتضعه عليه ، ثم تضع الرز .
- ٣٣ - قلقاسية: تطبخ على وجهين: الأول: أن يسلق اللحم ويقلى القلقاس ، ثم تضع المرق عليه ويصنع بالزرعران . والثاني أن يسلق اللحم ويقلى القلقاس ويوضع عليه ، ويوضع عليه بعد النضج الاسفاناخ .
- ٣٤ - قمحية: يؤخذ القمح ، فيغلى في قليل ماء حتى ينشي ، ثم يزداد الماء ثم يلقى فيه اللحم .
- ٣٥ - كماء: يسلق اللحم ، ثم يقلى وتضع عليه المرق وتفقس عليه البيض .
- ٣٦ - كشك: تسلق اللحم وتضع الحوائج من السلق والكرنب واللفت والحمص ، ثم يذر عليه الكشك ، ويوضع القنبيط والبادنجان ، فإذا استوى تضع عليه القرط والبقدونس والسذاب المخروط والنعنع والثوم المدقوقين .
- ٣٧ - كشك: يسلق اللحم ثم يوضع عليه القمح ويكمر ، والفرق بينها وبين القمحية كثرة القمح في هذه .
- ٣٨ - لبنية: يسلق اللحم ، ثم يوضع الكراث ويكسر اللبن ويوضع الرز ، وبعضهم يضع اللبن أولاً ثم يضع اللحم ثم الرز .
- ٣٩ - ليمونية: يسلق اللحم ويوضع السلق ، ثم يوضع عليه الرز واللبن ، وعند الاستواء يوضع عليه ماء الليمون ، وبعضهم يضع فيها الحمص ، ويوضع عليها بعد الاستواء القرط والبقدونس المخروطين .
- ٤٠ - ملوخية: يسلق اللحم وتخرط الملوخية وتوضع عليه ، وتضع فيها الكسفرة المدقوقة مع الثوم والبصل المشوي ، وبعضهم يحمضها بالحصرم والليمون .
- ٤١ - نارنجية: يسلق اللحم ويلقى فيه البصل والقلقاس ، ثم يكسر اللبن ويوضع عليه ماء النارج .
- ٤٢ - نرجسية: يسلق اللحم ويوضع عليه الرز والجزر والاسفاناخ .
- ٤٣ - هليونية: يسلق اللحم والهليون ، ثم يوضع كل منهما على الآخر ،

ويفقس عليه البيض وينذر عليه الفلفل والكسفرة اليابسة ، ويوضع على النار حتى يستوي .

٤٤ - هريسة: يسلق اللحم ، ثم يوضع عليه القمح حتى ينشي ، ثم ينسل اللحم من العظام ويهرس ، وبعضهم يزيدها الحليب .

* * *

معجم المآكل الدمشقية
أعدّه الأستاذ فخري البارودي

ونشر بذيّل كتاب الطبخ لمحمد بن الحسن الكاتب البغدادي
وطبع بدار الكتاب الجديد بيروت سنة ١٩٦٤م

(أبو شلهوب):

يُصنع من البرغل والبادنجان والكرنب والكزبرة والثوم. يقطع الباذنجان بقشره قطعاً صغيرة ، ويقلى بالسمن ، وبعدها يقلى الكرنب بعد تقطيعه أيضاً قطعاً صغيرة ، ويضاف إليه كمية من الماء حتى ينضج ، وبعدها يضاف إلى الباذنجان والكرنب كمية البرغل ، وتترك حتى تنضج جيداً. وبعدها يضاف إليها.

(أرنبية):

وتعرف عند أهل الشام (بالفاختية)، وتصنع من اللبن والطحينة وعصير الرمان والحمص والقرنييط ، ويضاف إلى ذلك أقراص الكبة ، ويكون حجم القرص صغيراً.

طريقة الصنع: يغلى اللبن وبعدها يضاف إليه الطحينة مضافاً إليها عصير الرمان ، وتوضع على النار من جديد ، وبعدها يضاف إليها مقدار من الحمص المسلوق مقطعاً قطعاً صغيرة... وبعدها يُضاف إليها أقراص الكبة ، ونبقيها على النار مدة لتنضج أقراص الكبة ، وبعدها ترفع من على النار ، وتسكب في الأواني ، ويوضع على وجه الأواني القرنييط المسلوق للتزيين، والكزبرة مضافاً إليها الثوم بعد قليهما بالسمن وتترك على النار مدة قليلة وترفع من على النار.

(أرز مقلقل):

يصنع من الرز والسمن ويضاف أحياناً الشعيرية، تغلى الشعيرية بالسمن ، يُضاف إليها كمية من الماء تعادل كمية الرز المراد طبخه ، وتترك حتى تغلي ، وبعدها يُسَقَط الرز ، ويترك حتى ينضج ، وبعدها تغلى كمية من السمن الكافي لمقدار الرز المطبوخ وتوضع على وجه الرز.

(أرز بطاسة):

يصنع بنفس طريقة الرز السابقة ، ولكن يوضع في أسفل الوعاء مقدار من اللحم المفروم مع الصنوبر والقلويات ، وعند نضج الرز يقلب في وعاء ، ويظهر على الوجه اللحم والصنوبر والقلويات. ويصنع الرز في هذه الحالة بدون إضافة الشعيرية.

(أنكنار = أرضي شوكي):

ويصنع في عدة طرق . . . يصنع بالزيت ويصنع باللحم والسمن .
طريقة صنعه بالزيت: يقشر الأنكنار ويسلق بالماء ، وبعد نضجه يصفى من الماء ويضاف إليه مقدار من عصير الليمون .

- نقلي كمية من البصل المقشر بشكل طويل بالزيت وبعدها نضيف الأنكنار إليه ونتركه قليلاً على النار الهادئة ، وبعدها نرفعه عن النار .

طريقة صنعه بالسمن واللحم: نسلق اللحم حتى ينضج ، وبعدها نسلق الأنكنار قليلاً ونصفيه من الماء ، ونقلبه بقليل من السمن ، ثم نضيف إليه اللحم مع المرققة ، ونتركه على النار قليلاً ثم نرفعه .

وبطريقة أخرى: يصفى الأنكنار بعد سلقه وقلبه بالسمن بالصينية ، ويوضع فوق كل واحد منه مقدار من اللحم المفروم المقلي ، ويضاف إليه قليل من الماء ويترك على النار حتى ينضج .

(بيض مقلي):

طريقة الصنع: يقلى البيض إما بالسمن أو بالزيت . ويقلى إما كل واحدة على حدة أو يخفق بشكل جيد وبعدها يقلى . ويضاف إليه أحياناً اللحم المفروم ، أو البقدوس المفروم ، أو البصل المفروم .

(بيض غنم):

طريقة الصنع: يصنع بعدة طرق: إما مسلوقاً ويضاف إليه الملح والفلفل ، ويؤكل ، أو يقطع ويقلى بالسمن ، أو يشوى على النار .

(بامية):

طريقة الصنع: يزال القسم الأعلى من قرن البامية وبعدها تقلى قليلاً ويضاف إليها قليل من الماء مع عصير البندورة ، وتترك مدة على النار ، ويضاف إليها بعد ذلك عصير الرمان ، ثم يضاف اللحم المفروم مع الكزبرة والثوم بعد قليهما .

وبطريقة أخرى: يقلى مع البامية مقدار من البصل المفروم بشكل طويل ، وبعدها يضاف إليها كمية من الماء مع عصير البندورة ، وبعدها عصير الرمان ،

وأحياناً يوضع معها بعض قطع البندورة وتُضاف إليها قطع اللحم المسلوقة ، وتترك على النار حتى تنضج .

(بزاليا) :

طريقة الصنع : بعد تقشير قرون البازلاء تقلى بالسمن ، ويضاف إليها كمية لازمة من الماء مع مقدار من الملح ، ومقدار كافٍ من عصير البندورة ، وتترك على النار حتى تنضج البازلاء ، وتضاف إليها كمية من اللحم المسلوقة ، أو يضاف إليها بعد نضجها اللحم المفروم المقلي .

(بوراني سبانخ) :

طريقة الصنع : يقطع السبانخ قطعاً متوسطة بعد تنظيفها ، ثم تقلى بالسمن ويضاف إليها كمية من مرقة اللحم المسلوقة مع قليل من الماء واللحم المسلوقة ، وتترك على النار مدة كافية للنضج ، ويضاف إليها الكزبرة والثوم .

(براصيا) :

طريقة الصنع : تقطع البراصيا بعد غسلها ، ثم تقلى بالسمن ، ويضاف إليها اللحم المسلوقة مع المرقة ، وتترك مدة على النار ، ثم يضاف إليها الكزبرة والثوم وتتركها مدة حتى تنضج .

(بوراني بقلّة - بوراني خبيزة) :

يُصنَعُ بنفس طريقة البوراني بسبانخ .

(برغل محمص) :

طريقة الصنع : يحمص البرغل قليلاً على النار ، وبعد ذلك نضع قليلاً من السمن في وعاء ، ونضعه على النار ، ثم نضع فوقه - أي السمن - كمية من الماء تناسب البرغل المراد طبخه ، ثم نتركه حتى يغلي ، وبعدها نضيف إليه البرغل وتتركه حتى ينضج .

(باذنجان محشي) :

طريقة الصنع : نفرغ قلب الباذنجان بمحفار خاص ، ثم نغسله ، وبعدها نحشيه بالرز المخلوطة باللحم المفروم والبهارات والعصفر ، وبعد حشيه نضع فوقه قليلاً من الماء مع عصير البندورة أو التمر هندي ، وتتركه على النار حتى

ينضج ، ثم نضيف إليه الثوم المدقوق وقليلاً من النعنع اليابس الناعم .

(باذنجان مقلي):

يقلى الباذنجان بالزيت بعد تقطيعه بالشكل المراد ويُقلَى إما مقشراً أو بدون تقشير .

(بندورة محشية):

طريقة الصنع: تؤخذ كمية من البندورة الخضراء قليلاً ، ثم يُفْرغ قلبها وتحشى بالأرز واللحم المفروم والبهارات ، أو تحشى باللحم المفروم والصنوبر فقط ، ثم تقلى بالسمن قليلاً ، وتُصَفّ في صينية ، ويوضع فوقها عصير البندورة ، مع مقدار من الملح ، وتترك على النار حتى تنضج .

(بطاطا):

تصنع بطرق عديدة إما مسلوقة أو مقلية بالزيت أو بالسمن ، أو محشية باللحم المفروم والصنوبر ، ويضاف إليها عصير البندورة وتطبخ بالطريقة الآتية: تقطع قطعاً صغيرة وتقلَى بالسمن ، ويُضاف إليها عصير البندورة مع قليل من الماء ، وتترك حتى تنضج . وبعدها يضاف إليها الكزبرة والثوم واللحم المفروم المقلي .

وبطريقة أخرى: تقطع البطاطا قطعاً صغيرة ، ويقطع البصل قطعاً طويلة ، ويقلى بالزيت ، ثم يضاف إليه عصير البندورة مع مقدار من حبّات الثوم ، ويترك على النار مدة كافية حتى ينضج .

(بباغنوج):

يشوى الباذنجان على النار ، ثم يقشر ويدق ، ثم يضاف إليه الثوم المدقوق وعصير الرمان وقليل من الثوم والبقدونس المفروم مع الملح ، ثم يسكب في أوعية ويزين بحبّات الرمان والبقدونس المفروم ، ويوضع فوقه مقدار من الزيت النيء .

(توينات):

طريقة الصنع: يصنع بعدة طرق وعدة أنواع: قوامه الأصلي الطحين مضافاً إليه الماء والسمن ، يعجن جيداً مع إضافة قليل من الخميرة ، ويترك مدة

بسيطة ، ثم يرق قطعاً ويُحشى إما بالجوز أو الفستق المدقوق مضافاً إليه مقدار كافٍ من السكر ، ثم يقلى بالسمن أو يشوى بالفرن ونسبة المقادير: كل (٢١) ك طحين يضاف إليه الك سمنه).

(توتية):

طريقة الصنع: نضع عصير التوت مع كمية من الماء ، وكمية من السكر الكافية ، يغلى على النار ويوضع فوقه قليل من النشاء المذوب ويترك على النار حتى ينضج .

(تولي):

طريقة الصنع: تقطع كمية من الخضر كالباذنجان والكوسا والبطاطا والفاصولياء والبندورة والبصل ، وتقلي مجتمعة بالسمن ، ويضاف بعدها الماء وعصير البندورة ، ثم يضاف إليها حب الثوم ثم تترك على النار حتى تنضج .

(تسقية بزيت):

طريقة الصنع: يقطع الخبز قطعاً صغيرة ، ثم يبل بمرق الحمص الساخن ، ثم يضاف إليه الحامض المخفوق بالزيت الطيب ، ويوضع فوقه الحمص المسلوق بمقدار كافٍ ، ويرش فوقه قليل من الكمون الناعم .

(تسقية بيدوة):

يقطع الخبز قطعاً صغيرة: يبل بمرق الحمص الساخن ، ثم يوضع فوقه طبقة من الحمص المسلوق ، ثم توضع طبقة أخرى من الحمص المدقوق المخلوط مع الطحينة والحمص ، ثم طبقة أخرى من الحمص المسلوق ، ثم يوضع فوقه كمية لازمة من السمن الساخن ، ويجلل بالبقدونس المفروم .

(جبين):

طريقة الصنع: يسخن الحليب قليلاً ثم تضاف إليه قطعة مناسبة من المنفحة ، ويغطى حتى يتخثر ، وبعد أن يبرد يعاد على النار قليلاً ، ثم يحرك ، ويوضع في وعاء للتصفية ، ويصبح بعدها كتلة واحدة ، ويقطع قطعاً متناسبة .

(حراق بأصبغه):

يسلق العدس على النار حتى ينضج ، ثم تُضاف إليه كمية من الحمص

اللازم: رمان أو تمر هندي ، ثم يضاف إليه العجين المقطع ، ويترك حتى ينضج ، ويضاف إليه الكزبرة مع الثوم الناعم المقلي بالزيت ، وبعد السكب يزين بالخبز المقلي والبصل المقلي بالزيت .

(حمص بالزيت):

بعد سلق الحمص يصفى من الماء ، ويدق ، ويضاف إليه الحمص والطحينة ، والثوم والملح ، ثم يخفق جيداً ويوضع بالصحن ويوضع فوقه مقدار من الزيت .

(حمص بالسمنة):

يصنع بنفس الطريقة السابقة ، ويوضع فوقه السمن بدلاً من الزيت ، وأحياناً يضاف إلى السمن اللحم المفروم المقلي مع الصنوبر .

(خبيزة بالزيت):

طريقة الصنع: تقطع الخبيزة بعد غسلها ، ثم تغلى بالزيت مع قليل من البصل المقطع ، يضاف إليها الكزبرة والثوم الناعم ، ثم تترك لتنضج على النار ، وبعد سكبها يزين الصحن بالبصل المقلي وحب الرمان .

(خضر مشكلة):

تقطع كمية من الخضر كالباذنجان والكوسا والبطاطا مع كمية من البصل ، ثم تغلى جميعاً بالزيت ، ويضاف إليها حب الثوم وقليل من الماء والملح الكافي ويترك حتى ينضج .

(خلاط بشوندر):

يسلق الشوندر ثم يبشر ناعماً ، ويضاف إليه اللبن والطحينة ، ويقدم بعد أن يخلط مع قليل من الثوم الناعم .

(لحمة بخل):

يسلق اللحم بعد تقطيعه ، ويضاف إليه البصل المقطع ، وبعد الاستواء يضاف إليه كمية من الخل ، ثم يقدم بشكل فته .

(خشاف مشكل):

طريقة الصنع: تقطع الفاكهة الموجودة قطعاً متناسبة ، ثم تسلق بالماء حتى

تنضج ، ثم يُضاف إليها كمية من السكر الكافي مع قليل من النشا المذوب ،
وتترك على النار مدة كافية للنضج الكامل. ويضاف إليها أحياناً بعض الصباغ
بلون الزهر للترزين.

(خشاف زيب):

بعد سلق الزيب بالماء نتبع نفس الطريقة السابقة.

(خشاف تفاح):

بعد سلق التفاح نتبع الطريقة السابقة.

(خشاف برتقال):

يختلف عن صنع الخشاف السابق. بعد تقطيع لب البرتقال قطعاً متناسبة
يضاف إليه الماء البارد المحلى بالسكر ، ثم يضاف إليه قليل من ماء الزهر ،
ويبرد بالثلج ، ثم يؤكل هكذا. وأحياناً يمكن إضافة بعض الفاكهة مع البرتقال.

(داوود باشا):

طريقة الصنع: تدق اللحم ناعمة ، ثم تصنع بشكل كرات صغيرة ، وتقلي
بالسمن ، ثم يضاف إليها الماء مع عصير البندورة مع البصل الناعم المقلي ،
ويترك على النار مدة كافية للنضج ، ويؤكل بعد ذلك مع الأرز المطبوخ.

(دبابة):

تصنع بطريقة الكبة... بعد دق البرغل مع قطعة من الدهن والبصل ،
ويضاف إليها الجوز المدقوق والبقدونس المفروم مع قليل من البهارات.

(ديك هندي): (ديك رومي):

١ - يصنعان بنفس الطريقة... بعد التنظيف يسلق على النار ، ثم يقلى
بالسمن ، ويضاف إليه قليل من الماء مع البهارات (القرفة والفلفل و قطعة من
البصل) ، ويترك على نار هادئة ، حتى ينضج تماماً.

٢ - وبطريقة أخرى: يُقلى أولاً ثم يوضع فوقه الماء ، ويترك حتى النضج ،
ويقدم مع الرز المطبوخ.

٣ - يسلق اللحم نصف سلقة ، ثم يشوى بالفرن ويؤكل مع الحمص والزيت
والثوم.

(دجاج محمر):

يصنع بنفس الطريقة السابقة: يسلق ثم يقلى بالسمن. . ويقدم مع الخضرة المطبوخة أو الأرز.

(رشتاية):

تصنع بشكلين: الشكل الأول رشتاية بعدس: بعد تقطيع العجين يسلق العدس ، ثم يضاف إليه العجين المقطع ويترك حتى ينضج وتضاف إليه الكزبرة والثوم.

- الرشتاية بحليب:

بعد غلي الحليب يضاف إليه السكر اللازم ، ويقطع العجين ويترك حتى ينضج .

(روستو):

يحضر اللحم بشكل خاص (شكل أسطواني) ، ويربط بخيط ، ويضاف إليه القرمز والثوم ، ثم تقلى كمية اللحم بالسمن ويضاف إليه كمية من الماء ، وتترك على النار حتى تنضج ، ويقدم بجانب الخضرة المطبوخة .

(زهرة مقلية):

تقطع الزهرة إلى قطع صغيرة ، ثم تقلى بالزيت ، وبطريقة أخرى تسلق نصف استواء ثم تقلى بالزيت .

(زنكل):

نوع من أنواع الحلويات، يعجن الطحين جيداً بالماء ويضاف إليه قليل من الخميرة ، ثم يترك مدة كافية حتى يتخمر ، ثم يقلى بالزيت بعد تقطيع العجين إلى قطع بأشكال مختلفة منها الدوائر والكرات والحلقات ، ثم يضاف إليه القطر .

(زغاليل):

تتبع في طبخه طبخ الدجاج ، بعد التنظيف يطبخ بإحدى الطرق السابقة إما مسلوفاً أو مقلياً أو مشوياً .

(ستي ازبقي):

تصنع بنفس طريقة الرشتاية بعدس ، وما هي إلا اسم ثانٍ للرشتاية بعدس .

(سنبوسك):

يصنع من العجين وذلك بعد تقطيعه بعرض (٤سم) ، ثم يحشى بالفستق ، ويجعل بشكل مثلث ، ثم يقلى بالسمن ويوضع بعد ذلك بالقطر .

(سفرجلية):

يقشر السفرجل ويسلق ثم يصفى . ويوضع فوقه القطر ، ويوضع فوق ذلك طبقة من القشطة .

(سمك مقلي):

بعد تنظيف السمك جيداً يملح ويرشّ بقليل من الطحين ، ثم يقلى بالزيت ويقدم .

(سمك مشوي):

بعد التنظيف يوضع بالوعاء بعد دهنه بطبقة من الزيت ، ويلف بقطعة ورق كافية لتغطيته جيداً ، ثم يدخل إلى الفرن حتى ينضج .

(سمك بطرطور):

بعد قلي السمك يفصل اللحم عن العظم ، ويوضع فوقه طبقة من الطحينة الممزوجة بالحمض (حمض الليمون) مع الثوم المدقوق والبقدونس المفروم .

(سلطات):

للسلطات أنواع كثيرة منها ما يصنع بالبندورة بعد تقطيعها، ويضاف إليها البصل والبقدونس المفروم ، ثم قليل من الحمض والزيت . وفي موسم الصيف يضاف إليها قطع من الخيار والنعنع الأخضر .

ومنها ما يصنع بالחס . . . بعد تقطيع الحس يضاف إليه البصل والحمض وقطع البندورة ، إذا توفر ذلك . . . ثم يضاف إليها قليل من الزيت .

وهناك سلطات أخرى منها بالجوز ويضاف الجوز الناعم إلى كمية البندورة المقطعة ، وبعد ذلك البصل والحمض .

(شيخ المغشي):

طريقة الصنع .. يحفر الكوسا ثم يحشى باللحم المفروم والصنوبر ، ثم يقلى بالسمن ، ويوضع فوقه ماء ، ويترك حتى ينضج ، ثم يصفى من الماء ويوضع في اللبن المقلّى ، ويترك مدة بسيطة على النار ثم يرفع .

(شاورمة):

نوع من اللحم يوضع في سيخ كبير ويشوى على نار هادئة ثم يقطع تدريجياً ويقدم مع البصل والبقدونس المفروم .

(شوربة):

للشوربة أنواع كثيرة... الشوربة بخضر... الشوربة بعدس... الشوربة بالشعيرية... الشوربة برز... شوربة بطاطا... إلخ...

الشوربة بعدس:

يسلق العدس المطحون وبعد النضج تضاف إليه كمية من الرز ، وبعد النضج تضاف إليه كمية من البصل المفروم مع اللحم المفروم المقلّى بالسمن ، أو قطع من اللحم المسلوق ، ثم يضاف إليها البقدونس المفروم .

الشوربة بشعيرية:

يسلق اللحم ثم يضاف إليه عصير البندورة بعد قليها بالسمن ، وتترك مدة على النار ، ثم يضاف إليها الشعيرية ، وتترك مدة كافية للنضج ثم ترفع من على النار .

الشوربة بتريه:

يسلق اللحم ثم يضاف إلى مرق اللحم كمية من الطحين بعد أن يذوب مع الحمض والبيض ، ثم يحرك جيداً مع مرق اللحم ، وتترك مدة على النار للنضج . وبعد النضج الكامل يقلى قليل من الفليفلة الحمراء بالسمن ، وترشق على وجه الشوربة .

شوربة بطاطا:

تسلق البطاطا وتفرم حتى تصبح ناعمة جداً ، ثم تضاف للحم المسلوق مع المرق ، وتحرك جيداً ، ثم تترك مدة على النار ثم ترفع ...

(شمندور):

يؤخذ حليب الصمغة ، ثم يضاف إليه الحليب العادي ، ويرفع على النار الهادئة ، ويحرك حتى يجمد ، وبذلك يصبح شمندور .

(شش بورك):

يغلى اللبن على النار . . . ثم يعجن كمية من الطحين ، وبعد العجن تقطع قطعاً صغيرة ، وترق ، ثم تحشى باللحم المفروم والبصل والكزبرة المقلية بالسمن ، وبعدها تضاف كمية العجين المحشي إلى اللبن ، وترك على النار حتى تنضج ، ثم يضاف إليها كمية من الكزبرة والثوم المقلي بالسمن .

(شاكرية):

يغلى اللبن على النار ، ثم يضاف إليه اللحم المسلوق ، مع البصل المفروم المسلوق مع اللحم ، ويترك مدة على النار ، ثم يرفع .

(شلباطو):

يقطع الكرنب قطعاً صغيرة ، ثم يقلى بالسمن ، ثم يضاف إليه مرق اللحم المسلوق ، ثم يضاف إليه الرز ، ويترك حتى ينضج ، ثم يوضع فوقه قطع اللحم المسلوق .

(صاجيه):

يقطع اللحم مع الدهن ، ثم يترك على نار هادئة حتى ينضج ، ثم يضاف إليه اللبن المغلي ويقدم .

(صفيحة):

تصنع من اللحم المفروم مع اللبن ، وعصير الرمان والبصل المفروم والملح والفلفل ، ثم يرق العجين بشكل صفائح صغيرة ، ويمد عليه اللحم ، ثم يدخل إلى الفرن حتى ينضج .

(ضفادع مقلية):

بعد تنظيف الضفادع تقلى بالسمن ، وتقدم مع الخضر أو بدون شيء .

(طرطور):

ويصنع من الطحينة مع حمض الليمون ، ويضاف إليه الثوم المدقوق ، ثم البقدونس المفروم .

(طحال مشوي):

يقطع الطحال قطعاً صغيرة ، ثم يشك بالسيخ ، ويشوى على النار .

(طباخ روحو):

يقطع الباذنجان والبندورة والبصل المقطع بشكل طويل ، ويوضع معه قطع اللحم ، الغير ناضج ، وقليل من عصير البندورة ، ثم يرفع على النار . وقبل النضج الكامل يضاف إليه النعنع اليابس مع الثوم المدقوق .

(عجّة):

يخفق البيض ، وتضاف إليه كمية من الطحين ، ثم يضاف إليه البصل المفروم والبقدونس المفروم وقطعة من الخميرة ، وتترك قليلاً حتى يختمر ، ثم يقلى بالزيت بشكل قطع متوسطة الحجم .

(عكوب الجبل):

يقطع العكوب ثم يسلق على النار ، ويعدّها يصفى من الماء ويضاف إليه اللحم المسلوقة مع المرقّة ، ويضاف إليه البصل المفروم بشكل طويل بعد قليه بالسمن ، ويترك على النار حتى ينضج .

(فولية):

يقطع الفول ثم يقلى بالسمن ، ويضاف إليه اللحم المسلوقة والمرقة ، ويترك حتى النضوج ، ثم يضاف إليه الكزبرة والثوم المدقوق .

(فول مقلي):

يقطع الفول ، ثم يقلى بالزيت ، ويضاف إليه قليل من الماء ، وقبل النضوج بقليل يضاف إليه الكزبرة والثوم المدقوق ، ويترك على النار حتى النضوج الكامل .

(فاصولية):

بعد تقطيع الفاصولية تقلى بالسمن مع البصل المقطع قطعاً طويلة واللحم

المقطع الغير ناضج ، ثم يضاف إليه الماء مع عصير البندورة ، ويترك على النار حتى النضوج .
(فخذة):

بعد تقطيع اللحمه ثقلى بالسمن ، ثم يضاف إليها الماء مع عصير البندورة ، ويترك حتى النضوج ، وتقدم مع البطاطا المقلية بالسمن أو مع الخضر المطبوخة .
(فراريج):

مشوية: تنظف الفراريج ثم تشوى على النار وتقدم مع الثوم والحمض والزيت .

محشية: تنظف ثم تحشى بالرز واللحم المفروم والصنوبر ، ثم يضاف إليها الماء مع عصير البندورة ، ويترك على النار حتى تنضج .
(فتة كباب):

تقطع اللحمه وتسلق ، ثم يقطع الباذنجان قطعاً صغيرة ويقلى بالسمن ثم يضاف للحم المسلووق ويوضع قليلاً على النار حتى النضوج الكامل ، وبعدها يقطع الخبز ويبل بمرقة اللحم ، ثم يوضع فوق اللبن مع الثوم المدقوق ، ويوضع فوقه اللحم والباذنجان .
(قرنييط):

يقطع القرنييط إلى قطع ، ثم يقلى بالسمن ، ويضاف إليه قليل من الماء ، ويترك حتى تنضج ، ثم يضاف إليها اللحم المفروم المقلية ثم الكزبرة والثوم المدقوق .
(قبوات):

تنظف القبوات جيداً ، ثم تحشى بالرز واللحم المفروم والعصفر ، ويمكن إضافة قليل من الصنوبر ، ثم يغمر بالماء ويترك على النار حتى ينضج ويرفع من على النار .
(كبة):

تصنع الكبة من اللحم والبرغل والبصل . . . تدق اللحمه دقاً جيداً ، ثم يضاف

إليها البصل، ويدق معها ثم يوضع معها البرغل، وتدق حتى تصبح لينة وصالحة للكبيبة.

الكبة المقلية:

تصنع بشكل أقراص مجوفة، وتحشى باللحم والسنوبر، ثم تقلي بالزيت.
- الكبة المشوية:

تصنع بشكل أقراص مسطحة، ثم تحشى بالدهن والشحم والبقدونس المفروم، وتضاف حبات الرمان والجوز المدقوق مع الحشو، ثم تشوى على النار.

الكبة بالصينية:

بعد صنع الكبة... تمد على الصينية بعد دهن الصينية بكمية من السمن، وبعد مد أول طبقة من الكبة تمد فوقها طبقة من اللحم المفروم المقلي والسنوبر (أو الجوز المفروم) ومعها بصل مفرومة ومقلية، وثم تمد الطبقة الثانية ثم تشوى في الفرن.

- الكبة باللبنية:

تصنع الكبة أقراصاً صغيرة، وتحشى بالدهن والجوز المدقوق، أو باللحم المفروم والسنوبر المقلي، ثم توضع باللبن المغلي المضاف إليها قليل من الرز المسلوق، وبعد النضج الكامل يضاف إليه (الطرخون).

- كشك بكبة:

تصنع مثل الكبة اللبنية، وبدل وضعها باللبن توضع بالكشك بعد غليه.

- كبة حميص:

كذلك تصنع أقراص صغيرة وتحشى باللحم المفروم والسنوبر ثم تقلي بالسمن، ثم تصنع لها صلصة من عصير البندورة وعصير الرمان مضافاً إليه البصل المقطع قطعاً طويلة ومقلية، توضع في الصلصة وثم ترفع على النار مدة بسيطة.

(كوارع):

تنظف الكوارع جيداً وتسلق ثم تقدم بشكل فته.. يقطع الخبز ويبل بمرقة

الكوارع ثم يوضع عليه اللبن مع الطحينة ويوضع فوقها الكوارع والسمن المقلّى ويقدم .

(كفتا):

تدق اللحم جيداً ثم يضاف إليها قليل من الخبز المبلول المفتت ثم بيضة أو بيضتان حسب كمية اللحم ، والملح والفلفل والبقدونس المفروم وتدعك مع بعضها جيداً ثم تقلّى بالسمن على شكل قطع صغيرة .

(كباب):

يفرم اللحم ويضاف إليها الملح والفلفل ثم يوضع بالسيخ ويشوى على النار .

(كلاوي):

تصنع إما مقلية أو مشوية أو تطبخ مع البصل وذلك بتقطيع الكلاوي قطعاً صغيرة والبصل قطعاً طويلة ويقلّى الجميع بالسمن ، ثم يضاف إليه قليل من الماء وتترك على النار حتى تنضج .

(لحمة):

- لحمة مشوية:

يقطع اللحم ثم يوضع في السيخ مع قطع من الدهن والبصل ويشوى على النار .

- لحمة مقلية:

يقطع اللحم ثم يقلّى بالسمن أو يسلق اللحم وبعد السلق يقلّى بالزيت .

- لحمة بالصينية:

يفرم اللحم ناعماً ويفرم معه البصل ويضاف إلى اللحم الدهن المفروم ، ويمد بالصينية ويشوى في الفرن .

- لحمة مدللة:

أي اللحم الكفتا وقد ذكرناها آنفاً .

(مبرومة):

تدق اللحم مع البرغل التي تصبح كبة ويوضع معها شيء من البهار والبصل ،

وتفرم اللحمه وتقلى بالسمن وتمد الكبة على حجر مبسط ويوضع وسطها وتلف ، وتوضع بصينية صغيرة وترسل إلى الفرن وبعد النضج تقدم .

متبل :

يشوى الباذنجان ويقشر ويدق ثم يصف الجوز بعد غسله ويوضع فوق الباذنجان مع الطحينة والحامض والملح والثوم .

مقلوبة :

يقشر الباذنجان ويقطع ويقلى ، ثم تقلى اللحمه المفرومة مع الفستق الحلبي واللوز والصنوبر وتصفى في الطنجرة ، ثم يوضع الرز بعد التصويل ويوضع فوقه الماء المغلي ، وترفع الطنجرة على النار إلى أن ينضج ، ثم تقلب في الصينية وتقدم للطعام .

مخلوطة :

يغلى الحمص إلى أن يقرب من الاستواء فيوضع فوقه العدس والأرز مع قليل من البصل وشيء من الكمون ، ويوضع فوق الجميع الماء المغلي ويرفع على النار ، ويوضع فوقها زيت الزيتون وبعد النضج يقدم .

مسقعة :

يقشر الباذنجان الأسود ويقطع قطعاً صغيرة ويوضع معه البصل والثوم والبندورة ويطبق على البارد ، ويرفع على النار وعند الاستواء يسكب بالصحن ويؤكل .

مشمشية :

يغلى لبن الماعز الرائب وتذق الكبة وتقرص أقراصاً صغيرة ، ثم توضع في اللبن المغلي مع قليل من الفول الأخضر وورق السلق ، ويصوّل قليل من الأرز ، ويوضع فوق اللبن قليل من النشا ويحرك وبعد النضج يقدم للطعام .

معكرونة بجبنة :

تسلق المعكرونة أولاً حتى تستوي وتوضع في مصفاة ، وبعد التصفية تحمى السمنة وتوضع المعكرونة فوق السمنة وتقلب ثلاثة قلبات وتوضع في الصينية ، وتبرش الجبنة فوق المعكرونة ويوضع البقدونس أيضاً ، وتقدم للأكل .

معكرونة بالفرن:

تسلق المعكرونة وتؤخذ دجاجة وتسلق ويوضع عليها ماء البندورة ، توضع الدجاجة فوق المعكرونة وترسل إلى الفرن حتى تحمر وتقدم للطعام.

معكرونة بلبين:

تسلق المعكرونة وتصفى من الماء وتغسل بالماء الحار ، ثم يوضع لبن رائب مع الثوم فوق المعكرونة وتقدم للطعام.

معجنات:

يعجن العجين ويرقق ويحشى باللحم المفروم المقلو مع الصنوبر ويقرص حسب الطلب ، ويوضع بفرن معتدل الحرارة حتى تنضج ويقدم للطعام.

معمول:

يؤخذ كمية من الطحين ويعجن مع السمن عدله ، وتأخذ قليلاً من الفستق ويحشى في قلبه ، ويكون له قالب ويطب ويوضع في صينية أو صدر ، ويشوى بالفرن ، وعند خروجه من الفرن يوضع له سكر ناعم مثل الطحين فوقه ثم يؤكل.

مفركة:

تصنع المفركة من البطاطا أو من الكوسا. تقطع البطاطا أو الكوسا قطعاً صغيرة، وتقلي بالسمن وتوضع فوقها اللحم المفرومة ويخفق البيض ويوضع فوق البطاطا أو الكوسا وتحرك إلى أن ينضج ويقدم.

مكمور:

يحفر الكوسا ويحشى بالصنوبر واللحمة المقلية ويوضع بالقدر ويصب عليه ماء البندورة وقليل من دبس الرمان وشيء من البصل المقلي ويملح بقدر الحاجة، ويرفع على النار إلى أن ينضج ويقدم للأكل.

ملوخية:

يسلق اللحم حتى يستوي بشكل جيد ، وبعده يوضع السمن في الطنجرة وتقلى الملوخية ، وبعده توضع اللحم فوق الملوخية وتوضع على نار هادئة ، ويوضع معها كزبرة وثوم، وبعده أن تهدأ تقدم للأكل.

منزلة أحمر:

تقطع البندورة ويزال البزر منها وتوضع في طنجرة ويوضع لها اللحم المفرومة والكزبرة والثوم على الوجه وتهدأ مدة بسيطة حتى تعقد وتسكب وتقدم للطعام.

منزلة باذنجان:

يقشر الباذنجان ويشق طولاً ويقلى بالسمن حتى يصبح لونه زهرياً، ونكون قد أخذنا اللحم المفرومة مع الصنوبر ونحشي الباذنجان ويُحط في الطنجرة مع ماء قليل فوقها وتطبخ على النار.

منزلة كوسا:

يقطع الكوسا قطعاً صغيرة ، ثم يقلى بالسمن ، ثم تؤخذ كمية من اللحم المفروم وتقلب اللحم حتى تنضج ، ثم يوضع فوقها الكزبرة المفرومة الناعمة والثوم قبل إنزالها عن النار بقليل وتؤكل.

مهلبية:

يطبخ الحليب مع النشا والسكر ويغلى على النار ويحرك إلى أن ينضج ويسكب في الزبادي إلى أن يبرد ويقدم.

ميمونة - حلوة:

يؤخذ الطحين ويحمص بالسمن العادي ونكون قد أخذنا كمية من السكر على قدر كمية الماء حتى يصبح قطراً ، ويوضع القطر فوق الطحين ويخفق مع بعضه ، وأخيراً يسكب ويزين وجهه بالجوز أو اللوز.

هليون:

طريقة الطبخ: تسلق اللحم حتى تستوي، والهليون يقطع ويغسل ويغلى بالسمن وتوضع اللحم فوقه ، ويوضع فوق نار هادئة حتى يستوي.



حارات دمشق في القرن العاشر الهجري

لشمس الدين محمد بن علي ابن طولون الدمشقي الصالحي
ت ٩٥٣ هـ

نشرها حبيب الزيات في الخزانة الشرقية ٢١/٢

قال الحافظ ابن طولون في كتابه (ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر) في ترجمة إبراهيم بن إسماعيل بن يوسف العكاري الصالحي:
تذاكرت أنا وإياه حارات دمشق القديمة فقلت له:

داخل باب الجابية

- ١ - حارة الفسقار. ٢ - حارة البزورية: وتعرف قديماً بسوق القمح.
- ٣ - حارة مثذنة الشحم: وتعرف قديماً بعقبة الصوف.
- ٤ - وقبلها حارة الحاطب.
- ٥ - وشرقيها حارة درب البقل.
- ٦ - ورايح منه: حارة مسجد البيع: ولم يكن في الصف الشمالي مسجد غيره من باب الجابية إلى باب شرقي يوجه إلى القبلة. قيل: إن الصحابة بايعوا فيه ، وهو الآن مدرسة بناها الخوaja محمد بن يوسف القاري سنة ٨٨٧ هـ ، وبنى إلى جانبها داراً عظيمة ، وقبلها قاطع الطريق العظمى الآخذة إلى باب شرقي قيسارية وداراً أخرى عظيمة. وكذلك بنى ابن عمه علي بن عيسى القاري عدة دور على تل مثذنة الشحم حارة جامعة بمسجد ، وعدة حواصل ، وخان حرير ، ومات حتى افتقر واستعطى ، وكذا بنى ابن أخيه عبد القادر داراً عظيمة بالغ في إنفاقها ، وبنى أبوه حماماً كان بتلك المحلة ، وحارته قديماً تُعرف بدرب الريحان.

- ٧ - ثم في شرقي ما ذكر: حارة الكشك ، وكان فيها آثار جامع بأعمدة ومثذنة ، نقلوا الجميع إلى عمارة الجامع الأموي بعد حريقه سنة ٧٧٤ هـ.
- ٨ - ثم شرقي ما ذكر إلى جهة القبلة شمالي باب كيسان: حارة القط.
- ٩ - ثم شمالي عمارة القارين: حارة الكنيسة.
- ١٠ - ثم شرقيها: حارة النيبطون.

داخل باب توما

- ١١ - حارة المنجنيق (الجينيق).

١٢ - ثم قبلها بغرب: حارة القيمرية.

١٣ - ثم غربيها بشمال: حارة السلاحة.

١٤ - ثم قبلها بغرب: حارة البادرثية.

١٥ - ثم قبلها: حارة الخضرا، وبها القليجية، لم يبق منها إلا الواجهة وأراد سييبي نائب دمشق أن يخرّبها، ويضعها في المدرسة التي بناها خارج باب الجابية فمنعه أهل الخير. وخلفها قبة فوق قبر الواقف. وكانت هذه القليجية مجتمع الفضلاء والعقلاء للاستشارة إذا دهم أهل دمشق أمر مهم.

١٦ - وصارت حارتها اليوم تعرف ب: حارة الهنود الشبلية. وهناك دور خلفاء بني أمية، قيل: إنه ما تعرض أحد لبنائها وأفلح، ولقد رأينا بعض ذلك.

داخل باب السعادة

١٧ - حارة الأندر.

داخل باب الفرج

١٨ - حارة الظاهرية.

داخل باب الفراديس

١٩ - حارة مسجد الرأس.

خارج دمشق

٢٠ - حارة الغراوية: خارج باب كيسان.

٢١ - وشرقيها: حارة الحمالين.

٢٢ - وقرب تربة سيدي أبي [بن كعب] رضي الله عنه حارة المخاضة.

٢٣ - وشرقيها: حارة القيشاني.

٢٤ - حارة الملاح.

- ٢٥ - ثم شماليتها: حارة الشيخ أرسلان.
- ٢٦ - ثم بقي في الزنجاري: حارة عين الحمّة.
- ٢٧ - وقربها: حارة السبعة.
- ٢٨ - وشرقيها: [حارة] الفرايين.
- ٢٩ - وشرقيها: [حارة] الشرش.
- ٣٠ - ثم حارة العنابة.
- ٣١ - ثم حارة بيت الالهة.
- ٣٢ - ثم حارة حكر الآسية.
- ٣٣ - ثم: حارة شطرا (شطرا) الغرب.
- ٣٤ - ثم: حارة بير الروبض.
- ٣٥ - ثم: حارة الجهينية.
- ٣٦ - ثم: حارة دار الطعم.
- ٣٧ - ثم: حارة عين اللؤلؤة.
- ٣٨ - ثم: حارة بير الأكراد.
- ٣٩ - ثم: حارة السليمانى.
- ٤٠ - ثم: حارة مرج الدحداح.
- ٤١ - ثم: حارة الجرن الأسود.
- ٤٢ - ثم: حارة الجاموسية.
- ٤٣ - ثم: حارة السميرية.
- ٤٤ - ثم: حارة حكر الجلال.
- ٤٥ - ثم: حارة باب الخوخة.
- ٤٦ - ثم: حارة ابن صبح.
- ٤٧ - ثم: حارة حضيرية شتتمر.
- ٤٨ - ثم: حارة سوق ساروجا.

- ٤٩ - ثم : حارة حمام العدد .
٥٠ - ثم : حارة الديلم .
٥١ - ثم : حارة السودان .
٥٢ - ثم : حارة خان الكججانية .
٥٣ - ثم : حارة حدرة ملكاس .
٥٤ - ثم : حارة البغيل .
٥٥ - ثم : حارة زقاق القصاصين .
٥٦ - ثم : حارة خان الظاهر .
٥٧ - ثم : حارة عين دار البطيخ .
٥٨ - ثم : حارة زقاق الشعيرية .
٥٩ - ثم : حارة الشرف القبلي .
٦٠ - ثم : حارة حمام الناصري .
٦١ - ثم : حارة المنيع .
٦٢ - ثم : حارة القصر .
٦٣ - ثم : حارة السلاوية (السلاوية) غربي جامع تنكز .
٦٤ - ثم حارة جامع العداس .
٦٥ - ثم : حارة الحكر .
٦٦ - ثم : حارة جانبك الجفون .
٦٧ - ثم : حارة الهنكامة (البنكامة) .
٦٨ - ثم : حارة القنوات .
٦٩ - ثم : حارة الخلخال .
٧٠ - ثم : حارة المزاز .
٧١ - ثم : حارة الشويكة .

ثم رأيت على جزء أبي عبد الله الغضائري طبقة: كتبت في .

٧٢ - حارة البلاطة:

ثم رأيت على جزء ابن حرب: كتبت في درب الدعوة داخل باب الصغير بدمشق. وكذا أخرى في درب المعجم بها. وأخرى في سوق الخشابين بها.

* * *

حارات ودروب وغيرها

لمحمد أنيس الطالوي

يقول الفقير [محمد أنيس الطالوي]: وقع في الأصل^(١) ذكر أسماء محلات كانت معروفة في زمنه ، وقد تغيرت بعده وحدثت لها أسماء لا تعرف اليوم^(٢) إلا بها ، فأردت بيان ذلك تمييزاً للفائدة ، ورجاء لصالح دعوة عائدة ، مقدماً ذكر الذي كان وبان ، متلوّاً بالمعروف الآن:

- باب الزيادة والساعات: هو باب القوافين للأموي.
- باب الناطفانيين: هو باب العمارة له.
- درب الخزاعية: هو زقاق حمام منجك.
- باب الفراديس: هو باب الحديد في العمارة.
- حارة الإفتريس: هو زقاق سبع طوالع ، شمالي باب البريد والظاهر.
- محلة حجر الذهب: زقاق فستقية باب البريد.
- زقاق الزطي: قبلي المارستان النوري.
- حارة الغربا: زقاق العامود.
- درب الشعارين: بناحية زقاق العامود.
- باب النصر: باب الحديد الذي بسوق الأروام.
- باب الفرج: باب الحديد الذي بالبوايجية الكبيرة.
- حكر السماق: زقاق رامي وفيه دار الكلهلي سابقاً.
- أول الشرف القبلي ، ودرب البانياسي: عند جامع تنكز مكتب الحربية.
- القصاعين: بجهة سوق القطن والخضيرية.
- سوق القمح: البيزورية.
- دار الذهب: قبلي دار عبد الله بيك العظم بسوق التين.
- دار العدل: الظاهر أنها دار القباقيين بزقاق العامود.
- دار السعادة: من زقاق المبلط شمال الغدراوية.

(١) الأصل: يقصد به كتاب مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس للعلموي.

(٢) أي سنة ١٢٩٥ هـ وهي سنة تأليفه لكتابه.

درب الهاشميين والوزير: زقاق حمام القاضي .

الميدان الأخضر: المرجة .

سوق الخواصين: شرقي النورية عند المحكمة الكبيرة .

درب الريحان: قبلي دار عبد الله بيك العظم بسوق التبن .

قيسارية القواسين: خان سوق التحرير غربي الأمانة .

الصاغة العتيقة: قرب باب الخضراء قبلي الجامع الأموي .

مقابر الصوفية والخلخال: تربة البرامكة وقبلها بالمرجة .

الجسر الأبيض: جسر نهر ثورا بطريق الصالحية السلطاني .

جسر كحيل: جسر نهر ثورا قبلي ضريح سيدنا عبد الغني النابلسي قدس

سره .

محلة العونية: بمز القصب والعمارة .

حصن الثقفين: هو الطريق الآخذ من العادلة للعصرونية .

وقد بقي أسماء مجهولة عندي وهي قصر الحديد ، درب زرعة ، ودرب

الحجر ، وقيسارية الصرف ، وحمام جاروخ .



ضرب الحوطة على جميع الغوطة

للإمام الحافظ محمد ابن طولون الدمشقي الحنفي رحمه الله
المتوفى سنة ٩٥٣هـ

نشرها الأستاذ محمد أسعد طلس في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق
المجلد ٢١ ص ١٤٩ ، ٢٣٦ ، ٣٣٩
ومن أراد التوسع في قرى الغوطة فليرجع إلى

- ١ - ما علق عليه الأستاذ محمد أسعد طلس في حواشي مقاله السابق .
 - ٢ - ما ذكره وفصّل فيه الأستاذ أحمد وصفي زكريا بكتابه الريف السوري .
 - ٣ - كتاب غوطة دمشق لمحمد كرد علي .
- ومن الكتاب نسخة مخطوطة بخط ابن طولون في ليدن رقم ٢٥٠٤/or .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحان العظيم العليم ، المحيط علمه بكل قاصٍ وداني ، الباسط حلمه على كل خاطئٍ وجاني ، فَمَنْ عَظِمَ مِنْ خَلْقِهِ فَهُوَ فِي قَبْضَتِهِ وَعَظِيمٌ قَدْرُهُ ذَلِكَ مَتَوَانِي ، هو الأول ماله ثاني ، وهو الآخر وكُلُّ ما سواه فاني ، العرش يقول : سبحان من حمل عن الحملة أركانِي ، والكرسي يقول : سبحان من ثبت قوائمِي وأحسن بنياني ، والسموات تقول : سبحانه مَنْ هَدَّبَ بوحدانِيته جميع سكانِي ، والفلك يقول : سبحان مدبّرِي في دوراني ، والسحاب يقول : سبحان من جعل بين السماء والأرض مكاني ، والريح يقول : سبحان مَنْ أجزاني ، والجبال تقول : سبحان مَنْ أرساني ، والأرض تقول : سبحان من على تيار الماء دحاني ، والأشجار تقول : سبحان من يسمع جريان الماء في أغصاني ، والزهرُ يقول : سبحان مَنْ فَتَقَ كمي وَغَيَّرَ ألواني ، والفواكه تقول : سبحان مَنْ أَيْنَعَ بَيْنَ طعمِي : هذا حامض ، وهذا حلو ، ومن ماء واحد سقاني ، والطيْرُ يقول : سبحان مَنْ أَطْلَقَ لَهُ بِالْمَجْدِ لِسَانِي ، والبعوضُ تقول : سبحان مَنْ يَسْمَعُ حَسَّ خَفَقَانِ أَجْنَحَتِي عِنْدَ طَيْرَانِي ، والنَّمْلُ تقول : سبحان مَنْ يَرْزُقُنِي عَلَى ضِعْفِي وَفِي اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ يِرَانِي ، واللَّيْلِ يقول : سبحان مَنْ سَتَرَنِي وَالظَّلَامُ غَشَّانِي ، والنهَارُ يقول : سبحان مَنْ أَظْهَرَنِي وَبِالنُّورِ كَسَانِي ، والجنّةُ تقول : سبحان مَنْ وَعَدَ الْمُتَّقِينَ بِنَعِيمِي وَوَلَدَانِي ، والنارُ تقول : سبحان مَنْ تَوَعَّدَ الْمُجْرِمِينَ بِعَذَابِي وَنِيرَانِي ، ومحمدٌ ﷺ يقول : سبحان مَنْ شَفَّعَنِي فِي أُمَّتِي وَأَرْضَانِي . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً وَسَلَامًا يَنْجِيَانِ مِنَ النَّارِ .

وبعد : فهذا تعليق سمّيته بـ : «ضرب الحوطة على جميع الغوطة» على حسب الإمكان وبالله المستعان .

قال أبو عبد الله ابن شداد في كتابه «الأعلاق الخطيرة في ذكر دمشق» :

وأما صفتُها فإنها مِنْ أَحْسَنِ بِلَادِ الشَّامِ مَكَانًا ، وَأَعْدَلُهَا هَوَاءً ، وَأَطْيَبُهَا نَشْرًا ، وَأَكْثَرُهَا مِيَاهًا ، وَأَغْزَرُهَا فَوَاكِهِ ، وَأَوْفَرُهَا مَالًا ، وَأَكْثَرُهَا جُنْدًا ، وَلَهَا

ناحية تُعرف بالغوطة ، طولها مرحلتان في عرض مرحلة ، وتشتمل هذه الغوطة على خمسة آلاف بستان ، وثلاث مئة وخمسة وأربعين بستاناً ، وعلى خمس مئة وخمسين كرمًا ، وهي من شرقي دمشق وشمالها ، بها ضياع كالمدن مثل المِزة وداريا ، وحرستا ودمر ، وبلاس وبيت لاه ، وعقربا ، وبها كلُّها جوامع . اهـ .

قلت : أبو البقاء محمد بن العماد العمري بقراءتي عليه ، أنبأنا الشهاب أحمد بن علي بن حجي ، أنبأنا أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الغزي وأبو المعالي عبد الله بن عمر الأزهرى بقراءتي عليهما .

وأنبأنا به أبو المفاجر عبد القادر بن محمد الدمشقي قراءة عليه هو شيخنا الأول ، أنبأنا الزين عبد الرحمن بن خليل الأذرعى سماعاً عليه متفرقين / ٢ / ، أنبأنا الجمال عبد الله بن محمد الأزهرى ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن محمد الفارقي ، وقال الغزي : أنبأنا القطب عبد الكريم بن عبد النور الحلبي قال : أنبأنا أبو بكر محمد بن إسماعيل بن الأنماطي ، أنبأنا أبو محمد هبة الله بن الخضر بن طاوس ، أنبأنا أبو الفضائل ناصر بن محمود القرشي ، أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد التميمي المالكي ، أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد الربيعي المالكي ، أنبأنا تمام بن محمد ، حدثنا القاضي أبو الحسن أحمد بن سليمان بن حذلم ، حدثنا أبو زرعة ، حدثنا محمد بن المبارك ، حدثنا يحيى بن حمزة ، عن ابن جابر ، عن زيد بن أرقط ، عن جُبَيْر بن نفيير ، عن أَبِي الدرداء ، قال : إن رسول الله ﷺ قال :

فُسَطَّاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ ، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ ، مِنْ مَدَائِنِ الشَّامِ .

وبه إلى تمام ؛ أنبأنا أبو بكر أحمد بن عبد الله القرشي ، وأبو بكر محمد بن إبراهيم البراز قال : حدثنا أبو قعين إسماعيل بن محمد العذري ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ، حدثنا مسلمة بن علي ، حدثنا أبو سعيد الأسدي ، حدثنا سليم بن عامر ، عن أبي أمامة ، عن النبي ﷺ :

أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَءَاوَيْتَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ ثم قال : هل تدرون أين هي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هي بالشام بأرض يقال لها الغوطة ، بها مدينة يقال لها دمشق ، هي خير مدائن الشام .

وبه إليه: حدثنا أبو الحارث أحمد بن محمد بن عمار ، عن الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن مكحول ، عن ابن عباس أنه قال:
وُلد إبراهيم عليه السلام بغوطة دمشق ، في قرية يقال لها برزةً ، في جبل يقال له قاسيون .

وبه إلى الربيعي: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العيسى ، أنبأنا أبو الميمون عبد الرحمن بن علي البجلي ، حدثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد ، حدثنا أبو البيان الحكم بن نافع ، حدثنا صفوان بن عمر ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك قال:

هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيسيرون إليكم على ثمانية رايات ، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً ، فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة ، في مدينة يقال لها دمشق .

وبه إليه: أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان ، حدثنا أبو الحسن بن حبيب ، حدثنا أبو بكر بن الأشعث ، حدثنا أبو توبة ، حدثنا ابن المهاجر ، عن أبي حليس ، قال:

أشرف عيسى ابن مريم عليه السلام على الغوطة فقال: يا غوطةُ ، إن عجز الغني أن يجمع منك كنزاً لم يعجز المسكين أن يشبع منك خُبزاً .

قلت: الحاصل أن الغوطة مدينتها دمشق الكبرى ، وقد أفرد لها تاريخاً مُعظماً الحافظ أبو الحسن ابن عساكر ، ودونها القرى وهالك أسماء ما وقعت عليه منها مرتباً لها على حروف الهجاء:

أرذونا: وهي قرية تحت القابون التحتاني ، وهي متوسطة ، لها جامع ومثذنة ، وشربها من نهر ثورا ، وهي أملاك لناس مختلفين . وقع بها تحديث بأجزاء ، وخرج منها جماعة من العلماء وأهل الحديث .

الأفريس: وهي قرية بقرب جسرين ، وهي متوسطة ، وشربها من نهر داعية .

أرزة: وهي قرية أدركت بعض البيوت بها ، / ٢ ب / وإلى الآن بها بيتٌ بجنيئة ، وأدركت جامعها بمثذنة صومعة ، عند قبور الشهداء ، ولها حكر
ديوان الجيش ، وشربها من نهر ثورا .

البويضة: وهي بلدة كبيرة قبلي دمشق ، بجامع ومثذنة ، وكان لها بها عشر .
البحولية: وهي قرية جامعة تحت يلدا ، وبها جامع وهي وقف على
بيمارستان الصالحية القيمري .

بيت رانس: وهي قرية تحت مدينة دمشق من جهة القبلي .

بيت سحم: وهي قرية بالقرب من عقربا .

بيت الآلهة: هي حارة من دمشق ، شرقيها ، وبها جامع مبارك ، أدركت
خطيبه صاحبنا بدر الدين حسن البيت ليدي الحنبلي ، والآن قد خرب ، وللناس
فيه اعتقاد كبير ، وعليها بساتين وأراضٍ كثيرة ، ووقع بها حديث كثير ، وآخر
من حدّث بها شيخنا المحيوي النعيمي ، وخرج منها جماعة من أهل الحديث .

بيت أبيات: حارة كانت غربي الصالحية ، وقد خربت الحارة ، ولم يبق غير
المسجد والطاحون ، ثم خرب المسجد . ووقع بها حديث كثير ، وفيها كان
جماعة من أهل الحديث .

برزة: وهي قرية ، شرقي الصالحية في الجبل ، بها مقام إبراهيم ، يقال: إنه
ولد فيه ، وقيل: بل اختبأ فيه ، وقيل: بل صلى فيه . وقد أفردت لما ورد فيه
جزءاً . وماؤها من أحسن مياه دمشق ، يأتي من وادي الحرن (حرنه) . وإليها
ينسب نوع من التين الشتوي هو أجود جنس منه ، ونوع من السفرجل هو من
أجود أنواعه . وقع بها حديث كثير من جماعة من الحفاظ وغيرهم . وقد حدّثتُ
بها مراراً . وكان بها من له سماع فيه ، وإمامة بجامعها وله مثذنة .

بالا: وهي قرية تحت المنيحة ، وهي قرية حسنة كثيرة المُغل ، وفيها حصّة
وقف على الجوزية ، وقف على الحنابلة ، إما ربع أو نحوه .

برّتايا: وهي قرية خراب فوق سقبا ، وقف .

بيت نايم: وهي قرية تحت جسرين كبيرة وقف ، وهي من جملة حساب
المرج ، وهي أول قراه .

بيت سوا: وهي قرية متوسطة ، وقع بها تحديث ببعض الأجزاء .

البرية: وهي قرية في المرج الشرقي ، وهي حصص غالبها وقف ، ومنها
حصّة موقوفة على جامع الحنابلة .

تل الشعير: وهي قرية تحت البحدلية خربة ، وقف على المدرسة القيمرية .
تل الذهب: وهي كانت قرية وهي الآن مزرعة ملاصقة لبيت نايم ، وأهلها
يزرعونها ، وهي وقف وقع بها حديث يسير .

تل كردي: وهي قرية من قرى المرج ، لم أعرف حالها .
جَرَمَانَا: وهي قرية قبلي دمشق ، وأهلها تيامنة ، وهذا عجيب من كونهم في
هذه القرية من الغوطة ، فإن أهلها جميعهم من أهل السنة .

جَوَيْر: وهي قرية شرقي مدينة دمشق لليهود ، وبها ثم جماعة من
المسلمين ، وبها مسجد يقال له: مسجد النبي ﷺ ، وَقَع بها حديث كثير ،
ومنها جماعة من أهل الحديث .

جسرين: وهي قرية تحت سقبا / وكانت بلدة كبيرة إلا أنها / ١٣ / تلاشى
أمرها ، وهي وقف ، ومشربها من نهر داعية ، وقع بها حديث في «فوائد الرازي» .

جَرْبَا: وهي قرية متوسطة من قرى المرج ، وهي في إقطاع ثالث مقدمي
الألوف بدمشق ، وقع بها تحديث الأجزاء .

حَرَّة: وهي بلدة صغيرة تحت زملكا ، لها مسجد ، وشربها من عين
الرشيدية .

حمورية: وهي قرية شمالي سقبا ، متوسطة حسنة ، بها جامع ، يقال: إنه
عمري ، وهي وقف على أولاد السلطان الملك الظاهر ، وفيها أملاك مستخرجة
في الخراج .

حُرْدَان: وهي قرية تحت سقبا أيضاً ، خربت ، كان لها حديث لجماعة من
أهل الحديث ، أفرد لها الحافظ أبو الحسن ابن عساكر جزءاً ، ثم أفرد لها شيخنا
المحدث أبو المحاسن ابن عبد الهادي جزءاً آخر .

حرسنا الزيتون: وهي قرية كبيرة جامعة ، وهي في إقطاع النيابة كانت ،
والآن صارت وقف التكية ، قال شيخنا أبو المحاسن: وهي قرية شرّ وفسق
معروفة بذلك ، ومن المذكور بين الناس أنها أول ما يخسف بها في الدنيا ،
وكانت قديماً قرية حديث ، وشربها من نهر يزيد وثورا ، وإليها ينسب التفاح
النبطي ، وقع بها حديث كثير ، خرّجت لها جزأين ، وخرّج منها جماعة من أهل

العلم. انتهى. قلت: منهم الإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما.

حرسنا القنطرة: وهي قرية قبلية صغيرة ، ولعلها من حساب المرج.

حَرْزَمًا: وهي قرية من قرى المرج ، وثُلُثُها وقف على دار الحديث الأشرفية بدمشق ، وقع بها حديث كثير ، قال المحدث أبو المحاسن: وقد أفردنا لها جزءاً.

حَرَان: وتضاف إلى العوامد ، فيقال لها: حران العواميد ، وهي قرية متوسطة من قرى المرج.

الحديدة: بالحاء المهملة ، والناسُ يقولون بالمعجمة تحت ، وهي قرية من قرى المرج ، وهي في إقطاع النيابة.

الحديثة: وهي قرية صغيرة ، تحت دمشق ، وغالبها يتكلم عليها المولى الخواجنا زين الدين عبد الغني بن المزلق ، وقع بها حديث ، وُحِدث فيها بعدة أجزاء.

داريا: بلدة كبيرة جيدة عذبة ، بها جامع ، وهي من جملة بلاد السلطنة ، وبها أراضي وقف نور الدين الشهيد على طلبة العلم والصوفية الفقراء ، وبها قبر أبي سليمان الداراني ، وإليها ينسب البطيخ الجيد ، وقع بها حديث كثير ، وخرج منها جماعة كثيرون من أهل العلم ، قال شيخنا أبو المحاسن: وقد أفردنا لها مصنفاً ، ولم أقف عليه ، فأفردت لها جزءاً لخصته من تاريخها وزدت عليه.

دقاينة: وهي قرية صغيرة ، تحت أرزونا ، ولها جامع ، وعليها كروم ، وشربها من نهر ثورا.

دومة: وهي قرية كبيرة جامعة ، شرقي حرسنا ، وهي من أمهات القرى ، من إقطاع أمير كبير ، وشربها من نهر ثورا ، وقع بها حديث ، وخرج منها / ٣ب / جماعة من المحدثين والعلماء منهم الدومي المشهور.

الدوير: يقال لها: دير ابن عصرون ، وهي قرية صغيرة في لحف الجبل ، ونصفها أو نحوه وقف الحنابلة من جملة وقف الجوزية.

الربوة: غربي [دمشق] في فم الوادي ، فيها بيوت ودكاكين وحمام ، ويقال: إنها التي أوى إليها عيسى وأمه ، وهي الآن مكان فرجة ، ويجتمع فيها على غير

تقوى ، وقد خربت في أيامنا عدة مرار وعمّرت ، وقع بها حديث وسماع في عدة أجزاء ، وأفرد لها الحافظ الشمس ابن ناصر الدين جزءاً ، وتبعته في آخر أبسط منه .

زملكا: بلدة كبيرة جامعة ، بها جامع وحمام وخلق كثير ، وهي من أمهات الغوطة ، وشربها من نهر ثورا ، وبها موضع يقال: إنه مزار ، وقع بها حديث كثير ، وخرج منها جماعة من المحدثين والعلماء ، وخطيبها كان بعض ولد شيخ الإسلام أبي عمر ، وله سماع كثير ، واستمر أولاده بها الآن .

زبدین: وهي قرية في آخر الغوطة ، من أقطاع النيابة ، ويزرع فيها البطيخ كثيراً ، ووقع فيها تحديث ببعض الأجزاء .

الرُّعَيزِيَّة: وهي قرية من قرى المرج ، وقع بها تحديث ببعض الأجزاء .

السويداء: وهي قرية من قرى المرج قرب البحرة .

سقبا: وهي بلدة كبيرة جامعة ، وبها جامع وعدة مساجد وحمام ، وهي أملاك لأربابها وغيرهم ، ومنها يستحسن بزر الخيار ، وشربها من نهر داعية ، وقع بها حديث كثير ، وخرج منها جماعة من أهله ، قال شيخنا أبو المحاسن: ولأهلها سماع ، وقد أفردت لها جزءاً .

الشجرة: وهي كانت قرية خربة ، وهي من جملة صدقات الحنابلة .

الصالحية: قال شيخنا أبو المحاسن: وهي أول قرى الغوطة ، وأم البلاد ، وعروس الشام ، يصلح أن تكون مدينة ، بسفح قاسيون ، أول من وضعها المقداسة ، فإنهم لما هاجروا من الأرض المقدسة إلى دمشق ، نزلوا مسجد أبي صالح شرقي دمشق فاستوخموا تلك المحلة ، ومات منهم جماعة كثيرون في مدة يسيرة ، فصعدوا إلى هذا الجبل ، وبنوا به الدير المعروف بهم ، وبهم سُميت الصالحية لأنهم كانوا من الصالحين الكبار ، وكان منهم الشيخ أحمد والد الشيخ عمر ، والشيخ أبو عمر ، والشيخ موفق الدين ، والحافظ عبد الغني ، والحافظ الضياء ، والحافظ العماد ، والإمام عبد الهادي ، وأشباه هؤلاء وكلهم أقارب ، ثم اتسع البناء ، وبنى لهم الشيخ أبو عمر سبع ميمات: المدرسة ، والمسجد غربيتها ، والميضأة ، والمصنع ، والمغربلة ، والمغسل ، والمسقاة . انتهى . وقد أفردت لها تاريخاً .

صنعاء: قال شيخنا المحيوي النعيمي في مسودة / ٤٤ / تاريخه: وهي قرية خربت ، وبقي مزارعها على نهر الخللخال بالقرب من المنيع . خرج منها جماعة من المحدثين نحو عشرة . انتهى .

الضمادة: ويقال لها الرمادة . وهي قرية بقرب عذراء خربت ، وهي وقف من جملة صدقات الحنابلة .

عين ثرما: وهي قرية جامعة شرقي دمشق ، وبها جامع وحمام ، ووقع بها حديث ، وكان لبعض أهلها سماع ببعض الأجزاء ، وغالب الوادي التحتاني مع أهلها ، وشربها من نهر ثورا ، وأما الوادي فشرب بعضه من نهر داعية ، وبعضه من بردى .

عربيل: ويقال لها عربين ، وهي قرية جامعة ، وشربها من نهر ثورا ، وإليها ينسب العنب البلدي واللوز ، وقع بها حديث كثير ، وخرج منها جماعة من أهل الحديث ولهم فيه سماع .

عذرا: وهي قرية شرقي دوما ، وهي في أقطاع النيابة كانت ، والآن صارت وقفاً على التكية ، وهي بلدة كبيرة ، بها كان قتل حجر وأصحابه ، وشربها من نهر ثورا ، وإليها ينسب البطيخ ، وقع بها تحديث يسير .

عقربا: وهي قرية شرقي يلدا كبيرة ، وهي من جملة أقطاع النيابة ، وإليها ينسب القماش العقرباني ، وقع بها حديث ، وخرج منها محدثون .

قبر الست: وهي قرية قبلي دمشق ، يقال: إن زينب بنت علي مدفونة فيها ، وهي بلدة جامعة ، وللناس أيام يخرجون إليها يحتجون بالزيارة ويتنزهون ، ووقع بها حديث يسير ، وقد أفردت لها تعليقا .

قرية سيدي مدرك: بالقرب منها ، وفي كونه هناك خلاف .

القابون الفوقاني: وهي قرية كبيرة تحت برزة ، بها جامع وعدة مساجد ، وحمام وسوق ، وغالب أهلها تركمان ، فيها رؤساء وأعيان وشربها من نهر يزيد ، وقع بها حديث .

القابون التحتاني: وهي بلدة كبيرة ، بها جامع وعدة مساجد ، وحمام وسوق ، وبها تركمان وحوارنة وغيرهما ، وبها يعمل خميس البيض النجس الخييت ، وقد أفردت لها تعليقا ، وشربها من نهر يزيد ، وإليها ينسب الخيار

الجيد ، وقع بها حديث ، وخرج منها جماعة من العلماء والصلحاء .

القصير: ويقال: قصير القوافل، وهي قرية متوسطة على طريق المارة ، وهي في أقطاع مقدمي الألو ف بدمشق .

القصور: وهي بلدة غربي كفرسوسية ، وقد خربت ، وهي إلى الآن خراب .
كفرسوسية: وهي بلدة تحت المِزة ، بها جامع وحمام ، وهي بلدة جامعة ، وبها معصرة للزيت ، لأن بها زيتون كثير ، ووقع فيها حديث ، وخرج منها محدثون منهم شيخنا الشمس الكفرسوسي الشافعي .

كفر بطها: ويقال لها: كفر بطنا ، وهي قرية جامعة ، بها جامع وحمام / ودكاكين ، / ٤ ب / ويقال: إنه كان بها علماء وسادات ، ورؤساء وتجار ، وهي أملاك متفرقة ، وبها عدة مساجد ، وشربها من نهر داعية ، ووقع بها حديث كثير ، وخرج منها جماعة من الأئمة المحدثين ، بل الحفاظ منهم الحافظ شمس الدين الذهبي ، وولده المحدث أبو هريرة وغيرهما .

اللقيشا: ويقال: اللقيسا بالسين ، وهي قرية من أشهر قرى المرح .

المحمدية: عند جسرين ، وهي قرية صغيرة من قرى المرح ، كانت خربة والآن عمّرت .

المنيحة: وهي قرية تحت دمشق جامعة ، ولها جامع ولي خطابته في هذه الأيام صاحبنا القطب ابن الصفوري الشافعي ، قال شيخنا أبو المحاسن: ويقال: إن بها قبر سعد بن عبادة ، وليس كذلك، انتهى . وقد أفردت له جزءاً ، وهذه الأيام يذهب الناس إليها للزيارة والتنزه على عاداتهم ، وبها قطع وقف على الحنابلة تعرف بالجوزيات وقف المدرسة الجوزية ، وقع فيها تحديث بعدة أجزاء ، وخرج منها محدثون منهم المنيحي المشهور .

مسجد القدم: وهي قرية قبلي الصبيبات ، جامعة بها جامع ، وهي عذبة من جملة بلاد السلطنة لأناس متفرقين ، قال شيخنا أبو المحاسن: ويقال: إن قدم موسى فيها ، وذكر بعضهم أن فيها قدم النبي ﷺ وهو كذب ، انتهى . وبالقرب منها الكتيب ، وقد أفردت له مؤلفاً .

المِزة: وهي قرية في سفح الجبل من الغرب كبيرة ، وبها عدة جوامع ومساجد وحمامات ودكاكين ، وهي قديمة . قال السيد كمال الدين بن حمزة:

عندي لها تاريخ ، وتقصدته فلم أظفر به ، فأفردت لها جزءاً ، وكانت قد أقطعت لبعض ولد أسامة بن زيد ، ووقع بها تحديث ، وخرج منها محدثون منهم الحافظ جمال الدين المزري وولده وغيرهما .

مقنية: والصواب قينية ، وهي قرية خربت ، خلف ميدان الحصا . قال الأسدي في سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة في ترجمة محمد بن هارون من ولد أنس بن مالك الأنصاري الدمشقي: من سكان قرية القينية غربي المصلى ، انتهى . وقال غيره: أبو علي محمد بن هارون الأنصاري الدمشقي ، من سكان قرية قينية بظاهر باب الجابية مشهورة ، انتهى .

مُقرا: وهي كانت قرية فخربت شرقي الصالحية ، أدركت فيها السبع قاعات ، والآن باقي بها مسجد ومئذنة عند طاحونها على نهر ثورا غربي الصالحية .

النيرب: غربي الصالحية ، كان له اسم خاص ، وبه بيوت وبساتين ، وهو الآن مضاف إلى اسم الصالحية ، وله جامع وحمام وقد خرب ، ووقع بها سماع حديث كثيراً ، أفردت له جزءاً . قال الحافظ ابن ناصر الدين في مسودة «توضيحه»: والنيرب من قرى الغوطة ، وهي قرية من محاسن قرى دمشق من إقليم بيت لهيا ، كثيرة المياه والبساتين ، وبها جامع حسن تقام فيه / ٥ / الجمعة ، ويقال: في شرقه قبر حنة أم مريم عليها السلام . قال ابن شداد: وليست مريم بنت عمران ، ولها حكاية ، وفي «تاريخ دمشق» لابن عساكر أن الخضر ينتاب هذا المسجد ويصلي فيه ، ويروى أن عيسى عليه السلام كان فيه . انتهى .

يعقوبا: وهي قرية صغيرة غربي حزة وشربها من نهر ثورا ، وقع بها تحديث ببعض الأجزاء .

يلدا: وهي قرية قبلي المدينة ، بالقرب منها جامع ، وهي بلدة حسنة ، وقع بها تحديث ، وخرج منها جماعة من المحدثين ، منهم اليلداني الأول ، ومنهم شيخنا أبي المحاسن هو شرف الدين اليلداني الطيب .



من نوارد السماعات الدمشقية

فيما يلي مجموعة من السماعات الدمشقية على عدد من العلماء يستفاد منها أشياء كثيرة في التاريخ والتراجم.

من هذه الفوائد:

١ - سماع عدد من العلماء الذين رحلوا إلى دمشق لسماع الحديث كالحافظ ابن حجر والحافظ العراقي والحافظ السخاوي والمؤرخ الرعيني والقزويني ، ومن رافقهم بالرحلة ، ومعرفة خطوطهم .

٢ - سماع الأطفال ولو كانوا صغاراً فنجد طفلاً عمره لا يتجاوز خمسة أيام وآخر عمره ثمانية أشهر مع مرضعته .

٣ - سماع عدد من الأسر رجالها ونسائها وأطفالها .

٤ - التاريخ بالهجرة النبوية نصاً .

٥ - حرص الطلبة على السماع والحفاظ على الوقت فبعضهم يسمع في الحمام وبعضهم يسمع في السفينة وبعضهم يسمع الحديث ودمشق محاصرة ، وبعضهم يسمع في التزعة ، وبعضهم في دكان المسمع .

٦ - سماع عدد من الطلبة في الحرم المكي والحرم المدني مما يدل على أدائهم فريضة الحج فيفيد ذلك في تراجمهم .

٧ - أن أحد المستمعين كان يهودياً فقال الشيخ المسمع: عسى الله أن يهديه للإسلام ببركة أحاديث رسول الله ﷺ .

إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة المستفادة من السماعات .



سماع على القاضي محمد بن عبد الله المرداوي جزء أبي مطيع المصري بصالحية دمشق في ٤ ربيع الأول سنة ٧٦٩ هـ^(١)

قرأت «جزء علي بن عبد العزيز» على سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى قاضي القضاة جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمود المقدسي كمل الله عافيته ، وأحسن عاقبته بسماعه فيه نقلاً على قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة المقدسي فسمع ذلك الجماعة: أفضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن تقي الدين عبد الله بن محمد جد والد المسمع ، والفقيهان القاضيان الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي سليمان بن أحمد بن سليمان ، وشرف الدين موسى بن أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد العزيز بن خطيب مردا ، وزين الدين عمر بن إبراهيم بن محمد الحبال. ومن حديث. . من أحب لقاء الله أحب لقاءه ولد المسمع^(٢) أحمد ومحمد وسبطه^(٣) عبد الرحمن^(٤) بن أفضى القضاة شمس الدين محمد بن مفلح

(١) يلاحظ أن السماع كان في يوم الجمعة ٤ ربيع الأول ٧٦٩ هـ وكان المسمع مريضاً كما أشار الكاتب بقوله: «كمل الله عافيته وأحسن عاقبته» ويلاحظ أيضاً أن المسمع توفي في ثامن ربيع الأول سنة ٧٦٩ هـ أي بعد أربعة أيام من سماع هذا الكتاب عليه. (انظر الدرر الكامنة ٤/٤٧٠).

(٢) هكذا في الأصل ولعلها «ولدا المسمع».

(٣) جاء في ترجمة القاضي شمس الدين محمد بن مفلح الصالح الراميني: أنه ناب في القضاء عن جمال الدين المرداوي ، وتزوج ابنته ، وله منها سبعة أولاد ذكور وإناث. توفي سنة ٧٦٣ هـ وله بضع وخمسون سنة (شذرات الذهب ٨/٣٤٠).

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن مفلح المرادي ، ابن صاحب «الفروع» كان أصغر أولاده. توفي في جمادى الأولى سنة ٧٨٨ هـ. ودفن بالروضة بقاسيون قريباً من والده وجدّه. (شذرات الذهب ٨/٥١٨).

سماع^(١) على الإمام عبد الرحمن بن محمد البعلي
 لجزء فيه مجلسان من أمالي الشيرازي وأحاديث
 النيسابوري: الأول على الدواب في الطريق إلى
 النيرب ، والثاني في جامع النيرب سنة ٧٢٤ هـ

قرأت جميع هذا الجزء [وفيه مجلسان من أمالي أحمد بن علي الشيرازي ،
 وأحاديث إسماعيل النيسابوري] على مالكة الشيخ الإمام العالم المحدث الفاضل
 المتقن فخر الدين أبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البعلي
 الحنبلي ، بحضوره فيه أصلاً على الفخر علي [ابن البخاري].

فسمعه الشيخ الإمام العالم الضابط جمال المحدثين أمين الدين أبو عبد الله
 محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الوافي ، والإمام الفاضل محيي الدين
 عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم المقرئ ، ومحيي الدين
 محمد بن محمد بن هارون بن جعفر .

إن السماع يوم الثلاثاء ثالث شهر رجب الفرد عام أربعة وعشرين وسبع مئة
 المجلس الأول ونحن سائرون على الدواب إلى النيرب ، والمجلس الثاني بجامع
 النيرب من غوطة دمشق كتبه محمد بن رافع بن أبي محمد^(٢) .

قرأت جميع هذا الجزء على مالكة الشيخ الإمام العالم المحدث الفاضل
 المتقن فخر الدين أبي بكر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البعلي الحنبلي
 بحضوره فيه أصلاً على الفخر علي [ابن البخاري].
 فسمعه الشيخ الإمام العالم الضابط جمال المحدثين أمين الدين أبو عبد الله
 محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الوافي ، والإمام الفاضل محيي الدين
 عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم المقرئ ، ومحيي الدين
 محمد بن محمد بن هارون بن جعفر .

(١) مجموع ٧٠ ق ١٣ .

(٢) يستفاد من هذا السماع أن التلقي كان في بعض الأحيان في السير على الدواب ، كما
 يلاحظ سماع المؤرخ المقرئ سنة ٧٢٤ هـ بدمشق بجامع النيرب .

سماع^(١) على الإمام الحسن بن محمد الأسدي ابن البن أخبار وحكايات ابن معروف بدمشق سنة ٦٢٢ هـ

سمع جميع هذا الجزء [أخبار وحكايات من حديث أبي علي ابن معروف ابن أبي النصر] على الشيخ الأصيل أبي محمد الحسين بن علي بن الحسين الأسدي ، بسماعه من جده ، وهو حكايات ابن أبي نصر: صاحبُه الولد النجيب شرف الدين أبو الطاهر إسماعيل ابن الإمام الأجل عز الدين أبي الفتح عمر بن محمد ابن الحاجب منصور الأميني ، وهو ابن ثمانية أشهر ، وأبوه أبو الفتح عمر المذكور، وعمه أبو عمرو عثمان بن محمد، والإمام زكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي ، وابنه أبو المحاسن يوسف حاضر في آخر السنة الثالثة ، والإمام أبو موسى عيسى بن أحمد بن الحسين بن عيسى الأندلسي القسطلي ، وجمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الكريم الموقاني ، ومنصور بن محمد بن عبد العزيز المغربي الاصطبي الإشبيلي ، وعائشة بنت علي بن أبي القاسم الدمشقية مرضعة أبي الطاهر المذكور أعلاه .

وصح وثبت بقراءة عبد الله الفقير إليه الغني به: عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعيني الأندلسي^(٢) المالقي القصر بثيري وهذا خطه عفا الله [عنه] وذلك يوم الخميس الرابع من شوال سنة اثنتين وعشرين وست مئة بمنزل المسمع بمربعة القطن من دمشق ، والحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى.

(١) مجموع ٨٠ ق ٩ أ .

(٢) الأعلام ١٠٣/٥ .

يستفاد من هذا السماع:

١ - خط عيسى بن سليمان الرعيني المؤرخ المشهور .

٢ - في دمشق حي يسمى بمربعة القطن .

٣ - حضور الطفل إسماعيل بن عمر ابن الحاجب وعمره ثمانية أشهر ، ومعه مرضعته .

سَمَاعٌ^(١) عَلَى الْإِمَامِ جَعْفَرِ الْهَمْدَانِيِّ لجزء فيه حديث
 قس بن ساعدة بظاهر دمشق وهي محصورة ليلة ٢٣
 ربيع الآخر سنة ٦٢٥ هـ

سمع جميع هذا الجزء وهو حديث قس بن ساعدة على الشيخ الإمام العالم
 المقرئ أبي الفضل جعفر بن علي بن هبة الله الهمداني، عرضاً بأصله ،
 وعلامتهما ج ، وسماعه من الحافظ السلفي ، والشريف عبد الله العثماني ،
 بسماعهما من الرازي ، وسماعه من القاضي أبي عبد الله ابن الحضرمي وأبي
 القاسم عبد الرحمن بن علي بن موقا بإجازتهما من الرازي أبي عبد الله محمد بن
 أحمد بسماعه من محمد بن أحمد السعدي ، عن ابن درستويه المؤلف .

بقراءة الفقيه الإمام العالم أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن شهيد
 الأنصاري: أبو الحجاج يوسف بن داود السخاوي الجنيد ، وعبد الله بن محمد
 ابن أبي الفرج الموصلي الفراش ، وأحمد بن أبي الثنا محمود بن إبراهيم بن
 شهاب وهذا خطه في ليلة الأحد الثالثة عشر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين
 وست مئة بظاهر دمشق ، وهي محصورة ، والحمد لله رب العالمين وصلواته
 على محمد وآله^(٢) .

سمع جميع هذا الجزء وهو حديث قس بن ساعدة على الإمام العالم المقرئ أبي الفضل
 جعفر بن علي بن هبة الله الهمداني عرضاً بأصله وعلاقتها ج وسامعه من الحافظ السلفي
 والشريف عبد الله العثماني بسماعهما من الرازي وسامعه من القاضي أبي عبد الله ابن
 الحضرمي وأبي القاسم عبد الرحمن بن علي بن موقا بإجازتهما من الرازي أبي عبد الله محمد بن
 أحمد بسماعه من محمد بن أحمد السعدي عن ابن درستويه المؤلف بقراءة الفقيه الإمام
 العالم أبي عبد الله محمد بن يحيى بن شهيد الأنصاري أبو الحجاج يوسف بن داود السخاوي
 الجنيد وعبد الله بن محمد بن أبي الفرج الموصلي الفراش وأحمد بن إبراهيم بن شهاب
 بن شهاب وهذا خطه في ليلة الأحد الثالثة عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين
 وسامعه بظاهر دمشق وهي محصورة والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

(١) عام ١٢٣١ ق ٥١ .

(٢) يستفاد من هذا السماع معرفة مدى حرص الطلبة على طلب العلم وتوكلهم على الله
 تعالى حتى في ساعات الشدة بحصار دمشق .

سماع^(١) على الشیخة زینب بنت إسماعیل بن أحمد بن عمر المقدسی لجزء من حدیث ابن شاذان بالمسجد النبوی الشریف سنة ٧١٠ هـ

سمع جمیع هذا الجزء [من حدیث ابن شاذان] على الشیخة الصالحة المعمرة
الكبيرة أم عبد الله زینب بنت إسماعیل بن أحمد بن عمر بن شیخ الإسلام أبی
عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسی ، بإجازتها من الشیخین
عبد اللطیف بن القبیطی ، ویحیی بن القمیرة ، لسماع الأول من الشیخ عبد القادر
الجبلی وسماع الثاني من شهدة الكاتبة ، بسماعهما من ابن الباقلانی بسنده .

بقراءة كاتب السماع عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسی :

شهاب الدین أحمد بن عبد الله بن عبد الغنی . . . ، والفقیه أبو محمد بن عبد الله
بن محمد بن أحمد بن خلف المطری المؤذن بالحرم الشریف النبوی صلی الله علیه
وسلم ، وأحمد بن إبراهیم بن محمد بن النصف الصالحی ، ومحمد بن محمد بن
إبراهیم بن خولان المقدسی ثم الصالحی ، وبن ت المسمعة ست العرب بنت شیخنا
قاضي القضاة سلیمان بن حمزة بن أحمد المقدسی ، وزوج أخيها الحاجة غصن عتیقة
شمس الدین محمد بن المهذب ، ومعانی بنت عبد الله زوج تقي الدین ابن العدل .

وصح ذلك في يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة عشر وسبع
مئة بمسجد رسول الله ﷺ تجاه الحجرة المعظمة الشريفة النبوية على ساكنها
أفضل الصلاة والسلام وأجازت لنا جمیع ما يجوز لها روايته . الحمد لله رب
العالمین وصلی الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم تسليماً^(٢) .

(١) عام ١١٣٩ ق ٢٦ .

(٢) استفاد من هذا السماع سماع ابن المحب في زيارته للنبي ﷺ ومعرفة من رافقه وتاريخها .

وقال الواني في ثبته / ١٩٠.

قرأت على الشيخ الإمام العالم الحافظ البارع فتح الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري :

المجلس الأول من «أمالي» أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي .

بسماعه من عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصيقل ، والشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي ، وأبي الفضل عبد الرحيم بن يوسف ابن يحيى خطيب المزة ، بسماع الأول من ابن الخريف ، وبسماع الثاني من الكندي ، وبسماع الثالث في الخامسة من ابن طبرزد . بسماعهم من القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري ، بسماعه من أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عيسى الباقلاني ، بسماعه منه .

وصح في جوف الناووس الذي بناظر الهرم الأكبر ، يوم الأحد خامس شهر رجب سنة [٧٠٥ هـ] الواني^(١) .

وقال الشيخ الإمام العالم الحافظ البارع فتح الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري :
المجلس الأول من «أمالي» أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي .
بسماعه من عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصيقل ، والشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي ، وأبي الفضل عبد الرحيم بن يوسف ابن يحيى خطيب المزة ، بسماع الأول من ابن الخريف ، وبسماع الثاني من الكندي ، وبسماع الثالث في الخامسة من ابن طبرزد . بسماعهم من القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري ، بسماعه من أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عيسى الباقلاني ، بسماعه منه .

* * *

(١) يستفاد من هذا السماع أن طالب العلم حريص على التلقي في أي وقت وفي أي مكان حتى وقت النزهة والفرجة .

وقال الواني في ثبته / ١٣ /

قرأت على الشيخين الإمام العلامة النحوي ، خطيب المسلمين شرف الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزاري ، ووالدي أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد الواني رئيس المؤذنين بجامع دمشق .

- عشرة أحاديث من أول الجزء الأول من حديث علي بن حجر السعدي .

بسماع الأول من الحافظ تاج الدين محمد بن أبي جعفر بن أبي بكر القرطبي ، وبسماع الثاني من أبي العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي ، وبسماعهما من أبي الفرج يحيى بن محمود بن سعد الثقفي ، أخبرنا أبو طاهر عبد الواحد بن محمد بن الهيثم الصباغ دشتج ، أخبرنا أبو الحسن عبد الله بن المعتمر بن منصور النيسابوري ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة ، أخبرنا جدي أبو بكر محمد بن إسحاق ، عنه .

وصح ذلك وثبت يوم الجمعة سابع عشرين محرم سنة خمس وسبع مئة ، بقرية الكسوة عند تلقي الحاج . وكتب محمد ابن المسمع الثاني إبراهيم بن محمد الواني عفا الله عنهم ^(١) .

وقال الشيخ الإمام العلامة النحوي خطيب المسلمين شرف الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزاري ، ووالدي أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد الواني رئيس المؤذنين بجامع دمشق .
عشرة أحاديث من أول الجزء الأول من حديث علي بن حجر السعدي .
بسماع الأول من الحافظ تاج الدين محمد بن أبي جعفر بن أبي بكر القرطبي ، وبسماعهما من أبي الفرج يحيى بن محمود بن سعد الثقفي ، أخبرنا أبو طاهر عبد الواحد بن محمد بن الهيثم الصباغ دشتج ، أخبرنا أبو الحسن عبد الله بن المعتمر بن منصور النيسابوري ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة ، أخبرنا جدي أبو بكر محمد بن إسحاق ، عنه .
وصح ذلك وثبت يوم الجمعة سابع عشرين محرم سنة خمس وسبع مئة ، بقرية الكسوة عند تلقي الحاج . وكتب محمد ابن المسمع الثاني إبراهيم بن محمد الواني عفا الله عنهم .

(١) يستفاد من هذا السماع بيان الهمة العالية على تلقي العلم ، فكان الطلبة حريصين على حفظ الوقت ، والاستفادة من كل فرصة لتلقي العلم .

سماع^(١) على الشيخ مكى بن المسلم الحراني: فضل رمضان لابن عساكر بالحمام بدرب الفراش بدمشق سنة ٦٥٢ هـ

سمع جميع هذا المجلس [من أمالي أبي القاسم ابن عساكر في فضل شهر رمضان] على الشيخ . . بدر الدين أبي محمد مكى بن المسلم بن مكى بن علان القيسي ، بسماعه من مملية الحافظ أبي القاسم ابن عساكر رحمه الله ، بقراءة إدريس بن محمد بن أبي الفرج بن إدريس بن مزيز الحموي والسماع بخطه ومنه اختصرت: ابنه أحمد وآخرون في يوم الأربعاء سادس عشري المحرم سنة اثنتين وخمسين وست مئة بحمام الصوفي بدرب الفراش من دمشق المحروسة . اختصره من الأصل عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسي^(٢) .

سمع جميع هذا المجلس على الشيخ العياشي بدراب الفري في محرم سنة ٦٥٢ هـ
سماه إدريس بن محمد بن الفرج بن إدريس بن مزيز الحموي
والسماع بخطه ومنه اختصرت أنه اجروا حرون في يوم الأربعاء
سادس عشر المحرم سنة ٦٥٢ بحمام الصوفي بدراب الفري
دمشق المحروسة . اختصره من الأصل عبد الله بن المحب المقدسي

* * *

(١) ق ٢٣٠ .

(٢) يستفاد من هذا السماع الحرص على حفظ الوقت .

سماع^(١) على الشيخ محمد أبي بكر الحريمي: الأسانيد
الرباعيات تخريج الدارقطني ، بالحرم الشريف تجاه الكعبة
سنة ٦٢٤ هـ

ونقلت من الأصل سماع الشيخ العفيف محمد بن همام أبي الثناء الأنصاري
وولده ، مختصراً: سمع جميع هذا الجزء [الثاني] على الشيخ أبي عبد الله محمد
ابن أبي بكر بن أبي منصور الخراز الحريمي أثابه الله ، بسماعه فيه : الشيخ الفقيه
عفيف الدين أبو الثناء محمود بن همام بن محمود الأنصاري الضرير ، وابنه أبو
بكر محمد ، والفقيه تقي الدين أبو عبد الله محمد بن طرخان بن أبي الحسن
الصالحى الدمشقي ، وفلاح بن جبير بن رزق الحجار ، وأحمد بن يوسف بن
عبد الرحمن المؤذن ، ومحمد بن علي بن أبي بكر المقرئ الخشاب ، وعبيد بن
مسعود بن عبد الله عتيق الحاج يونس التاجر ، وأبو القاسم عبد الله بن أبي الفرج
المبارك بن محمود العراقي ، وعلي بن منصور بن وزار وعبد الكريم بن عبد
القوي بن عبد الله المنذري ، وعبد الله بن عيسى بن عمر المصري و محمد بن
حسان بن رافع العامري ، ويقراءته وهذا خطه عفا الله عنه ووالداه أبو بكر عبد الله
وفاطمة وهي في آخر السنة الخامسة ، ومحمد بن عبد الله بن الأرنمازي ،
ومحمد بن أبي القاسم بن أحمد الكفتي .

وصح ذلك في يوم الخميس الثالث عشر من ذي الحجة سنة أربع وعشرين
وست مئة بالحرم الشريف تجاه الكعبة ، وثبت .

نقله أحمد بن علي بن عبد الله وقد سمعته قبل ذلك^(٢) .

(١) مجموع ٨٥ ق ٢٧ .

(٢) يستفاد من هذا السماع أن جميع الذين سمعوا قد أدوا فريضة الحج سنة ٦٢٤ هـ وكذلك
يلاحظ وجود بنت صغيرة معهم لا تتجاوز خمس سنوات .

وصلت من الاصل شيخ الخ العفيف محمود بن همام اي الهما الانصاري وطلحة مختار
 شيخ جميع ههنا البراءة على الشماي مختار له مختار اي كرتاي منصور الخراز الكرمي
 امام الله تعالى في الحج العفة كصف الدين ابوالسالم محمود بن همام بن محمود الانصاري
 الضرير وانه ابو بكر محمد والعفة على الدين ابو عبد الله محمد بن طاهر بن اي الحسين
 الصالح الدمشقي وفلاح بن حمزة بن رزق الخار واهم يوسف بن عبد الرحمن البغدادي
 ومحمد بن اي بكر المقرئ الختف وعبد بن محمود بن عبد الله بن عس الكاخي يوسف
 الماحر و ابوالقاسم عبد الله بن الفرج الجباري محمود الخواقي وعلي مقبول
 بن زرار بن سنان وعبد الكريم بن عبد القوي بن عبد الله الخندزي وعبد الله بن
 علي بن المصري ومحمد بن حسان بن زافع العامري بن ابراهيم بن محمد بن عثمان
 بن ولادة ابو بكر عبد الله وفاطمة وهي اخوان السند الكاشغري وعبد الله بن الاوزماري
 ومحمد بن بن محمد الكنتي وصح ذلك لهما لوما كجيش الملك بن اي الحسين بن ابي
 وحسام بن اكرم بن الربيع بن جاهد الكعب المعطية وسيد علم الامير بن عبد الله بن محمد بن

* * *

سماع على الشيخ منصور البعلبكي كتاب الإيمان للعدني بقرية مقرى من غوطة دمشق سنة ٧٢٢ هـ

سمع^(١) جميع هذا الكتاب [الإيمان للعدني] على الشيخ الإمام الصدر الرئيس المعمر عماد الدين أبي عبد الله منصور بن سليمان بن يوسف البعلبكي بمسموعها بمقلوبها نقلاً من إسماعيل العراقي ، بإجازته من السلفي ، بقراءة كاتب السماع عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسي .

أولاده محمد وخديجة في الخامسة وأحمد في الرابعة .

وفخر الدين عثمان بن غانم ابن الشيخ شمس الدين محمد بن سلمان بن غانم .

وبناته: صالحة وخاتون وماما ، وأمهم كيلتي بنت عيسى بن محمد البعلبكي ، وأختها: فاطمة وست الشام .

وأولاد فاطمة المذكورة: تقي الدين محمد وألتي وملكة أولاد المسموع .

وولدا ست الشام المذكورة: بهاء الدين إبراهيم وفاطمة ولدا يونس بن موسى ابن غانم .

وبكتمر أبي محمد بن غانم المذكور ، وفخر الدين عثمان بن محمد بن أبي بكر بن حسن الحراني المغربي . وشمس الدين محمد بن يحيى بن محمد بن سعد بن عبد الله المقدسي ، وعبد الرحمن بن إبراهيم بن علي بن محمد بن بقا الملغن ، وابنته فاطمة في الثالثة ، ومحمد بن عبد المحسن بن ثامر الخياط الجبيلي .

وصح ذلك يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان سنة اثنتين وعشرين وسبع

(١) مجموع ١٠٤ ق ٢٣١ .

وقال الواني في ثبته أيضاً [٩٠/ب]

وسمعت من لفظ الحافظ فتح الدين أبي الفتح محمد بن محمد ابن سيد الناس ، وعلى الشيخ قطب الدين أبي علي عبد الكريم [بن عبد النور بن . . . الحلبي] والشيخ جمال الدين أبي المحاسن [يوسف بن عبد العزيز الحراني] المذكورين .

المجلس الثالث من «أمالي» أبي بكر القطيعي .

بسماعهم من الشيخ شمس الدين ، وبسماع الأول من العز الحراني ، وبسماع الأول من ابن الخطيب بسندهم تراه .

وصح وثبت هو والمجلس الذي قبله [المجلس الثاني من «أمالي» أبي بكر القطيعي] في يوم الإثنين سادس شهر رجب [سنة ٧٠٧هـ] .

وصح السماع لهذا المجلس ونحن في السفينة نعبّر في البحر من الجيزة إلى القاهرة . وأجازوا لي . وكتب محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد ابن الواني^(١) .

وسمعت رلفط الكاطم في الدرر للشيخ طبريزي سيد الناس وعلا في بطالته
لرعل عبد الامم واي في الدرر للشيخ اسحق بن ابراهيم بن ابي الحسن الثالث
زاد في هذا المطبع لمعهم واي في الدرر للشيخ طبريزي في الدرر الكاظمي
له اول ورا حطه بسندهم له . وسمعت في هذا المجلس الدرر له في يوم
سادس من رجب الدرر واي في هذا المجلس وخر في السفينة بعد ذلك
في البحر والكبر في القاهرة . لطر والدرر طبريزي في الدرر الكاظمي

* * *

(١) يستفاد من هذا السماع أن الواني كان حريصاً على التلقي حتى في السفينة التي أقلتهم من الجيزة إلى القاهرة .

سماع^(١) على الإمام مكّي بن المسلم القيسي لجزء ابن سختام بقيسارية الفرس سنة ٦٤٨ هـ

وقرأت الجزء الأول والثاني من «فوائد» أبي الحسن علي بن إبراهيم بن نصرويه ابن سختام بن هرثمة بن إسحاق بن عبد الله بن اشكر بن كاك العُرني رحمه الله.

على الشيخ الصالح الأمين العدل سديد الدين أبي محمد مكّي بن المسلم بن مكّي بن خلف بن المسلم بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علان القيسي ، بسماعه من الشيخ أبي الفهم عبد الرحمن بن عبد العزيز بن أبي العجايز الأزدي بقراءة والده عليه في شوال سنة سبع وستين وخمس مئة ، بسماعه من أبي طاهر محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم الحنائي ، قراءة عليه في يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمس مئة ، بدمشق ، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سختام السمرقندي ، قدم علينا دمشق طالباً للحج قراءة عليه في دار الحجارة يوم السبت السابع عشر من صفر سنة إحدى وأربعين وأربع مئة ، عن أبيه أبي إسحاق.

فسمعه الفقيه محيي الدين أبو زكريا يحيى بن محمد بن علي السختيلي المكي وحسام الدين أبو بكر بن محمد الرفاء وآخرون.

وصح ذلك وثبت في دكان المسمع بقيسارية الفرس من دمشق في يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وست مئة ، كتبه إبراهيم بن عبد العزيز بن يحيى اللوزي.

ومن خطه نقلته. كتبه علي بن مسعود الموصلي ، حامداً لله ومصلياً على نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله ومسلماً.

(١) عام ١٠٨٨ ق ٤٩.

سماع^(١) القاسم ابن البرزالي حديث ابن عبيد الله البخاري سنة ٦٨٥ هـ بالقاهرة

قرأته [حديث محمد بن عبيد الله البخاري] على الشيخ الأديب موفق الدين أبي عبد الله محمد بن عبد المنعم بن جماعة الحمزي عرف بابن الصائن ، بسماعه فيه ، فسمعه أبو إسحاق إبراهيم بن سلامة بن أبي بكر الرقي ، ومحمد ابن محمد بن أيوب بن الكفتي ، وضح يوم الخميس ثاني عشرين ذي القعدة سنة خمس وثمانين وست مئة ، بمسجد لله بالقاهرة. كتبه القاسم بن محمد بن يوسف بن البرزالي^(٢).

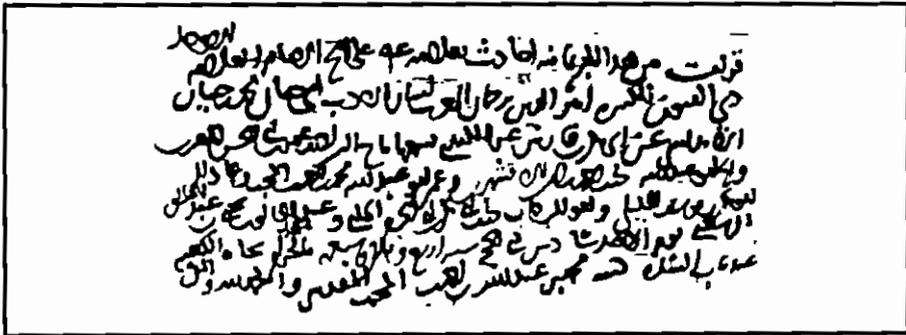
قرأته على الشيخ الأديب موفق الدين بن عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن جماعة الحمزي عرف بابن الصائن بسماعه فيه فسمعه أبو إسحاق إبراهيم بن سلامة بن أبي بكر الرقي ومحمد بن أيوب بن الكفتي وضح يوم الخميس ثاني عشرين ذي القعدة سنة خمس وثمانين وست مئة بالقاهرة كتبه القاسم بن محمد بن يوسف بن البرزالي

* * *

- (١) مجموع ٨٧ ق ١٩٩ .
(٢) يستفاد من هذا السماع أن البرزالي كان بالقاهرة سنة ٦٨٥ هـ في ذي القعدة .

قراءة^(١) الإمام محمد بن عبد الله بن أحمد بن المحب على الإمام أبي حيان الأندلسي لثمانية أحاديث من مجالس ابن سمعون بالمسجد الحرام في ذي الحجة سنة ٧٣٤ هـ

قرأت من هذا الجزء [أمالي ابن سمعون] بما فيه أحاديث بعلامة على (ي) الشيخ الإمام العلامة الأوحدي الفنون الكثيرة أثير الدين ترجمان العرب ، لسان الأدب ، أبي حيان محمد بن حيان الأندلسي ، عن أبي بكر ابن فارس ، عن الكندي . فسمعها : تاج الدين أحمد بن عثمان بن أبي الحسن المعري ، والشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الأقبهري ، وعمي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن المحب ، وعماد الدين أبو بكر بن يوسف الخليلي ، وأبو الرقاب محمد بن أبي بكر بن أبي الحرم الحلبي ، وعبد الخالق بن يحيى بن عبد الخالق الرسعني ، يوم الأحد سادس ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة بالحرم تجاه الكعبة عند باب السدّة . كتبه محمد بن عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسي ، والحمد لله وحده^(٢) .



* * *

(١) مجموع ١٧ ، ق ٦٩ .

(٢) يلاحظ في هذا السماع أن الإمام محمد بن عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسي كان يؤدي فريضة الحج سنة ٧٣٤ هـ ، وكان مع عمه محمد بن أحمد بن المحب ، وأنهما سمعا على الإمام أبي حيان الأندلسي ، كما يلاحظ أن السماع بخط محمد بن عبد الله ابن أحمد بن المحب المقدسي .

سماع^(١) الحافظ ابن حجر على الإمام
أبي بكر بن إبراهيم
المقدسي جزء ما انتخبه الطبراني لابنه
أبي الذر بصالحية
دمشق سنة ٨٠٢ هـ:

سمعه [جزء ما انتخبه الطبراني لابنه أبي ذر] على المسند عماد الدين أبي بكر
ابن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن الشيخ أبي عمر [المقدسي]
بسماعه أصلاً فيه ، بقراءة الإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي
ابن محمد العسقلاني :

ابن ابن عمه المولى زين الدين شعبان بن محمد بن محمد بن حجر ،
والإمام الحافظ الناقد ، مفيد الجماعة ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن
محمد بن أحمد ابن العلامة القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة المقدسي ،
ومعه ابنه أحمد ، والإمام البارع عز الدين عبد السلام ابن داود بن عثمان
المقدسي ، ومحمد بن محمد بن أحمد السكردان . . وكاتب السماع محمد أحمد
ابن علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني الفاسي المكي ، لطف الله
به . وصح وثبت في يوم الأربعاء تاسع عشرين شوال سنة اثنتين وثمان مئة
بالمسجد العتيق من صالحية دمشق ، وأجاز لنا مروياته بشرطه . وسمعنا عليه

(١) مجموع ١٠٥ ، ق ٢٤٢ .

سماع^(١) الحافظ السخاوي على الشيخ ابن جوارش جزء ابن زرارة بصالحية دمشق سنة ٨٥٩ هـ

سمعه [جزء عمر بن زرارة رواية البغوي] على المسند شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الله الصالح الشهير بابن جوارش ، بإجازته من ابن المحب الحافظ ، بأسانيده فيه .

بقراءة أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، وذا خطه : الجماعة المحدث شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد السنباطي ، والشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن الشيخ يوسف الصفي ، والعلامة تقي الدين أبو بكر الجراعي الحنبلي ، وأعاد ما فاته منه بقراءته .

وصح ذلك وثبت في يوم الأحد ٢٧ رجب سنة ٨٥٩ هـ بمسجد الله تعالى بصالحية دمشق وأجاز . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً^(٢) .

المسند
على المسند
عمر بن زرارة
بصالحية دمشق
سنة ٨٥٩ هـ
الشيخ شمس الدين
محمد بن محمد بن
محمد بن محمد
السنباطي
والشيخ شمس الدين
يوسف الصفي
والعلامة تقي الدين
أبو بكر الجراعي
الحنبلي
وأعاد ما فاته
منه بقراءته

* * *

(١) عام ٣٧٧٥ ق ٦١ .
(٢) يستفاد من هذا السماع
١ - معرفة خط الحافظ السخاوي .
٢ - من رافقه في الرحلة إلى دمشق .

سماع^(١) على الإمام الحسن بن محمد الأسدي ابن البن أخبار وحكايات ابن معروف بدمشق سنة ٦٢٢ هـ

سمع جميع هذا الجزء [أخبار وحكايات من حديث أبي علي ابن معروف ابن أبي النصر] على الشيخ الأصيل أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين الأسدي ، بسماعه من جده ، وهو حكايات ابن أبي نصر: صاحبه الولد النجيب شرف الدين أبو الطاهر إسماعيل ابن الإمام الأجل عز الدين أبي الفتح عمر بن محمد ابن الحاجب منصور الأميني ، وهو ابن ثمانية أشهر ، وأبوه أبو الفتح عمر المذكور ، وعمه أبو عمرو عثمان بن محمد ، والإمام زكي الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي ، وابنه أبو المحاسن يوسف حاضر في آخر السنة الثالثة ، والإمام أبو موسى عيسى بن أحمد بن الحسين بن عيسى الأندلسي القسطلي ، وجمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الكريم الموقاني ، ومنصور بن محمد بن عبد العزيز المغربي الاصطبي الإشبيلي ، وعائشة بنت علي بن أبي القاسم الدمشقية مرضعة أبي الطاهر المذكور أعلاه. وصح وثبت بقراءة عبد الله الفقير إليه الغني به: عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الرعيني الأندلسي^(٢) المالقي القصر بشيري ، وهذا خطه عفا الله [عنه] وذلك يوم الخميس الرابع من شوال سنة اثنتين وعشرين

(١) مجموع ٨٠ ق ١٩.

(٢) الأعلام ١٠٣/٥.

يستفاد من هذا السماع

١- خط عيسى بن سليمان الرعيني المؤرخ المشهور.

٢- في دمشق حي يسمى مربعة القطن.

٣- حضور الطفل إسماعيل بن عمر ابن الحاجب وعمره ثمانية أشهر ، ومعه مرضعته.

سَمَاعٌ^(١) الحافظ العراقي على الشيخ علي العرضي الجزء الثاني من كتاب القضاء بالجامع الأموي سنة ٧٥٨ هـ

سمعه على الشيخ المسند المكثّر علاء الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن صالح العرضي ، بسماعه فيه من ابن البخاري . بقراءة الشيخ المحدث المفيد نور الدين أبي الحسن علي بن الحسين بن علي البنا : الشيخ الإمام العالم محيي الدين عبد الملك ابن الإمام تقي الدين عبد الكريم ابن قاضي القضاة محيي الدين يحيى ابن الزكي القرشي ، والمحدث أبو . . نور الدين علي بن أبي مكّي ابن سليمان الهيثمي ، وشهاب الدين أحمد بن يحيى بن أحمد القرشي اليماني ، وعبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي ، وذا خطه .

وصح وثبت في يوم الإثنين سادس شعبان سنة ثمان وخمسين وسبع مئة بالجامع الأموي بدمشق وأجاز للجماعة ما تجوز له روايته^(٢) .

سمعه على الشيخ المسند المكثّر علاء الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن صالح العرضي
فبسماعه من ابن البخاري بسماعه من الشيخ المحدث المفيد نور الدين أبي الحسن علي
أحمد بن علي السرخسي الإمام العالم تقي الدين عبد الملك ابن الإمام محيي الدين أبي
إبراهيم العطار محيي الدين أبي القاسم بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي
سليم بن يحيى وشهاب الدين أبي القاسم بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي
عبد الرحمن بن علي بن داود بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي
سعد بن علي بن أحمد بن علي بن داود بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي

* * *

(١) عام ٣٧٥٩ ق ١٢٤ .

(٢) يستفاد من هذا السماع ١- معرفة خط الحافظ العراقي

٢- معرفة رحلته إلى دمشق وتاريخها .

٣- معرفة من رافقه بالرحلة .

سماع^(١) الحافظ السخاوي بخطه على القاضي عمر ابن مفلح «أمالي» ابن المخلص بصالحية دمشق سنة ٨٥٩ هـ في ٢٧ رجب

الحمد لله، سمعه [سبعة مجالس من «أمالي» ابن المخلص] على الشيخ
الإمام العالم قاضي قضاة الشام المعمر [نظام الدين] أبي حفص عمر [بن إبراهيم
بن محمد] بن مفلح الحنبلي^(٢) نفع به ، بإجازته من الحافظ ابن المحب بسنده
فيه ، بقراءة أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، وله الخط ، ابنُ
المسمع إبراهيم وهو حاضر ، وقريبه عبد المنعم ابن قاضي القضاة علي ابن
مفلح ، والشيخ علاء الدين علي بن الشهاب عبد الحميد البغدادي ، والمحدث
شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد السنباطي ، والشيخ شمس الدين محمد
ابن الشيخ يوسف المصطفى وغيرهم . صح وثبت في يوم الأحد ٢٧ رجب سنة
٨٥٩ هـ بالمدرسة النظامية^(٣) للمسمع ، وأجاز . وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين
هذا الكتاب بخطه
على يد الشيخ
محمد بن مفلح
الحنبلي
في شهر رجب
سنة ٨٥٩ هـ
في دار
الشيخ
علاء الدين
علي بن الشهاب
عبد الحميد
البغدادي
بدمشق
على يد
الشيخ
يوسف
المصطفى
بالمدرسة
النظامية
للمسمع
في يوم
الأحد
٢٧ رجب
سنة
٨٥٩ هـ

(١) يستفاد من هذا السماع سماع الحافظ الشهير السخاوي والسماع بخطه وذلك في رحلته إلى دمشق.

(٢) ترجمته في الدارس ٥٥/٢ .

(٣) ذكر في الدارس في ترجمة ابن مفلح: أنه اشترى بيت ابن شهيد وجعله دار قرآن - الدارس ٥٨/٢ .

سماع^(١) على الشيخة شهدة الإبري لحديث هلال الحفار
سنة ٥٧٣ هـ ويلاحظ سماع عبد الرحمن بن إبراهيم
المقدسي ، وخط عبد القادر الرهاوي

سمع جميع هذا الجزء [حديث هلال الحفار] على الكاتبة شهدة بنت أحمد
ابن الفرج الإبري ، بروايتها له عن طراد ، بقراءتي عليها من أصل سماعها:
صاحب هذه النسخة عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد المقدسي ، وعبد الله بن
عمر بن أبي بكر المقدسي ، وأبو مسلم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن
البصري ، والحسن بن عمر بن نصر بن باز الموصلية ، وعمر بن محمد بن عبد
الواسع الهروي ، بقراءة عبد القادر بن عبد الله الرهاوي. وهذا خطه. وذلك في
صفر من سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة^(٢).

سمع حمد بن عبد الجبار على الكاتبة شهدة بنت أحمد
ابن الفرج الإبري ، بروايتها له عن طراد ، بقراءتي عليها
من أصل سماعها: صاحب هذه النسخة عبد الرحمن بن
إبراهيم بن أحمد المقدسي ، وعبد الله بن أحمد بن
محمد المقدسي ، وأبو مسلم عبد الرحمن بن محمد بن
عبد الرحمن البصري ، والحسن بن عمر بن نصر بن باز
الموصلية ، وعمر بن محمد بن عبد الرحمن البصري ،
وعبد الله بن عبد القادر بن عبد الله الرهاوي ، وهذا خطه
ودللي صفر من سنة ثلاث وسبعين وخمس مئة

* * *

(١) مجموع ٧٥ ق ٦٥ .

(٢) يستفاد من هذا السماع معرفة خط الحافظ الرهاوي .

سماع^(١) الحافظ السخاوي وبخطه على الشيخ المسند محمد بن محمد ابن جوارش الصالحي جزء ما أسندت السيدة عائشة عن رسول الله ﷺ بصالحية دمشق سنة ٨٥٩ هـ

الحمد لله سمعه [جزء ما أسندت عائشة رحمها الله عن رسول الله ﷺ تأليف
أبي بكر السجستاني] على المسند أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن
جوارش الصالحي^(٢) بإجازته من ابن المحب الحافظ بسنده تراه [عن إسحاق بن
يحيى بن إسحاق] بقراءة أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي وذا خطه ،
المحدث شمس الدين محمد بن محمد بن محمد السنباطي ، والشيخ شمس
الدين محمد ابن الشيخ يوسف الصالحي ، صح وثبت في يوم الأحد ٢٧ رجب
سنة ٨٥٩ هـ . بمسجد الله تعالى بصالحية دمشق ، وأجاز . وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً^(٣) .

(١) مجموع ١٧ ق ٥٣ .

(٢) ترجم له السخاوي بقوله: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن أقوش بن
عبد الله الدمشقي الصالحي العطار أبوه ، ويعرف بابن جوارش بجيم ثم واو مفتوحتين و
راء مكسورة ثم شين معجمة ، وربما جعل اسم جده ، بل أكثر قالوا: محمد بن محمد
بن عبد الله . ولد تقريباً سنة ٧٠٨ هـ بصالحية دمشق، ونشأ بها وسمع من المحب
الصامت، وكذا فيما قيل من رسلان الذهبي، وحدثت، سمع منه الفضلاء وأكثرت عنه،
وكان خيراً تيراً عالي الهمة، صبوراً على الإسماع مديماً للجماعة بجامع الحنابلة، وربما
اتجر بسبب عياله . مات في خامس عشرين رمضان سنة ستين وثمان مئة ، وصلى عليه
عقب صلاة الجمعة ، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله وإيانا (الضوء اللامع ٨/٢٩٦) .

(٣) مما يستفاد من هذا السماع .

١- خط الحافظ السخاوي

٢- رحلة الحافظ السخاوي إلى دمشق وسماعه فيها .

٣- كان من رفقة الحافظ السخاوي: الشيخ محمد بن محمد السنباطي .

سماع^(١) على الإمام عبد الرحمن يوسف البعلبكي لكتاب
«المحبة» للختلي بمسجد ابن عمير داخل باب توما سنة
٦٧٥ هـ. ويلاحظ سماع ابن تيمية^(٢)

سمع جميع هذا الجزء وهو كتاب «المحبة» لإبراهيم بن عبد الله الجنيد
الختلي ، على الشيخ الإمام الجليل فخر الدين أبي محمد عبد الرحمن بن يوسف
ابن محمد البعلبكي بسماعه فيه من الشيخ بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم
المقدسي ، بسماعه من شهدة بسندها أوله بقراءة الشيخ الإمام الفاضل المفيد
المجيد المحدث نور الدين أبي الحسن علي بن مسعود بن نفيس الموصلي ثم
الحلبي .

فسمعه ولدا المسمع عبد القادر وأحمد ، وجمال الدين ايدغدي بن عبد الله
عتيق ناصر الدين بن الحراني والقاضي عز الدين أبو محمد يعقوب بن إسماعيل
ابن عبد الله عرف بابن قاضي اليمن ، ونور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن
عبد الرحمن بن زهير القابسي ، وتقي الدين أحمد بن شهاب الدين عبد الحلیم
ابن عبد السلام بن تيمية الحراني أبوه ، وشمس الدين محمد بن محمد بن بشاره
الدمشقي ، وأخوه علي ، وشمس الدين صواب بن عبد الله الافتخاري الحراني ،
وصفي الدين جوهر بن عبد الله الظهيري التفليسي ، وموسى بن سعيد بن مسعود
الخفاجي ، وركن الدين بيبرس بن عبد الله الكاملي ، وخديجة ابنة الشيخ
المسمع ، والفقير إلى الله تعالى محمد بن عبد الحميد بن محمد المهلبي
الهمداني ، وهذا خطه عفا الله عنه وذلك في يوم السبت الحادي عشر من رجب

(١) مجموع ٧٥ ق ٧١ .

(٢) مما يلاحظ أن ولادة ابن تيمية سنة ٦٦١ والسماع هنا سنة ٦٧٥ فيكون عمره في هذا
السماع ١٤ سنة .

سماع^(١) على الشيخة حبيبة المقدسية جزء ما انتخبه الطبراني سنة ٧٤٤ هـ

قرأت جميع هذا الجزء [ما انتخبه الطبراني لابنه أبي ذر] على الشيخة الصالحة المسندة حبيبة بنت الشيخ عز الدين إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر بسماعها من ابن عبد الدائم ، فسمعه الفقيه نجم الدين أبو بكر بن شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن عبد الغني الدريني وصح ذلك في يوم الجمعة سادس عشر شهر رجب الفرد من سنة أربع وأربعين وسبع مئة بمنزل المسمعة بدير الصالحية. وأجازت لنا ما ترويه ، والحمد لله وحده.

وكتب إسماعيل بن يوسف بن عبد الله بن علي بن حاتم بن الحبال عفا الله عنهم.

قرأت جميع هذا الجزء على المشيخة الصالحة المسندة حبيبة بنت الشيخ
عز الدين إبراهيم بن عبد الله بن علي بن عبد الدائم فسمعه الفقيه نجم الدين
أبو بكر بن شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن عبد الغني الدريني وصح ذلك في يوم الجمعة سادس عشر
شهر رجب الفرد من سنة أربع وأربعين وسبع مئة بمنزل المسمعة بدير الصالحية ولما ماتت لأمها من يوم
الجمعة

* * *

(١) مجموع ١٠٥ ق ٢٤٣.

ملاحظة: ولدت الشيخة حبيبة سنة ٦٥٤ هـ وتوفيت سنة ٧٤٥ هـ فيكون لها من العمر
عندما أسمعت هذا الجزء (٩٠) سنة (الدرر الكامنة ٥/٢).

سماع^(١) على القاضي يوسف بن محمد بن عبد الله
المرداوي حديث القاسم بن سلام سنة ٧٦٣ هـ بجبل
قاسيون بمنزل الشيخ ، ويلاحظ أن القارئ والكاتب محمد
بن يعقوب الفيروز آبادي صاحب «القاموس»

الحمد لله ، قرأت حديث أبي الحسن المكي عن أبي عبيد [القاسم بن سلام]
من هذا الجزء على شيخنا ومولانا قاضي المسلمين جمال الدين أبي الحجاج
يوسف بن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحنبلي حرس الله سداً ، وأثابه
الحسنُ وزيادة ، بسماعه فيه نقلاً ، فسمعه الجماعة: أصيل الدين عبد
الرحمن ، ومجد الدين إسماعيل والد الشيخ قطب الدين حيدر بن علي
الدَّهْعَلِيَّان - نسبة إلى ده علي - قرية بشيراز ، وأبوهما ، والنظام محمود بن فضل
الله ، والتاج محمد بن أحمد بن بهرام الشيرازيان ، ويوسف بن يعقوب بن
محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي ، وصح وثبت بقراءة أخيه محمد بن يعقوب
كاتبه ، في تاسع عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وسبع مئة بمنزل المسمع من
قاسيون ظاهر دمشق ، وأجاز بسؤالي . والحمد لله على ما أنعم ، وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم^(٢) .

(١) مجموع ٩٨ ق ٩١ .

(٢) يستفاد من هذا السماع سماع الفيروز آبادي صاحب القاموس بدمشق سنة ٧٦٣ هـ وأخيه
يوسف والسماع بخط صاحب القاموس .

الحمد لله

قرأت حديثاً في الحسن المكي عن أبي عبيد من هذا الجزء على شيخنا وهو أنا ما مضى
(حال الدنيا في الجحاح يوسف بن الشيخ أبي عماد محمد بن عبد الله الخليلي حرره ابن عماد بن
(وأما به العيني وزيادة ساعده فيه فلا سمعته الطاعة لفضل الدين عبد الرحمن بن محمد بن
(أما عمل ولنا الشيخ فضل الدين حيدر بن علي الأدهليان بسبب الذي عليه على قوله تشوان
(فالمقام محمود بن فضل الله والناج محمد بن محمد بن بهرام أثير أوزان ويوسف بن
(يعقوب بن محمد بن إبراهيم القدر ورامادي وصح وسبب نراه أخيه بن محمد بن يعقوب بن
(ع ماسع عردي الفعده سنة ثمان ومئتين وسبعين من غزال الجمع من قاصيون ظاهر
(وأما زبواني والحمد لله على ما أنتم وتصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* * *

سماع^(١) على الإمام الحراني حديث ابن شاذان بحمص سنة

٦٦٩ هـ

سمع جميع هذا الجزء عليّ [علي محمد بن عبد المنعم الحراني] من لفظي :
الإمام الفاضل الصدر الكبير عز الدين أبو الحسن علي بن تاج الدين عبد الخالق
ابن مهذب الدين أبي الحسن علي الأسعدي وفتاه خطباً بن عبد الله الرومي ،
وعماد الدين إسماعيل بن خليل بن عبد الله بن بريدة الصاحب عز الدين ،
وحضر ولده محمد وهو في السنة الثالثة ، وبدر الدين محمد بن أحمد ابن
التكريتي ، وزين الدين محمود بن نجم الدين أحمد بن تاج الدين عبد الخالق ،
والأمير علاء الدين علي بن إبراهيم بن سلمى الحمصي ، وزين الدين . . زين
العابدين أبو الحسن علي ابن الشيخ الإمام زين الدين أبي طاهر إبراهيم ابن
الشيخ علي بن عبد الله الفرزلي ، ونجم الدين يعقوب ابن الحاج رسلان بن
غازي الحريري ، وشهاب الدين جعفر بن علي بن إسماعيل عرف بالديق ،
وعفيف الدين عثمان بن الحاج محمد ابن . . والشيخ نشق الدولة يوسف بن
هارون بن عبد الله وكان يهودياً ، وعسى الله أن يهديه إلى دين الإسلام ببركة
أحاديث رسول الله ﷺ .

وذلك يوم الإثنين عيد الأضحى سنة تسع ستين وست مئة ، وكان السماع
بمدينة حمص حرسها الله وسائر بلاد الإسلام ، وكتب المسمع محمد بن عبد
المنعم بن عمار بن هامل الحراني^(٢) .

(١) عام ١١٣٩ ق ٥ أ .

(٢) يلاحظ سماع أحد اليهود الذي يرجو له الشيخ الهداية إلى الاسلام ببركة حديث رسول
الله ﷺ .

سبع جميع هذا الموعود من اهل الامام الفاضل الصدر المذنب عبد الله
 ابو الحسن علي بن باقر الدين عبد العالق بن محمد والدين ابو الحسن علي
 الاسعدي بن ميمون وفناءه حطبا بن عبد الله الوديعي وعماد
 الدين اسماعيل بن حبيب بن عبد الله بن عبد الصالح بن عبد الله
 وحصوله محمد وهو في السنة الثالثة ويدر الدين محمد
 ابن احمد بن محمد النضر بن محمد بن محمد بن محمد بن احمد بن
 باقر الدين عبد العالق والاضواء الدين علي بن ابراهيم بن عبد الحميد
 ورسول الدين ويدر بن العابد بن ابو الحسن علي بن السبع الصالح
 رسال الدين ابو طاهر ابراهيم بن السبع علي بن عبد الله الفيزي ويدر الدين
 يعقوب بن الخياط رسلان بن عمار بن الجوزي وسهبا بن عبد الحميد
 علي بن اسماعيل بن عمير بن الدقني ويعقوب بن عثمان بن الخياط محمد
 ابن يونس والسبع نشو والدولة يوسف بن هارون بن عبد الله وكان
 بهو ذبا وعسى الله ان يهديه الدين الاسلام سوكة احاديث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة على الدجى طسسه
 تسع وتسعون جايد وكان السماع بملاينه خمس حوسا الله
 وسبا بولاد الاسلام وكتب المسموع محمد بن عبد الله بن

* * *

سماع^(١) على الإمام محمد بن إبراهيم القرشي الذهبي خال للإمام صلاح الدين العلاني: الجزء السادس من «أمالي» أبي يعلى الفراء بدمشق سنة ٧٤٢ هـ

سمع جميعَ هذا الجزء وفيه السادس من «أمالي» القاضي أبي يعلى الفراء والخمسة قبلها على الشيخ الجليل المسند الأصيل شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الكريم بن راشد القرشي الذهبي ، بسماعه من ابن أبي عمر بسماعه من طبرزد وبسماعه للجزء الثالث فقط من أبي اليمن الكندي بسماعه للجميع ، وبسماع ابن طبرزد للثلاثة الأخيرة ، وبإجازته للثلاثة الأول من القاضي أبي بكر الأنصاري وبسماع ابن طبرزد أيضاً للجزء الخامس من أبي سعيد الزورلي بسماعهما من المملي .

بقراءة الإمام العالم أبي جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي

رفيقه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي المعروف بابن جابر الضرير الهواري الأندلسيان والإمام العالم العامل الفاضل الكامل المحدث الضابط المتقن المفيد محيي الدين أبو حامد محمد بن عبد القاهر بن عبد الرحمن بن الحسن السهروردي الموصلية أولاده: أم الفضل تركمان وأمة العزيز ملكة وأم الخير شرف ، والولد النجيب أبو محمد عبد الرحمن جبره الله حضر في اليوم الخامس من عمره في حجر أمه أمة الحق خاتون بنت يحيى بن فليح أرسلان ، والشيخ يحيى بن أبي بكر بن عبد القوي التومي الهذلي ، والشيخ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن الفتح المراكشي المقرئ ، وأحمد بن سعيد بن عمر بن حسن القواس الصوفي وهذا خطه ، والحاجة ملكة بنت أحمد بن أبي غالب الموصلية وآخرون . وصح ذلك وثبت في يوم الإثنين الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة

سماع^(١) على المشايخ الثمانية جزء انتخاب الطبراني لابنه أبي ذر بمسجد القاهر بسفح قاسيون سنة ٧٢٨ هـ

سمع جميع هذا الجزء [انتخاب الطبراني لابنه أبي ذر] على المشايخ الثمانية
الأجلاء المستندين المعمرين:

١ - شهاب الدين أبي العباس أحمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن محمد
ابن إبراهيم المقدسي.

٢ - وشهاب الدين أحمد بن الشجاع عبد الرحمن بن إبراهيم الصرخدي
الصالحى.

٣ - وشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن طرخان بن أبي الحسن
الصالحى.

٤ - وشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الدائم المقدسي.

٥ - وشرف الدين أبي العباس أحمد ابن قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن
حمزة بن أحمد المقدسي.

٦ - وأم علي فاطمة [بنت] عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي.

٧ - وأم الحسن فاطمة بنت عبد الرحمن بن عيسى الذهبي.

٨ - وأم عبد الله زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد
المقدسي.

(١) مجموع ١٠٥ ق ٢٤٢.

بسماعهم سوى ابن الشجاع من ابن عبد الدائم ، وبسماع ابن الشجاع وحضور بنت عوض أيضاً من خطيب مراده، بسماعهما من الثقفى وعلى تقي الدين أبى العباس أحمد بن أبى بكر بن طرخان بعض الجزء من أوائله وحضر قراءة جميعه .

بقراءة الشيخ الإمام العالم البارح المحدث الناقد الحافظ محب الدين أبى محمد عبد الله ابن المسمع الأول: أخوه الشيخ شمس الدين محمد ، وإبناه أحمد وعمر في الأولى ، وأحمد ابن المسمع الثالث ، وعبد الله ابن المسمع الخامس. والشيخ الإمام العلامة فخر الدين عثمان بن يوسف بن أبى بكر الأنصاري النويري المالكي ، والإمام العالم المحدث البارح سراج الدين أبو حفص عمر بن محمد بن علي الدمهورى المصرى ، ورفيقه الفقيه نور الدين علي بن عبد المجيد بن سليمان القليلي المصرى ، وأبو ذر محمد ابن الإمام فخر الدين النويرى ، والفقيه المحدث البارح عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير ، والإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن علي الحنفى النحوى المعروف بابن الصائغ المصرى. والشيخ بدر الدين الحسن بن علي بن محمد البغدادي الصوفى .

وتقى الدين صالح بن ناصر الدين منصور بن ريان بن نجم الغزى ابن قاضيها ، وأبو بكر بن محمد بن عبد الله بن كيثم الغزى ، ومحمود بن محمد بن أحمد بن غانم ، وأحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن سليمان البالىسى ، وحسن بن تقي الدين أحمد بن طرخان فى الثالثة ، وأخوه عمر ، وابن أخيهما محمد بن علي فى الأولى ، وأبو بكر بن علي بن أبى المجد بن أحمد مؤذن الربوة ، وشمس الدين محمد بن محمد بن عبد الواحد بن عبد الرزاق الشافعى ، وصدقة بن عثمان القاهرى فى الخامسة ، وفاطمة بنت محمد بن المعدل . . . بنت صلاح الدين محمد بن يمك الناصرى ، وفاطمة بنت الأمير علاء الدين علي ابن القاهر ، وصالحة بنت بدر الدين خليفة بن علي السعيدى ، وعائشة بنت مقبل . وكاتب السماع إبراهيم بن محمد بن علي بن محمد الجزرى . وضح وثبت فى يوم الإثنين الرابع والعشرين من شعبان سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بمسجد القاهر بسفح قاسيون ظاهر دمشق المحروسة . وأجاز المسمعون

حضور^(١) فاطمة بنت القاسم البرزالي لسماع الحديث الشريف على الشيخ فاطمة بنت سليمان في ذي الحجة سنة ٧٠٧ هـ^(٢) وهي محمولة وعمرها خمسة أشهر تقريباً

قال الوائي: وسمعت على أم عبد الله فاطمة بنت سليمان: الجزء الأول من «الأمالي المنتقاة العوالي» عن أبي القاسم عيسى بن علي الجراح، أخبرنا الفتح بن عبد السلام، أخبرنا هبة الدين الحسين بن الحارث، أخبرنا أبو الحسين أحمد ابن محمد ابن النقور، عنه.

بقراءة البعلي، وسمع السبكي، وابن زباطر وابنه، وابن خلف، وابن العلم، وابن قاضي بالس، وفاطمة بنت الحافظ أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف ابن البرزالي، وحاملها قوام، وصح في ذي الحجة [سنة ٧٠٧ هـ] بمنزلها بالحويرة. كتبه الوائي.

وسمع على أم عبد الله فاطمة بنت سليمان البرزالي لسماع الحديث الشريف على الشيخ فاطمة بنت سليمان في ذي الحجة سنة ٧٠٧ هـ وهي محمولة وعمرها خمسة أشهر تقريباً

* * *

(١) ثبت الوائي ق ١٠٦ (عام ١٠٩٧).

(٢) ولدت فاطمة البرزالية في ١٦ ربيع الأول سنة ٧٠٧ هـ.

سماع^(١) على الإمام زين الأمانة ابن عساكر جزء الحديث المسلسل بتحفة عيد الفطر بالجامع الأموي سنة ٦٠٢ هـ

وسمع جميع هذا الجزء... الحديث المسلسل على سيدنا الشيخ الإمام العالم الورع الثقة شرف الدين زين الأمانة أبي البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الشافعي ، بحق سماعه من عمه الشيخ الفقيه الإمام العالم الحافظ ناصر السنة محدث الشام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عبد الله الشافعي قدس الله روحه .

ابن أبو الحسن عبد الوهاب ومحمد بن أبي الفتح الحسن بن علي بن الحسن الشافعي ، والشيخ الأمين هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن رواحة . وكاتب السماع يوسف بن أبي الفرج بن مهذب الحموي التنوخي الشافعي وولده أبو محمد عبد العزيز وأبو العباس أحمد . وذلك في يوم عيد الفطر بعد العصر بجامع دمشق في الحيط [الحائط] الشمالي سنة اثنتين وست مئة للهجرة النبوية وصرح وثبت^(٢) .

وسمع جميع هذا الجزء على سيدنا الإمام العالم الورع الثقة شرف الدين زين الأمانة ابن عساكر الشافعي ، بحق سماعه من عمه الشيخ الفقيه الإمام العالم الحافظ ناصر السنة محدث الشام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عبد الله الشافعي قدس الله روحه . وكاتب السماع يوسف بن أبي الفرج بن مهذب الحموي التنوخي الشافعي وولده أبو محمد عبد العزيز وأبو العباس أحمد . وذلك في يوم عيد الفطر بعد العصر بجامع دمشق في الحيط الشمالي سنة اثنتين وست مئة للهجرة النبوية وصرح وثبت .

* * *

(١) عام ٣٨١٧ ق ١٩٩ .

(٢) يستفاد من هذا السماع تأكيد كاتب السماع أن التاريخ بالهجرة النبوية ، في حين ينكر بعض المعاصرين أن القدماء لم ينصوا على التاريخ بالهجرة النبوية لأنها معروفة .

سماع^(١) على الشيخ أبي المعالي محمد بن وهب ابن الزنف السلمي مجالس المخلص بمنزل الشيخ بدمشق سنة

٥٩٩ هـ

صورة سماع آخر

وسمعه [سبعة مجالس من «أمالي» المخلص] من أبي المعالي محمد بن وهب
ابن سلمان [السلمي ابن الزنف] بسماعه من أبي الدر [ياقوت الرومي]: عز الدين
أبو العساكر بن عبد الصمد بن علي الحموي وابنه محمد والولد أبو بكر محمد
بقراءة والده علي بن مظفر بن أبي القاسم النشبي ، ومن خطه نقلت ، والحاجة
عاشورا بنت أبي محمد بن يوسف المعروف بابن الرفيس زوج المسمع ، وبنت
المسمع أم الخير ، وياقوتة بنت عبد الله فتاة أبي محمد عبد العزيز أخي
المسمع ، وصح ذلك في يوم الخميس لعشر ليال خلون من شعبان سنة تسع
وتسعين وخمس مئة . بمنزل المسمع بحارة الزلاقة بنواحي باب الصغير والحمد
لله وحده^(٢) .

سورة الحمد
وسمعه من أبي المعالي محمد بن وهب ابن الزنف السلمي مجالس المخلص بمنزل الشيخ بدمشق سنة
٥٩٩ هـ من أبي الدر [ياقوت الرومي]: عز الدين أبو العساكر بن عبد الصمد بن علي الحموي
وابنه محمد والولد أبو بكر محمد بقراءة والده علي بن مظفر بن أبي القاسم النشبي ، ومن خطه
نقلت ، والحاجة عاشورا بنت أبي محمد بن يوسف المعروف بابن الرفيس زوج المسمع ، وبنت
المسمع أم الخير ، وياقوتة بنت عبد الله فتاة أبي محمد عبد العزيز أخي المسمع ، وصح ذلك
في يوم الخميس لعشر ليال خلون من شعبان سنة تسع وتسعين وخمس مئة . بمنزل المسمع
بحارة الزلاقة بنواحي باب الصغير والحمد لله وحده^(٢) .

* * *

(١) مجموع ٦٠ ق ١١٧ .

(٢) يستفاد من هذا السماع سماع عدد من أفراد أسرة واحدة .

سماع^(١) على الشيخ المسند محمد بن الحسن بن علي بن
الحسن ابن عساكر «أمالي» ابن سمعون بالمدرسة المقدمية
بدمشق سنة ٦٥٦ هـ

قرأت جميع هذا الجزء والأول قبله ، وهما جميع «أمالي» أبي الحسين ابن
سمعون الواعظ رحمه الله على الشيخ الجليل المسند الأصيل شمس الدين أبي
عبد الله محمد بن أبي الفتح الحسن ابن الحافظ مؤرخ الشام أبي القاسم علي ابن
عساكر ، بحق سماعه فيه من ابن طبرزد^(٢) وإجازته إن لم يكن سماعاً من التاج
الكندي بسندهما فيهما . فسمع ذلك كله أمين الدين أبو العباس أحمد بن عطف
ابن أحمد الكندي الرهاوي ، وكمال الدين أبو إبراهيم إسحاق بن يحيى بن
إسحاق الأمدي الحنفي ، وعلاء الدين أبو الحسن علي بن سالم بن سليمان
العرياني الحصني ، والحاج عبد الكريم بن عبد الله بن بدران السراج ، وولده أبو
عبد الله محمد ، وشرف الدين أبو بكر بن محمد بن ممدود الدمشقي ، وعلي بن
محمد بن أبي بكر السراج ، وأبو الطاهر أحمد بن يونس بن أحمد بن بركة
الإربلي ، وأبو عمر محمد ابن الحاج عبد الكريم المذكور أعلاه وفاته من أول
الأول ست ورقات ووجهة مع قراءة السند .

وصح وثبت في مستهل شوال سنة خمس وستين وست مئة بالمدرسة
المقدمية داخل مدينة دمشق حرسها الله ، وأجاز المسمع للسامعين جميع
مروياته ، ولفظ به عنه حين السؤال . وكتب فقير رحمة ربه علي بن مسعود بن
نفيس الموصلبي ثم الحلبي . عفا الله عنه .

(١) مجموع ١٧ق ٦٧ .

(٢) سمعه على الشيخ عمر ابن طبرزد في يوم الأحد سابع عشر جمادى الأولى سنة أربع
وست مئة . كما هو مذكور في السماع على الورقة نفسها ٦٧ أ مجموع ١٧ .

سماع^(١) على الإمام علي بن أيوب المقدسي ثلاثيات الإمام أحمد بقبة المعراج بالمسجد الأقصى سنة ٧٢٥ هـ

سمعت جميع الأحاديث الثلاثيات التي في مسند الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني رحمه الله ، على الشيخ الإمام العالم جامع أشتات الفضائل ، صدر المدرسين ، قدوة المحدثين ، مفتي المسلمين ، علاء الدين أبي الحسن علي بن أيوب بن منصور المقدسي ، نفع الله به ، بحق سماعه من الشيخة الصالحة زينب بنت مكّي بن علي بن كامل الحراني لجميع المسند ، وإجازته من الشيخ فخر الدين أبي الحسن علي بن البخاري بسنده فيه نقلاً .

فسمعه ولدي عماد الدين أبو الفضل محمد ، وآخرون مثبتون في طبقة السماع وضح ذلك وثبت بقراءة الشيخ ناصر الدين محمد بن أحمد بن منصور الجوهري . بقبة المعراج بالمسجد الأقصى ، عن يمين الصخرة الشريفة ، في يوم الثلاثاء ، الحادي عشر من شهر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة . وأجاز لنا روايته ، وجميع ما يرويه .

قاله وكتبه أبوبكر عبد الله بن إبراهيم بن محمود بن . . . بن خضر الحميري الكلاعي عفا الله عنه .

السماع والإجازة المذكوران صحيحان في الزمان والمكان ، وكتب المسمع علي بن أيوب بن منصور بن وزير بن راشد بن معن بن عبد العالي بن محمد بن إبراهيم الخواص المقدسي . حامداً مصلياً مسلماً^(٢) .

(١) مجموع ٩٨ ق ٢٠١ .

(٢) يستفاد من السماع نسب المسمع كاملاً وبخطه . ويستفاد أيضاً أنه سمع المسند على الشيخة زينب بنت مكّي الحراني . ويصحح نسبه في مطبوع الدرر الكامنة ٣ / ٣٠ .

شملت جميع الاطراف الثلاثة التي هي مستند الاعمال الى عدل الله لاجل جليل
 وهذا من انبعاث النبيا في يومه على الفصح الامام للعالم جامع اشياء القضاة
 صدر المدرس في رتبة اليه من صفته المشاهير علا الامير الى علي بن ابي طالب
 المقدس في شهره نحو ساعد من النبي العالم بنو يدعي علي بن ابي طالب الى الخ
 المستند و اجازته من المسح في الدرر الى الحسن بن علي بن ابي طالب في تلامذته
 فشيء في نبي عماد الدرر ابو الفيل محمد و اخرون من تلامذته في طبع السماع
 ومع ذلك و يدعي له المسح ما هو محمد بن احمد بن منصور الجوهري في سبب المعراج
 بالمسح الاضيق من الفقه الشريفه في يوم التلامذات الحادي عشر من شهر ربيع
 الحجة شهر جمادى و يلبس في سببهم و احار الفار و الله و هي ما يرويه فانه
 و حكمه لولا ان عملهم في شهر جمادى و در لاسر حصر الجوهري الكلاعي عليه السلام
 السماع و الاجازان المذكوران في الزمان و المكان و كتب في
 المسح على بن ابي طالب من منصوص في و ز من لا شئ من تعق بن عبد العالي

* * *

سماع^(١) على الشيخة زينب الحرانية ، وعلى الشيخة أم
الخير حبّونة المرسيّة جدة القاسم بن محمد بن يوسف
البرزالي جزءاً من حديث المخلص سنة ٦٨٣ هـ

قرأت هذا الجزء [من حديث المخلص] على الشيخة الصالحة المسندة أم
أحمد زينب ابنة مكّي بن علي بن كامل الحراني ، بإجازتها من أبي المظفر ابن
السمعاني ، بسنده المبين عن شيخه . على جدتي المرأة الصالحة الخيرة أم الخير
حبّونة ابنة إبراهيم بن محمد العسفيّة المرسيّة ، بإجازتها العامة من ابن
السمعاني .

فسمعه أخوأي إسماعيل ويوسف ، ووالدتي زينب ابنة سعيد بن يعلى
الغرناطي ، وفتاتها شاهان الأرمنية ، وست العرب بنت شرف الدين شرف بن
إلياس ، وبناتها ست العبيد ، وخديجة ، وفاطمة بنات الشيخ الإمام شرف الدين
محمد بن الشيخ عثمان الرومي متع الله به ، وولدا ست العبيد والدة الأخوان
للأم يوسف بن شمس الدين محمد بن أبي بكر التاجر بالزيادة وست الرضي في
السنة الأولى . . ، ابنة الشيخ حسن بن حامد الأخضرّي ، وولد خديجة : محمد
ابن علي بن إبراهيم المروزي ، وعائشة بنت محمد بن الحسن ، وولدها محمد
ابن الشيخ عثمان ابن الشيخ شرف الدين الرومي المذكور في أواخر السنة
الأولى^(٢) .

وصح ذلك وثبت في مجلس واحد يوم الثلاثاء خامس عشري ربيع الآخر سنة
ثلاث وثمانين وست مئة ببستان الماردانية الموقوف على المرشدية بالجبل .

(١) مجموع ٩٧ ق ١٢٧ .

(٢) يلاحظ سماع القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي ، وجدته ، وأخويه ، ووالدته ،
وعدد من النسوة وأولادهم .

سماع^(١) على الشيوخ الثلاثة أبي بكر بن محمد المقدسي وعبد
الرحيم الطباخ ، والشيخة زينب بنت يحيى بن العز بن عبد السلام
جزء انتخاب الطبراني لابنه ببستان ابن عبد السلام بسفح قاسيون
سنة ٧٣٢ هـ:

ويلاحظ سماع عدد من أسرة بني عبد السلام:

سمع هذا الجزء وهو (انتخاب الطبراني) على المشايخ الثلاثة عماد الدين أبي
بكر بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسي ، وأبي محمد
عبد الرحيم بن عثمان بن علي الطباخ ، وأم عمر زينب بنت يحيى بن عبد العزيز
ابن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي . بسماع الأول من خطيب مردا [محمد بن
إسماعيل] وابن عبد الدائم ، وبسماع المرأة من إبراهيم بن خليل [الأرمي
الدمشقي] بسماعهم من الثقفي ، وبسماع المسمع الثاني من فخر الدين ابن
البخاري ، بإجازته من اللبان والصيدلاني ، بسماعهم من الحداد .

بقراءة الشيخ الإمام العالم الحافظ محب الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد
ابن المحب عبد الله بن أحمد المقدسي: ابنه أبو الفتح أحمد ، وأبو حفص عمر
في الخامسة ، وتقي الدين عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد القادر
ابن الصائغ ، وابنه محمد في الرابعة ، وأخوه زين الدين عبد الرحمن ، وابن
عمهما شمس الدين محمد بن فخر الدين محمد ، والشيخ حسن بن علي بن
محمد البغدادي الصوفي ، وشهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن أيوب الحنفي ،
وتقي الدين أحمد بن العلم بن محمود بن عمر الحراني ، وابنه عبد الوهاب في
الخامسة وفتاه سعيد ، ونجم الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن
طرخان ، وشمس الدين محمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الدايم بن

(١) مجموع ١٠٥ ق ٢٤٣ - ٢٤٤ .

نعمة المقدسي ، والشيخ حسن بن إسماعيل بن محمد بن مكنا الصالحي ،
وأحمد بن علاء الدين علي بن أحمد بن الحسن بن عبد الله بن عبد الغني
المقدسي ، ومحمد بن ناصر الدين محمد بن الشيخ فخر الدين علي بن أحمد بن
عبد الواحد ابن البخاري .

ولطفة بنت عبد الله عتيقة المسمعة ، وبتاها: آسن في الثانية ، وعائشة في
الأولى وبتا أبي بكر بن أحمد بن محمد بن إسرائيل ابن قيم [المدرسة] المعينية .

ومحمد بن عبد الله قطليتا الصحراوي أبوه عتيق الكمال الماوردي . وضيفة
بنت عمر بن محمد الصحراوي وبتاها أسامي وزاهدة بنتا محمد بن سعيد الطحان .

وأسماء بنت ناصر الدين أحمد أخي المسمعة ، وصالحة بنت الحاج رضي
ابن سلطان بنت المسمعة ، وأختها لأمها فاطمة بنت علاء الدين علي بن الأمير
سيف الدين قطبغا المنصوري^(١) .

ومحمد بن يحيى بن محمد بن سعد بن عبد الله المقدسي وهذا خطه ، وابن
أخته محمد بن الشيخ عز الدين عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر
في آخر الرابعة ، وابن أخته أبو بكر بن إبراهيم بن عز الدين محمد بن إبراهيم
ابن عبد الله بن أبي عمر .

وسمع من قوله: إذا وجد ما يودي فاحتجبي منه: خديجة بنت أحمد بن
سيف المهتار وزمرد بنت يوسف بن أحمد الخباز أبوها وسمع من قوله: فقامت
أم سليم إلى فم القرية فقطعته: الشيخ محمد بن أحمد بن المحب أخو القاري ،
وابنه أحمد في الخامسة ، والشيخ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن
عبد الرحمن بن نوح المقدسي وولده عبد الرحمن في الخامسة ، وعائشة في
الثانية ، وأمهما^(٢) التي بنت لاجين عتيق الرشيد ، وزين الدين خضر بن محمد
بن عثمان الشرفي الجندي وابناه محمد وعلي في الرابعة ، وأمهما صالحة بنت
عز الدين أيك بن عبد الله الجندي عتيق السيوفي ، وإبراهيم بن محمد بن محمد
بن حمد الدماميني عرف بابن نازه ، وزينب بنت عبد الله بن يونس النجار ،
وابنها أبو بكر في الأوله بن قطليشا أخو المذكور .

(١) يلاحظ في هذا السماع سماع عدد من أفراد أسرة بني العز بن سلام .

(٢) ولها بنت أخرى انظر أسمها في آخر السماع .

فوائد في السرعة في سماع كتب الحديث الشريف وفوائد في علو الإسناد بدمشق

قال ابن طولون في ذخائر القصر المخطوط الورقة ٥٨ :

إن أسرع شيء وقع للحافظ أبي الفضل ابن حجر أنه قرأ في رحلته الشامية «معجم أبي القاسم الطبراني الصغير» في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر. وهذا الكتاب مجلد يشتمل على نحو ألف حديث وخمسمائة حديث ، لأنه خرج فيه عن ألف شيخ ، عن كل شيخ حديث أو حديثان .

وحدث بالصحيح من لفظه بالخانقاه البيرونية في عشرة مجالس ، كل مجلس منها أربع ساعات ، وقد سأله الشيخ السخاوي فقال له : يا سيدي كما في شريف علمكم ، إن الحافظ أبا بكر الخطيب البغدادي لقي كريمة المروزية بمكة فقرأ عليها الصحيح في أيام منى ، فهل وقع لكم استيفاء يوم في القراءة^(١)؟ فقال : لا ، ولكن قراءتي الصحيح في عشرة مجالس لو كانت متوالية لنقصت عن هذه الأيام ، وأين الثريا من الثرى ، فإن الخطيب قرأه في غاية من الصحة والجودة والإفادة وإبلاغ السامعين . قلت : هكذا قلت لشيخي وأقرني عليه ، والذي رأيته الآن في ترجمة الخطيب أنه قرأه في خمسة أيام وأظنه الصواب .

ثم رأيت في ترجمة إسماعيل بن أحمد بن عبد الله النيسابوري الحيري من «تاريخ» الخطيب أنه قدم حاجاً في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، وكان معه حمل كتب ليجاور فرجع الناس لفساد الطريق فعاد إلى نيسابور ، وكان في جملة كتبه «البخاري» قد سمعه من الكشميهني فقرأت عليه جميعه في ثلاثة مجالس

(١) الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين للقاسمي ص ٢١٢ .

اثنان منها في ليلتين كنت أبتدئ بالقراءة وقت المغرب ، وقبل أن أقرأ الثالث عبر الشيخ إلى الجانب الشرقي مع القافلة فمضيت إليه مع طائفة كانوا حضوراً الليلتين الماضيتين فقرأت عليه من ضحوة نهار إلى المغرب ، ثم من المغرب إلى طلوع الفجر ففرغ الكتاب ، ورحل الشيخ صبيحة إذ.

وحكاها الذهبي في ترجمة الخطيب من «تاريخه» فقال: إنه قرأه جميعه في ثلاثة مجالس. قال: وهذا شيء لا أعلم أحداً يستطيعه في زماننا.

ورأيت في ثبت الشهاب الحمصي الخطيب أنه قرأه في ستة مجالس في العشر الأخير من رمضان سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة بحضرة قاضي القضاة قطب الدين محمد بن محمد الخضري وخلق. وقال: إن الخطيب البغدادي قرأه في ثمانية مجالس وافتخر بذلك ، وأنت يا شهاب قرأته في ست ، فحكيت ذلك لشيخنا أبي المفاخر عبد القادر بن محمد النعيمي فأنكره ، وقد اتفق للجمال العسكري أنه قرأه في ثلاثة أيام وإلى العصر من اليوم الرابع في العشر الأخير من ربيع الآخر سنة ثمانين وثمانمائة على شيخنا أبي البقاء محمد بن أبي بكر بن أبي عمر الصالحي ، واتفق لي أنني قرأته أجمع على المعتقد أبي العباس أحمد بن محمد الصوفي في ثلاثة أيام آخرها خامس عشر أيار من شهور سنة ألف وثمانمائة وست وستين من تاريخ الإسكندر الرومي وهي من أطول أيام السنة ، وتقدم أن الزين العسكري ابن عم المذكور قرأه علي في خمسة مجالس وحضر المجلس الأخير الشيخ محيي الدين النعيمي المشار إليه.

وقال القاسمي^(١): ومن أغرب ما منح الله به العلامة الفيروز آبادي أنه قرأ بدمشق على ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن جهبل «صحيح مسلم» في ثلاثة أيام ، وصرح بذلك في ثلاثة أيام فقال:

قرأت بحمد الله جامع مسلم بجوف دمشق الشام جوفاً لإسلام
على ناصر الدين الإمام ابن جهبل بحضرة حُفَاظِ مشاهيرِ أعلام
وتَمَّ بتوفيق الإله وفضلهِ قِرَاءَةً ضَبِطَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
ويقرب من هذا ما في «ذيل ابن فهد» على «ذيل الشريف أبي المحاسن» في

(١) أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقي، أصله من الكرد ، تعلم ونبع في مصر ، له رحلات ، من كبار حفاظ الحديث . توفي بالقاهرة (٨٠٦ هـ).

«طبقات الحفاظ» ما نصه: وقرأ الحافظ أبو الفضل العراقي^(١) «صحيح مسلم» على محمد بن إسماعيل الخباز بدمشق في ستة مجالس متوالية، قرأ في آخر مجلس منها أكثر من ثلث الكتاب وذلك بحضور الحافظ زين الدين ابن رجب وهو يعارض بنسخته.

وفي «تاريخ الذهبي» في ترجمة إسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري الضرير^(٢) ما نصه: قد سمع عليه الخطيب البغدادي بمكة «صحيح البخاري» سماعه من الكشميهني في ثلاثة مجالس، قال: وهذا شيء لا أعلم أحداً في زماننا يستطيعه. انتهى. أفاده السيد مرتضى الزبيدي في مقدمة «شرح القاموس»^(٣).

وقال السخاوي: وقع لشيخنا الحافظ ابن حجر أجلّ مما وقع لشيخه المجد اللغوي فإنه قرأ «صحيح مسلم» في أربعة مجالس سوى مجلس الختم في يومين وشيء، وقرأ «سنن ابن ماجه» في أربعة مجالس، وقرأ كتاب «النسائي الكبير» في عشرة مجالس كل مجلس منها نحو أربع ساعات، وقرأ «صحيح البخاري» في عشرة مجالس كل مجلس منها أربع ساعات. ثم قال السخاوي: وأسرع شيء وقع له، أي لابن حجر، أنه قرأ في رحلته الشامية «معجم الطبراني الصغير» في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر. قال: وهذا الكتاب في مجلد يشتمل على نحو ألف وخمسمئة حديث. انتهى. فرحم الله هذه الهمم العالية وأسكنها غرف الجنان السامية.

وقال الشيخ جمال الدين القاسمي^(٤):

وقد اتفق لي بحمده وتعالى قراءة «صحيح مسلم» بتمامه روايةً في أربعين يوماً، وقراءة «سنن ابن ماجه» كذلك في واحدٍ وعشرين يوماً، وقراءة «الموطأ» كذلك في تسعة عشر يوماً، وقراءة «تهذيب التهذيب» مع تصحيح سهو القلم فيه وتحديثه في نحو عشرة أيام، فدع عنك أيها اللائم الكسل، واحرص على عزيز وقتك بدرس العلم وإحسان العمل، فَلَعَمْرُؤُ الْحَقُّ إِنَّ هَذَا الشَّرْحَ، وَإِنْ طَالَ

(١) أبو عبد الرحمن مفسر من فقهاء الشافعية من أهل نيسابور، توفي عام (٤٣٠ هـ).

(٢) من ترجمة وافية للفيروز آبادي أثبتتها الزبيدي في مقدمة التاج (١/ص ٤١-٤٦).

(٣) الفتح المبين على عقد الجواهر الثمين للقاسمي ص ٢١٢.

(٤) الفتح المبين بشرح الأربعين العجلونية ص ٥٤.

حجمه ، لا يُملُّ تصفحه وقراءته وفهمه ، فكلما زدت من جواهره التقاطاً ، ازدادت تبحراً في العلم ونشاطاً ، وحيثما جُلَّت في رياضه شُمَّت فرائد من مصطلح الحديث ، وفوائد من تراجم أمهات الدين ومصنفيها ، وبدائع تحقيقات تكشف غُمَّ الأوهام. وظنيت بالمعترض لو اقترح عليه جمعُ ترجمةٍ لكتابٍ منها مع التعريف بمصنِّفه لنكص على عقبيه ، واعتذر بحاجته إلى مراجعة مواد تثقل عليه ، إذ وقته العزيز الكامل - أستغفر الله - بل الذاهب بلا طائل ، يضيق عن ذلك ، فرحم الله من عرف قدره ، ولم يتعدَّ طوره ، وشكر لذوي الفضل نعماءهم ، ولم يبخس الناس أشياءهم.

وذكر المرادي في ترجمة الشيخ محمد بن عبد الله المغربي المالكي نزيل المدينة المنورة ، قدمها سنة ١١٢٥ هـ وتوطنها وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي ، وعن عبد الله بن سالم البصري المكي لما قدم المدينة ، وقرأ في الروضة المطهرة «مسند الإمام أحمد» وكان هو المعيد له وأتمه في ستة وخمسين مجلساً. توفي سنة ١١٤١ هـ ودفن بالبقيع^(١).

وقد اتفق لأخينا فضيلة الشيخ محمد ابن شيخنا الشيخ إبراهيم اليعقوبي أنه عقد مجالس لسماع «صحيح مسلم» في جامع الشيخ محيي الدين ابن عربي . وقال الحافظ^(٢) ابن حجر في ترجمة عائشة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسية ثم الصالحية: ولدت في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، وعمرت إلى أن لم يبق من سمع من أبي العباس الحجاز في الدنيا غيرها. وماتت في ربيع الأول سنة ست عشرة وثمان مئة.

وهي آخر من حدّث بـ«صحيح البخاري» عالياً بالسماع. ومن الاتفاق العجيب أن ست الوزراء وزيرة بنت عمر بن أسعد بن المنجّي التتوخية كانت آخر من حدث من النساء عن ابن الزبيدي في الدنيا وماتت سنة ست عشرة وسبع مئة ، وعائشة هذه ضاهتها في وفاتها سنة ست عشرة وثمان مئة وزادت عليها بأنه لم يبق من الرجال أيضاً من سمع من الحجاز رفيق ست الوزراء في الدنيا غيرها ، وبين وفاتيهما مائة سنة سواء.

(١) سلك الدرر ٦٠/٤ .

(٢) المجمع المؤسس ٣٥١/٢ .

قال ابن الأنماطي: (١) أسمعته أبوه أي والد حنبل بن عبد الله الواسطي (المسند) بقراءة ابن الخشاب في شهري رجب وشعبان سنة ثلاث وعشرين (وخمس مائة) وسمعت منه جميع «المسند» ببغداد أكثره بقراءتي عليه في نيف وعشرين مجلساً ، ولما فرغتُ من سماعه أخذت أرغبه في السفر إلى الشام فقلت: يحصل لك من الدنيا طرف صالح وتقبل عليك وجوه الناس ورؤساؤهم فقال: دعني فوالله ما أسافر لأجلهم ، ولا لما يحصل منهم ، وإنما أسافر خدمة لرسول الله ﷺ أروي أحاديثه في بلد لا تُروى فيه ، ولَمَّا عَلِمَ الله منه هذه النية الصالحة أقبل بوجوه الناس إليه وحرك الهمم للسمع عليه ، فاجتمع إليه جماعة لا نعلمها اجتمعت في مجلس سماع قبل هذا بدمشق ، بل لم يجتمع مثلها قط لأحد ممن روى «المُسند» .

* * *

(١) سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٨ .

نُصُوصٌ غَيْرُ مَنشُورَةٍ عَنِ الزَّلَازِلِ^(١)

مِن سَنَةِ ٩١٤ وَحَتَّى سَنَةِ ١١٢٤ هـ / ١٥٠٨ - ١٧١٢ م

تمهيد:

سبق أن نشر الأستاذ مصطفى أنور طاهر «نصوصاً تاريخية لمؤرخين دمشقيين عن زلازل القرن الثاني عشر الهجري» وقدم لها بتمهيد عن الزلازل وأثرها في التدمير الحضاري وتاريخها عبر القرون ، وأشار إلى رسالتين أولاهما: (كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة)^(٢) للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ. والثانية: رسالة (تحصين المنازل من هول الزلازل)^(٣) لعلي بن محمد الجزار المتوفى سنة ٩٨٤ هـ.

وأثناء بحثي ومراجعاتي في مؤلفات الشيخ عبد الغني النابلسي عثرت على مجموع بخطه في المكتبة الظاهرية برقم ٧١٣٦ عام، وفيه فوائد تاريخية وأدبية وفقهية وغيرها وضمنه أيضاً رسالة: (كشف الصلصلة) للسيوطي ، وبآخرها زوائد للإمام الداودي وشيخ الإسلام البدر الغزي ، وابنه المؤرخ الحافظ النجم

(١) نشرها المؤلف في مجلة المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٨٢ م.

(٢) نشرت رسالة «كشف الصلصلة» في الهند مرتين: إحداها ضمن رسائل تسع للسيوطي، والثانية ضمن رسائل عشر أيضاً غير أن الطبعين ناقصتان من آخرهما. فالأولى طبع منها خمس صفحات فقط ، والثانية طبع منها ثماني عشرة صفحة وهي تنتهي بزلازل عام ٦٥٤ هـ. وطبعت أيضاً في المغرب بتحقيق عبد اللطيف السعداني (وزارة الثقافة) ١٩٧١ ، ولها ترجمة للفرنسية قام بها بهاء سعيد النجار، الرباط ١٩٧٣ - ١٩٧٤ وفي المكتبة الظاهرية نسختان خطيتان الأولى بخط الشيخ النابلسي كتبها سنة ١١١٧ هـ. وهي برقم ٧١٣٦ وتبدأ بالورقة ١٢٤ وهي في ١٥ ورقة أما النسخة الثانية فهي في ٢١ ورقة وهي برقم ٦٦٥٨ عام وتبدأ بالورقة ٤٣.

(٣) رسالة مخطوط تحتفظ دار الكتب المصرية بنسخة منها برقم ٢٤٠ مصطفى فاضل.

الغزي ، ثم ما رآه الشيخ النابلسي في هامش أحد الكتب ، وما شاهده وسمعه عن الزلازل .

وهذه الزيادات تقع بين الورقة ١٤٠ - ١٤٣ ومقياسها ٢١×١٣ سم ومسطرتها ٢٤ سطراً بخط نسخ جيد جمعها الشيخ النابلسي بخطه وانتهى من كتابتها سنة ١١٧ هـ . ثم أضاف بعد ذلك زلزلة حصلت سنة ١١٢٤ هـ .
وتكمل هذه الزيادات الفترة التي تلي ما جمعه السيوطي وحتى سنة ١١٢٤ هـ .

أما الداودي الذي بدأ هذه الزيادات فهو شمس الدين محمد بن علي بن أحمد^(١) ، المحدث الحافظ صاحب التأليف المتعددة منها: طبقات المفسرين وترجمة شيخه السيوطي . توفي بالقاهرة سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٩ م .

والبدر الغزي هو محمد بن محمد بن محمد^(٢) ، الفقيه ، المفسر ، المحدث ، المشارك في علوم عدة ، تولى كثيراً من الوظائف الدينية ، ودرس بمدارس متعددة وله مؤلفات كثيرة ، توفي بدمشق سنة ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م .

والنجم الغزي هو محمد بن محمد بن محمد^(٣) ، المحدث المسند ، المؤرخ الأديب ، له تصانيف كثيرة توفي بدمشق سنة ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م .

أما جامع النصوص فهو الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي^(٤) الصوفي الفقيه المؤرخ ، الأديب الشاعر ، المشارك في علوم مختلفة توفي سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

ولا شك أن هذه النصوص التي أقدمها تكمل النقص بين ما ألفه السيوطي والجزار وبين ما نشره الأستاذ مصطفى أنور طاهر .

وأنتهز هذه الفرصة لأشكر الأستاذ الدكتور تييري بيانكي والدكتور جان بول باسكول لما أبدياه من تشجيع في نشر هذه النصوص .

* * *

-
- (١) معجم المؤلفين ، ١٠ / ٣٠٤ .
 - (٢) معجم المؤلفين ، ١١ / ٢٧٠ .
 - (٣) معجم المؤلفين ، ١١ / ٢٨٨ .
 - (٤) معجم المؤلفين ، ٥ / ٢٧١ .

| اسم المؤلف | سنة الزلزلة | مكان حدوثها | نوعها |
|-------------------------------|-------------|-------------|------------------|
| هجري | ميلادية | | |
| شمس الدين محمد بن علي الداودي | | | |
| ٩١٤ | ١٥٠٨ | القاهرة | زلزلة لطيفة |
| ٩١٦ | ١٥١٠ | القاهرة | زلزلة لطيفة |
| ٩١٨ | ١٥١٢ | القاهرة | زلزلة لطيفة |
| ٩٣١ | ١٥٢٤ | القاهرة | زلزلة لطيفة |
| ٩٣٣ | ١٥٢٦ | القاهرة | زلزلة لطيفة |
| ٩٣٦ | ١٥٢٩ | القاهرة | زلزلة لطيفة |
| ٩٣٨ | ١٥٣١ | القاهرة | زلزلة لطيفة |
| ٩٤٣ | ١٥٣٦ | القاهرة | زلزلة لطيفة جداً |

بدر الدين الغزي

| | | | |
|-----|------|------|-------------------------|
| ٩٤٣ | ١٥٣٦ | دمشق | زلزلة لطيفة |
| ٩٧١ | ١٥٦٣ | دمشق | زلزلة لطيفة ورجفة شديدة |
| ٩٧٢ | ١٥٦٤ | دمشق | زلزلة لطيفة ورجفة |

نجم الدين محمد الغزي

| | | | |
|-----|------|------|-------------|
| ٩٩٦ | ١٥٨٧ | تبوك | زلزلة عظيمة |
|-----|------|------|-------------|

| | | | |
|-------------|--------|------|------|
| زلزلة عظيمة | دمشق | ١٦٠٣ | ١٠١٢ |
| زلزلة | بعلبك | ١٦٠٦ | ١٠١٥ |
| زلزلة عظيمة | البقاع | ١٦٠٣ | ١٠١٢ |
| صاعقة هائلة | دمشق | ١٦٠٣ | ١٠١٢ |
| زلزلة عظيمة | حلب | ١٦٠٩ | ١٠١٨ |
| زلزلة لطيفة | دمشق | ١٦١٧ | ١٠٢٧ |
| زلزلة | در كوش | ١٦١٩ | ١٠٢٩ |
| زلزلة لطيفة | دمشق | ١٦٢٥ | ١٠٣٥ |
| زلزلة لطيفة | حماة | ١٦٢٥ | ١٠٣٥ |
| زلزلة شديدة | دمشق | ١٦٢٧ | ١٠٣٧ |

النبلسي

| | | | |
|---------------------------|------|------|------|
| بلاد العجم زلزلة عظيمة | | ١٦٤٠ | ١٠٥٠ |
| بلاد الشوف زلزلة عظيمة | | ١٦٨٣ | ١٠٩٥ |
| دمشق وقراها زلزلة متتابعة | | ١٧٠٥ | ١١١٧ |
| قرية القسطل زلزلة شديدة | | ١٧٠٥ | ١١١٧ |
| قرية يبرود زلزلة شديدة | | ١٧٠٥ | ١١١٧ |
| زلزلة | دمشق | ١٧١٢ | ١١٢٤ |

* * *

[قال النجم الغزي]: [١٣٩/ب]

الحمد لله ، رأيت بخط شيخ الإسلام والدي البدر الغزي في آخر نسخة لهذا الكتاب^(١) التي كتبها بخطه في سنة اثنتين وخمسين و تسعمائة بالقاهرة ما نصه : ورأيت بخط الشيخ العلامة شمس الدين الداودي تلميذ المصنف في آخر نسخة من هذا الكتاب بخطه أيضاً ما لفظه :

زوائد :

- في ليلة الثلاثاء سلخ المحرم سنة أربع عشرة وتسعمائة زلزلت مصر زلزلة لطيفة .

- وفي يوم الجمعة بعد العصر سابع [ذي] الحجة سنة ست عشرة وتسعمائة [زلزلت] كذلك .

- وفي يوم الإثنين عشري المحرم سنة ثمان عشرة وتسعمائة زلزلت كذلك مقدار ربع درجة قبل الظهر .

- وفي ليلة السبت سابع عشر جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وتسعمائة زلزلت بعد العشاء كذلك .

- وفي ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة حصلت زلزلة لطيفة كذلك .

- ثم وقعت زلزلة لطيفة في ضحوة يوم الأحد النصف من شوال سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة .

وفي أواخر ليلة الجمعة عاشر شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وتسعمائة زلزلت مصر زلزلة لطيفة نحو نصف درجة .

(١) هي رسالة السيوطي «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة» .

- وفي ليلة الأربعاء سابع [ذي] الحجة سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة زلزلت مصر زلزلة لطيفة.

- وقعت زلزلة لطيفة جداً في ليلة الثلاثاء سادس عشر رجب سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة.

انتهى ما وجدته [١٤٠] شيخ الإسلام الوالد بخط الحافظ الداودي القاهري.

ثم قال الوالد [بدر الدين الغزي] رحمه الله تعالى:

قلت: وهذه الزلزلة وجدت بالشام أيضاً، وأردفها أيضاً في تلك السنة زلزلة لطيفة سابع عشر رمضان يعني سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة.

ثم قرأت بخط الوالد أيضاً ما نصه:

- في الثلث الأخير من ليلة يسفر صباحها عن يوم الإثنين رابع عشر شهر المحرم الحرام سنة إحدى وسبعين وتسعمائة وقعت زلزلة ورجفة شديدة ، ومعها دوي في الأرض واستمر أكثر من درجة بل قريباً من درجتين ، وتهدم منها بعض بيوت ، وانشق جدران.

- في الثلث الأخير من ليلة يسفر صباحها عن يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة الحرام سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة وقعت زلزلة ورجفة مع دوي في الأرض واستمر نحو درجة.

انتهى ما وجدته بخط الوالد رضي الله عنه .

[قال النابلسي]: هذا لفظ ما وجدته بخط النجم الغزي رحمه الله تعالى ، حتى إنني وجدت بخطه أيضاً في الهامش قوله: كان كتابة هذا الكتاب في مجالس آخرها في غدوة يوم الخميس خامس عشر المحرم الحرام سنة خمس عشرة وألف.

[قال النابلسي]: ثم إنني وجدت في ذيل هذه النسخة أيضاً بخط النجم الغزي رحمه الله تعالى ما صورته:

- في سنة ست وتسعين وتسعمائة في أوائل صفر زلزلت زلزلة عظيمة وقعت منها قلعة تبوك^(١) والحجاج بها.

- وفي ليلة السبت حادي عشر شوال سنة اثنتي عشرة وألف في وقت آذان العشاء وقعت بدمشق زلزلة خرج منها بعض السقوف حتى رئي السماء.

- ثم حدثني أهل البقاع بوقوعها ساعتئذ عندهم.

- ووقع ليلة الإثنين ثاني عشر [ذي] القعدة سنة اثنتي عشرة وألف صاعقة هائلة بدمشق على منارة جامع التوبة^(٢) فأسقطت أعلاها ، واحترق حانوت السمان على باب الجامع المذكور ، وكان في حانوت آخر قنب فصار فحماً ، وكان عندنا بالبيت شجرة عنب أثمرت سنوات ، وفي هذه السنة طلعت عيونها وظهر حملها فأصبحت صبيحة تلك الليلة يابسة من عروقها إلى أصولها ، كأنها جفت من قديم ، وكان وقت سقوطها في ثلث الليل الأخير.

- بلغني أن حلب ونواحيها زلزلت زلزلة عظيمة هائلة في عشية يوم الأحد حادي عشر [ذي] الحجة الحرام عند الغروب سنة ثمانى عشرة وألف.

- وفي ليلة الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وألف زلزلت الأرض بعد العشاء بنحو عشرين درجة وكنا بيبعلبك.

- وفي آخر يوم الأربعاء خامس عشر رجب [١٤٠ ب] سنة سبع وعشرين وألف قبل الغروب بدرجتين زلزلت الأرض زلزلة لطيفة.

وفي أثناء شعبان زلزلت الأرض زلزلة لطيفة.

وفي سنة تسع وعشرين وألف سقط من الجبل الذي في ظلّه قرية دركوش^(٣) على حارة منها فانهدمت عدة بيوت ، منها بيت قهوة فهلك تحتها نحو سبعين نفساً ، وكأنه لزلزلة كانت.

(١) تبوك: بالفتح ثم الضم، موضع بين وادي القرى والشام وهو حصن. (معجم البلدان).

(٢) جامع التوبة: بالعقبة أنشأه الملك الأشرف موسى بن الملك العادل الأيوبي سنة ٦٣٢ هـ (الدارس ٤٢٦/٢).

(٣) قرية دركوش: حصن قرب أنطاكية. (معجم البلدان).

بالأسلحة فلم يجدوا أحداً [١٤١آ] حتى تحققوا أن ذلك زلزلة ، وكان غالبهم يعلم ذلك .

- ثم إنه في تلك الليلة بعد مضي ساعة حصلت زلزلة أخرى أقوى من الأولى ، وأشد منها وكان الماضي من الليل إحدى عشرة ساعة بحيث اضطربت علينا السقوف ورجفت الأرض فخرجنا جميعاً إلى صحراء البيت ، وسمعنا لأهل الشام في بيوتهم ضجيجاً وصياحاً ، وكانت هذه الزلزلة الثانية مقدار الدرجة أو الدرجتين ، ثم سكنت الأرض فجلسنا في البيت الذي كنا فيه وعملنا هذه السبعة أبيات مع التاريخ وكتبها من كان معنا من الحاضرين وهي هذه:

أيها الناس جانبوا البغضا بينكم وأشفقوا على المرضى
واتقوا الله واعبدوه ولا تهملوا سنة ولا فرضا
واتركوا الظلم بينكم ودعوا غيبة ، صار شرها محضا
والرِّبَا والرِّبَا بأجمعه والزُّنَا واحفظوا لكم عسرضا
وبهذا ونحوه أبدا لا تظنوا إلهنا يرضى
فالرقيب الرقيب مطلع وأمره ليس يقبل النقضا
إنما الله كيف شاء بنا أرخوه يزلزل الأرضا

سنة ١١١٧

- ثم إنه حصل عقيب تلك الزلزلة بعد درجتين أو ثلاث زلزلة أخرى خفيفة ثم استمر الأمر بعد ذلك إلى أن دخل شهر رمضان يقع في كل يوم وكل ليلة زلزلة خفيفة يشعر بها بعض الناس والبعض لا يشعر فنظمتنا في ذلك قولنا مع التاريخ أيضاً:

زلازل في جلق الشام قد تابعت تعجز توصيفكا
والله قد كررها آية يريد في التاريخ تخويفكا

وقد حصل من الزلزلة الثانية التي ذكرناها بأن وقعت بيوت وتهدمت جدران وتقلقت سقوف وبنيات في دمشق وخارجها وفي القرى حتى إنه هلك تحت الردم في القرى خلق كثير ، وانشق أعلى المنارة الشرقية في جامع بني أمية ، وسقط حجران من أعلى المنارة الغربية ، ولم يحصل من ذلك [١٤١ب] ضرر ،

وسقط في الصالحية أعلى منارة المرشدية^(١) ، ومنارة جامع الأفرم^(٢) وحصّة من البنيان في مغارة الدم أعلى جبل قاسيون.

- وبلغنا أن قلعة القسطل^(٣) وقربتها انهدمتا.

- وكذلك دير في يبرود^(٤) ، وبيوت كثيرة في القرى.

- ثم إنه اتفق أنه وردت الزينة السلطانية في أثناء ذلك ، وأمرت الناس بإظهار الفرح والسرور وعمل العراضات ففعلوا ما لا مزيد عليه من أنواع الملاهي ، والزلازل اللطيفة حاصلة مع ذلك ، فمن الناس من يشعر بذلك فيخاف ويخشى ، ومنهم من لا يشعر بذلك ويستغرقه اللهو ، فبالغ الناس أولاً في الخوف والوهم حتى اعترى الوسواس كثيراً من الناس ، ثم بالغوا ثانياً في أثناء ذلك في الأمن والراحة واللعب واللهو والسخرية والاستهزاء ببعضهم بعضاً فقلت في ذلك مؤرخاً ما هنالك :

قد أتت زلزلة ثم أتت زينة هذي بهذي وقّت
ضجّت الناس من الخوف بذوي وعن اللهو بذوي ما انكفّت
واعترى الناس بذوي وسوسةً وبذوي بعض العقول التفتت
فكان الناس [جُنّوا]^(٥) بهما حيث أرخت (بلاد خفت)

ومن تأمل لفظ «زلزلة» ولفظ «زينة» وجد بين معناهما نسبة التضاد ، لأن إحداهما تقتضي الحزن والأخرى تقتضي المرح ، وبين لفظيهما مناسبة أيضاً ، فإن الزاي والهاء مبدأ كل واحدة منهما وختامها ، وفي العدد مناسبة أيضاً فإن اللامين بستين في «زلزلة» والياء والنون بستين في «زينة» غير أن الزاي مكرر في «زلزلة» والتكرار ساقط فهذه عين هذه ، والأمر الإلهي واحد وقال تعالى :

(١) المرشدية: هي مدرسة للحنفية ومسجد بالصالحية على نهر يزيد ، أنشأتها خديجة بنت الملك المعظم الأيوبي سنة ٦٥٤ هـ (الدارس ١/٥٧٦).

(٢) جامع الأفرم: غربي الصالحية بناه الأمير جمال الدين نائب السلطنة الأفرم سنة ٧٠٦ هـ (الدارس ٢/٤٣٥).

(٣) القسطل: بالفتح ثم السكون: موضع بين حمص ودمشق (معجم البلدان).

(٤) يبرود: بلدة بين حمص وبعلبك، فيها عين جارية عجيبة وباردة وبها - فيما قيل -

سميت، وتجري تحت الأرض إلى الموضع المعروف بالنبك (معجم البلدان).

(٥) طمس في الأصل، وما أثبتته فلاقامة الوزن الشعري.

﴿وَأَنْتَ هُوَ أَصْحَابُكَ وَأَبْنُكَ﴾^(١) . غير أن الصورتين القائمتين بالأمر الواحد مختلفتان .
والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكيم الخبير .
وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ، وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

حرره لنفسه ولمن شاء الله تعالى من بعده العبد الفقير الحقير عبد الغني
الشهير بابن النابلسي في مجالس آخرها يوم الأحد عاشر شهر رمضان المبارك من
شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف من الهجرة النبوية .
- وفي ليلة الأربعاء التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة أربع وعشرين ومائة
وألف زلزلت الأرض بعد مضي تسع ساعات من الليل .

* * *

(١) النجم: الآية ٤٣ .

المراجع

- الحموي، ياقوت بن عبد الله: «معجم البلدان»، بيروت، دار صادر.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة»، طبع في الهند ضمن مجموع عشر رسائل للسيوطي، فهرس المطبوعات بالظاهرة ٢١٠٢.
- «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة»، طبع الهند ضمن مجموع رسائل تسع للسيوطي، فهرس المطبوعات بالظاهرة و١٠١٠.
- «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة»، مخطوطات المكتبة الظاهرية بخط الشيخ عبد الغني النابلسي، رقم ٧١٦٣ عام.
- «كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة»، مخطوطات المكتبة الظاهرية، رقم ٦٦٥٨ عام.
- طاهر، مصطفى أنور: نصوص تاريخية لمؤرخين دمشقيين عن زلازل القرن الثاني عشر، مجلة المعهد الفرنسي بدمشق، عام ١٩٧٤.
- ابن عبد الهادي، يوسف: «ثمار المقاصد في ذكر المساجد»، وذيله للدكتور محمد أسعد طلس، بيروت، ١٩٤٣ م.
- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين: ١ - ١٥، دمشق.
- مختار باشا، محمد: التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفريقية والقبطية، بولاق، ١٣١١ هـ.
- النعمي، عبد القادر: الدارس في تاريخ المدارس ١ - ٢، عني بنشره وتحقيقه الأمير جعفر الحسيني بدمشق، ١٩٥١ م، من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق.



الأشراف ونقابتهم في التاريخ الإسلامي وأشهر النقباء في دمشق^(١)

الشريف: (الجمع: أشراف وشرفاء) في «لسان العرب»: يدل أصل هذه الكلمة على العلو والارتفاع. والشرف: الحَسَبُ بالآباء. وقد شَرُفَ بالضم فهو شريف، ويقال هو: شَرَفُ قَوْمِهِ وَكَرَمِهِم: أي شريفهم وكرمهم، وشارفت الرجل: فاخرته أي أشرف.

في «التاج»: الشرف: المجد ، ولا يكون الشرف والمجد إلا بالآباء ، ويقال: رجل شريف ورجل ماجد له آباء متقدمون في الشرف ، وأما الحسب والكرم فيكونان في الرجل ، وإن لمن يكن له آباء ، والشرف: علو الحسب.

والصفات المحمودة التي يحملها الأشراف تنتقل بالوراثة إلى الأبناء. وفي الجاهلية: الأشراف هم رؤساء القبائل ذات الشأن والجاه ، وكان بيدهم شؤون القبيلة أو شؤون المدينة ، وفي الإسلام صار الانتساب إلى بيت النبي ﷺ علامة شرف خاصة سواء عن طريق الآباء أو الأمهات ، وأهل البيت هم الذين تعنيهم الآية الكريمة: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وقد جعل لبيت بني هاشم مكان الصدارة ، فلم يزل الاختيار يقع منذ بدء الخليقة على دوائر تصغر شيئاً فشيئاً إلى أن اصطفى النبي ﷺ من بني هاشم. قال رسول الله ﷺ: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نسباً».

(١) نشرها المؤلف في مجلة الثقافة الإسلامية العدد ١٥/١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م وقد تم زيادات في أشهر النقباء.

ونجد الشاعر الكميّ يتغنى بشعره بشرف النبي ﷺ ، فالانتماء إلى بيت النبي ﷺ يجعل لصاحبه حقاً بيتاً في الشرف ، والحسن والحسين رضي الله عنهما يُعتبران أشرف الناس نسباً ، وهذا المكان البارز في النسب والشرف الذي حُصِّرَ به بنو هاشم أدى في العصر العباسي المتأخر في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي إلى قصر كلمة (الشريف) على أبناء أبي طالب وأبناء العباس .

ويشير السيوطي في الرسالة الزينية إلى أن لقب الشريف كان يطلق في الصدر الأول على كل من ينتسب إلى أهل البيت سواء كان من أبناء الحسن أو الحسين أو أبناء علي كرم الله وجهه أو جعفر أو عقيل أو العباس . ويقول: إن الذهبي كثيراً ما نجده يقول: «الشريف العباسي» أو «الشريف العقيلي» أو «الشريف الجعفري» أو «الشريف الزيني» أما في زمن الفاطميين فإنهم - كما يقول السيوطي - كانوا يقصرون لقب «الشريف» على أبناء الحسن والحسين ، وبقي هذا متبعاً في مصر وغيرها إلى أيام السيوطي (القرن العاشر الهجري) .

وما يطلق في لقب «الشريف» ، يطلق أيضاً في لقب «السيد» ، فهو لقب لآل علي والطالبيين ، وهو مستمد من حديث رسول الله ﷺ في الحسن (ع): «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» .

نقابة الأشراف :

قال السيد الحسين السمرقندي في كتاب (تحفة الطالب بمعرفة من ينسب إلى أبي طالب): أول من تولى النقابة على الطالبيين السيد الحسين النسابة النقيب ابن السيد أحمد المحدث ابن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وذلك أن السيد الحسين النسابة المذكور لما حضر عند المستعين بالله التمس أن يكون الحاكم على الطالبيين رجلاً منهم يطيعونه ويعرف أقدارهم ومنازلهم ، ولا يحكم فيهم أتراك بني العباس ، فاستصوب الخليفة رأيه ، وجمع من هناك من الطالبية وأمرهم أن يختاروا من يوليّه عليهم فقالوا: حيث إن الحسين رأى هذا الرأي فإننا نختاره ، فولى النقابة عليهم اهـ .

قال القاسمي في شرف الأسباط: ولا يخفى على من استقرأ رجال نقابة الأشراف أن هذه الوظيفة كانت توسد لأكابر ذوي الشرف أحفاداً كانوا أو

أسباطاً ، ومن مشاهير أكابر من نال نقابة الأشراف بالسببية رجال بيت البكري في الديار المصرية ، فهم من أسباط سيدنا الحسن عليه السلام ، ولم تزل وظيفة نقابة الأشراف فيهم من القرن الثاني عشر الهجري إلى الآن ، ولم تخرج منهم إلا بريهات يسيرة ، وأول من تولاها من رجاله السيد محمد أفندي البكري المتوفى سنة ١١٩٦هـ كما تراه في كتاب بيت الصديق المشهور .

وقال الحصني في المنتخبات: نصبت النقباء وتقررت وظائف النقابة منذ القديم والحديث في ممالك الإسلام بقصد البحث عن حقائق الأنساب وتمييز السادة الأشراف من آل البيت أبناء الإمام علي وفاطمة رضي الله عنهما ، صيانة لذلك النسب الطاهر عن حصول الاختلاط المفضي إلى تعلق بعض الأحكام الشرعية بغير أهلها ، ما لا يخفى من اندفاع الكثير في طلب حصول المجد ورفعة الجاه ، بدعوى الشرف الحسيني أو الحسيني خصوصاً في زماننا ، فالتقباء هم الذين ينبغي لهم التدقيق عن هذه الدعوى وفي نسب كل من يمكن الاشتباه في نسبه من عامة الناس ، لئلا تضع الحقوق الواجبة الرعاية لآل البيت ، وتسقط التكاليف الواجبة على من سواهم . ونقابة الأشراف وظيفة عالية لها شأنها في نظر العالم الإسلامي ، ولها تأثير عظيم في إصلاح أحوال البيوتات النبوية وتدبر أمورها ، مما أوجب الأمر إلى محبة هذه الذرية الشريفة وتوقيرها وطاعة الناس لها لنفوذ كلمتهم فيهم ، وكانوا يأترون بأوامرهم ويذعنون لرغباتهم إلى غير ذلك مما يعود بعظيم الفائدة على هذا المجتمع ، وهي قديمة العهد في زمن الدولة العربية .

ثم يقول: وفي أيام الدولة العثمانية التركية بدأ بتوظيف نقباء الأشراف السلطان بايزيد سنة ٩٠٠هـ وعين لها سيد علي نطاع عاشق شلبي .

وفي دائرة المعارف الإسلامية: والراجح أن فرعي بني هاشم كانا في أول الأمر تحت رئاسة نقيب واحد ، كما كانت الحال حوالي سنة ٣٠١هـ (٩١٣ - ٩١٤م) . على أن الطبري يذكر في أخبار سنة ٢٥٠هـ / ٨٦٤م أن عمر بن فرج كان يتولى أمر آل أبي طالب ، وكان علي بن محمد بن جعفر الحماني المتوفى سنة ٢٦٠هـ (٨٧٣ - ٨٧٤م) نقيباً في الكوفة ، ويمكن أنه كان هناك في ذلك الوقت في معظم المدن الكبرى نقباء يرأسهم نقيب أكبر وهو نقيب النقباء . وكان لا بد للنقيب أن يكون على علم جيد بالأنساب ، وكانت مهمته في

أن يمسك سجلاً للأشراف يدون فيه من يولد ومن يموت منهم ، وأن يبحث دعاوي الانتساب إلى الأشراف ، وكان عليه أن يراقب سلوك الأشراف ويأخذهم من الآداب بما يضاهاى شرف أنسابهم ، ويحثهم على واجباتهم ، ويحول دون كل ما ينقص من حشمتهم ، وكان عليه إلى جانب ذلك ، أن يدافع عن حقوقهم وخاصة من قبل بيت المال ، وأن يحفظ النساء منهم من الزواج بغير الأكفاء ، وأن يسهر على حسن إدارة أوقاف الأشراف . وكان لنقيب النقباء مهام أخرى خاصة منها : اختصاصات قاضي الصلح إذا كان التأديب فيما عدا الحدود .

ويذكر الماوردي في كتابه «الأحكام السلطانية» وظيفة النقباء والشروط التي يجب أن يتصف بها النقباء وأهم اختصاصاته فيقول :

وهذه النقباء موضوعة على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ، ولا يساويهم في الشرف ، ليكون عليهم أحبى ، وأمره فيهم أمضى ، روي عن النبي ﷺ أنه قال : «اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم» فإنه لا قرب بالرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة ، ولا بعد بها إذا وصلت وإن كانت بعيدة . وولاية هذه النقباء تصح من إحدى ثلاث جهات ، إما من جهة الخليفة المستولي على كل الأمور ، وإما ممن استخلف نقيباً خاص الولاية ، فإذا أراد المولى أن يولي على الطالبين نقيباً أو على العباسيين نقيباً يخير منهم أجلهم بيتاً وأكثرهم فضلاً وأجزلهم رأياً فيولي عليهم ، لتجتمع فيه شروط الرئاسة والسياسة فيسرعوا إلى طاعته برئاسته وتقسيم أمورهم بسياسته .

والنقباء على ضربين : خاصة وعامة ؛ فأما الخاصة فهي أن يقتصر بنظره على مجرد النقباء من غير تجاوز لها إلى حكم وإقامة حد ، فلا يكون العلم معتبراً في شروطها .

ويلزمه في النقباء على أهله من حقوق النظر اثنا عشر حقاً :

أولها : حفظ أنسابهم من داخل فيها ، أو خارج عنها وهو منها ؛ فيلزمه حفظ الخارج منها ، كما يلزمه حفظ الداخل فيها ليكون النسب محفوظاً على صحته معزواً إلى جهته .

الثاني : تمييز بطونهم ومعرفة أنسابهم حتى لا يخفى عليه منهم بنوات ، ولا يتداخل نسب في نسب ، ويشتهم في ديوانه على تمييز أنسابهم .

والثالث: معرفة من ولد منهم من ذكر أو أنثى فيشبهه ، ومعرفة من مات منهم فيذكره حتى لا يضيع نسب المولود إن لم يثبت ، ولا يدعى نسب الميت غيره إن لم يذكره .

والرابع: أن يأخذهم من الآداب بما يضاهاى شرف أنسابهم وكرم محتداهم لتكون حشمتهم فى النفوس موفورة ، وحرمة رسول الله ﷺ فىهم محفوظة .

والخامس: أن ينزههم عن المكاسب الدنيئة ويمنعهم من المطالب الخيئة حتى لا يستقل منهم متبذل ، ولا يستضام منهم متدلل .

والسادس: أن يكفهم عن ارتكاب المآثم ويمنعهم من انتهاك المحارم ، ليكونوا على الدين الذى نصره أغير ، وللمنكر الذى أزاله أنكر ، حتى لا ينطق بدمهم لسان ولا يشأهم إنسان .

والسابع: أن يمنعهم من التسلط على العامة لشرفهم ، والتشطي عليهم ونسبهم ، فيدعوهم ذلك إلى المقت والبغض ويبعثهم على المناكرة والبعد ، ويندبهم إلى استعطاف القلوب وتأليف النفوس ، ليكون الميل إليهم أوفى والقلوب لهم أصفى .

والثامن: أن يكون عوناً لهم فى استيفاء الحقوق لا يضعفوا عنها ، وعوناً عليهم فى أخذ الحقوق منهم حتى لا يمنعوا منها ، ليصيروا بالمعونة لهم منتصفين وبالمعونة عليهم منصفين ، فإن من عدل السيرة فىهم إنصافهم وانتصافهم .

والتاسع: أن ينوب عنهم فى المطالبة بحقوقهم العامة فى سهم ذوى القربى فى الفياء والغنيمة الذى لا يختص به أحدهم حتى يقسم بينهم بحسب ما أوجه الله تعالى لهم .

والعاشر: أن يمنع أيامأهم أن يتزوجن من غير الأكفاء لشرفهن على سائر النساء ، صيانة لأنسابهن ، وتعظيماً لحرمتهن أن يتزوجن غير الولاة وأن ينكحن غير الكفاة .

والحادى عشر: أن يقوّم ذوى الهفوات منهم فيما سوى الحدود بما لا يبلغ به حداً ولا ينهر به دماً ، ويقبل ذا الهيئة منهم عشرته ويغفر بعد الوعظ زلته .

والثانى عشر: مراعاة وقوفهم بحفظ أصولها وتنمية فروعها ، وإذا لم يرد إليه

جبايتها راعى الجبابة لها فيما أخذوه وراعى قسمتها إذا قسّموه ، وميّر المستحقين لها إذا خصت ، وراعى أوصافهم فيها إذا شرطت حتى لا يخرج منهم مستحق ، ولا يدخل فيها غير محق .

وأما النقابة العامة فعمومها أن يرد إليه في النقابة عليهم مع ما قدمناه من حقوق النظر خمسة أشياء :

أولها : الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه .

والثاني : الولاية على أيتامهم فيما ملكوه .

والثالث : إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه .

والرابع : تزويج الأيامي اللاتي لا يتعين أولياؤهن ، أو قد يتعين فعضلوهن .

والخامس : إيقاع الحُجْر على من عتته منهم ، أو سفه وفكه إذا أفاق ورشد ، فيصير بهذه الخمسة عامّ النقابة ، فيعتبر حينئذ في صحة نقابته وعقد ولايته أن يكون عالماً بالاجتهاد ليصح حكمه وينفذ قضاؤه .

ثم ذكر الماوردي في أحكامه حكم قضاء النقيب وقضاء القضاة بين الأشراف من أحكام فقهية .

أما تقليد النقابة فيكون من الخليفة أو من يقوم مقامه ، وذكر أبو إسحاق الصابئ رئيس ديوان الإنشاء صورة تقليد بنقابة الأشراف في بغداد للشريف الرضي :

هذا ما عهد أمير المؤمنين - إلى محمد بن الحسين العلوي الموسوي ابن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه - حين وصلته به الأنساب وتأكدت له الأسباب ، وظهرت دلائل عقله ولبابته ، ووضحت مخائل فضله ونجابته ، ومهد له بهاء الدولة وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة وتاج الملة ، مولى أمير المؤمنين ما مكن له عنه أمير المؤمنين من المحل المكين ووصفه به من الحلم الرزين وأشاد به فيه من رفع المنزلة ، وتقديم المرتبة والتأهيل لولاية الأعمال ، والحمل للأعباء الثقال ، وحيث رغبه فيه سابقه الحسين أبوه في الخدمة والنصيحة والمواقف المحمودة والمقامات المشهودة ، التي طابت بها أخباره وحسنت فيها آثاره ، وكان محمد متخلقاً بخلائقه واهباً في طرائقه علماً وديانة ،

وورعاً وصيانة ، وعفة وأمانة ، وشهامة وصرامة ، بالخط الجزيل من الفضل الجميل والأدب الجزل ، والتوجه في الأهل ، والإيفاء بالمناقب على لداته وأترابه ، والإبراز على قرائبه وأضرابه ، فقلده ما كان داخلاً في أعمال أبيه من نقابة نقيب الطالبين أجمعين بمدينة السلام ، وسائر الأعمال والأمصار شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ، واختصه ذلك جذباً بضبعه (أي عضده) وإنافة بقدره ، وقضاءً لحقِّ رَحِمِهِ ، وترفيهاً لأبيه ، وإسعافاً له بإيثاره فيه أمر المؤمنين واستخلافه عليه من النظر في المظالم وتسيير الحجيج في المواسم ، والله يعقب أمير المؤمنين فيما أمر ودبر ، حسن العاقبة فيما قضى وأمضى ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه ينيب .

وأمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين وسناء الصالحين ، وعصمة عباد الله أجمعين ، وأن يعتقدها سرّاً وجهراً ، ويعتمدها قولاً وفعلًا ، ويأخذ بها ويعطي ، ويسر بها وينوي ، ويأتي ويذر ، ويورد ويصدر ، فإنها السبب المتين والعقل الحصين ، والزاد النافع يوم الحساب ، والمسلك المفضي إلى دار الثواب ، وقد خصّ الله أولياءه عليها ، وهداهم في محكم كتابه إليها فقال عزّ من قائل: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِيْنَ ﴾ [التوبة: ١١٩] وأمره بتلاوة كتاب الله مواظباً ، وتصفحه مداوماً ملازماً ، والرجوع إلى أحكامه فيما أحل وحرّم ، ونقض وأبرم ، وأثاب وعاقب ، وباعد وقارب ، فقد صحح الله برهانه وحجته ، وأوضح منهاجه ومحجته ، وجعله نجماً في الظلمات طالعاً ، ونوراً في المشكلات ساطعاً ، فمن أخذ به نجا وسلم ، ومن عدل عنه هوى وندم ، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتٰبٌ عَزِيْزٌ ۗ لَا يَأْتِيهِ الۡبٰطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِيْهِ ۗ تَنْزِيْلٌ مِّنۡ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢] وأمره بتزيه نفسه عما تدعو إليه الشبهات ، وتطلع إليه التبعات ، وأن يضبطها ضبط الحليم ويكفها كف الحكيم ، ويجعل عقله سلطاناً عليها ، وتميزه أمراً ناهياً لها ، ولا يجعل لها عذراً إلى صبوة ولا هفوة ، ولا يطلق منها عناناً عند ثورة ولا فورة ، فإنها أمانة بالسوء منصبة إلى الغي ، فمن رفضها نجا ومن اتبعها هوى . إلى أن قال:

وأمره بحياطة أهل النسب الأظهر والشرف الأفخر ، عن أن يدعيه الأديعاء ، أو يدخل فيه الدخلاء ، ومن انتمى إليه كذباً ، أو انتحلّه باطلاً ، ولم يوجد له بيت في الشجرة ، ولا مصداق عند النسايب المهرة ، أوقع به كذبه وفسقه ،

وشهره شهرة ينكشف عنها غشه ولبسه ، ويتزع بها غيره من تسوّل له ذلك نفسه ، وأن يحصن الفروج عن مناكحة من ليس كفاء لها في شرفها وفخرها ، حتى لا يطمع في المرأة الحسبية النسبية إلا من كان مثلاً لها ، مساوياً موازياً ونظيراً ، فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

وأمره بمراعاة متبلي أهله ومنتجديهم وصلحائهم ومجاوريهم ، وأراملهم وأصاغرهم ، حتى تستد الخلة من أحوالهم ، وتدر المواد عليهم وتتعدل أقساطهم ، فيما يصل إليهم من وجوه أموالهم ، وأن يزوج الأيامي ، ويربي اليتامي ، ويلزمهم المكاتب فيتلقنوا القرآن ، ويعرفوا فرائض الإسلام والإيمان ، ويتأدبوا بالآداب اللائقة بذوي الأحساب ، فإن شرف الأعراق محتاج إلى شرف الأخلاق ، ولا حمد لمن شرف حسبه وسخف أدبه . اهـ .

العمامة الخضراء :

أصبحت شعاراً يتميز به الأشراف وخاصة في مصر في أيام السلطان الأشرف شعبان ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م وأمر أن يجعل السادة الأشراف في عمامتهم إشارات خضراً حتى يتميزوا عن غيرهم ، وتعظيماً لقدرهم ، وكان ذلك في شعبان سنة ٧٧٣ هـ والذي خلده شعراء ذلك العصر في أبيات لهم ، يعيد ذلك إلى الأذهان ما أمر به المأمون في رمضان سنة ٢٠١ هـ / ٨١٧ م من إحلال اللون الأخضر شعاراً لأهله محلاً للأسود ، وذلك عندما أصبح الإمام علي بن موسى الرضا رضي الله عنه ولياً للعهد . ويقول الكتاني (محمد بن جعفر) في رسالته «الدعامة لمعرفة أحكام سنة العمامة» : إن أبناء سيدنا علي والسيدة فاطمة احتفظوا منذ ذلك الحين باللون الأخضر ، لكنهم اقتصروا على قطعة من القماش الأخضر توضع على العمامة ، ثم إنه بطل بعد ذلك إلى أن أمر به السلطان شعبان من جديد . وقد جاء في كتاب (درر الأصداف) الذي استشهد به الكتاني : أن لبس عمامة خضراء يرجع إلى ما أمر به باشا مصر السيد محمد الشريف في سنة ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٦ م ، فقد أمر الباشا في أثناء طواف الكسوة بأن يسير الأشراف أمامه وعلى رأس كل منهم عمامة خضراء .

ويقول السيوطي : إن هذا الشعار من المباحات التي استحدثت لتمييز

الأشراف عن غيرهم ، وإن الشعار الأخضر أو العمامة الخضراء شيء مستحب للأشراف مكروه لغيرهم .

من خصائص نقيب الأشراف بالشام :

ومن خصائصه الإشراف على شعرات النبي ﷺ الموجودة في الشام .

ذكر السيد سعيد حمزة نقيب الأشراف أن في دمشق ثلاث شعرات : الأولى موجودة لدى السادة شراف آل حمزة ومحفوظة في مشهد الحسين رضي الله عنه ، ويشير كما ذكر أحمد تيمور في كتابه (الآثار النبوية) إلى أن هذا المشهد كان مهتماً فزاره والي دمشق فؤاد باشا سنة ١٢٨٧ وسعى لدى السلطان عبد العزيز في تعميمه وجعل الدار المجاورة له تكية باسم المقام يطعم فيه الطعام كل يوم بعد العصر ، واختير السيد سليمان الحمزاوي مشرفاً على المقام لصلته نسبه بصاحب المقام الإمام الحسين رضي الله عنه ، ثم إن السلطان عبد العزيز أرسل بشعرة من الآثار النبوية لتحفظ بهذا المقام فحفظت فيه وما زالت إلى اليوم يحتفل بإخراجها في العام مرة واحدة في ليلة ٢٧ رمضان ، ويزورها الناس بعد صلاة التراويح فيقرأ القراء ثم يشرعون في الصلاة على النبي ﷺ ، ويخرجها المشرف ويكون نقيب الأشراف أو واحداً من أهله ، فيتبرك الحاضرون بتقبيلها وهي بيده والصلاة على النبي مستمرة إلى أن تنتهي الزيارة فتعاد إلى لفائفها وصندوقها وترفع إلى مكانها ، وفي هذا المقام لوح معلق بالجدار مكتوب فيه :

على قبة الأفلاك تشمخ قبة من أركانها نور النبوة بادي بناها وهي حتى أتى الوقت أرخوا وجددها فضل الوزير فؤاد

١٢٨٧

والشعرة الثانية لدى آل سعد الدين .

وتخرج هذه الشعرة في المناسبات الدينية ومنها ليلة ٢٧ من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وليلة المولد النبوي والمعراج ليتبرك بها الحضور ، ويتولى إخراجها النقيب أو من أكبر سنأ وأوجه قدراً من آل بيت النبي ﷺ ، فيقوم بفتح الستائر عن مقام الشعرة النبوية ويخرج صندوقها من محرابه ممسكاً به بكلتا يديه وهو في حالة وجد واستغراق تام ، ويكون الصندوق مغطى بغطاء حريري مطرز وموشى بالآيات القرآنية ، وما أن يفتح النقيب الصندوق حتى ينشد الجميع :

يا زائراً شعر النبي محمد كن عند كشفك للغطاء معظماً
متأدباً متطهراً متطيباً ومباركاً ومصلياً ومسلماً

ثم يوالون بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ودعاء الختام ، وخلال ذلك يتقدم الحضور بتقبيل الشعرة . وفي هذه الشعرة يقول السيد محمد الحمزاوي :
شرف المحل بقدر من قد حله أمر بديهي الثبوت بلا خفا
ولذلك المحراب فخر شامخ إذ حل فيه شريف شعر المصطفى
والشعرة الثالثة لدى شيخ الطريقة الشاذلية آل أبي الشامات .

مشاهير الأشراف في الشام :

أما أشهر الأسر التي تتشرف بانتسابها إلى آل البيت فهي :

آل حمزة ، آل العجلاني ، آل مرتضى ، آل الإيجي ، آل الدسوقي ، آل
الحجار ، آل صندوق ، آل نصري ، آل الحبال ، آل القاسمي ، آل الحلبي ، آل
زين العابدين ، آل تقي الدين ، آل الحصني ، آل الكيلاني ، آل الرفاعي ، آل
سكر ، آل الحسيني ، آل نظام ، آل الزلزلة ، آل الصوص .

أشهر نقباء الشام :

قال ابن عساكر في تاريخه :

أول من تقلد منصب نقابة الأشراف بدمشق من قبل المقتدر بالله وسمي به
ليكون مساعداً لهم في جميع أمورهم قائماً في شؤونهم هو : إسماعيل بن
الحسين المنتوف بن أحمد ، يتصل نسبه بالحسين السبط وكان يعرف بالعفيف
وصار له مشهد حسن يوم وفاته ، مشى فيه كثير من الخلق ، توفي سنة سبع
وأربعين وثلاثمائة . ومنهم :

ابنه : موسى بن أبي محمد إسماعيل .

ومنهم حمزة بن الحسن بن أبي الجن المعروف بفخر الدولة .

قال ابن عساكر : ولي قضاء دمشق وولي نقابة الأشراف بها وبالديار
المصرية ، جدد بدمشق مساجد ومنتابر وقنوات ، ومن ذاك الزمن سميت تلك
المحلة بدمشق بهذا الاسم .

توفي بدمشق في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وأربعمائة .

ومنهم: علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن أبي الجن نقيب الأشراف الطالبين.

توفي سنة ٦٦٠ هـ وتولى بعده النقابة الفخر بن النظام البعلبكي (ذيل الروضتين-٢١٨).

ومنهم: حيدرة بن إبراهيم بن العباس بن أبي الجن الحسيني المعروف بالشريف والمشهور بالسيد ولي خدمة نقابة الأشراف بدمشق أيام المستنصر.

قتل سنة إحدى وستين وأربعمائة. (منتخبات التواريخ لدمشق ٤٦٩).

ومنهم: محمد بن الحسين بن عبد الله النصيبيني الشريف.

قاضي دمشق وخطيبها ونقيب السادة الشراف بها ، وكبير الشام ورئيس أعيانها توفي سنة ثمان وأربعمائة (تاريخ ابن عساكر).

ومنهم: حمزة بن الحسين بن العباس بن الحسن الحسيني.

ولي قضاء دمشق من قبل الملك الظاهر. قال الذهبي: ولي نقابة الأشراف بالديار الشامية. توفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بدمشق.

ومنهم السيد الشريف زين الدين الحسن بن محمد بن عدنان الحسيني نقيب الأشراف كان متكلماً بباحث الإمامة ويناظر على ذلك. توفي سنة ٧٠٨ هـ وتولى بعده الشريف جعفر بن محمد بن عدنان الحسيني توفي سنة ٧١٤ هـ (البداية والنهاية ١٤/٥١، ٦٣).

وتولى بعده الشريف عدنان بن جعفر الحسيني (البداية والنهاية ١٤/٧٣ ، ١٦٧).

ومنهم: محمد بن عدنان بن حسن الحسيني.

قال الذهبي: كان عابداً فاضلاً ، وهو والد النقباء على الأشراف. توفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة.

ومنهم: شرف الدين عدنان بن محمد بن عدنان الحسيني.

ولي نقابة الأشراف في الديار الشامية بعد موت أبيه ، واستمر بها تسع عشرة سنة ، توفي سنة خمس وثلاثين وسبعمائة.

ومنهم نقيب الأشراف موسى بن جعفر بن محمد بن عدنان الحسيني ، توفي سنة ٧٣٩هـ (ذيل البر ١١٥).

ومنهم السيد علي بن الحسين بن محمد بن عدنان الحسيني توفي سنة ٧٤٩هـ وتولى بعده ابن عمه الحسين (ذيل البر ١٤٢).

ومنهم السيد أحمد بن علي بن إبراهيم بن عدنان الحسيني توفي سنة ٨٣٢هـ (الضوء اللامع ٦/٢).

ومنهم شرف الملك الحسين مات سنة ٨٥٠هـ (الضوء اللامع ٢٩٩/٣).

ومنهم السيد علي بن محمد بن أبي بكر الحسيني سبط البرهان الباعوني توفي سنة ٨٥٢هـ وكان تلقى عن أبيه النقابة (الضوء اللامع ٢٩٥/٥ ، ٤٩٤) وفي سنة ٨٧١ تولى النقابة السيد إبراهيم بن محمد الحسيني (تاريخ البصري ٢٥).

ومنهم: علاء الدين بن أحمد بن شهاب الدين الحسيني.

نقيب السادة الأشراف بالديار الشامية ، ومن أجل علماء الحنفية. توفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة.

ومنهم السيد إبراهيم بن محمد الحسيني توفي سنة ٩١٣هـ (شذرات الذهب ٦٠/٨).

ومنهم: تاج الدين عبد الوهاب السلطي ثم الدمشقي.

نقيب السادة الأشراف بدمشق ، تولى نظارة الجامع الأموي وغيره. توفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة.

ومنهم: علاء الدين علي بن محمد كمال الدين بن حمزة.

نقيب الأشراف بدمشق ، قال في (الكواكب السائرة): كان مواظباً على دروس شيخ الإسلام البدر الغزي توفي سنة تسع وثمانين وتسعمائة.

ومنهم السيد محمد بن حسين بن محمد بن حمزة توفي سنة ١٠١٧هـ (خلاصة الأثر ٤٣٩/٣).

ومنهم: كمال الدين محمد بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة.

ومنهم: محمد بن محمد بن السيد كمال الدين بن عجلان.

شيخ مشايخ الحرف والصنائع ، ونقيب الأشراف بدمشق ، كان مباركاً سيداً

شريعاً اشتهر بالكرم. توفي سنة أربع وعشرين وألف.

ومنهم: السيد حمزة بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة توفي سنة ١٠٦٧ هـ (خلاصة الأثر ١٢٥/٢).

ومنهم: محمد بن حسين بن محمد المعروف بابن حمزة.

كان عالماً، ولي نقابة الأشراف، توفي سنة سبع عشرة وألف.

ومنهم السيد حسين بن كمال الدين محمد بن محمد بن حسين بن حمزة توفي ١٠٧٢ هـ.

ومنهم: محمد بن كمال الدين بن محمد بن حسين الشهير بابن حمزة.

كان رئيس وقته في العلم والجاه، عالماً محققاً، ولي وظائف عدة، تولى نقابة الأشراف وتوفي سنة خمس وثمانين وألف.

ومنهم: عبد الكريم بن محمد بن كمال الدين المعروف بابن حمزة.

كان عالماً، أديباً جامعاً لمحاسن الشيم، شاعراً، تولى نقابة الأشراف، وتوفي سنة ثمانين عشرة ومائة وألف.

ومنهم: إبراهيم بن محمد الشهير بابن حمزة الحنفي.

تلقى العلم على مشاهير علماء عصره، تولى عدة وظائف ونقابة الأشراف بدمشق، ثم سافر إلى مصر وتولى نقابة الأشراف بها أيضاً، توفي سنة عشرين ومائة وألف. (سلك الدرر ١/٢٢).

ومنهم: علي بن إسماعيل بن حمزة العجلاني.

كان أحد صدور دمشق، تولى عدة وظائف منها نقابة الأشراف، توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف.

ومنهم: حمزة بن يحيى بن حسن الشهير بابن حمزة الحسيني.

ولد بدمشق سنة ١١٤٢ هـ، ونشأ على التقوى والصيانة والعلم، وكان أحد العلماء الأعلام ونقيب الأشراف بدمشق، توفي سنة سبع عشرة ومائتين وألف.

وكان قد عزل عن النقابة بالمولى علي العجلاني سنة ١١٧٢ هـ كما ذكر المرادي في تاريخه ثم عاد إلى النقابة وتوفي وهو نقيب كما ذكر الشطي في

أعيانه وقال: وبه سمي زقاق النقيب في حي العمارة بدمشق. (وانظر هامش حوادث دمشق اليومية ص ٢٩ هامش ٢).

ومنهم: علي بن إسماعيل بن حمزة المعروف بالعجلاني.

تولى عدة وظائف منها نقابة الأشراف ، وكان أحد صدور دمشق ، وقد أرخ وفاته بمرثية طويلة الشاعرُ مصطفى اللوجي: جاء تاريخه «في العدن قد بات مولانا النقيب علي» سنة ١١٨٣ هـ.

ومنهم: خليل بن محمد المرادي النقشبندي الحسيني الحنفي.

ولد بدمشق وتلقى على كبار علمائها ، وتولى نظارة الجامع الأموي سنة ١١٩١ هـ ، وفتوى الشام سنة ١١٩٢ هـ ووجهت عليه نقابة الأشراف سنة ١٢٠٠ هـ كما ذكر السيد كمال الدين الغزي في تذكرته الكمالية حيث قال:

سعت النقابة رغبةً بجنابه من غير ما طلب له استشرافاً
زاد العوالم رغبةً وكرامةً قد أرخوه وشرف الشرفاً
ومنهم: درويش بن محمد بن حسين حمزة.

ولد بدمشق سنة ١٢٠٠ هـ ، وكان مشهوراً بالعفة والأمانة ، تولى نقابة الأشراف كما ذكر ابن عمه السيد أسعد وتوفي بدمشق سنة ١٢٤٩ هـ.

ومنهم: إسماعيل بن عبد الغني الغزي العادي:

كان صدر أعيان دمشق ، واشتهر بالفضيلة والعلم ، تولى نقابة الأشراف وتوفي سنة خمسين ومائتين وألف.

ومنهم: نسيب بن حسيب الشهير بابن حمزة.

تولى نقابة الأشراف وكان صدرأ في دمشق ، وكان عليه المحافظة على مشهد الحسين بالجامع الأموي توفي بدمشق سنة ١٢٦٤ هـ. (أعيان دمشق ٢٨٧).

ومنهم: حسن بن تقي الدين بن حسن تقي الدين الحصني:

كان من كبار علماء دمشق ، تولى فتوى دمشق ونقابة الأشراف مدة يسيرة ثم عزل عنها إلى بني عجلان ، وكان يمشي إلى الحكومة وفي ركابه أربعون فارساً في صدورهم السلاح وبأيديهم الرماح ، توفي بدمشق سنة ١٢٦٤ هـ.

ومنهم: عبد المحسن بن حمزة بن علي العجلاني.

كان من أعيان دمشق ورؤسائها ، تولى نقابة الأشراف وكان لأهل النسب والشرف في أيامه قدر عظيم لملاحظته لهم بعين الإجلال والتعظيم ، مات عقيماً في شعبان سنة ١٢٦٣ هـ وقد أناف على الثمانين ، قال البيطار في «الحلية»: تولى نقابة الأشراف بعد وفاة والده (سنة ١٢٢٨ هـ) وقال الشطي: المحفوظ أن والد المترجم تولى فتوى دمشق لا نقابتها كما يُعَلَّم من ترجمته وكما أفاده السادة بنو العجلاني .

ثم تولى النقابة ابن أخيه: راغب بن سعيد بن حمزة العجلاني :

ولد بدمشق سنة ١٢٣٦ هـ وأخذ عن كبار علماء دمشق كالشيخ سعيد الحلبي وغيره وتولى نقابة الأشراف مع وجود أخيه الأكبر أحمد. توفي بالطاعون في رمضان سنة ١٢٦٤ هـ.

وبعد وفاته عين نسيب حمزة (المتقدم ذكره) نقيباً ولكنه استعفى منها راجياً أن تكون لأحمد العجلاني شقيق السيد راغب العجلاني فكانت كذلك .

ثم تولى النقابة بعده أخوه: أحمد بن سعيد بن حمزة العجلاني الحسيني الحنفي:

ولد بدمشق ، وكان سخي الكف كريم الطبع ، تولى نقابة الأشراف بدمشق ، ولما كانت فتنة سنة ١٢٧٦ هـ/ ١٨٦٠م المعروفة بحادثة النصارى نفي إلى جزيرة قبرص وتوفي فيها في رمضان سنة ١٢٧٧ هـ ودفن في تكية الأستاذ مراد .

ثم تولى النقابة بعده: أحمد مسلم بن عبد الرحمن بن محمد الكزبري الشافعي:

ولد بدمشق يوم عيد الفطر سنة ١٢٤١ هـ وأخذ عن والده العلم وعن الشيخ حسن الشطي ، وتولى تدريس الحديث تحت قبة النسرة ، وتولى نقابة الأشراف بعد نفي السيد أحمد العجلاني ثم فصل عنها وأعيدت إلى بني العجلاني ، وكانت وفاته سنة ١٢٩٩ هـ .

ثم تولى النقابة بعده: أحمد بن أمين بن حسين المنجكي العجلاني الحسيني : نشأ في حجر والده شيخ الشيوخ ، وقرأ على علماء دمشق كالشيخ عبد الله الحلبي والشيخ حسن الشطي وغيرهما ، وتولى نقابة الأشراف ومشيخة المشايخ (مشيخة الطرق والحرف) في حياة عمه درويش ، واستمر نقيباً إلى أن عزل

بعمه ، فلما توفي عمه سنة ١٢٩٧ هـ أعيد إلى النقابة إلى سنة ١٣٠٧ هـ حيث عزل بالسيد صالح تقي الدين .

ثم تولى بعده: صالح بن عبد القادر بن أحمد تقي الدين:

ولد بدمشق ، ولازم دروس علماء عصره ، ووجهت عليه نقابة الأشراف في القدس ، ثم وجهت عليه النقابة بدمشق سنة ١٣٠٧ هـ ، وبقي نقيباً إلى وفاته سنة ١٣١٠ هـ بمكة المكرمة .

ثم عادت النقابة إلى أحمد بن أمين العجلاني (المتقدم ذكره) وما زال نقيباً إلى سنة وفاته ١٣١٤ هـ .

ثم تولى النقابة أبو السعود بن أحمد بن علي الحسيني .

كان من أعيان دمشق ورؤسائها ، وله المكانة السامية عند العلماء والحكام ، تولى نقابة الأشراف ، وبقي فيها إلى سنة ١٣٢٦ هـ وتوفي بدمشق سنة ١٣٣٢ هـ .

ثم تولى النقابة محمد أديب بن محمد بن عبد القادر تقي الدين الحصني .

ولد بدمشق سنة ١٢٩٢ هـ وتلقى العلوم على شيوخ دمشق ، وعين نقيباً للأشراف أولاً بدوما سنة ١٣١١ هـ ، ثم تولى النقابة بدمشق سنة ١٣٢٦ هـ .

ثم تولى النقابة علي بن أبي السعود الحسيني .

كان من أعيان دمشق ، تولاهما في عهد رضا باشا الركابي وبقي إلى وفاته سنة ١٣٤١ هـ .

ثم تولاهما أحمد بن أبي السعود الحسيني .

كان من وجهاء دمشق ، تولاهما بعد أخيه وتوفي بدمشق ١٣٥٧ هـ .

ثم تولى النقابة بعده: محمد سعيد بن درويش آل حمزة الشهير بالحمزاوي .

ولد بدمشق سنة ١٣١٣ هـ في بيت علم وفضل وجاه ، وتلقى العلم على كبار علماء عصره ، وتولى نقابة الأشراف في شعبان ١٣٦١ هـ/آب ١٩٤٢ م ، وكان يرتدي العمامة الخضراء ، وبقي نقيباً حتى وفاته سنة ١٣٩٨ هـ .

ثم تولاهما بعده السيد عبد الكريم الحمزاوي .

مراجع البحث:

- شرف الأسباط للسيد محمد جمال الدين القاسمي طبع بدمشق سنة ١٣٣١ .
- منتخبات التواريخ لدمشق - لمحمد أديب آل تقي الدين الحصني - دمشق ١٩٢٧ م .
- دائرة المعارف الإسلامية - المجلد الثالث عشر .
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية - لعلي بن محمد الماوردي - تحقيق محمد فهمي السرجاني القاهرة ١٩٧٨ .
- الآثار النبوية - لأحمد تيمور - الطبعة الثالثة . القاهرة ١٩٧١ .
- تاريخ ابن عساكر - مخطوطة المكتوبة الظاهرية .
- الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة - لنجم الدين الغزي - بيروت .
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر - للمجبي (١ - ٤) - القاهرة ١٢٨٤ م .
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر - لمحمد خليل المرادي - القاهرة ١٣٠١ هـ .
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١ - ٣) - للشيخ عبد الرزاق البيطار - دمشق ١٩٦١ .
- أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف الرابع عشر - لمحمد جميل الشطي - دمشق ١٩٧٢ .
- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر لمحمد مطيع الحافظ ونزار أباطة .
- أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء - محمد راغب الطباخ الحلبي - المجلد الرابع - حلب ١٩٢٥ .



الطرق الصوفية في العالم الإسلامي^(١) في القرن الثالث عشر الهجري

في هذه الدراسة بيان للطرق المنتشرة في العالم الإسلامي في القرن الثالث عشر، تحدث عنها بتفصيل عن أسانيدها وشيوخها علامة ذلك العصر محمد مرتضى الزبيدي وذلك من خلال كتابه:

الأول: (عقد الجواهر الثمين في الذكر وطرق الإلباس والتقلين).

قدم المؤلف له بآداب الصوفية وأحوالها ، ثم ذكر سلاسل الطرق وشيوخها وأسانيد كل طريقة لصاحبها.

الثاني: (إتحاف الأصفيا برفع سلاسل الأوليا).

جمعها الزبيدي في بيان ماله من الاتصال بسلاسل وطرق الصوفية مع سندها إلى رسول الله ﷺ.

أما جامع هذين الكتابين فهو العلامة محمد بن محمد ، أبو الفيض الملقب بمرتضى وكان عالماً بالغة والحديث والرجال والأنساب ، ومن كبار المصنفين ، أصله من واسط ومولده بالهند ومنشؤه في زييد باليمن ، رحل إلى الحجاز وأقام بمصر ، فاشتهر فضله وانهالت عليه المراسلات من الملوك والعلماء ، وزاد اعتقاد الناس فيه ، توفي بالطاعون بمصر سنة ١٢٠٥ هـ ، وترك مؤلفات كثيرة أشهرها:

(تاج العروس في شرح القاموس). و(إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء

(١) نشرها المؤلف بمجلة (الثقافة الاسلامية) العدد الرابع عشر ذو الحجة ١٤٠٨ من صفحة ٢٣٥.

علوم الدين) ، (عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة).

الأحمدية: هي شعبة كبيرة من الشاذلية ، وإحدى الطرق الأربعة التي ذهب صيتها شرقاً وغرباً ، منسوبة إلى أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن عمر بن علي بن عثمان بن الحسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن علي بن عيسى بن علي بن محمد بن الحسين بن جعفر بن علي بن موسى الكاظم ، الحسيني الشاذلي الشهير بالبدوي قدس سره ، ولد بزقاق الحجر بفاس سنة ٥٩٩ هـ وتوفي بطنطا من أرض مصر سنة ٦٧٥ هـ .

الأحمدية: شعبة من النقشبندية ، منسوبة إلى أبي العباس أحمد بن عبد الأحد الصديقي السرهندي النقشبندي .

الأويسية: منسوبة إلى سيد التابعين أبي عمرو أويس بن عامر القرني . قال أبو الأسرار حسن بن علي المكي: تقوم هذه الطريقة على المتابعة للسنة من غير تقييد بورد عام ، بل باشتغال بما يحضر فيه الفكر ويخشع به القلب وتلين له الجلود من أذكار السنة ، وهم الآخذون عن بعض روحانية الأنبياء أو الأشياخ ، كأخذ سيدنا أويس عن حضرة المصطفى ﷺ .

الإلياسية: منسوبة إلى نبي الله إلياس بن سام عليه السلام ، وهي إحدى الوسائط المتصلة برسول الله ﷺ . قال أبو الفتح الطاووسي: لها طريق واحد حموي .

الأهدلية: شعبة من القادرية ، منسوبة إلى الإمام قطب اليمن أبي الحسن علي بن عمر الأهدل الحسيني .

الأدهمية: منسوبة إلى أبي إسحق إبراهيم بن أدهم بن منصور البلخي الزاهد .

الأحمدية: شعبة من الجشتية ، منسوبة إلى الولي أبي العباس أحمد بن عبد الحق الرذولي الجشتي ، عرف بصاحب الزاد .

الأحمدية: شعبة من النقشبندية ، منسوبة إلى أبي العباس أحمد بن عبد الأحد الصديقي السرهندي المجدد للألف الثاني .

الأشرفية: شعبة من الجشتية ، منسوبة إلى أشرف الدين جهانكير السمناني الجشتي .

الباجية: منسوبة إلى أبي سعيد خلف بن أحمد الباجي التميمي المتوفى سنة ٦٢٨ هـ.

البكرية: منسوبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

البكائية: منسوبة إلى ولي الله البكيا.

البكية: منسوبة إلى ولي الله تعالى البكي التونسي.

البيانية: ويقال لها النبائية بتقديم النون على الباء، منسوبة إلى إمام الطائفة أبي البيان نباني محمد بن محفوظ القرشي المعروف بابن الحوراني بدمشق سنة ٥٥١ هـ المدفون بدمشق بباب الصغير من جهة الشاغور.

البرهانية: شعبة كبيرة من الشاذلية وإحدى الطرق المصرية منسوبة إلى الولي الكبير برهان الدين إبراهيم بن أبي المجد عبد العزيز بن قريش الحسيني الدسوقي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ.

البخارية: منسوبة إلى القطب الكبير السيد جلال الدين الأحمر الحسين بن أحمد الحسين البخاري الحسيني ، عُرف بمخدوم جهانيان ولد سنة ٧٠٧ هـ.

الباخرزية: منسوبة إلى الشيخ سيف الدين الباخرزي.

البزغشية: منسوبة إلى نجيب الدين علي بن بزغش الشيرازي ، وهي شعبة من السهرودية.

البسطامية: منسوبة إلى سلطان العارفين أبي يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان البسط المتوفى سنة ٣٦١.

البعولية: شعبة من القادرية، منسوبة إلى الولي العارف محمد بن حسين البجلي المدفون في عواجة إحدى قرى اليمن.

البهائية: شعبة من الشهابية، منسوبة إلى الولي الشهير بهاء الدين أبي يحيى زكريا الملتاني القرشي الأسدي.

البيضاوية: شعبة من الخضرية ، منسوبة إلى قاضي القضاة ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن البيضاوي.

البكتاشية: من طرق الروم ، شعبة من الصوفية ، منسوبة إلى إبراهيم الخراساني المعروف بالثاني.

التاجية: شعبة من النقشبندية، منسوبة إلى العارف بالله تاج الدين زكريا العثماني .

الجامية: منسوبة إلى شيخ الإسلام قطب الدين أحمد الناقي الجامي .

الجبرية: شعبة من الأهدلية ، منسوبة إلى القطب أبي المعروف إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد العقيلي القرشي الجبرتي الزبيدي .

الجزولية: شعبة من الشاذلية ، منسوبة إلى الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان بن يعلى الشريف الحسيني الجزولي السملالي مؤلف «دلائل الخيرات» والمتوفى سنة ٨٧٠ هـ .

الجشتية: منسوبة إلى معين الدين محمد المتوفى سنة ٦٣٣ هـ وهي طريقة منتشرة في الهند .

الجنيدية: منسوبة إلى سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد بن محمد القواريري البغدادي، تفقه على أبي ثور وسمع الحديث من الحسن بن عرفة ، واختص بصحبة السري السقطي والحارث المحاسبي وأبي حمزة البغدادي .

الجهرية: شعبة من الخضرية المنسوبة إلى الخضر ، منسوبة إلى خواجه أحمد اليسوي .

الحرالية: منسوبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن إبراهيم الحرالي التجيبي المتوفى بالشام سنة ٦٣٧ هـ .

الحرثية: شعبة من الجنيدية ، منسوبة إلى الإمام أبي العباس أحمد بن يوسف الحرثي العباسي المتوفى بدمياط سنة ٩٤٤ هـ .

الحكمية: شعبة من القادرية ، منسوبة إلى القطب أبي عبد الله محمد بن بكر الحكمي صاحب عواجة .

الحلبيه: شعبة من الأحمدية ، منسوبة إلى الإمام أبي العباس أحمد الحلبي .

الحلاجية: منسوبة إلى شيخ العشاق أبي المغيب الحسين بن منصور بن أبي بكر الحلاج .

الحومية: شعبة من الجنيدية ، منسوبة إلى شيخ الإسلام محمد بن حمويه بن محمد الحموي الجنيدي ، وهي طريقة وشعبة من الخضرية .

- الحيدرية: منسوبة إلى الشيخ قطب الدين حيدر الزواجي .
- الخرازي: شعبة من اليعقوبية ، منسوبة إلى الإمام أبي سعيد أحمد بن عيسى الخراز البغدادي المتوفى سنة ٣٨٦ هـ ، وهو أول من تكلم في الفناء والبقاء .
- الخضرية: منسوبة إلى أبي العباس الخضر عليه السلام ، ولها ثلاث شعب الكردوية والكرمانية والبيضاوية .
- الخضيرية: شعبة من السهروردية منسوبة إلى سليمان الخضير المتوفى سنة ٩٦٥ هـ .
- الخضرية: شعبة من البرغشية ، منسوبة إلى العارف بالله الشيخ سليمان الخضير الزبيري المتوفى ٩٦٥ هـ عن مائة وعشرين سنة .
- الخلوتية: شعبة من السهروردية منسوبة إلى الشيخ إبراهيم الزاهد الكيلاني .
- الخلوية: منسوبة إلى الولي العارف الشيخ محمد الخلوي .
- الخواجارية: شعبة من المدينة ، منسوبة إلى الإمام نور الدين علي بن ميمون الإدريسي .
- فرقة سيدي جمال الدين الكوراني: هو يوسف بن عبد الله بن عمر بن علي بن خضر العجمي نزيل القرافة .
- الخواطرية: شعبة من طريق أبي مدين المغوث ، وهي صحبة وتأديب وتلقين منسوبة إلى الإمام نور الدين علي بن ميمون الإدريسي الحسيني الأندلسي .
- الدردائية: منسوبة إلى سيد أهل الصفة أبي الدرداء عويمر بن مالك الخزرجي حكيم هذه الأمة ، وهي إحدى الوسائط الثمانية .
- الدقاقية: منسوبة إلى أبي علي الحسن بن علي الدقاق .
- الدمرداشية: شعبة من الخلوتية ، منسوبة إلى الإمام محمد دمرداش .
- الرضوية: منسوبة إلى القطب سيدي أبي الحسن علي بن موسى الرضي رضي الله عنه .
- الرفاعية: منسوبة إلى أحد الأقطاب الأربعة أبي العباس أحمد بن علي الرفاعي المولود سنة ٥٠٠ هـ والمتوفى سنة ٥٧٨ هـ ، وتُعرف في العراق بالأحمدية ، شعبة كبيرة من الجنيدية .

الراشدية: شعبة من الزروقية ، منسوبة إلى سيدي أحمد بن يوسف الراشدي
الملياني المتوفى سنة ٩٣٧ هـ.

الركنية: شعبة من الكبرى، منسوبة إلى ركن الدين أحمد بن محمد السماني
البيبانكي.

الروزبهانية: شعبة من المرشدية ، منسوبة إلى الإمام روزبهان بن أبي نصر
البقلي.

الروشنية: شعبة من الخلوتية، منسوبة إلى عمر الروشني التبريزي الخلوتي
المتوفى سنة ٨٩٢ هـ.

الزركوبية: شعبة من الشهاية السهروردية، منسوبة إلى الإمام عز الدين أبي
محمد مودود بن محمد المعين الزركوب.

الزروقية: وهي طريقةٌ صحبةٌ منسوبة إلى الإمام أبي العباس أحمد البرنسي
الشهير بزروق.

الزَنْقَلِيَّة: شعبة من الأحمدية، منسوبة إلى الولي علي زنفل الليدي الأحمدي
دفين محلة أبي علي القنطرة.

الزيلية: شعبة من القادرية، منسوبة إلى القطب الكامل صفي الدين أحمد بن
عمر الزيلي صاحب اللحية إحدى بنادر اليمن.

الساحلية: منسوبة إلى أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري
المعروف بالساحلي المالقي المتوفى سنة ٧٣٤ هـ.

السطوحية: هم أصحاب سيدي أحمد البدوي من الذين صحبوه على
السطح، منهم سيدي عمر الأشعث السطوحي.

السبتية: شعبة من المدينة، منسوبة إلى الإمام أبي العباس أحمد بن جعفر
السبتي المولود سنة ٥٢٤ هـ والمتوفى سنة ٦٠١ هـ.

السليمية: شعبة من الجشتية، منسوبة إلى الولي الشيخ سليم العمري من ذرية
القطب فريد الدين شكر كنج.

السبعينية: شعبة من الجنيديّة، منسوبة إلى الإمام قطب الدين أبي محمد
عبد الحق بن إبراهيم بن نصر الشهر بابن سبعين المرسي الأندلسي المكي

المولود سنة ٥١٤ هـ وتوفي بمكة سنة ٦٦٩ هـ.

السوسية: شعبة من طريقة أبي مدين، منسوبة إلى الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر السنوسي الحسني المتوفى سنة ٩٥.

السَّعدية: شعبة من الجنيديَّة، منسوبة إلى الشيخ سعد الدين الجبادي الشيباني الدمشقي.

السُّلفية: وهي خرقة منسوبة إلى الإمام الصوفي المحدث أبي طاهر محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني.

السلامية: شعبة من الأحمدية، منسوبة إلى سلام الأحمدي، ولها خرقة.

السعيدية: خرقة منسوبة إلى الشيخ أبي سعيد بن أبي الحيز بن فضل الله الميَّهني.

طريقة ابن حرزهم: تنسب إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم العثماني.

طريقة العجمي: منسوبة إلى الجمال يوسف الكوزاني العجمي.

طريقة ابن تيجان: منسوبة إلى الإمام أبي الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمي الإفريقي المقتول بمراكش سنة ٥٣٦ هـ.

طريقة ابن بركان: منسوبة إلى أبي الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن اللخمي الإفريقي ثم الإشبيلي الصوفي المشهور بابن بركان المتوفى قتيلاً سنة ٥٣٦ هـ.

طريقة سيدي أبي يعقوب البادلبي: القائل: إني لأشفع في جميع من رأني ونظر إلي ولو مرة.

طريقة المشاركة: شعبة من القادرية، منسوبة إلى الإمام الولي محمد بن موسى بن علي بن عجيل الذوالي اليمني الملقب بالمشرع.

طريقة باحداد.

طريقة سيدي فتح الله العجمي الأودهي: شعبة من الجشتية.

طريقة الطواشي: شعبة من القادرية، منسوبة إلى قطب اليمن نور الدين علي بن عبد الله الطواشي صاحب صبييا من أرض اليمن.

طريقة الزيلعي: منسوبة إلى قطب اليمن صفى الدين أحمد بن عمر الزيلعي القصيلي.

طريقة ابن عراق: منسوبة إلى السيد القطب المهاجر محمد بن عراق الموسوي.

طريقة ابن عَجِيل: شعبة من القادرية ، منسوبة إلى القطب الكبير أبي العباس أحمد بن موسى بن عَجِيل الدُّوالي اليميني المتوفى سنة ٦٩٠ هـ.

طريقة ابن عباد: من طريق الشيخ أحمد زروق ، منسوبة إلى محمد بن إبراهيم الشهير بابن عباد الرندي.

طريقة السجلماسي: منسوبة إلى محمد بن الحسن السجلماسي دفين فاس سنة ٥٧٥ هـ.

طريقة المحاسبي: منسوبة إلى الإمام الحارث بن أسد المحاسبي.

طريقة الإمام أبي طالب: محمد بن علي بن عطية البصري اليمامي المكي صاحب «قوت القلوب».

طريقة سيدي عبد الرحيم القنائي: القنائي تلميذ أبي مدين الفوت.

طريقة الغازي: منسوبة إلى أبي القاسم بن أحمد المدعو بالغازي الغيلالي الدرعي المتوفى سنة ٩٨١ هـ.

العباسية: خرقة منسوبة إلى الإمام أبي العباس البصير المدفون بالقرافة في زاويته بالقرب من زاوية سيدي أبي السعود أبي العشائر وهو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن جزي الأنصاري البلسني الأندلسي المتوفى سنة ٦٣٣ هـ.

العادلية: شعبة من البزغشية ، منسوبة إلى الإمام العارف بالله الشيخ بدر الدين العباسي ذي الضريح المكرم بمكة في سفح جبل .

العُرابية: منسوبة إلى العارف بالله سيدي علوان الحموي.

العلوانية: طريقة أخرى منسوبة إلى قطب اليمن الإمام صاحب الأهوال صفى الدين أحمد بن علوان اليميني صاحب يَفْرَس . المتوفى في حدود الثمانمائة .

العمودية: شعبة من المدينة، منسوبة إلى القطب الإمام أبي عيسى سعيد بن عيسى العمودي الصديقي .

العيدروسية: شعبة من المدينة، منسوبة إلى الإمام الشهير سيدي الشريف عبد الله بن أبي بكر العيدروس ولد بعده سنة ٨٥٦ وتوفي سنة ٩١٤ هـ .
وهي شعبة من الجنيديّة .

السعودية: فرقة منسوبة إلى القطب الشيخ أبي السعود بن أبي العشاء الواسطي البادريني المتوفى سنة ٦٤٤ هـ ، شعبة من الرفاعية .

السعودية: شعبة أخرى من السهروردية ، منسوبة إلى أبي السعود الجارحي المتوفى سنة ٩٣٣ هـ .

السهرمينية: فرقة منسوبة إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عثمان السهرميني .

السهروردية: إحدى الطرق الكبار المشهورة، منسوبة إلى الإمام أبي النجيب ضياء الدين عبد القاهر بن عبد الله البكري البغدادي السهروردي ، وهي شعبة كبيرة من القادرية .

الشاذلية: إحدى الطرق الكبار، منسوبة إلى القطب الكبير أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الإدريسي الحسيني الشاذلي رضي الله عنه المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

الشاطرية: شعبة من العشقية، منسوبة إلى الشيخ نجم الدين محمد بن علي بن قاضن المنيري الأنصاري الملقب بالشاطر ، وهي تحوي الفوئية .

الشريحية: منسوبة إلى الإمام أبي المقدم شريح بن هانئ بن يزيد الحارثي ، أدرك النبي ﷺ .

الشعيبية: شعبة من الأحمدية، منسوبة إلى الولي العارف بالله شمس الدين محمد بن محمد بن شعيب بن أحمد بن علي الحجازي الشعيبي الأبشيهي القاهري زائر القرافتين .

الششتريّة: منسوبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن عبد الله الششتري النمري من ششتر ، قرية من عمل وادي آشر، كان من أبناء الملوك والأمراء فصار من

سادات الفقراء ، توفي بدمياط سنة ٦٦٨ هـ .

الشهائية: شعبة من السهروردية، منسوبة إلى الإمام شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد السهروردي البكري .

الشهبازية: شعبة من البخارية، منسوبة إلى الولي الشهير السيد لال شهباز . غريب نواز المدفون في إحدى قصبات السند .

الشهاوية: شعبة من البرهانية، منسوبة إلى الشيخ محمد الشهاوي البرهاني .

الشنبكية: نسبة من الجبيرية ، منسوبة إلى الإمام أبي محمد الشنبكي الحسيني .

الشناوية: شعبة من الأحمدية ، منسوبة إلى سيدي محمد الشناوي المدفون بمحلة رُوح الغربية .

الصادقية: منسوبة إلى الشيخ ركن الدين محمد المنصور الملقب بالصادق بن صدر الدين المظفر بن محمد العمري .

الصدرية: شعبة من الحاتمية، منسوبة إلى الإمام صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي .

الصفوية: شعبة من الشهائية ، منسوبة إلى الإمام العارف بالله صفي الدين أحمد بن جبريل الحسيني الأردبيلي ، ويقال لها الأردبيلية أيضاً .
الصديقية: وهي البكرية .

السنهاجية: منسوبة إلى الإمام أبي البلاء سيدي محمد أمفار بن إسحاق الحسيني الإدريسي .

الطاووسية: شعبة من الجنيدية ، منسوبة إلى قطب الشريعة أبي الخير إقبال الملقب من عند رسول الثقلين صلى الله عليه وآله بطاووس الحرمين ، توفي ببارقوه .

طريقة أبي خزر: تنسب إلى بخلف بن أبي خزر (المتوفى سنة ٥٧٨) وهي مشهورة بالمغرب .

طريقة ابن الزياد: تنسب إلى أبي يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن المراكشي ، عرف بابن الزياد .

طريقة النهاري: تنسب إلى قطب اليمن زين الدين الشريف عمر بن موسى

النهارى الحسىنى صاىب الرباط بىبىل قعار بالىمن ، وهى شعبة من القادرىة .
طرىقة ابن العرفىف: شعبة من الجنىدىة ، منسوبة إلى الإمام أبى العباس
أحمد بن محمد بن موسى بن العرفىف الطنلىى نزل المرىة ، والمتوفى بمراكش
سنة ٥٨٦ هـ .

الغازىة: منسوبة إلى القطب أبى القاسم بن أحمد الفىلالى الدرعى المداعو
بالغازى المتوفى سنة ٩٨١ هـ .

الغزالىة: فرقة منسوبة إلى الإمام محمد بن محمد الغزالى مؤلف كتاب
«الإحىاء» .

الغماثىة: منسوبة إلى الإمام أبى زكرىا ىحىى الغماثى .

الغوثىة: شعبة من الشطارىة، منسوبة إلى الإمام حمىد الدىن بن خطىر
الحسىنى الملقب بغوث الله فى العالمىن ، وهو مؤلف كتاب «جواهر الخمس» .

الغىثىة: شعبة من القادرىة، منسوبة إلى شىخ مشاىخ الىمن أبى الغىث
سعىد بن سلىمان جمىل المدفون بأبىات عطا فى أرض الىمن .

الفردوسىة: شعبة من الباخزىة منسوبة إلى الإمام نجىب الدىن الفردوسى
صاىب المزار بالبركة الشمسىة خارى دهلى .

القادرىة: منسوبة إلى الإمام أبى محمد عبد القادر بن أبى صالح الجىلانى
الحسىنى .

القاسمىة: منسوبة إلى القطب أبى القاسم بن رمضان .

القشىرىة: شعبة من الجنىدىة، منسوبة إلى الإمام أبى القاسم عبد الكرىم بن
هوازن القشىرى المتوفى سنة ٤٦٤ هـ .

الكردوىة: شعبة من الخضرىة، منسوبة إلى الإمام أبى الحسن على بن عبد الله
المعروف بكردوىة .

الكبرىة: منسوبة إلى الإمام أبى الجنّاب نجم الدىن أحمد بن عمر
الخوارزمى المعروف بـ(الطاقة الكبرى) .

الكرمانىة: شعبة من الخضرىة ، نسبة إلى شهاب الدىن أبى سعىد زفر بن
محمود بن محمد الكرمانى .

الكبيرية: شعبة من الجنيدية ، منسوبة إلى الإمام أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي المعروف بالشيخ الكبير ، وقبره بشيراز .

الكلشنية: شعبة من الخلوتية ، منسوبة إلى الإمام العارف بالله تعالى السيد إبراهيم العجمي الحسيني الكلشني ، صاحب الزاوية بمصر بباب زويلة المتوفى سنة ٩٤٠ هـ .

المجدولية: منسوبة إلى الولي الكامل أبي عقاب غلبون بن الحسن بن غلبون القيرواني من بني الأغلب ، من ملوك إفريقية ، جلس أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب إلى أن مات في سجوده سنة ٢٩١ هـ وكل من كان على هذا القدم فهو مجدول .

المحمدية: وجه اختصاصها بالانتساب إليه ﷺ أن كلاً راجع إليه ومستمد منه ، وذلك أن صاحبها بعد تصحيح بدايته وسلوكه على منهج الاستقامة يشتغل بالصلاة والسلام عليه ﷺ إلى أن تستولي محبته على قلبه ويخامر سره في لبه بحيث يهتز عند سماع ذكره ، ويغلب على قلبه مشاهدته ، ويصير متمثلاً له بين عيني بصيرته فيسبغ الله عليه نعمه ظاهراً وباطناً ويراها يقظةً ومناماً ويسأله عما يريد ، وكان على هذا القدم السيد عبد الله بن إبراهيم أمير غني الحسيني صاحب اللطائف .

المدارية: منسوبة إلى القطب السيد بدیع الدين الملقب بشاه مدار المتوفى سنة ٨٤٠ هـ .

المدينية: منسوبة إلى القطب أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي المتوفى سنة ٥٧٣ هـ توفي عن خمس وثمانين سنة ، وكان آخر كلامه: (الله حي) ، وخرج من دائرته ثلاثمائة قطب دون الصالحين .

المرشدية: منسوبة إلى الإمام مرشد السالكين أبي إسحاق إبراهيم بن شهریار الكازروني .

المشيشية: شعبة من المدينية ، منسوبة إلى القطب عبد السلام بن مشيش الحسيني الإدريسي الذي لم يقف على قبره شقي ، توفي سنة ٦٣٤ هـ .

المعمرية: منسوبة إلى الشيخ معمر الجيلي شيخ الصوفية بما وراء النهر ،

دفن بين أردبيل وجيلان ، عمر كثيراً حتى قيل إن له صحبة كذا قاله أبو الفتوح الطاووسي .

المؤلمية: شعبة من الجنيدية منسوبة إلى الشيخ مؤمل بن عبد الله البنا .

الملامتية: وهي طرق كثيرة منها طريق حمدون القصار شيخ الملامتية بنيسابور، ومنه انتشر مذهب الملامتية، مات بنيسابور سنة ٢٧١ هـ أخذ عن الحسن بن أحمد بن أحمد بن صبيح الفيومي ، عن ذي النون المصري ، عن الفضيل بن عياض .

ومنها طريقة ابن شتا الملامتي المتوفى سنة ٩٩٧ هـ ، ومنها طريقة أبي النور إبراهيم بن علي الزرهوني الملامتي .

المولوية: المنسوبة إلى الولي العارف بالله تعالى جلال الدين محمد بن محمد بن محمد الرومي البكري المعروف ببلاد للروم بمنلا خنكار صاحب المزار بقونية .

المهدوية: منسوبة إلى الإمام أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدي المتوفى سنة ٦٢١ هـ .

النوحية: شعبة من الأحمدية، منسوبة إلى الشيخ عامر بن نوح الأحمدي .
النورية: شعبة من الكبروية، منسوبة إلى الإمام نور الحق والدين عن عبد الرحمن الإسفرايني .

النوربخشية: منسوبة إلى الشيخ محمد بن يحيى الأدهمي الجيلاني النوربخشي المتوفى سنة ٨٧٧ هـ .

النقشبندية: منسوبة إلى سيد الطائفة خوجة بهاء الدين محمد بن محمد الحسيني البخاري المعروف بتقشند ولها طرق ونسب وشعب، تقدم ذكر بعضها .
النسيمية: شعبة من القادرية، منسوبة إلى أبي عبد الله محمود نسيم الدين النسيمي الخلوتي القادري .

النعمانية: شعبة من الجنيدية، منسوبة إلى إمام العارفين القطب أبي الحسن علي بن محمد وفا الأنصاري الحسيني القرشي ولد سنة ٧٥٩ هـ وتوفي بمصر سنة ٨٠٧ هـ .

الهروية: منسوبة إلى شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي مؤلف كتاب «منازل السائرين».

الهزيمرية: شعبة من الخضرية، منسوبة إلى الإمام أبي عبد الله محمد الهزيمري.

الهمدانية: شعبة من الكبرى، منسوبة إلى الإمام القطب سيدي علي الهمداني الحسيني وهو جد السجادة البرزنجية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

اليعقوبية: شعبة من الخضرية، ولها نسبة واحدة يقال لها الخرزاية وقد تقدمت.

الطريقة المولوية: مؤسسها ، ومجالسها.

مؤسس هذه الطريقة هو جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين البلخي القونوي الرومي.

ولد في بلخ بفارس سنة ٦٠٤ هـ وانتقل مع أبيه إلى بغداد في الرابعة من عمره فترعرع فيها في المدرسة المستنصرية حيث نزل أبوه ، ولم تطل مدة إقامته ، فإن أباه قام برحلة واسعة ومكث في بعض البلدان مدداً طويلة وهو معه ثم استقر في قونية سنة ٦٢٣ هـ/١٢٢٦م. ولم يغادرها إلا لرحلة قصيرة.

وفي رحلاته مع أبيه أخذ إلى نيسابور وقدمه إلى الشاعر الكبير العطار ، وكان هذا الشاعر قد طعن في السن ، وتنبأ له العطار بمستقبل عظيم وأعطاه مؤلفه «كتاب الأسرار».

وكان للقاءه مع شمي الدين التبريزي أعظم الأثر في حياته الفعلية والأدبية ، فقد وفد التبريزي بفضل هذا الأستاذ الكبير إذ انصرف بعدها إلى التصوف بعد أن كان مدرساً في أربع مدارس فقهية ، وانقطع إلى رياضة الصوفية وسماع الموسيقى ونظم الأشعار وإنشادها ، وأقام طريقة المولوية التي جعل للموسيقى مكاناً حافلاً في هذه الطريقة .

توفي جلال الدين الرومي في قونية عام ٦٧٢ هـ وقبره قائم في التكية التي أنشأها ودفن خلفاؤه بالقرب منه .

أما كتابه «المنوي» فقد صرف أربعين عاماً في نظمه ، وهو منظومة صوفية

فلسفية في ٢٥٧٠٠ بيت في ستة أجزاء كتب مقدمتها بالعربية وتخللتها أبيات عربية من نظمه ، وله أيضاً ديوان شعر ورسالة نثرية عنوانها (فيه ما فيه) .

يعتبر جلال الدين من شعراء الطبقة الأولى في التصوف ، ففي شعره تنوع الأخيلة وأصالتها ، وسعة العلم وعمق الشعور والتفكير ، وفيه من الأمثال التي توحى بتأملات متعمقة، ويغلب على شعره الفكرة الفلسفية أكثر من الإبداع الشعري .

مجلس السادة المولوية مشتمل على صلاة وقراءة قرآن وحديث ووعظ ونصائح للمريدين وذكر كلام المثنوي ، وسماع طاهر من كل فسق ، وتواجد بدوران وإظهار بر ، وطاعة وإذعان لمشايخ هذا الشأن ، وأدعية شريفة وثناء بذكر الصالحين المتقدمين أولي المقامات المنيفة ، وحضور جماعة من الناس هذا المجلس .

وهذا المجلس له عشرة أحوال :

١ - يشتمل مجلس المولوية على الصلاة بالجماعة وهي سنة مؤكدة وقيل فرض عين .

٢ - ويشتمل أيضاً على قراءة القرآن العظيم ورواية شيء من حديث رسول الله ﷺ ، ولا شك أن ذلك من أفضل الطاعات وأشرف العبادات .

٣ - يقدم شيخ المجلس الوعظ والنصيحة لفقراء الطريقة وبقية الحاضرين من الناس وذكر قصص الصالحين وأخبار الأنبياء والمرسلين بحسب ما ينساق إليه الكلام في ذلك المقام، مع ما يستجلب ذلك من مباح تميل إليه النفوس من سماع وغيره لتتوفر الدواعي بحصول النفع والفائدة وهو أمر مطلوب .

٤ - قراءة المثنوي الشريف المنظوم بالوزن اللطيف في العلوم الإلهية والمعارف الربانية والحقائق ، ويشتمل على ذكر آيات قرآنية وأسرار أحاديث نبوية وذكر قصص ومواعظ إيمانية ونصائح وأمثال وحكم عرفانية ، مقرر باللغة الفارسية، ألفه سلطان العلماء جلال الدين الرومي وقد مدح النابلسي هذا الكتاب بقوله :

بكتاب المثنوي طاب الوجود وتوالى كل إثم وجود
وبه الأبواب منا فرحت بعقود هي من أبهى العقود

ورياض الدين قد راقته به وهو بحر العلم فيه قد سرت ليس يدري قدره غير فتى رشحات من إناء مفعم من همام رفع الله له كيف لا هُوَ إمام الأوليا قدس الله له الروح التي وبدا سر ركوع وسجود سفن الكل إلى دار الخلود روحه تشرق من تحت الجلود بعلموم هي لله تقود في الورى ذكراً بلا ثوب جحود طيب العنصر محمود الجدود هي بالأمر الإلهي في سعود

فيقرأ المعيد في مجلس المولوية - على كرسي ينصب له - شيئاً من كلام المثنوي المذكور ، ويتكلم على ذلك شيخهم فوق كرسي آخر ينصب له في ذلك المجلس المعمور تعظيماً واحتراماً لكلام أهل الله تعالى ، وأدباً ما تضمن من العلوم الإلهية ومعارف أهل التمكين ، وربما يورد شيخهم شيئاً مما تكلم به الشارحون المحققون ، وفقراء الطريقة حاضرون بين يديه على كمال الأدب والاستماع إلى ذلك .

٥ - يشتمل هذا المجلس أيضاً على السماع الطيب بالآلات المطربة كالشبابة والدف ونحو ذلك ، ولا اقتران لذلك بشيء من المناكر في المجلس أصلاً ، وإنما هو مجرد سماع آلات مطربات ترويحاً للقلوب وتنشيطاً للسلوك في طريق علام الغيوب ، أما حرمة السماع فهي مقرونة إذا كانت ملاهي واللهو الحرام ، لا اللهو المباح ، وكل ما دعا إلى الفسق والحرام فهو فسق وحرام ، والملاهي المستعملة في الفسق والحرام تدعو إلى الفسق والحرام فهي حرام وما لا يكون كذلك فليس بحرام ، ولذلك يقول جلال الدين الرومي في أول كتابه المثنوي :
بشنوازني جون حكاية ميكند إذ جدايتهها شكايه ميكند

يعني : اسمع الناي وهو الشبابة كيف يحكي الحكاية الإلهية في خلق الحقيقة الإنسانية فهو رضي الله عنه أمر بسماع الشبابة بهذا المعنى المذكور من طريق الإشارة لا على جهة اللهو والغفلة ، وهكذا أحوال صوفية المولوية .

٦ - التواجد المألوف بدورانهم المعروف ، وهي الحركة الدورية الفلكية في عالم الخلق والدورية التجديدية في عالم الأمر ، قال تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: ١٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٤٩] . وقد ذكر العلماء هذه المسألة بلفظ الرقص والتواجد وهو منهي عنه إن قصد أحد

الذاكرين الكذب والرياء بذلك ، وأما التواجد بمعنى التفاعل وهو تكلف الوجد ممن لا وجد له ليصير له وجد وشوق في الذكر فليس هو بمذموم كما قال القشيري في رسالته .

٧ - إظهار الطاعة والإذعان بإحناء الظهر من أهل هذا الشأن وقرائهم المتأدبين في السر والإعلان ، ويفعلون ذلك مع بعضهم البعض في وقت الدوران حال تواجدهم للبر والطاعة للشيخ وهو أمر مقبول . وقد ورد أن الله يحف بالذاكرين في حال ذكرهم لله ، ولا تخصيص للذكر بكيفية دون كيفية بعد أن يكون خالياً من المنهي عنه في الشرع ، وهذا الذكر المولوي بالدوران مع التكلم باللسان خفية باسم من أسماء الله تعالى كما هو معروف بينهم ، ولو في البعض منهم دون البعض .

٨ - الأدعية الشريفة لهم ولفقائهم ولكل من حضر عندهم بالخصوص والعموم ، وهذا أمر من أكبر الطاعات وأفضل القربات .

٩ - مدائح وأثنية تذكر للأولياء المتقدمين والمتأخرين والترحم عليهم ، والترضي عنهم وذكر أسمائهم وألقابهم ، وإهداء ثواب القراءة إليهم ، خصوصاً ذكر سلطان العلماء حضرة جلال الدين الرومي صاحب المشنوي ، وذكر شيخه العارف شمس الدين التبريزي وغيرهما أيضاً ممن تذكر أسماءهم ، ولا سيما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذكر نبينا محمد ﷺ .

١٠ - ويكون ذلك بحضور جماعة من المسلمين وطائفة من الناس مختلفين بنيات مختلفة ومقاصد متفرقة ، والله أعلم بالنيات وبمقاصد البريات .

وفي دمشق كان علماء البلدة يحضرون مجالس المولوية كشيخ الإسلام عبد الرحمن العمادي مفتي الحنفية ، والشيخ نجم الدين الغزي مفتي الشافعية وغيرهما من أهل العلم المشهورين ، وكذلك الشيخ إسماعيل النابلسي والد الشيخ عبد الغني صاحب «الشرح الكبير» على شرح الدرر والغرر وغيرهما من المؤلفات ، وحضر معه ابنه الشيخ عبد الغني .

هذه أهم قواعد مجلس المولوية .



المراجع

- ١ - المصادر: الأعلام للزركلي ٣٠/٧.
- ٢ - دار المعارف الإسلامية ٦٠/٧.
- ٣ - العقود اللؤلؤية في طريق السادة المولوية لعبد الغني النابلسي.

عبد الغني النابلسي دراسة في حياته وأعماله وأحواله

من خلال كتاب

«الورد الإنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف بالله عبد الغني النابلسي»
تأليف:

محمد كمال الدين الغزي العامري المتوفى سنة ١٢١٤ هـ

عرض وتلخيص: محمد مطيع الحافظ^(١)

عمرت صالحية دمشق على العلم والصلاح ، وقامت فيها المدارس المتخصصة ، ونشأ فيها كبار العلماء ، وفي سفح قاسيون وبالقرب من المدرسة العمرية ومن مرقد الشيخ محيي الدين بن عربي عاش العارف عبد الغني النابلسي فترة طويلة من حياته ، ويعود نسبه إلى أولئك الأجداد الكبار آل بني قدامة المقدسيين مؤسسي صالحية دمشق ، الذين تركوا أثراً علمياً واجتماعياً بليغاً في دمشق وما حولها .

والنابلسي علم من أعلام الأمة ، كان له تأثيره الكبير في عصره وفي العصور التالية له ، كانت له مدرسته في علوم شتى ، فهو العالم الموسوعي المتعدد الجوانب ، الغزير المواهب ، إذ لم يكن صوفياً من الطراز الأول فحسب ، ولكنه كان بالإضافة إلى ذلك فقيهاً ومؤرخاً وأديباً وشاعراً ، فهو الفقيه الحنفي المعتمد صاحب الآراء والاجتهادات الفقهية في المذهب ، كما أنه الصوفي المجدد في مذهب الشيخ محيي الدين بن عربي والمفسر لأقواله وأحواله ، وهو الشاعر الكبير والأديب المشهور ، صاحب الدواوين الشعرية المشهورة ، وأشعاره قد تناقلها الناس جيلاً بعد جيل وأنشدها الصوفية في حلقاتهم

(١) نشرها المؤلف في مجلة «التراث العربي» العدد العاشر السنة الثالثة ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

ومجالسهم ، وهو المؤرخ الذي أرخ لعصره وللصوفية من خلال رحلاته ومشاهداته ولقاءاته العلمية ، فهو بذلك جمع المعارف من كل أطرافها ، وأوتي مقدرة عجيبة في التأليف من حيث نوعيتها وكثرتها ، وبذلك اعتبر الرجل الأول في عصره وما زال تأثيره مستمراً حتى عصرنا الحاضر ، لذا فقد قامت دراسات ومقالات تناولت حياته العلمية والشخصية قديماً وحديثاً ، في كتب أفردت ترجمته أو في كتب التراجم العامة^(١) . ويعتبر كتاب (الورد الإنسي والوارد القدسي) . أفضل وأشمل دراسة عن النابلسي حيث جمعت وأحاطت بجميع عناصر الترجمة إذ توافرت للمؤلف المصادر الأساسية واعتمد على اللقاءات مع تلاميذ النابلسي وقرابته .

ونظراً لأهمية الكتاب قمت بدراسة موجزة له وقدمت لذلك بمقدمة تشتمل على وصف للكتاب ومؤلفه ، وعمدت إلى إيراد النصوص كما وردت عند المؤلف ووضعتها بين حاصرتين ؛ بحيث تتكون بذلك ترجمة جامعة للنابلسي .

* وصف المخطوط :

كتاب «الورد الإنسي والوارد القدسي» من نوادر المخطوطات التي تضمها مكتبة آل النابلسي في صالحة دمشق ، ويحتفظ الأستاذ محمد رياض المالح بنسخة مصورة عنه ، وهي نسخة موثقة وعليها مقابلة على نسخة المؤلف ثلاث مرات مع التصحيح كما ذكر على وجه غلاف الكتاب ، ثم إن عليها تملكاً لأمين فتوى دمشق عبد المحسن المرادي ومطالعة لمحمد سعيد بن محمد عطا الله الأيوبي ، أما ناسخها فغير معروف ، خطها نسخي معتاد ، وبعض الكلمات كتبت بالحمرة ، مقياسها ٣١×٢٤سم وعدد أوراقها ٢٦٧ ورقة ، وقد وجد بياض في بعض الأسطر في جزء من صفحاتها ، نبه الناسخ إلى ذلك بقوله : (مهما وجد بياض في هذه النسخة فهو من أصله) وهذا من عادة المؤلف في أكثر

(١) انظر في ترجمة النابلسي المراجع التالية: سلك الدرر للمرادي ٣/٣٠-٣٨ ، عجائب الآثار للجبرتي ١/١٥٤-١٥٦ ، تراجم بعض أعيان دمشق لابن شاشو ٦٧-٨٣ ، هدية العارفين ١/٥٩٠-٥٩٤ ، عقود الجواهر لجميل العظم ٤٦-٦٩ ، معجم المطبوعات لسركيس ١٨٣٢ ، جامع كرامات لأولياء اللنبهاني ٣/٨٥-٨٩ ، الأعلام للزركلي ٤/١٥٨ ، معجم المؤلفين لكحالة ٥/٢٧٢ ، فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية ، الفقه الحنفي لمحمد مطيع الحافظ .

مؤلفاته إذ إنه يترك هذا البياض ليضيف ما يستدرکه في المستقبل متى وجد إلى ذلك سيلاً .

* مصادر المؤلف :

تعتبر صلة القربى العامل الأساسي في تأليف الكتاب ، فالنابلسي جد المؤلف لأمه ، إذ إن محمد شمس الدين الغزي - (جد كمال الدين الغزي المؤلف) - صهر العارف النابلسي وختنه وتلميذه ، فقرابته بالنابلسي وقرب العهد بالمؤلف به جعلاه يلتقي بالكثير ممن كانت له صلة وثيقة بالنابلسي سواء كانوا من تلاميذه أو من قرابته ، كل ذلك صير كتاب «المورد الأنسي والوارد القدسي» المصدر الأول والأساسي في ترجمة النابلسي أما مصادره المكتوبة فقد ذكرها في مقدمته منها :

١ - ثبت جده المسمى (لطائف المنّة في فوائد خدمة السنة)^(١) .

٢ - ثبت العلامة أبي الفداء إسماعيل العجلوني .

٣ - رحلة عبد الرحمن الخياري (تحفة الأدباء وسلوة الغرباء) .

٤ - ثبت الشهاب أحمد بن علي المنيني .

٥ - نفحة الريحانة لمحمد أمين المحبي .

٦ - سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للعلامة المفتي محمد خليل

المرادي .

كما أنه أشار إلى مؤلفات أفرد فيها مؤلفوها ترجمة النابلسي منها :

١ - المشرب الهني القدسي في كرامات الشيخ عبد الغني النابلسي ، تأليف : حسين بن طعمة البيتماني^(٢) .

٢ - العقد السني في مزايا الشيخ عبد الغني النابلسي .

وهناك رسالة لم يطلع عليها الغزي وهي :

(١) كتاب (لطائف المننة في فوائد خدمة السنة) تأليف محمد الغزي منه نسخة في المكتبة الظاهرية (انظر المنتخب من مخطوطات المكتبة الظاهرية قسم الحديث) .

(٢) ذكر الكمال الغزي عند ذكره لهذا الكتاب «أنه اتصلت به نسخة منه بخط مؤلفها» وهذه النسخة آل أمرها إلى مكتبة جامعة برنستون رقم ١٨٠٨ وهي في ٣٧ ورقة (معجم المؤرخين الدمشقيين ص ٣٦٥) .

- الفتح الطري الجني في بعض مآثر شيخنا الشيخ عبد الغني النابلسي ،
تأليف مصطفى ابن كمال الدين البكري^(١) .

※ مؤلف الكتاب :

هو أبو الفضل كمال الدين محمد بن محمد شريف بن شمس الدين محمد بن
عبد الرحمن الغزي العامري .

ولد بدمشق في السابع من جمادى الآخرة سنة ١١٧٣ هـ ، ونشأ بها في
رعاية والده ، وقرأ القرآن على الشيخ محمد الحجاوي ، وأخذ عن كثيرين من
علماء عصره منهم : الشيخ محمد سعيد السويدي والشيخ هبة الله التاجي ،
والشيخ علي الداغستاني والشيخ محمد الكزبري .

تولى إفتاء الشافعية بدمشق سنة ١٢٠٣ هـ بعد وفاة والده . وتوفي بدمشق في
صفر سنة ١٢١٤ هـ ودفن بتربة الدحاح^(٢) .

مؤلفاته كثيرة أهمها :

- التذكرة الكمالية المسماة بـ(الدر المكنون والجمان المصون من فرائد
العلوم وفوائد الفنون) وتشتمل على فوائد تاريخية وأدبية ومطارحات شعرية
وغيرها ، والكتاب في عشرين جزءاً أكثرها تحتفظ به المكتبة الظاهرية .

- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل ، طبع بدمشق سنة ١٩٨٢ م
بتحقيق محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة .

- الورد الإنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف بالله عبد الغني النابلسي
منه نسخة مخطوطة في مكتبة النابلسي ، ونسخة في الجامعة الأمريكية ببيروت

(١) الفتح الطري . منه نسخة في المكتبة الظاهرية رقم ٥٣١٦ .

(٢) للتوسع في ترجمته انظر : فهرس الفهارس للكتاني ١/٣٦٠ ، ٢/٢٥٤ ، روض البشر للشطي
١٩٩ ، منتخبات تواريخ دمشق للحصني ٢/٦٧٥ ، حلية البشر لليطار ٣/١٣٣٢ ، معجم
المؤرخين الدمشقيين للدكتور صلاح الدين المنجد ٣٧٧ ، مختصر طبقات الحنابلة
للشطي ١٤٥ ، النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل لكامل الدين الغزي
(المقدمة) . أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث لأحمد تيمور باشا ٣١٨ .

رقم ٧٥٢ ونسخة في دار الكتب المصرية رقم ٧١٦١ ونسخة ثانية برقم ٨٠٧٢^(١).

* أبواب الكتاب :

رتب المؤلف كتابه في مقدمة وثلاثة عشر باباً وخاتمة ، ويعرض وتلخيص أهم ما ورد فيه تقديم صورة صادقة وواضحة لحياة النابلسي ، مع فوائد تاريخية ضمها الكتاب تتصل بعصر النابلسي ومعاصريه .

المقدمة: في ذكر الصالحين ونقل آثار الأولياء الكاملين (الورقة ٥ - ١٢):

نقل المؤلف ما اتصف به الصالحون في حياتهم الخاصة والعامة وما أوتوا من فضائل ومزايا تحلوا بها ما جعلهم من أولياء الله .

الباب الأول: في ذكر نسبه الشريف وتراجم أسلافه ونسبه العمري (١٣ - ٣٢ق):

أشار المؤلف إلى الكيفية التي تم فيها تغيير لقب المترجم من المقدسي إلى النابلسي ثم ترجم لأجداده فقال:

«الباب الأول في نسبه العريق الطاهر المتصل بالعلماء الأكابر من أوله إلى الآخر . . وكيف انتسب الشيخ إلى نابلس مع أن طائفته كلهم من بيت المقدس فنقول معتمدين على ما هو من خطه الشريف الصحيح فهو:

الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن عماد الدين بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد الله الكناني الحموي الأصل المقدسي الشهير بالنابلسي» .

«ويتصل نسبه بالخليفة عمر بن الخطاب وذلك لأن النابلسي يتسب للإمام موفق الدين أخي الشيخ أبي عمر بن قدامة المقدسي ، والموفق المذكور متصل الانتساب بالإمام عمر رضي الله عنه» .

أما شهرته بالنابلسي فقد أشار المؤلف إلى أن «برهان الدين إبراهيم (جد النابلسي الرابع) استوطن نابلس مدة بعد أن خرج من بيت المقدس ، ثم رحل منها إلى دمشق ، واستوطنها وبقيت ذريته بها واشتهروا ببني النابلسي» .

(١) انظر (المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة) للدكتور المنجد ص ٣٧٧ .

الباب الثاني : في ولاته وما يتعلق بها ومبدأ حاله وأمره (٣٣ - ٤٥ ق):

«ولد الأستاذ (الناقلي) يوم الأحد رابع ذي الحجة سنة خمسين وألف كما ذكره الأستاذ في رسالته المسماة (الحوض المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود)^(١) وكان موافقاً لسابع يوم من آذار ، والقمر في برج الثور بمنزلة الثريا - وكان والده مسافراً إلى الديار الرومية (التركية) وقد اشتهر والده بالعلم والفضل والشهرة وله مؤلفات كثيرة^(٢) وكان موضع ولادته في دار أمه... الكائنة في باطن دمشق بمحلة سوق القطن في زقاق المصبغة الكيوانية».

«أما والدته فهي التقية الصالحة زينب بنت الشيخ محمد بن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن يحيى الدويكي الدمشقي ، ووالدها كان ذا علم وافر وتجارة ، سافر إلى الهند ، وكانت وفاته فيها ، وكانت والدته من أهل الدين والصلاح والتقوى ، وكان لها حنو كثير ، وإلى هذا يشير (الناقلي) بقوله:

وإن لي أمأ فكننت عونها تحنو علي حيث مالي أب
توفيت سنة ١١٠٤ هـ ودفنت بالقرب من قبر معاوية بن أبي سفيان وقبر الشيخ نصر المقدسي في مقبرة الباب الصغير بدمشق».

نشأ الناقلي في بيت علم وفضل ، اشتهرت أسرته بصلتها القوية بالعلم والزهد والتصوف ، فلا عجب أن ينشأ الناقلي نشأة علمية فيبدأ في سنة مبكرة بنظم الشعر والتأليف ، يقول الغزي:

«وقد بدأ نظم الشعر ولما يتجاوز من العمر اثنتي عشرة سنة ، إذ رثى والده الذي توفي سنة ١٠٦٢ هـ ، ونظم (البديعية) وعمره خمس وعشرون سنة ، ثم شرحها في ثلاثة أسابيع ، وكان قد ابتداء التصنيف وإلقاء الدروس حين بلوغه العشرين سنة ، فشرح في إلقاء الدروس بالجامع الأموي ، وكان مكان تدريسه في الجهة القبليّة تجاه سيدنا يحيى الحصور ، فأقرأ بكرة النهار في عدة علوم ، وبعد العصر في كتاب (الجامع الصغير) ، ثم (الأربعين النووية) ، ثم (الأذكار

(١) رسالة الحوض المورود.. منها نسخة بخط المؤلف في المكتبة الظاهرية برقم ٤٠٠٨ الورقة ٤٦ - ٤٨.

(٢) في ظاهريّة دمشق مؤلفات مخطوطة كثيرة. انظر فهرس مخطوطات الفقه الحنفي (١ - ٢).

(النووية) ، وكان يقرئ مع ذلك في الجامع الأموي كتب الشيخ الأكبر (الفصوص) (ومواقع النجوم) وغيرها ، واستمر على هذه الحالة إلى سنة تسعين وألف ، وفي سن إحدى وتسعين وألف دخل الخلوة ولزم العزلة وكان تجاوز الأربعين وبقي في الخلوة والرياضة سبع سنوات ، وكان موضع خلوته في داره التي بسوق العنبرانية المواجهة للباب القبلي من جامع بني أمية في القصر المطل على السوق المذكور... وكان غالب أمره في الخلوة تلاوة كتاب الله تعالى والتأمل في أسراره ومعانيه ، والغوص على ما اندرج من الحكم فيه ، وجمع ذلك في مؤلفه المشهور الذي سماه (بواطن القرآن ومواضع الفرقان) نظماً على قافية التاء ، وصل فيه إلى سورة براءة بما يزيد على خمسة آلاف بيت .

ولما خرج من الخلوة اشتهر أمره ، وأقبل على التأليف .

الباب الثالث: في شمائله وأطواره وأحواله وزهده ومكارم أخلاقه وصفاته (٤٥ - ٥٦ ق):

«ولما خرج (النابلسي) من الخلوة أخذ في السياحات فرحل إلى زيارة أرض البقاع العزيز وجبل لبنان ، وجمع في ذلك رحلة سماها (حلة الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز)^(١) وذلك في سنة واحد ومائة وألف .

ثم ارتحل إلى زيارة بيت المقدس وبلدة سيدنا إبراهيم الخليل ، وجمع في ذلك رحلة سماها: (الحلة السندسية في الرحلة القدسية)^(٢) .

ثم في غرة سنة خمس ومائة وألف ارتحل الرحلة الكبرى وهي التي جمع فيها وصنف في ذلك كتاباً حافلاً سماه (الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز) ، وهي الرحلة التي وقع له فيها أحوال ووقائع؛ فقد خرج من دمشق وكان بصحبته من تلاميذه وأخصائه سبعة ، ولم يكن معهم شيء من المال ، ولا مما يحتاج إليه المسافر سوى إبريق القهوة والخيل ، ثم طافوا جميع القطر الشامي لأجل زيارات الأنبياء والأولياء ، ولم يزل يتنقل بهم حتى وصل

(١) حلة الذهب الإبريز... منه نسخة في الظاهرية رقم ٧٩١٠ وثانية برقم ٨٣٦٦ وقد طبع الكتاب مؤخراً في بيروت (المعهد الألماني).

(٢) الحلة السندسية... في المكتبة الظاهرية وعنوانها: (الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية) رقمها ٣٦١٣ ، ونسخة ثانية ٦٨٤٤ .

إلى العريش المصري، ثم إلى القاهرة، وأنزله الأستاذ زين العابدين البكري الصديقي في داره، بعد أن خرج جملة من أعيان مصر للقاءه، ثم سار من هناك قاصداً المدينة المنورة على طريق الحاج المصري.

توليه فتوى الحنفية:

«وفي سنة ثلاث عشرة ومائة وألف ولي إفتاء السادة الحنفية بدمشق^(١) فكتب إليه مهنتاً ومؤرخاً تلميذه مصطفى الصمادي قصيدة أولها:

سعدت دمشق لها الفخار على السوى ولزمره العلماء حق هناء
إلى قوله:

مفتي دمشق القطب أرخت المنى هو في الحقيقة حقه الإفتاء
* تدرسه في المدرسة السليمية:

«وفي سنة خمس عشرة ومائة وألف ولي تدریس السليمية في صالحية دمشق، وابتدأ فيها في غرة ذي القعدة من أول (تفسير البيضاوي) وشرع في كتابة الشرح عليه المسمى (بالشرح الحاوي على تفسير البيضاوي على وجه البسط والإيضاح) وانتهى في الكتابة عليه في سورة البقرة في ثلاثة مجلدات».

* مسكنه ومنزلة:

«كان الأستاذ في أول أمره يسكن داخل دمشق بدار بني النابلسي المشهورة بهم الكائنة بسوق العنبرانيين قبلي الجامع الأموي الشريف، ثم لما صدرت الفتنة بدمشق بين جند القول وطائفة الأشراف، وبغى جند القول على الأشراف؛ ذبحوا منهم رجلاً تجاه دار الأستاذ، وحصل للأستاذ بسبب ذلك انزعاج عظيم، فخرج بعياله، وبنى داراً من دك التراب بسفح قاسيون عند تربة المولهيين ومزار الشيخ يوسف القميني، وسكن هناك مدة تباعداً عن الناس، ثم في أوائل سنة تسع عشرة ومائة وألف أحكره الشيخ أسعد أفندي البكري الصديقي قطعة من بستانه المسمى بالعجمية شرقي المدرسة العمرية إلى جهة القبلة تحت نهر يزيد فابتناها الأستاذ داراً وسكنها ودفن بها آخراً».

(١) الحقيقة والمجاز... منه أربع نسخ في الظاهرية بالأرقام التالية: ٣٢٢٦، ٣٢٢٥، ٤٧٥٣، ٤٦٤٢.

* قصر النابلسي :

«وكان للأستاذ قصر جميعه من الخشب؛ يشتمل على شبابيك وكتيبة ، وتحتة إيوان مرتفع عن الأرض ، وله عزابات من الحديد تشده ، ركب بعضه على بعض ، فيفك وينقل من مكان إلى مكان من البساتين وغيرها ، وقد كان اصطناعه للأستاذ في سنة تسع وثلاثين ومائة وألف ، وقد جعل له الأستاذ تاريخاً من نظمه الشريف :

قد قيل لي إن القصور جميعها مبنية بحجارة تستقل
أ يكون قصر في البيوت وتارة تلقاه يحوي ذاك روض مقل؟
والكل من خشب يشد حديدته وأجزائه فهو المخف المثقل
فأجبت: لا عجب وفي التاريخ ها قصر يفك كما يشاء وينقل
واتخذ لذلك القصر بعض المحبين للأستاذ بغالاً عشرة تحمله إذا أراد السير
إلى مكان من منتزهات دمشق وغيرها»^(١).

الباب الرابع: في ذكر مشايخه في أنواع العلوم وأصناف الفنون
(٥٦ - ٦٧ ق):

- ١ - والده الشيخ إسماعيل بن عبد الغني: قرأ عليه مقدمات الفنون ، وحضر دروسه في التفسير في المدرسة السليمية ، وشرحه على (الدرر) في جامع بني أمية ، وأجازه ، توفي والده وللأستاذ من العمر ١١ سنة و ١١ شهراً و ٢١ يوماً.
- ٢ - نجم الدين محمد بن محمد الغزي العامري: قرأ عليه مصطلح الحديث كـ(شرح النخبة) و(شرح ألفية العراقي). وأجازه إجازة خاصة وعامة.
- ٣ - محمد بن كمال الدين الشهير بابن حمزة نقيب الأشراف: قرأ عليه جملة من الفنون.

- ٤ - علي الشبراملسي الشافعي القاهري: أجازه إجازة حافلة.
- ٥ - عبد الباقي الحنبلي البعلبي الأثري: قرأ عليه مصطلح الحديث كـ(شرح النخبة) و(شرح الألفية للقاضي ولمصنفها). وأجازه إجازة خاصة وعامة.

(١) انظر ص ٢٢٠ من كتاب (عرف البشام فيمن ولي فتوى الشام) للمراي ، تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض مراد.

- ٦ - عبد القادر بن مصطفى الصفوري: قرأ عليه عدة فنون ، وأجازته .
- ٧ - محمد بن تاج الدين المحاسني: أخذ عنه التفسير والنحو .
- ٨ - أحمد بن محمد القلعي: قرأ عليه الفقه وأصوله . ولازمه ملازمة تامة .
- ٩ - كمال الدين محمد بن يحيى الدمشقي الشافعي الشهير بالفرضي: قرأ عليه العربية والحساب الفرائض .
- ١٠ - محمد بن يحيى (نجم الدين) وهو أخو الذي قبله: قرأ عليه مبادئ العلوم .
- ١١ - إبراهيم بن منصور الفتال .
- ١٢ - محمد بن أحمد الأسطواني .
- ١٣ - محمود الكردي ، نزيل دمشق ، قرأ عليه النحو والمعاني والبيان والصرف والمنطق .
- ١٤ - محمد بن محمد العيثاوي .
- ١٥ - محمد بن بركات الكوافي .
- ١٦ - ملا حسين بن اسكندر الرومي الحنفي ، نزيل دمشق .
- ١٧ - إبراهيم بن سليمان الجيني .
- ١٨ - أحمد بن محمد سويدان الحنفي .
- الباب الخامس: في ذكر مشايخه في الطريقة النقشبندية والقادرية ، ومن صحبهم من الأولياء والعارفين فيهما (٦٨-٧١ ق):
- «تلقى الأستاذ الطريقة النقشبندية من طريقين: طريق الظاهر وطريق الباطن» .
- ‡ طريق الباطن:

«يقول الأستاذ النابلسي في إجازته لتلميذه الدكدكجي:

أما اتصال مدد طريق السادة النقشبندية والعهد الوثيق برضاع لبان هذه الحقيقة الإلهية فهو من طريقين: من طريق الباطن ومن طريق الظاهر؛ فأما طريق الباطن وهو طريق الروحانية فقد اتصل عهدنا ومبايعتنا واقتداؤنا في واقعة رأيناها ومطارحة روحانية وجدناها من روحانية الإمام الجليل والشيخ الكامل صاحب

التكميل الخوجة علاء الدين عطار قدس الله روحه ونور ضريحه».

* طريق الظاهر:

«تلقاها الأستاذ عن أبي سعيد البلخي البخاري؛ فقد قدم دمشق سنة ١٠٨٧ هـ وأخذ عنه (النايلسي) وألبسه الخرقة وهي قلنسوة بيضاء ، واختاره الأستاذ وطلبه للمبايعة على الطريق النقشبندي ، وبإيعه بجامع بني أمية عند رأس نبي الله يحيى عليه الصلاة والسلام وأعطاه العكاز ، وأعطاه رسالة متعلقة بالطريق وأمره أن يشرحها فشرحها الأستاذ شرحاً نفيساً سماه (مفتاح المعية في شرح الطريقة النقشبندية) وكان ذلك بإذن من النبي ﷺ.

* الطريقة القادرية:

أخذها الأستاذ عن الشيخ عبد الرزاق بن شرف الدين الكيلاني: يقول النايلسي في الرحلة الكبرى:

اجتمعنا به رحمه الله تعالى... في سن خمس وسبعين وألف في حماة في ذهابنا إلى الروم في ذلك العام ، وحصل لنا من معاهدته الشريفة كمال النفع التام... وقد أتى بعد ذلك بسنين إلى بلادنا دمشق الشام قاصداً الحج إلى بيت الله الحرام فاجتمعنا به أيضاً وحصل لنا به كمال المؤانسة».

الباب السادس: في تراجم تلاميذه والآخذين عنه وأحوالهم معه ، مع ذكر شيء من مدائحهم فيه ، وذكر بعض كرامات وفوائد علمية وقعت لهم معه (٧٢ - ١٦١ ق).

«لا يمكن حصر تلامذة الأستاذ بوجه... وهو قد ارتحل من دمشق وساح ودخل البلاد وخالط العباد».

ثم أورد المؤلف تلاميذه ، وذكر أن أشهرهم كان الأديب المؤرخ الشيخ محمد بن إبراهيم الدكدكجي المتوفى سنة ١١٣١ هـ وقال: «بكى عليه الأستاذ ولم يعهد أنه بكى على ميت قبله».

الباب السابع: في تأليفه النابغة وتحريراته الجامعة (١٦١ - ١٦٨ ق):

«بلغت مؤلفاته زهاء ثلاثمائة مؤلف بل أكثر... وهي ما بين المجلد والمجلدين والثلاثة ، والكراسة والأقل والأكثر ، عم بها الانتفاع ، ومالت لها الألباب والطباع في سائر البلاد والبقاع».

ثم أورد المؤلف الغزي أسماء ١٨٥ مؤلفاً. وذكر منها نظمه: (البديعية) لما بلغ خمساً وعشرين سنة؛ ثم شرحها في ثلاثة أسابيع. وقد قرظ شرح البديعية الشيخ محمد بن كمال الدين الشهير بابن حمزة وقرظها أيضاً الشيخ شهاب الدين بن عبد الرحمن العمادي الحنفي.

أما عن انتشار مؤلفاته فيقول الغزي:

«انتشرت مؤلفاته في المشارق والمغرب فلا تجد أحداً إلا لها طالب وفيها راغب؛ حتى أنك إذا طلبتها لا تجدها إلا استساحاً مع أنها دائماً تكتب وتنقل.

الباب الثامن: في نبذة من المكاتبات والمدائح الواردة له (١٦٨ - ١٨٧ ق):

أورد الغزي كثيراً من الرسائل والقصائد التي مُدح بها النابلسي، وهي قصائد ورسائل تمثل العصر، يطول البحث بإيراد نماذج منها.

الباب التاسع: في المنامات التي رثيت له أو رآها لنفسه (١٨٨ - ٢٢٠ ق):

«وقد جمع رضي الله عنه رسالة سماها (النوافح الفائحة بروائح الرؤيا الصالحة)» وقد نقل الغزي هذه الرسالة إلى كتابه، ثم ذكر ما رآه منقولاً في بعض المجاميع بخط النابلسي نفسه، وما تلقاه من أفواه معاصريه.

الباب العاشر في كراماته والخوارق التي ظهرت على يديه (٢٢٠ - ٢٢٩ ق):

«كراماته لا تنحصر عدداً ولا تنقطع مدداً... وقد نقل الجد (أي محمد شمس الدين الغزي) عن الأستاذ أنه كان لا يحب أن تظهر عليه كرامة... ولنأخذ في الإبانة عما وعدنا به حسبما تلقيناه عن عدد التواتر من العلماء الأساطين وما وجدناه في بطون الدفاتر وصدور الدواوين».

الباب الحادي عشر: في كلماته الشريفة الصادرة عن الحضرات المنيفة (٢٣٠ - ٢٤٠ ق):

ذكر الغزي أن «للأستاذ رسالة سماها (مناجاة الحكيم ومناغاة القديم)^(١) متعلقة بمناجاة لربه ومناجاة ربه له، وهو كتاب عظيم ذو قدر جليل جسيم،

(١) رسالة مناجاة الحكيم ومناغاة القديم: منها نسخ أربع في المكتبة الظاهرية بالأرقام التالية ٥٥٧٠ الورقة ٣٨ - ٤٠، ٦١١٨ الورقة ١٥ - ٢١، ٥١٢٩ الورقة ٢٣ - ٣٣، ٩٠٥٧ الورقة ٩٧ - ١٠٢.

مشمتمل على ستة عشر فصلاً ، نظير ما وقع لسيدي إمام العارفين السيد عبد القادر الجيلاني قدس الله سره في غوثيته المشهورة. وهذا أمر ذوقي يعرفه العارفون وينكره الجاهلون» ثم نقل الغزي الرسالة بتمامها.

الباب الثاني عشر: في تراجم أولاده وأحفاده أسباطه (٢٤٠ - ٢٥١ ق)

✽ أولاده:

١ - الشيخ إسماعيل بن عبد الغني: توفي سنة ١١٦٣ هـ ودفن في حجرتة التي في بيت الشيخ عبد الغني بالصالحية.

٢ - زينب بنت عبد الغني: تزوجها أولاً: الشيخ صادق الخراط ، وولدت له ثلاث بنات ثم من بعد وفاته تزوجها محمد الغزي (جد كمال الدين محمد الغزي المؤلف) وولدت والد كمال الدين: (محمد شريف) الغزي. توفيت سنة ١١٧٣ هـ.

٣ - طاهرة بنت عبد الغني: تزوجها أولاً الغزي (محمد شمس الدين) ثم لما توفيت تزوج أختها زينب سنة ١١٤٣ هـ. دفنت بسفح قاسيون.

أحفاده:

١ - طاهر بن إسماعيل: توفي سنة ١١٤٧ هـ ودفن في حجرة والده.

٢ - مصطفى بن إسماعيل: من أعماله بناء الجامع لصيق قبر الأستاذ وذلك سنة ١١٤٦ هـ وفي سنة ١١٨٧ هـ أحدث منارة للأذان ، وكان قد ساعده في بنائها كافل دمشق الوزير محمد باشا. توفي الشيخ مصطفى سنة ١١٩١ هـ ودفن قريباً من ضريح الأستاذ.

٣ - عبد القادر بن إسماعيل.

٤ - إبراهيم بن إسماعيل ، توفي سنة ١٢٢٢ هـ.

٥ - عبد الغني بن إسماعيل ، ولد سنة ١١٤٣ هـ وتوفي سنة ١٢١٢ هـ.

٦ - حسين بن إسماعيل ، توفي سنة ١٢٠٧ هـ ودفن بمرج الدحداح.

٧ - درويش بن إسماعيل.

٨ - محمد ديب بن إسماعيل.

* أسباطه :

١ - عبد الرحمن بن محمد الغزي العامري المتوفى سنة ١١٤٤ هـ. ودفن بمقبرة الدحداح.

٢ - محمد شريف بن محمد الغزي (والد كمال الدين)، توفي سنة ١٢٠٣ هـ ودفن بالروضة بمقبرة الدحداح جانب قبر والده.

الباب الثالث عشر: في وفاته وما يتعلق بها (٢٥١ - ٢٦١ ق):

نقل المؤلف عن جده الشمس الغزي من كتابه (لطائف المنة) خبر وفاة النابلسي بقوله: «تمرّض الأستاذ في السادس عشر من شعبان سنة ثلاث وأربعين من الشهر المذكور ، وجهاز في يوم الإثنين خامس عشري الشهر ، وصلينا عليه في بيته ، ودفن في القبة التي أنشأها في أواخر سنة ست وعشرين ومائة وألف في الجنيّة الغربيّة من داره ، وذكر لي في ذلك الوقت أنه أعدها لدفنه واستكتمني ذلك فلم أذكره إلا يوم وفاته ، وغلقت البلد يوم موته وانتشر الناس في جبل الصالحية».

قال الكمال الغزي: «وفي حال مرض الأستاذ لم يغب إدراكه ، ولا تغير شيء من حواسه إلى أن خرجت روحه الشريفة ، وكان كثيراً ما يقول في مرضه: تعالوا انظروا إلى نقشبندي ويشير إلى بدنه. واجتمع في داره غالب الحفظة للقرآن الكريم في دمشق.. ولما وضع على المغتسل اجتمع علماء دمشق وطلبتها لغسله ، ووقف الشيخ حسن البصير المنشد ، وأنشد قصيدة «الأستاذ» المشهورة وأولها:

خلوة القبر أشرف الخلوات بلقاء الحبيب في الجلوات
وصلني عليه في إيوان القاعة مراراً عديدة.

الخاتمة: في فضيلة الانتساب إلى الصالحين والانتماء إلى الكاملين (٢٦١ - ٢٦٧ ق):

ذكر فيها المؤلف ما ورد من آيات وأحاديث وقصص عن الصالحين في فضل اتباع الصالحين والتخلق بأخلاقهم والاقتداء بهم.

وبعد فهذه دراسة اعتمدت فيها على النقول عن المؤلف ، وحاولت إيراد

النصوص كما جاءت عن المؤلف محافظة مني على أسلوب المؤلف في عرض ترجمة النابلسي ، وهي بذلك قد أضاعت جوانب كثيرة من حياة النابلسي لم يوردها كثير ممن ترجم للنابلسي ، وهي ترجمة حافلة بالحوادث التاريخية والفوائد العلمية والأدبية والشعرية ، أرجو أن أكون قد وفقت في حسن عرضها كما أراد المؤلف لها أن تكون ، أو أقرب ما تكون لإرادته .

* * *

محاسن البادية وثيقة تاريخية^(١)

للأمير عبد القادر الجزائري
تحقيق الأستاذ محمد مطيع الحافظ

يحتفظ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث من بين وثائقه بوثيقة تتضمن قصيدة لطيفة للأمير عبد القادر الجزائري بخط أخيه أحمد (ت ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م) نظمها الأمير المجاهد يوم كان أسيراً في مدينة أمبواز بفرنسا ، يفضل فيها حياة البداوة على عيش المتحضرين .

ولد الأمير عبد القادر سنة ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧ م في بلدة القيطنة من أعمال مدينة معسكر بالجزائر في بيت علم وصلاح ، حفظ القرآن الكريم في مدرسة والده ، وعليه قرأ العلوم الإسلامية ، كما أخذ عن غيره ، ورحل في طلب العلم إلى وهران ، وانكب على الدرس حتى فاق أقرانه ، كما اهتم بالفروسية وبرع بها .

وحينما احتل الفرنسيون الجزائر بايع الجزائريون والده على الجهاد ، فتنازل له على الإمارة فأنشأ دولة منظمة حديثة وجيشاً نظامياً له سطوته وشأنه ، استطاع أن ينزل بالمستعمرين ضربات قاصمة ، أقلقتهم وهددت وجودهم بالجزائر خلال سنوات عديدة مما اضطرهم إلى تعبئة قواتهم والنظر في خططهم ، وحشدوا له قوة لم يقدر على التصدي لها ، وضيق فرنسا عليه حتى اضطرت إلى التسليم ، مشروطاً أن تسمح له بالسفر إلى عكا أو الإسكندرية ، وأن يأمن كل من بقي في الجزائر على حياته .

لكن فرنسا غدرت به ، فأسرته ونقلته هو وحاشيته إلى طولون ، ثم أمبواز

(١) نشرها المؤلف في مجلة (آفاق الثقافة والتراث) - ع (١) - المحرم ١٤١٤ / يونيو ١٩٩٣ .

حيث حضر إليه نابليون الثالث ، ويشّره بإطلاق سراحه ، وأهداه سيفاً مرصعاً ، فتوجه إلى الآستانة ، وأقام في بروسه ، ثم عزم على سكن دمشق ، فرحل إليها ، وبقي فيها حتى آخر عمره معزلاً مكرماً ، وبها توفي سنة ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م ودفن في جامع السلمية (محيي الدين بن عربي) بسفح قاسيون. وحينما استقلت الجزائر عام ١٩٦٢ م نقل جثمانه إلى مسقط رأسه .

حصّل الأمير عبد القادر شهرة واسعة على مستوى العالم الإسلامي لأنه كان عالماً ذا قدر ، ومجاهداً ذا مكانة وبأس ، وسيداً ينتسب إلى بيت النبوة ، كما كان صاحب مواقف مشرّفة في الحياة الاجتماعية والسياسية فبات محطّ أنظار الناس في كل مكان ينزله .

وقد كُتّب الكثير عن الأمير عبد القادر يمكن لمن شاء التفصيل والاطلاع الرجوع إلى المصادر المعنّية^(١) .

يكتفي الأمير محمد بن عبد القادر في كتابه «تحفة الزائر» بالإشارة إلى أن السبب في نظم القصيدة هو تحكيم والده بين طائفتين من الفرنسيين إحداهما تفضل الحضر وأخرى تختار البداوة بينما يشير الأمير أحمد أخو الأمير عبد القادر في مقدمة الوثيقة التي ندرسها اليوم إلى أمر آخر فيه تفصيل وإيضاح؛ ذلك أن الفرنسيين عزموا مرة على تمدين البدو وإسكانهم القرى لضبط أمورهم والسيطرة عليهم ومراقبة تحركاتهم ، وكانوا يختلفون فيما بينهم تأييداً ومعارضة ، ولذا فقد طلب المعارضون من الأمير أن يبين لهم محاسن البادية فأنشأ هذه القصيدة التي تحمل المعاني التالية:

١ - خفة بيوت البدو وتنقلها من مكان لآخر .

٢ - البادية ساحة كبيرة مدت ببساط رملي حصاه الدر .

(١) من أهم المصادر في الموضوع: (تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر) لمحمد بن عبد القادر الجزائري، (علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري) لمحمد مطيع الحافظ ووزار أباطه، الأعلام للزركلي .

للتوسع في ترجمته انظر تاريخ علماء دمشق ١/١٩٣ ، حلية البشر ١/٣٠٤ وتعطير الشام ٦٥ ، هذا وتختلف رواية أحمد بن محيي الدين الجزائري عما ورد في كتاب (تحفة الزائر) بالفاظ أشرنا إليها في الهامش وهي تزيد بيتاً واحداً .

٣ - واحاتها جميلة تفوح منها الروائح العطرة .

٤ - نسيمها طيب لم تفسده رياح المدينة .

٥ - صباحها يلذ للعيون عند إشراق الشمس .

٦ - خروج الوحوش من أوكارها لرعي طيب العشب .

أما راوي القصيدة فهو: أحمد بن محيي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري المالكي المولود سنة ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م في القيطننة من ضواحي وهران ، توفي والده قبل فطامه ، فكفله أخوه محمد السعيد وعلمه ، ولما هاجر الأمير عبد القادر من الجزائر إلى بروسه ، توجه المترجم مع إخوته إلى عتابة فمكث فيها خمس سنوات ، ثم ألحقهم فرنسة بأخيهم الأمير عبد القادر بدمشق فتابع تحصيله العلمي فيها على عدد من مشاهير مشايخها وأولع بالتصوف واشتهر فضله وأقرأ الطلاب وألف رسائل عدة وتوفي بدمشق سنة ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م .



الحمد لله وحده .

وأيام كان الأمير السيد عبد القادر بن محيي الدين الحسيني مثقفاً^(١) عند الدولة الفرنسية بمدينة أمبواز رامت الدولة الفرنسية أن تحمل جميع الأعراب التي هي بإقليم الجزائر على التمدن وصممت على أنها تبني لهم قرى يسكنون بها ، ثم اضطرب أهل مجلسها في ذلك ، هل يتم ذلك الأمر لهم أو لا؟ فطلب بعضهم من الأمير أن يكتب لهم شيئاً من محاسن البادية ، فأنشأ هذه القصيدة على لسان أهلها وبعث بها إليهم . رحمة الله تعالى عليه .

ثم إن الدولة المذكورة عدلت على ذلك القصد خشية ألا يتم لها ما طلبت^(٢) .
يا عاذراً لامرئٍ قد هامَ في الحضر
أتدُمَمَنَّ^(٣) يُيوتاً خَفَ محمَلُها
لو كُنْتَ تعلمُ ما في البدوِ تعذرني
أو كُنْتَ أصبحت في الصّحرا تَمُرُّ على^(٤)
أو جُلْتَ في روضةٍ قد راقَ منظَرُها
تستشَقَنَّ نَسِماً طابَ مُتَشَقّاً
أو كنت في صبحِ ليلِ هاجَ هاتنه^(٥)
رأيتَ في كلِّ وجهٍ مِن بسائِطِها
فيا لها وَقْفَةٌ لم تُبقَ من حَزَنِ

وعاذلاً لمحَبِّ البدو والقَفْرِ
وتمدحنَ بيوتَ الطينِ والحَجَرِ
لكنَّ جَهَلتَ وكم في الجهل من ضررِ
بساطِ رملٍ به الحصباءُ كالدرِّ
بكلِّ لونٍ جميلٍ طيب^(٥) عَطِرِ
يزيدُ في الرُّوحِ لم يَمُرُّ على قَدِرِ
علوتَ في مَرَقِبٍ وَجُلْتَ بالنظَرِ^(٦)
سرباً من الوحشِ يرعى أطيبَ الشجرِ
في قلبِ مُضنَى ولا كدُّ لذي ضَجْرِ

(١) مثقفاً: أسيراً ، انظر القاموس (ث ق ف) .

(٢) في تحفة الزائر رواية أخرى في سبب نظم هذه القصيدة: «وهو أن بعض أمراء الفرنسية تذكروا في الحضر والبدو ، فبعضهم فضل الحاضرة ، وبعضهم فضل البادية ثم اتفقوا على أن يحكموا الأمير فيما بينهم لأنه ممن سكن الحضر والبدو ، فحكم لمفضل البادية وأجابه بهذه القصيدة» (تحفة الزائر) .

(٣) في ت: «لا تدمن» .

(٤) في ت: «في الصحراء مرتقباً» .

(٥) في ت: «شيق» .

(٦) الهاتن: السحاب . القاموس (ه ت ن) .

(٧) في ت: «أوجلت» .

نباكرُ الصَّيْدَ وقت الفجر^(١) نَبَعْتُهُ
فكم ظلمنا ظليماً مع نعامته
يوم الرِّحِيل إذا شُدَّت هودجنا
فيها العذارى وفيها قد^(٢) جَعَلَن كوي
تمشي الحداة لها من خلفها زَجَلٌ
ونحن فوق جِياد الخيل نركضها
نطارِد الوحش والغزلان نلحقها
نروحُ للحَيِّ ليلاً بعدما نَزَلُوا
ترابها المسكُ بل أنقى وجاد بها
نلفي^(٥) الخيام بها صُفَّت مبانيتها
قال الألي قد مضوا قولاً وصدقه
الحسن يظهر في شيئين^(٦) رونقه
أموالنا^(٧) إذ تروحُ بالعشيِّ علت
سفائن البربل أنجى لراكبها
لنا المهاري كما المها^(٨) بسرعتها
وخيلنا دائماً للحربِ مُسَرَّجَةٌ
بعنا الحضارة يبعاً لا نراجعه
نحنُ الملوِكُ فلا تعدلُ بنا أحداً

فالصيد منّا مدى الأوقات في دُعْرِ
وإن يكن طائراً في الجوّ كالصَّقرِ
شقائِقٌ عمّها مُزَنٌ من المطرِ
مِرْقَعَاتٍ بأعينٍ من الحَوْرِ^(٣)
أشهى من الناس والسَّنطيرِ^(٤) والوترِ
شليلها زينة الأكفالي والخصرِ
على البعاد وما تنجز من الضميرِ
منازلاً ما بها لَطُخٌ من الوضِرِ
صَوْبُ الغمامِ بالأصال والبُكرِ
صارت بها الأرض كالسما بالزُّهرِ
نقلٌ وعقلٌ وما للحق من غير
بيتٌ من الشَّعْرِ أو بيتٌ من الشَّعْرِ
أصواتها كدويِّ الرعد بالسَّحْرِ
سفائنُ البحرِ كم فيها من الخطرِ
بها وبالخيل نلنا كل مفتخرِ
مَنْ استغاث بنا بَشْرِهِ بالوِطْرِ^(٩)
بالعز، والعز ما يُنَالُ بالحضْرِ^(١٠)
وأبي عيش لمن قد بات في خفيرِ

(١) في ت: «أحياناً فنبعته».

(٢) الاستدراك من (ت).

(٣) في ت: «أداق».

(٤) السنطير والسنطور: آلة موسيقية تشبه القانون أوتارها من النحاس - مؤلّد (القاموس الوسيط: س ن ط).

(٥) في ت: نلفي الخيام وقد صفت بها فغدت / مثل السماء زهت بالأنجم الزهر.

(٦) في ت: «بيتين».

(٧) في ت: «أنعامنا إن أتت عند العشي تخل».

(٨) في ت: «وما للريم سرعتها».

(٩) في ت: «بالظفر».

(١٠) سقط البيت من (ت).

وأَرْضَهُ. وجميع العز في السَفْرِ
 نبينُ عنه بلا ضررٍ ولا ضررٍ
 إلا المروءةَ والإحسانَ بِالْبَدْرِ
 فيها المداوَةُ من جُوعٍ ومن خَصِرٍ
 وعندنا عاديَاتُ السُّبْقِ وَالظَّفْرِ
 ماءٍ وليس حليب النوق كالْبَقْرِ
 نحنُ نقسمها^(٢) بِالْعَدْلِ وَالْقَدْرِ
 وكل عيبٍ وِدَاءٍ فَهَوَ فِي الْحَضْرِ^(٣)
 فنحن أطولُ خَلْقِ اللَّهِ فِي الْعُمْرِ

لا نَحْمِلُ الضَّيْمَ مِمَّنْ جَارَ نَتْرُكُهُ
 وإن أساءَ علينا الجارُ عِشْرَتَهُ
 ما في^(١) البداوة من عيب تُذَمُّ به
 تبيثُ نازُ القري تبدو لطارقنا
 عدونا ماله ملجأً ولا وَزْرُ
 شرابها من حليب ما يخالطُهُ
 أموالُ أعدائنا في كلِّ أونةٍ
 وصِحَّةُ الجسم فيها غير خافية
 منا الذي لم يمتَّ بالطعنِ^(٤) عاش مدى

* * *

(١) جاء ترتيب البيت مختلفاً عن (ت).

(٢) في ت: «نقضي بقسمتها».

(٣) في ت: «والعيب والداء مقصور على الحضر».

(٤) في ت: «من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى».

الدكتور شكري فيصل^(١)

الأديب العالم

حياته وإنجازاته

لا شك أنّ كلّ امرئٍ وليدُ بيئته وصورةٌ عنها ، أو عن بعض جوانبها على الأقل ، يتمثلها في نفسه ويعكسها من خلال هذه النفس بمظاهر شتى ، فإذا أضفنا إلى أثر البيئة جانبَ التربية والتوجيه وجمعنا إليهما الاستعدادَ الشخصي والموهبةَ الفطرية أدركنا الأرضية الهامة التي قامت عليها شخصية الدكتور شكري فيصل ، تلك الشخصية العلمية والفكرية والإنسانية التي برزت خلال سني حياته .

ولد الدكتور فيصل في حي كانت أهمّ ما فيه حركته العلمية الحيّة المتوزعة في البيوت وحلقات العلم ومجالس المدارس والمذاكرة . كان في ذلك الحي - حي العقبية - وجوهٌ من العلماء الأعلام فيه مشيخة القراء عند آل الحلواني ، وفيه أئمة الفقه الحنفي وغيرهم .

لما فتح أستاذنا عينَ الوعي الأول ، وخطا في سنّ التمييز وجدّ إلى جانبه خاله الأستاذ المربي الشيخ محمود ياسين الذين أخذ بيده نحو آفاق العلم الرحبية ، إضافةً إلى أنه كان له أمثلةٌ تُحتذى وأسوةٌ حسنة ، ولم يكن خاله عالماً عادياً ، ولم يكن كذلك مريباً تقليدياً ، وإنما عرفته دمشق رجلاً متفتحاً يتحلى بنظرة تجديدية للعلم ولطرق تلقي العلم ، لا يزال يجتمع بالعلماء الأجلة ويرتاد مجالسهم ويشاركهم اجتماعاتهم ، ويعوّل على رأيه في مهمات القضايا ومختلف الشؤون ، وكان للشيخ محمود مدرسةٌ حين لم يكن في دمشق من المدارس إلا القليلُ القليل ، وحين لم تكن المدارسُ لتُدّرّ على أصحابها من المال إلا القليلُ القليل . فهو لذلك يدرك أهمية العلم ويعملُ للعلم ولإرشاد

(١) نشرها المؤلف في مجلة (الموقف الأدبي) العدد ١٨٥ .

أجيال المستقبل إلى طريق الأخذ بالعلوم ، فأحر به أن يرشدَ أهله ومن كانوا منه «وابنُ أختِ القوم منهم» .

ولما أجال أستاذنا عيني طفولته في جوانب الدنيا يتعرف إلى ما حوله ، وتلمس بيديه البضتين الأشياء التي يقدر أن يمسكها رأى الكتب في بيت خاله وتلمسها ، وألفاها كثيرة جداً تملأ الجدران وتتوضع على الطاولات وبين الأيدي ، ثم دأخل قلبه محبتها واحترامها ، لأنه شاهد من حوله يحترمونها ويحبونها... يتشوقون إليها وهي قادمة من كل قطر وتحوي كل فن وعلم .

وعندما أدرك أوائل الصبا ، وانخرط في سلك الدراسة والتلقي ما عسر عليه أن يبحث عن أستاذ ، ولا صعّب على أهله أن يفتشوا له عن مدرس . إذ تناوله ذاك الخال المبارك فأفرغ في رأسه سريعاً أسس العلم ومبادئه ، فتخرج عليه في أوليات العلوم من فقه وحديث وعلوم العربية وسواها ، ثم خطا معه إلى الأمام خطوات سريعة ، ووجهه بعد ذلك إلى متابعة العلم العالي ، إذ إنه كان يتوسم في فيه الخير ، ويتنبأ له بمستقبل مشرق ويعجب به كل الإعجاب ، وقد رأيت بخط يده في مخطوط رحلته إلى الحج يصف ابن أخته وكان قد ودعه مع المودعين : «إن ابن أختي السيد شكري فيصل ، فتى لا كالفتيان ، وشاب بز الأقران ، يتوقد ذكاء ويشع ظرفاً ولطفاً ، درس العلوم الأدبية فعد في مهرة نجائها ، وحذق الفنون العصرية ، فكان من نبغاء طلابها ، له براعة في الكتابة ساحرة ، وأسلوب سهل ممتنع ، وهو بعد أن أحرز الشهادة الثانوية نجماً يتألق في سماء كلية الآداب المصرية ، وكوكب يلمع في كلية الحقوق السورية ، أخذ الله بيده وجعل منه الرجل الموفق لخدمة دينه والنهوض بأمرته» .

ولم ينس فقيدنا الدكتور شكري خاله ومنتنه عليه وفضله ، فقد بقي يذكره حتى آخر عمره ، ويحصل له في نفسه أطيّب ذكرى وأوفى عهد ، وحينما نشر أول عمل قيم له وهو كتاب (المجتمعات الإسلامية) كتب في أوله العبارة التالية : «إلى خالي الذي أراد الله أن يصطفيه إلى جواره قبل أن يملأ عينيه من ثمرة العرسة التي انتزعها من أرضها ليزرعها في أرض خصبة من العلم... إلى روح خالي محدث الشام الأستاذ الشيخ محمود ياسين ، أهدي هذا الكتاب فهو روح من رُوحه وعبق من عبقه وفاء ببعض حقه وإيماناً بفضله» .

وكان الشيخ محمود يهتم كثيراً بالمجلات العربية والإسلامية ، والصحف

والدوريات ، يجمعها ويصنفها ويبوبها ويفهرسها ليرجع إليها حين الحاجة ، ومن خلالها اتصل بالعلماء في مختلف البلدان وشاركه في عمله ذلك ابنُ أخته فاستفاد منه أن اطلع على واقع الأمة وتعرف إلى مشكلاتها آنذاك .

واتصل الشاب عن طريق خاله أيضاً بالأوساط العلمية فتردد على مجالس العلماء في حيه وخارج حيه ، وخلال ذلك وصله بدار الكتب الظاهرية إذ كان يعمل في نشر بعض المخطوطات وتحقيقتها ودراستها والتعريف بها في المجلات ، ومن هنا انساق الشاب يدفعه الحماس وتحته الرغبة فعكف في محراب التراث على كتب الأجداد الثمينة ثم اعتكف فيه إلى آخر حياته .

عُرف الدكتور شكري ناقداً أديباً ، أعجب به طلابه أيّما إعجاب ، خصوصاً في درس تحليل النصوص ، وفي درس النقد والتحليل . . وكان يصدّر في تلك الدروس عن معين ثر ، ونفس فياضة متمكنة كلّ تمكن ، كأنما ينحدر من صَبَب ، وينزل كالماء الرِّقَاق إلى السهل فيروي الأرض العطشى ، ويُنبت الكلاء الطري ، ويُبهِج السامع الذّواق ، بما يَطْلُع عليه من نظرات في النقد ، وحُجج فيه ، وتحليل فذّ ، ليضع يده على النقاط الحساسة ، خلال النصوص المختلفة ، حتى لا يكادُ يترك بعده زيادةً لمستزيد .

وكان له أسلوبُه النقدي المتميّز ، يطرح عليك أسئلةً شتى أثناء المعالجة ، أسئلةً كثيرة بعضها محيّرٌ وبعضها يحتاجُ إلى جواب طويل ، وبعضها هو الجواب بعينه ، حتى يصل بعدئذٍ إلى الفهم الصحيح للنص والنتيجة المُرضية ، فيضع له القيمة التي يستحق .

وهذه الروح النقدية التي تجدها أصيلة عنده ، طبيعةٌ فيه ، بعيدة عن التصنع ، جافية عن التكلف ، إنما هي من جملة الموارث التي ورثها عن خاله عليهما رحمة الله .

إذاً فقد تأثر الدكتور شكري بخاله التأثر الجلي ، ورث عنه مع العلم رُوحه ، ومع النقد أصالته ، ومع الأخلاق جوهرها ومع العمل والدأب والنشاط خُلاصتها . تلك الأخلاقُ تميّزَ بها الدكتور شكري فكانت فيه عفوية أصيلة طبيعية ، وعرفها عنه الناس كلهم صغيرهم وكبيرهم وعلى رأسها التواضع الجَم . يحترم الكبير لسته ، ويعطف على الصغير لصغره ، فأوتي محبة في نفوس كثيرين وخاصة في نفوس طلابه الذين التفوا حول فضمهم إليه ورحم ضعفهم وأحب أن

يرقى بهم في مدارج العلم ومناهل العرفان ، فكان يرشدهم إلى المصادر المفيدة ، ويضع أيديهم على المراجع النافعة ، ويحبب إليهم التراث ، ويحثهم على كتابة الموضوعات ويفتح لهم الآفاق . لم يعرف عنه طالب أنه تجهم في وجهه ، أو قسا عليه في الكلام ، أو أعرض حين السؤال حتى ليظن بعض الطلاب أنّ له في قلبه مكانة خاصة من بين الطلاب كلهم .

وبهذه الأخلاق عرفه أبناء حيّه ، اتصل بهم في المناسبات العامة والخاصة ، وتودد إليهم ، وبرهم ومد يد العون إلى من قصده منهم ، سواء كان هذا العون بالجاه أو بالعلم أو بالمال ، وهو بذلك يصدر عن مشاعرهم وينطلق من عواطفهم ، ويدرك إحساساتهم لأنه نشأ نشأة كدّ وكدح ، فوصل إلى ما وصل إليه من درجات علمية واطلاعات ثقافية مختلفة بجده .

ونشاط أستاذنا الدكتور شكري سمّة خاصة به ، بل هي عنوانه الذي يترجم له ، حتى لكانت تراه شعلة حيوية لا تكاد تعرف الخوّد ولا الاستقرار ، ولا شك أن له ذهنًا ثاقبًا لا يهدأ ولا يكل ولا يسأم ، هذا الذهن المتوقد يزداد ثوبًا حين يمسك القلم ليكتب ويعبر عن أفكاره العلمية وخلجات نفسه الأدبية ، (فإذا به سبق مواد قلمه ويجاوزه بكثير حتى ليصعب أحياناً على يده أن تسير فكره) جمع منذ نشأ مع التعلّم والتعليم ومع الدراسة العمل ، يكسب العيش الكريم الذي يحاول وكده ألا يمنعه عن الدرس والعلم والتحصيل ، ولا عن التأليف والكتابة والتحقيق ، كان يعمل باتجاهات شتى يدرّس ويؤلف ويحقق ويعمل ، يكتب في المجالات المختلفة ويشرف على رسالات الطلاب ويسافر إلى الجامعات العربية في لبنان والأردن وغيرها ليحاضر فيها ، ويرحل إلى الجامعات البعيدة أستاذًا زائرًا .

وقد بدا ذلك النشاط ، وظهرت تلك الحيوية في مجمع اللغة العربية حينما انضم إلى سلسلة أعضائه العاملين يتعاون معهم على خدمة العربية ، وصيانة بنائها اللغوي الشاهق والأدبي السامق فأولّوه ثقتهم وانتخبوه أميناً للمجمع يتولى الإشراف عليه بالنطاق الذي وُسد إليه ، فقام على عمله خير قيام وأثبت الكفاءة التي هو جدير بها .

ولئن كنا اليوم بصدد أن ننصف الرجل ونشير إلى بعض ماله من أعمال ، يشكرها له زملاؤه المجمعيون - حفظهم الله - ويذكرونها فإننا نخصّ بالحديث

تحقيقه لكتاب تاريخ دمشق للحفاظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر .

يرجع الفضل الأول في إحياء كتاب ابن عساكر وتوجيه النظر نحوه والسعي من أجل إخراجها إلى الأستاذ محمد كرد علي مؤسس مجمع اللغة العربية الذي بذل الجهود الكبيرة حين اتجه لتوزيع أجزاء عدة منه على عدد من العلماء ، ولكن الظروف بعدئذٍ حالت دون المتابعة ، وتوقف العمل .

ولما انتُخب الدكتور شكري أميناً عاماً للمجمع مع نهاية سنة ١٩٧١ م برزت فكرة إحياء العمل بكتاب تاريخ دمشق لابن عساكر مع مشروعات كثيرة مهمة كانت تراود ذهنه رحمه الله ، وبتشجيع من الأستاذ الدكتور حسني سبوح رئيس المجمع ، وتأييد من زملائه الأعضاء شكّلت لجنة لمتابعة العمل وانتُدب إلى المجمع مُحققون من تلامذته ساعدوا على دفع التحقيق فيه وإخراج أجزائه بعضها وراء بعض ، في غاية من الإتقان والدقة العلمية التي يفخر المجمع بإصدارها .

وفي حديثنا عن ابن عساكر وتاريخه واهتمام المجمع بإخراجه واجتهاد الدكتور شكري فيه نجد أنفسنا تلقاء سؤال يطرح نفسه ، وهو: لماذا كل ذلك الاهتمام؟ وما الذي كان يدفع الدكتور شكري إلى العمل فيه مع مشقة العمل وصعوبة إخراجها؟

الحق أنّ هناك نواحيّ هامةً تكمن في تاريخ ابن عساكر آمن بها ، وهي التي دفعتة إلى تبنيه وبذل الجهد فيه نذكر منها ما يلي:

١ - تاريخ ابن عساكر تاريخ للحضارة العربية والثقافة الإسلامية خلال ستة قرون أو تزيد . وبهذا يقول رحمه الله: «إن نشر تاريخ ابن عساكر أحدث الأعمال الكبرى التي يجب أن ينهض بها الوطن العربي ، إذا كان حريصاً على استجلاء دقائق حضارته وتفصيل ثقافته ومعالم وجوده خلال ستة قرون أو تزيد ، وسيكون من آثار نشر هذا الكتاب أن نعيد النظر في كثير من مسلمّاتنا التاريخية والحضارية ، وسيعيد نشره الثقة إلى كثير من كتب التاريخ الأخرى التي تعرّضت لرياح الشك اللافتحة» .

٢ - إن نشر هذا التاريخ يردُّ التُّهمة الموجهة إلى تراثنا التاريخي: وهي أننا في

صنعنا التاريخي كنا ننصرفُ إلى تاريخ المُلوك والقواد ، لا نكاد نسجل إلا أحداثهم ، أما تاريخُ الحركة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية فإننا لم نولها الاهتمام الذي تستحقه .

يقول في هذا المجال :

«إن هذه التهمة لا تخرجُ عن أن تكونَ واحدةً من هذه التُّهم التي انهالوا بها على تراثنا وثقافتنا تشويهاً لهما وتنفيراً منهما ، وتهويناً من القدر الذي حقَّقنا في المعرفة الإنسانية من تقدم» .

إلى أن يقول :

«ولكني أحب أن أقول: إن الذين أخذوا بهذه التهمة لم يكونوا على صلة بتراثنا التاريخي ، ولم يعرفوا من مؤلفاتنا التاريخية إلا الكتب التي انصرفتُ لتأريخ الأحداث ، هؤلاء الذين عرفوا من تراثنا التاريخي هذا الشكل الواحد من أشكاله غَفَلوا عن صورهِ الأخرى ، لكنهم لم ينظروا في جملة المؤلفات الأخرى التي تناولت التاريخ الحضاري: تاريخ الفكر وتاريخ الثقافة وتاريخ العلوم في أسلوب جديد تكاد تنفرد به الثقافة الإسلامية: تاريخ العلماء وسير الأعلام فيما درجنا على تسميته باسم كتب الطبقات وكتب التراجم وكتب معاجم البلدان وخططها ، تناولت هذه الكتب في حرصٍ دقيقٍ على الحقيقة ، وشغفٍ متقدِّ برصد حركة المعرفة ووقوف عند كثير من الجزئيات والكليات التي تؤلف تاريخاً كاملاً للحضارة العربية الإسلامية .

إن ما تفتقده كتبُ التاريخ العام - تاريخ الأحداث - نجدُه في مثل هذه الكتب فلم يغب عنا إذاً أمرُ التاريخ الحضاري ، ولم نهمل النظر إلى حركتنا الفكرية والاجتماعية والاقتصادية .

وكتاب ابن عساكر يقعُ من ذلك كِلِه من التاريخ ، ومن كتب الحديث ، ومن كتب التراجم والطبقات والأعلام» .

٣ - تاريخ ابن عساكر تاريخٌ للعالم الإسلامي: يرى الدكتور فيصل أن كتاب تاريخ ابن عساكر هو تاريخ للعالم الإسلامي كله من خلال هذه المدينة الصغيرة الكبيرة: دمشق .

فابن عساكر أفصحَ في تسمية كتابه عن مادة هذا الكتاب ، عن الشخصيات

التي سيوقف عندها ويترجم لها ويصوغ كتابه منها.

إنه كتاب تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها ، ثم هو تاريخ مَنْ حلَّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها.

لم يقدِّم لنا ابنُ عساكر تأريخاً دمشقياً ولا تأريخاً شامياً فحسب ، وإنما كان يقدم لنا تأريخاً حضارياً لهذه البلاد كلها ، إنه كان يُؤرخ الجوانب من الجاهلية ، ويؤرخ السيرة النبوية والخلفاء وتراجم العلماء والقواد والمؤرخين والقضاة وغيرهم .

ونسأل الآن أنفسنا فنقول: لماذا اختار الدكتور فيصل إخراج الأصل من التاريخ محققاً ، ولم يكتف بإخراج نسخة مختصرة منه أو نسخة مصورة عن أصل المخطوط؟

كان الظن في صعوبة إخراج الكتاب أن ضخامته هي من أكبر العوائق التي واجهت العمل من قَبْلُ ومنعته من الظهور إلى حيز التنفيذ. ولذلك اتجه بعضهم إلى أن تصوير مخطوطات الكتاب وإخراجه للناس ييسر للعلماء الاطلاع عليه والاستفادة منه.

ولكن ذلك لم يكن بالمستطاع إذ لم يكن هناك نسخة واحدة كاملة وإنما اجتمع لدى المجتمع نسخ ناقصة وأجزاء متفرقة .

وكذلك اتجه آخرون إلى إخراج أحد المختصرات من هذا الكتاب إلا أن الدكتور فيصل أصرَّ على الأصل ، وأشار إلى المحاذير التي تؤدي إذا ما اتجه الأمر في هذا الطريق ، فيقول:

«هذه المختصرات تمثل عمل أصحابها ، ولكنها لا تمثل عمل ابنِ عساكر وأسلوبه في إقامة تاريخه ، ووقفاته الطويلة عند بعض الأحداث أو الأحاديث أو الأخبار ، فهذه المختصرات هي تأليف جديد له رُوحه الخاصة وله مذاقه الخاص ، يحكِّم فيها مؤلفوها نظراتهم في الذي يحذفون أو يثبتون. ومن يدري ما الذي كان من ميولهم التي تحكِّمهم واتجاهاتهم التي تأخذهم». ومثَّل على ذلك بمختصر بدران؛ حين كان يتجاوز الكلمة التي تتعسر قراءتها أو يحوِّر الخبر الذي لا يتلاقى مع وجهته .

كذلك فإن المختصر يتجاوز الأسانيد ، وهذه الأسانيد هي المفتاح الحقيقي

لتاريخ ابن عساكر ، ففيها نصل إلى موارد المؤلف ونتعرف على شيوخه ، ثم هذه الأسانيد تاريخ لأولئك الأعلام الذين أخذوا عن قبلهم وأخذ عنهم من بعدهم ، فضلاً عن أن هذه الأسانيد فيها صحة الخبر أو ضعفه .

فكيف إذن نجد المؤلف من أخص خصائصه ، وكيف نستل من الكتاب روحه ، ثم ندعي أننا ننشرُ تاريخه في المختصرات؟! .

هذه المعطيات الهامة هي التي جعلت الدكتور فيصل يتمسك بنشر الأصل فقط دون اللجوء إلى تصويره أو نشر مختصر من مختصراته .

على أنّ نظرة الدكتور رحمته الله إلى المختصرات وعدم ارتياحه لها قصّد فيها العلماء ، ولم يقصد طبقة المثقفين الوسطى الذين لم يأخذوا أنفسهم بالتمرس في قراءة الأسانيد ، وربما يتجاوزونها إلى الخبر إذا وقع في أيديهم كتاب التاريخ الأصل .

ثم إن نشر أحد المختصرات القيمة يساعد الباحثين المحققين على نشر الأصل مستعينين به ، خصوصاً وأنّ كثيراً من أجزاء الأصل قد فُقد ولم يبقَ إلا في المختصرات .

ولذلك فلا تعارض بين إخراج العملين (الأصل والمختصر) وكلاهما له حدوده وله دوره .

الطريقة التي اختارها في استئناف العمل في تاريخ ابن عساكر :

نظر الدكتور فيصل إلى تلك التجارب التي سبق إليها لإخراج كتاب في أجزاء متعددة فاهتدى إلى طريقة يكون فيها الاستمرار من جهة ، والتوثيق والدقة من جهة ثانية . لذلك سعى في بداية الأمر إلى تكوين فريق عمل ضمن نطاق المجمع يكون نواة لهذا العمل ، يتولى تحضير الأعمال الأولى التي لا بد منها للعمل في الكتاب كله ، والسير بعد في تحقيق الأجزاء بالاستناد إلى هذه الخطوات التمهيديّة الأولى كلها . واستبعد فكرة توزيع الأجزاء بين المحققين لأن الجهد الذي سيقوم به محقق واحد في جزء منفرد سيكرره عالم غيره في الجزء الآخر ، وسيختلف ما بينهما في الطريقة ، وقد يقود ذلك إلى فروق ضخمة في عمل مقدر له أن يبلغ نحواً من ثمانين مجلدة أو تزيد .

وتحقيقاً لذلك فقد اختار بعضاً من الذين عرفهم في قسم اللغة العربية من

تلامذته ، فاختر خمسة وثيق بهم واطمأن إلى سلوكهم ، فعمد إلى تدريبهم في البداية على قواعد التحقيق والتعرف إلى المصادر والمراجع والموارد ، وطلب منهم قراءة كتب عدة متخصصة في موضوع التحقيق ودراسة علوم الحديث النبوي والتاريخ .

بعد ذلك مهّد لما يلزم العمل من إحصاء للمخطوطات والمصورات المتعلقة بالكتاب ، ثم طلب صنع بطاقات تفيد في التحقيق ووضع فهرس لازمة لعدة كتب ، وبعدهذا بدأ بنقطة هامة وهي اختيار الجزء المناسب كبدية لهذا العمل العظيم . لقد جرى اختيار التراجم التي تبدأ بحرف العين المتلوة بالألف ؛ أي ترجمة (عاصم) حتى ترجمة (عايد) .

ويعود هذا الاختيار إلى عوامل كثيرة أهمها: أن التُّسَخَّ التي تم الحصول عليها تعتبر أصلاً للكتاب يمكن الاعتماد عليها في التحقيق ، وذلك أنها بخط ابن المصنف .

والفضل كما أشار الدكتور فيصل في الدلالة على هذا الشيء إنما يعود للأستاذة المحققة ملك هنانو التي أرشدتنا إليه إذ أرسلني الدكتور فيصل مع صديقي السيد علي صندوق إلى بلدتي كفر تخاريم وسلقين في محافظة إدلب حيث تسكن الأستاذة هنانو .

وقد نوه بالشكر لها ولعملها ولإرشاداتها في مقدمة الجزء الذي يبدأ بترجمة (عبادة) .

بدأ العمل بنسخ الجزء المعين وحدد الدكتور فيصل بخبرته ودرايته بداية الأخبار ونهاياتها ، بادئاً مطلع كل خبر بسطر جديد .

وخلال ذلك استطاع الوصول إلى دلالات رموز خاصة كانت مكتوبة في ثنايا المخطوط كحرف (ج) وحرف (س) ويعني الأول إجازة القاسم من شيوخ والده ويدل الثاني على سماع القاسم من شيوخ والده .

ثم جرت مقابلة التُّسَخِّ والتعليق عليها ، ومن أجل هذا كان فريق العمل يجتمع في جلسة مشتركة يمسك كل واحد بنسخة من مصورات المخطوطات أو المخطوطات ويشير إلى الفروق والاختلافات في مختلف النسخ ، ثم في أثناء هذا يشير الدكتور فيصل إلى الحاجة إلى تعليق أو الرجوع إلى كتاب للتحقق

والثبوت ، وبعدها تثبت التعليقات على النص فيقرؤها الدكتور ويبقى ما يراه مناسباً بينما يحذف ما لا حاجة إليه ، وقد يسأل المختصين ويستشيرهم فيما يتردد بذهنه حول بعض الموضوعات. واختار طريقة إرشاد الباحث إلى مراجع الترجمة المرتبة زمنياً ، وهو أول من أرشد إلى هذه الطريقة في الترتيب الزمني.

بعدها يكون النص جاهزاً يُرسل إلى المطبعة ويتولى الدكتور بنفسه تصحيح تجارب الطبع مع اللّجنة ، وبعد القناعة العلمية يوافق على الطبع النهائي.

بعد هذه المراحل كلها وجد الدكتور رحمه الله الحاجة ماسةً إلى صنع فهارس علمية مفصلة لهذا الجزء (عاصم - عايد) تكون مرجعاً وهداية لمن يريد العمل بتاريخ ابن عساكر ، فجاء عمله في نهاية مطاف ذلك الجزء عملاً كاملاً متقناً دقيقاً.

أما عن آثاره وتحقيقاته المخطوطة :

فقد ترك الدكتور فيصل بحوثاً ومقالات بخط يده وكان يعدها للطباعة ويمكن أن نضعها في ثلاثة أصناف :

- التحقيقات .

- الدراسات .

- التآليف .

وهي :

١ - كتاب «الحركة اللغوية في الوطن العربي» (منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى عام ١٩٧٥) ثم طبع بدمشق في مطبعة دار طلاس .

٢ - كتاب «مثلث قطرب» مشروح بأقوال الشعراء وشرح أشعارهم ودراسات عنها .

٣ - «ديوان الغزي» .

٤ - جزء من جريدة القصر للعماد الأصفهاني .

٥ - التحدي اللغوي :

١ - [وهو دراسة في مقدرة اللغة العربية في استيعاب الحضارة الحديثة .

٢ - علوم اللغة وأدواتها .

٣ - التحديات الجديدة للغة].

٦ - البيان النبوي: محاولة لدراسة وتبيين خصائصه وتبيينها.

٧ - حركة المصطلح وتعريبُ التعليم في سورية.

٨ - «مُحِبُّ التاريخ والمُؤرِخ» وهي دراسة عن المؤرخ المدني وكتبه ومقالاته.

٩ - حركة فتوح بلاد الشام.

١٠ - دراسات عن الشعراء السعوديين ودواوينهم.

هذا وقد تألفت لجنة لإخراج أعماله ووضعها بين أيدي العلماء والأدباء.

ونحن اليوم حين نقف في ذكرى أستاذنا الدكتور شكري فيصل ذاكرين أعماله العلمية ومشاركاته الأدبية وشخصيته النقدية وسلوكياته ذات الجوانب المتعددة ندرك مقدار الأسى الذي يغلف قلوبنا لفقد عالم جليل كان أحدَ العاملين في طُودِ الثقافة الشامخ.

رحمه الله وأسكنه فسيح جنته وجزاه عن عمله خير الجزاء.

* * *

الروضة البهية في ترجمة الحاجة وهيبة

رائدة النهضة الإسلامية النسائية
بدمشق في القرن الرابع عشر
الشيخة وهيبة بنت محمد البقاعي
(١٣٢٢ - ١٤١٥ هـ)

ألقيت بجلسة الوفاء بجامع التوبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المختار ، وآله السادة الأطهار ، وصحابته الأخيار ، ومن تبعهم من الأبرار .

وبعد فيقول الله سبحانه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

إن جلسة الوفاء التي أسسها ورعاها شيخنا فضيلة الشيخ محمد هشام البرهاني تحمل في طياتها معاني كثيرة ، منها وفاؤه لأشياخه وشيوخ هذا البلد المبارك دمشق .

والوفاء اليوم قلَّ مَنْ يتحملُ التخلُّقَ به ، وقليل هم الأوفياء لمن سبقهم .

والحديث الشريف : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعط لعالمنا حقه » أوشك أن ينسى العملُ به في خضم النظر للذات الفردية ، فالجيل الحاضرُ يوشك أن ينسى - إن لم يكن قد نسي فعلاً - فضلَ الجيل الذي سبقه ، والجيل الذي يأتي يوشك أن ينسى فضلَ الجيل الحاضر ، والتاريخ الحضاري العلمي والتربوي لكل أمة حلقاتٌ تتسلسل واحدةٌ منها إثر واحدة . وكل ذلك لِبَنَاتِ متماسكة يتكون منها الصرح .

* * *

فجلسة الوفاء بحث عن هذه الجذور ورؤية للثمار التي ننعم بها اليوم من

نهضة دينية علمية وتربوية قدمها في الماضي القريب جلة العلماء الذين بذلوا من أنفسهم ووقتهم وجهدهم ومالهم كُلَّ نفيس ، ومضى كثير منهم لم يُذكرُوا لأنهم آثروا الخفاء . لكن الوفاء يحتم على من كان حولهم أن يبين ويظهر خدماتهم الجلى للأمة : علماً وتوجيهاً وتربية .

تحملوا أمانة نشر العلم والفضيلة ، ومحاربة الجهالة والرذيلة ، بقدر ما تحملوا أمانة إذاعة المعرفة ، والوقوف في وجه الظلم والظالمين ، وكان المثل الأعلى عندهم متمثالاً في المعرفة المقرونة بفعل الخير ، ولكي يظهر ذلك بوضوح ، فنحن بحاجة إلى أن تمثل ما كانت عليه حالنا - إن لم ينهض هؤلاء العلماء والمربون والعارفون بكل هذه المعاني .

كان عملهم في التوجيه والإرشاد، ونسيان الذات الهدف الأسمى لديهم، فقد نذروا ذواتهم ، وقصروا على ذلك جهدهم ، ولذلك بدؤوا ، وبذلك انتهوا .
وإن أكبر المحسنين إلى الخلق هم أولئك العظماء من الرجال والنساء ، فمن الواجب علينا الإقرار بفضلهم والاعتراف بصنائعهم وأعمالهم .



ولم يخصَّ الله العلمَ بالرجال وحدهم ، وإنما أكرم به النساء أيضاً على مدار التاريخ الإسلامي من لدن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حتى عصرنا الحاضر .

لقد بدأ علمُ النساء من بيت النبوة ، إذ كانت زوجاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ على وجه العموم خيرَ قدوة للنساء ، إذ كُنَّ يأخذن من العلم بحظٍ أوفى ، وينقلنه تعليماً وإرشاداً للنساء الأخريات ، وخصوصاً السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها ، التي خصَّها الله تعالى بحظ وافر من العلم والفهم ، والذكاء والفطنة والحصافة والاستيعاب والوعي ، فأخذت عن النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عشر سنوات تقريباً كلَّ ما يخصُّ المرأة في شؤون بيتها ودينها علماً وسلوكاً ، ونقلته وافراً غير منقوص وبدقة وأمانة إلى نساء المسلمين الصحابة والتابعين ، وكان الصحابة إذا اختلفوا في شيء رجعوا إليها فوجدوا عندها الجواب الشافي والحكم الفصل . كلُّ ذلك مما وعته عن سيدنا رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فكانت مثلاً للمرأة العالمية على مدة التاريخ ، وسار الكثير من النساء في نشر العلم والتوجيه ، إذ نقل إلينا المؤخون

أخبار النساء اللواتي تصدّرن حلقات التدريس والعلم ، وخاصة علوم القرآن الكريم والحديث الشريف .



وإذا عُذنا إلى التاريخ العلمي لمدينتنا دمشق وجدناه يحفل بنماذج فريدة لنساء عالِمات حافظات للقرآن راويات للحديث ، تحمل كثيرات منهن علوً الإسناد ، مثل عائشة بنت الكمال المقدسية التي سكنت صالحيّة دمشق ، وبموتها نزل أهل الحديث درجةً في الإسناد .

وكان لجهود المرأة في خدمة أولاد المسلمين وخاصة البنات أثرٌ واضح على الأيام ، فكانت إحداهن تجلس في المساجد من وراء الحجاب ، أو يأتيها الطلبة إلى بيتها فتروي كتب الحديث بالإسناد حسبة من غير أجرٍ ولا مئةً ، ولا أدلّ على ذلك من تخصيص الحافظ ابن عساكر جزءاً من كتابه «تاريخ دمشق» جعله للشهيرات من النساء .

وظهر ذلك جلياً في مشيخات الحافظ ابن عساكر والضياء المقدسي وابن الصلاح والمزي وابن طولون ، وكم من عالم ورد إلى دمشق من الآفاق ليستمع إلى الشيخات مثلما يستمع إلى المشايخ مثل الحافظ السلفي والسمعاني وابن حجر والسخاوي ، وغيرهم كثير .

وكان أوج ذلك في هذه المدينة المباركة دمشق التي خرجت منها الجيوش خلال عصر نور الدين الشهيد وصلاح الدين الأيوبي وعصر المماليك ، علماً بأنهن شاركن هذين البطلين في تهيئة النفوس لمحاربة الفرنجة وخوض المعارك الحاسمة في الدفاع عن الأرض المغتصبة ، واسترداد القدس الشريف .



وإذا كنا نتحدث في هذه الجلسة التي خصصت للكلام عن الشیخة الحاجة وهیبة البقاعي ، فلأنها كانت صاحبة نهضة نسائية علمية تربوية نهلت فيها من معين شيخها علي الدقر رحمه الله ، فكانت دعوتها امتداداً لدعوته ، آتت أكلها ، وأینعت ثمارها بین الرجال والنساء .

فهي الشیخة التقية النقية الصالحة الورعة الزاهدة ، الداعية إلى الله بحالها ومقالها ، صاحبة الكرامات الباهرات والمواهب الفائقات ، نشأت في طاعة الله

منذ صباها ، وبقيت ملازمة لحالها إلى أن انتقلت إلى جوار ربها .

ولدت الحاجة وهيبة في بيت جدها لأمها المتواضع بحي العمارة الجوانية سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة وألف للهجرة الموافق لسنة أربع وتسع مئة وألف ميلادية .

أما والدها وهو الحاج محمد علي البقاعي - فقد وُلدت له ابنته الحاجة وهيبة بعد أن بلغ من العمر ثمانين سنة وكان قد تزوج من قبل من سيدة ولكنه لم ينجب منها . فلما توفيت تزوج بالسيدة نظيرة العيتي ، ومنها رزق الحاجة وهيبة ، ولكنه لم تقرَّ عينه بها إذ مالبت أن توفي وعُمُرُ ابنته لا يجاوز أربع سنوات ، فكانت مشيئةُ الله أن لا تكونَ الحاجةُ وهيبة هبةً لوالديها فحسب ، بل هي هبةٌ لهذه المدينة العريقة ولنسائها خاصةً أيضاً .

وأما والدتها فهي السيدة نظيرة العيتي^(١) ، وكانت تقيّة صالحة تعتنى بتربية الأولاد وتعليمهم ذكوراً وإناثاً في كِتَاب لها كما كانت أمها من قبل ، ولم يُقْتها أن تعتنى بابنتها الحاجة وهيبة التي فاجأت أهلها ولها من العمر ست سنوات بحفظها مقدارَ نصف القرآن الكريم . ثم شاركت والدتها في عملها ، غير أن هذه الأم توفيت^(٢) بعد زمن يسير وكان عمر ابنتها أحدَ عشر عاماً ، وهكذا نشأت يتيمة الأب أولاً ثم الأم فنشأت برعاية جدتها .

ولكن عناية الله كانت معها فنشأت على الصلاح والتقوى وحفظ القرآن وأحبت العلم بفطرتها ، فلما سمعت من أهل الفضل بنهضة الشيخ علي الدقر استرعى ذلك انتباهها فتوجهت إليه ترغّب فيما عنده .

وكان أولُ درسٍ حضرته درساً متميزاً غيرَ كثيراً من نفسها ، إذ كان على لباس نساءٍ عصرها ، فلما عادت إلى بيتها غيرت من زيتها وارتدت ما كان يُسمى (الملاية الزم) .

(١) تنسب أمها إلى آل عابدين من جهة أمها .

(٢) توفيت والدتها سنة ١٣٣٣ هـ .

فلما حضرت الدرسَ الثاني أُنثِرَ فيها موضوعه عن الزهد ، فسرعان ما تخلت عن ساعة جميلة ذهبية تصدقت بثمنها .

وفي الدرس الثالث سمعت عن تحريم التصوير والتماثيل فعادت إلى بيتها سريهاً فأزالت صورة طاووس عن لحاف عندها .

وتتابعت الحاجة وهيبة تترقى يوماً بعد يوم ، وأخذت لازم دروس شيخها الخاصة والعامة في سدة جامع السنانية وغيره .

* * *

كما كانت تلازم دروس محدث العصر الشيخ العلامة بدر الدين الحسني في الجامع الأموي خاصة ، فإذا خرج من المسجد لحقت به من خلفه مع زميلات لها حتى يصل الشيخ إلى دار الحديث حيث دروسه الخاصة أو إلى بيته ، عندئذ يلتفت إليهن مشيراً بيده مودعاً .

* * *

ومع الأيام ازدادت من الشيخ علي الدقر قرباً وتحصيلاً للعلم وتعمقاً فيه وفي السلوك والتربية .

وإذ لمس منها النبوغ والهمة العالية والصدق والتميز أوكل إليها أمرين جليلين : أما الأول فهو إدارة مدرسة روضة الحياء للإناث في زقاق البرغل التابعة للجمعية الغراء . والثاني تكليفها بتدريس النساء في حلقات خاصة بهن .

وبدأت عملها بالمدرسة واستمر عطاؤها فيها ما يقرب من ستين سنة أو يزيد ، ولكي ندرك مدى هذا العطاء يحسن أن نشير إلى إحصاء^(١) عن خريجات المدرسة سنة أربع وخمسين وثلاث مئة وألف ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م فقد تخرجت خمس وستون وخمس مئة تلميذة ٥٦٥ تلميذة .

ولم يكن عملها في إدارة المدرسة عملاً وظيفياً بالمعنى الحرفي والشكلي ، بل إنها أعطت المدرسة كل جهدها وحياتها واهتمامها ، فكانت مديرة وموجهة

(١) انظر تاريخ علماء دمشق الجزء الثاني ص ٥٩٠ .

ومعلمةً فيها لمادة القرآن الكريم ، وتولت أيضاً أمر المحاسبة وتسجيل التلميذات ومتابعة شؤونهن .

وكان أمر التلميذات أهمّ ما توجهت إليه ، وعندما كانت ترى تقصيراً من بعض الطالبات في مادة من المواد تخصص لهن وقتاً إضافياً في أوقات راحتها .

وعندما وجدت أن مادة الفقه ضرورية طلبت من شيخها أن يوكلَ من يقوم بتدريس هذه المادة فطلب الشيخ الدقر من فضيلة الشيخ عبد الكريم الرفاعي رحمه الله أن يقوم بذلك .

وكانت الشیخة وهیة بعد الانتهاء من الدوام المدرسي تجمع التلميذات والمعلمات تصلي بهن الظهر جماعة قبل الانصراف .

والجدیر بالذكر أن هذه المدرسة الناهضة كانت مدرسة خيرية لإعانة الأسر الفقيرة بنائها لثلا يحرم من التعليم والتوجيه .

وكان للحاجة وهیة توجهات منفتحة ، ومواهب عصرية ، إذ كانت تجمع كلّ مدة من الزمن وخاصة في المناسبات الدينية والوطنية تجمع تلميذاتها للاحتفال ، فيقمن بتأدية مسرحيات نافعة مفيدة تاريخية واجتماعية وتربوية ، كما تقوم بتحفيظهن الأناشيد الجميلة المرغبة التي يؤديها بأصوات رخيمة عذبة ، الأمر الذي يؤدي إلى الشعور بالنشوة ورقة القلب والبكاء من قبل الأمهات اللواتي يحضرن هذه الاحتفالات وكانت تقدم الهدايا للمتفوقات ، وكان هذه المناسبة عرس مفعم بالفرح والسرور فيه الترفيه والتعليم والترغيب للأهالي والتلميذات .

وعملها هذا كان الرائد لكل من أتى بعدها وربما قامت بتعليم بعض التلميذات الخياطة ليكون العمل متكاملًا من كل النواحي ، وكانت حريصة على المعلمات مثلما كانت حريصة على التلميذات ، فقد منعتهن من الإجابة على الهاتف خوفاً من أن يسمع أصواتهن الأغراب فيؤدي ذلك إلى فتنة ، فكانت تقوم هي بهذا العمل .

وكان الذي يمر في زقاق البرغل صباحاً يسمع ترديد التلميذات وترتيلهن للقرآن بالتجويد والإتقان والنغمة العذبة فيشعر بالسعادة والسرور والبهجة ويدعو للمديرة والمشرفات .



أما عن دروسها الخاصة فنحن نعلم أن الشيخ علياً الدقر كانت له نهضة علمية شاملة ، دخلت أكثر بيوت الشام ، وتأثر بها النساء كما تأثر بها الرجال .

وكانت الحاجة وهيبة خير معين له في الدعوة إلى الله وفي توجيهاته للنساء خاصة فكان لها الأثر الواضح والتأثير الكبير في نفوس كل من يحضر درسها من النساء ، فكان كلامها يخرج من قلبها ليدخل إلى قلوب كل الحاضرات ، كأنه النور الذي يشع لينير المجلس ، وكان لكلامها نداوة وأنس وشفافية وسكينة روحية ، مما يؤدي إلى كثرة البكاء ورقة القلب فكانت المرأة التي تحضر درسها تنسى نفسها وكل من حولها ، وتعيش مع الحاجة وهيبة كأنها في جنة وروضة كما تنسى هذه المرأة همومها ودنياها ، وتصبح منشرحة الصدر ، مفعمة بحب الخير والطاعة ، فكان حديثها محبباً تنجذب إليها قلوب كل من يستمع إليها .

وكانت ترعّب من يأتي إليها - ولو كن متبرجات - بل تقربهنّ وتصبر عليهن ، حتى يصبحن من المقربات إليها ، يلبسنّ الحجاب الإسلامي ، مع الالتزام بالعبادة والتقوى والصلاح ، فتشعر هذه الفتاة أنها في نور يدعوها إلى التخلق بأخلاق النبوة والصحابة .

وكانت مقدرتها كبيرة في إيصال ما تريد بيانه سواء كانت الحاضرات كبيرات أو شابات ، متعلمات أو جاهلات ، بحيث تعم الفائدة الجميع ، وهذا لا يتأتى إلا لمن وهبه الله الإخلاص والصدق والتوفيق . فأقبلت النساء إليها وأحببنها صغيراتٍ وكبيرات ، وصلح كثير منهن على أيديها .

وبذلك تعدّ الحاجة وهيبة رائدة في إصلاح المجتمع خلال حياتها كلها . وكان لها دور كبير من خلال دروسها في تغيير سلوك كثير من الزوجات نحو أزواجهن نحو جادة الخير والصلاح ، كما كان تركيزها على رضاء الوالدين وتقول: إذا جئت إلى مجلس وفيه ثلاث مئة امرأة وفيه أمك تقدمي إليها وقبلي يديها واطلبي منها الدعاء والرضا .

وكانت حريصة على أن يكون درسها في غير المساجد لتتمكن النساء من حضور درسها في كل الأيام ، ولهذا عندما قام أهل الخير بعمارة مسجد الروضة

جعلوا له مكتبةً منفصلةً عن المسجد ، لتستطيعَ المرأةُ الحضور إلى الدروس وخاصة درسها.



وكان لها درس أسبوعي في كل من الأماكن التالية:

١ - درسٌ في المهاجرين في الجادة الرابعة.

٢ - ودرس في جوزة الحدبا في بيت المبيض ، وصاحب البيت رجلٌ صالح ، وفي إحدى الدروس وكان الازدحام كبيراً انكسر كرسي فقال: رقبتي سداة لخدمة الحاجة وهيبة.

٣ - ودرس في مسجد الروضة (يوم الثلاثاء).

٤ - ودرس في الميدان في زقاق العسكري.

٥ - ودرس في الميدان بالجزماتية في مدرسة الغراء ، ثم انتقل بعد هدم المدرسة إلى الرشيدية في الميدان (يوم الجمعة).

٦ - درس في زقاق البرغل (يوم الخميس).

وترغيباً للحضور من النساء فقد اتخذت من كل المناسبات الدينية كالمولد ووداع رمضان فرصة للاحتفال ، تقرأ المولد الشريف مع الأناشيد العذبة من طالباتها ، وتقرأ الإسراء والمعراج ، وكان الحضور في هذه المناسبات كبيراً ، وكأنه عرس وفرح وسرور.



كانت حريصة كلَّ الحرص على أن لا تغيب عن دروسها؛ ففي إحدى المرات كان الثلج ينزل بغزارة شديدة ، فاتصلت إحدى تلميذاتها بالحاج أبي أحمد جمعة الذي كان يخدمها بسيارته للوصول إلى مكان الدرس وأخبرته أن الحاجة لا تستطيع الحضور ، وعندما علمت الحاجة وهيبة بذلك بكت بكاءً شديداً وقالت لا بد من الدرس. ولما وصلت إلى مكان الدرس نفضت عن ملاءتها ما أصابها من الثلج ودخلت وألقت درسها فَرِحَةً خاصة عندما وجدت أن كثيرات من النساء كن بانتظارها.



وبمقابل عملها في المدرسة وقيامها بالتدريس في الحلقات الخاصة والعامّة ، فإن يوم الحاجة وهيئة كان يوماً مملوئاً بالذكر والعبادة والدعاء والتضرع والتهجد ، حتى في زياراتها وخلال ركوبها السيارة وفي الطريق ، فكان لسانها رطباً بذكر الله ، وماتت ولسانها رطباً بذكر الله .

تستيقظ قبل الفجر بساعة أو تزيد ، فتصلي ما شاء الله لها أن تصلي من قيام الليل حتى يطلع الفجر ، فتصليه بجماعة النساء في بيتها ، ثم تنصرف في الصباح الباكر إلى العمل في المدرسة طوال اليوم الدراسي كما ذكرنا .

ولم تكن تترك لحظةً في يومها إلا واغتنمتها بما ينفع ويفيد ، لها أو لغيرها ، ففي الطريق لا يكف لسانها عن الذكر والتلاوة والصلاة على النبي ﷺ ، فإذا عادت إلا بيتها عند الغروب بعد أداء دروسها الخاصة انصرفت إلى فرائضها في الصلاة جماعة وقراءة سورة الواقعة ، والتنفل المندوب ، فإذا صلت العشاء الآخرة أوت إلى فراشها المتواضع . فإذا استيقظت تهجدت وربما صلت صلاة التسابيح ، فإذا أذن الفجر صلت بمن حولها جماعة أو صلته بالجامع الأموي وكانت تصوم الإثنين والخميس وثلاثة أيام البيض من كل شهر .

* * *

تزوجت الحاجة وهيئة وهي شابة من السيد عارف قنبارو ، غير أنها لم تُرزق منه بذرية ، وعندئذ رغبت إليه في أن يتزوج أخرى لتنجب له ، فخطبت له امرأة مناسبة قريبة له ، ووهبت لها كلّ الأسبوع ، آثرتها على نفسها إلا يوماً واحداً ، فكانت تتفرغ لهذا الزوج تفرغاً كاملاً ، تراعي حقوق الزوجة ، فكانت كأحسن زوجة تبعل لزوجها ، فتقوم بتحقيق رغباته التي يحبها كلّها من سكينه البيت وهدوئه ، وتقدم رضاه على رضاها . فإذا ولد لزوجها مولود ذهبت إلى ضررتها وهنأتها وقدمت لها الصرة والحلق والهدايا كما هي العادة .

* * *

أما عن كراماتها وأحوالها فقد رويت للحاجة وهيئة كراماتٌ عديدة منها أنها كانت تكره تسجيل درسها على الآلات المسجلة خشية أن يسمع صوتها الأجانب ، وقد حاول بعض من أقربائها أن يسجل درسها خفية دون علمها ، ففوجيء بأن المسجلة لم تلتقط حرفاً واحداً .

ومثل ذلك أن الإذاعة لتكبير الصوت لم تعمل حينما كانت تدرس في مكتبة جامع الروضة لمرات عديدة ، فإذا انتهى درسها عادت الإذاعة للعمل .

ومن كراماتها أن الله قد حفظ لها حواسها كاملة حتى آخر حياتها وكانت تتدارس قراءة القرآن حفظاً مع الحاجة فاطمة الصفدي ، ففي أيامها الأخيرة كانت بعض تلميذاتها تقرأ القرآن بجانبها ، وربما ظنها من يحضر إلى جانبها أنها في غيبوبة ، فإذا سمعت القارئة وقد أخطأت تفتح عينها وتصحح لها ، وفي مرضها الأخير كان جسمها يرتعش من المرض ، فإذا طلبت من يوصلها إلى السجادة معتمدة على تلميذاتها ، فإذا نوت في الصلاة ذهب عنها كل شيء فتصلي بركوع وسجود معتادين .



ولشدة رقة قلبها كانت ترفق بالحيوانات المسكينة الضعيفة وخاصة القطط التي تغطي البيوت العربية ، فتقدم لها الطعام وترأف بها . وقد حدث مرة أنها كانت تمشي قرب بيتها فسمعت مواء هرة في إحدى الدكاكين المغلقة ، فسألت عن صاحب الدكان ، فأخبروها عن مكانه في باب المصلى وكان بعيداً عن دارها ، فطلبت راجية إحضاره ليفتح دكانه ويخرج الهرة ، وهذا ما تم ، وعندما فعل لم تنس عمله هذا فقدمت له هدية مالية .

وأخبارها في رافتها بالحيوانات كثيرة ومتعددة الجوانب .



ومن أخبارها وتوجيهاتها أنها تنصح المرأة إذا قامت بزيارة بيتٍ فيه غير المحارم أن لا ترفع عن وجهها حتى تصل إلى غرفة خوفاً من خروج رجل من غرفة فجأة فيراها .

وكانت إذا جلست للطعام ترفع صوتها بالتسمية حتى يسمع الحاضرون فيقوم من حضر بالتسمية أيضاً ، وتمسح الصحن وتبين الجائزة لمن يفعل ذلك ، وإذا دخل من يحمل مُصحفاً تقف إجلالاً واحتراماً لكتاب الله ، وعندما تزور أحداً تقول: نويت إدخال السرور عليهم .

حجت ثماني حجج مع زيارة النبي ﷺ ، وأدت عمرة في إحدى السنوات ،

وكان المَحْرَمَ لها ابنُ خالتها الأستاذ صبحي دك الباب وكانت خالته بالرضاع ،
وفي إحدى السنوات طلبت من تلميذتها وكانت في الروضة الشريفة أن تمسح
ما جاور الحجرة الشريفة والمنبر وتأتي بها بغبرتها تبركاً بالنبي ﷺ .

* * *

كانت طريقة الحاجة وهيبة أوراد الطريقة التيجانية ، تلقتها عن الشيخ علي
الدقر ومن أديعتها بعد المغرب :

مرحباً بالملائكة الكرام ملائكة الليل .

مرحباً بالملائكة الكرام الكاتبين الكريمين .

اكتبنا في صحيفتي أنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن
الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الموت حق ، وأن الحوض حق ، وأن الشفاعة
حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور .

اللهم إنني أستودعك هذه الشهادة حتى ألقاك يوم القيامة .

ومن أذكراها يوم الجمعة قبل ذهابها للدرس : حزب النصر ، ورد الإمام
النووي ، السبع المنجيات ، الكهف ، الفتح ، السجدة ، يس ، الحشر ، حسينا
الله ونعم الوكيل ١٠٠ مرة ، صلاة على النبي ﷺ ١٠٠ مرة ، لا إله إلا الله الملك
الحق المبين ١٠٠ مرة ، قراءة البردة .

* * *

وأما عن زهدها :

فكانت غرفتها تحكي ذلك بوضوح ، فليس فيها سوى سرير عادي وصندوق
صغير وقاطع من الخشب ومدفأة عادية . وقبل وفاتها تبرعت بقيمة دارها ووزعت
ذلك على الفقراء ، وكان كل ما يأتيها من راتبها وما يتبرع به المحسنون توزعه
أيضاً ، ولقيت ربها وهي لا تملك من متاع الدنيا شيئاً .

* * *

صلتها بعلماء دمشق : كانت الحاجة وهيبة على صلة بعلماء بلدها تجلُّهم
وتحترمهم وتزورهم وكانوا يقدرُّون عملها وصلاحتها حقَّ قدره .

فكانت تزور العلامة الشيخ أبا الخير الميداني وتتصل بزوجته الحاجة فاطمة بنت مولانا الشيخ عيسى الكردي ، وتتبادل معها الود والتقدير ، وفي وداعها كانت تسأل الشيخ أبا الخير الدعاء .

كما كانت تزور عمي الشيخ عبد الوهاب رحمه الله ، وتدخل إلى غرفته مع تلميذاتها ومنهن الحاجة منور النصار أخت قيم هذا المسجد (مسجد التوبة) أبي سعيد فرج النصار رحمه الله فتجلس متواضعة لتسأله عما أشكل عليها وكانت تطلب في زيارتها إما للتهنئة أو عيادة مريض تطلب عدم دخول الأولاد ولو كانوا صغار السن الذين وصلوا إلى سن خمس سنوات وتقول إن الطفل في هذا السن يميّز .

وكانت لها صلة طيبة أيضاً بشيخنا العلامة الشيخ محمد سعيد البرهاني عليه رحمة الله ورضوانه في بيته، وتطلب منه الدعاء بالتوفيق في أعمالها وربما حضرت عنده في مسجد التوبة في صلاة العيد في بعض الأحيان. ونذكر لها مثل ذلك مع الشيخ حسن حبنكة وكانت تحضر خطبه الجمعة ، ومثل ذلك كانت تزور الشيخ عبد الكريم الرفاعي رحمه الله ، وكذلك الشيخ حسين خطاب رحمهم الله تعالى وجزاهم عن المسلمين خيراً.



أما أسباب نجاح دعوة الحاجة وهيبة في دعوتها فيعود إلى عدة أمور منها :
الأول: صلتها بالشيخ علي الدقر وتأثيره بها وتوجيهه لها التوجيه الدقيق وإشرافه عليها ، ومحبتها له . كيف لا ونور إيمان الشيخ وصلاحه قد سرى إلى قلبها ، الذي تسلسل من رسول الله ﷺ حتى وصل إليها .

وكذلك صلتها بالشيخ بدر الدين الحسيني المحدث الأكبر فقد حضرت دروسه كما ذكرنا وأخذت عنه الكثير . وعندما طلب منها أحد من يلوذ بها أن تبيع دارها ليشتري لها داراً أخرى قريبة من أمكنة تدريسها قالت : كيف أنتقل من هذه الدار التي هي بقرب دار الشيخ بدر الدين وطريقه إلى بيته من أمام بيتي؟! .

الأمر الثاني: إخلاصها في طاعة الله والخوف منه وتحمل المسؤولية التي رأت أنها واجبة في حقها . وكانت متفانية في دعوتها تعمل في كل الاتجاهات

في التوجيه . فزيارتها للمرضى توجيه ، وكذلك تهنتتها ، وكانت لا تحضر الأعراس لما قد يحصل فيها من بعض المنكرات ، وكانت توجه إلى ذلك في دروسها .

الأمر الثالث : ورعها : فقد أخذت نفسها بالورع في كبير أمرها وصغيره ، فلا تأكل إلا حلالاً ، ولا تمشي إلا إلى حلال مما أحدث لها قبولاً في الناس .

وفاتها :

ذكرنا أن الله قد حفظ لها جميع حواسها حتى آخر عمرها ، كما حفظتها في شبابها ومرضت مرض الشيخوخة بعد أن تجاوزت التسعين سنة ، وكانت مستغرقة في أذكراها ومراقبتها حتى آخر لحظة من حياتها ، وقبل وفاتها بقليل رفعت يدها مشيرة بسبابتها مشهدة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وفاضت روحها إلى بارئها إلى رحمة الله ورضوانه بدار قريبها الأستاذ صبحي دك الباب رحمه الله وذلك في يوم الأربعاء ٤ ربيع الأول سنة ١٤١٥ هـ / ١٠ آب ١٩٩٤ ودفنت بالدحداح الذهبية يوم الخميس ، على والدتها .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿١٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿١٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفجر : ٢٧ - ٣٠] .

رحم الله الشيخة الحاجة وهيبة وجعلها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . نسأل الله أن يحشرنا معها تحت لواء النبي ﷺ على ما قدمت من علم وإرشاد يبقى أثره ونفعه لها إلى قيام الساعة .

* * *

وكلمة أخيرة لا بد لي من توجيهها إلى تلميذاتها الفاضلات اللاتي قدمن لي أخبار وترجمة هذه الشيخة الجليلة ، وأخص منهن الحاجة السيدة منور النصار التي رافقتها ما يقرب من خمس وثلاثين سنة ، كما أشكر كلاً من تلميذاتها الحاجة وسيلة عابدين وبشيرة المدني وأم ياسين جمعة اللاتي اجتمعن وتشاركن مع زوجة الأخ فضيلة الشيخ محمد عدنان المنجد ، وتداولن في مناقب هذه الشيخة المربية رحمها الله تعالى ، وكذلك الشكر كل الشكر لأسرة الأستاذ صبحي دك الباب رحمه الله لرعايتهم شؤونها حتى آخر حياتها ، وكذلك قريبها السيد

أبو غياث محيي الدين عربي كاتبي ، والسيد الحاج أبو أحمد جمعة لتفضلهما
ببيان كثير من أخبارها فجزى الله الجميع كل خير .

أرجو الله أن أكون قد وفقت في أداء بعض حق هذه الشيخة الجليلة ، وفاءً
واعترافاً بفضلها وعلمها ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

وقف مكتبة العلامة كمال الدين محمد بن محمد العامري الغزي

وهو ما أوقفه الغزي من بعده من كتب على ذريته الذكور ، وجعل مقرها في حجرتهم بالجامع الأموي من جهة الشمال ، وشرط فيها أن لا يعار منها شيء ، وأن يكون الناظر الأرشد من أولاد الواقف ثم الأرشد من بني الغزي الذكور .

وهذه الوقفية تدل على ثقافة العصر الذي عاش فيه المؤلف ، ومنها بيان للمكتب المتداولة في تلك الفترة ، وللحياة العلمية في دمشق أيام العثمانيين والوقفية تتضمن ٦٧٤ عنواناً في المصاحف والتفسير وعلوم القرآن من تجويد وقرآيات وغيرها ، والحديث الشريف والسيرة والتاريخ والتراجم والفضائل والرحلات ، واللغة والتصوف ، والعقائد وعلم الكلام ، والأصول ، والفقه الشافعي والحنفي والفرائض والحساب ، والمعاني والبيان والبديع ، والعروض والقوافي ، والفلك والنجوم والرمل والزائجة والروحاني ، والنحو والصرف والمنطق ، ودواوين الشعر والأدب ، ومجاميع العلماء والأدباء ، وتعبير الرؤيا والطب ، وخصص مؤلفات أعلام أسرته بقسم خاص .

والملاحظ أن هذه المكتبة مكتبة شاملة لأنواع العلوم في تلك الفترة العثمانية التي ضعفت فيها العلوم وتدلل دلالة واضحة على الروح العلمية لهذا العصر .

اعتمدت في إخراج هذه الوقفية على النسخة الفريدة التي تحتفظ بها المكتبة الظاهرية بدمشق وهي بخط الواقف برقم ٨٣٤٧ في ٢٨ صفحة علماً بأن هذه المكتبة لم يبق لها أي أثر .



دفتر كتيب العبد جمال الزين

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن

الدستور الشهيد بين الخبز

الموقف في كركنا

٢٤
٨٢٤٧



المشترى
٨٢٤٧

صفحة العنوان من الوقفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 هذا دفتر كتب الفقير الى الله تعالى العبد كمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن
 محمد العامري الحسيني الحسيني الشهير بابن الغزالي وقد وقفهم
 جميعا على ذريتي الذكور فقط دون الاناث ودون اولاد الاناث
 ثم على بقية الذكور من بني الغزالي الذين ينسبون اليهم بمحض
 العصبية وجعلت محرهم في حجرتنا الكاينة بالجراح الشريف
 الاموي لصبي مشرد المحيا النبوي من جهة الشمال وشروط
 فيهم ان لا يمارس شي منهم ولا يعطى لاحد منهم ولا ورقة واحدة
 وان يكون الناظر عليهم الارشد الاعلم من اولاد ^{الذكور} من بعدهم على
 الارشد الاعلم من بني الغزالي الذكور دون الاناث واولاد الاناث
 فمن بدل او غير او خالف شرط من شروط الوقف فعليه لعنة الله
 وملائكته وكتبه ورسله والناكس اجعون والله خصم في الدنيا
 والاخره وهذه عندهم

مصاحف شريفة الزبيدي المنزلة على تفسير الاستاذ
 من العراق العظيم سيدنا داود الخ البشير
 حيا

الدر المنضيد شيخ من انكره شيخ
 الاسلام البدر الاسلام المكون
 حيا ١ حيا ٢ حيا ٣

مجموع فهرس كتب وموشى
 البدر حيا وفي اوله الخفة اولها الدر المنضيد
 الدوقية لرو الله حيا
 مجموع اوله ايضا حيا
 حيا ١ حيا ٢ حيا ٣

حيا شيخه شرح المنهاج للمحلى
 الصغير له حيا ٢

٦٠٦

٧٠٧

دفتر كتب العبد كمال الدين
محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الدمشقي
الشهير بابن الغزي
الموقوفة كما شرط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا دفتر كتب الفقير إلى الله تعالى العبد كمال الدين محمد بن محمد بن محمد العامري الحسيني الحسيني ، الشهير بابن الغزي . وقد وقفها جميعاً على ذريتي الذكور فقد دون الإناث ، ودون أولاد الإناث ، ثم على بقية الذكور من بني الغزي الذين ينتسبون إليهم بمحض العصوبة ، وجعلت مقرها في حجرتنا الكائنة بالجامع الشريف الأموي لصيق مشهد النبوي من جهة الشمال ، وشرطت فيهم أن لا يعار شيء منها ، ولا يعطى لأحد منهم ولا ورقة واحدة ، وأن يكون الناظر عليهم الأرشد الأعلم من أولادي الذكور ، ثم من بعدهم على الأرشد الأعلم من بني الغزي الذكور دون الإناث وأولاد الإناث ، فمن بدّل أو غير أو خالف شرطاً من شروط الوقف فعليه لعنة الله وملائكته وكتبه ورسوله والناس أجمعين ، والله خصمه في الدنيا والآخرة .

وهذه عدتها :

- ١ - مصاحف شريفة .
- ٢ - الزبور المنزل على سيدنا داود - جلد ١ .
- ٣ - تفسير الأستاذ الشيخ الأكبر - جلد ١ / ٢ ب / .
- ٤ - من إعراب السمين على القرآن المسمى بالدر المصون - جلد ٢ .
- ٥ - تفسير الشيخ عبد الرحمن السلمي المسمى حقائق التفسير - جلد ٢ .
- ٦ - تفسير ابن المعد - جلد ١ تماماً .
- ٧ - من تفسير القاضي البيضاوي - جلد ١ .
- ٨ - من تفسير ابن كثير - جلد ٢ .
- ٩ - من تفسير الثعلبي أجزاء عدد ٦ .
- ١٠ - من تفسير القاشاني - جلد ١ .

- ١١ - الأول من تفسير الأصبهاني شارح الطوابع . بخطه - جلد ١ .
- ١٢ - من تفسير الخازن - الأول - جلد ١ .
- ١٣ - من تفسير المعافى بن أبي سنان - جلد ٢ .
- ١٤ - من تفسير القرطبي - جلد ٣ .
- ١٥ - من تفسير الفخر الرازي - جلد ١ .
- ١٦ - من تفسير البرهان البقاعي المسمى : بالمناسبات - أجزاء عدد ٥ .
- ١٧ - من تفسير ابن الجوزي - جلد ١ .
- ١٨ - الثاني من كتاب البرهان في علوم القرآن لأبي الحسن المحاسبي - جلد ١ .
- ١٩ - الأول من تفسير أبي السعود، بخط السيد كمال الدين بن حمزة - جلد ١ .
- ٢٠ - تفسير القرآن العظيم للجامي - مجلد ١ صغير .
- ٢١ - التيسير في التفسير نظماً للشيخ عبد العزيز الديريني - جلد ١ / ٣ / ١ .
- ٢٢ - حاشية الخافجي على البيضاوي - جلد ٣ .
- ٢٣ - حاشية الكواكبي على حاشية سوري على البيضاوي - جلد ١ .
- ٢٤ - الأول من حاشية الكشاف للسعد - جلد ١ .
- ٢٥ - حاشية السيد الشريف على الكشاف - نسخة عدد ٣ .
- ٢٦ - حاشية على تفسير سورة يس من البيضاوي للشهاب العمادي - جلد ١ .
- ٢٧ - مجموع تفسيري بخط بعض الفضلاء .
- ٢٨ - الأول من الإنصاف بين ابن المنير والزمخشري للشيخ علم الدين عبد الكريم الأنصاري - جلد ١ .
- ٢٩ - مجموع أوله رسالة على تفسير آية من البيضاوي في الإيمان المجرد عن العمل - جلد ١ .
- ٣٠ - حاشية ابن التمجيد على البيضاوي .

- ٣١ - مختصر الإتيان للشيخ عبد الرحمن المجلد . بخطه - جلد ١ .
٣٢ - الناسخ والمنسوخ لأبي محمد رزق الله البغدادي - جلد ١ .
٣٣ - مجموع بخط البرماوي أوله : أحكام القرآن للإمام الشافعي - جلد ١ عدد
١٥ / ٣ / ب .

* * *

كتب التجويد والقراءات

- ٣٤ - شرح الشاطبية للفاسي - جلد ٢ .
- ٣٥ - شرح الجزرية للشيخ عبد الكريم الأزهري - جلد ٣ .
- ٣٦ - شرحها للحافظ أبي الفتح محمد المزي العوفي - مجلد ١ .
- ٣٧ - الوقف والابتدا للقاضي زكريا - جلد ١ .
- ٣٨ - الوقف والابتدا للسجاوندي - جلد ١ .
- ٣٩ - مجموع أوله مرشدة المشتغلين - جلد ١ .
- ٤٠ - التيسير في القراءات العشر لابن الجزري - جلد ١ .
- ٤١ - الكاشف لمعاني القصيدة النيرة في رواية أبي عمرو بن العلاء للشمس محمد البجائي - جلد ١ .
- ٤٢ - المنظومة القبايية في علم القراءات - جلد ١ .
- ٤٣ - حاشية شرح القاضي زكريا على الجزرية لحفيده - جلد ١ .
- ٤٤ - التقريب والبيان في معرفة شواذ القرآن للجمال الصفراوي - جلد ١ .
- ٤٥ - المستنير في القراءات العشر لأبي طاهر أحمد بن علي البغدادي - جلد ١ .
- ٤٦ - شرح الدرّة في القراءات الثلاث الزائدة على السبعة - جلد ١ .
- ٤٧ - الكنز في القراءات العشر للنجم الواسطي - جلد ١ .
- ٤٨ - مجموع أوله الكشف عن أحكام الهمزة في الوقف - تأليف الحسين بن علي الحصني بخطه - جلد ١ / ٤ / أ .



كتب الحديث

- ٤٩ - صحيح البخاري .
٥٠ - صحيح مسلم .
٥١ - سنن النسائي .
٥٢ - الجامع لأبي عيسى الترمذي - جلد ٢ .
٥٣ - النصف من الترغيب والترهيب للمنذري - جلد ١ .
٥٤ - الزهد للإمام أحمد .
٥٥ - الزهد لابن المبارك - جلد ٢ ، نسخة ٢ .
٥٦ - الموضوعات لابن الجوزي - جلد ١ .
٥٧ - الثاني من مختصر الترغيب .
٥٨ - عمل اليوم والليلة لابن السني - جلد ١ .
٥٩ - من سنن البيهقي . عدة أجزاء ، جلد ١ .
٦٠ - مسند النساء للإمام أحمد بن حنبل - جلد ١ .
٦١ - شرح البخاري للزرکشي - جلد ١ .
٦٢ - شرح البخاري لابن الملقن - جلد ٩ .
٦٣ - الأول من شرح البخاري للبرماوي بخطه - جلد ١ .
٦٤ - شرح البخاري للكرمانی - جلد ٣ .
٦٥ - شرح البخاري للشيخ عبد الباقي الحنبلي بخطه - جلد ٥ .
٦٦ - شرح صحيح مسلم للمقرطبي - جلد ٣ .
٦٧ - شرح صحيح مسلم للنووي - جلد ٣ .

- ٦٨ - شرح غريب صحيح مسلم - جلد ٣ .
- ٦٩ - حاشية الشفا للتقي الشمني - جلد ١ .
- ٧٠ - شرح الشفا للقطب الحلبي - جلد ١ .
- ٧١ - شرح معاني الآثار للطحاوي - جلد ٢ .
- ٧٢ - الأول من دلائل النبوة لأبي نعيم - جلد ١ .
- ٧٣ - من مسند ابن كثير - جلد ١ .
- ٧٤ - كتاب الأحاديث في الأحكام للفيروزآبادي - جلد ١ .
- ٧٥ - تفسير غريب الصحيحين للحميدي - جلد ١ .
- ٧٦ - من جامع الأصول - جلد ١ .
- ٧٧ - من سيرة ابن حماد - جلد ٢ .
- ٧٨ - من مسند الفردوس للديلمي - جلد ١ .
- ٧٩ - من مختصر سنن أبي داود للمنذري - جلد ١ .
- ٨٠ - مختصر المستدرک لابن حمدويه - جلد ١ .
- ٨١ - من المصنف لابن أبي شيبة - جلد ٣ .
- ٨٢ - تخريج أحاديث الشرح الكبير للرافعي ، للحافظ العراقي - جلد ١ .
- ٨٣ - الأول من الفرج بعد الشدة للتتوخي - جلد ١ .
- ٨٤ - من فتح الباري - جلد ٣ / ١٥٠ .
- ٨٥ - مجموع رسائل عدد ٣ بخط ابن طولون ، أول الرسائل : موافقات الإمام عمر - جلد ١ صغير .
- ٨٦ - مجموع رسائل عدد ١٣ بخط الحافظ جلال السيوطي أولها : الدرر المكنونة - جلد ١ صغير .
- ٨٨ - شرح الهمزية للبرلسي - جلد ١ .
- ٨٩ - الأذكار للقطب النووي / نسخة عدد ٣ ، جلد ٣ .
- ٩٠ - شرح شرعة الإسلام للسيد يعقوب بن علي - جلد ١ .

- ٩١ - مختصر صحيح مسلم للشيخ النووي - جلد ١ / ٥ب / .
- ٩٢ - مجموع إجازات بخطوط المحدثين أوله خط السخاوي - جلد ١ .
- ٩٣ - مجموع إجازات ومسانيد أوله إجازة بخط الشيخ عبد الكريم الشرباتي - جلد ١ .
- ٩٤ - مجموع إجازات أوله ختم البخاري للشيخ عبد السلام العدوي .
- ٩٥ - مجموع أسانيد الجمال محمد بن أحمد عقيلة المكي ، رسائل عدد ٧ أولها الفوائد الجليّة - جلد ١ .
- ٩٦ - مجموع ثبت الشيخ عبد الباقي الحنبلي وإجازاته بخطه - جلد ١ .
- ٩٧ - مجموع أوله ثبت الشهاب أحمد بن محمد النخلي - جلد ١ .
- ٩٨ - ثبت الشيخ محمد بن زين الدين الكفيري بخطه - جلد ١ .
- ٩٩ - مجموع أوله ثبت الشيخ خليل اللقاني بخطه - جلد ١ .
- ١٠٠ - مجموع حديثي فيه مسانيد بخط الشيخ سعدي بن عبد الرحمن بن حمزة - جلد ١ / ٦ / ١٠١ - نشر الآس في سقاية زمزم وبني العباس للشيخ عبد العزيز الزمزمي المكي - جلد ١ .
- ١٠٢ - شرح جواهر الذخاير في الكباير الصغائر للرضي بن أبي اللطف - جلد ١ .
- ١٠٣ - الزاهر في بيان ما يجتنب من الخبايث الصغائر والكباير لأبي الحسن علي القرطبي المالكي - جلد ١ .
- ١٠٤ - مجموع كتب عدة أولها المعراج للنجم الفيّطي - جلد ١ .
- ١٠٥ - القول الشفيّع في الصلاة على الشفيّع للشيخ حجازي الواعظ - جلد ١ .
- ١٠٧ - جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام لابن القيم - جلد ١ .
- ١٠٨ - مجموع للخيزيري أوله اللواء المعلم - جلد ١ .
- ١٠٩ - مجموع حديثي أوله جزء القاضي أبي الحسن علي المقدسي - جلد ١ .
- ١١٠ - مجموع للعماد إسماعيل العجلوني شرح الحديث المسلسل بالدمشقيين - جلد ١ .

- ١١١ - مجموع أوله الروض الندي جميعه من تأليف ابن ناصر الدين بخطه -
جلد ١ .
- ١١٢ - مجموع أوله الباعث على إنكار ما تجدد من البدع والحوادث للبلاطنسي
وفيه كتب عدة - جلد ١ / ٧ / .
- ١١٣ - شرح الشمائل لعصام الدين - جلد ١ .
- ١١٤ - شرح الشمائل لابن حجر الهيتمي - جلد ١ .
- ١١٥ - شرح رجال الشمالي للبرهان اللقاني، بخط العناني - جلد ١ .
- ١١٦ - الأول من شرح الجامع الصغير للسيد نصري الحصري - جلد ١ .
- ١١٧ - الأحاديث الإلهية القدسية للبرهان ابن جماعة - جلد ١ .
- ١١٨ - شرح الأربعين النووية لابن حجر الهيتمي - جلد ١ / ٧ ب / .
- ١١٩ - شرح ألفية الحديث لمصنفها الحافظ العراقي - جلد ١ .
- ١٢٠ - شرحها للحافظ السخاوي بخط ابن طولون - جلد ١ .
- ١٢١ - محاسن الاصطلاح للبلقيني - جلد ١ .
- ١٢٢ - مجموع فيه الدرر في علوم الأثر، وشرح حديث أم زرع، كلاهما لابن
ناصر الدين - جلد ١ .
- ١٢٣ - شرح حديث أم زرع أيضاً للقاضي عياض - جلد ١ .
- ١٢٤ - بغية المرتاح إلى طلب الأرباح - جلد ١ .
- ١٢٥ - مجموع فيه شرح النخبة لابن حجر ، وحاشيتها للملا إلياس - جلد ١ .
- ١٢٦ - مجموع رسائل عدد ٣ أولها الخلاصة في علم الحديث ، وشرح النخبة
جلد - ١ / ٨ / .

* * *

كتب التاريخ

- ١٢٧ - التوبيخ على من ذم علم التاريخ للسخاوي - جلد ١ .
- ١٢٨ - مختصر أسد الغابة في معرفة الصحابة - جلد ١ .
- ١٢٩ - السابع من تاريخ ابن أبي خيثمة في معرفة الصحابة - جلد ١ .
- ١٣٠ - طبقات الصوفية وذيلها للشعراني - جلد ١ .
- ١٣١ - مختصر تاريخ بغداد - جلد ١ .
- ١٣٢ - المغني في الضعفاء للحافظ الذهبي - جلد ١ .
- ١٣٣ - الثاني من ميزان الاعتدال . للحافظ الذهبي - جلد ١ .
- ١٣٤ - من تذهيب تهذيب الكمال للحافظ الذهبي - جلد ١ .
- ١٣٥ - تهذيب الأسماء واللغات للنووي .
- ١٣٦ - طبقاتهم الوسطى للتاج السبكي - جلد ١ .
- ١٣٧ - طبقاتهم الصغرى له أيضاً - جلد ١ .
- ١٣٨ - طبقات المالكية لابن فرحون .
- ١٣٩ - مجموع طبقات الشافعية للخيزري .
- ١٤٠ - مختصر طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة - جلد ١ ، بخطه .
- ١٤١ - طبقات الحنابلة للشمس النابلسي - جلد ١ .
- ١٤٢ - طبقات الفقهاء للشيخ أبي إسحاق الشيرازي - جلد ١ .
- ١٤٣ - طبقات المفسرين لمحمد بن علي الداودي - جلد ١ .
- ١٤٤ - طبقات الحنفية لابن طولون - جلد ٢ .
- ١٤٥ - ذيل التمتع بالقران بين الشيوخ والأقران لابن طولون - جلد ١ .

- ١٤٦ - الواقعات اليومية له بخطه - جلد ١ .
- ١٤٧ - طبقات الأطباء - الثاني منها - لابن أبي أصيبعة - جلد ١ .
- ١٤٨ - السابع من معجم الأدباء لفظويه - جلد ١ .
- ١٤٩ - طبقات النحاة للسيوطي - جلد ١ .
- ١٥٠ - طبقات الشعراء لابن قتيبة - جلد ١ .
- ١٥١ - طبقات الشافعية للبلقيني .
- ١٥١ - تبصير المنتبه بتحرير المشتبه للحافظ ابن حجر العسقلاني - جلد ١ .
- ١٥٢ - الغوامض من الأسماء لابن بشكوال - جلد ١ .
- ١٥٣ - الأنساب لأبي طاهر - جلد ١ .
- ١٥٤ - تاريخ المقدمي في الأسماء - جلد ١ .
- ١٥٥ - الإكمال لابن ماكولا - جلد ١ .
- ١٥٦ - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، للعلمي - جلد ١ .
- ١٥٧ - الدرر الكامنة لابن حجر - جلد ١ .
- ١٥٨ - أنباء الغمر له - جلد ١ .
- ١٥٩ - الأسماء والكنى ليحيى بن معين - جلد ١ .
- ١٦٠ - تاريخ أبي نصر العتبي - جلد ١ .
- ١٦١ - تاريخ ابن رافع المسمى بالوفيات - جلد ١ .
- ١٦٢ - تاريخ البرهان إبراهيم بن حمزة الحسيني - جلد ١ .
- ١٦٣ - المنتهي في الوفيات للحافظ حمزة - جلد ١ .
- ١٦٤ - در الأسلاك في دولة الأتراك لابن حبيب .
- ١٦٥ - مختصر دمية القصر للشيخ عبد الحي الخال - جلد ١ .
- ١٦٦ - الأول من الأغاني . بخط البدر الغزي - جلد ١ .
- ١٦٧ - نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب للشهاب أحمد القلقشندي - جلد ١ .

- ١٦٨ - تحفة الألباب في العجب العجاب للشمس محمد الديري - جلد ١ .
- ١٦٩ - من الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي - جلد ٥ .
- ١٧٠ - تاريخ الإسلام لابن قاضي شهبة - جلد ٩ .
- ١٧١ - تاريخ الهند لعلا علي الكرامي - جلد ١ / ٩٩ .
- ١٧٢ - ترجمة الحافظ ابن حجر العسقلاني للجمال البصري .
- ١٧٣ - ترجمة السراج البلقيني لولده الجلال رحمهما الله - جلد ١ .
- ١٧٤ - أزهار الرياض في أخبار عياض للشهاب أحمد المقرئ المغربي - جلد؟ .
- ١٧٥ - تاريخ المدينة المنورة للمراغي - نسخة ٣ .
- ١٧٦ - تاريخ أصبهان - جلد ١ .
- ١٧٧ - مختصر تاريخ المدينة للأزرقى - جلد ١ .
- ١٧٨ - الرابع من تاريخ مصر للبرهان العجمي - جلد ١ .
- ١٧٩ - مناقب الإمام أبي حنيفة لأبي عبد الله الحسين الصيمري .
- ١٨٠ - عيون الروضتين في أخبار الدولتين للحافظ العلائي .
- ١٨١ - تحفة الأنام في فضائل الشام - جلد ١ .
- ١٨٢ - مختصر تاريخ ابن شاعر الكتبي - جلد ١ .
- ١٨٣ - الثالث من المسجد المسبوك للمؤرخ علي بن الحسن الخزرجي - جلد ١ .
- ١٨٤ - رحلة الشيخ عبد الله السويدي البغدادي - جلد ١ .
- ١٨٥ - رحلة الشيخ إبراهيم الخياري المدني جلد - ١ .
- ١٨٦ - من مرآة الزمان - جلد ١ .



كتب اللغة

- ١٨٧ - القاموس للمجد الفيروزآبادي .
- ١٨٨ - المصباح المنير لابن خطيب الدهن .
- ١٨٩ - من المحكم لابن سيده - جلد ٤ .
- ١٩٠ - إصلاح المنطق لابن السكيت - جلد ١ .
- ١٩١ - المشترك في أسماء البلاد لياقوت - جلد ١ .
- ١٩٢ - مختصر القاموس لأحمد أفندي الشاهيني .
- ١٩٣ - مختصر النهاية في غريب الحديث - جلد ١ .
- ١٩٤ - المرصع في الآباء والأمهات والأذواء والذوات - جلد ١ .
- ١٩٥ - أساس البلاغة للزمخشري .
- ١٩٦ - كتاب فيما اتفق لفظه واختلف معناه لأبي العميثل الشاعر - جلد ١ .
- ١٩٧ - شرح غريب السيرة الهشامية للشمس البرقي - جلد ١ .
- ١٩٨ - شرح غريب مختصر المزني للأزهري - جلد ١ .
- ١٩٩ - ما يجري على السنة العامة في أمثالهم من كلام العرب . تأليف
المفضل بن سلمة صاحب الفراء - جلد ١ .
- ٢٠٠ - مجمع الأمثال للثعالبي .
- ٢٠١ - المستقصى في الأمثال للزمخشري .
- ٢٠٢ - كتاب الأمثال للميداني .
- ٢٠٣ - فقه اللغة للثعالبي - جلد ١ .
- ٢٠٤ - شرح غريب الحديث للقاسم بن سلام .

- ٢٠٥ - الأول من غريب الحديث لابن اللبودي - جلد ١ .
- ٢٠٦ - الأول من الغريبين للهروي - جلد ١ .
- ٢٠٧ - غريب القرآن العظيم للسجستاني - جلد ١ .
- ٢٠٨ - المشكل من القرآن لابن قتيبة - جلد ١ .
- ٢٠٩ - مختصر ديوان الحيوان للشمس الميداني ، بخطه - جلد ١ .
- ٢١٠ - مختصر حياة الحيوان .
- ٢١١ - المجلس الأنيس في الخندريس للمجد الفيروزآبادي - جلد ١ .
- ٢١٢ - درة الغواص في أوهام الخواص للحريري .
- ٢١٣ - قيد الأوابد في الخلاف بين الصحاح و... لأبي الفضل النيسابوري - جلد ١ .
- ٢١٤ - الثاني من مختصر العين للقاضي أبي بكر الزبيدي - جلد ١ .
- ٢١٥ - مجموع أوله الجوهرة التيمية في مختصر اللغة... للمناوي - جلد ١ .
- ٢١٦ - مجموع فيه تهذيب وتحريير التنبيه عمدة... والطالب النبيه للنوي - جلد ١ .
- ٢١٧ - قصد السبيل فيما في لغة العرب من الدخيل للأمين المحبي - جلد ١ .
- ٢١٨ - كتاب تهذيب أبنية الأفعال لابن القطاع .
- ٢١٩ - رسالة مؤلفة من غريب اللغة للشيخ خير الدين العنقري - جلد ١ .

* * *

كتب التصوف

- ٢٢٠ - شرح فصوص الحكم للقاشاني - جلد ١ .
- ٢٢١ - مجموع فيه فصوص الحكم ، وترجمان الأشواق - مجلد ١ .
- ٢٢٢ - مجموع أوله الخزانن للشيخ الأكبر قدس سره - جلد ١ .
- ٢٢٣ - التدبيرات الإلهية . له قدس سره - جلد ١ .
- ٢٢٤ - مجموع أوله كتاب الجلالة له . عدة رسائله - جلد ١ .
- ٢٢٥ - المسامرات له قدس سره - جلد ١ .
- ٢٢٦ - مجموع رسائل له عدد ١٠ أولها - جلد ١ .
- ٢٢٧ - مجموع رسائل له أوله شرح الوصايا - جلد ١ .
- ٢٢٨ - مجموع فيه كرامات الأولياء لأبي المعالي البغدادي وللطبري - جلد ١ .
- ٢٢٩ - كيمياء السعادة لحجة الإسلام الغزالي . باللغة الفارسية - جلد ١ كبير .
- ٢٣٠ - مجموع تأليف الشيخ حسين الشطاري أولها: جواهر التحقيق - جلد ١ .
- ٢٣١ - مناقب الأبرار لابن خميس - جلد ١ .
- ٢٣٢ - رسالة الإمام القشيري - جلد ١ .
- ٢٣٣ - زبدة الحقيقة في معرفة آداب الطريقة - جلد ١ .
- ٢٣٤ - بهجة الأسرار في مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني . قدس سره - جلد ١ .
- ٢٣٥ - شرح الأسماء الحسنی للشيخ عبد العزيز الديريني - جلد ١ .

- ٢٣٦ - شرح الأسماء الحسنی للغزالي - جلد ٢ ، نسخة ٢ .
- ٢٣٧ - [كتاب] الأربعين في التصوف له - جلد ١ .
- ٢٣٨ - مجموع فيه منهاج العابدين له - جلد ١ ، بخط العلامة زين الدين خطاب .
- ٢٣٩ - سر العالمين . له قدس سره - جلد ١ .
- ٢٤٠ - روض التعريف في الحب الشريف للوزير لسان الدين الخطيب - جلد ١ .
- ٢٤١ - معالم آداب أولي الألباب للكاشغري - جلد ١ .
- ٢٤٢ - شرح تائية سيدي عمر بن الفارض للفرغاني - جلد ٢ .
- ٢٤٣ - شرحها للشيخ علوان الحموي - جلد ١ .
- ٢٤٤ - شرح ترجمان الأشواق للشيخ الأكبر - جلد ١ .
- ٢٤٥ - مجموع فيه الذخائر للقطب أيوب بن أحمد الخلوتي - جلد ١ .
- ٢٤٦ - مجموع للصفى القشاشي ، رسائل عدد ٣ أولها الخصائص المكيّة - جلد ١ .
- ٢٤٧ - مجموع رسائل عدد ١٠ لجدنا الشيخ عبد الغني النابلسي أولها: الجواب المنثور المنظوم - جلد ١ .
- ٢٤٨ - شرح صلوات الشيخ عبد القادر الكيلاني له قدس سره بخطه ولعله للشيخ عبد الغني النابلسي - جلد ١ .
- ٢٤٩ - مجموع أوله الرد المتين له قدس سره - جلد ١ .
- ٢٥٠ - مجموع رسائل عدة له بخطه أولها السر المختبي في ضريح ابن العربي - جلد ١ .
- ٢٥١ - شرح ورد الوسائل للشيخ حسين البيتماني - جلد ١ .
- ٢٥٢ - مجموع أوله إرشاد الطالبين للشعراني . رسائل عدد ٨ وكتب جلد ١ .
- ٢٥٣ - كشف الران عن أسئلة الجان للشعراني - جلد ١ .
- ٢٥٤ - عيون الأجوبة للقسيري - جلد ١ .

- ٢٥٥ - مجموع فيه: لطائف المنن ، وشرح حزب البحر لزروق. كلاهما بخط شيخ الإسلام النجم الغزي.
- ٢٥٦ - شرح الرسالة الرسالية للشيخ حسن بن موسى الكردي - جلد ١ .
- ٢٥٧ - مجموع رسائل عدة أولها الأسرار الربانية - جلد ١ .
- ٢٥٨ - الكبريت الأحمر للشعراني أيضاً - جلد ١ .
- ٢٥٩ - مجموع رسائل عدد ٨ أولها الكهف والرقيم للشيخ عبد الكريم الجيلي - جلد ١ .
- ٢٦٠ - تنزيل الأملاك للشيخ الأكبر قدس سره - جلد ١ .
- ٢٦١ - مجموع رسائل عدة أولها محاسن المجالس لابن العريف الصنهاجي - جلد ١ .
- ٢٦٢ - مجموع عدة تأليف عدد ٥ لأبي إسحاق الأقصرائي أولها: نفحات الصفا بالسول - جلد ١ .
- ٢٦٣ - مجموع رسائل عدة أولها رسالة في علماء الآخرة - جلد ١ .



كتب العقائد والكلام

- ٢٦٤ - بحر الكلام على الخيالي - جلد ١ .
- ٢٦٥ - شرح العقائد للسعر التفتازاني - جلد ١ .
- ٢٦٦ - حاشية الملا إلياس على الشرح المزبور، ومعها زهر الربيع - جلد ١ .
- ٢٦٧ - الانتصار في الرد على المعتزلة للعمراني - جلد ١ .
- ٢٦٨ - شرح المواقف - جلد ١ .
- ٢٦٩ - مجموع حواش على شرح المواقف أولها لسان باشا - جلد ١ .
- ٢٧٠ - مجموع أوله شرح الشيبانية للشيخ علوان - جلد ١ .
- ٢٧١ - مجموع أوله العقيدة الصابونية - جلد ١ .
- ٢٧٢ - الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للشهاب القرافي - جلد ١ .
- ٢٧٣ - مجموع أوله شرح السنوسية والعقائد الثلاث للسنوسي - جلد ١ .
- ٢٧٤ - مجموع أوله شرح الجوهرة الأوسط للشيخ عبد السلام اللقاني - جلد ١ .
- ٢٧٥ - شرح الطوالع للأصفهاني - جلد ١ .
- ٢٧٦ - مجموع فيه شرح العقائد العضدية للدواني وحاشيتها - جلد ١ .
- ٢٧٧ - شرح هداية الحكمة لمنلازاده - جلد ١ .
- ٢٧٨ - مجموع أوله حاشية على شرح هداية الحكمة - جلد ١ .
- ٢٧٩ - منظومة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم - جلد ١ .
- ٢٨٠ - الطوالع للقاضي البيضاوي .
- ٢٨١ - مجموع رسائل أدبية عدد ١١ أولها شرح بدء الأمالي لعلي القاري - جلد ١ .

- ٢٨٢ - حاشية الشهاب المقرئ على شرح السنوسية الصغرى المسمى بإفاده
المغرم المغرى - جلد ١ .
- ٢٨٣ - الكتاب المسمى نقض الدارمي أبي سعيد على المرسي الكافر العنيد فيما
افترى على الله في التوحيد - جلد ١ مشتمل على أجزاء ٣ .
- ٢٨٤ - مجموع أوله البداية في أصول الكلام للصابوني - جلد ١ .
- ٢٨٥ - شرح عقيدة الإمام الطحاوي - جلد ١ .

* * *

كتب الأصول

- ٢٨٦ - منهاج البيضاوي .
- ٢٨٧ - شرح المنهاج المذكور للأسنوي - جلد ١ .
- ٢٨٨ - شرح المنهاج المذكور لمجهول - جلد ١ .
- ٢٨٩ - شرح مختصر المنتهى للعضد - جلد ١ .
- ٢٩٠ - الأحكام للقرافي - جلد ١ .
- ٢٩١ - التلويح على التنقيح للسعد التفتازاني - جلد ١ .
- ٢٩٢ - شرح جمع الجوامع للجلال المحلي - جلد ١ .
- ٢٩٣ - شرحه للبدر الزركشي - جلد ١ .
- ٢٩٤ - حاشية القاضي زكريا على شرح المحلي على جمع الجوامع - جلد ١ .
- ٢٩٥ - حاشية الكمال ابن أبي شريف عليه - جلد ١ .
- ٢٩٦ - الرسالة السيفية للصفى الهندي - جلد ١ .
- ٢٩٧ - المستصفى لأبي حامد الغزالي - جلد ١ .
- ٢٩٨ - مجموع فيه الورقات وشرحان عليها - جلد ١ .
- ٢٩٩ - مجموع أوله : حاشية السيد على شرح مختصر ابن الحاجب وشرح الشمسية - جلد ١ .
- ٣٠٠ - شرح المنار لابن فرشته .
- ٣٠١ - أصول البزدوي .

- ٣٠٢ - تلخيص روضة الناظر الحنبلي - جلد ١ .
٣٠٣ - الأول من البديع لابن الساعاتي .
٣٠٤ - الحق المبين للفقير عمر بن زيد الحنفي - جلد ١ .

* * *

كتب الفقه الشافعية

- ٣٠٥ - شرح البسمة لأبي شامة - جلد ١ .
- ٣٠٦ - المنهاج للإمام النووي نسخة ٣ .
- ٣٠٧ - متن التحرير للقاضي زكريا - جلد ١ .
- ٣٠٨ - الأحكام السلطانية للماوردي - جلد ١ .
- ٣٠٩ - أدب القضاء للشرف الغزي - جلد ١ .
- ٣١٠ - شرح الحاوي للبارزي - جلد ١ .
- ٣١١ - شرح الحاوي أيضاً للبرهان ابن أبي شريف - جلد ٣ .
- ٣١٢ - متن الإرشاد لابن المقري - جلد ١ .
- ٣١٣ - هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك للعز بن جماعة -
جلد ١ .
- ٣١٤ - تيسير الوقوف على غوامض الوقوف للمناوي - جلد ١ .
- ٣١٥ - القول التام في موقف المأموم والإمام لابن العماد - جلد ١ .
- ٣١٦ - مجموع أوله: كشف الغمة للتقي السبكي - جلد ١ .
- ٣١٧ - إعلام الساجد بأحكام المساجد للبدر الزركشي - جلد ١ .
- ٣١٨ - القواعد الفقهية للتقي الحصني - جلد ١ .
- ٣١٩ - مجموع كتب عدة أولها: الإرشاد لابن المقري - جلد ١ .
- ٣٢٠ - آكام المرجان في أحكام الجان للبدر الشبلي الحنفي - جلد ١ .
- ٣٢١ - مجموع فيه: جواهر البحرين وجامع المختصرات للنسائي - جلد ١ .
- ٣٢٢ - مجموع فقهيه أوله فتاوى التقي السبكي - جلد ١ .

- ٣٢٣ - تبيان الحكم بالنصوص الدالة على الشرف من الأم - جلد ١ .
- ٣٢٤ - الهداية شرح النهاية مختصر الغاية - جلد ١ .
- ٣٢٥ - رحمة الأمة في اختلاف الأئمة .
- ٣٢٦ - تحبير الخواطر للعزيزي - جلد ١ بخطه .
- ٣٢٧ - مجموع رسائل فقهية وفتاوى عدد ٢٠ أولها المقاصد للنووي .
- ٣٢٨ - مجموع رسائل لابن العماد الأقفهسي .
- ٣٢٩ - مجموع مؤلفات للثقي السبكي أولها التحقيق - جلد ١ .
- ٣٣٠ - الألغاز على المنهاج لأبي إسحاق السوسيني - جلد ١ .
- ٣٣١ - فتاوى الإمام محمد البلاطسي بخطه - جلد ١ .
- ٣٣٢ - مجموع فوائد فقهية وحديثية - جلد ١ .
- ٣٣٣ - مجموع مؤلفات عدد ٣ أولها تحرير التنبيه للنووي نسخة عدد ٣ .
- ٣٣٤ - مجموع رسائل أوله : غاية المرام للرملي ٢ وبقية رسائله ليست فقهاً - جلد ١ .

* * *

كتب الفقه الحنفية

- ٣٣٥ - مجموع رسائل عدة أولها: الأحكام الملخصة للشربلالي - جلد ١ .
- ٣٣٦ - الأول من شرح الكنز - جلد ١ .
- ٣٣٧ - مجموعة عطا الله أفندي قاضي دمشق - جلد ١ .
- ٣٣٨ - شرح الدرر للشيخ عبد الرحمن العيني، بخطه - جلد ١ .
- ٣٣٩ - شرح الزيادات للعتابي - جلد ١ .
- ٣٤٠ - مجموع أوله: المنظومة المحبية. وبقية بخط العلائي الحنفي - جلد ١ .
- ٣٤١ - الثاني من الفتاوى الظهيرية - جلد ١ .
- ٣٤٢ - مجموع فقهي أوله بخط ابن طولون - جلد ١ .
- ٣٤٣ - نصره المتغربين عن الأوطان للشيخ ياسين الفرضي - جلد ١ .
- ٣٤٤ - الأول من شرح المنظومة الوهبانية لمؤلفها - جلد ١ .
- ٣٤٥ - شرح الوهبانية لابن الشحنة - جلد ١ .
- ٣٤٦ - مجمع البحرين - جلد ١ .

* * *

كتب الفرائض والحساب

- ٣٤٧ - شرح الأشنوية في الفرائض لابن قاضي شهبة - جلد ١ .
- ٣٤٨ - شرحها أيضاً . . .
- ٣٤٩ - الكشف عن أصول الفرائض لابن سراقه - جلد ١ .
- ٣٥٠ - شرح الفصول للقاضي زكريا - جلد ١ .
- ٣٥١ - شرح الجعبرية لابن المجدي - جلد ١ .
- ٣٥٢ - الفراض المرتاض لابن صفوان - جلد ١ .
- ٣٥٣ - الجواهر المهمة في المناسخات للدلجموني - جلد ١ .
- ٣٥٤ - مجموع فيه شرح فرائض المنهاج وشرح الأجرومية ، كلاهما للشمس الكفرسوسي بخطه - جلد ١ .
- ٣٥٥ - التمهيد في شرح التلخيص لابن هيدور .
- ٣٥٦ - اللباب في شرح تلخيص الحساب - جلد ١ .
- ٣٥٧ - المعونة في الحساب لابن الهائم - جلد ١ .
- ٣٥٨ - منقذ الهالك وعمدة السالك في الحساب والمساحة - جلد ١ .
- ٣٥٩ - شرح النزهة لأبي الفضل بن الإمام بخط الشهاب الطيبي - جلد ١ .
- ٣٦٠ - مجموع أوله الخلاصة للبهاء العاملي وحاشيتها لابن ماسي - جلد ١ .
- ٣٦١ - جوامع الحساب بالبحث والتراب للنصير الطوسي - جلد ١ .
- ٣٦٢ - شرح الياسمينية لابن الهائم .
- ٣٦٣ - شرح النزهة أيضاً للشهاب أحمد الطيبي - جلد ١ .

* * *

كتب المعاني والبيان والبدیع

- ۳۶۴ - المفتاح للسكاكي لأبي يعقوب يوسف - جلد ۱ .
- ۳۶۵ - شرح المفتاح للقاضي الخوارزمي - جلد ۱ .
- ۳۶۶ - شرح المفتاح للسيد الشريف .
- ۳۶۷ - حاشية مصنفك عليه - جلد ۱ .
- ۳۶۸ - الشرح المطول على التلخيص للسعد التفتازاني - جلد ۱ .
- ۳۶۹ - نسخة أخرى منه بخط الشيخ عبد الله البصروي - جلد ۱ .
- ۳۷۰ - حاشية حسن جلبي الفناري عليه - جلد ۱ .
- ۳۷۱ - حاشية السيد الشريف عليه - جلد ۱ .
- ۳۷۲ - متن التلخيص - جلد ۱ صغير .
- ۳۷۳ - الإشارات لركن الدين الجرجاني - جلد ۱ .
- ۳۷۴ - حاشية . . . المفتاح لعلي جلبي - جلد ۱ .
- ۳۷۵ - من التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري - جلد ۲ .
- ۳۷۶ - حاشية المختصر لمصطفى أفندي قاضي الشام - جلد ۱ .
- ۳۷۷ - الإيضاح للخطيب الجلال القزويني - جلد ۱ .
- ۳۷۸ - شرح أبيات الإيضاح للشتمري - جلد ۱ .
- ۳۷۹ - حسن التوسل إلى صناعة التوسل للشهاب محمود - جلد ۱ .
- ۳۸۰ - تحرير التحبير لابن أبي الأصعب - جلد ۱ .
- ۳۸۱ - مجموع رسائل عدد ۱۱ - جميعها لطاش كبرى زاده ، أولها الرسالة الجامعة - جلد ۱ .

- ٣٨٢ - مجموع كتب عدد ٣ أوله التلخيص للخطيب القزويني ، ونظم التلخيص لابن عربشاه ، والأصول في البلاغة للخطيب القزويني .
- ٣٨٣ - درر الدقائق ودرر الحقائق - جلد ١ .
- ٣٨٤ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمثور لأبي الفتح نصر الله ابن الأثير - جلد ١ .
- ٣٨٥ - سر الفصاحة للأمير أبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي - جلد ١ .
- ٣٨٦ - مجموع أوله شرح عقود الجمان للسيوطي - جلد ١ .
- ٣٨٧ - مجموع فيه النفحة المسكية للسيوطي ، وشرح تلخيص التلخيص للشيخ محمد بن سليمان - جلد ١ .

* * *

كتب العروض والقوافي

- ٣٨٨ - شرح المنظومة الحاجبية المسمى بالدر النضيد - جلد ١ .
- ٣٨٩ - مجموع رسائل عدد ٣ أولها الوافي في علم القوافي للأخفش - جلد ١ .
- ٣٩٠ - مجموع رسائل عدد ٦ أولها شرح الكافي للنبيتي - جلد ١ .
- ٣٩١ - مجموع عريض في علم العروض أوله: المختار من العيون الغامزة -
جلد ١ ضخمة صغير .
- ٣٩٢ - شرح الأندلسية للشمس محمد بن موسى الحجازي - جلد ١ .
- ٣٩٣ - مجموع أوله شرح الخزرجية للقاضي زكريا، رسائل عدة - جلد ١ .
- ٣٩٤ - مجموع كتب عدد ٤ أوله: الوافي شرح الكافي للعمري وشرحا الدماميني
والعيني على الخزرجية - جلد ١ .
- ٣٩٥ - شرح السارية المسمى بالوافي في علمي العروض والقوافي لعبيد الله بن
عبد الكافي العبيدي - جلد ١ .
- ٣٩٦ - مجموع عدد ٢ أولها شرح الخزرجية لأبي عبد الله السبتى قاضي غرناطة -
جلد ١ .



كتب الفلك والنجوم والرمل والزايجه والروحاني

- ٣٩٧ - زيغ ابن الشاطر - جلد ١ .
- ٣٩٨ - زيغ الشيخ عبد الرحيم الصالحي - جلد ١ .
- ٣٩٩ - زيغ المنصوري - جلد ١ .
- ٤٠٠ - الروض العاطر في تلخيص زيغ ابن الشاطر - جلد ١ .
- ٤٠١ - تقويم البلدان للملك المؤيد - جلد ١ .
- ٤٠٢ - شرح التذكرة الفلكية للحسن بن نظام - جلد ١ .
- ٤٠٣ - مجموع أوله الجيب لدقيقة دقيقة وثانية ثانية لابن يونس - جلد ١ .
- ٤٠٤ - حاوي المختصرات للمارديني - جلد ١ .
- ٤٠٥ - مجموع أوله حاشية على الملخص في علم الهيئة للفضل العبيدي - جلد ١ .
- ٤٠٦ - شرح مختصر الجغميني للشمس مبارك شاه البخاري - جلد ١ .
- ٤٠٧ - مجموع رسائل عدة أولها: زاد القنوع - جلد ١ .
- ٤٠٨ - مجموع فلك . باللغة التركية - جلد ١ .
- ٤٠٩ - مجموع أوله الملخص في علم الهيئة - جلد ١ صغير .
- ٤١٠ - نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار للسيد الإدريسي - جلد ١ .
- ٤١١ - مجموع رسائل عدة أوله كفاية المحتاج - جلد ١ .
- ٤١٢ - مجموع رسائل عدد ٦ أولها رسالة الاسطرلاب لشيخنا علي الداغستاني - جلد ١ .
- ٤١٣ - مجموع رسائل عدد ١٢ أولها رسالة في الميقات للشيخ عبد الرحمن التاجوري .

- ٤١٤ - كتاب الدائر من الفلك لابن الشاطر - جلد ١ .
- ٤١٥ - تسهيل المواقيت في العمل بصندوق اليواقيت . لابن الشاطر أيضاً - جلد ١ صغير .
- ٤١٦ - الدر المصون في العلم المكنون في الرمل - جلد ١ .
- ٤١٧ - مجموع فيه الرموز والميلاطيس الأكبر للفاضل هرمز - جلد ١ .
- ٤١٨ - الجفر للشيخ عبد الرحمن البسطامي - جلد ١ .
- ٤١٩ - مفتاح السعادة للبسطامي المزبور - جلد ١ .
- ٤٢٠ - مجموع أوله اللمعة النورانية للبنوني - جلد ١ .
- ٤٢١ - مجموع حروف وأوقاف أوله: الكلام على الحروف المعروفة بحروف الهجاء - جلد ١ لسامور الهندي .
- ٤٢٢ - مجموع أوله خافيه سامور الهندي - جلد ١ .
- ٤٢٣ - مجموع فيه كتاب مخزون الأسرار - جلد ١ .
- ٤٢٤ - مجموع كتب عدد ٣ أوله الدر التنظيم في فضائل القرآن العظيم لليافعي - جلد ١ .
- ٤٢٥ - الأسرار المخفية في دقائق الأعداد الحروف الوفقية للعلامة حسن بن علي التستري - جلد ١ .



كتب النحو

- ٤٢٦ - ثمار الصناعة لأبي عبد الله الدينوري - جلد ١ .
- ٤٢٧ - شرح لب الألباب - جلد ١ .
- ٤٢٨ - شرح الكافية للنجم للرضي - جلد ١ .
- ٤٢٩ - شرح الكافية للقمولي - جلد ١ .
- ٤٣٠ - شرح الكافية للمحقق الجامي - جلد ١ .
- ٤٣١ - شرح الكافية المسمى بالوافية للمتوسط - جلد ١ .
- ٤٣٢ - حاشية السيد الشريف على شرح الكافية للنجم للرضي - جلد ١ .
- ٤٣٣ - همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العربية للسيوطي .
- ٤٣٤ - النكت في النحو للجلال السيوطي - جلد ١ .
- ٤٣٥ - مجموع رسائل عدد ٤ لابن هشام أولها الجامع الصغير له - جلد ١ .
- ٤٣٦ - إعراب ألفية ابن مالك للشيخ خالد ، نسخة عدد ٣ .
- ٤٣٧ - الأول من شرح الألفية المذكورة لأبي حيان - جلد ١ .
- ٤٣٨ - شرح الفوائد على الألفية المذكورة لابن هشام - جلد ١ .
- ٤٣٩ - شرح الأجرومية للنور علي السنهوري - جلد ١ .
- ٤٤٠ - شرح العوامل لابن أمير حاج - جلد ١ .
- ٤٤١ - المغني لابن هشام - جلد ١ .
- ٤٤٢ - المغني لابن فلاح تقي الدين منصور اليميني - جلد ١ .
- ٤٤٣ - حاشية المتوسط للحلبي - جلد ١ .
- ٤٤٤ - حاشية المتوسط للسيد الشريف - جلد ١ .

- ٤٤٥ - حاشية العصام على شرح الكافية للجمامي - جلد ١ .
- ٤٤٦ - حاشية القاضي زكريا على شرح الألفية لابن المصنف - جلد ١ .
- ٤٤٧ - حاشية الزرقاني على شرح القواعد للشيخ خالد - جلد ١ .
- ٤٤٨ - حاشية شرح الأجرومية الخالدي للقلبي - جلد ١ .
- ٤٤٩ - من حاشية الشنواني على الفاكي - أجزاء عدد ١ .
- ٤٥٠ - الجنى الداني للمرادي - جلد ١ .
- ٤٥١ - مجموع فيه شرح الكافية والجنى الداني - جلد ١ .
- ٤٥٢ - شرح الأزهرية للطبلاوي .
- ٤٥٣ - امتحان الأذكياء للبركلي نسخة عدد ٣ .
- ٤٥٤ - الأول من حاشية التوضيح للشنواني - جلد ١ .
- ٤٥٥ - المفصل للزمخشري - جلد ١ .
- ٤٥٦ - شرح شواهد المفصل - جلد ١ .
- ٤٥٧ - من شرح التسهيل للسمين - جلد ٢ .
- ٤٥٨ - شرح الأنموذج للأردبيلي - جلد ١ .
- ٤٥٩ - مجموع فيه الاقتراح وشواهد شرح الألفية لابن المصنف - جلد ١ .
- ٤٦٠ - مجموع فيه الأوضح والكواكب الدرية في شرح الملح البدرية كلاهما لابن هشام - جلد ١ .
- ٤٦١ - شرح ألفية السيوطي في النحو له بخط ابن طولون .
- ٤٦٢ - مجموع أوله شرح ديباجة المصباح للسيد يعقوب ، وإعراب الأجرومية لخالد - جلد ١ .
- ٤٦٣ - شرح كافية ابن مالك في النحو ، له بخط مغربي - جلد ١ .
- ٤٦٤ - اللمع لأبي الفتح بن جني - جلد ١ .
- ٤٦٥ - شرح الاقتراح محمد علي المكي ابن علان - جلد ١ .
- ٤٦٦ - حاشية محمد أفندي حمزة على ابن المصنف - جلد ١ .

- ٤٦٧ - العافية في شرح الكافية للمتوسط - جلد ١ .
- ٤٦٨ - الكافية شرح جمل الجرجاني للجمال عبد الله بن الخشاب .
- ٤٦٩ - شرح التسهيل لابن أم قاسم المرادي - جلد .
- ٤٧٠ - الثالث من شرح التسهيل لأبي العباس المغربي .
- ٤٧١ - شرح المفصل لابن الحاجب - جلد ١ .
- ٤٧٢ - الأول من شرح الجمل للجرجاني للشمس محمد البعلي .
- ٤٧٣ - السادس من شرح التسهيل لناظر الجيش الحلبي .
- ٤٧٤ - النصف من شرح التسهيل للشيخ عبد القادر المكي - جلد ١ .
- ٤٧٥ - مجموع فيه حاشية مفردات المفتي وحاشية امتحان الأذكياء للشيخ عمر البغدادى - جلد .
- ٤٧٦ - شرح القواعد للكافيحي .
- ٤٧٧ - شرح الآجرومية للمسمهودي - جلد ١ .
- ٤٧٨ - مسودة شرح الملححة للشيخ مصطفى المحبى بخطه - جلد ١ .
- ٤٧٩ - شرح الجمل لأبي الحسن بن بابشاذ - جلد ١ .
- ٤٨٠ - شرح المصباح للمطرزي - جلد ١ .
- ٤٨١ - شرح لمع ابن جني لأبي الحسين علي الأصفهاني - جلد ١ .
- ٤٨٢ - شرح لمع ابن جني لأبي منصور العربي - جلد ١ .
- ٤٨٣ - مجموع فيه الاقتراح للسيوطي ، وشرح الملححة للشهاب أحمد بن أرسلان وشرح البصروية ، والجميع بخط ابن طولون - جلد ١ .
- ٤٨٤ - شرح ملححة الأعراب للشيخ مصطفى المحبى - جلد ١ .
- ٤٨٥ - شرح البديع لأبي طالب الاستراباذي - جلد ١ .
- ٤٨٦ - كتاب الإعراب للفخر الرازي - جلد ١ .
- ٤٨٧ - الجزء الأول من شرح أبيات الجمل الزجاجية لعبد الكريم القرشي - جلد ١ .

- ٤٨٨ - حاشية الشهاب أحمد الشلبي على شرح الأزهرية للشيخ خالد بخطه -
جلد ١ .
- ٤٨٩ - حاشية الأوضح لحفيد مؤلفه الشهاب أحمد بن هشام - جلد ١ .
- ٤٩٠ - الأمالي للجمال عثمان بن الحاجب - جلد ١ .
- ٤٩١ - الأول من شرح الشواهد الكبرى للشيخ محمود العيني - جلد ١ .
- ٤٩٢ - شرح المنظومة الكافية الشافية الكبرى لمؤلفها الجمال بن مالك -
جلد ١ .
- ٤٩٣ - شرح الألفية للشمس محمد الهواري الأندلسي المسمى بالأعمى والبصير
- جلد ١ .
- ٤٩٤ - الخصائص في النحو لأبي الفتح عثمان بن جني - جلد ١ .
- ٤٩٥ - المقرب لأبي الحسن علي بن عصفور ، وشرح أمثله له - جلد ١ .
- ٤٩٦ - من أمالي هبة الله ابن الشجري - جلد ٢ .
- ٤٩٧ - سؤالات أهل الاسكندرية لابن الخشاب - جلد ١ .
- ٤٩٨ - سر الصناعة لأبي الفتح عثمان بن جني - جلد ٢ .
- ٤٩٩ - مجموع صغير أوله الكافية لابن الحاجب - جلد ١ .
- ٥٠٠ - مجموع فيه الآجرومية وإعرابها للشيخ خالد وشرح ديباجة المصباح للسيد
يعقوب - جلد ١ .
- ٥٠١ - مجموع فيه المصباح النحوي وشرح ديباجته - جلد ١ .
- ٥٠٢ - كتاب الشعر لأبي علي الفارسي - جلد ١ .



كتب الصرف

- ٥٠٣ - شرح المراح .
- ٥٠٤ - شرح المراح لحسن باشا - جلد ١ .
- ٥٠٥ - نظم فصيح ثعلب المسمى «حلية الفصيح» لأبي عبد الله محمد الهوارى - جلد ١ .
- ٥٠٦ - شرح الشافية لركن الدين - جلد ١ .
- ٥٠٧ - شرح الشافية للفخر الجاربردى - جلد ١ .
- ٥٠٨ - شرح الزنجابية للبدر حسن البانى الكردى - جلد ١ .
- ٥٠٩ - مجموع أوله الزنجانية أيضاً للسعد التفتازانى - جلد ١ .
- ٥١٠ - شرح المقصود لحسين السمرارى - جلد ١ .
- ٥١١ - شرح فصيح ثعلب المسمى أسفار الفصيح لأبي سهل محمد الهروى - جلد ١ .
- ٥١٢ - مجموع أوله: الشافية لابن الحاجب .
- ٥١٣ - كفاية الغلام فى إعراب الكلام . للشيخ شعبان الآثارى - جلد ١ .
- ٥١٤ - الجمل لأبى القاسم الزجاجى - جلد .
- ٥١٥ - مجموع أوله رسالة فى مسألة الكحل - جلد ١ .
- ٥١٦ - مجموع فى الجامع الصغير فى النحو لابن المبارك ، ورسالة السمرقندى فى الآداب وحاشية أفضل زاده على شرح الطوالع - جلد .
- ٥١٧ - شرح المفصل المسمى خيرة الشامل - جلد ١ .



كتب المنطق

- ٥١٨ - حاشية مختصر السنوسي للشيخ عطية الله الأجهوري .
- ٥١٩ - حاشية الدلجي على شرح القاضي زكريا على إيساغوجي ، جلد ١ .
- ٥٢٠ - مجموع كتب عدد ٤ أوله : الكاتي على إيساغوجي ، وشرح الوصفية للعصام ، والتهذيب للسعد ، وشرح العقائد للدواني - جلد ١ .
- ٥٢١ - مجموع فيه حاشية الدواني على الشمسية - جلد ١ .
- ٥٢٢ - حاشية شرح المطالع لمولانا حسين - جلد ١ .
- ٥٢٣ - حاشية شرح المسلم للأخضري . تأليف علي الصعيدي - جلد ١ .
- ٥٢٤ - حاشية السيد على تصورات الشمسية - جلد ١ .
- ٥٢٥ - حاشية محيي الدين ، و متن المطالع في المنطق - جلد ١ .
- ٥٢٦ - شرح شرح الفناري لإيساغوجي تأليف عبد الأول بن عثمان العمري .
- ٥٢٧ - شرح إيساغوجي للشهاب أحمد البجائي .
- ٥٢٨ - شرح الشمسية للقطب - جلد ١ .
- ٥٢٩ - مجموع أوله شرح الشمسية للسعد - جلد ١ .
- ٥٣٠ - الإشارات لابن سينا - جلد ١ .
- ٥٣١ - مجموع أوله شرح الشمسية للسعد - جلد ١ .
- ٥٣٢ - مجموع فيه شرحان على السلم للملوي والأخضري - جلد .
- ٥٣٣ - مجموع أوله شرح الشمسية للسيد - جلد ١ .
- ٥٣٤ - مجموع فيه حاشية العماد على شرح الشمسية للقطب ، وحاشية الأبيوردي على شرح الشمسية للشريف المرتضى - جلد ١ .

- ٥٣٥ - مجموع فيہ حواشي المطالع - جلد ١ .
٥٣٦ - مجموع فيہ حاشيتان على حسام كائي - جلد ١ .
٥٣٧ - مجموع فيہ متن المطالع وحواشيها - جلد ١ .

* * *

كتب دواوين الشعر

- ٥٣٨ - ديوان المراسلات للجد الشيخ عبد الغني - جلد ١ .
- ٥٣٩ - ديوان الشيخ عرودك - جلد ١ .
- ٥٤٠ - ديوان في المديح للشيخ عبد الرحيم البرعي - جلد ١ .
- ٥٤١ - ديوان نجم الدين ابن اسرائيل - جلد ١ .
- ٥٤٢ - ديوان الشيخ كريم الدين الدمرداشي - جلد ١ .
- ٥٤٣ - ديوان سيدي علي وفا - جلد ١ .
- ٥٤٤ - ديوان الشيخ حسين الشطاري، بخطه - جلد ١ .
- ٥٤٥ - ديوان الشيخ محيي الدين السلطي - جلد ١ .
- ٥٤٦ - ديوان ابن بابك - جلد ١ .
- ٥٤٧ - مجموع دواوين [عدد] ٤ ابن الدرا ومنجك باشا والكريمي والشاهيني،
بخط الشيخ زين الدين البصروي - جلد ١ .
- ٥٤٨ - مجموع دواوين التلعفري .
- ٥٤٩ - ديوان الحاج عبد الحي الشهير بالخال - جلد ١ .
- ٥٥٠ - ديوان القيراطي - جلد ١ .
- ٥٥١ - ديوان الحافظ ابن حجر العسقلاني .
- ٥٥٢ - ديوان الصفي الحلبي نسخة عدد ٣ .
- ٥٥٣ - ديوان أبي الفتح محمد بن سيد الناس - جلد ١ .
- ٥٥٤ - ديوان ابن مليك الحموي - جلد ١ .
- ٥٥٥ - ديوان الملك الأمجد - جلد ١ .

- ٥٥٦ - ديوان ابن النبيه - جلد ١ .
- ٥٥٧ - ديوان شهاب الحويزي - جلد ١ .
- ٥٥٨ - ديوان يوسف بن عمران الحلبي - جلد ١ .
- ٥٥٩ - ديوان البرهان إبراهيم الأكرمي، بخطه - جلد ١ .
- ٥٦٠ - الحجازيات للشريف الرضي .
- ٥٦١ - مجموع دواوين عدد ٥ أولها ديوان الشيخ عبد الله السويدي - جلد ١ .
- ٥٦٢ - ديوان ابن أرفع راس المسمى شذور الذهب - جلد ١ / ٢١ / .
- ٥٦٣ - ديوان البهاء زهير، وعليه خط البدر الغزي - جلد ١ .
- ٥٦٤ - ديوان أبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي - جلد ١ .
- ٥٦٥ - ديوان محمد بن حسين بن عين الملك الأنصاري - جلد ١ .
- ٥٦٦ - ديوان سيدي محمد وفا - جلد ١ .
- ٥٦٧ - الديوان الكبير للأستاذ الشيخ الأكبر قدس سره - جلد ١ .
- ٥٦٨ - مجموع ديوان العناياتي، والكلام على آية غلام لابن الوردي والحسن القرع والكواكب السارية . كلاهما للصفدي - جلد ١ .
- ٥٦٩ - مجموع فيه ديوان الوزير أبي إسحاق بن خفاجة . وديوان ابن الزقاق الأندلسي - جلد ١ .
- ٥٧٠ - ديوان الأمير سيف الدين علي الشهير بابن المشد - جلد ١ .
- ٥٧١ - ديوان الباعوني - جلد ١ .
- ٥٧٢ - ديوان أبي نواس - جلد ١ .
- ٥٧٣ - ديوان غزل شيخ الشيوخ بخط البدر البشتكي - جلد ١ / ٢١ / ب .
- ٥٧٤ - ديوان الشيخ إسماعيل المسوتي الدمشقي - جلد .
- ٥٧٥ - ديوان حسن العقاد الدمشقي - جلد ١ .
- ٥٧٦ - ديوان الشيخ سعود المتنبى - جلد ١ .
- ٥٧٧ - ديوان مصطفى بن حسن العمادي - جلد ١ .

- ٥٧٨ - ديوان السيد فضل الله البهنسي - جلد ١ .
- ٥٧٩ - ديوان الشيخ عبد الله الشبراوي - جلد ١ .
- ٥٨٠ - ديوان السيد جعفر البيتي - جلد ١ .
- ٥٨١ - ديوان الوزير جعفر بن شمس الخلافة - جلد ١ .
- ٥٨٢ - ديوان أبي الحكم المغربي - جلد ١ .
- ٥٨٣ - ديوان أبي الفتح التهامي - جلد ١ .
- ٥٨٤ - ديوان الصفي أحمد القشاشي - جلد ١ .
- ٥٨٥ - ديوان فضل الله أفندي المحبي - جلد ١ .
- ٥٨٦ - ديوان الشيخ إبراهيم الأكرمي . بخطه - جلد ١ .
- ٥٨٧ - ديوان أبي نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي - جلد ١ .
- ٥٨٨ - ديوان الأمير مجد الدين أسامة بن منقذ - جلد ١ .
- ٥٨٩ - ديوان عبد المحسن بن غالب المنصوري - جلد ١ .
- ٥٩٠ - ديوان عبد الله بن عمرو العرجي - جلد ١ .
- ٥٩١ - ديوان الصاحب فخر الدين بن مكانس - جلد ١ .
- ٥٩٢ - ديوان القاضي نصر الله بن قلاقس - جلد ١ .
- ٥٩٣ - ديوان الأديب اللغوي أبي المجد موران بن كثير البالسي - جلد ١ .
- ٥٩٤ - ديوان أبي علي أبزون بن معمر العماني - جلد ١ .
- ٥٩٥ - ديوان الشيخ خير الدين الرملي - جلد ١ .
- ٥٩٦ - ديوان العارف أبي الحسن الششتري - جلد ١ .
- ٥٩٧ - ديوان العارف محمد بن قيصر الدمشقي - جلد ١ .
- ٥٩٨ - ديوان الأديب أبي نصر ظافر الحداد - جلد ١ .
- ٥٩٩ - ديوان المديح لأبي زكريا يحيى بن يوسف المصري - جلد ١ .
- ٦٠٠ - ديوان مولانا جلال الدين الرومي قدس سره - جلد ١ .
- ٦٠١ - الجزء الثاني من ديوان أبي بكر الصنوبري - جلد ١ .

- ٦٠٢ - ديوان الشمس أبي الفتح محمد بن التعاويذي - جلد ١ .
- ٦٠٣ - ديوان الرئيس نجم الدين محمد بن علي بن المعلم - جلد ١ .
- ٦٠٤ - الفتح الرفيع في مدح الشفيح للشمس محمد بن محمد السعدي البارنباري - جلد ١ .
- ٦٠٥ - الجزء الثاني من ديوان أبي الحسن علي بن الرومي - جلد ١ .
- ٦٠٦ - ديوان الأديب الشمس محمد بن عمر الفيومي المصري المكي - جلد ١ .



كتب الأدب

- ٦٠٧ - ملح التمليح للحضيري - جلد ١ .
- ٦٠٨ - ثمرات الأوراق لابن حجة - جلد ١ .
- ٦٠٩ - شرح المفضليات للضبي - جلد ١ .
- ٦١٠ - ألحان السواجع للصالح الصفدي بخطه - جلد ٢ .
- ٦١١ - ألحان الحادي بين المراجع والبادي للشيخ محمد الحادي - جلد ١ .
- ٦١٢ - المقامات الحريرية - جلد ١ .
- ٦١٣ - الأول من شرحها للمطرزي - جلد ١ .
- ٦١٤ - الأول من شرحها - جلد ١ .
- ٦١٥ - من التعليقات والنوادر لأبي علي هارون الهجري - جلد ٢ .
- ٦١٦ - من مختصر ربيع الأبرار المسمى زهر الربيع - جلد ٢ .
- ٦١٧ - رفع الشك والمين في تحرير الفنين . للقباري - جلد ١ .
- ٦١٨ - الثاني من رسائل أبي العلاء المعري - جلد ١ .
- ٦١٩ - النصف من شرح المقامات الحريرية للبنجفيشي - جلد ١ / ٢٢ب/ .
- ٦٢٠ - التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله - جلد ١ .
- ٦٢١ - كشف المروط عن محاسن الشروط لابن حبيب الحلبي - جلد ١ .
- ٦٢٢ - الأول من جواهر العقود ومعين القضاة والشهود للشمس محمد السيوطي - جلد ١ .

- ٦٢٣ - مجموع رسائل أدبية عدد ١١ أوله شرح بدء الأمالي للملا علي القاري -
جلد ١ .
- ٦٢٤ - شرح حماسة أبي تمام - جلد ١ / ٢٣ .
- ٦٢٥ - شرح بديعية للصفى الحلي - جلد ١ .
- ٦٢٦ - منظومة أدبية - جلد ١ .
- ٦٢٧ - الفوائد العلمية للنواجي بخط الشيخ رمضان العطيفي - جلد ١ .
- ٦٢٨ - مجموع رسائل عدد ٤ أولها شرح الألباز الفارضية - جلد ١ .
- ٦٢٩ - المنقذ لابن المفجع - جلد ١ .
- ٦٣٠ - رسالة في الحاسد والمحسود . للجاحظ - جلد ١ .
- ٦٣١ - مجموع أوله من غاب عنه المطرب للثعالبي - جلد ١ .
- ٦٣٢ - اللطف واللطائف للثعالبي - جلد ١ صغير .
- ٦٣٣ - مسایل الدموع على ما تفرع من الجموع . في المراثي - جلد ١ .



مجاميع العلماء والأدباء

- ٦٣٤ - مجموع لأحمد بيك الكيواني بخطه - جلد ١ .
- ٦٣٥ - مجموع لجدنا عبد الغني النابلسي، بخطه - جلد ١ .
- ٦٣٦ - مجموع الشيخ إسماعيل الحجازي، بخطه - جلد ١ .
- ٦٣٧ - مجموع إبراهيم آغا الراعي، بخطه - جلد ١ .
- ٦٣٨ - مجموع الشيخ أحمد الأكرمي الصالحي بخطه - جلد ١ .
- ٦٣٩ - مجموع الأمين المحبي بخطه - جلد ١ .
- ٦٤٠ - مجاميع الشيخ عبد الباقي الحنبلي، بخطه - جلد ٦ .
- ٦٤١ - مجموع ولده الشيخ أبي المواهب محمد، بخطه - جلد ١ .
- ٦٤٢ - مجموع الشيخ عبد القادر الصفوري بخطه - جلد ١ .
- ٦٤٣ - مجموع الشيخ أسعد الطويلة . بخطه - جلد ١ .
- ٦٤٤ - مجموع الأكمل بن مفلح . بخطه - جلد ١ .
- ٦٤٥ - مجموع الشيخ الهريري بخطه وهو طويل - جلد ١ .
- ٦٤٦ - مجموع الشيخ عبد الله البصروي، بخطه، معظمه تاريخ - جلد ١ .
- ٦٤٧ - مجموع المصطفى بن محب الدين، فيه مسودة شرح الملح له بخطه - جلد ١ .
- ٦٤٨ - مجموع السيد حسين بن عبد الرحمن اترميني بخطه - جلد ١ صغير .
- ٦٤٩ - مجموع السيد تقي الدين بن محب الدين الحصني بخطه كالمسودة - جلد ١ .

كتب تعبير الرؤيا

- ٦٥٠ - مختصر البسيط في التعبير للرازي - جلد ١ .
٦٥١ - مجموع فيه تعبير الرؤيا لابن سينا وللكرماني - جلد ١ .
٦٥٢ - مجموع فيه الألفية في تعبير الرؤيا . لابن الوردي - جلد ١ .

* * *

كتب الطب

- ٦٥٣ - الأول من مفردات ابن البيطار - جلد ١ .
- ٦٥٤ - النورية في الأمراض الضرورية في أدوية العين - جلد ١ .
- ٦٥٥ - كتاب في أمراض الأمعاء - جلد ١ .
- ٦٥٦ - المسائل لحنين بن إسحاق العبادي - جلد ١ .
- ٦٥٧ - شرح قصيدة ابن سينا المسمى بالكحل النفيس للشيخ داود البصير - جلد ١ .
- ٦٥٨ - مجموع أوله: رسائل عدة، أولها: أرجورة ابن سينا في أصول الطب - جلد ١ .
- ٦٥٩ - مجموع كبير؛ كتب عدد ١٣ ، أولها الأسباب والعلامات للنجيب السمرقندي والباقي له أيضاً - جلد ١ .
- ٦٦٠ - رجوع الشيخ إلى صباه في تقوية الباه - جلد ١ .
- ٦٦١ - مجموع رسائل عدد ٣ أوله: تلخيص كتاب الحيوان لأرسطو للرئيس موسى الإسرائيلي - جلد ١ والباقي له .
- ٦٦٢ - السمات في أسماء النبات لابن طرخان - جلد ١ .
- ٦٦٣ - منهاج الدكان - جلد ١ .



فصل في مؤلفات أسلافنا الكرام

عليهم رحمة الملك السلام

- ٦٦٤ - منبر التوحيد لشيخ الإسلام النجم الغزي - جلد ١ .
- ٦٦٥ - الأول من منبر التوحيد أيضاً بخطه قدس سره - جلد ١ .
- ٦٦٦ - حسن التنبيه لشيخ الإسلام النجم المذكور - جلد ١ .
- ٦٦٧ - المقصورة في النصائح . لشيخ الإسلام النجم نسخة عدد ٣ ، إحداهن بغير خطه .
- ٦٦٨ - مجموع أوله جلاء الخواطر من تأليفه قدس سره . بخطه - جلد ١ .
- ٦٦٩ - بلغة الواجد في ترجمة والده البدر . له قدس سره - جلد ١ .
- ٦٧٠ - الذيل على الكواكب السائرة له بخطه - جلد ١ .
- ٦٧١ - مجاميع بخطه قدس سره وهي مفصلة عدتها . . . الأولى . . .
- ٦٧٢ - مجاميع بخط أخيه شيخ الإسلام أبي الطيب الغزي . مشتملة على عدة من الرسائل له ولغيره تفصيلها .
- ٦٧٣ - مجموع أوله . . .
- ٦٧٤ - الدر التضييد لشيخ الإسلام البدر ، بخطه - جلد ١ .
- ٦٧٥ - من التذكرة لشيخ الإسلام المذكور - جلد ٢ .
- ٦٧٦ - شرح الألفية «المنظوم الصغير» - جلد ١ .
- ٦٧٧ - حاشية البدر على شرح المنهاج للحلي - جلد ٣ بخطه .
- ٦٧٨ - مجموع فهرس كتب ومؤلفات البدر بخطه ، وفي أوله : التحفة الذوقية لوالده - جلد ١ .

- ٦٧٩ - مجموع مؤلفات له عدتها ٣ أولها: الدر النضيد - جلد ١ .
- ٦٨٠ - مجموع له أيضاً بخطه، أوله قطعة من شرحه على المنهاج الفهري -
جلد ١ .
- ٦٨١ - حاشية شرح المنهاج للمحلي . الصغرى له - جلد ٢ .

* * *

المحتوى

| | |
|-----|--|
| ٥ | مقدمة |
| ٧ | اشتقاق تسمية دمشق |
| ١٠ | ذكر اشتقاق أماكن في نواحيها |
| ١٢ | مما ورد في مدح دمشق ثراً وشعراً |
| ٣١ | أصحاب رسول الله ﷺ الذين دفنوا بدمشق |
| ٣٥ | وصف دمشق وبنائها لابن فضل الله العمري |
| ٤٣ | وصف دمشق لابن بطوطة |
| ٦٦ | وصف دمشق وأهلها للمقري |
| ٩١ | أرجوزة ابن خداويردي في محاسن دمشق |
| ١٠٣ | أنهار دمشق |
| ١٢٠ | أبواب دمشق |
| ١٢٢ | فواكه دمشق في القرن الثامن الهجري |
| ١٣٩ | وصف ربوة دمشق في أوائل القرن الرابع عشر |
| ١٤٧ | الجامع الأموي بدمشق |
| ١٥٦ | ما ذكر في بنائه واختيار موضعه |
| ١٦٠ | كيفية ترخيمة ومعرفة المال المنفق عليه |
| ١٦٢ | ذكر ما كان عمر بن عبد العزيز رده على النصارى |
| ١٧٠ | وصفه شعراً |
| ١٧٣ | أحداث في المسجد الأموي خلال القرون |
| ٢١٤ | الحرائق بالجامع الأموي |
| ٢١٦ | فوائد عامة عن الجامع الأموي |

| | |
|-----|--|
| ٢٤٨ | التعريف ببعض جوامع دمشق ومدارسها |
| ٢٦١ | مدارس دمشق |
| ٢٦٤ | فوائد تاريخية عامة عن دمشق |
| ٣٧٦ | وصف لرحلة الحج في القرن العاشر الهجري |
| ٤٠٤ | محمل الحج |
| ٤٠٨ | وصف لمسيرة المحمل من دمشق |
| ٤١٦ | الصنائع والحسبة في القرن العاشر الهجري |
| ٤٢٦ | كتاب الطباعة |
| ٤٣٣ | معجم المأكّل الدمشقية |
| ٤٥٢ | حارات دمشق في القرن العاشر الهجري |
| ٤٥٨ | حارات ودروب وغيرها |
| ٤٦١ | ضرب الحوطة على جميع الغوطة |
| ٤٧٢ | من نوادر السماعات الدمشقية |
| ٥٣٢ | نصوص غير منشورة عن الزلازل |
| ٥٤٤ | الأشراف ونقابتهم في التاريخ الإسلامي |
| ٥٦١ | الطرق الصوفية في العالم الإسلامي |
| ٥٧٩ | عبد الغني النابلسي دراسة في حياته |
| ٥٩٤ | محاسن البادية وثيقة تاريخية |
| ٦٠٠ | الدكتور شكري فيصل الأديب العالم |
| ٦١١ | الروضة البهية في ترجمة الحاجة وهيبة |
| ٦٢٦ | وقف مكتبة العلامة كمال الدين الغزي |
| ٦٧٩ | المحتوى |

